جامعة القاهرة ـ كلية الآداب
(قسم التاريخ)

الأ[illegible] ستوتارية في رودس (١٣١٠ ـ ١٥٢٢م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ
(فرع العصور الوسطى) بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة .

اعداد :

سامى سلطان سعد

اشراف :

الاستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور
استاذ كرسي تاريخ العصور الوسطى
بجامعة القاهرة

(١٩٧٥)

محتويات الرسالـة

مقدمة

لدراسة تاريخ الاسبتارية فى رودس (١٣١٠ ــ ١٥٢٢) أهمية خاصة فى تاريخ الشرق الادنى فى العصور الوسطى ، نظرا للدور الخطير الذى قاموا به فى المرحلة الأخيرة من مراحل الحركة الصليبية ، فضلا عن علاقاتهم العديدة مع مختلف القوى المعاصرة فى الشام ومصر من ناحية وفى آسيا الصغرى والبلقان من ناحية أخرى وفى ايطاليا وغرب اوربا من ناحية ثالثة .

وفى هذا البحث حاولت ان اتتبع تاريخ قيام دولة الاسبتاريه فى رودس ، والأسس التى قامت عليها دولتهم من ناحية التنظيم ، والعلاقات الخارجيه التى ربطتهم بالقوى المعاصرة مسيحية كانت أو اسلاميه . وقد اعتمدت فى هذه الدراسة على عدد كبير من المصادر والمراجع . ويأتى على رأس قائمة المؤرخين الذين رجعنا الى كتاباتهم عن الاسبتاريه المؤرخ الفرنسى Joseph Delaville le Roulx الذى أمضى عشرين عاما من عمره فى جمع ودراسة وثائق الاسبتاريه المحفوظه فى مختلف دور الوثائق بأوربا حتى انتهى منها بوضع كتابه
(Cartulaire Général des Hospitaliers de Saint-Jean de Jérusalem, 4 Vol., Paris 1894-1906) .
الذى ضمن أجزاءه الأربعه نحو خمسة آلاف وثيقة تتعلق بتاريخ الاسبتاريه فى الشام وقبرص من عام ١١٠٠ حتى عام ١٣١٠ تحت عناوين تشرح موضوعاتها وضعها لها بنفسه .

وفى خلال ذلك أصدر ديلافيل لروكتابه :
(Les Archives, la Bibliothèque et le Trésor de l'Ordre de Saint-Jean de Jérusalem à malte, Paris 1883) .

وفيه تناول كل قسم من اقسام وثائق الاسبتاريه المحفوظه فى جزيرة مالطه بالتحليل مبينا أرقام هذه الوثائق وموضوعاتها ، كما نشر أجزاء من بعضها .

وبعد ثلاث سنوات من نشر هذا الكتاب ــ أى فى عام ١٨٨٦ ــ أصدر ديلافيل لروكتابا آخر أعطاه عنوان :
(La France en Orient au XIVᵉS. -Expéditions du maréchal Boucicaut, 2 Vol., Paris 1886) .

ويتألف هذا الكتاب من جزئين . وقد تناول المؤلف فى الجزء الاول منه بالشرح مشروعات الحروب الصليبية والحملات الصليبية ضد المماليك والاتراك منذ عام ١٢٩١ حيث

طرد الصليبيون من الشام حتى عام ١٤٠٧ حيث عزم بوسيكو - حاكم جنوة - على انفاذ حملة صليبية ضد دولة المماليك فى مصر والشام ولكن السفير الاسبتارى ريموند لسكير أثناه عن عزمه ، وهو نفس المنهج الذى سار عليه فيما بعد المؤرخ المصرى دكتور عزيز سوريال عطيه فى تأليف كتابه :

Atiya (A.S.) : The Crusade In The Later Middle Ages.

بقطع النظر عن الأبعاد الجديدة التى ذهب اليها فى رواياته للأحداث نتيجة رجوعه الى مصادر كثيرة للبحث لم يطرقها ديلافيل لرو .

أما الجزء الثانى من كتاب فرنسا فى الشرق فيتضمن الى جانب فهرس أبجدى للجزئين تسعا وثلاثين وثيقه تتعلق بنشاط بوسيكو الصليبى ، ولكن لا يوجد بينهما سوى وثيقتين تتعلقان بالاسبتاريه ، احداهما بتاريخ ٢٩ يناير عام ١٣١١ وفيها يقدم السيد الكبير فولك دى فيلاريه لملك فرنسا تفاصيلا عن استعداده للحرب الصليبية ، والثانيه بتاريخ ١٠ اغسطس عام ١٣٩٧ وتشتمل على قائمة بالأوانى الثمينه والمجوهرات التى رهنها الاسبتاريه ليتمكنوا من دفع الفديه عن قائد الجيش الفرنسى المهزوم فى موقعة نيقوبوليس عام ١٣٩٦ .

وفى عام ١٩٠٤ نشر ديلافيل لرو كتابه :

(Les Hospitaliers en Terre Sainte et à chypre, paris 1904)

الذى اعتمد عليه المؤرخ (King) بدرجة كبيرة فى كتابه :

(The Knights Hospitallers)

وبخاصة على الفصلين الأخيرين اللذين شرح فيهما ديلافيل لرو الادارة المركزية والاداره الاقليمية لهيئة الاسبتاريه . ولقد أفدنا كثيرا من هذين الكتابين الى جانب كتاب Cartulaire والكتب الخاصة بالحروب الصليبية العربية والأجنبيه - فى كتابة الفصل الاول من هذه الرسالة الذى عقدناه عن تاريخ الاسبتاريه فى الشام وقبرص .

وأخيرا صدر للمؤرخ ديلافيل لرو فى عام ١٩١٣ - بعد وفاته - كتاب :

(Les Hospitaliers à Rhodes Jusqu à la mort de Philibert de naillao 1310 -1421, Paris 1913).

ويلاحظ في هذا الكتاب ـ الذي أرخ فيه مؤلفه لكل رئيس اسبتاري على حدة ابتداء من الرئيس فولك دى فيلاريه الذى تم على يديه فتح رودس في عام ١٣١٠ حتى نهاية عهد الرئيس فولسبرت دى نيلاك المتوفى في عام ١٤٢١ ـ اعتماده الكامل على الوثائق المنشوره وغير المنشوره ـ فيما عدا رواياته عن الحملات الصليبية ضد المماليك والاتراك في القرنين ١٤ ، ١٥ فقد اعتمد اعتمادا كبيرا على كتابي Jorga

(Philippe de mézieres " 1327-1405" et la Croisade ou XIVeS., Paris 1896),
(Notes et Extraits pour servir à l'Histoire des Croisades au XVeS., 1er Série, Paris 1889) .

وهذا ماجعلنا نفضل دائما الاخذ بروايات ديلافيل في الوقوف على تفاصيل الأحداث وتفضيلها على ما عداها من روايات لاتستند الى الوثائق أو للمؤرخين الذين لم يبينوا لنا مصادر رواياتهم .

على أننا رجعنا الى كتب أخرى مليئه بالوثائق المنشوره بلغاتها الاصلية او المترجمة ترجمة حرفيه الى اللغات الاوربية الحديثه ، والتى قدمت لنا أكبر الفائدة في جميع فصول هذه الرسالة .. ولعل أهم هذه الكتب الجزء الثانى من كتاب :

Pauli (Sebastiano): Codice Diplomatico del sacro militare Ordine gerosolimitano oggi di malta, lUcca 1737).

وكتاب :

Golubovich (P.girolamo):Biblioteca Bio-Bibliografica della terra santa e dell'Oriente francescano, 5 vol., 1909-1927

وكتاب :

Noiret (Hipolyte : Documents Inédits pour servir à l'Histoire de la Domination Vénitienne en créte 1380-1485", Paris 1892.

وكتب المؤرخ mas-latrie وأهمها :

1- Commerce et Expéditions militaires de la france et de venise au moyen age, Paris 1879.
2- Histoire de l'Ile de chypre sous le règne des Princes de la maison de lusignan, 3 vol. Paris 1852-1861.
3- nouvelles Preuves de l'Histoire de chypre, dans B.E.C.,T.XXXV,

وفي الحقيقة اننا افدنا كثيرا من الوثائق التى نشرها ماس لاترى وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين الاسبتاريه وكل من قبرص والبندقيه ، فضلا عن أى نشاط صليبى مشترك للاسبتاريه وقبرص ، وذلك جنبا الى جنب مع روايات مؤرخى قبرص المعاصرين لتلك الأحداث وعلى رأسهم (Amadi, Strambaldi, macheras, machaut والمؤرخ الحديث george Hill فى كتابه :

(a History of cypmus , 3 vol. Cambridge 1948)

ومن المصادر الوثائقيه الهامة بخلاف ماسبق الجزء الثانى من كتاب :

Baudouin & De naberat: Histoire des chevaliers de saint-Jean de Jérusalem, Paris 1643.

ويتألف هذا الجزء من ثلاثة كتب فى مجلد واحد ، يتضمن الكتاب الاول منها وعنوانه قوانين هيئة القديس حنا المقدس

(Les statuts de l'Ordre de sainct Jean de Hierusalem)

ترجمة حرفيه الى اللغة الفرنسية بقلم (I.Baudouin) للمواد الدستوريه الهامة التى تنظم وتحكم الحياة الكنسيه والسياسيه والاجتماعية والاقتصاديه والقضائية والعسكرية وادارات الشعب لهيئة الاسبتاريه فى الشام وقبرص ورودس ومالطه . وقد اعتمدنا على هذه القوانين فى كلامنا عن الحكومه والادارة فى رودس الاسبتاريه ، وذلك فى الفصل الثالث من هذه الرسالة .

اما الكتاب الثانى من هذا الجزء فهو عبارة عن ترجمة حرفيه الى اللغة الفرنسيه بقلم بودوان نفسه للقرارات الصادره عن المؤتمر الاسبتارى العام فى دوراته الثلاث المنعقدة فى الأعوام ١٦٠٣ ، ١٦١٢ ، ١٦٢١ ، وهو خارج نطاق بحثنا .

ثم يأتى الكتاب الثالث من هذا الجزء ومؤلفه عضو الاسبتاريه De Naberat

وعنوانه :

(Sommaire des Priviléges Octroyez à l,Ordre de saint-Jean par les papes,Empereurs, Roys & princes, tant en Hierusalem, margat, ptolemaide, Rhodes, qu à malthe).

ويشتمل هذا الكتاب ـ وهو في الواقع سفر قائم بذاته له أرقام صفحات خاصة تبدأ بعرقيم مستقل داخل مجلد واحد مع كتابي بودوان السالف ذكرهما ـ على ملخص لأهم الامتيازات التي حصلت عليها هيئة الاسبتاريه من البابويه وسائر حكام أوربا في عهد كل رئيس من رؤسائها في الشام وقبرص ورودس ومالطه ، مصدره بصوره له وذكر تاريخ توليته وتاريخ وفاته وأهم الأحداث التي وقعت في عهده من غير شرح • ويذكر المؤرخ دى نابيرات في مقدمة هذا الكتاب بأنه تسبب في جمع وثائق الامتيازات التي ضمنها كتابه بالرغم من منصبه مستشارا لملك فرنسا • وقد أفادنا هذا الكتاب بوجه خاص فيما يتعلق بالعلاقات مع البابوية •

وهناك مؤرخ قديم آخر لهيئة الاسبتاريه رجعنا اليه هو (Vertot) صاحب كتاب :

(Histoire des Chevaliers Hospitaliers de S.Jean de Jerusalem appellez depuis les Chevaliers de Rhodes et aujourd'hui les Chevaliers de Malte, 4 Vol., Paris 1726) .

ويتألف هذا الكتاب من اربعة اجزاء ، ورد تاريخ الاسبتاريه في رودس في الجزئين الثاني والثالث منها • وقد سار المؤلف على نهج التأريخ لكل رئيس اسبتاري على حده وقدم لنا معلومات مفيده فيما يتعلق بالأحداث داخل هيئة الاسبتاريه وعلاقات هذه الهيئة بالبابويه • ولكن كثيرا من رواياته عن العلاقات الخارجيه والمعارك الحربية جاءت غير دقيقه تشوبها بعض الاخطاء مما دعانا الى توخي الحذر عند الرجوع اليه •

ويعتبر القسم الأول في كتاب :

(Flandin : Histoire des Chevaliers de Rhodes, Tours, 1873) .

وكذلك في كتاب :

(Biliotti & Cottret : L'Ile de Rhodes, Paris, 1881) .

تلخيصا لكتاب فرتو مع قليل من الاضافات وتصحيح لبعض الأخطاء • على ان القيمة الحقيقية للكتابين تتمثل فيما جاء في القسم الثاني من كل منهما من وصف للتحصينات

وغيرها من المنشآت العمرانية التى أقامها الاسبتاريه فى جزيرة رودس كما شاهدها المؤلف عند زيارته للجزيرة مع الرجوع الى أقوال من سبقوه ومناقشتها . واذا كنا قد أفدنا من اقوالهما فان الفائده الاكبر فى الحقيقه حصلنا عليها من كتاب أحدث زمنيا ، ألفه البارون دى بيلابر ، بعنوان رودس الفرسان :

(Baron de Belabre: Rhodes of the Knights, Oxford 1908)

فقد استفاد مؤلف هذا الكتاب ـ الذى شغل فترة من حياته منصب قنصل فرنسا فى رودس ـ من قراءته لكتابى فلاندان وبلمونى وكتب من سبقهما فى التأليف عن رودس ، فى اعطاء بيانات وأوصاف لتلك المنشآت أوضح واكمل .

ن لاضافه الى ماتقدم من مصادر ومراجع كان كتاب :

(J.De Hammer: Histoire de l'Empire Ottoman depuis son origine Jusqu'à nos Jours, 5 vols. Paris 1835-36).

بأجزائه الخمسة خير معين لنا فى الاهتداء الى عوامل عدم قيام بعض سلاطين العثمانيين بمهاجمة رودس بعد ان يكونوا قد أعدوا للأمر عدته بالفعل وذلك بما يشتمل عليه الكتاب من تفاصيل عن أنشطة هؤلاء السلاطين ومشاغلهم الأخرى التى كانت تضطرهم الى توجيه جيوشهم وجهات أخرى أو عدم اخراجها من بلادهم كلية .. ولكن يؤخذ على هامر انه فى مجال العلاقات بين العثمانيين والاسبتاريه اعتمد فى الدرجة الاولى على كتاب فرتسو حتى ان المؤرخ (Gibbons) صاحب كتاب

(The Foundation of the ottoman Empire, Oxofrd 1916)

وجه اليه اللوم لانه اعتمد فى تأريخه لحملة نيقوبوليس الصليبيه عام ١٣٩٦ على مؤرخ ليس ثقه مثل فرتسو .

على ان المؤرخ هامر أورد لنا فى ملحق خاص فى نهاية الجزء الخامس من كتابه ترجمه موجزه لما أسماه " يوميات الحملة الثانية للسلطان سليمان ، وهى حملته ضد رودس "

(Journal de la seconde campagne de Souleiman, celle contre, l,Ile de Rhodes)

اعتمدنا عليها اعتمادا كبيرا — باعتبارها وثيقه تركيه معاصره — عند كلامنا عن الحصار العثماني الأخير الذي قاده السلطان سليمان الثاني ضد رودس في عام ١٥٢٢ وانتهى بطرد الاسبتاريه من هذه الجزيرة . ومن الوثائق التركيه الأخرى التي استقينا منها أخبار هذا الحصار رسالة خطيه لكاتب مجهول يعتقد أنه رمضان طبيب السلطان سليمان ، وان كنا لم نرجع الى الأصل التركي لهذه الوثيقه وانما الى ترجمه حرفيه لها وردت على شكل مقتطفات في كتاب المؤرخ بلبوتي الذي اعتمد عليها الاعتماد الأكبر في تأريخه للحصار . ومن الملاحظ ان هذه الرساله تتفق مع يوميات الحملة الثانية للسلطان سليمان في ذكر أهم وقائع الحصار ولكن تختلف معها في تحديد .. خ بعض هذه الوقائع .

اما عن الوثائق الغربيه لهذا الحصار فقد وجدنا أكثرها أهميه في مرجعين اولهما كتاب (Pauli II, Codice) حيث نشرت نصوص مجموعه من الرسائل المتبادلة بين السلطان سليمان والسيد الكبير للاسبتاريه دى ليل آدم قبل بدء الحصار مباشرة ، وثانيهما كتاب :

(Charrière: négociations de la france dans le levant, Tome 1, Paris 1848).

حيث نشرت نصوص العدد الكبير من الرسائل التي كتبها دى ليل آدم قبل واثناء وبعد انتهاء الحصار . ولعل أهم هذه الرسائل ثلاث : أولها رسالته الى الملك الفرنسي فرانسوا الأول في ٢٨ اكتوبر عام ١٥٢١ — أى قبل الحصار — لابلاغه مضمون الانذار الذي وجهه اليه سليمان عقب فتحه بلغراد ، وثانيها رسالته الى ابن اخته في فرنسا ، في ١٣ نوفمبر عام ١٥٢٢ ، أى في أثناء الحصار ، وفيها أخبره بما تم من أمر وقائع الحصار حتى ذلك التاريخ وثالثها رسالته الى ابن أخته نفسه كتبها إليه في ٧ فبراير عام ١٥٢٣ من جزيرة كريت التي لجأ اليها الاسبتاريه بعد طردهم من رودس ، وفيها شرح له أحداث الفترة الأخيره من الحصار الى ان استسلم الاسبتاريه للعثمانيين . على ان الكتاب يحتوى ايضا على نص وثيقه باللغه اللاتينيه ذكر المؤلف شاريير بأنه عثر عليها ضمن وثائق الاسبتاريه المحفوظة في مالطه بدأت بملخص شديد لوقائع الحصار .. وانتهت بسرد نصوص معاهدة الاستسلام .

هذا وقد نشر بالكتاب أيضا مجموعه كبيرة من الرسائل التى توضح مجهودات دى ليل آدم وغيره من قادة الاسبتاريه لدى البابويه وملك فرنسا فرانسوا الأول لكى يساعدوا الاسبتاريه فى العوده الى رودس أو فى الاستحواذ على مقر آخر لهم يتمكنون فيه من ممارسة وظيفتهم العسكرية ضد المسلمين .

ويبقى لاستكمال هذا العرض لأهم المصادر الأجنبيه للرسالة ان نذكر خمسة منها أفادنا كل واحد منها فى جزء من أجزاء الرسالة . وأول هذه المصادر كتاب :

(Farochon_: Les chevaliers de Rhodes et de malte-chroniques et Réeit

ولم يتضمن هذا الكتاب تاريخا متصلا للاسبتاريه بل مجموعه من المقالات المدعمه بالاقتباس من اقوال المؤرخين المعاصرين للأحداث ، من غير ذكر لأسمائهم فى معظم الأحيان ، عن بعض المعارك الحربية التى أظهر فيها الاسبتاريه بطولات عظيمه ضد المسلمين ، وهى فيما يتعلق بالاسبتاريه فى رودس تلك المعارك التى انتهت بفشل الغزوتين اللتين قام بهما المماليك ضد رودس فى عامى ١٤٤٠ ، ١٤٤٤ فى عهد السيد الكبير جنا لاستيك ، وبفشل الحصار العثمانى لمدينة رودس العاصمة فى عام ١٤٨٠ فى عهد السيد الكبير بطرس دوبيسون ، وبأسر البارجه المملوكيه المعروفه باسم المغربيه فى عام ١٥٠٥ ، وبأسر وتدمير اسطول مملوكى من ثمانى عشره سفينه فى خليج أياس فى عام ١٥١٠ ، وأخيرا بطرد الاسبتاريه من رودس على يد السلطان العثمانى سليمان الثانى فى عام ١٥٢٢ فى عهد السيد الكبير دى ليل آدم .

اما المصدر الثانى من هذه المصادر الخمسة فهو كتاب :

(Gay: Le Pape Clément Vl et les Affaires d'Orient "1342-1352", Paris 1904)

وقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات كثيرة استقاها مؤلفه كلها من الوثائق الأصلية عن العلاقات بين القوى المسيحية فى شرق البحر المتوسط (ومنها قوة الاسبتاريه) والاتراك السلاجقه فى النصف الاول من القرن الرابع عشر ، وما تخلل ذلك مما عرف باسم الحملة الصليبية على أزمير فى عام ١٣٤٤ ، وحملة هيمبرت الثانى أمير فينا فى عام ١٣٤٦ .

ثم يأتى بعد ذلك كتابا :

(Bouhours: Pierre d'Aubusson, grand maitre de Rhodes), (Thuasne : Djem- Sultan" 1459-1495" , d, après les Documents Originaux en grande partie Inédits, Paris 1892).

اللذان استطعنا ان نستمد منهما صوره واضحة للعلاقات بين الاسبتاريه والعثمانيين فى عهد السلطان بايزيد الثانى حتى عام ١٤٩٥ بالنسبه لكتاب ثوازن وعام ١٥٠٣ بالنسبة لكتاب بوهور .. ومن الملاحظ فى كتاب بوهور انه أورد ترجمات حرفيه كاملة باللغة الفرنسية لعدد من الرسائل المتبادله بين السلطان بايزيد والسيد الكبير دوبيسون باللغة اليونانية ولكنه لم يذكر أسماء المراجع التى استقى منها نصوص هذه الرسائل وسائر مادة كتابه شأنه شأن معظم الكتب القديمة حيث طبع لأول مرة فى عام ١٦٧٦ . وعلى أى حال فإن جميع ماورد فى كتابه من معلومات يتفق تماما مع ماجاء منها فى كتاب ثوازن ــ الذى بين لنا مصادر مادته وكلها تقريبا من الوثائق الاصلية ــ مما يدل على صحتها .

ويأتى أخيرا كتاب دكتور محمد مصطفى زيادة عن العلاقات الخارجية لمصر فى القرن الخامس عشر ، وفيه عقد فصلا قيما عن العلاقات بين مصر وقبرص ورودس خلال القرن الخامس عشر ، واعتمد فيه أساسا على المراجع العربية المعاصرة مع عدم اغفال للمراجع الأجنبية .

اما عن المصادر العربية المعاصرة للأحداث فهى بطبيعة الحال لاتخدم سوى فصل العلاقات بين الاسبتاريه والمماليك . وفى جولة سريعه بين هذه المصادر نجد ان كتاب (العينى : عقد الجمان ج ٢٨) يؤكد لنا اشتراك الاسبتاريه فى القتال الى جانب القبارصه ضد المماليك فى معركة خيروكيتيا التى انتهت بأسر المماليك للملك القبرصى جانوس (يوليه ١٤٢٦) ، وهو ماقال به مؤرخو الاسبتاريه وأغفل ذكره مؤرخو قبرص مثل أمادى وسترامبالدى وماخيراس .

وأهم المصادر التى تكلمت عن غزوة الملك القبرصى بطرس الأول لمدينة الاسكندرية فى عام ١٣٦٥ كتاب (النويرى الاسكندرى ، الالمام بالاعلام فيما جرت به الأحكام بالأمور المقضية فى واقعة الاسكندرية) وكذا كتاب (أبى المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١١ طبعة دار الكتب) وكتاب (المقريزى : السلوك ج/ ٤) . ولكن أيا من هذه المراجع

لم يفرق بين الاسبتارية وسائر طوائف الفرنج المشتركين فى الحملة ، وبالتالى لم يخصص الاسبتارية بأى ذكر • غير أن كتاب الالمام انفرد فى الجزء الثانى دون بقية المؤرخين عربا وغير عرب بذكر أن الروادسه (الاسبتارية فى رودس) أسهموا فى حملة بطرس الأول على موانى الشام فى عام ١٣٦٧ بعشر سفن •

وفيما يتعلق بأهم المصادر العربية التى تعرضت لوقائع غزوات السلطان المملوكى جقمق الثلاث لرودس فى الأعوام ١٤٤٠ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، باسهاب أو باقتضاب فاننا نكتفى بالاشارة الى كتاب التبر المسبوك للسخاوى ، وكتاب انباء الغمر لابن حجر (جزءان) وكتاب عقد الجمان للعينى (الجزء ٢٨) وكتاب النجوم الزاهرة لأبى المحاسن (الجزء السابع طبعة كاليفورنيا) وكتاب غزوات قبرص ورودس للسيوطى •

ولم يرد بعد ذلك ذكر للاسبتارية أو الروادسه فى المصادر العربية المعروفة لنا الا فى كتاب (ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ــ الجزء الرابع) حيث أورد لنا خبر أسر وتدمير الروادسه للأسطول المملوكى فى خليج أياس عام ١٥١٠ ، والاجراءات الانتقامية التى اتخذها السلطان المملوكى قانصوه الغورى ضد مسيحى القيامه والتجار الأجانب بعد وقوع هذا الحادث •

فاذا انتقلنا الى المراجع العربية الحديثة فاننا نذكر بالفضل كتابى دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور " الحركة الصليبية " بجزئيه ، وكتابه " قبرص والحروب الصليبية " ، لأنهما أنارا لنا الطريق فى جميع فصول هذه الرسالة بما فيها الفصل الأول الخاص بتاريخ الاسبتارية فى الشام وقبرص • وكذلك يجدر بنا أن ننوه بالفائدة العظمى التى حصلنا عليها من بقية مؤلفات الدكتور سعيد عاشور ومنها كتاب العصر المماليكى فى مصر والشام " هذا فضلا عن مراجع أخرى عربية مثل " مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسه " للدكتور ابراهيم على طرخان ، و " المماليك والفرنج " للدكتور أحمد دراج ، وقد أفدنا منها جميعا فيما يتعلق بالعلاقات بين الاسبتارية والمماليك فى مصر والشام •

وبعد ، فان هذه أهم مصادر الرسالة وليست كلها • وبقطع النظر عما أرجو ان تكون قد اضافته هذه الرسالة من جديد فى المادة العلمية التى استقيتها من الوثائق الأصلية المنشورة ــ وهو ما يتضح بجلاء على وجه الخصوص فى الكلام عن الحكومة والادارة ، وعن الغزوات المملوكية لرودس والحصار العثمانى الأخير لرودس فى عام ١٥٢٢ ــ فانها على قدر علمنا أول محاولة ــ وهى محاولة متواضعة ــ لانجاز أبحاث خاصة عن العلاقات الخارجية لهيئة الاسبتارية منذ أن استقر الاسبتارية فى رودس

فى عـام ١٣١٠ الى ان تم جلاؤهم عنها فى عام ١٥٢٢ . ومما يزيد من قيمـة هـذه الدراسـة انها جاءت كلها على هيئة فصول فى رسـالة واحده مسبوقه بفصل تمهيدى عن نشأة هيئة الاسـبتاريه وتاريخها فى الشام وقبرص وغزو رودس ، ثم بفصل آخـر كبير عن نظام الحكم والادارة لهيئة الاسـبتاريه فى رودس مستمدا من قوانينهم الدستورية وعن أهم حصونهم ومنشآتهم العمرانية كما شاهدها شهود العيان من علماء التاريخ والاثـار وغيرهم .

وانى لأسدى خالص شكرى لاستاذى الفاضل الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور الذى أكرمنى بوافق على الاشراف على هذا البحث وكان لما أمدنى به من ارشاد وتوجيه وما أسبغه علىّ من عطف وتشجيع الفضل ، كل الفضل ، فى اتمامه ، ولا أملك إلآ أن أعترف بجميله الذى طوقنى به .

وأخيرا فمن الوفاء علىّ ان اذكر بالخير أستاذى عاطر الذكر المرحوم الدكتور السيد الباز العرينى لمساعدته لى عندما كنت أخطو الخطوات الاولى فى هذا البحث ، وأدعو الله ان يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته .

والله ولى التوفيق ..

سامى سلطان سعد

الفصـــــل الاول

نشأة الاسبتاريــة وتاريخهم حتى غزو جزيرة رودس

١) نشأة هيئة الاسبتارية وتحولها الى هيئة عسكرية .

٢) التنظيمات الداخلية لهيئة الاسبتاريــة .

٣) دور الاسبتارية فى الحروب الصليبية ضد المسلمين فى الشام ومصر .

٤) انتقال الاسبتارية الى جزيرة قبرص عام ١٢٩١ .

٥) غزو الاسبتارية لجزيرة رودس ١٣٠٦ ـ ١٣١٠

نشأة هيئة الاسبتارية وتحولها الى هيئة عسكرية :

الاسبتارية جماعة من الرهبان سهروا على رعاية فقراء حجاج المسيحيين ومرضاهم فى مستشفى أقيم لهذا الغرض بمدينة بيت المقدس ،أمام كنيسة القيامة ، قبيل الحروب الصليبية ، فلما نجحت الحملة الصليبية الاولى فى الشام ، فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، واستقر الصليبيون فى ممتلكاتهم الجديدة فى بلاد الشام ، تحولت هذه الجماعة الى هيئة حربية ، أصبحت السند الاقوى للصليبيين فى أعمالهم العدوانية والدفاعية ، فضلا عن استمرارها فى المحافظة على وظيفتها الدينية والاجتماعية فى موسسات خاصة قامت بتشييدها فى مختلف أنحاء الممتلكات الصليبية فى بلاد الشام وأوروبا .

وقد اكتنف الغموض النشأة الاولى لمستشفى بيت المقدس الذى استمدت منه هيئة الاسبتارية اسمها . وأقدم رواية وردت فى هذا الشأن ما ذكره وليم ، رئيس أساقفة صور ومؤرخ الحروب الصليبية (١) ، من أن جماعة من تجار أمالفى اعتادوا زيارة الاراضى المقدسة للتجارة والحج ، وشاهدوا ما يلاقيه فقراء الحجاج ومرضاهم فى مدينة بيت المقدس من متاعب ، فأسسوا لهم ، بمقتضى اذن خاص من الخليفة الفاطمى بالقاهرة ، مجموعة من المبانى ، أولها دير القديسة مريم اللاتينية (Marıa de Latina) وخصصوه لاستضافة الرجال من الحجاج والتجار الامالفيين ، ولسكنى مجموعة من الرهبان الامالفيين استقدموهم من أمالفى لاحياء الشعائر الدينية وتقديم الخدمة فى الدير ، وفى المستشفى المجاور له ، الذى أقامه هولاء الرهبان لايواء الفقراء والمرضى من الحجاج الاوربيين ، دون اعتبار لجنسياتهم ، وشهد مع كنيسة القديس حنا الملحقة به مولد هيئة الاسبتارية . كذلك شيد الامالفية مستشفى خاصا لايواء النساء ، أصبح

(١) أنظر Recueil des Historiens des Crisdes (R.H.C.) , Historiens Occidentaux , T.V. Préface, PP.CIX,CX.

وكذلك Willermi Tyrenses (W.T.), dans R.H.C., Hist. Oc. , T. 1, Partie II.PP. 822-826

فيما بعد ، مع الكنيسة الملحقة به باسم القديسة مريم المجدلية ، مركزا للشعبة الخاصة بالنساء من الاسبتارية .

على أن المؤرخ وليم الصورى لم يذكر التاريخ الذى تم فيه تشييد هذه المنشآت جميعا ، وهو يقع ، فى أغلب الظن ، بين عامى ١٠٦٣ ، ١٠٧٠ ، أى فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى (١) هذا الى أن ذلك المؤرخ لم يعين المصدر الذى استقى منه روايته ، وان كان يظن أن ذلك المصدر هو المؤرخ الايطالى Aimé de mont - Cassin ، وهو المؤرخ الذى عاش ، فيما يبدو ، قبيل الحرب الصليبية الاولى ، وكتب عن منشآت الامالفيين التى أنجزت فى مدينة بيت المقدس خلال القرن الحادى عشر الميلادى ، وان كان لم يشر الى مولد هيئة الاسبتارية فى احدى هذه المنشآت . (٢)

ويبدو أن رواية رئيس أساقفة صور عن نشأة الاسبتارية كانت مقبولة لدى كتاب القرن الثانى عشر الميلادى ، وأوائل القرن الثالث عشر ، بما فيهم أعضاء هيئة الاسبتارية

---

(١) أنظر : Heyd I, PP. 103-106 .

(٢) R.H.C., Hist. Oc. T.V., Praface, PP.CX-CXI.

أنفسهم ، حتى أنها وردت بشكلها الاصلى ، أو معدلة بقليل من الايجاز أو الاسهاب في كثير من كتاباتهم .(١) غير أن هذه النشأة البسيطة لهيئة الاسبتارية أصبحت منذ النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادى لا ترضى طموح فرسان الاسبتارية ، ولا تشبع غرورهم فأضفوا عليها مجموعة من الاساطير الدينية الكفيلة بأن تكسب هذه الهيئة مجدا أكبر ومنحا أكثر (٢) وقد استمدوا هذه الاساطير من بعض الاحداث الواردة في الانجيل ، وفي سفر المكابيين ، بعد تحريفها تحريفا يلائم أغراضهم ، فزعموا أن نشأة المستشفى مهد الاسبتارية ترجع الى عهد الامبراطور الرومانى يوليوس قيصر (٩٩ - ٤٤ ق • م •) ، وبناءه في مدينة أنطاكية السورية ، الملك أنتيوخوس الذى منحه الامبراطور أيضا حق حكم مدينة بيت المقدس • وذكروا أن هذا الملك قدم الى بيت المقدس في عصر يهوذا المكابى Judas Maccabaeus ، لمعاقبة

---

(١) أنظر R.H.C., Hist. Oc. T.V. Préface, P.CXI .

ومن أمثلة هذه الكتابات تلك القصيدة الشعرية التى تحكى قصة جود فروى دي بويون أحد قادة الحملة الصليبية الاولى (كتبت في النصف الاول من القرن ١٣ انظر Ibid, P.CX . ، وكذلك النص الذى يحمل عنوان :

De Prima Institutione Hospitaliorum .

ويتضمن تلخيصا أمينا لاقوال رئيس أساقفة صور ، ويوجد في :

R.H.C, Hist, Oc.T.1, Part. II, PP. 40. - 404 .

فضلا عن كتابات سيكاردو أسقف كريمونه — وهو كاتب ايطالى تكلم عن المنشآت الاطالفية من غير ذكر لنشأة الاسبتارية ، وكذا كتابات جال دى فترى في اوائل القرن ١٣ • • R.H.C., Hist. Oc., T.V., Preface, P.CX

(٢) أنظر : King : The Knights Hospitallers in the Holy Land , P.4 .

رئيس الكهنة ملخيور Melchior بتهمة نبش قبر الملك داود . وعند جبل الجلجثة ظهر له الله فى رؤيا ، وكشف له عن براءة رئيس الكهنة ، وأمره بأن يتعاون معه فى تشييد مبنى بالقرب من مكان الرؤيا لرعاية المرضى والفقراء . وهكذا تم بناء المستشفى الذى أراد له الاسبتارية أن يكون مهدا لمجتمعهم ، وادعوا بأن المسيح قد نزل فيه مع الحواريين مرارا كثيرة أثناء زيارته لمدينة بيت المقدس أو اقامته فيها ، كما أنهم اختاروا من الاناجيل بعض الاقوال المأثورة عن المسيح ، وطائفة من المعجزات التى تمت على يديه ، وعلى أيدى تلاميذه من بعده ، وأضافوها الى روايتهم لاحكام حبكها . (١)

على أن الفكر الاسبتارى فيما يتعلق بالنشأة الاولى لهذا المستشفى شهد مرة أخرى تغييرا كبيرا فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى ، وربما كان ذلك نتيجة للصدمة التى تعرضت لها الهيئة بعد طردها من الشام ، فى عام ١٢٩١ ، على يد السلطان المملوكى ، الاشرف خليل بن قلاوون ، ثم اقامتها فى جزيرة قبرص ضيفا غير مرغوب فيه .

ففى عام ١٣٠٣ ، أو بعده بقليل ، نشر أحد كبار فرسان الاسبتارية ، واسمه وليم سانت استيف . Juillaume de Saint - Estéve (٢) رسالة عن نشأة الاسبتارية رفض فيها فكرة ارجاع هذه النشأة الى عهد المكابيين ـ بما صاحب هذه الفكرة

---

(١) Josephi : Historiographi : Tractatus de Exordio Sacrae Domus Hospitalis Jerosolimitani, dans R.H.C., Hist. Oc. T.V. Part II, PP.405 - 421 .

منشور منه ثلاثة نصوص ، نص لاتينى ، ونصان فرنسيان أحدهما مطول والثانى مختصر ويكاد النص المطول ان يكون ترجمة حرفية للنص اللاتينى ، أما المختصر ـ وهو اقدم النصوص الثلاثة ، وكتب ما بين عام ١٢٢٠ ، وعام ١٢٤٠ تقريبا ـ فقد ذكر بأن المأوى المشيد على جبل الجلجثة وشهد بداية الاسبتارية يعود بمناؤه الى عهد المخلص ـ ويقصد المسيح ـ وليس الى عهد المكابيين الذى قال به النصان الاخران .

(انظر : R.H.C., Hist.Oc. T.V., Préface, PP.CXII-CXVII

(٢) أنظر : R.H.C.Hist. Oc. T.V. , Part.II. PP.422-427

من أساطير ــ وفضل العودة الى الاخذ بروابة وليم رئيس أساقفة صور ، مع بعض الاختلافات التي لا تصل الى درجة التغيير . ذلك أنه اتفق مع وليم الصوري في أن هيئة الاسبتارية نشأت في مستشفى شيد في القرن الحادى عشر الميلادى على يد مجموعة من التجار الايطاليين ، حدد وليم الصوري جنسيتهم بالامالفية ، في حين حدد وليم سانت استيف عددهم بخمسين تاجرا . ومما اختلف حوله المؤرخان ، أن رئيس أساقفة صور قد ميّز مجالا بين اقامة دير القديسة مريم اللاتينية حيث يعمل مجموعة من الرهبان الايطاليين ، وبين ما حدث بعد ذلك من اقامة المستشفى الذى غدا مهد الاسبتارية ، على يد أولئك الرهبان ، أما معاصره وليم سانت استيف فقد ذكر أن هاتين المؤسستين تم بناؤهما في آن واحد ، وأضاف أن مجموعة الرهبان التي خدمت فيهما كانت من الرهبان البندكتيين الذين أطلق عليهم اسم " الرهبان السود " . هذا وبينما أكد وليم الصوري أن اسم القديس حنا ، الذى تحمله الكنيسة الملحقة بالمستشفى ، والذى أصبح فيما بعد علما للهيئة الاسبتارية نفسها ، هو أحد بطاركة كنيسة الاسكندرية اشتهر بالكرم والضيافة ، فان وليم سانت استيف أنكر ذلك بشدة ، ورفض ــ وهو الفارس الاسبتارى ــ أن يكون هذا البطريرك المصري حاميا وشفيعا للهيئة التي ينتسب اليها ، وأصر على أن القديس المعني هو حنا المعمدان الذى بشر بمقدم المسيح (١)

وقد ظلت نظرية وليم سانت استيف عن نشأة الاسبتارية تمثل ــ فيما يبدو ــ وجهة النظر الرسمية للهيئة حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد ، رغما عن التغييرات والتقلبات العديدة التي مرت بها خلال تلك الفترة الطويلة ، والتي كان أبرزها استيلاء الاسبتارية على جزيرة رودس ، عام ١٣٠٨ ، أو عام ١٣١٠ ، وانفرادهم بحكم هذه الجزيرة ، مما جعل منهم قوة ضخمة في البحر المتوسط . على أنه حدث

---

(١) أنظر : R.H.C., Hist. Oc. T.V. Préface. PP CXX-CXXIII.

فى عام ١٤٨٩ ، أن عهد بطرس دوبيسون ، رئيس حكومة الاسبتارية فى رودس ، الى وليم كاورسين Guillaume Caoursin ، الذى كان يشغل ، آنذاك ، وظيفة السكرتير العام لتلك الحكومة ، بوضع صياغة جديدة لدستور الاسبتارية ، فأتم وليم كاورسين مهمته ، وصدر الدستور الجديد بمقدمة ضمنها رأيا جديدا عن نشأة هيئة الاسبتارية (١) وقام هذا الرأى ، الذى تبنته الحكومة ، واصدرت فى ٥ أغسطس عام ١٤٩٣ قرارا بترجمته من اللغة اللاتينية التى كتب بها الى مختلف اللغات العامية التى تفهمها طوائف المسيحيين (٢) على أساس العودة بأقدمية المستشفى ، مهد الاسبتارية ، الى عصر المكابيين ، مع انكار ما أحاط بهذه الاقدمية البعيدة من أساطير (٣) فنص (٤) على أن هذا المستشفى شيد على يد حنا هركان Jean Hyrcanus ، ابن أخ يهوذا المكابى ، لايواء الحجاج القاصدين مدينة بيت المقدس بقصد زيارة هيكل سليمان ، وأن المستشفى ظل قائما حتى قدر لـه أن يشهد فى ساحته جانبا من المعجزات التى تحققت للمسيح وحوارييه من بعده ثم قوض مع بقية الاماكن المقدسة أثناء غزوات الامبراطورين الرومانيين ، فسباشيان Vespasianus (٦٩ — ٧٩ م) ، وتيطس Titus (٧٩ — ٨١ م) لمدينة بيت المقدس ، فغدا بذلك أثرا بعد عين ، ثم أعيد بناؤه من جديد على يد أحد الحجاج ، واسمه جيرار

---

(١) أنظر : R.H.C., Hist. Oc. T.V. Préf.,P.CXXVI .

(٢) انظر : Ibid : Op.Cit., P.CXXVIII .

(٣) انظر : Ibid : Op.Cit.,P.CXXVI .

(٤) انظر : R.H.C., Hist. Oc. T.V.,Part II., PP.430- 435 .

بعد هدمه بنحو عشرة قرون ، أى فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . وقد وقع اختيار جيرار على القديس حنا المعمدان حاميا وشفيعا للمستشفى ، وباشر جيرار ادارته الى أن تم الغزو الصليبى لمدينة بيت المقدس عام ١٠٩٩ ، فساعده الصليبيون فى الوصول بهذه المؤسسة الصغيرة الى درجة عالية من التقدم والازدهار .

ومن الملاحظ فى رواية وليم كاورسين أنه أنكر على التجار الايطاليين فضلهم فى بناء المستشفى مهد الاسبتارية ، وهو ما أكده من قبل وليم الصورى ووليم سانت استيفن . واذا كان وليم كاورسين قد اتفق مع سميه على أن هذا المستشفى كان وقت الغزو الصليبى لمدينة بيت المقدس عام ١٠٩٩ تحت ادارة من عرف باسم جيرار المبارك ، أو القديس جيرار ، الذى أسس فيه فيما بعد هيئة الاسبتارية ، فانه انفرد دونهما بأن أضاف الى جيرار أيضا عملية بناء المستشفى نفسها ، اما بدافع من روح المنافسة بين طائفة الفرنسيين ، التى ينتمي اليها كاورسين ، وطائفة الايطاليين داخل هيئة الاسبتارية فى جزيرة رودس ، لان جيرار فرنسى المولد ينتمي الى اقليم بروفانس كما ادعى دائما الفرنسيون ،[١] أو بسبب عدم اقتناعه بأن تجارا مهنتهم الربح وأيتهم

---

(١) بمقتضى التقليد المقبول فان جيرار بروفنسالى ولد عام ١٠٤٠ فى Martigues ولكن فى القرن السابع عشر ادعت قرية Scala الواقعة بالقرب من مدينة أمالفى الايطالية بأن جيرار ابن لها . وقد حاول المؤرخ King, PP. 20-21 أن يوفق بين الادعائين فذكر بأن جيرار مواطن من Martigues ولكنه أقام فترة من الزمن فى Scala . فظن السكاليون فيما بعد أنه ولد فى قريتهم ، أما المؤرخ ديلافيل لروفانه يرجح الاصل الامالفى لجيرار .

(أنظر: Delaville Le Roulx : Les Hosp. en Terre-Sainte, PP. 37 - 38 .

جمع المال يبدون مثل هذا الاهتمام الكبير براحة الحجاج من مختلف الجنسيات ويتبرعون من أجل ذلك بقدر كبير من المال يكفى لبناء مستشفى ولديهم وتجهيزهم •

أما عما ذكره وليم تاوسين من أن المستشفى الذى كان مهد الاسبتارية تجديدا أو استمرارا للمستشفى الذى بناه حنا هركان فى عصر المكابيين ، وانه شهد نزول المسيح وحوارييه فيه ، فانه بلا شك كان يبغى من وراء ذلك ايجاد بداية لهيئة الاسبتارية أكثر بريقا ، ولكنها فى الوقت نفسه غير أسطورية • غير ان كاوسين لم يراع الدقة فى استقصاء أخبار ذلك المستشفى منذ أن هدم على يد الامبراطور الرومانى تيطس فى أواخر القرن الاول الميلادى ، الى أن بنى غيره فى أواخر القرن الحادى عشر ، فأخطأ حين ذكر أن المدينة المقدسة ظلت طوال تلك الفترة خالية من هذا النوع من المؤسسات ، مع أنه شيد فى المدينة خلال ذلك الدور مستشفى لخدمة الحجاج المسيحيين ، وربما كان هذا المستشفى —وليس مستشفى هركان اليهودى— البداية الاولى التى يمكن اعتبارها مهد الاسبتارية • وقد تم بناء هذا المستشفى المسيحى فى مطلع القرن السابع الميلادى (حوالى عام ٦٠٣ م) تنفيذا لرغبة البابا جريجورى العظيم وباشراف مندوبه بروبوس Probus (١) ولكنه ما لبث أن دمر مع غيره من المنشآت المسيحية فى حركة الابادة التى دبرها اليهود ضد المسيحيين عقب سقوط مدينة بيت المقدس ، فى ٦ مايو سنة ٦١٤ م على يد كسرى الثانى ، ملك فارس • ثم أعيد بناؤه ، مرة اخرى على ما يظن ، بعد أن نجح الامبراطور البيزنطى هرقل فى طرد جيوش الفرس من المدينة المقدسة فى ١٤ سبتمبر سنة ٦٢٩ • وفى أوائل القرن التاسع الميلادى أسس شارلمان ، امبراطور الغرب ، باذن خاص من الخليفة العباسى هارون الرشيد ، مجموعة من المبانى

---

(١) أنظر : King, P.5; D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP.5,7 .

لخدمة الحجاج المفربيين فى مدينة بيت المقدس ، عرفت باسم المبانى اللاتينيــة ، تمييزا لها عن المؤسسات الاغريقية الشرقية الموجودة فى المدينة • وكان ضمن هـذه المنشآت اللاتينية كنيسة باسم القديسة مريم اللاتينية ، بنيت بجوار مستشفى جريجورى وهو المستشفى الذى شمله أيضا التجديد ، وربما أعيد بناؤه عندئذ من جديـد • وقد عهد الى الرهبان البندكتيين ، الذين كانوا يقيمون وقتذاك فوق جبل الزيتـون بادارة هاتين المؤسستين ، الكنيسة والمستشفى ، الى أن تم تخريبهما ، مع بقيـة المنشآت المسيحية ، فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى ، بأمر من الخليفـــة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، وهو الخليفة الذى عرف بشذوذه وبعد بعض تصرفاتـــه عن روح الاسلام • ولكن حدث فى النصف الثانى من ذلك القرن ـ بين عامى ١٠٦٣ ، ١٠٧٠ ـ أن أعيد بناؤهما على يد التجار الامالفيين الذين عهدوا بالاشـــراف عليهما الى جماعة من الرهبان البندكتيين ، استقدموهم فى أغلب الظن من ديـــر لاكافا La Cava الواقع بالقرب من مدينة أمالفى فى ايطاليا • وكان مقر هـــؤلاء الرهبان ومركز رئاستهم فى دير القديسة مريم اللاتينية ، ومنه أشرفوا أيضا عـلى ادارة المستشفى ، ودير آخر بناه الامالفيه بجوارهما اسمه دير القديسة مريم المجدليـــة • وفى هذا المستشفى الاخير ، الذى شيده الامالفيه ، نشأت هيئة الاسبتارية •(١)

وليس من شك فى أن الحروب الصليبية هى العامل الرئيسى فى تحويل مستشـفى الامالفيين من مؤسسة خيرية محلية خاضعة لرئاسة البندكتيين فى دير القديسة مـــريم اللاتينية الى منظمة رهبان حربية لها كيانها المستقل ولها فروعها الكثيرة فـى أوروبـا فضلا عن الشام • فبعد أن تم الفتح الصليبى لمدينة بيت المقدس ، عام ١٠٩٩ ، التحق بالمستشفى نفر من الفرسان الصليبيين رغبوا فى رعاية الجرحى والمرضـــى من

(١) أنظر ; King, PP.5-14; D.Le Roulx : Les Hosp.en T.S., PP.5-12, 28-33 .
وكذلك Heyd I, PP. 103 - 106

زملائهم ، ولم يلبث هؤلاء الفرسان أن أبدوا استياءهم من تبعية مستشفاهم للرهبان البندكتيين المقيمين فى دير القديسة مريم اللاتينية ، وما زالوا يلحون ويضغطون على جيرار مدير المستشفى المعين من قبل الرهبان البندكت حتى أعلن ، فى عام ١١٠٤ ، استقلال المستشفى عن الدير ، ووضع للعاملين فيه تنظيما جديدا أصبحوا بمقتضاه هيئة ذات كيان خاص هى هيئة الاسبتارية أو المستشفى (١) . وقد فضل جيرار القانون الاوغسطينى ليحل محل قانون البندكتيين فى حكم هذه الهيئة التى اتخذت من الفقر والعفة والطاعة شعارا ثلاثيا لها ، ومن العباءة السوداء مع الصليب الابيض المثمن الاطراف المعلق على الصدر زيا خاصا بها (٢) .

وكان أن احتفل رسميا بمولد هيئة الاسبتارية فى كنيسة القيامة (القبر المقدس) برئاسة البطريرك داجوبرت البيزى Dagobert of Pisa . وما أن تم ذلك حتى قامت السلطات الصليبية بطرد الرهبان الاغريق (الشرقيين) من دير القديس حنا المعمدان ، وهو دير بيزنطى يقع الى الجنوب من مجموعة المنشآت الاما لفية ، فتم تحويل ملكيته الى الاسبتارية الذين بادروا بضمه الى مستشفاهم ، وأعلنوا انتسابهم الى قديسه حنا المعمدان ، مفضلين اياه على القديس حنا بطريرك الاسكندرية الذى تحمل كنيسة المستشفى اسمه (٣) .

وسرعان ما أخذت تنهال على هيئة الاسبتارية عندئذ ألوان المنح والهبات سواء من أوربا أو من مملكة بيت المقدس ، اما للتشجيع والتدعيم أو اعترافا بالجميل من جانب الصليبيين الذين قدروا للمستشفى فضله على جرحاهم ومرضاهم . وقد اعترف الملك بلدوين

---

(١) أنظر : D.Le Roulx : Lex Hosp. en T.S.,PP.38 - 39

(٢) انظر : King, P.22 .

(٣) انظر : Ibid , PP. 22.23 .

الأول ، ملك بيت المقدس ، في عام ١١١٠ ، بما منح للاستبارية في مملكته من أرض وعقار . وبعد عامين ، أي في عام ١١١٢ ، أصدر الملك منشورا جديـــدا أكد فيه اعترافه الأول ، على حين قرر كل من بطريرك بيت المقدس ، ورئيس أساقفة قيسارية ، اعفاء أملاك الهيئة الجديدة ، في دائرة اختصاصه ، من ضريبة العشور الكنسية .

وأخيرا أعلن اعتراف البابا باسكال الثاني بهيئة الاستبارية ، في المنشور البابوي الصادر بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١١١٣ ، فاعتبر هذا اليوم تاريخا رسميا لميلاد الهيئة .

وتضمن المنشور أيضا وضع هيئة الاسبتارية تحت الحماية والرعاية الدائمتين للكرسي البابوي في روما ، واعتراف البابا بأملاك الهيئة في أوروبا والشام ، مع اعفاء هذه الأملاك من ضريبة العشور الكنسية المقررة عليها . هذا كله بالاضافة الى منح أعضاء الهيئة الحق المطلق في اختيار رئيسهم . ثم صدق البابا كالكستوس الثاني Calixtus II. في عام ١١١٩ على هذه الامتيازات التي عززت بعد ذلك بمقتضى منشورات كثيرة صدرت عن بابوات آخرين جاءوا بعده . (١)

وفي الثالث من شهر سبتمبر عام ١١٢٠ توفي القديس جيرار ، مؤسس هيئة الاسبتارية وأول رئيس لها (٢) ، وخلفه في منصبه ريموند دي بوي Raymond du Puy . الذي يظن أنه أحد فرسان الحملة الصليبية

---

(١) انظــر : D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP.40 - 42; King, PP. 23 -25 .

(٢) انظــر : Fulcherii Carnotensis, dans R.H.C., Hist. Oc. T.III, P. 446; King, P.24

الأولى[١] . وقد بدأ ريموند دى بوى عهده بأن وضع قانونا خاصا لهيئة الاسبتارية استمده من القانون الأوغسطيني . واقتصر قانون دى بوى على معالجة المشاكل البسيطة للحياة الديرية التى يعيشها أعضاء الهيئة ، وهى مشاكل تتعلق بطعامهم ولباسهم وسلوكهم وأخلاقهم ، وكذا بأمور الصدقات والنذور ورعاية المرضى فى المستشفى[٢] ولكن ريمود دى بوى مالبث أن ادخل على نظام الهيئة وشخصيتها تغييرا كبيرا تحولت بمقتضاه الى هيئة حربية مع استمرارها فى تأدية وظائفها الدينية والخيرية . ويعتقد بأن هذا التحول تم فى عام ١١٢٣ أثناء الشدة التى تعرضت لها مملكة بيت المقدس نتيجة لوقوع ملكها بلدوين الثانى ، فى أبريل من ذلك العام ، أسيرا فى يد الأمير بلك بن بهرام بن أرتق ، صاحب قلعة خرتبرت[٣] ، وقيام الجيوش الفاطمية المصرية ، فى الشهر التالى — أى فى شهر مايو — بحصار مدينة يافا الواقعة على الحدود الجنوبية للمملكة . ففى خلال تلك الأزمة ناشد يوستاس جارنييه . Eustace Garnier — كونستابل مملكة بيت المقدس — جميع القوى الصليبية القادرة على حمل السلاح فى المملكة ، بالتكتل وراءه لمواجهة خطر الغزو الفاطمى .

---

(١) يوجد خطاب (منشور فى D. Le Roulx : Cartulaire-Général, T.I. T.I , No. 46) أرسله ريمود دى بوى بعد توليته الى أساقفة المسيحية يذكر فيه صراحة بأنه خليفة جيرار .

(٢) أنظر : D.Le Reulx : Les Hosp. en T.S. , PP.318-319 ; King, P. 30 .

(٣) ابن الأثير : كامل التواريخ (فى : R.H.C.,Hist. Orient., T.I . ص ٣٥٢ — ٣٥٣ ، دكتور حسن حبشى : نورالدين والصليبيون ص ٢٠ .

والأرجح أن ريموند دى بوى وكبار رجال هيئته من الفرسان السابقين قد لبـوا نداءه ، وكونوا منهم فرقة مسلحة قوامها الفرسان ، اشتركت مع الجيش الصليبى ، الذى يقوده يوستاس جارنيه ، فى ارغام القوات الفاطمية على فك الحصار عن يافا ، وحمله على التراجع الى مدينة عسقلان الفاطمية (١). واذ رجع كبار الاسبتارية الى مهنة الحرب والفروسية ، وهى مهنتهم الأصلية التى هجروها عند التحاقهم بالهيئة ، أصبح من العسير عليهم التخلى عنها مرة أخرى ، ولاسيما أن الأزمة التى مرت بها مملكة بيت المقدس أظهرت لهم بوضوح أن القضية الصليبية ، التى وفدوا أصلا الى بلاد الشام لخدمتها ، لا تزال فى مسيس الحاجة لسيوفهم (٢).

وثمة شواهد تدعو الى الاعتقاد بأن التحول العسكرى لهيئة الاسبتارية تم خلال أزمة عام ١١٢٣ ، أهمها ماحدث فى عام ١١٢٦ — أى بعد ثلاث سنوات فقط من وقوع تلك الأزمة — من ظهور وظيفة " كونستابل " فى هيئة الاسبتارية ، وهى وظيفة عسكرية كبرى مالبث صاحبها أن عرف باسم " المارشال " — أى المشير — وهو يعادل وزير الحرب فى العصر الحاضر (٣).

ومهما يكن من أمر ، فان هيئة الاسبتارية ظهرت ، فى عام ١١٣٧ ، فى صورة هيئة عسكرية ، حيث أن الملك فولك أنجو ، الذى تولى عرش مملكة بيت المقدس عقب وفاة بلدوين الثانى فى عام ١١٣١ ، عهد اليها فى ذلك العام بحماية حصن بناه الصليبيون بجوار قرية بيت جبرين — وهى من أملاك الاسبتارية بعد أن تنازل لهم عنها

---

(١) انظر : W.T. dans R.H.C., Hist. Oc. , T.I, Part I, PP.543 - 544 .

علما بأنه لم يذكر صراحة اشتراك الاسبتارية فى الجيش الصليبى الذى أحبط الحصار الفاطمى حول يافا .

(٢) أنظر : King, PP.32 - 34 .

(٣) King,P.32; D.Le Raulx : Les Hosp. en T.S. , P.45 .

صاحبها هيودى سانت أبراهام Hugues de S.Abraham . ، وصدق الملك فولك على هذا التنازل فى عام ١١٣٦ - وذلك لاستخدام هذا الحصن فى حماية مملكة بيت المقدس من ناحية الجنوب ضد الهجمات المتواصلة التى تتعرض لها من جانب القوات الفاطمية المرابطة فى مدينة عسقلان الى الغرب من بيت جبرين (١). ثم تأكدت الصفة العسكرية لهيئة الاسبتارية بعد ذلك بخمس سنوات - أى فى عام ١١٤٢ - عندما عهد اليها الأمير ريموند الأول ، صاحب طرابلس ، بحماية بعض الحصون الشرقية التى تتحكم فى الطرق المؤدية الى امارته عبر جبال لبنان ، وأهمها حصن الأكراد ، وحصون بعرين ، ورفنية ، والبقاع (٢).

التنظيمات الداخلية لهيئة الاسبتارية :

وبقطع النظر عن تاريخ التحول العسكرى لهيئة الاسبتارية ، فقد حدا هذا التحول بالرئيس ريموند دى بوى الى أن يعيد تنظيمها بما يلائم وضعها الجديد . وكانت الهيئة تتألف منذ تأسيسها ، وحتى ذلك الوقت ، شأنها شأن الهيئات الدينية الأخرى ، من جماعتين ، هما جماعة الاخوة الرهبان ، وجماعة الاخوة الخدم ، ولكنها غدت ، بمقتضى التنظيم الجديد ، تضم جماعة ثالثة ، هى جماعة الاخوة الفرسان ، التى تفرغت للحرب ضد المسلمين (٣) ، وصار لها مع الزمن المكانة الأولى فى شئون الهيئة حتى عرفت الهيئة كلها باسم هيئة الفرسان الاسبتارية ، أو هيئة فرسان القديس حنا المقدس (الأورشليمى) .

---

(١) أنظر : D.Le Roulx : Op.Cit., PP. 46 - 47; King,P.34

وارجع الى وثيقة تصديق الملك فولك على المنحه منشوره فى

D.Le Roulx : Cart.1,No. 116.

وقد اطلق وليم الصورى على بيت جبرين اسم بثير شيع ، وذكر بأن الصليبيين شيدوها عام ١١٣٦ ثم سلموها للاسبتارية (انظر R.H.C, His. Oc, T.1, Part . 1, P.639 .

(٢) انظر : King , P. 36

(٣) انظر : D.Le. Roulx : Les Hosp. en T.S. P.288; King, PP. 68 - 69 .

وقد أدى انشاء جماعة الاخوة الفرسان الى تفرع جماعة الاخوة الخدم الى جماعتين متميزتين ، تخصصت احداهما للخدمة العادية فى المستشفى ، وفى الدير البيزنطى ، الذى أصبح منذ ضمه الى المستشفى مقرا لاقامة أعضاء الهيئة الجديدة ، وعرفت باسم جماعة الاخوة خدام المكتب Servientes Officii . على حين تفرغت الجماعة الثانية ، وهى أعلى فى المنزلة من الجماعة الأولى ، لخدمة الفرسان ، أى صار افرادها بمثابة تابعين لهم ، وعرفت باسم جماعة الاخوة خدام الأسلحة Servientes Armorum ، أو جماعة الجاويشية Sergents

وكانت جماعة الرهبان بدورها مشتملة على طائفتين ، تفرغت احداهما للخدمة الدينية فى الدير والمستشفى ، فعرفت باسم طائفة الرهبان الديريين Prêtres en Conventuels . على حين مارست الأخرى — وهى أقل فى المنزلة من الأولى — هذا النوع من الخدمات فى المؤسسات أو البيوت التى أقامتها الهيئة فى أملاكها سواء فى الشام الصليبى أو أوروبا ، فعرفت باسم طائفة الرهبان الاتباع أو الذين فى الطاعة Prêtres en Obedience . ومع ذلك فقد كان يرأس جماعة الرهبان بشطريها رئيس واحد مقره الدير المركزى ، ويعرف باسم مقدم الدير Le Prieur Conventuel ، أى رئيس الدير المركزى ، كما كان يعرف أيضا باسم مقدم الكنيسة Le Prieur de l'Eglise علما بوجود رؤساء أديرة آخرين فى مؤسسات الهيئة الهامة خارج مركز رئاستها ، لهم وحدهم حق الرئاسة على الاخوة الرهبان المقيمين فى دوائرهم ، فاذا استدعى أحد هؤلاء الرهبان الى مركز الهيئة ، فان عليه أن يقدم فروض الطاعة لمقدم الدير المركزى .

وفيما يتعلق بشروط العضوية لجماعات الهيئة الثلاث بفروعها المختلفة ، فانه اشترط للعضوية فى جماعة الفرسان أن يكون المتقدم لها منتميا الى طبقة النبلاء

في أوروبا ، فاذا لم يكن يحمل لقب فارس ، بحكم هذا الانتماء ، فانه يجب أن تتوافر فيه جميع الصفات والشروط التي تؤهله لنيل هذا اللقب بحيث يتسنى لأحد كبار فرسان الاسبتارية أن يمنحه اياه عند تقدمه لعضوية الهيئة . أما بقية طوائف الاسبتارية فلا يشترط فيمن يتقدم لعضويتها سوى أن يكون من أبوين محترمين وخيرين ، والا يكون قد مارس عملا يدويا أو دنيئا لا يتناسب مع الرجل الحر (١).

ومن ناحية أخرى ، فانه سمح بالانتماء الى الهيئة عن طريق الانتساب دون التمتع بالعضوية الكاملة . وكان الأعضاء المنتسبون طائفتين ، عرفت احداهما بطائفة الزملاء Confratres, Confreres ، في حين عرفت الثانية باسم الموهوبين Donates, Donnés وكان العضو المنتسب له الحق في أن يتمتع بخدمات الهيئة الدينية ، وبجميع امتيازاتها الروحية ، وأن يدفن في مقابرها ، مقابل هبة يقدمها لها في يوم الاحتفال بعيد القديس حنا المعمدان في كل عام ، ومقابل تعهده بأن يبذل قصارى جهده في سبيل حماية منافع وأملاك الهيئة ، وتنبيه الهيئة الى الأخطار التي تهدد أملاكها . وكان يشترط في طائفة الموهوبين ، على وجه الخصوص ، أن يكونوا من أبناء طبقة الفرسان النبلاء ، ولذا كان لهم الحق ، دون اخوانهم من طائفة الزملاء في التقدم لنيل العضوية الكاملة بالهيئة (٢).

وبالرغم من تعدد الجماعات والطوائف داخل هيئة الاسبتارية ، فان احداها ، وهي جماعة الاخوة الفرسان احتكرت لنفسها الحق في شغل جميع الوظائف الرئيسية في الهيئة ، سواء في الادارة المركزية ، أو في ادارة المؤسسات التي أقامتها الهيئة

(١) أنظر : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S. , PP. 290 - 296 ; King , PP. 69 - 72; Les Statuts de l'Ordre de S.-J.de Jerusalem, Titre II,Nos. 2,17, 18 .

(٢) انظر : D.Le Roulx : Op. Cit., PP. 297 - 298 ; K King P.72; Les Statuts, ,Titre II. Nos.34,37.

فى أملاكها فى أوربـا والشـرق.(١)

ويأتى رئيس المستشفى ، أو بمعنى آخر ، رئيس هيئة الاسبتارية ، علـى رأس الجهاز الادارى للهيئـة بأكملـه • وكان يطلق عليـه غالبـا لقب السيد الكبيـر (Grand - Maître) بالرغم من أنه لم يحمل هذا اللقب رسميا سوى فـى عام ١٤٨٩ فى جزيرة رودس • وكان يمارس السلطة التنفيذيـة لمدى الحياة بمسـاعدة مجلس ادارة ، عبارة عن مجمع صغير يتألف من كبار الموظفيـن الذين يشكلـون الادارة المركزية ، ويعرفون باسم الوكلاء الديريـين (Baillis Conventuels) وكان عدد هؤلاء الوكلاء ، فى بدايـة الأمر ، خمسـة هم مقدم الديـر المركـزى المعروف أيضا باسم رئيس الكنيسة ، وكان مسـئولا عن أداء الخدمة الدينية وعن رجـال الدين الأعضاء فى هيئـة الاسبتارية ، والآمر أو المراقب الكبير Grand Précepteur أو Grand Commandeur وكان نائبا للسيد الكبير ، ومراقبا عامـا للشـئون الاقتصادية والماليـة ، وشئون التموين فى الهيئـة ، والمشير (المارشـال) (Marechal) ، وكان مسـئولا عن الناحية الحربيـة وتوفيـر جميع ما يحتاجه الفرسان للدخول فى المعارك من خيول وسـروج وأسلحة ، ولكنه لا يقود هذه المعارك ، فهـو أشـبه بوزيـر حرب لا قائد جيش ، والمسئول الطبى (الاسبتارى Hospitalier) أو مدير المستشفى ، وكان مسئولا عن المستشفى ومخازن الأدويـة والتموين الملحقـة بـه ، ويخضع لأوامره الأطباء ومساعدوهم وجميع العاملين فى المستشفى ، كما خضـع لأوامره ، فى أواخر القـرن الثانى عشـر ، الموظف المسئول عن الضيافة وتوزيـع الصدقات (Custos Elemosine) ومساعدوه (Elemosinarii) وأخيرا يأتى وكيل الخزانة (Trésorier) ، وهو الموظف المسئول عن أمـوال وحسابات الهيئـة • ثم حدث ، فى عام ١٢٢١ ، أن أضيف الى مجلس الادارة عضـو سادس هو الجواخ أو القماش (Drapier) الذى عهد اليه ، آنـذاك مسئولية الاشـراف على قطاع الملبوسـات والأقمشـة والأغطيـة اللازمة لأعضاء الهيئـة

---

(١) أنظر : King , P.69

والمستشفى والديـر ، وغيرذلـك من مؤسسات الاسبتارية ، بما فى ذلك معامـل انتاج هذه المستلزمات نفسها ، علما بأن هذا القطاع قول انشاء وظيفة الجـواخ او القماش كانت تحت اشراف الآمر أو المراقب الكبيـر (١).

ومن ناحية أخرى كان يساعد السيد الكبيـر فى ادارة املاك الاسبتاريـة فى كل من الشرق وأوروبـا جهاز خاص يتمتع مديـروه بلقب وكـلاء Baillis شأنهم شأن أعضاء مجلس الادارة فى المركز الأم (٢)، الى جانب لقب البريـور (Prieur) أى المقدم أو الرئيس ، لكل مدير منهـم كان على رأس احدى الدوائر الكبرى التى تضمها أملاك الهيئة فى اوروبـا ، ممـا أدى الى اطلاق اسم رئاسـة أو شعبة (Prieuré) على دائرته ، ولقـب البريكبتور (Précépteur) أو الكوماندوز (Commandeur) أى الآمر أو المراقب ، لمديـر الشعبة فى الشرق ، علما بأن هذا اللقب الأخير كـان

---

(١) انظر : D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S. PP. 328 - 343 ; King, PP. 72 - 74 .

توجد وظائف كبرى أخرى لا يتمتع شاغلوها بعضوية المجلس ، فهناك :

* التركوبلى Le Turcoplier وهو قائد فرقة الفرسان الخفيفة المؤلفة من أجراء سوريين ، لا يتمتع أحد منهم بعضوية هيئة الاسبتارية الا التركوبلى نفسه الذى ينتمى الى طائفة خدام الأسلحة . وكان التركوبلى يتلقى أوامره من " المارشال " ، الـى أن سمح له بعضوية المجلس فى عام ١٣٠٤ فى قبرص (D.Le Roulx: Op.Cit, P. 345)

* التابع الرئيس (أمير أخور) Le Méître-écuyer : وهو رئيس مجموعة التابعين الملحقين بخدمة الفرسان ، وكان ـ شأنه شأن التركوبلى ـ خاضعـا لأوامر " المارشـال " وينتمـى الى طائفة خدام الأسـلحة . (Ibid . Op. Cit., P.350)

* قائد الفرسان (Le Commandeur des Chevaliers) : موظف عسكرى آخر يخضع للمارشال وهو فى مرتبة أعلى من مرتبة التركوبلى . ووظيفته قيادة فرقة من الفرسان . وفى أثناء الحروب تعطى لـه نفس سلطات واختصاصات المارشال ويعتبر نائبا لـه . (Ibid : Op. Cit., P. 351) .

* مدير الزمام ("Magister" ou " Custos Asinaride ") وظيفته ادارة أملاك الهيئة فى زمام مدينة بيت المقدس ، وتحصيل دخول الهيئة فى هذه المدينة . (Ibid : Op. Cit., PP. 347 - 348) .

(٢) انظـر : King , P.74 .

يعطى أيضا لعضو الاسبتارية الذى يعينه مقدم الشعبة (البريور) لادارة احدى الاقسام أو الدوائر الصغرى التى تشتمل عليها شعبته والتى أصبحت تعرف عندئذ باسم الامّريات أو المراقبات (Préceptories, Commanderies) هذا وقد أطلق لقب الآمّر (أو المراقب) الكبير (Grand Précepteur) أو (Grand Commandeur) وهو نفس اللقب الذى يعرف به نائب السيد الكبير فى الادارة المركزية ، على ذلك الموظف الكبير المختص بالاشراف الأعلى على جميع الشعب الموجودة فى القطر الواحد من أقطار أوربا التى تحتوى على أعداد كبيرة من هذه الشعب مثل فرنسا وأسبانيا وايطاليا وألمانيا ، مع التنويه بأن هذا الموظف كان يتمتع ، شأنه شأن رؤساء الشعب الذين يشرف عليهم ، بلقب وكيل ، وأن وظيفته لم تكن دائمة ، وانما كان شغلها يخضع لضرورة الأحوال فى فترات متقاربة أو متباعدة (١).

ومن الجدير بالذكر بأن جهاز مديرى أملاك الاسبتارية ، أو كما كان يقال عنهم أحيانا ، رؤساء بيوت الاسبتارية ، لم يتم وضعه دفعة واحدة ، سواء فى الشرق أو الغرب ، وانما نما بالتدريج مع نمو أملاك الهيئة ، التى آلت اليها ، منذ تأسيسها ، اما عن طريق الهبات المتزايدة باستمرار أو بالشراء . وعندما اكتمل تكوين هذا الجهاز فى الشرق أصبح يتألف من عشرة مديرين برتبة وكلاء (Baillis) ، ثلاثة منهم خارج بلاد الشام ، هم آمر قبرص ، وآمر المورة ، و " قسطلان " (قائد حصن) سلوقية أو آمر أرمينية الصغرى ، ثم سبعة داخل الشام الصليبى هم آمر انطاكية ، وآمر طرابلس ، وآمر صور ، وآمر عكا ، وآمر يافا ، و " قسطلان " حصن الاكراد ، الواقع على الحدود الشرقية لامارة طرابلس ، وأخيرا " قسطلان " حصن المرقب ، وهو أقوى حصون الاسبتارية عامة فى بلاد الشام ، ويقع على الحدود الغربية بين امارة طرابلس ، التى يتبع لها الحصن ، وامارة انطاكية ، من جهة البحر . هذا ولا يدخل قادة حصون الاسبتارية الاخرى فى الشرق ، سواء فى الشام الصليبى

(١) انظر : D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S. PP.302 - 309, 355, 403 ; King, PP.74 - 76 .

أوقبرص أو أرمينيا ، في عداد المديرين الذين يتمتعون بألقاب وكلاء ، فهم مجرد قادة حربيين مهمتهم الدفاع عن الحصون التي يتولون قيادتها ، ولا شأن لهم بادارة أملاك الهيئة (١) .

اما في الغرب فقد بدأ التنظيم في عام ١١١٨ ، أو في عام ١١٢٠ ، بتأسيس شعبة سان جيل باقليم بروفانس في فرنسا على أن يدير مقدمها جميع أملاك الاسبتارية في فرنسا وبلجيكا وانجلترا وأيبريا . وفي عام ١١٣٦ أسس الاسبتارية شعبتهم الثانية في الغرب ، وجعلوا مقرها في مدينة مسينا بجزيرة صقليه ، على أن يقوم مقدمها أيضا بادارة أملاك الهيئة في ايطاليا . وتوالى بعد ذلك ظهور شعب الاسبتارية الأخرى في أوروبا الى الوجود ، اما عن طريق الانفصال والتفرع عن كل من شعبتي سان جيل ومسينا ، أو بعيدا من دائرتي اختصاص هاتين الشعبتين .

وقد تفرع عن شعبة سان جيل كل من شعبة البرتغال في عام ١١٤٠ ، وشعبة نافارا في عام ١١٤٢ ، وشعبة انجلترا في عام ١١٤٥ ، وقسطلانية أو قيادة أمبوستا لادارة أملاك الاسبتارية في قطالونيا وأرغونة في عام ١١٥٧ ، ثم أضيف الى هذه القيادة أملاك الهيئة في مملكة بلنسية بعد أن انتزعت هذه المملكة من المسلمين في عام ١٢٣٨ . وتفرع عن شعبة سان جيل أيضا كل من شعبة فرنسا في عام ١١٧٩ ، وشعبة قشتالة وليون في عام ١١٩٠ ، وشعبة أيرلندة في عام ١٢٠٢ ، وأخيرا شعبة أوفرن بجنوب فرنسا في عام ١٢٣٠ . أما شعبة مسينا بجزيرة صقلية فقد انتزع من اختصاصها كل املاك الاسبتارية في ايطاليا التي تجزأت في النهاية الى ست شعب هي شعبة بارلتا Barletta في عام ١١٦٩ ، وشعبة لمبارديا في عام ١١٧٦ ، وشعبة البندقية في عام ١١٩٨ ، وشعبة روما في عام ١٢١٥ ، وشعبة بيزا أوتسكانيا في عام ١٢٣١ ، وأخيرا شعبة كابوا في عام ١٢٥٥ . والى جانب هذه الشعب التي تفرعت عن شعبتي سان جيل ومسينا ، أنشأ الاسبتارية في أملاكهم الأخرى

---

(١) انظر : D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S. , PP. 403, 404 ; King, P.74 .

بأوروبا كلا من شعبة بوهيميا فى عام ١١٨٢ ، وشعبة ألمانيا فى عام ١١٨٧ ، وشعبة هنغاريا فى عام ١٢١٧ ، وشعبة داثيا أو داشيا Dacia ، لادارة أملاك الهيئة فى دول السويد والنرويج والدنمرك بشمال أوروبا ، فى عام ١٢٣١ ، وأخيرا شعبة بولندة فى عام ١٢٥٢ . (١)

وفيما يختص بوظيفة الآمر (أو المراقب) الكبير فى دول أوروبا المختلفة ، فقد نشأت فى عام ١١٦٤ بموظف واحد مركزه اقليم بروفانس بفرنسا ، ولكن نفوذه امتد الى جميع مقدمى الشعب فى أوروبا ، بصفته ممثلا شخصيا للسيد الكبير لدى هؤلاء المقدمين ، ولذا عرف باسم الآمر (أو المراقب) الكبير لما وراء البحر . (٢)

Grand Precepteur " Ou Grand Commandeur " Deça mer or d'Outre-mer ") .

ولكن فى عام ١١٧٠ عين آمر كبير خاص بأسبانيا مقره قشتالة . وكان هذا الموظف فى بداية الأمر يحمل لقب مقدم فى كل أسبانيا (Prior in tota Hispania) ومع ذلك فلم يكن يخضع له آنذاك سوى كل من مقدم شعبة قشتالة وليون ، ومقدم شعبة البرتغال . ولكن فى عام ١٢٠٨ خضع له أيضا قائد أمبوستا ، ومقدم شعبة نافارا ، وأصبح منذ عام ١٢٣٠ يحمل لقب " الآمر الكبير فى ممالك أسبانيا الخمس " Magnus magister ou Preceptor in quinque Regnios Hispanie") أى ممالك أرغونه ونافارا وقشتاله وليون والبرتغال (٣). وفى عام ١١٨٦ عين آمران كبيران آخران ، أحدهما فى ايطاليا ، والثانى فى ألمانيا . ولم تكن ايطاليا — بما فيها جزيرة صقلية — تحوى آنذاك أكثر من ثلاث شعب ، هى شعب مسينا وبارليتا ولمبارديا ، فخضع مقدموها لآمر كبير ايطاليا . فلما انشئت شعبها الأربع الأخرى ، وهى شعب البندقية وروما وبيزا (أوتسكانيا) وكابوا ، امتد اليها أيضا نفوذ آمر كبير ايطاليا . أما الآمر الكبير فى ألمانيا فقد خضع له مقدموا شعب ألمانيا وبوهيميا وبولنده وهنغاريا وداشيا ، وعددهم

(١) انظر : D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP.364 - 401 ; King, PP.76 - 78 .

(٢) انظر : D.Le Roulx: Op.Cit., PP.358-359; King, P.80 .

(٣) انظر : D.Le Roulx: Op.Cit., PP.377-380; King, P.80 .

خمسة [1] . وقد ترتب على تعيين آمر كبير خاص لكل من أسبانيا وايطاليا وألمانيا أن انحصر نفوذ الآمر الكبير لما وراء البحر في بروفانس ، فأصبح قاصرا على الشعب الفرنسية الثلاث ، وهي شعب سان جيل وفرنسا وأوفرن ، وعلى بلجيكا علما بأن بلجيكا وفرنسا ، فيما عدا شعبة سان جيل ، عين لهما آمر كبير خاص عرف باسم آمر كبير فرنسا ، لوحظ أنه لم يتول مهام منصبه سوى في أوقات لم يكن فيها الآمر الكبير لما وراء البحر قائما بالعمل [2] .

وكان يطلق على هؤلاء الآمرين الكبار جميعا ، مع مجموعة مقدمي الشعب الخاضعين لاشرافهم ، اسم وكلاء الغرب تمييزا لهم عن مجموعة الآمرين أو القادة مديري بيوت الاسبتارية في الشرق الذين عرفوا ، بوجه عام ، باسم وكلاء الشام [3] . وكان وكلاء الغرب ووكلاء الشرق معا ، يشكلون ، بالاشتراك مع أعضاء مجلس الادارة والسيد الكبير ، ما عرف باسم المؤتمر العام (Chapître - General) الذي تتمثل فيه السلطة العليا في الهيئة وكان المؤتمر العام يعقد في مركز رئاسة الهيئة في فترات غير منتظمة — متقاربة أو متباعدة — بدعوة من السيد الكبير أو من المشير (المارشال) ، بتكليف من مجلس الادارة ، في حالة غياب السيد الكبير . وكان يسمح لمن يتعذر حضوره من وكلاء الغرب أو الشام أن يبعث بمندوبه . كما كان يدعى لحضور الجلسات ، الى جانب الوكلاء أو نوابهم ، أعضاء هيئة الاسبتارية الآخرين الذين يرغب السيد الكبير في حضورهم لما اشتهروا به من حكمة وسداد رأى ، أو لما لهم من صلة بموضوعات المناقشة . ولم تكن مدة انعقاد جلسات المؤتمر العام في بداية الأمر محددة . ولكن وضع لها في عام ١٣٠٤ حد أقصى هو عشرة أيام قابلة للمد ثمانية أيام أخرى اذا رأى السيد الكبير ذلك . وكان المؤتمر العام هو صاحب السلطة التشريعية في هيئة الاسبتارية ، فهو الجهة المختصة بسن القوانين التي يلزم أن يتقيد بها السيد الكبير ومجلس الادارة

(١) انظر : D.Le Roulx : Les Hosp. en.T.S., PP. 372-373, 389-392; King, PP. 80-81 .

(٢) انظر : D.Le Roulx : Op. Cit., PP. 359, 362-363 .

(٣) انظر : King, PP. 74, 80 .

عند أدائهم لمهام وظائفهم التنفيذية ، الى جانب مراعاتهم لما عرف باسم تقاليد الهيئة أو العادات الحسنه التى درجت هذه الهيئة على الأخذ بها • وكان لكل فارس اسبتارى الحق فى أن يحتفظ ـ بعد أخذ اذن السيد الكبير ـ بنسخة من هذه القوانين (Statuts) على ألا يبوح بمحتوياتها لأحد من غير أعضاء هيئة الاسبتارية ، والا تعرض للعقاب الصارم ✗ وكان المؤتمر العام أيضا هيئة تأديبية تصدر الأحكام على أعضاء هيئة الاسبتارية الذين يقدمون للمحاكمة أمامها بتهمة اقتراف المخالفات الخطيرة لقوانين هيئتهم وتقاليدها الحسنة ، كما أنها تنظر فى طلبات العفو التى يتقدم بها اليها الأعضاء الذين حكم عليهم من المؤتمر نفسه بالطرد من هيئة الاسبتارية ، وكان يستجيب عادة لهذه الطلبات الا اذا كان مقدموها قد ارتكبوا احدى جرائم ست هى الهرطقة والشهادة الزور ، واللواط ، وهجر الهيئة ، والتخلى عن راية المارشال خلال المعركة ، والهرب ثلاث مرات من المركز الذى يعيش فيه ، فهؤلاء يكون طردهم من الهيئة نهائيا •

ومن اختصاصات المؤتمر العام أيضا تعيين السيد الكبير للاسبتارية اذا شغرت وظيفته بالموت ، وفى حالات نادرة بالاستقالة ، حيث ان الاستقالة أمر مخالف لتقاليد الهيئة • والى جانب ذلك كان المؤتمر العام يعين كبار الموظفين فى الهيئة من درجة الوكلاء Baillis ، وهم الوكلاء الديريون الذين يشكلون أعضاء مجلس الادارة ، ووكلاء الشام ، ووكلاء الغرب ، ويصدق على التعيينات التى يكون السيد الكبير قد أجراها لملء هذه الوظائف قبل أن يدعو لعقد المؤتمر العام ، وبخاصة بين وظائف الوكلاء أعضاء مجلس الادارة التى درج العرف على أن يكون شغلها لمدد قصيرة لتهيئة الفرصة لأكبر عدد ممكن من وكلاء الغرب أن يحضروا الى الشرق بقصد تولى هذه الوظائف ، ويتصلوا اتصالا مباشرا بمشاكل هيئتهم وسلطاتها العليا ، فيزدادوا ايمانا وتشبعا بروحها ونظامها ، ويصبحوا أكثر تمسكا بهذه الروح وهذا النظام ، وأكثر صلاحية لنقلهما الى مؤسسات الهيئة فى الغرب عند عودتهم لادارة هذه المؤسسات • (١)

---

(١) أنظر : D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S. PP.313 - 327 •

ور الاسبتاريه فى المعارك بين الصليبيين والمسلمين بالشام :

وبعد ، فقد كان ذلك هو التنظيم الداخلى لهيئة الاسبتاريه الذى نتج عن تحولهـا العسكرى على يد رئيسها الثانى ريموند دى بوى ، وهو الرئيس الذى يعود اليه الفضل ايضا فى وضع أسس هذا التنظيم نفسه .

والنتيجه الرئيسيه والحتميه التالية لهذا التحول هو خوض الهيئه غمار الحروب ، الى جانب الصليبيين ، ضد الجيوش الاسلاميه التى قاتلتهم باستمرار فى الشرق الادنى . وقد دخل الاسبتاريه اولى معاركهم ضد المسلمين فى عهد السيد الكبير ريموند دى بوى نفسه ، وذلك فى صيف عام ١١٤٨ حين اشترك فرسانهم مع جيوش الحمله الصليبيه الثانيه التى وفدت انذاك الى الشام ، بقيادة كونراد الثالث ، امبراطور المانيا ، ولويس السابع ، ملك فرنسا ، الى جانب مختلف القوى الصليبيه الأخرى المقيمه بالشام ، فى الحصار الذى فرضوه حول مدينة دمشق ، فى الفترة الواقعه بين الرابع والعشرين والثامن والعشرين من شهر يوليه ، وانتهى الى فشل أدى الى عودة الحمله الصليبيه الى اوروبا من غير ان تحقق اهدافها .(١)

وبعد عامين ، اى فى عام ١١٥٠ ، اشترك فرسان الاسبتاريه مع فرسان هيئة الداويـه وقوات ملك بيت المقدس ، بلدوين الثالث ، وامير طرابلس ، ريموند الاول ، فى عملية اجـلاء السكان اللاتين عن المدن والقلاع التى كان قد احتفظ بها امير الرها ، جوسلين الثانـى فى يده بالرغم من سقوط مدينة الرها نفسها فى يد عماد الدين زنكى عام ١١٤٤ ، إلى ان تمكن نور الدين محمود ، امير حلب ، وابن عماد الدين زنكى ، من الاستيلاء عليها وأسر جوسليـن فى مايو ١١٥٠ ، ونقل هؤلاء السكان الى مدينة انطاكيه القريبه . وقد تمت العمليه بنجـاح

---

(١) انظر : W.T. dans R.H.C., Hist. Oc. , T 1 , Part II., PP. 758 - 770 .

وقد تكلم بصراحه عن اشتراك الاسبتاريه فى ص ٧٥٩ .

انظر ايضا : D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S. , PP.49-50; King, PP. 44-47 .

بفضل انتصار القائمين بها على قوات نور الدين محمود التى حاولت بغتهم فى الطريق من دلوك الى عين تاب (١)

وبينما كان الملك بلدوين الثالث فى طريق العودة الى مملكته من الشمال ، عام ١١٥٢ تعرضت عاصمة مملكته بيت المقدس لخطر الغزو من جانب تمرتاش بن ايلغازى ، وهو من نسل ارتق بن اكسب السلجوقى صاحب بيت المقدس قبل عصر الصليبيين . ولم يكن بالقدس ، آنذاك للدفاع عنها ، سوى نفر قليل من فرسان الاسبتاريه والداويه ، فاستعانوا بالاهالى — بعد ان زودوهم بالسلاح — فى بغت الغزاة ليلا على جبل الزيتون ، وارغموهم على الفرار . وقد التقى بهم الملك بلدوين الثالث فى الطريق ، فطاردهم الى نابلس ، ثم شتت الامراء — الصليبيون شملهم عبر الاردن (٢)

وفى اوائل العام التالى ، اى فى عام ١١٥٣ ، اشترك فرسان الاسبتاريه بقيادة السيد الكبير ريموند دى بوى ، وفرسان الداويه بقيادة السيد الكبير لهيئتهم برنارد دى تريميلى (Bernard de Tremelaye) ، مع قوات الملك بلدوين الثالث فى حصار مدينة عسقلان الفاطميه ، الذى طال فاستغرق سبعة شهور — حيث بدأ فى ٢٥ يناير وانتهى فى ٢١ اغسطس — قبل ان يتم لهم الاستيلاء على المدينه ، بالرغم من

---

(١) انظر : King, PP.48 - 49 .

ويجدر التنويه الى أن المؤرخ وليم الصورى قد سرد تفاصيل هذه الواقعه من غير ان ينص صراحة على ان للاسبتاريه دورا فيها .

(أنظر : W.T., dans R.H.C., Hist . Oc., T.I,Part II,PP. 784 - 789 .

كما ان المؤرخ كنج الذى اكد لنا هذا الدور لم يدلنا على المصدر الذى استقى منه معلوماته . ومن ناحيه اخرى لم تتكلم المصادر العربيه عن الواقعه التى نحن بصددها وان كان ابن الاثير قد ذكر بأن نور الدين محمود انتصر على الفرنج عند دلوك (انظر تاريخ الدوله الاتابكيه فى القسم الثانى من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين ص ١٨٥ — ١٨٦) .

(٢) انظر : King , P. 49

المساعدات والخدمات التى كان جيش الحصار الصليبى يتلقاها باستمرار من الحاميه الاسبتاريه فى حصن بيت جبرين الواقع الى الشرق من مدينة عسقلان (١)

وحدث فى العام التالى — اى فى عام ١١٥٤ — ان استولى السلطان نور الدين محمود على مدينة دمشق (٢) ولكنه لم يشأ ان يستغل هذا الفتح فى الضغط على مملكة بيت المقدس الصليبيه من الشمال حتى يتفرغ تماما لقتال السلاجقه الروم ، وعقد مع الملك بلدوين الثالث معاهده مدتها عامان تعهد فيها بدفع الجزيه التى كان يتحصلها هذا الملك الصليبى من صاحب دمشق السابق ، مجير الدين أبق ، ومقدارها ثمانية الاف دينار فى السنه . (٣) وبالرغم من ان هذه المعاهده جددت فى اواخر عام ١١٥٦ ، (٤) فقد شن بلدوين الثالث فى فبراير من العام التالى اى فى عام ١١٥٧ ، هجوما غادرا على جماعة من الرعاء الاعراب والتركمان فى ناحية الشمراء المجاوره لمدينة بانياس ، وقتل بعضهم واستولى على ماشيتهم . (٥)

---

(١) انظر : W.T., dans R.H.C., Hist. Oc. T.I., Part II, PP. 794-813; D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP. 51-52; King, PP.50-52 ; Archer & Kingsford , PP.226-227 .

وكمثل للمراجع العربيه التى تكلمت عن فتح الفرنج لمدينة عسقلان — وجميعها لم تشر بصراحه الى اشتراك الاسبتاريه فى عملية الفتح — انظر : ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٧٦ (فى الجزء الرابع من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين)

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ٨٠ ، كامل التواريخ ص ٤٩٥ — ٤٩٧ ، تاريخ الدولة الاتابكيه ص ١٨٨ — ١٩٢ .

(٣) انظر : King , P. 55 .

(٤) ابو شامه : كتاب الروضتين (الجزء الرابع من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين ص ٨٢) .

(٥) ابو شامه : المرجع السابق ص ٨٤ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٣٧ ، W.T., Op. Cit., PP.836 - 837 .

وقد توقع صاحب بانياس ، وهو اونفرى د ى تورون Honfroi de Toron "كونستابل" مملكة بيت المقدس ، ان يحل به انتقام نور الدين محمود ، فعقد مع نائب السيد الكبير لاسبتاريه ، الامر الكبير جيرارد فتز هيو (Gerard Fitz Hugh) — حيث كان السيد الكبير ريموند د ى بوى غائبا فى اوروبا — اتفاقية نصت على ان تشترك الاسبتاريه فى الدفاع عن مدينة بانياس وارباضها مقابل نصف ملكيتها [1]. وقد خرجت بالفعل فرقة اسبتاريه من مدينة بيت المقدس لتنفيذ شروط المعاهده [2]. فما ان وصلت الى رأس الماء ، فى الطريق الى بانياس ، فى ٢٤ ابريل (عام ١١٥٧) ، حتى باغتتها قوه من جيش نور الدين محمود ، يقودها اخوه نصر الدين ، ومزقتها شر ممزق [3]. وعجز اونفرى د ى تورون ، ومن انضم اليه من الاسبتاريه الذين قدر لهم النجاه من مذبحة رأس الماء ، عندئذ عن منع نور الدين محمود من الاستيلاء على مدينة بانياس ، فى ١٦ مايو ، فيما عدا قلعتها التى استعصت على السلطان [4] بفضل استبسال حاميتها من فرسان الاسبتاريه [5]. وعندما رجع نور الدين محمود ، فى العام التالى — اى فى عام ١١٥٨ — تصدت له قوات بلدوين الثالث بالاشتراك مع فرسان الاسبتاريه والداويه ، فى ١٥ يوليه ، عند جسر الصنبره الخشبى الواقع على نهر الاردن الى الجنوب من بحر الجليل ، وانزلت به هزيمة منكره [6]. وفى السنه التاليه — سنة ١١٥٩ — عقدت الهدنه بين الطرفين [7]

---

(١) انظر: W.T. , dans R.H.C., Hist.Oc., T. 1 , Part II , PP. 837 - 838 .

(٢) انظر : King, P.56 .

(٣) ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٨٥ — ٨٦ ، ويقول بأن الفرقه كلها — وعدتها سبعمائة فارس سوى الرجاله — قتلت أو أسرت ، وكانت تتالف من الافرنج ومسلمى جبل عامله المتابعين اليهم ، فهو لم يذكر الاسبتاريه صراحة .

(٤) ابو شامه : الروضتين ص٨٧ — ٨٨ ، W.T., Op. Cit,PP. 838 - 842 .

علما بأن كليهما لم يشر صراحة الى اشتراك الاسبتاريه وهو الامر الذى اكده كل من كنج (ص٥٦) ود يلافيل (ص٥٢) .

(٥) انظر : King , P.57 .

(٦) انظر : W.T. , Op. Cit., PP. 855 - 856; King , P.57

وقد اعترف ابو شامه (كتاب الروضتين ص ٩٧ — ١٠١) بهزيمة جيش نور الدين عند جسر الخشب .

(٧) ابو شامه : كتاب الروضتين ص ١٠٤ ، W.T., Op. Cit., P.864 .

وبعد عام ، اى فى عام ١١٦٠ ، توفى السيد الكبير ريموند دى بوى ، وخلفه أوجيه دى بالبن Auger de Balben (١) . وقد دلت الاحداث فى عهد اوجيه على ان السيد الكبير للاسبتاريه قد وصل الى درجه كبيره من النفوذ والتاثير فى المجتمع الصليبى بفضل تدخله ، فى عام ١١٦٠ ، ايد اساقفه الاراضى المقدسه البابا اسكندر الثالث ضد منافسه فكتور الرابع ، وبفضل مساعيه ، فى عام ١١٦٢ ، اتفق اقطاب مملكة بيت المقدس بعد خلاف كاد أن يؤدى الى نشوب حرب اهليه فيما بينهم — على الاعتراف للملك عمورى الاول باحقيته فى عرش المملكه الذى خلا بوفاة أخيه بلدوين الثالث هذا العام بدون وريث من صلبه (٢) .

على ان اوجيه دى بالبن توفى فى نفس هذا العام — عام ١١٦٢ — وخلفه ارنولد دى كومب Arnold de Comps ، الذى مات بدوره بعد بضعة شهور فقط ، وتولى من بعده جليبرت د اسيلى Gilbert d' Assailly (اواخر عام ١١٦٢) (٣)

وفى ذلك الوقت كان الصراع محتدما فى مصر على منصب الوزاره بين شاور وضرغام ، وقد رأى الملك عمورى الاول التدخل فى هذا الصراع بطريقه تؤدى فى النهايه الى بسط السياده الصليبيه على مصر ، وايده فى ذلك جليبرت د اسيلى الذى دفع بهيئة الاسبتاريه الى الاشتراك مع الملك الصليبى فى جميع حملاته على مصر ، وهى خمس حملات قام بها فى الاعوام ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ على التوالى (٤) وانتهت جميعا الى

(١) انظر King, P. 60

(٢) نفس المؤرخ ونفس المرجع Ibid, PP. 84 - 86

(٣) D. Le Roulx : les Hospit en T.S. ,PP.63 - 64

(٤) لم ترد نصوص صريحه على اشتراك الاسبتاريه سوى فى حملة عام ١١٦٨ ، وقد اكد وليم رئيس اساقفة صور اشتراكهم فى هذه الحمله ، والقى بمسئولية توجيهها على عاتق السيد الكبير للاسبتاريه (انظر : W.T., dans R.H.C., Hist. Oc., T.I, Part II, PP.948 - 949 .

ومن ناحية اخرى اقر المؤرخ د يلافيل بعدم وجود وثائق تقطع باشتراك الاسبتاريه فى الحملات الاخرى على مصر ، غير حملة عام ١١٦٨ ، ولكنه مع ذلك اكد هذا الاشتراك . (انظر: D.Le Roulx : Lex Hosp. en T.S., PP.66-69,74

اما المؤرخ كنج فقد ذكر بلاتحفظ ان الاسبتاريه اسهموا فى جميع حملات الملك عمورى على مصر (انظر : King, PP.88, 91 - 97 .

فشل بسبب تدخل جيوش نور الدين محمود تحت قيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف (١) . وكان جلبيرت داسيلي في جميع هذه الحملات أخلص نصحاء الملك وأكثرهم تأييدا له حتى اتهمه الرأي العام الصليبي بأنه المحرك الاساسي للسياسة التي ادت بالملك عموري الاول الى الهزائم المتكررة في مصر (٢) .

ولا شك ان هذا الموقف من السيد الكبير للاسبتارية لم يكن بدافع من الروح الصليبية وحدها ، بل ايضا من اجل تحقيق منفعة شخصية للهيئة التي يرأسها . ويتضح ذلك من شروط المعاهدتين اللتين عقدهما مع الملك عموري الاول قبل قيام حملتيه الاخيرتين على مصر وهما الحملتان اللتان اسهم فيهما الاسبتارية بأوفى نصيب . فقد تمت اولى هاتين المعاهدتين وتاريخها ١١ اكتوبر سنة ١١٦٨ (٣)، على ان تضع هيئة الاسبتارية تحت تصرف عموري الاول خمسمائة فارس اسبتاري ، ومثلهم من الخيالة الخفيفة المعروفين باسم التركوبلية ، في مقابل وعد من الملك بمنح هذه الهيئة مدينة بلبيس والاراضي الواقعة شمالها بما يكفي ما يضمن لها ايرادا سنويا مقداره مائة الف بيزانت ، فضلا عن وعد بدخل سنوي آخر مقداره خمسون الف بيزانت موزعة على عشر مدن مصرية هي القاهرة وصان الحجر ودمياط والمحلة والاسكندرية والفيوم وقوص واسوان والبهنسا والاقيح . واشترط في المعاهدة ايضا منح الاسبتارية في كل من هذه المدن افخم قصر بعد قصر الملك عموري والسماح لهم بتحصيل العشور في جميع الاراضي المصرية التي تقع تحت السيطرة الصليبية . كما تم الاتفاق على ان المعارك التي يخوضها الاسبتارية منفردين لا يحق لاحد ان يقاسمهم غنائمها سوى الملك اذا حضر هذه المعارك .

---

(١) للوقوف على تفاصيل هذه الحملات من وجهتي النظر المصرية والصليبية ارجع الى :
دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص٦٧٩ وما بعدها .

(٢) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S.P. 66;King, P.97

(٣) ارجع الى النص اللاتيني لهذه المعاهدة منشور في : D. Le Roulx : Cart.I, No.402 .
وقد ترجمه المؤرخ كنج الى اللغة الانجليزية (King,PP. 100-101) .
ولا بد ان وليم رئيس اساقفة صور قد عرف بامر هذه المعاهدة ولذلك ذكر أن عموري الاول تعهد للسيد الكبير للاسبتارية بمدينة بلبيس وبمبلغ مائة الف بيزانت او اكثر.
(انظر : (W.T., Op. Cit., PP. 948 - 949) .

اما غنائم المعارك الاخرى التي يشتركون فيها مع غيرهم من الفئات الصليبيه ، فتوزع بين هذه الفئات مسهم بمقتضى قانون الحرب بعد خصم النصف للملك ، على ان توزع بمقتضى هذا القانون ايضا الغرامات الحربيه التي تدفعها مصر بعد هزيمتها . ونصت المعاهده اخيرا على ان مكافآت الاسبتاريه قابله للزياده والنقصان بحسب مقدار وفائهم لما التزموا به في هذه المعاهده .

اما المعاهده الثانيه فقد عقدت في ٢٠ اغسطس عام ١١٦٩ (١) ، قبل قيام الحمله الاخيره على مصر ، وفيها اقتصرت مكافأة الاسبتاريه على مدينة بلبيس والاقاليم المجاوره لهما بما يضمن لهم ايرادا سنويا مقداره مائه وخمسون الف بيزانت

وعلى اى حال فقد كانت هذه المكافآت والامتيازات مجرد وعد على امل نصر لم يتحقق. غير ان هيئة الاسبتاريه وجدت لها تعويضا عن ذلك ، خلال تلك الفتره ، في امارتي طرابلس وانطاكيه بالشام . ويعود الفضل في ذلك ، في الواقع ، الى نور الدين محمود الذى شدد هجماته على هاتين الامارتين خلال فترة صراعه مع الصليبيين على مصر مما دفع ولاة الامر فيهما الى التنازل لهيئة الاسبتاريه عن العديد من الامتيازات فيهما مقابل ان تقوم هذه الهيئه بالدور الرئيسى في الدفاع عنهما . وقد بدأ السلطان نور الدين عملياته العسكريه في هذه النواحي بالهجوم على منطقة حصن الاكراد بامارة طرابلس ، في ربيع عام ١١٦٤ ، ولكن حامية الحصن من فرسان الاسبتاريه - بالاشتراك مع فرقة داوية قدمت من طرابلس - انتصرت عليه في موقعة البقيعه بالقرب من هذا الحصن (٢) ، غير ان نور الدين انتصر في ١٠ اغسطس من هذا العام امام حارم بامارة انطاكيه واسر من زعماء الصليبيين بوهيموند الثالث ، امير انطاكيه

---

(١) ارجع الى نص المعاهده في D.Le Roulx : Cart.I, No. 409

(٢) انظر : King, P. 89
وقد اقترنت المصادر العربيه بهزيمة نور الدين في موقعة البقيعه على يد الافرنج من غير تحديد لجنسيتهم الاسبتاريه والداويه . ومن هذه المصادر :
ابو شامه : كتاب الروضتين ص ١٠٩ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١١٩ ، كامل التواريخ ص ٥٣٠ - ٥٣٢ ، تاريخ الدوله الاتابكيه ص ٢٠٨ - ٢١١ .

وبوهيمند الثالث ، امير طرابلس ، وجوسلين الثالث ، حامل لقب امير (كونت) الرها ، وتوروس (Toros) ، امير ارمينيه الصغرى ، وقسطنطين قلامانوس Constantine Calamanos امير قيليقيه (ماميسترا Mamistra) البيزنطي وعددا كبيرا من فرســان الاسبتاريه والداويه (١) . وفي عام ١١٦٧ رجع نور الدين محمود وقواته الى امارة طرابلس "فاجتازوا على حصن الاكراد ، فأغاروا ونهبوا وسبوا ، ونزلوا عرقه ، وحاصروا جبله ، واخذوها وخربوها ، وفتحوا العريمه وصافيتا " (٢) . وخشي بوهيموند الثالث ، امير انطاكيه الذي اطلق سراحه في صيف ١١٦٥ (٣) ، ان تمتد هذه الغزوه النوريه الجديده الى بلاده ، فعقد مع هيئة الاسبتاريه في اول يناير عام ١١٦٨ ، اتفاقيه تنازل فيها للهيئةعن حصني ابي قبيس وافاميه ، وملحقاتهما ، على حدود امارته الجنوبيه ، يضاف الى ذلك انه اعترف لهذه الهيئه بحقها في اعلان الحروب وعقد المعاهدات ، التي تعهد من جانبه باحترامها ، في حيــن حرم على نفسه عقد اية معاهده مع المسلمين او حلفائهم من المسيحيين بدون اخذ رأي الاسبتاريه فاذا حدث غير ذلك فأن شروط هذه المعاهده لا تسري عليهم الا اذا قبلوها عن طيب خاطر هذا وقد تنازل بوهيموند للاسبتاريه ، في هذه الاتفاقيه ، عن نصيبه في الغنائم التي يمكــن ان يحصلوا عليها في حروبهم ضد الاعداء (٤) .

---

(١) الوثائق التي تتعلق باشتراك الاسبتاريه في هذه الموقعه منشوره في : D. Le Roulx Cart.I, Nos.330, 404 . وقد سرد وليم رئيس اساقفة صور تفاصيل المعركه من غيران يذكر صراحه اسهام الاسبتاريه فيها ،

(انظر : W.T. dans R.H.C., Hist.Oc.T.1, Part II, PP.895-997)

ونفس الشيء يقال عن المصادر العربيه ، ومنها : ابن الاثير : الكامل في التاريخ حـ ١١ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ، ابو الفدا : المختصر حـ ٣ ص ٤١ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ١٥٢ . وقد اورد ابن الاثير العباره بنفس الكلمات تقريبا في كتابيه كامل التواريخ (ص ٥٥١) ، وتاريخ الدوله الاتابكيـــه (ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠) .

(٣) انظر King , P.93 .

(٤) ارجع الى نص الاتفاقيه في D. Le Roulx : Cart.I , No. 391 .

وفى عام ١١٧٠ عقد الملك عمورى الاول ، بصفته وصيا على امارة طرابلس منذ اسر اميرها ريموند الثالث فى حارم ، مع الاسبتاريه معاهدة[1] تنازل لهم بمقتضاها عن حصنى عرقه وعكار ، فاصبحوا بذلك يملكون جميع الحصون الشرقيه لامارة طرابلس ، فيما عدا حصن الطوبان الذى منح لهم بعد ذلك بنحو عشر سنوات[2] . ونصت المعاهده ايضا على ان يكون للاسبتاريه الحق فى ملكية غنائم الحروب التى يخوضونها ، فلا يقاسمهم فيها احد سوى الملك اذا اشترك بنفسه فى هذه الحروب .

ويتضح من شروط هاتين المعاهدتين ان الاسبتاريه فى امارتى انطاكيه وطرابلس اصبحوا يتمتعون بامتيازات واسعه وحقوق لا يملكها سوى الحكام والامراء . ومع ذلك فقد ظهرت بين صفوفهم معارضه وجهت اللوم الى السيد الكبير جلبيرت د اسيلى بأنه وافق على زيادة مسئوليات هيئة الاسبتاريه فى الدفاع عن حدود الامارتين ، والقى بفرسانه فى حصون قريبه جدا من الحدود مع المسلمين وعرضه باستمرار لهجماتهم ، واتهمه معارضوه ايضا بأنه كان المحرض الرئيسى على حملة اكتوبر عام ١١٦٨ على مصر التى تسبب عنها اذى كبير للهيئه ، وانه فى مرات كثيره اتخذ قرارات هامه بدون استشارة المؤتمر العام للاسبتاريه ، فضلا عن تصرفه فى اموال الهيئه بطريقة غير مثمره . وقد اضطر جلبيرت د اسيلى ، ازاء هذه الاتهامات، الى تقديم استقالته . وانتخب الاسبتاريه عندئذ كاست دى ميرول Cast de Murols . خلفا له . ولكن فريقا منهم ، بزعامة بون بلان (Pons Blan) ، طعن فى شرعية هذا الانتخاب ، وانتخب من جانبه المدعو روستانج (Rostang) سيدا كبيرا للهيئه . وظل الانشقاق قائما فى صفوف الهيئه الى ان توفى كاست ، فى عام ١١٧٢ ، وانتخب جوبيرت (Jobert) من بعده سيدا كبيرا للاسبتاريه بتأييد من الطرفين

---

(١) ارجع الى نص الاتفاقيه فى D. Le Roulx : Cart. I, No. 111 .
وعندما اطلق سراح الامير ريموند الثالث نتيجة مساعى الاسبتاريه صدق على هذه الاتفاقيه فى ديسمبر عام ١١٧٤ . انظر : Ibid:Op.Cit.,No. 467 .

(٢) نص اتفاقية التنازل للاسبتاريه من حصن الطوبان فى عام ١١٨٠ منشوره فى :
Ibid : Op. Cit., No. 585

المتنازعين (١) .

وقد امتد عصر جوبيرت خمس سنوات شهد خلالها احداثا هامه فى كلتا الدولتين النوريه والصليبيه . ففى ١٥ مايو عام ١١٧٤ توفى نور الدين محمود تاركا الحكم فى دولته لابنه الملك الصالح اسمعيل . وفى ١١ يوليه من نفس العام مات الملك عمورى الاول وخلفه ابنه بلدوين الرابع (٢) وتلا ذلك فى الدوله الاسلاميه حروب وراثة بين صلاح الدين حاكم مصر فى جانب ، والصالح اسمعيل وعمه سيف الدين غازى صاحب الموصل فى جانب آخر ، انتهت فى عام ١١٧٦ بتوحيد مصر وسوريا وشمال العراق تحت زعامة صلاح الدين مع بقاء حلب فى يد الصالح اسمعيل (٣) .

وعندئذ رأى الملك بلدوين الرابع ضرورة تجهيز حمله صليبيه للقضاء على دولة صلاح الدين فى مركزها مصر قبل ان يشتد ساعدها . ولكى يضمن مساعدة الاسبتاريه له ، عقد مع السيد الكبير جوبيرت ، فى عام ١١٧٦ ، اتفاقيه (٤) تعهد فيها بتحقيق الوعود التى سبق لوالده عمورى الاول ان بذلها للهيئه فى مصر مع اضافة مبلغ ثلاثين الف بيزانت للدخل المعين للهيئه على اقليم بلبيس . وقد وافق الامبراطور البيزنطى مانويل الاول كومنين (Manuel I Comnenus) على المساهمه فى هذه الحمله باسطول قوى . وتقرر ان يشترك فيها ايضا فيليب امير فلاندرز (Philippe de Flandres) الذى كان منتظرا وصوله انذاك الى الشام على راس قوة من الصليبيين . غير ان الامير فيليب ، بمجرد ان وصل الى مدينة عكا ، فى خريف عام ١١٧٧ ، رفض الاشتراك فى مشروع الحمله فلم تتم (٥)

---

(١) انظر: D. Le Roulx . Les Hosp. en T.S., PP. 76 -81; King, PP. 97 - 99 ; 102 - 103 .
وجدير بالذكر ان البابا اسكندر الثالث ارسل بتاريخ ٢٠ يونيه عام ١١٧٢ ــ بعد وفاة السيد الكبير كاست ــ امرا الى نائب السيد الكبير امرا بعدم اعادة انتخاب جلبيرت داسيلى لمساوئه التى سردها الامر البابوى واشرنا الى بعضها فى النص . ارجع الى الامر البابوى فى D. Le Roulx : Cart I, No. 434 .

(٢) انظر: D. Le Roulx . Les Hosp. en .T.S. , P. 83

(٣) لمعرفة تفاصيل هذه الاحداث ارجع الى :
دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه حـ ٢ ص ٧٣ ــ ٧٤٨

(٤) ارجع الى نص الاتفاقيه فى D.Le Roulx . Cart.I, No. 496 .

(٥) انظر D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., P.83; King , P. 105 .

وحدث فى ذلك العام ـ اى فى عام ١١٧٧ ـ ان توفى السيد الكبير جوبيرت وخلفه فارس شغوف بالمعارك والحروب اسمه روجر دى مولان Roger des Moulins (١) اد ى انتخابه الى اثارة مخاوف البابا اسكندر الثالث على مصير الهيئه من مغامرات رئيسها فوجه الى اعضائها منشورا امرهم فيه بعدم تغليب حرفه السلاح على واجب العنايه بالفقراء والمرضى ، وذكرهم بقانون ريموند دى بوى الذى حظر عليهم القتال الا فى حالات الدفاع عن المملكه الصليبيه او حصار المدن الاسلاميه (٢).

ومع ذلك فقد قامت هيئة الاسبتاريه ، فى عهد روجر دى مولان بنشاط حربى وسياسى واسع النطاق لنجدة الصليبيين دفعها اليه كثرة الغزوات التى وجهها السلطان صلاح الدين آنذاك الى مرابضهم . وقد بدأت الهيئه هذا النشاط بمساعدة الملك بلدوين الرابع عسكريا فى صد غزوة قام بها صلاح الدين للملكه الصليبيه ، فى نوفمبر سنة ١١٧٨ ، وانزال الهزيمه بالسلطان قرب مدينة الرمله (٣) ، وكان فرسان الاسبتاريه كذلك ضمن الجيش الصليبى الذى انتصر عليه صلاح الدين ، فى ١٠ يونيه عام ١١٧٩ ، عند مرج عيون بالقرب من مدينة بيسان ، كما كان قائد الفرقه الاسبتاريه التى ساهمت فى هذا الجيش ضمن اسرى صلاح الدين (٤).

---

(١) انظر : King, P.106 .

(٢) نص المنشور البابوى فى : D. Le Roulx: Cart,I,No. 527 .

(٣) انظر : Ibid : Les Hosp. en T.S.PP. 88-89 .

وقد اعترفت المصادر العربيه بهزيمة صلاح الدين فى هذه الموقعه من غير ذكر للاسبتاريه ومن هذه المصادر :

- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ١١ ص ١٨٠ـ١٨١ ، كامل التواريخ ص٦٢٧ـ ٦٢٩ .
- ابو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ٥٩ ـ ٦٠ .
- ابو شامه : كتاب الروضتين ص١٨٤ـ١٨٩ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٧٥ ـ ٧٦ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ١١ ص٢٠٦ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ص ١٩٨ـ ٢٠٠ .

وقد عقدت هدنه في العام التالى — اى في عام ١١٨٠ — بين السلطان صلاح الدين والملك الصليبي (١). ولكنها لم تستمر اكثر من عامين بسبب اعتداءات الامير ارناط (Renaud de Chatillon) ، صاحب حصنى الكرك والشوبك ، على قوافل المسلمين المارة بجوار اقليمه بين مصر والشام (٢) وعندئذ رجع صلاح الدين الى مناوأة الصليبيين في مملكة بيت المقدس ، وانتصر عليهم ، في عام ١١٨٢ ، في معركة عنيفة دارت رحاها تحت حصن كوكب (٣) (Belvoir) وهو حصن منيع حديثا لهيئة الاسبتاريه الى الشمال من مدينة بيسان (٤) ، ثم رحل عنهم الى شمال الشام حيث ضم مدينة حلب وتوابعها في ١٢ يونيه عام ١١٨٣ (٥) ، فلما رجع لمهاجمة المملكة الصليبيه في ٢٩ سبتمبر (عام ١١٨٣) وجد جيشا صليبيا قويا — اشترك في اعداده فرسان الاسبتاريه والداويه ، الى جانب جيش مملكة بيت المقدس بقيادة نائبها جاى لوزجنان — في انتظاره في عين جالوت ، فرابط امام هذا الجيش اسبوعا وانصرف بدون قتال (٦).

(١) ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٢١١ ، W.T. dans R.H.C., Hist. Oc. T.I. Part .II. P. 1064 .

(٢) انظر D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S.,P.90 ; King,P.111.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ١١٥ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧٨ ، ابن الاثير : كامل التواريخ ص ٦٠٢ — ٦٠٣ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٢١٨

(٤) انظر King, P. 111 .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٤٢ ، ابن الاثير : كامل التواريخ ص ٦٦١ — ٦٦٣ ، ابو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ٦٦ — ٦٧ ، د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه جـ ٢ ص ٧٧٥ — ٧٨٠.

(٦) انظر : King, PP. 112 - 113 .

وقد شرح ابن واصل (مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٤٨ — ١٥١) الواقعه من غير ذكر لوجود الاسبتاريه ضمن الجيش الصليبي .

وحدث في تلك الاثناء ان اختلف الملك بلدوين الرابع ، وكان مصابا بداء الجزام مع نائبه ، وهو في الوقت نفسه زوج اخته سيبيل (Sibylle) ، جاي لوزجنان ، الذي تمرد على بلدوين الرابع واعتصم مع زوجته سيبيل في مدينة عسقلان (١) . وعندئذ احتفل بلدوين الرابع ، في نوفمبر عام ١١٨٣ ، بتتويج ابن اخته سيبيل ، وهو من زوج اخر قبل جاي اسمه ولوم طويل السيف ، وعمره سبع سنوات ، ملكا على مملكة بيت المقدس باسم بلدوين الخامس (٢) . ثم ترأس ، في بداية عام ١١٨٤ ، مؤتمرا كبيرا في مدينة عكا ضم افصال مملكته والسيد الكبير لكل من هيئة الاسبتاريه وهيئة الداويه لمناقشة الاخطار التي تتهدد المملكه نتيجة تمرد جاي وغزوات صلاح الدين (٣) . وقد اختلف الافصال فيما بينهم فيما يتصل بتحديد موقفهم من السلطان صلاح الدين ، فبينما رأى فريق الافصال المولودين بالشام ، وعلى رأسهم ريموند الثالث ، امير طرابلس وطبريه ، ضرورة انتهاج سياسة المهاونه والتعايش السلمي مع المسلمين الى ان تأتي حملة صليبيه جديده من اوروبا يمكن الاعتماد عليها في شن الحرب الهجوميه ضد السلطان ، اصر زعماؤهم الافصال المولودون في اوروبا بزعامة جاي لوزجنان ، امير يافا وعسقلان ، وارناط ، امير الكرك والشوبك ، على ضرورة الاستمرار في الحرب ضد المسلمين . غير ان اغلبية المؤتمرين ناصرت الامير ريموند الثالث في موقفه ، ووافقت على تعيينه وصيا على عرش المملكه بشروطه الخاصه التي من اهمها ان يشغل هذه الوظيفه بدون شريك حتى يصل بلدوين الخامس الى سن الرشد ، فاذا توفى الملك قبل بلوغ هذه السن ، يظل ريموند محتفظا بوصايته الى ان تسوى مسالة وراثة العرش على يد البابا والامبراطور وملكي فرنسا وانجلترا ، هذا فضلا عن ضرورة تسليم جميع حصون وقلاع المملكه لفرسان الاسبتاريه والداويه لحمايتها .

---

(١) انظر L' Estaire de Eracles Empereur (Hernoul), dans R.H.C., Hist. Oc. I.II.,PP. 1-2

(٢) انظر: Chronique de Terre Sainte, dans les Gestes des Chiprois, P.10; D. Le Roulx: les Hosp. en .T.S. P.91.

(٣) انظر : I'Estoire de Eracles , dans R.H.C., Hist. Oc., T.II. P.2

وبالرغم من أن السيد الكبير للاسبتاريه ، روجر دى مولان ، والسيد الكبير للداويه ارنولد دى تورج (Arnold de Torroge) ، وبطريرك بيت المقدس ، هرقل قد ايدوا الفريق المتطرف من الانفصال ، فقد قرر المؤتمر اختيارهم للسفر الى اوروبا بقصد طلب المساعده العاجله من ملوكها (١) . وقد غادر المبعوثون الثلاثه فلسطين فى شهر يونيه (عام ١١٨٤) من ميناء يافا . وفى شهر نوفمبر كانوا فى مدينة فيرونا الايطاليه حيث استقبلهم كل من البابا ، لوكيوس الثالث . Lucius III ، والامبراطور الالمانى ، فردريك بربروسا . وقد توفى رئيس الداويه فى هذه المدينه ، فواصل زميله الرحله بمفردهما . وعند ما وصلا الى باريس ، فى ١٦ يناير عام ١١٨٥ ، تعهد لهما الملك الفرنسى ، فيليب اغسطس بمساعدات ماليه ضخمه ، ولكنه اعتذر عن حمل الصليب ، خوفا من هجوم الملك الانجليزى هنرى الثانى ، على بلاده اثناء غيابه فى الشرق ، وقد بذل لهما ملك انجلترا ، هنرى الثانى بدوره ، عند ما حلا ببلاده ، فى منتصف فبراير ، وعدا بتقديم المعونات الماليه ، واعتذر عن عدم استطاعته مغادرة انجلترا بسبب تمرد اولاده عليه ، ووجود ابنه جفرى فى بلاط ملك فرنسا للتآمر معا عليه .

وهكذا رجع السيد الكبير للاسبتاريه والبطريرك هرقل من الغرب ، فى صيف او خريف عام ١١٨٥ ، بخفى حنين (٢) . وكان ذلك ـ فيما يبدو ـ ما دعا الرئيس الاسبتاريه روجر دى مولان ، ورئيس هيئة الداويه الجديد ، جيرارد دى ريدفورت Gérard de Ridefort الى تقديم النصح للوصى ريموند الثالث بأن يعقد الصلح مع صلاح الدين (٣) . ولما كانت هذه النصيحه تتمشى مع سياسة ريموند الذى كان قد حسن علاقته بالفعل مع صلاح الدين

---

(١) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist. Oc., T.II. PP.3 - 4; Archer & Kingsford: The Crusades, PP.267-269, D.Le Roulx; Les Hosp. en T.S.,PP 91-92; King, PP. 114-115.

(٢) انظر : D.Le Roulx : Op. Cit., PP. 92-93 ; King , PP. 115- 117 .

(٣) انظر : D. Le Roulx : Op . Cit. , PP. 93 _ 94

" وصار يناصحه " (١) ، فقد رحب بها وعقد مع السلطان هذا العام - عام ١١٨٥ - هدنه مدتها اربع سنوات (٢) .

غير ان الوضع في المملكة الصليبية ما لبث ان تطور الى غير ما كان يبغى ريموند الثالث ، ففى شهر سبتمبر من العام التالى - اى فى عام ١١٨٦ - توفى الملك بلدوين الخامس ، واصبح العرش شرعا من حق امه سبيل . ولكن الامير ريموند الثالث تمسك بقرارات مؤتمر عكا التى تقضى ببقائه وصيا على العرش الى ان يتم تعيين الملك الجديد بمعرفة البابا والامبراطور الالمانى وملكى انجلترا وفرنسا ، وعقد مؤتمرا من الانصار فى مدينة نابلس لتأييده فى موقفه ، على حين اسرع انصار سبيل وزوجها جاى ، وعلى رأسهم ارناط ، والامير جوسلين الثالث حامل لقب امير الرها ، ورئيس الداويه ، مجيرارد دى ريد فورت ، وبطريرك بيت المقدس ، هرقل ، الذى يدين بمنصبه للملكه أجنى (Agnés) أم سبيل ، بدخول مدينة بيت المقدس ، حيث وضع هرقل التاج بالفعل فوق رأس كل من سبيل وجاى ، بالرغم من المعارضه الشديده التى أبداها لهم السيد الكبير للاسبتاريه ، روجر دى مولان ، بحجة ان هذا الاجراء يتنافى مع قرارات مؤتمر عكا ويهدد بالحرب الاهليه بين انصار المملكه (٣) . وعندما تمت اجراءات التتويج ، اعترف بقية الانصار من انصار ريموند بالامر الواقع ، فيما عدا بلدوين دى ابلين ، امير الرمله ، الذى لجأ الى امارة انطاكيه ، والامير ريموند نفسه ، الذى فضل الاعتصام بقلعة طبريه (٤) .

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٩٢ . ويقول ابن واصل (مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٨٥) " فالتجأ القمص (يقصد ريموند) الى ظل السلطان ، فقبله وقواه ، وشد عضده ، باطلاق من كان فى الاسر من اصحابه ، فقويت مناصحته للمسلمين " .

(٢) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist. Oc., T.II, PP. 12-14; Archer & Kingsford / The Crusades, P.270

(٣) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist.Oc., T.II, PP. 25-30 .

(٤) انظر : Archer & Kingsford: The Cruseades, P. 273 .

وهكذا انتقل زمام الامور فى المملكه الصليبيه من فريق المعتدلين الى فريق المتطرفين انصار الحرب مع المسلمين . وما لبث الامير ارناط ، وهو اقوى امراء الفريق الاخير ، ان عجل باشعال هذه الحرب باستيلائه على قافله مصريه كانت متجهه فى اواخر عام ١١٨٦ ، واوائل عام ١١٨٧ ، من القاهره الى دمشق ، ورفضه الطلب الذى وجهه اليه صلاح الدين ، ثم رفضه الامر الذى اصدره اليه الملك جاى ، بطلب من صلاح الدين ، باطلاق سراح القافله(1) فقد صمم السلطان صلاح الدين ، عندئذ على الانتقام من ارناط والصليبيين عامه . " وارسل الى سائر الاطراف يطلب العساكر فجاءته من كل فج ، وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم سنة ٥٨٣ (منتصف مارس سنة ١١٨٧) ، ولما وصل السلطان الى رأس الماء (على الضفه الشرقيه لبحيرة طبريه) امر ولده الملك الافضل نور الدين بالاقامه هناك فى بعض العساكر لتجتمع عنده الامداد والنجد ، ثم سار السلطان الى بصرى ، وخيم على قصر السلامه واقام مترقبا الحاج خوفا عليهم من غدر عدو الله الابرنس (ارناط) . ولما وصل الحاج فى صفر وخلا سر السلطان من شغلهم ، سار الى الكرك ونازلها وقطع ما حولها من الشجر ، وافسد زرعها وكرومها ، ثم سار الى الشوبك وفعل به مثل ذلك ، ثم وصلت العساكر المصريه فلقاها بالقريتين وامرهم بالانبثاث فى اراضى الكرك والشوبك ، واقام على ذلك شهرين ، والملك الافضل مقيم برأس الماء ، وقد اجتمعت عنده الجحافل والجموع " (2) .

---

(1) انظر : La Estoire de Eracles , dans R.H.C., Hist. Oc., T.II, P. 34 .

والمصادر العربيه :

- ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ٢٢٨ ، كامل التواريخ ص ٦٧٦
- ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٨٥
- المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٦٢
- ابو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ٧١

(2) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٨٦ .

وانظر ايضا : المقريزى جـ ١ ص ٦٣ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ٢٤٩

وعندما ادركت اعضاء المملكه الصليبيه خطوره الموقف ، اجتمعوا بمدينة بيت المقدس في ٢٧ مارس (سنه ١١٨٧) ، وقرروا ارسال بعثة من السيد الكبير للاسبتاريه روجر دى مولان والسيد الكبير للداويه جيرارد دى ريد فورت ، ورئيس اساقفه صور جوسياس ، وامير الرمله باليان الثاني ، وامير صيدا رينو ، الى طبريه لاقناع الامير ريموند الثالث بالصلح مع الملك جاى لوزجنان ، وبالخروج مع بقية الاعضاء لصد صلاح الدين [1] ، ولم يلبث السيدان الكبيران لهيئتى الاسبتاريه والداويه أن غادرا مدينة بيت المقدس ، على راس تسعين فارسا داويا ، وعشرة فرسان من الاسبتاريه ، في ٢٩ ابريل ، للبدء في هذه المهمة ، الى أن يلحق بهما بقية اعضاء بعثة الصلح [2] ، وقد وصلا في مساء اليوم التالى الى الفوله [3] ، بالقرب من طبريه ، وقبل أن يستأنفا سيرهما في الصباح ، أى في صباح اول مايو [4] ، شاع بين الناس نبأ اقتراب الفرقه بجنود الملك الافضل الذين وفدوا اما للغزو والاغاره ، كما ذكر المؤرخ المصرى ابن واصل [5] ، او لقضاء هذا اليوم في الصيد والقنص باذن من الامير ريموند ، حسب رواية المؤرخ الفرنجى ارنول [6] ، وقد خرج الرئيسان الاسبتارى والداوى للقائهم على راس فرسانهما المائه ، بالاضافه الى اربعين فارسا استعانا بهم من فرسان حامية مدينة الناصره ، وعدد يتراوح بين ثلثمائة واربعمائة من المشاه ، واشتبكوا معهم في معركه حاميه عند صفوريه انجلت عن مقتل السيد الكبير للاسبتاريه مع خمسة من فرسانه الاسبتاريه

---

(١) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C. Hist. Oc. I.II, PP. 36 - 37 .

(٢) انظر : Ibid, Op.Cit., P.39

(٣) انظر : King, P. 119 .

(٤) انظر : Chronique de T.S., dans les gestes des chiprois , P.12 .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٨٧ .
يقول كل من ابن الاثير (الكامل في التاريخ جـ ١١ ص ٢٣٩ ، كامل التواريخ ص ٦٧٨) وابو شامه (كتاب الروضتين ص ٢٦٢) بان هذه الفرقه من الجند وصلت الى صفوريه في طريقها الى عكا لمهاجمتها وتخريبها .

(٦) انظر : L'Estoire de Eracles , dans R.H.C., Hist. Oc., I.II, P. 38 .

وجميع فرسان الداويه فيما عدا اثنين نجوا هربا ، مع السيد الكبير لهيئتهما جيرارد د ى ريد نورت ومن نجا من الفرسان والعداه الآخرين الى مدينة الناصره (١) . وكان الامير بالرسان الثانى ، احد اعضاء بعثة الصلح المتخلفين قد وصل توا الى هذه المدينه فى طريقه الى طبريه ، فالتقى به السيد الكبير للداويه ورافقه فى اتمام الرحله وتأدية مهمتهم مع ريموند بنجاح (٢) . واستطاع الملك جاى عندئذ ان يجمع حوله ، فى الشهر التالى ، اى فى شهر يونيه ، قوات جميع انصال المالكه ، بما فيهم الامير ريموند الثالث ، فضلا عن فرسان الداويه بقيادة جيرارد د ى ريد نورت ، وفرسان الاسبتاريه بقيادة نائب السيد الكبير ، ولهم بوريل (W.Borrell) ويخيم بهم فى صفوريه انتظارا لقدوم صلاح الدين (٣)

ـمـا علم جاى بأن السلطان هاجم طبريه ـ وكانت خطه بارعه من صلاح الدين لحمل

---

(١) انظر : L'Estoire de Eracles , dans R.H.C., Hist. Oc., T.II, PP. 39 - 41; D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP.95 - 96; King, PP. 120_121 .

يقول ابن الاثير عن هذه المعركه فى كتابه الكامل فى التاريخ (ج ١١ ص ٢٤٠) وكامل التواريخ (ص ٦٧٩) " وفيمن قتل مقدم الاسبتار ، وكان من فرسان الفرنج المشهورين وله النكايات العظيمه فى المسلمين " . ويضيف هذا المؤرخ فى كتابه كامل التواريخ (نفس الصفحه " . فكان فتحا كبيرا ، فان الداويه والاسبتاريه هم جمرة الفرنج " هذا وقد افادت مصادر عربيه بمصرع السيد الكبير للاسبتاريه فى هذه المعركه ونجاه السيد الكبير للداويه منها :
ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٨٧ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٢٦٣ .

(٢) انظر : King , P. 124
ذكر كل من ابن الاثير (الكامل ج ١١ ص ٢٤٠) وابو الفدا (المختصر ج ٣ ص ٧١) بأن الفرنج ارسلوا الى ريموند يلومونه ويطلبون منه الصلح مع الملك فقبل .

(٣) انظر : Ibid : Loc. Cit .

الصليبيين على تحمل مشاق السير اليه فى قيظ الصيف (١) . زحف اليه من صفوريه وتلاقى معه فى معركه دارت رحاها فى ٤ يوليه ، بجوار جبل حطين ، غربى طبريه ، وانجلت عن هزيمة كامله للصليبيين ، ووقوع ملكهم جاى ومعظم افصاله فى اسر صلاح الدين (٢) .

وقد عامل السلطان كبار اسراه – الى ان اطلق سراحهم – بالحسنى ، فيما عدا ارناط الذى قتله بيده (٣) ، ومائتين من الاسبتاريه والداويه ضربت رقابهم فى حضرته (٤) . "وكتب السلطان الى نائبه بدمشق الصفى بن القابض ان يضرب عنق كل من يجد من الداويه والاسبتاريه فامتثل امره ، وما ضرب عنق احد منهم حتى عرض عليه الاسلام اولا وامتنعوا الا آحاد منهم اسلموا وحسن اسلامهم" (٥) وقد نجا السيد الكبير للداويه جيرارد دى ريد فورت من حكم الاعدام بسبب شفاعة الملك جاى فيه عند السلطان ، وما اداه لصلاح الدين من معونه مثل حثه حاميه غزه على التسليم . اما نائب السيد الكبير للاسبتاريه ، وليم بوريل ، فقد افلت من الوقوع فى الاسر ، وهرب الى مدينة صور .

---

(١) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٨٠٤ .

(٢) انظر : Chronique de Terre Sainte, dans les Gestes de Chiprois, PP. 11-12 ; L'Estoire de Eracles , dans R.H.C., Hist., Oc., T.II, PP.64 - 65 .

وارجع الى المصادر العربيه الاتيه :

- ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٢٤١–٢٤٢ ، كامل التواريخ ص ٦٧٩– ٦٨٦ .
- ابو الفدا : المختصر ج ١ ص ٧١ – ٧٢ .
- ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٨٨ – ١٩٣
- ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٢٧٠ – ٢٧١

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٩٥ .

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٢٤٣ ، كامل التواريخ ص ٦٨٧ – ٦٨٨ ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٩٦ . ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٢٧٧ . وقد علق كل من ابن الاثير وابو شامه على حادث قتل الاسبتاريه والداويه فقال ابن الاثير (فى كتابه كامل التواريخ ص ٦٨٨) "وانما خص هؤلاء بالقتل لانهم اشد شوكه من جميع الفرنج فاراح الناس من شرهم" . وقال ايضا (فى نفس الكتاب ص ٧٣٦) "وكانت عادته قتل الداويه والاسبتاريه لشدة عداوتهم للمسلمين وشجاعتهم" . اما ابو شامه (كتاب الروضتين ص ٢٧٧) فقال : "فلما اصبح يوم الاثنين بعد الفتح بيومين ، طلب الاسارى من الداويه والاسبتاريه وقال انا اطهر الارض من هذين الجنسين النجسين فما جرت عادتهما بالمفاداه ، ولا يقلعان عن المعاداه ، ولا يخدمان فى الاسر ، وهما اخبث اهل الكفر .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٩٧ .

وقد استولى صلاح الدين ، خلال الشهور الثلاثه التى اعقبت معركة حطين على معظم مدن وحصون مملكة بيت المقدس ، ومن ضمنها حصن بيت جبرين الاسبتارى الذى انهارت مقاومته ، فى اواخر شهر سبتمبر ، على اثر سقوط مدينة عسقلان بالقرب منه (١) وفى ١٢ اكتوبر سلمت له مدينة بيت المقدس ، واقتيد سكانها من الصليبيين ، على ثلاث دفعات ، خلال اربعين يوما ، الى حدود امارة طرابلس .

وقد رحل اعضاء هيئة الاسبتاريه ، صحبة وثائقهم وكنوز كنيستهم ، ضمن افراد الدفعه الثانيه (٢) . ولكن اذن لعشرة منهم بالتخلف فى المدينه لخدمة المرضى فى مستشفاهم الى ان يتم ترحيلهم بعد عام واحد (٣) . وقد استقرت رئاسة الهيئه ومجلس اداراتها بعد انتقالها الى امارة طرابلس ، فى حصن المرقب (٤) . وهو حصن منيع يشرف على ساحل البحر المتوسط من فوق ربوة عاليه من ربى جبال النذاريه او الحشاشين بالقرب من حدود هذه الاماره مع امارة انطاكية ، وهو بهذا الموقع يتحكم فى الطريق البرى بين مدينتى طرابلس واللاذقيه (٥) . وآلت ملكية هذا الحصن ، مع مدينة بلنياس (بانياس) xx

---

(١) انظر King, PP.129-132 .

تكلمت المصادر العربيه عن استيلاء صلاح الدين على حصن بيت جبرين (او بيت جبريل بحسب نطق بعضها لها) ولكنها ذكرت خطأ انه مملوك للداويه ومن هذه المصادر :

ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢١٠ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٣١٣ .

(٢) انظر : Ibid ., PP.131 , 159 .

ودكتور سعيد عاشور ، الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٨٢٥

(٣) انظر : D. Le Roulx : Cart.I, No. 847; Ibid : Les Hosp. en T. S. , P.98.

يقول ابن الاثير فى كتابه كامل التواريخ (ص ٧٠٧) ان صلاح الدين جعل من دار الاسبتار مدرسه للشافعيه وهى فى غاية ما يكون من الحسن .

(٤) انظر : D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S. , P. 123; King , P.159 .

(٥) انظر : Enlart : Les Monuments des Croisés dans le Royaume de Jerusalem, Vol. II, PP.441-442 ; Flandin, P.53 .

xx مدينة بلنياس — وهى Balanée Valenie عند الغربيين — مقامه على انقاض مدينة بلنياس القديمه (كتاب الروضتين ص ٣٥٧ ملحوظه ١ من : Rey : Colonies Franques , P. 355 .

الواقعه قربه ، الى هيئة الاسبتاريه ، فى اول فبراير من العام السابق ـ اى منذ عشرين شهرا فقط ، بمقتضى منحه تقدم بها للهيئه صاحبها برتراند ما زوار Bertrand Masoir وافق عليها كل من ريموند الثالث امير طرابلس وبوهيموند الثالث امير انطاكيه (١) .

ولم يبق للصليبيين فى مملكة بيت المقدس ، بعد سقوط عاصمتها ، سوى مدينة صور وستة حصون هى شقيف ارنون ، وصاحبه رينو جارنييه Renaud Garnier امير صيدا وحصن صفد الداوى ، والكرك والشوبك وتملكهما ارمله ارناط ، ثم حصن شوتنيف Chateauneuf وحصن كوكب الاسبتاريان (٢) .

وكان صلاح الدين قد عهد الى ابن أخيه الملك المظفر تقى الدين ، بعد بضعه ايام من معركة حطين ، بقطع المسيره عن مدينة صور لمضايقتها (٣) . وحين اوشك اهلها على تسليمها له ، نزل اليها من البحر ، حوالى منتصف يوليه سنة ١١٨٧ ، الامير كونراد ابن الداركيز مونتفرات ، مع جماعة من اتباعه ، فتقووا به وعقدوا العزم على المقاومه تحت قيادته . واخذت مدينتهم تتعاظم فى القوه والمناعه يوما بعد يوم بسبب قوة تحصيناتها التى اشرف كونراد على اصلاحها وتجديدها ، وكثرة اللاجئين اليها من المدن الاخرى التى تسلمها صلاح الدين بالامان ، فضلا عن وصول نجدات سريعه اليها من اوروبا . ولما فرغ السلطان من اقرار الوضع فى العاصمه بيت المقدس تحول بنفسه الى صور وحاصرها من ناحية البر على حين قام اسطول مصرى ، استدعاه صلاح الدين من ميناء عكا ، بحصارها من ناحية البحر (٤) .

---

(١) انظر ; De. Le Roulx : Cart.I, No. 783; Enlart : Les monuments, P.442 ;

(٢) انظر : King, PP.131-132 .

(٣) ابن واصل :

(٤) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C. Hist. Oc., T.II, PP. 75-77 .

والمراجع العربيه : ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ، ٢٤٢ ـ ٢٤٤ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٧٢ ـ ٧٣ .

وقد لعب فرسان الاسبتاريه ، بقيادة وليم بوريل ، دورا رئيسيا وفعالا في الدفـاع عن هذه المدينه ، وذلك باعتراف كل من نائب السيد الكبير للداويه وكونراد دى مونتفرات نفسه (١). وساهم في هذه العمليه نحو مائتى فارس اسبتارى ، وفد بعضهم مـن مدينة عسقلان وحصن بيت جبرين بعد سقوطهما في يد صلاح الدين على حين جاء البعض الاخر من حصون الهيئه في امارتي طرابلس وانطاكيه (٢) ، او من بيوتها في اوروبا ، وبخاصه من فرنسا واسبانيا (٣). وقد خصصت هيئة الاسبتاريه لتغطية نفقات احباط الحصار مبلغا كبيرا من مواردها الخاصه يقدر باكثر من ثمانية الاف برابانت (Brabants) فضلا عن نصيبها من تبرعات ملك انجلترا ، هنرى الثانى ، لمشروع الحمله الصليبيه الـذى اعتذر عن الاسهام في تنفيذه بالجند منذ نحو عامين ونصف العام (٤).

واخيرا اقترح احد كبار الاسبتاريه المشتركين في الدفاع عن المدينه ، وهو وكيل مانوسك في اقليم بروفانس بفرنسا (Le Bailli de manosque) على قادة المدينه بمحاولة فك الحصار عن مدينتهم بالانتصار على صلاح الدين في معركـة حربيه (٥). وقد دارت هذه المعركه في مساء ٢٩ او ٣٠ ديسمبر (٦). وتامـت

---

(١) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S. , P. 99 .

(٢) انظر : Farochon, Les Chevaliers de Rhodes et de malte, P.27 .

(٣) انظر : King, P. 132 .

(٤) انظر : D. Le Roulx : Cart. I, Nos.847,858; Ibid : Les Hosp . en T.S. , P. 99.

(٥) انظر : Farochon, PP. 28 - 29.

(٦) انظر : King, P.132 ; Farochon, P.28 .

ودكتور سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٨٤٠ .

سفن الاسبتاريه ، وعددها سبع عشرة سفينه ، كلها في الاصل تجاريه سلحتها الهيئـــه لهذا الغرض ، بالاشتراك مع سفن الداويه بالدور الرئيسى في هذه المعركه (١) التى فقد فيها المصريون خمسة شوانى بمقدميها وهو ما يعادل نصف عدد شوانى اسطول الحفظ المصرى (٢)، وستة مراكب اخرى (٣). وعندئذ صرف صلاح الدين بقية سفن اسطوله الى ميناء بيروت (٤). وفى اول يناير عام ١١٨٨ رفع الحصار البحرى عن المدينه (٥).

وبينما كان الاسبتاريه يدافعون على هذا النحو عن مدينة صور ، كانت هيئتهـــم مشغوله كذلك بمحاولة فك الحصار المفروض حول حصنيها هونين ، منذ شهر يوليه (٦)، وحصنها كوكب منذ شهر اغسطس (٧). ولقد سقطت قلعة هونين فى يد محاصريها فى ٢٦ ديسمبر ، اى قبل ان يرفع صلاح الدين الحصار عن صور بخمسة ايام (٨). اما حصن كوكـب

(١) انظر : Farochon, PP.27-29; King , P. 132
علما بأن كنج لم يحدد عدد سفن الاسبتاريه .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص٢٤٣ — ٢٤٤ ؛ ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١١ ص٢٥١ — ٢٥٢ ، كامل التواريخ ص ٧٠٩ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ج ٢ ص١١٩ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص٧٣ .

(٣) اجمع ديلا فيل (الاسبتاريه فى الارض المقدسه ص ٩٩) وكنج (ص١٣٢) وفاروشون (ص ٢٩) على ان السفن المصريه المأسوره عددها احدى عشره سفينه .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٥ ، ابوشامه : كتاب الروضتين ج ٢ ص١١٩ ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٢٥٢ ، كامل التواريخ ص ٧٠٩ .

(٥) ابن واصل : نفس المرجع ص ٢٤٦ ، ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص٢٥٢ ، ابوشامه كتاب الروضتين ص ٣٤١ — ٣٤٤ .
وانظر ايضا : King , P. 132 .

(٦) ابن واصـل : مفرج الكروب ج ٢ ص٢٤٧ .

(٧) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., 99

(٨) ابن الاثير : كامل التواريخ ص ٧١٢ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٣٤٥
وانظر ايضا King, P.134 .

فقد أبدى مقاومة أشد . وحدث فى ٢ يناير — أثناء الليل — أن بغتت حامية كوكب ، بقيادة قائد الحصن برنارد دى أزيناريا (Bernard de Asinaria)[١] الفرقة الأيوبية التى تحاصرها ، فقتلت قائدها سيف الدين محمود ، وكبدتها خسائر فادحة فى الأرواح والمؤن والأسلحة[٢] ، واستولت الحامية كذلك على قافلتين اسلاميتين محملتين بالأسلحة والمؤن من حصن الفولة القريب[٣] . وقد وصلت هذه الأخبار الى السلطان صلاح الدين عند رحيله من جوار مدينة صور ، فرتب على حصار الحصن الأمير صارم الدين قايماز النجمى[٤] . ولما ولى برد الشتاء ، فى شهر مارس ،ظهر السلطان بنفسه أمام قلعة كوكب " وحاصرها وصابرها أياما ، ولم يتمكن من فتحها لمنعتها وحصانتها ، ورآها تحتاج الى طول مدة ومصابره ، فوكل بها صارم الدين قايماز النجمى... فى خمسمائة فارس " ، ثم غادر المكان الى مدينة دمشق[٥] .

على أن صلاح الدين لم يبق فى دمشق أكثر من خمسة أيام[٦] ، ثم خرج لمواصلة فتوحاته فى بلاد الصليبيين قبل أن تتدخل أوروبا لصالحهم . وفى هذه المرة ركز عملياته الحربية فى امارتى طرابلس وأنطاكية حيث استولى فى مدى ستة أشهر على أكثر من خمس

---

(١) أنظر : King , P. 134 .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ص ٢٤٦ — ٢٤٧ ،أبو شامه : كتاب الروضتين ص ٣٤٤ — ٣٤٥ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١٠٤ — ١٠٥ ، ابن الاثير: الكامل فى التاريخ ج ١١ص ٢٥٣ ، كامل التواريخ ص ٧١٣ علما بأن ابن الأثير يقول فى كتابه كامل التواريخ أن الاسبتارية قتلوا جميع أفراد القوة الاسلامية التى تحاصر حصنهم .

(٣) أنظر : D. Le Roulx : Cart. 1, No. 847; Ibid : Les Hosp.: en T.S. ,PP. 99-100 ; King, P.135 .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ص ٢٤٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ١١ص ٢٥٣ ، كامل التواريخ ص ٧١٣ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ص ٢٥٢ . انظر أيضا : أبو شامه : كتاب الروضتين ص ٣٤٦ ، ٣٤٩ — ابن الأثير : الكامل ج ١٢ص ٢ ، كامل التواريخ ص ٧١٥ـ١٦

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ص ٢٥٥ .

وعشرين مدينه وقلعه (١) . ولقد مر السلطان بجوار حصون الاسبتاريه فى الامارتين ، وعسكر تحت بعضها فتره من الزمن ، وبخاصه حصن الاكراد ، الذى هوجم فى صيف عام ١١٨٨ ولكن دافع عن نفسه ببساله . وفى الحقيقه لم يشأ السلطان ان يحاول نفسه بحصار هذه الحصون ، بسبب مناعة تحصيناتها وقوة حامياتها ، واكتفى بالاغاره على نواحيها وتخريب مجاوراتها (٢) . وقد نفذ الاسبتاريه بسبب هذه الاغارات مدينه بانياس (٣) (بانياس) بجوار حصنهم المرقب الذى لم يحاول السلطان ان يتعرض له " لانه من حصونهم التى لا ترام ولا يحدث احد نفسه بملكه لعلوه وامتناعه " (٤) . واخيرا طلب بوهيموند الثالث ، امير انطاكيه ، الصلح من السلطان ، فعقد معه ، فى أول اكتوبر عام ١١٨٨ ، هدنه مدتها ثمانية اشهر ورجع الى دمشق (٥) .

فى الرابع والعشرين من هذا الشهر سقط حصن الكرك فى يد سعد الدين كمشبها الاسدى (٦) . ووصل خبر هذا الفتح الى صلاح الدين فى دمشق ، فخرج الى حصن الداويه صفد واستولى عليه فى ٦ ديسمبر ، ثم القى بثقله على حصن الاسبتاريه القريب وهو حصن كوكب الى ان استسلم له فى ٥ يناير عام ١١٨٩ وانتقلت حاميه الحصن الى

---

(١) انظر King , P. 134 .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٥٥ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٣٤٩ـ٣٥٢ ، ابن الاثير : الكامل جـ ١٢ ص ٣ ، ابو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ٧٤ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٥٨ ، ابن الاثير : كامل التواريخ ص ٧١٧ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٣٥٧ .

انظر ايضا : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., P.100 .

(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ١٢ ص ٣ ، كامل التواريخ ص ٧١٨ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٧٠ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ .

انظر ايضا : King , P. 134 .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

مدينة صور[١] . وبذلك يكون الاسبتاريه قد فقدوا جميع حصونهم التى كانت لهم فى مملكة بيت المقدس ، ويكون صلاح الدين قد استولى على جميع مدن وحصون هذه المملكة فيما عدا حصن الشوبك الذى سلم فى ٥ مايو عام ١١٨١ ، وحصن شقيف ارنون الذى ظل على مقاومته حتى استسلم فى ٢٢ ابريل من العام التالى اى فى عام ١١٩٠ ، وفيما عدا مدينة صور التى لم تستسلم له ابدا[٢] .

على ان المواجهه بين الاسبتاريه وصلاح الدين لم تنقطع بذلك داخل حدود مملكة بيت المقدس الصليبيه ، فقد كان الفرسان الاسبتاريه بقيادة المقدم الكبير لهيئتهم ارمنجو داسب Armengaud d ' Aspe – الذى انتخب خلفا لروجر دى مولان[٣] ، بعد ان رفع صلاح الدين الحصار عن صور – ضمن الجيش الصليبى الذى حاصر منذ اواخر شهر اغسطس عام ١١٨٩ ، مدينة عكا – وهى ثانى مدن المملكة بعد بيت المقدس واهم موانيها – بقيادة الملك جاى لوزجنان ، وكان قد اطلق سراحه فى يوليه عام ١١٨٨ ، وكونراد دى مونتفرات ، والذى حوصر بدوره من جانب قوات صلاح الدين[٤] ، التى كانت معسكره فوق تل كيسان وتل العياضيه[٥] ، منذ وصولها فى ٣٠ اغسطس (عام ١١٨٩) بعد يومين من وصول الملك الصليبى[٦] . وعندما شن جيش الحصار الصليبى ، فى ٤ أكتوبر ، هجوما عاما على قوات صلاح الدين التى تحاصره ، كان الاسبتاريه يشكلون ، بالاشتراك مع الصليبيين الفرنسيين

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٧٢ – ٢٧٤ ، ابن شداد : النوادر السلطانيه ص ١١٨ – ١٢٠ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ص ٣٨٢ – ٣٩٢ .
انظر ايضا : King, PP. 134 – 135 .

(٢) انظر : Ibid , P. 135 .

(٣) انتخب بين شهرى مايو واكتوبر عام ١١٨٨ . انظر : D. Le Roulx : Le Hosp. en T.S. ,PP.100-101 ؛

(٤) انظر : King, PP. 136 – 137 .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٩١ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٢ (يسمى تل العياضية باسم تل المياضيه) ، كامل التواريخ (مجموعه مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين ج ٢ قسم ١) ص ٧ .

(٦) انظر : Ibid , P.137 .

الجناح الايمن لهذا الجيش تحت قيادة الملك جاى (١) . وفى الحقيقه كاد صلاح الدين ان يقضى على الاسبتاريه والملك جاى فى بدء هذه المعركه ، لولا ان انقذهم وصول الفرقه الاحتياطيه فى الجيش الصليبى بقيادة جفرى دى لوزجنان اخى الملك جاى (٢) . ولقد فقد الصليبيون فى هذه الموقعه ما بين خمسة الاف وعشرة الاف قتيل (٣) ، وذلك مقابل الف وخمسمائة شهيد مسلم (٤) . ومع ذلك فقد اضطر صلاح الدين ، فى ١٦ اكتوبر ، الى ترك مواقعه بسبب مرضه ورغبة جنده فى تمضية فصل الشتاء بمنازلهم ، ثم نصب خيامه فى الخروبه حيث استطاع مراقبة الموقف عن بعد (٥) .

وحدث فى خلال هذا الشتاء ان قدم ارمنجود اسب السيد الكبير للاسبتاريه استقالته من منصبه ، ربما مضطرا تحت ضغط كبار اعضاء الهيئه الذين وفدوا بكثرة من اوروبا بعد انتخابه ، واستنكروا اختياره للرئاسه عن طريق مؤتمر عام ناقص التمثيل وابدوا رغبتهم فى اختيار سيد كبير اخر للهيئه من بين الشخصيات التى اشتهرت بالخبره الواسعه فى شئون الارض المقدسه لكى يكون على مستوى الموقف فى هذه الظروف الصعبه . وقد انتخب الاسبتاريه خلفا له جارنيير النابلسى .

---

(١) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S. , PP. 102-103.

(٢) انظر : King, P. 138 .

(٣) قال ابو شامه (كتاب الروضتين ص ٤٢٥) خمسة الاف قتيل ، ثم قال بأن عمادا قدرهم بعشرة الاف . وقد قدرهم كل من ابن الاثير (كامل التواريخ فى القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين ص ١٢) وابو الفدا (المختصر ج ٣ ص ٧٧) كذلك بعشرة الاف . اما ابن واصل (مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٩٩) فقد قدرهم بسبعة الاف .

(٤) انظر : King, P. 139.

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٠٢ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٩ـ ٢٠ كامل التواريخ (القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعه مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين) ص ١٤ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٧٧ .

(Garnier de Naplouse" Nablus") وهو سليل اسرة شهيرة فـــى فلسطين من اصل فلمنكى . وكان جارنيير وقت لختياره يشغل وظيفة مقدم شعبه الاسبتاريه فى انجلترا[1] . ونظرا لدرايته بشئون الارض المقدسه اختاره الملك الانجليزى ريتشارد قلب الاسد رئيسا لحاشيته التى اعدها لاصطحابه الى فلسطين [2] — مشتركا مع فيليـــــب اغسطس ملك فرنسا ، وفردريك بربروسا امبراطور المانيا فى الحمله الصليبيه المعروفه بالثالثه. والى حين وصول جارنييرا لى فلسطين تولى نائبه اوجيير (Ogier) قيادة قوات الاسبتاريه المرابطه مع الجيش الصليبى فوق تل المصليين Nont Musard . خارج اسوار عكا [3].

وعندما ولى الشتاء وحل الربيع وفدت الى صلاح الدين فى الخروبه الامدادات من مصر والشام وشمال العراق فعاد الى مراكزه الاولى على تل كيسان وتل العياضيه . وقــد اظهرت جيوش صلاح الدين خلال عام ١١٩٠م تفوقا واضحا فى مناوشاتها ضد الصليبيين فى البر والبحر [4]. وفى شتاء عام ١١٩٠ — ١١٩١ اضطر الاسطول المسيحى الى الابتعاد عن شواطئ عكا بسبب سوء حالة البحر ، مما سمح للسلطان بتموين المدينه وتغيير حاميتها[5]. وفى نفس الوقت اصبح من المتعذر على الصليبيين الاتصال بمراكز تموينهم فى اوروبا ، فاختل نظامهم ، وانتشر المرض بين ظهرانيهم [6] ، وكثر عدد موتاهم [7] ، واصبح واضحا ان كارثـة

---

(١) انظر King , PP. 139- 140 .

(٢) انظر Ibid, P. 142

(٣) انظر D. Le Roulx, Les Hosp.en T.S. , P. 107

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣١٢ — ٣١٧ .

(٥) ابن الاثير : كامل التواريخ (فى القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيين الشرقيين) ص ٣٢ — ٣٣ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٦١ .

(٦) انظر : D. Le Roulx : Op. Cit., P. 107 .

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٢٥ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٥٩ .

محققه تنتظرهم على يد صلاح الدين بعد انتهاء فصل الشتاء . على ان وصول فيليب اغسطس ، ملك فرنسا ، فى ٢٠ ابريل عام ١١٩١ ، ثم وصول ريتشارد قلب الاسد ، ملك انجلترا فى ٨ يونيه (١) . انقذ الصليبيين من هذا المصير ، كما اعانهم على تعزيز الحصار حول المدينه برا وبحرا من جديد (٢) .

وقد وصل السيد الكبير للاسبتاريه جارنييرالنابلسى صحبه ريتشارد واستلم من نائبه اوجيير قيادة فرسان الاسبتاريه امام عكا (٣) . وكان جارنيير فى الوقت نفسه بمثابة المستشار الاول للملك ريتشارد فى شئون الارض المقدسه (٤) ، ونائبه فى مفاوضة السلطان صلاح الدين بشأن تسليم عكا للصليبيين (٥) . وقد فشلت هذه المفاوضات بسبب اشتراط الجانب الصليبى الذى يمثله السيد الكبير للاسبتاريه ، اعادة مملكه بيت المقدس الى حدودها التى كانت عليها قبل موقعة حطين عام ١١٨٧ ، مقابل ان يسمح لاهل عكا وحاميتها بالخروج سالمين ولكن كونراد دى مونتفرات تدخل وعقد اتفاقيه مع امير حاميه عكا (××) فى ١٢ يوليه عام ١١٩١ دون موافقة صلاح الدين . وقد نصت هذه الاتفاقيه على السماح لحامية عكا بالخروج مقابل فديه قدرها مائتان الف دينار ، واطلاق سراح الفين وخمسمائة من اسرى الصليبيين ورد صليب الصلبوت (٦) .

---

(١) ابن الاثير : كامل التواريخ (فى القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين) ص ٤١ — ٤٣ ، د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٨٦٣ .

(٢) ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٧ .

(٣) انظر : King, P. 146 .

(٤) انظر : Ibid , P. 142 .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥٨ ، د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٨٦٧ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥٨ — ٣٦٠ ، ابن الاثير : كامل التواريخ (فى القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين) ص ٤٤ — ٤٦ ، د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٨٦٧ — ٨٦٨ .

(××) سمه الامير سيف الدين على بن احمد الهكارى المعروف بالمشطوب .

وفى الثالث من اغسطس رحل فيليب اغسطس الى بلاده فرنسا بحجة اعتلال صحته[1]

اما ريتشارد فقد تخلف لمعاونة الصليبيين فى استرجاع مملكة بيت المقدس الى حدودها قبل حطين • وخرج لهذه الغايه من مدينة عكا ، فى ٢٣ اغسطس[٢] على رأس جيش من خمس فرق شكل فرسان الاسبتاريه بقيادة السيد الكبير لهيئتهم جارنيير النابلسى احداها[٣] ، وسار فى طريق الساحل قاصدا غزو مدنه قبل ان يهاجم بيت المقدس • وقد ناوشـــه صلاح الدين على طول الطريق ، ولكن لم يحاول منعه من احتلال حيفا ثم قيساريه[٤].

ودارت معركه عنيفه بين الطرفين فى ٧ سبتمبر عند مدينة ارسوف عانى منها الاسبتاريه اكثـر من غيرهم ، فقد كانوا فى ذلك اليوم يشكلون ، مع بعض الفئات الاخرى الصغيره ، مؤخره الجيش الصليبى حيث ركز صلاح الدين هجومه العنيف بقصد عزلها فيسهل عليه اباداتهـــا ولقد ادرك ريتشارد منذ البدايه هدفه صلاح الدين فاصدر اوامره الى السيد الكبيـــــر للاسبتاريه بعدم التوقف للقتال الا باذن خاص منه • فلما اشتد الاذى بالاسبتاريه طلب جارنيير هذا الاذن من ريتشارد ، ولكن طلبه رفض • غير ان مارشال الاسبتاريه ، وهـو فيما يظن وليم بوريل ، وفارسا آخر صديقا لريتشارد ، اسمه بولدوين دى كارون ، لم يطيقا صبرا فهجما على جيش السلطان بدون اذن ريتشارد ، وتبعهما فرسان الاسبتاريه فالجيش كله واضطر ريتشارد ، عندئذ ، الى قبول الامر الواقع واصدر اوامره بالهجوم العام • وهكـــذا بدات معركه ارسوف التى هزم فيها صلاح الدين وفقد سبعة الاف من جنده مقابل سبعمائـة من جيش اعدائه[٥].

---

(١) د • سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٨٦٩ •

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٦٥ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣٣ ، ابو الفدا ج ٣ ص ٧٩ •
وانظر ايضا : Archer & Kingsford: The Crusades, P. 331;

(٣) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., P. 110; King, P. 148 .

(٤) ابن الاثير: الكامل ج ١٢ ص ٣٣ ،كامل التواريخ (مجموعه مؤرخى الحـــروب الصليبيه الشرقيين ج ٢ قسم ١) ص ٤٩ •

(٥) انظر : Archer & Kingsford : The Crusades ,PP.333-336; Conder: The latin Kingdom of Jerus., PP. 276-278 ; D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S. , PP. 110-111 ; King, PP.149 - 151 .

وقد استولى ريتشارد بعد ذلك على مدينة يافا [١] ، فى حين اسرع صلاح الدين بتخريب مدينة عسقلان ، وتدمير حصونها ، وفى مقدمتها برج الاسبتاريه المعروف بالاستبـــار [٢] " حتى لا يبقى للفرنج فى قصدها مطمع " [٣] ثم رحل السلطان الى مدينة بيت المقـــدس لتحصينها [٤] ، وقد امضى ريتشارد خريف هذا العام — عام ١١٩١ — فى اعادة تحصيـــن يافا ، وفى اجراء مفاوضات فاشله مع صلاح الدين [٥] وفى شهر نوفمبر قطعت المفاوضـــات وتقدم ريتشارد نحو مدينة بيت المقدس ، مستوليا فى طريقه على لد والرمله والنطرون [٦] ، وفى اوائل شهر يناير عام ١١٩٢ عسكر ريتشارد فى بيت نوبا قريبا من المدينه المقدسه ، وكان الجو شتويا مشحونا بالعواصف والامطار ، فاثر فى صحة الجيش ومعنوياته ، واصبح فى حالة لا تساعد على فرض الحصار حول المدينه المقدسه ، كما ان رئيس الاسبتاريه والداويه وامراء الارض المقدسه الحوا فى اقناع ريتشارد بأن الجيش ينقصه التجهيز الكافى لفرض حصار ناجح ، وابدوا له تخوفهم من عودة رجال هذا الجيش الى اوطانهم اذا ما تم لهم السيطره على المدينه ، فيصبـــح من المتعذر اعداد حاميه قادره على الدفاع عنها فى حالة الهجوم عليها ، واقترحوا عليـــه العوده الى الساحل لاعادة تحصين مدينة عسقلان التى دمرها صلاح الدين ، وانتظـــار وصول نجدات اوروبيه جديده عند حلول فصل الربيع .

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ١٢ ص ٣٤ ، كامل التواريخ (مجموعه مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين جـ ٢ قسم ١) ص ٥٠ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٧٠ .

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ١٢ ص ٣٤ ، كامل التواريخ (مجموعه الحروب الصليبيه الشرقيين جـ ٢ قسم ١) ص ٥١ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٧٠ — ٣٧١ ، ابن الاثير : الكامل جـ ١٢ ص ٣٤ — ٣٥ ، ابو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ٧٩ — ٨٠ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٧٢ ، ابو شامه : كتاب الروضتين جـ ٢ ص ١٩٢ ، ابن الاثير : الكامل جـ ١٢ ص ٣٤ — ٣٥ ، دكتور سعيد عاشور : الحركه الصليبيه جـ ٢ ص ٨٧٧ — ٨٧٨ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٧٤ — ٣٧٥ ، دكتور سعيد عاشور : الحركـــه الصليبيه جـ ٢ ص ٨٧٩ .

وكان ان استمع ريتشارد لنصائحهم وانسحب الى عسقلان ، فوصلها فى ٢٠ يناير[١] وامضى الشتاء فى تجديد حصونها[٢] . وفى الثانى والعشرين من شهر مايو استولى على قلعة الداروم بالقرب من عسقلان بعد حصار دام اربعة ايام[٣] ، وبعد ان مهدت له غارة استطلاعية ناجحة قام بها على المكان فرسان الاسبتاريه والداويه[٤] . ويمم ريتشارد بعد ذلك شطر بيت المقدس عن طريق غزه وبيت جبرين ، فوصل فى ١١ يونيه الى بيت نوبا حيث عسكر فى انتظار تعزيزات تصله من عكا[٥] . ولكن انتظاره لهذه التعزيزات طال الى مايقرب من ثلاثة اسابيع . وانتهز رئيسا الاسبتاريه والداويه وامراء الارض المقدسه هذه الفرصه ، فضغطوا من جديد على ريتشارد من اجل التخلى عن مشروع غزو مدينة القدس ، واوضحوا له بأن اية محاوله من هذا القبيل مقضى عليها بالفشل ، لان غزو هذه المدينه يجب ان يتم اولا عن طريق السيطره على ضفاف النيل ، وان سلامة الارض المقدسه كلها رهن بالسيطره الصليبيه على مصر[٦] . هذا وكان النزاع محتدما وقتذاك ، فى جيش ريتشارد بين الصليبيين الانجليز وزملائهم الفرنسيين بزعامة امير برجنديا[٧] . وتحت ضغط هذه الظروف اصدر ريتشارد اوامره فى ٤ يوليه ، بالانسحاب الى الرمله حيث جدد مفاوضات الصلح مع السلطان[٨] ، ولكن المفاوضات التى انتهت بالفشل بسبب تمسك كل من الطرفين بمدينة عسقلان[٩] . وكان ان

---

(١) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP. 112 - 113; King; P. 152 .

(٢) ابن الاثير : كامل التواريخ (مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين جـ ٢ قسم ١) ص ٥٧ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٨٢ .

(٤) انظر : King, P.154 .

(٥) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه جـ ٢ ص ٨٨٩ .

(٦) انظر : King, P.154 .

(٧) انظر : Ibid , P.155 .

(٨) انظر : King; Loc. Cit.

ومن المراجع العربية : ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٨٩ وأبو شامه : كتاب الروضتين جـ ٢ ص ١٩٩ .

وابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٩٠ ، د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه جـ ٢ ص ٨٩٣ .

(٩) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه جـ ٢ ص ٨٩٥ .

غادر ريتشارد بعد ذلك مدينة الرملة وذهب الى عكا [1] .

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر يوليه غزا صلاح الدين مدينة يافا وارغم حاميتها الصليبيه على الاحتماء داخل قلعتها ، ولكن ريتشارد وصل اليها عن طريق البحر ، في أول اغسطس ، وانقذها من السقوط [2] ، وكانت قوات الاسبتاريه والداويه قد خرجت معه من عكا ، ولكنها فضلت السير برا في طريق الساحل ، وعندما وصلت الى ميناء قيساريه التقت بها فرقه اسلاميه قويه يقودها احد ابناء شيخ الجبل ، فارتد الاسبتاريه والداويه على اعقابهم [3] ، وفي ٣ اغسطس توفي السيد الكبير للاسبتاريه ، جارنيير النابلسي ، ربما نتيجة لما حل به من اجهاد بسبب شدة الحراره وقت هذا السير .

وقد اعتلت صحة ريتشارد ، بدوره ، نتيجة المجهود الذي بذله في انقاذ يافا وخشي ان يموت في بلاد الشام [4] ، ومن ناحيه اخرى وصلت اليه انباء سيئه من الغرب تؤكد ثورة اخيه حنا ضده ، مما يتطلب منه سرعة العوده الى بلده [5] ، ولهذا دخل في مفاوضات جديده مع صلاح الدين انتهت في ٢ سبتمبر بعقد صلح الرمله الذي وافق عليه الاسبتاريه [6] ، واشترط في هذا الصلح ان تكون مدته ثلاث سنين وثلاثة شهور ، ويقضي بأن يحتفظ الصليبيون بساحل الشام من صور الى يافا ، وتبقى مدينة بيت المقدس تحت حكم المسلمين على ان يسمح للمسيحيين بالزياره والحج ، كذلك نص الصلح على ان تكون لد والرمله مناصفه

---

(١) ابن الاثير : كامل التواريخ (القسم الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبيه الشرقيين) ص ٦٣ .

(٢) ابن الاثير : كامل التواريخ (القسم الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبيه الشرقيين) ص ٦٣ — ٦٥ ، د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه جـ ٢ ص ٨٩٥ — ٨٩٦ .

(٣) انظر : Conder : The Latin Kingdom, P.287 .

(٤) انظر : King, P.156 .

(٥) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه جـ ٢ ص ٨٨٥ .

(٦) أبو شامه : كتاب الروضتين جـ ٢ ص ٢٠٣ .

بين المسلمين والصليبيين ، وان تظل عسقلان خرابا . " واشترط السلطان دخول بلاد الاسماعيليه فى عقد هدنته ، واشترط الفرنج دخول صاحب انطاكيه وطرابلس فى عقد هدنتهم(١) وفى ٩ اكتوبر عام ١١٩٢ غادر ريتشارد بلاد الشام عائدا الى بلاده (٢).

وفى يناير عام ١١٩٣ عقد الاسبتاريه فى حصن المرقب مؤتمرا عاما تم فيه انتخاب رئيس جديد للهيئه هو جودفرى دى دونجون Geoffrey de Donjon . (٣)

وقد تميز عهد هذا الرئيس بالهدوء النسبى بين الصليبيين والمسلمين ، حيث ان صلاح الدين توفى فى ٣ مارس عام ١١٩٣ ، وشغل اولاده واخوه العادل ، من بعده ، فى الصراع على السلطنه فى الدوله الايوبيه ، على حين انهمك الامراء الصليبيون فى منازعاتهم الخاصه فضلا عن فقرهم ورغبتهم فى العيش بسلام مع جيرانهم المسلمين بعد ان انهكتهم حروب صلاح الدين (٤).

ولكن حدث فى عام ١١٩٧ ان ارسل الامبراطور الالمانى ، هنرى السادس ، حمله الى بلاد الشام بقيادة النائب الامبراطورى الاسقف كونراد فون فورتسبورج Conrd von Wurzburg . لضمها الى املاكه ، بعد استيلائه على مملكة صقليه ، فعكرت هذه الحمله صفو السلام فى الشام دون ان تحقق مكسبا للصليبيين سوى ضم مدينة بيروت التى استولت عليها الحمله فى ٢٣ اكتوبر عام ١١٩٧(٥) على ان وصول هذه الحمله

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٠٢ — ٤٠٣ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ج ٢ ص ٢٠٣ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٨٢ — ٨٣

(٢) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٩٠١ .

(٣) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp.en T.S., P.118 .

(٤) انظر Ibid : Op. Cit., PP. 119 - 120
ودكتور سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٩٠٢ — ٩١٧ .

(٥) ابن الاثير : كامل التواريخ (القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيين الشرقيين) ص ٨٥ — ٨٦ ، د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٩١٧ — ٩٢٣

الى مدينة عكا ، فى عام ١١٩٧ ، عبأ الفرصه للرئيس الاسبتارى جودفرى دى دونجـون فيما يبدو ، لنقل الدير مقر رئاسة الاسبتاريه من حصن المرقب الى ممتلكات الهيئه فى الركن الشمالى الغربى من عكا ، لكى يكون على اتصال مباشر بقيادة الحمله • واستلزم ذلك اعادة تشكيل هذه الممتلكات واضافة بعض المبانى اليها لمواجهة احتياجات الدير ، فشيد فيهما مستشفى اصغر قليلا من مثيله فى دير مدينة بيت المقدس ، وبلغت كنيسة القديس حنـا الملحقه بالدير من الشهره ، درجه جعلت اسمها علما على مدينة عكا نفسها فعرفت باسم مدينة القديس حنا العكاوى St. Jean d'Acre • اما مأوى الحجاج فقد شيد خارج اسوار المدينه القديمه فى الضاحيه الحصينه التى كانت وقتذاك اخذه فى النمو على تل المصلبين (١) .

ولقد شهد قائد الحمله الالمانيه ورجالها ، قبل عودتهم الى المانيا ، فى العام التالى اى فى عام ١١٩٨ ، الاحتفال الذى اقيم بمقر الداويه بمدينة صور ، فى ٥ مارس عام ١١٩٨ ، بمناسبة اعلان تأسيس هيئة التيوتون ، وهى هيئة حربيه جديده اقامهـا بتشجيع من المانيا ، الاسبتاريه الالمان ، لخدمة المصالح الالمانيه فى الاراضى المقدسه والشرق • وحضر السيد الكبير للاسبتاريه ، جدفرى دى دونجون ، ومعه السيد الكبير للداويه ، احتفال ٥ مارس ، ولم يحتجا على اعلان قيام الهيئه الجديده ، ولكنهما اوضحا بجلاء ، انهما اضطرا الى السكوت تحت حكم الظروف ، وان سكوتهما فى المستقبل سوف يكون له نتائج مدمره بالنسبه لهيئتى الاسبتاريه والداويه • (٢)

وعندما عاد الالمان الى بلادهم عقد عمورى الثانى لوزجنان ، ملك بيت المقدس وقتئذ ، مع الملك العادل الايوبى فى الشام ، فى اول يوليه عام ١١٩٨ ، هدنه مدتها ثلاث سنوات ، اعترف فيها العادل لهذا الملك الصليبى بمدينتى بيروت وجبيل ، على حين

(١) انظر : King, PP. 170 - 171 .

(٢) انظر : D. Le Reulx : Les Hosp. en . T.S. , PP.127-128

اعترف له الملك بمدينة يافا ، التي كان قد استولى عليها العادل في سبتمبر عام ١١٩٧ ردا على اعتداءات الصليبيين الالمان^(xx) . كذلك تم الاتفاق على اقتسام صيدا بين الطرفين الاسلامي والصليبي (١) .

على ان المناوشات ما لبثت ان تجددت ، في عام ١٢٠٣ (٢) ، بين الصليبيين والايوبيين . وكان مصدرها ، في هذه المره ، اعتداءات فرسان الاسبتاريه ، الذين يقومون بحراسة حصون الهيئه في امارة طرابلس ، والذين تكررت اغاراتهم على ممتلكات الملك المنصور ناصر الدين محمد الايوبي صاحب حماه واعمالها . وقد دارت معركه ، في منتصف شهر مايو عام ١٢٠٣ ، بجوار قلعه بعرين ، من اعمال حماه ، بين الملك المنصور ، يعاونه ، باوامر من الملك العادل ، جيش حلب بقيادة صاحبها الملك الظاهر غياث الدين غازى ، وجيش بعلبك بقيادة اميرها الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه ، في جانب ، وبين الاسبتار في حصن الاكراد والحصون المجاوره بشرق امارة طرابلس ، في الجانب الاخر . وانجلت المعركه عن هزيمة الاسبتاريه ، وعندئذ طلبوا من هيئة الداويه التوسط في الصلح بينهم وبين صاحب حماه ، وقد حاول رسول الداويه تحقيق ذلك عن طريق ارهاب الملك المنصور باشاعه عن وصول حملة صليبيه كبرى من الغرب قوامها ستون الفا من الفرسان والمشاه واستعداد جميع طوائف الصليبيين في الشام وارمينيا للخروج مع هذه الحمله لمنازلة بعرين . ولكن صاحب حماه اجابه بقوله " انا لا نجزع بما تقول ولا نكترث ، ولو انهم اضعاف ذلك لناجزتهم ، فقد تحققنا قصدهم لنا ، وعلمنا ذلك ، ولا سبيل الى مصالحة الاسبتار بوجه (٣) " .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ٧٨ ، المقريزى : السلوك ج ١ ص ١٤١ ، د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٩٢٣ — ٩٢٤ .

(٢) السيد الكبير للاسبتاريه وقتذاك هو الفونسو البرتغالى الذى خلف جد فرى دى دونجون منذ يونيه ١٢٠٢ — انظر D. Le Roulx: Les Hosp.en T.S,P.130

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٤٠ — ١٤٧

(xx) دكتور سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٩٢٠ — ٩٢١ .

وكان من نتيجة هذا الرد — الذى يقطر مراره من جانب صاحب حماه تجاه الاسبتاريه ما يدل على قوه شوكتهم ومدى ما نزلوه من خسائر بممتلكات المسلمين — انه فى اوائل شهر يونيه " خرج جميع الاسبتار من حصن الاكراد والمرقب ، ومن وصل اليهم من الضرب ، واغاروا على عمل بعرين ، وعدتهم اربعمائة فارس ، خارجا عن التركبليه ، والف ومائتان راجل ، ومن معهم من الجرخيه ورماة الزنبورك ، فرتب الملك المنصور ، صاحب حماه ، عسكره ، وقصدهم ، والتقاهم ، فكسرهم ، وقتل منهم مقتله عظيمه "(١). وظل الملك المنصور مقيما بقلعه بعرين الى ان اسفرت المراسلات بينه وبينهم عن عقد هدنه قصيره اوائل عام ١٢٠٤(٢) وسواء انقضى امد هذه الهدنه أو لم ينقض ، فقد اغار الاسبتاريه ، بموازره فرنج طرابلس ، خلال هذا العام ، مره اخرى على ولايات الملك المنصور " وساقوا الى ضيعه على باب حماه تعرف بالرقيطا قريبه جدا من الباب الغربى " ، ثم عادوا ادراجهم محملين بالسبى ، وجددوا الهدنه مع الملك المنصور(٣).

وفى سبتمبر من هذا العام — عام ١٢٠٤ — جدد الملك العادل الصلح مع الصليبيين فى عكا لمدة ست سنوات على قاعده التنازل لهم عن مدينتى يافا والناصره ، وان يقتسم معهم دخل كل من صيدا واللد والرمله(٤). ولكن هذا الصلح لم يمنع فرسان الاسبتاريه فى حصن الاكراد من الاغاره — بالتعاون مع حلفائهم فرنج طرابلس — فى هذا العام او العام الذى يليه ، على حمص واعمالها(٥). وقد جاءهم الرد الايوبى سريعا على

---

(١) ابن واصل مفرج الكروب ج ٣ ص ١٤٨
(٢) المرجع نفسه ص ١٥٤
(٣) المرجع نفسه ص ١٦٢ — ١٦٤
(٤) انظر: L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist.Oc., T, II, P.263 .
وقد اوردت المصادر العربيه تفاصيل الصلح من غير ان تشير الى مدته . ومن هذه المصادر : ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٦٢، ١٦٤ ، المقريزى : السلوك ج ١ ص ١٦٤ ، ابن الاثير / كامل التواريخ (مجموعه مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين ج ٢ قسم ١) ص ٩٦ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٠٦ .
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٦٤ . وفى الواقع لم يذكر هذا المؤرخ صراحه ان المغيرين هم الاسبتاريه ، ولكن يمكن الاستدلال على ذلك من توجيه الملك الظاهر انتقامه الى الاسبتاريه فى المرقب عقب هذا الحادث . كما ان ابن واصل ذكر صراحه (فى ص ١٧٢) اشتراك اهل حصن الاكراد (وهم اسبتاريه) وطرابلس فى

يد الملك الظاهر غياث الدين غازى ، صاحب حلب ، الذى سير جيوشه ، بقياده مبارز الدين اقجا ، الى حصن الاسبتاريه المرقب فحاصره " وهدم البرج الذى له على باب الميناء " فاصاب المبارز من الحصن سهم فقتله ، وعاد العسكر ، بعد ان كادوا يفتحون الحصن وايديهم ملآنه من الغنائم (١) . غير ان فرنج طرابلس وبما بمؤازرة حلفائهم الاسبتاريه ما لبثوا ان ردوا على ذلك العدوان ، فى هذه السنه عينها ، بشن هجوم على جبلـه واللاذقيه اسفر عن صرع عدد كبير من جند الملك الظاهر فى كمين صليبى اعد لهم بالقرب من جبله (٢) .

وعندما ترامت اخبار هذه الاعتداءات الاسبتاريه المتكرره الى مسامع السلطان الملك العادل فى مصر ، خرج الى الشام ، فى عام ١٢٠٦ ، لوضع حد لها ، فعسكر على بحيرة قدس بجوار حمص الى ان انتهى شهر رمضان (سنة ٦٠٣ هـ) واكتمل لديه وصول العساكر الايوبيه التى طلبها من مختلف ارجاء الشام الايوبى وشمال العراق ، وعندئذ " سار متوجها الى حصن الاكراد ، فنازله وقاتل اهله اشد قتال ، وفتح برجا قريبا منه يسمى اعناز ، واخذ منه خمسمائة رجل ، واموالا ، وسلاحا كثيرة " (يونيه ١٢٠٧ / ذو الحجه ٦٠٣ هـ) . وبعد ذلك حاصر العادل مدينة طرابلس فتره قصيره من الزمن ثم رجع الى بحيرة قدس حيث بعث اليه امير طرابلس ، بوهيموند الاعور ، مالا وهدايا وثلثمائة اسير ، ورغب فى الصلح فصالحه (٣) .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٦ ـ ١٦٧ . انظر ايضا المقريزى : السلوك ج ١ ص ١٦٤ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ ، المقريزى : السلوك ج ١ ص ١٦٦ ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٠٨ ، د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٩٤٨ ـ ٩٥٠ .

وفي عام ١٢١٠ انتهى امد الصلح المعقود بين الملك العادل الاول وصليبي عكا فعرض عليهم العادل ان يوافقون على تجديد الصلح مقابل ان يتنازل لهم عن عشر قلاع وقد طالب السيد الكبير للاسبتاريه ، جارين دي مونتيجي Garin de Montaigu (xx) والسيد الكبير للتيوتون ، هرمان فون زالتسا (Herman von Salza) بضرورة قبول عرض العادل . ولكن السيد الكبير للداويه ، فيليب دي بليسي (Philip du Plessis) نادى بضرورة الحرب ، وتغلب رأيه ، فقد قام الملك الصليبي ، حنا دي بريين ، الذي انتخب في سبتمبر عام ١٢١٠ ، بعدة غارات خارج عكا انتهت كلها الى فشل بفضل يقظة الملك المعظم بن العادل ورجاله المعسكرين على جبل الطور القريب من عكا . وشاطر الملك الصليبي ، فاربل في العام التالي ، اى في عام ١٢١١ ، ابن عمه جوتييه دي مونتبليارد (Gautier de Montbéliard) على راس الف ومائه رجل في حملة فاشلة على دمياط (١) . وبسبب هذا الفشل المتكرر وافق الملك حنا دي بريين ، في عام ١٢١١ ، على عقد معاهده جديده للصلح مع الملك العادل مدتها ست سنوات (٢) .

وقد حدث ان وصل الى مدينة عكا في شهر اكتوبر عام ١٢١٧ ، اى في الوقت الذي انتهت فيه مدة المعاهده بين الملك العادل وحنا دي بريين ، كل من ليوبولد السادس ، دوق النمسا ، واندريه الثاني ، ملك هنغاريا ، وهيو الاول لوزجنان ، ملك قبرص ، على راس حملة صليبيه جديده ، وكان السيد الكبير للاسبتاريه جارين دي مونتيجي

---

(١) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist.Oc.,T.II.: PP. 309 - 310; King, P. 183 .

(٢) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٩٥٢ ، وقد اشار المؤرخ كنج (ص ١٨٣) الى هذه المعاهده ولكن ذكر بأن مدتها خمس سنوات .

xx انتخب في صيف عام ١٢٠٧ خليفه للسيد الكبير جدفري لرات :
Geoffroy Le Rat وكان جدفري قد تولى في اوائل عام ١٢٠٦ خلفا للسيد ا كبير الفونس البرتغالي . انظر :
D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP. 130-131, 137 - 138 .

فى استقبال ملك هنغاريا ، بأمر البابا ، عند وصوله الى جزيرة قبرص ، ومنها الى فلسطين. واشترك فرسان الاسبتاريه مع اولئك الصليبيين الجدد فى اعمالهم العدوانيه المخربه التى قاموا بها فيما وراء الاردن ، وما بين بيسان وبانياس ، وامام صيدا والشقيف وفوق جبل الطور خارج عكا ء فى شهرى نوفمبر وديسمبر من هذا العام (١٢١٧) . واكتسبت هيئة الاسبتاريه ، بهذه المشاركه ، تقدير ملك هنغاريا ، فمنحها فى بلاده ، بعد عودته اليها ، فى يناير عام ١٢١٨ ، امتيازات سخيه واملاكا واسعه (١).

وفى صيف عام ١٢١٨ خرج فرسان الاسبتاريه ، بقيادة السيد الكبير لهيئتهم جارين دى مونتيجى ، مع الملك حنا دى بريين فى الحمله الصليبيه الخاصه على دمياط xx. وقد ابدى " مارشال " الهيئه ، ايمار دى ليرون Aymar de Layron بساله فائقه فى الهجوم الكبير الذى شنه الصليبيون ، فى ٩ اكتوبر عام ١٢١٨ ، على المدينه (٢). وكذلك فى هجوم ٢٩ اغسطس عام ١٢١٩ على معسكر السلطان الملك

---

(١) انظر : D. Le Roulx: les hosp. en T.S. P.P. 142-143

لمعرفة تفاصيل غزوات هذه الحمله المعروفه باسم الحمله الهنغاريه ارجع الى المصادر العربيه : ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٧ ، ابو شامه : ذيل الروضتين ص ١٠٢ ـ ١٠٣ ، ابن الاثير كامل التواريخ (القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين) ص ١١١ ـ ١١٤ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١١٧ ـ ١١٨ ، علما بأن هذه المصادر لم تشر فى صراحه الى دور الاسبتاريه . انظر ايضا د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٩٥٦ ـ ٩٦٠

ولمعرفة تفاصيل منح ملك هنغاريا للاسبتاريه ارجع الى : Ibid: Cart. II, nos. 1590, 1591.

(٢) انظر : L'Estdre de Eracles, dans R.H.C. Hist.Oc., T.II, P.333; D.Le Roulx: Lex Hosp. en T.S. P.144

xx لمعرفة تفاصيل هذه الحمله ارجع الى المرجعين العربيين المعاصرين الاتيين :

• دكتور محمد مصطفى زياده : الغزوه الكبرى الاولى لاستيلاء الصليبيين على مصر فى كتاب " كفاح ضد الغزاة " ص ٢٠٥ ـ ٢٢٠

• دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٩٦١ ـ ٩٨٤ .

الكامل بن الملك العادل وخليفته ، بفابسكور ، حيث قتل " المارشال " ، او أسر ، مع اثنين وثلاثين من رفاقه الاسبتاريه (١) . وكان جارين دى مونتيجى ، السيد الكبير للهيئه مسموع الكلمه فى مجالس الحرب التى عقدها الصليبيون اثناء الحمله . وقد عارض بشدده فى قبول مقترحات السلم التى تقدم بها الملك الكامل ، فى سبتمبر عام ١٢١٩ ، فكان ذلك من عوامل رفضها (٢) . ودافع باستمرار خلال الحمله عن مصالح لاتين سوريا ضد المؤامرات التى كان يحيكها لهم الصليبيون القادمون من الغرب بدافع الغيره والحسد (٣) ، واشترك بفرسانه الاسبتاريه — مع فرسان الداويه والفرسان الفرنسيين — فى وقف اعمال الشغب والنهب التى اقترفها العنصر الايطالى فى الحمله لعدم رضاهم عن قسمة الغنيمه (يناير عام ١٢٢٠) (٤) ، واخيرا تصدى بالتعاون مع الداويه والفرنسيين والارمن والاروام والسوريين — للايطاليين والصليبيين الالمان ، عندما تمردوا بالسلاح ، فى ٢ سبتمبر عام ١٢٢١ ، على قرار قيادة الحمله بالجلاء عن مدينة دمياط بدون قيد او شرط ، وقمع تمردهم (٥) .

وقد رجع الاسبتاريه مع بقية قوات الحمله الفاشله الى مدينة عكا فوصلوا اليها فى نفس هذا الشهر ، اى فى شهر سبتمبر عام ١٢٢١ (٦) . وحدث ان حل بهذه المدينه

---

(١) انظر : D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S. , P.144

(٢) انظر L'Estoire de Eracles: op. Cit., P.339, Paderborn: The capture of Damietta, P.45

(٣) انظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P145

(٤) انظر : Grousset: Hist.des Crois., vol. III, PP.229-230

(٥) انظر : Michaud: Hist.des Crois., vol.,III, PP.648-649

(٦) انظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P. 145

فى ٧ سبتمبر عام ١٢٢٨ ، الامبراطور الالمانى فردريك الثانى هوهنشتاوفن على رأس حمله صليبيه جديده من الالمان لاستعادة مدينة بيت المقدس من المصريين ، ولتأكيد حقه فى عرش مملكة بيت المقدس ، ذلك الحق الذى آل اليه بزواجه ، فى ٩ نوفمبر عام ١٢٢٥ من ايزابيل بنت حنا دى بريين ووريثه عرشه ، وكان ذلك اثناء مرحله حاسمه من مراحل النزاع بين البابويه والامبراطوريه فى الغرب ، مما جعل البابا جريجورى التاسع يصدر قرار الحرمان ضد الامبراطور فى ٢٩ سبتمبر عام ١٢٢٨ — اى قبل وصول الامبراطور الى فلسطين بايام (١) — ويأمر أساقفه الشام وهيئتى الاسبتاريه والداويه بعصيان اوامر الامبراطور (٢). فلما وصل فردريك الثانى الى عكا وجد إعراضا من جميع طوائف الصليبين بالشام فيما عدا هيئة التيوتون (٣). ولكنه استطاع ان يعقد ، فى ١٨ فبراير عام ١٢٢٩ معاهده صلح ، مدته عشر سنوات ، مع السلطان الملك الكامل ، عن طريق المفاوضه وبدون حاجه الى سيوف الصليبيين ، على اساس ان يتسلم فردريك مدينة القدس ، فيما عدا الأماكن الاسلاميه المقدسه التى تقرر ان تبقى فى يد المسلمين وان يكون للصليبيين ممر من الارض يصل بين عكا والقدس ، وان يمنع فردريك اية حمله صليبيه اوروبيه من المجئ الى الشواطئ الايوبيه بمصر والشام ، واطلاق سراح اسرى الحمله الصليبيه الخامسه المحتجزين فى

---

(١) انظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP.158 , 161:

مما يجدر ذكره ان ايزابيل توفيت عام ١٢٢٨ . على ان وفاتها لم تؤثر فى حق فردريك فى المطالبه بعرش بيت المقدس فقد كان له ابن منها اسمه كونراد ، هو الوريث الشرعى للعرش الذى سعى فردريك للاستحواذ عليه بصفته وكيلا عن ابنه .

انظر :

Les gestes des chiprois, P.48

(٢) انظر :

L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist. Oc., T.II: P.370

(٣) انظر :

Conder: The Latin Kingdon, P.312

عندما خرج فردريك الثانى من مدينة عكا ، فى نوفمبر عام ١٢٢٨ ، لاحتلال يافا ، رفض الاسبتاريه والداويه ضم قواتهما الى جيشه ، وسارا على بعد عن هذا الجيش . ولكن فردريك ، عندما اقترب من المدينه نشر راية الله وراية المسيحيه بدون ذكر للامبراطور فاشترك معه الاسبتاريه والداويه فى مهاجمة يافا واحتلالها . انظر

L'Estoire de Eracles: op. Cit, PP.372-373.

مصر (١).

وقد عارض رهبان الاسبتاريه والداويه ، وبطريرك بيت المقدس ، هذه الاتفاقيه لان فردريك محروما من الكنيسه (٢) ، وربما ايضا لانهم استبعدوا من التوقيع عليها مما حرمهم من شرف المساهمه فى استرداد بيت المقدس من المسلمين . وقد انتهزت هيئتا الاسبتاريه والداويه فرصه استثناء شمال الشام من شروط الاتفاقيه ، فهجمت قواتهما المشتركه فى خريف عام ١٢٢٩ ، على مدينة بعرين ونهبتها (٣) . وفى شهر اغسطس من العام التالي — اى فى عام ١٢٣٠ — خرجت حامية حصن الاكراد من الاسبتاريه للاغاره على اعمال حماه ، غيران امير حماه الملك المظفر تقى الدين محمود (الثانى) انتصر عليهم عند افيون الواقعه بين حماه وبعرين (٤) . وقد تشجع الملك المظفر بهذا النصر فرفض ان يدفع للاسبتاريه الجزيه السنويه التى كان اخوه وسلفه الملك الناصر قلج قد تعهد بدفعها لهم مقابل تقديم بعض المساعدات الحربيه له (٥) . وكان ان اعد له الاسبتاريه فى عام ١٢٣٣ ، جيشا صليبيا مشتركا ساهموا فيه بخمسمائة من فرسانهم ، والف وخمسمائه من مشاتهم ، بقيادة السيد الكبير لهيئتهم ، جارين الى الى جانب عدد من فرسان الداويه بقياده السيد الكبير لهيئتهم ارماند دى بيريجورد Armand de Périgord

---

(١) انظر L'Estoire de Eracles:, dans R.H.C., Hist.OC.,T.II, P.374; mas latrie I, PP.251-253
والمصادر العربيه : المقريزى : السلوك ج ١ قسم ١ ص ٢٣٠ ؛ العينى : عقد الجمان (القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين) ص ١٨٨ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٤١ .

(٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.164
ودكتور سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١٠١٣ .

(٣) D. Le Roulx: OP. Cit., PP. 164 -165

(٤) العينى : عقد الجمان (القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعه مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين) ص ١٩٤ .
وانظر ايضا : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist. OC., T.II, P.405, no.e.
ودكتور سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١٠٢٤

(٥) انظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P. 171

وثمانين فارسا من مملكة بيت المقدس، بقيادة بطرس دافالون Pierre d'Avalon وماثة فارس من قبرص بقيادة حنا دبلين Jean d'Ibelin وثلاثين فارسا من امارة انطاكيه بقيادة هنرى اخى الامير بوهيموند الخامس. وزحف الاسبتاريه بهذا الجيش فى شهر اكتوبر، على بعرين فاستولوا عليها فيما عدا قلعتها التى احتمى بها الاهالى، ثم قاموا ببعض الاعمال التخريبيه فى نواحى بعرين، ورجعوا الى حصن الاكراد بعد ثمانية ايام. وما لبثان تدخل كل من الملك الكامل، سلطان مصر، واخيه الملك الاشرف، سلطان دمشق، بالوساطه لدى قريبهما امير حماه، خوفا من تحالف الصليبيين مع سلطان قونيه — علاء الدين كيقباد الاول ابن كيخسرو — الذى يستعد ان لقتاله، فنصح الملك المظفر بدفع الجزيه المقرره للاسبتاريه ووافق امير حماه (١).

وقد حدث فى اول سبتمبر عام ١٢٣٩ ان وصل الى ميناء عكا ثيبوت الرابع امير شامبينى وملك نافار Thibaut IV de Champagne, roi de navarre على رأس حمله صليبيه جديده قوامها بين الف، والف وخمسمائه فارس فرنسى. وكان ان تقدمت هذه الحمله الى مدينة غزه لاحتلالها، بالرغم من اعتراضات رؤساء الهيئات العسكريه الثلاث، الاسبتاريه والداويه والتيوتون. غير انه من المحتمل ان تكون قوات اسبتاريه وداويه قد اشتركت معه فى القيام بهذه الغزوه التى احبطها المسلمون فى ١٣ نوفمبر (عام ١٢٣٩) قرب غزه. وحدث فى صيف العام التالى — عام ١٢٤٠ — ان

---

(١) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist. CC., T.II, PP 403-405; Phelippe de nevaire, dans les gestes des chiprois, P.117; انظر ايضا : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP.171-172 .
ودكتور سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١٠٢٤

(٢) انظر : D. Le Roulx Op. Cit ; P.184

مع ملاحظه ان المؤرخ القديم ارنول (L'Estoire de Eracles: OP.Cit, PP.414-415) قد اكد اشتراك الاسبتاريه والداويه فى الغزوه.

عزل الايوبيون فى مصر السلطان العادل الثانى ،واختاروا بدلا منه الملك الصالح نجم الدين ايوب سلطانا عليهم (١) . وقد وعد الصالح ايوب حليفه الناصر داود صاحب الكرك بمساعدته فى الحصول على دمشق من صاحبها الصالح اسماعيل (٢) ، الذى لجأ الى ثيبوت الرابع وغيره من الصليبيين لمساعدته ضد الصالح ايوب مقابل التنازل لهم عن حصنى صفد وشقيف ارنون ، وعن ضواحى مدينة بيت المقدس وأرضها من ساحل البحر حتى نهر الاردن (٣) ، كما وعدهم " بأنه اذا ملك مصر اعطاهم بعضها " (٤) . وقد قبل ثيبوت الرابع ، بتأييد من الداويه ، عرض الملك الصالح اسماعيل (٥) ، وتسلم الصليبيون بالفعل ضواحى القدس وطبريه وعسقلان (٦) ، واستلم الداويه صفد (٧) ، غير ان السيد الكبير لهيئة الاسبتاريه اعلن معارضته رسميا للمشروع ، وامتنع عن التوقيع على الاتفاقيه المعقوده بين ثيبوت وسلطان دمشق (٨) ، ورفض الاشتراك فى الجيش الصليبى ، الذى تعاون حينذاك مع قوات دمشق

---

(١) د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١٠٣١ ـ ١٠٣٧ .

(٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٦ ص ٣٢٢ .

(٣) انظر Phelippe de nevaire, dans les gestes des Chiprois, P.121; L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist. OC., T.II, P.418

كان الملك الناصر داود صاحب الكرك قد استولى على القدس من الصليبيين ، الذين كانوا قد دخلوها فى عام ١٢٢٩ بمقتضى شروط الصلح مع فردريك الثانى ، عند علمه بحملة ثيبوت الرابع (المقريزى : السلوك ج ١ القسم الثانى ص ٢٩١) .

(٤) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٦ ص ٣٢٢ .

(٥) انظر : Phelippe de nevaire: Op. Cit., P. 122; L'Estoire de Eracles: Op. Cit., P. 419

(٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٦ ص ٣٢٢ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٧٢

(٧) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP. 184

(٨) انظر : Phelippe de nevaire: Op. Cit., P. ; L'Estoire de Eracles: OP.Cit, PP.419-420; Continuation de Rothelin, dans R.H.C. Hist. T II, P.

مع ملاحظة ان هذا المصدر قد ذكر بأن الاسبتاريه قبلوا عروض سلطان دمشق (Les Hosp. en T.S., PP.184-185) كما يلاحظ بأن المؤرخ د . عاشور قد ذكر خطأ بأن ... الصليبيين وسلطان القاهره الملك الصالح ايوب وليس سلطان دمشق ، ... الصليبيه ج ... المؤرخ عروض سلطان دمشق للصليبيين على انها مقدمه لهم من سلطان القاهرة

فى محاوله الهجوم على غزه ، ولكن الصالح ايوب احبط هجومه • وقد انسحب ثيبوت عندئذ الى عسقلان حيث عقد ، بتأييد من السيد الكبير للاسبتاريه ، الصلح مع الصالح ايوب (١) •

ولم يلبث ثيبوت الرابع ان رجع الى بلاده فى آخر سبتمبر عام ١٢٤٠ (٢) • وقد وصل الى عكا فى ١١ اكتوبر من نفس العام ، ريتشارد كورنوول ، اخو هنرى الثالث ملك انجلترا وصهر الامبراطور فردريك الثانى ، على رأس عدد كبير من الصليبيين الانجليز ، فى مقدمتهم رئيس بيت الاسبتاريه فى انجلترا ، المقدم تيرى دى نوسا Thierry de nussa ونزل فى مقر الاسبتاريه بهذه المدينه (٣) • وقد عرض رسل الملك الصالح ايوب على ريتشارد اتفاقيه الصلح التى عقدها السلطان منذ فتره قصيره مع ثيبوت ، لكى يصدق عليها ريتشارد • وقد رد عليهم ريتشارد بالموافقه ، بعد ان استشار السيد الكبير للاسبتاريه ، بطرس دى فيلى بريد ، وصدق لهم على الصلح فى ٢٣ ابريل عام ١٢٤١ (٤) • وبذلك اعتبر ريتشارد ان مهمته انتهت فى الشرق ، وغادر ميناء عكا فى ٣ مايو سنة ١٢٤١ عائدا الى بلاده (٥) •

---

(١) انظر : L'Estoire de Eracles: Op. Cit., PP.419-420; Phelippe de nevaire: OP.Cit., P.122
اما Continuation de Rothelin: OP. Cit., P.554 فقد ذكر بأن الاسبتاريه والداويه عارضوا فى عقد الصلح حتى يتم الثأر من هزيمة غزه •

(٢) انظر : L'Estoire de Eracles: OP.Cit., P.419 No.e.

(٣) انظر : Phelippe de nevaire, dans les gestes des Chiprois, PP. 122-123; L'Estoire de Eracles, dans R.H.C, Hist. OC., T.II, P.421;

(٤) انظر : Phelippe de nevaire :OP.Cit., P.123; L'Estoire de Eracles: Op. Cit., PP. 421-422; D. Le Roulx: Op. Cit., P.185
فى هذا الصلح اعترف الصالح ايوب بحق الصليبيين فى ملكية شقيف ارنون واقليم الجليل بما فيه من حصون تبنين وهونين وطبريه والطور وكوكب ، فضلا عن بيت المقدس وبيت لحم وعسقلان — انظر د • سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١٠٤٠ •

(٥) د • سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١٠٤٠ •

وليس من شك فى ان تبنى هيئة الاسبتاريه ، فى ذلك الوقت ، لفكرة الصلح مع مصر ، ورفضها فكرة التحالف مع دمشق ، لم يكن بسبب تحمس غرمائهم الداويه للرأى الاخر او نتيجة تغيير طرأ على رأى الاسبتاريه القديم الذى جاهروا به ملك انجلترا ريتشارد قلب الاسد ، عندما ارادوا اثناءه فى عام ١١٩٢ عن مهاجمة بيت المقدس ، فقالوا له ان السيطره على هذه المدينه لا يتأتى الا عن طريق غزو مصر ، ولكن الارجح هو ان موقف الاسبتاريه الجديد مصدره عدم ثقتهم فى قدرة الصليبيين وحليفهم سلطان دمشق على غزو مصر ، وان ليس من الحكمه ، والحاله هذه ، ان يثير الصليبيون سلطان مصر ضدهم مقابل بعض المدن والحصون التى تنازل لهم عنها سلطان دمشق لقاء مساعدتهم له ، وتستطيع مصر طردهم منها فى اى وقت تشاء .

فلما تغير الوضع فى عام ١٢٤٤ بانضمام كل من الملك الناصر داود ، صاحب الكرك ، والملك المنصور ابراهيم بن شيركوه ، صاحب حمص ، الى الملك الصالح اسماعيل بن العادل ، سلطان دمشق(١) ، مما ادى الى ازدياد قوة دمشق ، غير الاسبتاريه رأيهم ، ووافقوا على الانضمام الى التحالف الصليبى الدمشقى — وربما حفزهم على تغيير سياستهم ايضا ما حدث من استعانة الملك الصالح ايوب ، سلطان مصر ، بجموع الخوارزميه الذين استولوا ، فى ١١ يوليه سنة ١٢٤٤ ، على مدينة بيت المقدس من الصليبيين وقتلوا بضعة الاف من سكانها المسيحيين(٢) . وعلى اى حال فقد حلت بهيئة الاسبتاريه كارثه كبرى نتيجة تغيير سياستها نحو مصر ، وذلك ان الملك الصالح ايوب انتصر ، متحالفا مع الخوارزميه ، على جيش كبير يتألف من قوى الشام الايوبيه والصليبيه

---

(١) ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٧٢ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٦ ص ٣٢٣ .

(٢) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١٠٤٥ .
ذكر المؤرخ ديلافيل (Les Hosp. en T.S., P.191) بأن الآمر الكبير فى هيئة الاسبتاريه قتل اثناء الدفاع عن المدينه .

المتحالف ضده ، واشترك الاسبتاريه مع ذلك الجيش فى المعركه الكبرى التى دارت رحاها فى ١٧ اكتوبر عام ١٢٤٤ بظاهر مدينة غزه وقتل من الاسبتاريه فى هذه المعركه ثلاثمائة وخمسة وعشرون فارسا ، ومائتان من التركوبليه ، وهم مجموع من اشترك فيها من قواتهم ، فيما عدا ستة عشر فارسا اسبتاريا قدر لهم النجاه [(١)]، هذا على حين وقع السيد الكبير للاسبتاريه وليم شاتونيف Guillaume de Chateauneuf (١٢٤٣ — ١٢٥٨) الذى قاد فرسانه خلال المعركه ، فى اسر قوات سلطان مصر التى اقتادته الى القاهره مع بقية الاسرى[(٢)].

وهكذا استولى الصالح ايوب ، بعد موقعه غزه ، من الصليبيين على مدينتى طبريه وعسقلان ، وهما المدينتان المتبقيتان فى ايديهم من المدن التى تسلموها من سلطان دمشق قبل معركه غزه ، فسقطت طبريه فى يد قوات مصر فى ١٧ يونيه عام ١٢٤٧ فى حين سقطت عسقلان — وكانت تحت حماية الاسبتاريه — فى ١٥ اكتوبر من نفس العام [(٣)]

وحدث فى العام التالى — وعلى وجه التحديد فى ١٧ سبتمبر عام ١٢٤٨ أن وصل الى جزيرة قبرص الملك الفرنسى لويس التاسع ، الذى اشتهر باسم القديس لويس

---

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.191
بمقتضى رواية (Continuation de Rothelin, P.564)
نجا من الاسبتاريه ستة وعشرون • وبمقتضى رواية Archer & Kingsford: The Crus., P.389). نجا منهم تسعة عشر •

(٢) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C.Hist.OC.,T.II, PP.429-430; Continuation de Rothelin, dans R.H.C.Hist.OC., T.II,P.564 Chronique de Templier de Tyr, dans les gestes des chiprois, P.145 •

(٣) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C.Hist. OC., T.II,PP. 432-434-; Chronique de Templier de Tyr, dans les gestes des chiprois, P.146; D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.193.
ابو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ١٧٦ (مع ملاحظة انه لم يذكر شيئا عن دفاع الاسبتاريه عن عسقلان) ، د • سعيد عاشور : الحركه الصليبيه جـ ٢ ص ١٠٤٩ •

على رأس الحمله الصليبيه المعروفه بالسابقه ، وكان ممثلوا الاسبتاريه على رأس مستقبليه في هذه الجزيره الى جانب ممثلي الداويه والقائات الصليبيه الاخرى بالشرق (١) .

وعندما اعلن لويس التاسع انه ينوى الاستيلاء على مصر ايده ممثلوا الاسبتاريه لثقتهم في قدرته على تنفيذ ما نوى ، وهو ما يتفق مع سياسة هيئتهم . ولم يلبث ان انضم فرسانهم بقيادة نائب السيد الكبير ، وهو الأمر الكبير حنارونى J.de Ronay (٢) حيث كان السيد الكبير وليم شاتونيف في اسر مصر منذ معركة غزه عام ١٢٤٤ الى جيش الحمله في مدينة ليماسول القبرصيه ، حيث انضم اليه ايضا فرسان الداويه وقوات عكا الصليبيه وفرسان قبرص ، وسفن جنوة وبيزا . وقد ابحرت الحمله ، بجميع قواتها ، من ميناء ليماسول في ١٣ مايو عام ١٢٤٩ ، واتجهت راسا نحو مدينة دمياط المصريه ، فاستولت عليها في ٦ يونيه (٣) . وعندما حل يوم ٢٠ نوفمبر زحف الصليبيون من هذه المدينه جنوبا بقصد مهاجمة المعسكر السلطاني الايوبي في المنصوره . وقد حاولت طلائع الجيش الصليبي بقيادة اخى الملك ، وهو روبيرت امير دارتوا ، الاستيلاء على المنصوره ، فاندفعت دون تروى داخل المنصوره في ٨ فبراير عام ١٢٥٠ ولكن محاولتها باءت بالفشل ، وقتل معظم افرادها من الفرسان الفرنسيين ، وفرسان الاسبتاريه والداويه ، كما قتل قائد المقدمه الامير دارتوا ، وأختير نائب السيد الكبير لهيئة الاسبتاريه ، حنا رونى ، لابلاغ نبأ مصرعه لاخيه الملك (٤) . وبعد ثلاثة ايام — اى في يوم ١١ فبراير — دارت معركه اخرى

---

(١) انظر : Ch., P.147 Chronique de Templier de Tyr, dans les gestes des

(٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.195

(٣) انظر : Chronique de Templier, dans les gestes de chiprois, P.147.

وعن استيلاء الصليبيين على دمياط يرجع الى :

المقريزى : السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٣٣٦ ، د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١٠٦٠ — ١٠٦١ .

(٤) انظر : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP.195-196.

Walsh: Saint Louis et Son siecle, pp. 157-158,163-164.

امام المنصوره بين جيش الحمله الرئيسى بقيادة الملك لويس ، وجيش الايوبيين لم تسفر عن النصر لاى من الفريقين ، ولكن قتل فيها عدد كبير من الصليبيين من بينهم ضا رونى وجميع فرسان الاسبتاريه الذين اشتركوا معه فى هذه المعركه فيما عدا خمسة وقعوا فى اسر المصريين (١) . وبعد ان ظل الملك لويس معسكرا امام المنصوره الى يوم ٥ ابريل اصدر اوامره بالتراجع نحو دمياط . ولكن حدث عندما وصل الجيش الصليبى ، اثناء انسحابه ، الى فارسكور ان انقض المسلمون على جيشه ومزقوه شر ممزق كما اسروا معظمه . اما لويس التاسع فكان قد اشتد به المرض اثناء القتال فآوى الى دار فى قريه منية ابى عبد الله القريبه من ارض المعركه وظل بها الى ان كبست عليه طائفه من الجند الايوبى المصرى عقب تسليم المعسكر الصليبى وحملته اسيرا الى المنصوره حيث سجن فى دار قاضيها فخر الدين ابراهيم بن لقمان الى ان تم الصلح وتعهد الملك لويس بدفع مبلغ كبير من المال واخلاء مدينة دمياط مقابل اطلاق سراحه ورجاله . وفى ٦ مايو عام ١٢٥٠ تسلم المصريون مدينة دمياط ثم اطلق سراح الملك لويس وكبار الاسرى الصليبيين بعد ان دفعوا مقدم الفديه المتفق عليها فغادروا دمياط فى ٨ مايو ليصلوا الى عكا فى ١٣ مايو (٢) . ومن عكا ارسل الملك لويس سفيرا اسمه حنا الفالنسى Jean de Valenciennes الى مصر مرتين للتفاوض فى امر اطلاق سراح بقية الاسرى الصليبيين الذين حجزوا بها لضمان دفع آخر اقساط الفديه الملكيه ، فضلا عن اسرى معارك الشام التى وقعت قبل غزوة الملك الفرنسى على مصر . وقد اسفرت مفاوضات السفير عن فك اسرهم جميعا ووصولهم الى عكا فى ١٧ اكتوبر عام ١٢٥٠ . وقد بلغ عدد هؤلاء الاسرى العائدين نحو ثمانمائة اسير من بينهم السيد الكبير للاسبتاريه وليم . شاتونيف فضلا عن خمسة وعشرين من فرسان هيئة

---

(١) D. Le Roulx: Les Hop. en T.S., P.196.

(٢) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه جـ ٢ ص ١٠٧٠ ـ ١٠٧٥ ، ١٠٨٣ ـ ١٨٠٤

انظر ايضا : Walsh, PP.164-195.

الاسبتاريه (١) .

وابرز ما قام به الاسبتاريه ، بعد عودة رئيسهم شاتونيف اليهم من الاسر ، اشتراكهم في عام ١٢٥٣ في غزوة صليبيه ناجحه ضد مدينة بانياس التي كانت تابعه للناصر الثاني يوسف الايوبي صاحب حلب ودمشق . ويقال ان الملك لويس التاسع هو الذي خطط لتلك الغزوه من غير ان يسهم فيها (٢) . كما ساعد الاسبتاريه ، في العام التالي ، اي في عام ١٢٥٤ ، امير انطاكيه ، بوهيموند السادس ، في صد غارات الملك الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق ، على امارته (٣) . وقد غادر الملك لويس التاسع ، مدينة عكا ، في ٢٥ ابريل من هذا العام (عام ١٢٥٤) عائدا الى بلاده فرنسا ، ولكنه ترك وراءه فرقة فرنسيه من مائة فارس بقيادة جودفري دي سارجين Geoffroi de Sargines الذي عينه نائبا عنه في الشام (٤) . وقد غزا هذا القائد ، في ٥ يناير عام ١٢٥٦ ، المنطقه الواقعه بين غزه وعسقلان . وكانت هذه المنطقه تابعه للسلطنه المملوكيه التي تاسست في مصر منذ نحو ست سنوات (منذ عام ١٢٥٠) فقام عاملهم على بيت المقدس بالانتقام من الصليبيين بان اغار على الاراضي الصليبيه الواقعه الى الشمال من ارسوف واسر نحو مائتي صليبي من الاسبتاريه والداويه وغيرهم ، فضلا عن اربعه الاف راس من الماشيه . وفي ١٧ مارس (عام ١٢٥٦) قام هذا الحاكم بهجوم فاشل على يافا عقدت في اعقابه هدنه

---

(١) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C.Hist.OC.,T.II P.439; Continuation de Rothelin, dans R.H.C. Hist. OC. T.II, P.625; D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S.,P.197.

(٢) انظر : D.Le Roulx: OP. Cit., PP.197-198; Walsh, P.209.

(٣) D. Le Roulx: OP. Cit., P.198.

(٤) د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١١٠٣

انظر ايضا : Walsh: OP.Cit., P.214

مدتها عشر سنوات وعشرة اشهر وعشرة ايام بين سلطان مصر المملوكى ، الملك المعز أيبك وسلطان دمشق الايوبى ، الملك الناصر يوسف ، طرفا أول ، وامراء الارض المقدسة وكونت يافا ، والاسبتاريه والداويه ، والقائد الفرنسى جودفرى دى سارجين ، طرفا آخر (١)

على ان هذه الاتفاقيه لم يقدر لها الدوام الى ان ينتهى امدها بسبب اصرار السلطان الظاهر بيبرس، الذى تولى عرش السلطنه المملوكيه بالقاهره فى عام ١٢٦٠، على طرد الصليبيين نهائيا من الشام، حتى انه كان يخرج اليهم تقريبا فى كل عام مره (٢). وقد بدأ بيبرس اعماله الحربيه ضد الصليبيين فى عام ١٢٦١ بمهاجمة انطاكيه . ثم كرر الهجوم عليها فى صيف عام ١٢٦٢ ، ولكن اقتراب المغول — الذين استدعاهم هيثوم الاول ملك ارمينيا — اجبره على التراجع (٣). وفى عام ١٢٦٣ خرج بيبرس الى فلسطين ونزل على جبل الطور قريبا من الناصره . وقد ذهب اليه ممثلوا الاسبتاريه والداويه وكونت يافا وطلبوا منه الصلح فرفض وقامت قواته بتدمير كنائس الناصره والطور والخواجى وبتخريب المنطقه الواقعه بين مدينة الناصره وساحل البحر . وفى منتصف شهر ابريل من ذلك العام ، هاجم بيبرس مدينة عكا ولكنها استعصت عليه فغادرها الى بيت

---

(١) انظر : Continuation de Rothelin, dans R.H.C.Hist. OC.,T.II, PP.630-633, D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S.,pp. 198-199.

(٢) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الظاهر بيبرس ص ٥٩ ، محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره ص ٧٥ .

(٣) انظر Chronique de Templier de Tyr, dans les gestes des Chiprois P.167.

ودكتور سعيد عاشور / الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١١٤٢

المقدس ومنها الى مصر (١).

وقد قام الاسبتاريه ، فى عام ١٢٦٤ ، بدور ملحوظ فى عدد من الاعتداءات الصليبيه على المدن الاسلاميه بالشام ردا على غزوات بيبرس فى الاعوام السابقه فاشتركوا فى ١٠ يناير من ذلك العام ، مع فرسان الداويه ، فى شن هجوم مفاجئ وناجح على قلعة اللجون بالقرب من جينين . وفى ١٥ يونيه تعاونوا مع الداويه وفرسان عكا فى نهب وتخريب عسقلان . ثم اشتركوا فى ٥ نوفمبر مع هذه الفئات الصليبيه ، بالاضافه الى فرقة صليبيه فرنسيه وفدت حديثا الى عكا بقيادة اوليفييه دى تيرم :
Olivier de Termes فى نهب بيسان (٢).

وكان من الطبيعى ان يتحرك بيبرس لوقف هذه الاعتداءات وتاديب القائمين بها وفيما يتعلق بالاسبتاريه فقد انتزع منهم ، فى ٢٩ ابريل ١٢٦٥ ، قلعة ارسوف بعد حصار لها دام اربعين يوما (٣) ، وقتل خلاله نحو تسعين فارسا اسبتاريا واسر ما يقرب

---

(١) L'Estoire de Eracles, OP.Cit, P.447; Chronique de Templier de Tyr, OP. Cit., P.169. ; D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.218; Grousset III. , PP. 622-623

وقد أفاض المقريزى (السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٤٨٣ــ٤٨٧) فى شرح هذه الاحداث بما فيها اتصال الفرنج ببيبرس من غير ان يذكر ان الاسبتاريه ضمن هؤلاء الفرنج .
وكذلك أشار العينى (عقد الجمان : القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين ص ٢١٩) الى هذه الاحداث ولكن من غير ان يذكر شيئا عن اتصال الفرنج ببيبرس . انظر ايضا : د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١١٤٤ .

(٢) انظر: L'Estoire de Eracles: OP.Cit., P.449; Grousset III, PP.623-624.

(٣) انظر: L'Estoire de Eracles: OP. Cit., P.450; Chronique du Templier: OP. Cit. P.171; grousset III, P.624.

العينى : عقد الجمان (القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين) ص (٢٢٠ــ٢٢١) ، د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١١٤٥ .

من المائه والثمانين (١)، كما استولى منهم فى العام التالى ،اى فى عام ١٢٦٦، علــى حصن هونين (٢).

وقد حدث ان وصل الى عكا ، فى اغسطس عام ١٢٦٦ ، وكيل مملكة قبرص المدعــو هيولوزجنان ، على رأس فرقة من الفرسان القبارصه ، فتقوى بهم الصليبيون فى فلسطيــن وخرجوا معهم — فى شهر اكتوبر — لغزو طبريه . غير ان قوات المماليك بحصن صفد — وهو حصن داوى استولى عليه بيبرس منذ ثلاثة شهور فقط ، اى فى يوليه عام ١٢٦٦xx — تصدت لهم فى سهل عكا وطبريه ودحرتهم وقد قتل فى هذه المعركه اكثر من خمسمائة صليبى (٣)، من بينهم نحو خمسة واربعين فارسا اسبتاريا بالاضافه الى نائب السيد الكبير لهيئــــة الاسبتاريه الآمر الكبير اسطفانوس دى ميز Etienne de meses (٤)

---

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.219; Flandin , P.173

(٢) انظر: D. Le Roulx: Loc. Cit.; King, P.261.

(٣) انظر : Chronique du Templier de Tyr, OP. Cit. , PP.181-182; L'Estoire de Eracles T.CE,CIE. , PP.454-455; Amadi, P.208.

العينى : عقد الجمان (القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعه مؤرخى الحــــروب الصليبيه الشرقيين) ص ٢٢٤ — ٢٢٥ علما بأنه لم يذكر عدد القتلى من الصليبييـن ولم يشر الى دور الاسبتاريه .

(٤) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.219.

xx عن سقوط صفد انظر : العينى : عقد الجمان (القسم الاول من الجزء الثانى مـــن مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين) ص ٢٢٢ — ٢٢٣ ، المقريزى : السلـوك ج (قسم ٢ ص ٥٤٦ — ٥٤٨ .

وبالرغم من ان بيبرس عقد صلحا فى عام ١٢٦٧ مع الاسبتاريه فى حصنى الاكراد والمرقب بامارة طرابلس مدته عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشر ساعات (١)، فقد حاول فى اواخر ديسمبر عام ١٢٦٩ الاستيلاء على المرقب ولكنه فشل . وبعد شهر اى فى اواخر يناير عام ١٢٧٠ — قاد كذلك هجوما فاشلا على حصن الاكراد (٢) . ولكنه ظهر مره اخرى ، فى ١٨ فبراير عام ١٢٧١ امام حصن الاكراد (٣) ، وظل على حصاره الى ان استولى ، فى ٣٠ مارس ، على جانب منه ، ثم بعث الى افراد حامية الاسبتاريه خطابا مزورا على اعتبار انه مرسل اليهم من السيد الكبير لهيئتهم يامرهم فيه بتسليم بقية الحصن ، فالقوا سلاح المقاومه و تفاوضوا مع السلطان فى شروط التسليم (٤) الذى تم فى ٨ ابريل (٥) . وما ان تسلم بيبرس حصن الاكراد حتى هرعت اليه رسل الاسبتاريه فى المرقب تطلب منه الصلح فعقد معهم اتفاقيه مدته عد تها عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام تبدأ من ٣ أبريل

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ١٤ ص ٣١ — ٣٩ ؛ العينى : عقد الجمان (القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين) ص ٢٢٥ .

(٢) انظر : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.222.

(٣) انظر : Chronique du Templier de Tyr: OP.Cit., P.199; L'Estoire de Eracles, Op. Cit., P.460.

ابو الفدا : المختصر ج ٤ ص ٦

(٤) انظر : King, P.270.

علق د . سعيد عاشور (الظاهر بيبرس ص ٧٨) على قصة خدعه الخطاب المزور بقوله " على الرغم من عدم وجود اشاره فى المراجع العربيه الى تلك الخدعه .. الا انه لا يوجد ما يمنعنا من الاعتقاد فى صحة الروايه الصليبيه ، ولا سيما وان بيبرس سبق أن اتبع اسلوب الرسائل المزوره فى الاستيلاء على حصن الشقيف ارنون سنة ١٢٦٨ " .

(٥) انظر : Chronique du Templier de Tyr, OP.Cit., P.199, D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.223;

يذكر العينى (عقد الجمان — فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين ج ٢ قسم ١ ص ٢٣٧ — ٢٣٨) ان بيبرس بعد ان تسلم حصن الاكراد ارسل خطابا الى مقدم الاسبتار يفتخر فيه بنصره على حامية الحصن

سنة ١٢٧١(١)، على ان هذه الاتفاقيه كانت خاصه بحصن المرقب وحده ، ولهذا استولى بيبرس ، فى الشهر التالى — اى فى ١٢ مايو سنة ١٢٧١ — على حصن آخر للاسبتاريه فى امارة طرابلس هو حصن عكار(٢)، وقام الاسبتاريه من جانبهم ، بعد ذلك بنحو شهرين ، اى فى يوليه عام ١٢٧١ ، بالاغاره — مشتركين مع فرقه من الصليبيين الانجليز وفدت حديثا الى عكا بقيادة الامير ادوارد ابن ملك انجلترا هنرى الثالث ، بالاضافه الى فرسان عكا والداويه — على اللد والرمله(٣)، وعلى ضيعه قريبه من عكا اطلق عليها الصليبيون اسم ضيعه القديس جورج(٤)، كما اشتركوا مع تلك القوى الصليبيه عينها — مضافا اليها فرقه صليبيه من فرسان قبرص بقيادة هيو الثالث ملك قبرص وحامل لقب ملك بيت المقدس — فى ٢٤ نوفمبر من نفس العام ، فى مهاجمة حصن قاقون بارض قيساريه من غير التوصل الى الاستيلاء عليه(٥).

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ١٤ ص ٤٢ — ٥١ ، العينى : عقد الجمان (مجموعه مورخى الحروب الصليبيه الشرقيين ج ٢ قسم ١) ص ٢٣٨ — ٢٣٩ ، مفضل بن ابى الفضائل : كتاب النهج السديد ص ١٨٩ — ١٩٠ (فى : محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس ص ٩١) .

(٢) ابو الفدا : المختصر ج ٤ ص ٦ ، العينى : عقد الجمان (مجموعه مورخى الحروب الصليبيه الشرقيين ج ٢ قسم ١) ص ٢٤٢ — ٢٤٣ ؛ بيبرس الدواداار : زبدة الفكره فى تاريخ الهجره ج ٩ ورقه ٩٧ (فى : محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس ص ٩١) .

(٣) انظر : King, P.272

(٤) انظر : Chronique de Templier de Tyr, Op. Cit? P.200.

(٥) انظر : Ibid: Loc. Cit.
مفضل بن ابى الفضائل : كتاب النهج السديد ص ٢٠٤ — ٢٠٥ (فى : محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس ص ٩٤)

وكان هذا العمل الاخير هو آخر لقاء ، فيما يعرف ، بين الاسبتاريه والسلطنه المملوكيه فى عهد بيبرس ، حيث ان السلطان وافق بعد مباشره على عقد الصلح مع هيو الثالث بناء على طلب الاخير (١) ، ولم ينقض هذا الصلح ، حتى وفاته فى عام ١٢٧٧ لانشغاله اذاك عن الصليبيين بحرب التتار وغزو حصون طائفه الاسماعيليه ولامتناع الصليبيين من جانبهم عن الاغاره على الاراضى المملوكيه .

ولكن حدث فى عام ١٢٨٠ ان انتهز فرسان الاسبتاريه بحصن المرقب فرصة الذعر الذى حل بشمال الشام — وبخاصه منطقة حلب — اثر عدوان مغولى وقع عليها انذاك (اكتوبر ١٢٨٠) ، فخرجوا من حصنهم المرقب واعلنوا النهب والسلب فى المنطقه . وبالرغم من قلة عددهم ، اذ كانوا لا يزيدون عن مائتى فارس ، فقد انتصروا على جيش مملوكى قدر كاتب داوى من صور عدده بخمسة الاف فارس ، خرج من حصن صافيتا لقطع طريق العوده عليهم ، ولم يكلفهم هذا النصر ، بمقتضى رواية هذا الكاتب الداوى ، سوى قتيل واحد من طائفة توابع الفرسان (Frères Sergants) (٢) ، وهى رواية المبالغه فيها واضحه . وقد اراد قائد حصن الاكراد المملوكى ، وهو الامير بلبان الطباخى ، باوامر من السلطان المملوكى الحاكم انذاك فى القاهره ، وهو السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون (٣) (١٢٧٩—١٢٩٠) ، ان ينتقم من الاسبتاريه

---

(١) العينى : عقد الجمان (مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين ج ٢ قسم ١) ص ٢٤٧ ، د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١١٥٩ .

انظر ايضا : Lane-Poole: A Hist.of Egypt in the middle ages, P.269.

(٢) انظر : Chronique du Templier de Tyr, OP.CIt, P.208.

انظر ايضا : D. King, P.282

(٣) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١١٦٦ .

على هذا العدوان ، فهاجموا في حصنهم المرقب بجيش مؤلف من سبعة الاف فـــارس مملوكي خلال الشتاء ، ولكنهم استطاعوا — رغم ان عددهم وقتذاك كان لا يزيد عن السمائة فارس ان يدفعوا قائد حصن الاكراد عن حصنهم في فبراير عام ١٢٨١ بخسائر في جانبهم بلغت ثلاثة عشر قتيلا ، احدهم فارس والباقون من طائفة توابع الفرسان (١).

ومن حسن حظ الاسبتاريه ان السلطان قلاوون كان يستعد انذاك للدخول في جوله عسكريه ضد المغول بشمال الشام (٢)، وآثر ان يتهادن مع الفئات الصليبيه المقيمه في هذه المنطقه ليأمن جانبها ويضمن حيادها ، ولذا عقد في اوائل الصيف من ذلـــك العام — اى في عام ١٢٨١ — صلحا مع كل من الاسبتاريه وامير طرابلس مدته عشر سنيــن وعشرة اشهر وعشرة اسابيع وعشرة ايام ، تبدأ بالنسبه للاسبتاريه في ١٣ مايو عام ١٢٨١ (٣) وبالنسبه لطرابلس في ٩ يوليه (٤).

---

(١) انظر : Chronique du Templier de Tyr, OP.Cit. , PP.209-210

علما بأن هذا المؤرخ ذكر الواقعه خطأ ضمن احداث عام ١٢٧٩ . وفيما يتعلق بالتاريخ الصحيح انظر : د . سعيد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١١٦٦ ؛

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.232.

(٢) انظر : Chroniqur du Templier de Tyr, dOPs Cit. P.210

(٣) المقريزى : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٩٧٤ — ٩٧٧ (ملحق رقم ٦ — وهو منقول من كتاب " بيبرس المنصورى الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ج ٩ ص ١٢٤ وما بعدها)

(٤) انظر : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.232; King, P.282

ولقد انتصر قلاوون على المغول فى ٣٠ اكتوبر عام ١٢٨١ بالقرب من حمص ، واعلن بعد عودته الى دمشق عن عزمه على غسل عار الهزيمه التى لحقت بحامية حصن الاكسراد امام المرقب وعلى استئناف الجهاد الاسلامى ضد كافة الصليبيين . وتدل الخطابات التى ارسلها كل من نقولا لورن nicolas Lorgne السيد الكبير لهيئة الاسبتاريه ، ويوسف دى كانسى Joseph de Cancy رئيس الخزانه فى هذه الهيئه ، الى الملك الانجليزى ، ادوارد الاول ، فى مارس عام ١٢٨٢ ، على مدى ما اصاب فرسان الاسبتارية انذاك من ذعر ، وعلى حاجتهم الماسه للرجال والمؤونه والسلاح . وقد طلب الرئيس الاسبتارى ورئيس الخزانه من الملك الانجليزى المساعده الماديه ، والتدخل لدى شارل انجو ، ملك صقليه ، وحامل لقب ملك بيت المقدس ، لالغاء قرار الحظر الذى فرضه على تصدير الخيول والمؤونه للاسبتاريه من ثغور ايطاليا الجنوبيه . غير ان رد ادوارد الاول — الذى كتبه بتاريخ ٢٠ مايو عام ١٢٨٢ — لم يتضمن ، بخلاف الشكر على اخباره باحداث الشام ، سوى تقديم الوعد بحماية املاك الاسبتاريه فى انجلترا (١). ويبدو ان وصول هذا الرد المخيب للامال هو مادعا السيد الكبير للاسبتاريه ، نقولا لورن والزعماء الصليبيين الآخرين فى عكا وصيدا وعثليث ، وهم وكيل مملكة عكا ، والسيد الكبيرلهيئة الداويه ، فضلا عن نائب هيئة التيوتون ونارسين من فرسان المملكه ، الى السعى لدى قلاوون فى طلب الصلح (٢) ، الذى عقده معهم السلطان فى ٣ يونيه عام ١٢٨٣ . وبالرغم

---

(١) انظر: D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP.233-234.
وقد نشر المؤرخ ديلافيل خطابى السيد الكبير للاسبتاريه وامين خزانة الاسبتاريه الى الملك ادوارد الاول ، ورد هذا الملك على امين الخزانه فى كتابه :
Cart. III, nos. 3781, 3781, 3788,3790.

(٢) الاتفاقيه منشوره فى : المقريزى : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٩٨٥ — ٩٩٥ ملحق رقم ٨ ،
القلقشندى : صبح الاعشى ج ١٤ ص ٥١ — ٦٣ .
وعن اسماء المتعاقدين الصليبيين ارجع الى :

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.234.

من ان مدة هذا الصلح كانت عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشر ساعات فقد حاصر قلاوون في ١٧ ابريل عام ١٢٨٥ حصن المرقب، وظل على حصاره حتى استولى عليه في ٢٥ مايو من نفس العام، وسمح لحاميته الاسبتاريه بالانتقال منه في امان الى مدينتي انطرسوس وطرابلس القريبتين (١). وفي ١٧ مارس عام ١٢٨٩ حاصر قلاوون مدينة طرابلس نفسها. وكان للاسبتاريه في هذه المدينه برج شيدوه حديثا، فدافعوا عنها بفرقة كبيره من فرسانهم بقيادة " المارشال " الاسبتاري متى كليرمونت، الى جانب جميع فئات الصليبيين بالشام التى هبت لنجدتها، ولكن طرابلس مع ذلك لم تستطيع الا ان تستسلم للسلطان في ٢٦ ابريل عام ١٢٨٩ وهرب حماتها الى عكا عن طريق البحر تاركين وراءهم عددا كبيرا من الاسرى والقتلى من بينهم بعض فرسان الاسبتاريه (٢).

وبعد ايام قلائل استولت العساكر السلطانيه على حصن انفه الذى يملكه الاسبتاريه على بعد ثلاثة فراسخ من مدينة طرابلس (٣)، وبذلك لم يتبق للاسبتاريه حصون او املاك اخرى في الشام يدافعون عنها سوى آمريتهم او دائرتهم في مدينة عكا. وقد تجمع في هذه الامريه جميع فرسان واعضاء الاسبتاريه الذين طردوا من حصونهم المختلفه بالشام على ايدى السلطانين بيبرس وقلاوون، فضلا عن استطاعت بيوت الاسبتاريه المختلفه

---

(١) انظر Chronique du Templier de Tyr, OP. Cit., PP.217-218 amadi, P.216.

مع ملاحظة ان هذين المؤرخين ذكرا خطأ ان تاريخ الاستيلاء على الحصن هو ٢٧ مايو : اما التاريخ الصحيح فذكره ابو الفدا (المختصر ج ٤ ص ٢٣) وهو الساعه الثامنه من نهار الجمعه تاسع عشر ربيع الاول سنة اربع وثمانين وستمائة، ويوافق ٢٥ مايو ١٢٨٥ علما بأن ابا الفدا ذكر بأنه حضر حصار الحصن شخصيا، وعمره انذاك ١٢ سنه .

(٢) انظر : Chronique du Templier de Tyr, OP.Cit. , pp.236-237

مع ملاحظة انه اورد الواقعه خطأ تحت تاريخ عام ١٢٨٨ . اما التاريخ الصحيح فقد اخذناه من المؤرخ العربى ابى الفدا الذى حضر الحصار بنفسه على حد قوله (ابو الفدا : المختصر ج ٤ ص ٢٣) . انظر ايضا المقريزى : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٤٧ .

(٣) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.241.

في الغرب ان ترسله اليها من الفرسان بناء على استدعاء خاص من السيد الكبير للهيئه انذاك حنا فليير Jean de Villiers (١)، بحيث اصبح للاسبتاريه في تلك المدينه ما يقرب من الستمائه فارس وجندى ، وهو ضعف عدد فرسان وجند الداويه فيها (٢).

وكان السلطان قلاوون قد اعد حملة في عام ١٢٩٠ لفتح عكا ، ولكنه توفى في شهر نوفمبر قبل ان يخرج اليها ، فتولى ابنه وخليفته الملك الاشرف صلاح الدين خليل اداء هذه المهمه (٣). وقد بدأ السلطان خليل في ضرب اسوار المدينه بالمجانيق منذ ان وصل اليها في ٥ ابريل عام ١٢٩١ (٤). وعند ما شن عليها هجوما عاما في ١٦ مايو استبسل الاسبتاريه في الدفاع عنها جنبا الى جنب مع الفئات الصليبيه الاخرى فلم يمكنوا الجيش المملوكى المهاجم من الاستيلاء عليها . ولكن المماليك — بعد يومين اثنين — اى في ١٨ مايو ، شنوا هجوما آخر اكثر عنفا انتهى باستيلائهم على المدينه. وقد قتل واسر في هذا الهجوم معظم فرسان الاسبتاريه وعلى راسهم القائد المشير — (المارشال) متى كليرمونت الذى خر صريعا بالقرب من شارع الجنويه بعد ان اثارت شجاعته وبطولته اعجاب الجميع . اما السيد الكبير حنا فليير فقد جرح في المعركه ونقل الى احدى السفن الراسيه في الميناء . فلما لحق به من استطاع النجاه — هذا اليوم — من فرسان هيئته ، وعددهم سبعة ، على ما قيل ، اقلعت بهم السفينه الى جزيرة قبرص حيث منحهم ملكها هنرى الثانى لوزجنان حق الاقامه في مدينه ليماسول الواقعه على

---

(١) انظر : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S. PP: 241 - 242, Ibid: Cart.III, nos. 4050,4102.

(٢) انظر : Farochon, P.56.

(٣) وصل الى عكا في اغسطس عام ١٢٩٠ مجموعه من الصليبيين الايطاليين ، وذبحوا من وجدوه فيها من التجار المسلمين — الذين كانوا قد دخلوها بمقتضى صلح عام ١٢٨٣ وعددا من السريان المسيحيين حسبوهم مسلمين . وكان ان اخذ قلاوون في تعبئة جيوشه في مصر ، وامر الامير شمس الدين سنقر الاعسر بالاستعداد للحرب في الشام انظر المقريزى : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٥٣ — ٧٥٤ ، د. سعيد عاشور: الحركه الصليبيه ج ٢ ص ١١٧٨ — ١١٨١ ، Grousset III, PP.747-751.

(٤) انظر : Ibid, P.751.

ساحلها الجنوبى (١).

الاسبتاريه فى قبرص : (١٢٩١ _ ١٣١٠) :_

ولم يلبث السيد الكبير حنا فلبير ان استقبل فى هذا الميناء القبرصى عددا كبيرا من اعضاء هيئته الذين استدعاهم من بيوت الاسبتاريه فى اوربا للتشاور معهم فى امر مستقبل هذه الهيئه، واعادة تنظيمها (٢). وقد طالب فريق منهم بانتقال الهيئه الى احد موانى ايطاليا لاستحالة بقائها بجزيرة قبرص فى ظل القوانين المجحفه، التى اصدرها الملك القبرصى هنرى الثانى لوزجنان، وحرم فيها على الاسبتاريه والداويه امتلاك ارض وعقار فى جزيرته، كما فرض عليهم دفع ضريبه الرأس، هذا بالاضافه الى ان ميناء ليماسول الذى سمح لهم بالاقامه فيه، ضيق ولا يوجد به سوى حصن واحد صالح لصد غارات القراصنه (٣).

غير ان السيد الكبير حنا فيليبر، وقدامى الاسبتاريه، نبذوا بحزم فكرة الانتقال من قبرص، لانهم رأوا ضرورة بقاء الهيئه بالقرب من الارض المقدسه الى ان تحين فرصة العوده اليها بقوة السلاح (٤). وعندما تغلب هذا الرأى الاخير، اتفقوا فيما بينهم على ان يسلحوا سفنهم التى جاءوا بها من الشام واوربا، حتى يمكن استخدامها فى محاولات العوده فضلا عن حراسه الحجاج الاوربيين فى البحر (٥)، وحماية سواحل

---

(١) انظر: D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP.243-244; Farochon, PP.55-59

(٢) انظر: Vertot II, PP.1-2, ; Fl ndin, P.79.

(٣) انظر: Vertot II, PP.II, 24; Flandin, PP.79-80.

وعن القوانين القبرصيه المجحفه بالاسبتاريه والداويه انظر ايضا: Hill II, PP.198-199

(٤) انظر: Vertot II, P.11; Flandion, P.80

(٥) انظر: Vetrtot II, PP.11-12.

قبرص وارمينيه (١).

وهكذا تشكلت نواة القوه البحريه للاسبتاريه ، وهى القوه التى ازدادت تبعـــة لاضافة سفن جديده اليها عن طريق صناعتها او عن طريق اسر بعض سفن المسلمين • وقــد ترتب على تحول الاسبتاريه الى النشاط البحرى ان اضطروا الى البقاء ، فترات طويلـــه فى البحر بعيدا عن رقابة رؤسائهم فى ليماسول ، فاستهانوا بنظام الهيئه وقانونها ، كما استباحوا لانفسهم غنائم الاسطول بدلا من تسليمها الى خزانة هيئتهم ، كما تقضـــى بذلك قوانينهم ، فعاشوا بهذه الغنائم حياة مترفه متحلله من قواعد الاخلاق ، مما شجع ملكى انجلترا والبرتغال على مصادرة أملاك الهيئه فى بلديهما ، واضطر البابا كلمنتين الخامس الى ان يذكر اعضاء هذه الهيئه بصفتهم الدينيه ، ويحثهم على التزام قواعد قانونهم الـتى تقضى بالفقر والطاعه والعفه (٢).

وكان لابد للسيد الكبير حنا فيليبير من ان يتدارك الامر ، فعقد فى مدينة ليماسول مؤتمرين عامين لاعضاء هيئته ، احدهما بتاريخ ٦ اكتوبر عام ١٢٩٣ (٣)، والثانى فـــى ٢٠ اكتوبر عام ١٢٩٣ (٤)، اتخذ فيهما ما يلزم من قرارات لعلاج هذا الخلل • وقد استمـــرت هذه الحركه الاصلاحيه فى عهد السيد الكبير أود دى بنز Eudes des Pins الذى خلف حنا فيليبير بعد وفاته فى نهاية عام ١٢٩٣ ، او اوائل عام ١٢٩٤ — ولكنهــا اتجهت الى الرغبه فى الحد من السلطات الواسعه التى كان يتمتع بها السيد الكبير للهيئة (٥)

---

(١) فى ٢٣ يناير عام ١٢٩٣ اصدر البابا نقولا الرابع امرا الى السيد الكبير للاسبتاريـــه حنا فيليبير باستخدام سفن الاسبتاريه فى الدفاع عن مملكتى ارمينيا وقبرص • انظر : D. Le Roulx: Cart. III no. 183,

(٢) انظر : Vertot II, pp.12-18; Flandin, PP.81-83.

(٣) انظر : D.Le Roulx: Cart. III, no. 4194

(٤) انظر : Ibid: , no. 4234.

(٥) انظر : Ibid: Les Hosp. en T.S., PP.244-248.

وكانت تصرفات السيد الكبير أود ، في الواقع ، احد العوامل الرئيسيه لهذا الاتجاه في الحركه الاصلاحيه ، اذ كان راهبا طاعنا في السن امضى وقته كله في التعبد والصلاه ، في حين اهمل واجباته الاخرى كرئيس لهيئة حربيه اكثر مما هي دينيه او خيريه • وقد طلب منه كبار اعضاء هيئته ان يولى اهتماما خاصا بمعالجة مشاكلهم العاجله مثل اعادة النظام وسيطرة القانون داخل الهيئه ، والسعي لدى ملك قبرص لكي يرفع عنهم ضريبة الرأس ويسمح لهم ببناء البيوت اللازمه لاقامة زملائهم الوافدين باستمرار من الغرب ، وكذلك الاتصال بملكي انجلترا والبرتغال لكي يرفعا عن املاك الاسبتاريه في بلديهما قوانين المصادره ، وتوجيه مزيد من العنايه لاسطول الاسبتاريه الذى اصبح يشكل المورد الحقيقي الثابت لدخلهم بعد ان فقدوا املاكهم في الشام ، ورهنوا الجانب الاكبر من ارضهم وعقارهم في الغرب لمواجهة اعباء الدفاع في السنوات الاخيره لهم بالشام (١)

غير ان السيد الكبير اود تجاهل رغباتهم ، فرفعوا ضده شكوى الى البابا بونيفيس الثامن ضمنوها مشروعا للاصلاح طلبوا من البابا ان يوافق عليه • ويقضى هذا المشروع بانشاء مجلس دائم للرئاسه يتكون من ستة اعضاء (definitors) يمثل كل منهم احدى الطوائف القوميه او الجنسيات التي تتألف منها هيئة الاسبتاريه ، على ان يمثل السيد الكبير الجنسيه السابعة التى ينتمى اليها • واقترح المشروع ان يمنح هذا المجلس سلطات واسعة تسمح له بمساعدة السيد الكبير في اعماله ، ومراقبة تصرفاته ومشاركته في اصدار القرارات الهامه (٢) • وقد رد البابا على هذه الشكوى بخطاب تاريخه ٢٨ اغسطس

(١) انظر : Vertot II, PP.28-29; Flandin, P.84

(٢) انظر: D.Le Roulx: Cart. III, no. 4267; Ibid: Les Hosp. en T.S., P.248; Hill II, P.200

عام ١٢٩٥ (١) ، امرفيه السيد الكبيراود بنبذ اخطائه السابقه ، والبدء في العمل على الدفاع عن مصالح هيئته • وعندما استلم اود هذا الخطاب استعد للسفرالى روما لتبرئة نفسه امام البابا ، ولكن المنيه عاجلته بمدينة ليماسول ، في ١٧ مارس سنة ١٢٩٦ ، وهو على وشك القيام برحلته (٢) •

وكان ان اختار الاسبتاريه ، في ٢٦ مارس سنة ١٢٩٦ ، رئيس شعبه سان جيل المدعو وليم دى ڤيلاريه Guillaume de Villaret سيدا كبيرا لهيئتهم خلفا لاود (٣) • وارسلوا اليه ، مع قرار اختياره ، خطابا ضمنوه مآخذهم على السلطه المطلقه للسيد الكبير ، وطلبوا منه بذل الجهد للقضاء عليها (٤) • غيران وليم دى ڤيلاريه ، بدلا من ان يشرع فورا في معالجة هذه المآخذ ، اضاف اليها واحده اخرى حين اعلن انه ينوى ان يصرف شئون هيئته من مقره في بروفانس بفرنسا وعدم السفر الى قبرص ، وهو ما يخالف قانون الهيئه الذى يلزم السيد الكبير بالاقامه في مركز الهيئه • وما لبث السيد الكبير وليم ان اتبع ذلك بمخالفة اخرى للقانون والتقاليد في هيئة الاسبتاريه ، وهى استدعائه لفرسانه لحضور مؤتمر عام يعقد برئاسته في مدينة افنيون بفرنسا في اول اغسطس عام ١٣٠٠ • وعندئذ أرسل اليه اعضاء مجلس الاداره المقيمون في ليماسول سفارة مؤلفه من وليم دى شو Guillaume de Chaus ، وحنا اللاذقى Jean de Laodice عرضت عليه وجهة نظرهم بضرورة حضوره الى مركز الهيئه

---

(١) انظر : D.Le Roulx: Cart.III, no. 4293; Ibid: Les Hosp. en T.S., P.248.

(٢) انظر : Amadi, P.233; Hill II, P.200

(٣) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.251.

(٤) الخطاب موجه اليه من المؤتمر العام لهيئة الاسبتاريه ، وتاريخه ٣ ابريل عام ١٢٩٦ ونشره D. Le Roulx: Cart. III, no. 4310.

في ليماسول • وقد تدخل البابا بونيفيس الثامن ، وكبار الاسبتاريه مديرو بيوت الهيئه في فرنسا وايطاليا ، لصالح وجهة نظر مجلس الاداره بعد ان وصلتهم خطابات منه بذلك حملها اليهم المبعوثان • واخيرا انتهت الازمه بتراجع السيد الكبير وليم عن موقفه وموافقته على السفر الى قبرص (١) •

وفي تلك الاثناء كان الاسبتاريه في قبرص يدبرون ، مع الداويه والملك القبرصي هنري الثاني لوزجنان ،لتوجيه حمله مشتركه الى مصر والشام ،فتنتهزون فرصة الهزيمه التي منى بها السلطان المملوكي ،الناصر محمد بن قلاوون ،على يد صديقهم المغولي غازان ، خان مغول فارس ،وحلفائه من الارمن ، في موقعه حمص (عام ١٢٩٩ (٢)) • وقد اقلعت الحمله المشتركه ــ وعدتها ست عشرة سفينه كبيره وبضعة سفن صغيره ــ من ميناء ليماسول ، في ٢٠ يوليه عام ١٣٠٠ (٣) ، بعد وصول السيد الكبير وليم مباشرة الى هذا الميناء (٤) ، واتجهت راسا الى مصر حيث نهبت مدينة رشيد والمواقع الساحليه الاخرى حتى مدينة الاسكندريه غربا ، واسرت سفينه للمغاربه • وانتقلت الحمله بعد ذلك الى ساحل الشام ،فقامت بغزوات فاشله في عكا ثم انطرسوس ، وعندما وصلت الى ميناء مرقيه نزل فيه الاسبتاريه ، بقيادة نائب السيد الكبير ،واحتلوا مراكزهم القديمه به • ويعتقد ايضا ان الاسبتاريه وصلوا ، بمساعدة فرقة مغوليه ، الى مدينة بيت المقدس ،واحتلوها فتره قصيره من الزمن ، ثم ارغموا على الجلاء عنها عندما استدعى غازان خان فرقته لاضطراره

---

(١) انظر : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S.,PP.253-258.

(٢) انظر : Ibid: Op. Cit., P.258.

(٣) انظر : Chronique du Templier de Tyr: OP.Cit., P.303.

(٤) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP.258-259.

الى العوده الى بلاده لمواجهة ثورة داخليه قامت فيها ضدمولم يلبث ان تم طـــرد الاسبتاريه كذلك من مرقيه ، ورجعوا الى زملائهم الداويه والفارسه في اسطول الحمله امام هذا الميناء ، ثم عادوا ادراجهم بهذا الاسطول الى جزيرة قبرص عن طريـــق ساحل ارمينيه — قيليقيه (١) .

على ان الاسبتاريه وحلفاءهم الفارسه والداويه ، رجعوا مره اخرى الى ساحل الشام في نوفمبر من نفس العام — اى في عام ١٣٠٠ — بعد ان وعدهم غازان بموافاتهم هناك . وكان قوام الحمله الجديده ثلثمائة فارس قبرصي بقيادة عموري لوزجنان ، اخــي مسلك قبرص هنري الثاني ، ومثلهم من فرسان الاسبتاريه والداويه . وقد استولوا فـــي بداية الامر على مدينة انطرسوس فلما تأخر وصول المغول انسحبوا منها وتحصنوا في جزيرة ارواد في مواجهتها . ولم يلبث الغزاة ان علموا بأن الجيش المغولي الذى ارسلـــه غازان الى شمال الشام بقيادة قطلو شاه قد رجع الى بلاده بعد غزوات قليله وهزيمـــة الجندى قام بها بين حلب وحمص ، فانسحبوا بدورهم من ارواد وعادوا الى قبرص ، فيمـــا عدا الداويه ، الذين تحصنوا في جزيرة ارواد ، في قلعة شيدوها لهذا الفـــرض الى ان طردهم الاسطول المملوكي منها في ٢٢ اكتوبر عام ١٣٠٢ (٢) .

ومهما يكن من امرهاتين الحملتين ، فأن مساهمة الاسبتاريه فيهما لم تعطـــل السيد الكبير وليم دى فيلاريه عن بذل اصدق الجهود لدرأ التصدع في نظام هيئتـــه واعادة تنظيمها بما يتلائم مع ظروفها الجديده في قبرص ، وذلك بالتعاون مع المؤتمر

---

(١) انظر : Chronique du Templier de Tyr, OP.Cit., PP.303-306; Amadi, P.236; Hill II, PP.213-214.

علما بأنه لم يذكر واقعة وصول الاسبتاريه الى بيت المقدس سوى المؤرخ فرتـــو (vertot II, P.37) ، وكذا المؤرخ فلاندان (Flandin, P.84) الذى يبدو انه نقل عن فرتو .

(٢) انظر :

Chronique du Templier de Tyr: OP.Cit., P.309, Amadi, PP.237-234, Hill II, PP.214-215;

العام للاسبتاريه ، الذى عقده وليم فى مدينة ليماسول ـ لهذه الغايه ـ خمس مرات منذ وصوله الى هذه المدينه من اوربا عام ١٣٠٠ حتى وفاته فى عام ١٣٠٥ (قبل نوفمبر) بواقع موتمرعام واحد فى السنه خلال شهر اكتوبر او نوفمبر [١] . وكان فى مقدمة الاجراءات التى اتخذتها هذه الموتمرات تحديد سلطات كبار موظفى الاداره المركزيه ، واعادة ترتيب وظائفهم بحسب درجة اهميه كل منها ، بعد ان تقرر انشاء وظيفة امير البحر ـ او الاميرال ـ لقيادة الاسطول ، وازدادت الاهميه الوظيفيه للمشير (المارشال) وهو بمثابة وزير الحربيه داخل هيئة الاسبتاريه ، بحيث اصبح ترتيبه الثالث بعد السيد الكبير والآمر والمراقب الكبير ، وللتركوبلى ـ قائد فرقة الفرسان الخفيفه المعروفه بفرقة التركوبليه ، وهى فرقة مساعده لايتمتع من افرادها بعضوية هيئة الاسبتاريه سوى قائدها التركوبلى [٢] .

ومن الامور الاخرى التى شغلت اذهان السيد الكبير وليم دى فيلاريه وكبار الاسبتاريه ، انذاك ، اصرار الملك القبرصى ، هنرى الثانى لوزجنان على تحصيل ضريبة الرأس منهم ، وعدم رفع القيود التى فرضها على اقامتهم فى جزيرته [٣] . وكان ان اتجه تفكيرهم الى التخلص من مضايقاته بالانتقال من جزيرة قبرص الى موضع آخر يتمتعون فيه بحرية العمل وبقدر اكبر من الاستقلال على ان يكون هذا الموضع قريبا من الشام الذى يأملون فى العوده اليه [٤] .

---

(١) قرارات هذه الموتمرات الخمسه منشوره فى D.Le Roulx: Carta .III,IV تحت التواريخ والارقام التاليه

5 nov. 1300(C.III, No. 4515), 22 oct. 1301 (C.IV, no. 4549), 28 oct. 1302(C.IV, no. 4574), 3 nov. 1303 (C.IV, no. 4612), 23 nov. 1304(C.IV, no. 4672).

(٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP.263-265.

(٣) انظر : Hill II, PP.199, 218.

(٤) لم يفقد الاسبتاريه مطلقا ، حتى بعد ان افلحوا فى اقامة دوله لهم فى رودس ، ثم فى مالطه من بعدها ، الامل فى العوده الى الارض المقدسه ، ولذا احتفظوا معهم دائما بالوثائق التى تعينهم بعد العوده على استرداد ممتلكاتهم التى كانت لهم فيها . انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.244 no. 5

فزو رودس (١٣٠٦ ـ ١٣١٠) :

وقد وقع اختيار وليم دى فيلاريه ومساعديه ـ بالفعل ـ على جزيرة رودس لانها لا تبعد كثيرا عن بلاد الشام ، ولان وقوعها على الطريق البحرى بين اوروبا والشرق يسهل للاسبتاريه مهاجمة السفن التى تحمل السلع الحربيه ، مثل الخشب والحديد والقـــار والـرقيق ، الى مصر (١) ، مركز المقاومه الاسلاميه لاهدافهم فى الشام ، فضلا عن حراسه سفن الحجاج المسيحيين الى فلسطين ، وتقديم المساعدات العاجله الى مملكتى قبرص وارمينيه المسيحيتين (٢) ، عند وقوع هجوم اسلامى عليهما من جانب جيرانهما المماليك او الاتـراك او عندما تريد احداهما ـ او غيرها من دول اوروبا ـ تدبير عدوان صليبى على هـــؤلاء الجيران (٣) . هذا الى جانب ان جزيرة رودس كانت ، انذاك ، من الناحيه الواقعيـــه ، تحت سيطرة الاتراك السلاجقه بقيادة امراء منتشه Mentéché علـــى الساحل الغربى لاسيا الصغرى (٤) ، وهى سيطرة اسلاميه يخشى فرسان الاسبتاريه دفعها بعيدا عن بحرايجه وسواحل آسيا الصغرى ، ومن الناحيه الشكليه تحت حكم الدولـــه البيزنطيه (٥) ، وهى دوله مسيحيه ارثوذكسيه لا يجد الاسبتاريه ، وهم لاتين كاثوليـــك

---

(١) انظر: Chronique du Templier de Tyre, OP.Cit. , PP.319-320.

(٢) انظر : Atiya: The Crusade in the Later middle Ages, P.290.

(٣) انظر : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.276.

(٤) انظر : Heyd I, P.537; Gibbons: The foundation of the Ottoman Empire, P.43; mas - LatrieII , 2, P.60

(٥) انظر: Heyd I, P.537

اى غضاضه فى انتزاع ارضها ولذلك كله فوق ما تتمتع به جزيرة رودس من مميزات خاصه كفيله بأن تساعد فرسان الاسبتاريه على تاسيس دوله قويه لهم فيها ، مثل خصوبة ارضها وتنوع محاصيلها واتساع رقعتها ،وجودة موانيها الطبيعيه ،ومجدها الحضارى القديم (١).

وبعد ان تعرف وليم دى فيلاريه على احوال الجزيره وتحصيناتها ، فى زيارة خاطفه قام بها شخصيا لسواحلها ، عزم على السفر الى اوربا ، لطلب المساعدات اللازمه لتنفيذ مشروعه باحتلال رودس ، من حكامها وخاصه البابا وملك فرنسا ، ولكن المنيه عاجلته فى ليماسول فى عام ١٣٠٥م قبل ان يقوم بهذه الرحله (٢). واختار الاسبتاريه عندئذ ـ ابن اخيه ونائبه فولك دى فيلاريه

Foulques de Villaret سيدا كبيرا لهيئتهم خلفا له (٣)، اعتقادا منهم بأنه اكثر من غيره الماما بمشروع عمه وقدرة على تنفيذه (٤).

وبعد ان فولك دى فيلاريه رأى ان يستشير ،قبل اتخاذ الاجراءات اللازمه لعملية غزو رودس ،قرصانا جنويا ، اسمه فنيولودى فنيولى Vignolo de Vignoli اشتهر بمغامراته ضد الاتراك فى بحر الارخبيل لحسابه الخاص ، او لحساب الامبراطور

---

(١) انظر : D.Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, P.1.

(٢) انظر : Vertot II P.60; Hammer: III , P.271.

(٣) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.267.

(٤) انظر : Vertot II, P.61.

البيزنطى اندرونيق الثانى ـ الذى كان قد منح فنيولو شملا لهذه المغامرات جزيرتى لانجو ،وليروس ، الى الشمال من رودس[(١)] ، فاستدعاه فولك لمقابلته فى جزيرة قبرص[(٢)] ، أوأن هذا القرصان قد وصل الى قبرص من نفسه لعرض خدماته على السيد الكبير للاسبتاريه[(٣)] ، بعد ان استشف نواياه نحو رودس من الزياره التى قام بها سلفه ،وليم دى فيلاريه ،لهذه الجزيره ،او من بعض ا لاسبتاريه المطلعين على بواطن الامور فى هيئتهم ،اثناء قيامهم بحراسة لقافله من الحجاج المسيحيين او بعمل من اعمال القرصنه ضد التحرك عند مدخل بحر الارخبيل مركز نشاط فنيولو .

ومهما يكن من امر ذلك فان السيد الكبير فولك والقرصان فنيولو لم يستطيعا الا ان يجتمعا سرا ،بتاريخ ٢٧ مايو عام ١٣٠٦[(٤)] ، فى كنيسة صغيره اسمها كنيسة القديس جورج الاغريقى ، تقع على الساحل بعيدا عن ميناء ليماسول بنحو ميلين[(٥)] . لان حكومة الجزيره ـ وقتذاك ـ كانت تطارد الجنويه بتهمة القيام باعمال تخريبيه ضد قبرص ، وتشجيع القراصنه على النزول فى اراضيها رغما عن قوانين الجزيره التى تحرم ذلك[(٦)] هذا بالاضافه الى ان حكومة قبرص كانت تنقم على خال للقرصان فنيولو اسمه اندريا موريسكو Andrea Moresco ـ وهو جنوى مثله ـ بسبب قيامه بعمل من اعمال القرصنه ضد الجزيره[(٧)]

---

(١) انظر : Golubovich III, P.144.

(٢) انظر : Chronique du Templier de Tyr: Op. Cit., P.320.

(٣) انظر : Amadi, PP.254-256

(٤) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.273

(٥) انظر : Ibid: OP.Cit., P.275.

(٦) انظر : Amadi, P.255; Hill II, P.201.

(٧) انظر : D. Le Roulx. les Hosp. en T.S., P.273 no. 2.

وقد تم في هذا الاجتماع ، بين فولك وفنيولو ، التوقيع على اتفاقيه (١) تقضي بأن يؤول الى هيئة الاسبتاريه ثلثا دخل الجزر التي يتم الاستيلاء عليها ، بمعاونة فنيولو ، في بحر الارخبيل ، على ان يؤول الثلث الباقي الى هذا القرصان . وقد استثنى من ذلك جزيرة رودس التي تقرر ان تؤول ملكيتها كامله للاسبتاريه بشرط ان يسمح لفنيولو بالاحتفاظ فيها بضيعة كانت قد آلت اليه بمقتضى منحه من الامبراطور البيزنطي اندرونيق الثاني ، وبأن يختار ضيعة اخرى في الجزيره بعد اتمام فتحها . واتفق كذلك على ان تكون جزيرتا لانجو وليرو من نصيب الاسبتاريه بالرغم من ملكيتهما السابقه لفنيولو بشرط ان يعطى هذا القرصان حق تعيين الحكام والموظفين ، واقامة العداله ، في هاتين الجزيرتين ، وفي الجزر المجاوره لهما ، بعد اخذ موافقة السيد الكبير لهيئة الاسبتاريه التي تحتفظ لنفسها في هذه الجزر بحق اصدار الاحكام الخطيره ومنها عقوبة الاعدام .

وبناء على هذا الاتفاق ، ابحر من ميناء ليماسول ، في ٢٣ يونيه عام ١٣٠٦ (١)

---

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP. 274 -276.
صاحب قصة غزو رودس التي اخذ بها المؤرخون دلافيل (الاسبتاريه في الارض المقدسه وفي قبرص ص ٢٧٦ ــ ٢٧٨) ، وعزيز سوريال عطيه (الحرب الصليبيه في العصور الوسطى المتأخره ص ٢٨٨ ــ ٢٨٩] ، هل (تاريخ قبرص الجزء الثاني ص ٢٠١) هو المؤرخ الايطالي القديم امادي ، مع مراعاة انه تكلم على اساس ان واقعة الغزو كلها تمت في عام ١٣٠٨ (ص ٢٥٤ ــ ٢٥٩) . اما عن بدء عمليات الغزو في عام ١٣٠٦ فقد قال به سائر المؤرخين المعاصرين الاخرين ، ومنهم المؤرخ الداوي من مدينة صور
(Chronique du Templier de Tyr, OP.Cit ., P.322).
وجوردان الكذاب Il Pseudo Jordanus ، والاخ المينوريتي
باولينو البندقي Il minorita fr. Paolino Veneto
انظر (Golubovich III, P.L44 ومؤرخ قبرص القديم
بسترون Flor. Bustron (D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S. P.278)
ومن الادله على صحة القول بأن غزو رودس بدأ في عام ١٣٠٦ ان البابا بندكت الحادي عشر اصدر منشورا في ٥ سبتمبر عام ١٣٠٧ صدق فيه للاسبتاريه على امتلاكهم رودس الى

اسطول اسبتاري صغير مؤلف من ست سفن حربيه مختلفه الانواع والاحجام ،على ظهرهـــا خمسة وثلاثون فارسا اسبتاريا وستة من الخياله الخفيفه المعروفين بالتركوبليه وخمسائـــة من الجند المشاه . وعند راس سان بيفاني Cap S. Piphani ، علـــى الساحل الشرقي لجزيرة قبرص ،انضمت الى هذا الاسطول سفينتان جنويتان ،احداهمـا ملك للسيد بادين سبينا Badin Spina والاخرى ملك للسيــد ميخائيل دى لافوتا michiel de La Votta وهما من انصـــار فنيولو . وتوجهت العماره المشتركه ـ عندئذ ـ الى جزيرة قشتيل الروج ، الواقعه بالقرب من ساحـل آسيا الصغرى على بعد مائة ميل شرقي رودس ،حيث القت مراسيها ، وربمـا احتلتها ايضا ،لمدة شهر تقريبا فى انتظار عودة فنيولو من زيارة استطلاعيه قام بها للتعرف على احوال جزيرة رودس . فلما تأخر وصوله ، بسبب وقوعه فى اسر ابن اخته لويـــس موريسكو Loys Moresco اقلع الاسطول متجها الى جزيـرة لاجويلا La Guilla على الطريق الى رودس ،حيـــث التقت به سفينة فنيولو ـ بعد اطلاق سراحها ـ ثم تابع الاسطول سيره الى ان بلـــغ موقعا قريبا من ساحل الاناضول ، فى مواجهة جزيرة رودس ،رسانيه (١) .

وما لبث ان خرج من هذا الموقع القبطانان الجنويان بادين سبينا وميخائيـــل دى لافوتا ، فى سفينتيهما ، لمهاجمة حصن مدينة رودس العاصمه ،على حين تقدمت فرقـة اسبتاريه صغيره ،قوامها فارسان وخمسون من الجند المشاه ،الى جزيرة لانجو ،فاستولت عليها ، ثم ارتدت عنها لعدم تعاون سكانها الاغريق معها (٢) .

---

(١) Amadi, P.256.

(٢) Ibid, PP.256-257.

وفى غضون ذلك هرب من اسطول الغزو جندى اغريقى ،كان ملتحقا بخدمة الاسبتاريه ، وتوجه الى جزيرة رودس حيث افشى سر القبطانين الجنويين بادين سوليا وميخائيل دى لافوتا ،فافسد عليهما خطتهما ،واوقعهما فى مأزق مع الاهالى الذين منعوهما بعد ان افلحا فى اقناعهم بأن زيارتهما للجزيرة كانت كالمعتاد للاستجمام والتزود بالمؤونه (١).

وما كان يحل اليوم السابع عشر من سبتمبر عام ١٣٠٦ حتى ظهر اسطول الغزو بكامل سفنه امام مدينة رودس . ونزلت منه على الفور بعض القوات المسلحه حاصرت حصن هذه المدينه من ناحية البر على حين قام الاسطول بحصاره من ناحية البحر. وبعد ثلاثة ايام – اى فى ٢٠ سبتمبر – استولت فرقه اسبتاريه على حصن فيراكلوس (Pheraclos) وهو حصن قديم متهدم على الساحل الشرقى للجزيره.

ولكن عندما حاول الاسبتاريه – بعد ذلك بخمسة ايام – اى فى يوم ٢٥ سبتمبر اقتحام حصن مدينة رودس اصابهم الفشل . ونظرا لمناعه هذا الحصن، وقوة حاميته البيزنطيه ،وعدم رغبة الغزاة الاسبتاريه فى هدمه او الحاق الاذى بمن فى داخله من الاهالى المسيحيين ، فقد اكتفى الاسبتاريه بتشديد الحصار حوله الى حين وصول تعزيزات اليهم من الرجال والاسلحه طلبوها من قبرص (٢). وفى ١١ نوفمبر وصل الى معسكرهم ،امام حصن رودس ،رسول من قبل القائد الاغريقى الجندى لحصن آخر ، هو حصن فيلرموس (Filermos) الواقع الى القرب من مدينة رودس فوق جبل يحمل نفس الاسم فيلرموس ، عرض عليهم رغبة سيده فى ان يسلم حصنه اليهم بالامان . وقد ارسل الاسبتاريه مع الرسول الاغريقى عددا كبيرا من

---

(١) Amadi, P.257.

(٢) انظر : Ibid, PP.257-258.

قواتهم ، فتسلموا الحصن من قائده وقتلوا حاميته التركيه المؤلفه من ثلثمائة رجل [١].

على ان سقوط حصن فيلرموس في ايدى الاسبتاريه لم يقدم لهم ما يفيدهم في الاستيلاء على حصن مدينة رودس . وقد رأى الاسبتاريه ، بعد مرور عامين من الحصار المحكم حول هذا الحصن ، ان يجدوا طريقا آخر للاستيلاء عليه ، غير طريق استخدام القوه ، هو طريق المفاوضه مع الامبراطور البيزنطى اندرونيق الثانى ، فارسلوا اليه سفيرا عرض عليه الموافقه على ان يحكم الاسبتاريه جزيرة رودس تحت رئاسته العليا ، مقابل تعهد من الاسبتاريه بمده كل عام بثلثمائة فارس ، فضلا عن قيامهم بتطهير جزر الارخبيل من القراصنه الاتراك غير ان الامبراطور رفض هذا العرض (في ابريل عام ١٣٠٨ [٢]) فلم يجد الاسبتاريه امامهم عندئذ سوى الاستمرار في محاصرة حصن مدينة رودس حتى يضطر حماته الى ان يستسلموا لهم .

على ان اهالى مدينة رودس ، عندما احسوا بقرب نفاذ ما لديهم من ذخائر ومؤن بسبب طول هذا الحصار ، ارسلوا مبعوثا الى الامبراطور اندرونيق الثانى ، لابلاغه بأنهم في حاجه الى نجده عاجله منه . وقد استأجر الامبراطور سفينه جنويه ملأها بالاسلحه والمؤن ، وبعث بها الى رودس بقيادة السفير الذى وصل اليه من اهلها . غير ان عاصفه هوجاء اجبرت السفينه على اللجوء الى ميناء فاماجوستا بقبرص ، حيث التقى بها فارس قبرصى اسمه بطرس لجون (Pierre Le Jaune) كان يقود سفينه مسلحه للاسبتاريه ، فاسرها واقتادها الى جزيرة رودس . ولكى يفقد

---

(١) انظر : Amadi, P.256; Chronique du Templier de Tyr, OP.Cit. pp. 320-321.

(٢) انظر : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.277; Atiya: The Crus. in the lat. mid. ages, P.269; Hammer III, PP.271-272;

قائد السفينه الاسيره حياته ،عرض على الاسبتاريه فى رودس أن يسمحوا له بالتوسط بينهم وبين حامية حصن المدينه بشأن تسليم هذا الحصن لهم • وقد وجد هذا القائد الرودسى أن الحاميه على استعداد لاخلاء الحصن اذا ضمنت سلامة ارواحها واملاكها. وقد وافق الاسبتاريه على هذا الشرط وتسلموا الحصن[1] فى ١٥ اغسطس من عام ١٣٠٨ (٢)

---

(١) يذكر المؤرخ بليوتى (Biliotti, P.133) ان الاسبتاريه استولوا على مدينة رودس العاصمه بخدعه مؤداها ان جماعه منهم لبسوا جلود اغنام واختلطوا • فى امسيه مظلمه غزيرة المطر •بقطيع من هذه الحيوانات كان الرعاء يسوقونه الى داخل المدينه • وما ان نفذوا من البوابه •بهذه الطريقه ، حتى القوا عنهم الجلود التى يلبسونها •وفاجئوا الحراس فقتلوهم • ثم دخلوا فى معركه اخرى مع الجند الذين جاءوا مسرعين على صوت استغاثة الحراس • الى ان وصل لنجدتهم اخوانهم فرسان الاسبتاريه من مواقع الحصار • وانتهت المعركه ، على هذا • بالنصر والاستيلاء على المدينه • ويستطرد المؤرخ بليوتى قائلا بأن هذه الواقعه نقشت فيما بعد على بسط فاخره صنعت فى مدينة الفورس بمقتضى اوامر السيد الكبير بطرس دبوسون (١٤٧٦ — ١٥٠٣) • وقام برسمها الفنان • Quentin Messis

وما يلاحظ ان الرحاله انجلور (D' Anglure) الذى زار رودس عام ١٣٩٥ قد اورد هذه الواقعه ولكن بمناسبة الاستيلاء على حصن فيلرموس وليس على مدينة رودس (انظر :

D'Anglure: PP .205-206

(٢) هذا التاريخ قال به المؤرخ دولافيل (الاسبتاريه فى الارض المقدسه وفى قبرص ص ٢٧٨) نقلا عما فهمه من رواية امادى • وعلى اساس ان عملية الغزو بدأت فى عام ١٣٠٦ وان سائر المؤرخين المعاصرين اجمعوا على ان حصن رودس استسلم بعد عامين من حصاره الذى بدأ بمجرد النزول على يابس الجزيره •

او من عام ١٣١٠ وهو الارجح (١) •

---

(١) قال بهذا التاريخ المؤرخون المعاصرون جوردان الكذاب ، والاخ المينوريتي باولينسو البندقي ، والاخ المينوريتي كرستوفو القبرصي La minorita Fr. Cristoforo di Cipro والدومنيكاني برنارد و جويدوني Bernardo Guidone
(انظر : (Golubovich II, P.209; Golubovich III, P.144
ونحن نعتقد بأن امادي يتفق مع هؤلاء المؤرخين في أن استسلام حصن رودس كلها عام ١٣١٠ وبالرغم من انه لم يذكر ذلك صراحة ، فهذا المؤرخ سرد قصة غزو رودس كلها تحت عام ١٣٠٨ وذكر بأن هذا الغزو بدأ في شهر يونيه من غير ان يحدد العام (ص ٢٥٤ ، ٢٥٦) ومعنى ذلك انه يقصد شهر يونيه من عام ١٣٠٨ • ثم تكلم عن حصن مدينة رودس فقال بأن الاسبتاريه بدأوا في حصاره بمجرد نزولهم الى يابس الجزيره (ص ٢٥٧) ، اي — بحسب روايته — في يونيه عام ١٣٠٨ ، واستطرد قائلا بأن حصار الحصن استمر عامين (٢٥٨ ص) قبل ان يستسلم ، وذلك يعني بأن الحصن استسلم في عام ١٣١٠ •

ويؤيد جولوبوفتش (الجزء الثالث ص ١٤٤) الروايه القائله بسقوط رودس العاصمه في ١٥ اغسطس عام ١٣١٠ • كما ان هل (تاريخ قبرص الجزء الثاني ص ٢٠١) يرجح هذه الروايه ، ويحاول ان يوفق بينها وبين الروايه القائله بعام ١٣٠٨ ، فيذكر انه بصعوبه يمكن الاعتقاد باستسلام حاميه العاصمه في عام ١٣٠٨ ولكن تم اخضاع بقية الجزيره في عام ١٣١٠ • على انه يجب ملاحظة ان هذه المحاوله للتوفيق تتعارض مع روايه المؤرخ القديم برنارد و جويدوني القائله بأن العاصمه والجزيره كلها سقطت في عام ١٣١٠ (انظر : جولوبوفتش ج ٣ ص ١٤٤) • اما دكتور عزيز سوريال عطيه (الحرب الصليبيه في العصور الوسطى المتأخره ص ٢٨٩) فيرى بعدم وجود سبب يدعو الى معارضة امادي ، ويذكر اسم مؤرخ قديم آخر قال بعام ١٣٠٨ هو Villani هذا وهناك مجموعه من المؤرخين المحدثين منهم (Biliotti, P.133),

(De naberat, P.54), (De Belabre, P.21) رفضوا عامي ١٣٠٨ ، ١٣١٠ وقالوا بعام ١٣٠٩ • وفي رايهم ان من قال بعام ١٣١٠ فخطئون حيث ان السلطان عثمان جاء في هذا العام لتخليص رودس من الاسبتاريه • ولكن يمكننا الرد بأن الهجوم التركي (قام به الاتراك السلاجقه وليس عثمان) على رودس لم يقع في عام ١٣١٠ بل في عام ١٣١٢ (Amadi, P.393) ونحن نرى بأن موجه التشكيك في صحة الروايه القائله بعام ١٣١٠ مصدرها ان بعض المؤرخين يستكثرون مدة الاربع سنوات لاخضاع مدينة رودس ، ونعتقد بأن لا دلعي لذلك فهناك رحاله الماني ، اسمه Ludolph von Suchem زار رودس في عام ١٣٣٦ — اي بعد أن احتلها الاسبتاريه بربع قرن فقط — اكد بأن الاسبتاريه حاصروا العاصمه عدة سنوات ولم تخضع لهم الا بعد تقديم الرشوه للاهالي •

انظر :

Ludolph von Suchem, in Palestine Pilgrims Text Society, vol. XII, P.34.

ومن الجدير بالذكر ان معظم عمليات استيلاء الاسبتاريه على جزيرة رودس تمت اثناء غياب السيد الكبير لهيئتهم ، فولك دى فيلاريه ، فى اوروبا ، مستدعى — مع زميله يعقوب دى مولى Jacques de Molay السيد الكبير لفرقة الداويه — من البابا كليمنت الخامس ، لاستطلاع رايهما فيما يتعلق بامكانية ارسال حملة صليبيه عامه الى فلسطين (١) . وغير معروف بالضبط موعد قيام السيد الكبير للاسبتاريه بالرحله من جزيرة قبرص ، او مدى ما امضاه من وقت امام مدينة رودس (٢) . وربما قاد فولك رجاله خلال العمليات الاولى للغزو . ولكن من المؤكد انه كان موجودا بجزيرة قبرص فى ٣ نوفمبر عام ١٣٠٦ ، حيث ترأس ، فى هذا اليوم ، مؤتمرا عاما لأعضاء هيئته ، عقد فى مدينة ليماسول بهذه الجزيره لاتخاذ الاجراءات اللازمه لسفره الى اوروبا (٣) . واذ اصدق المؤرخون المعاصرون ، فكان فولك موجودا مره اخرى على رأس قواته امام حصن رودس فى ١١ من نفس الشهر حيث تسلم حصن فيلرموس (٤) . ولما كان من المؤكد تواجد فولك فى مدينة بواتيه بفرنسا فى ٨ اغسطس عام ١٣٠٧ (٥) فمن المرجح — عندئذ — ان يكون قد سافر اليها من جزيره رودس مباشرة فى اوائل هذا العام او اواخر العام الذى قبله (عام ١٣٠٦)

---

(١) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T;S., P.279; Hill II, P.202.

(٢) انظر : D. Le Roulx: OP.Cit.pp.278-279; Hill Lic:Lic . Cit.

(٣) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.278

ونشر المؤرخ ديلافيل محاضر جلسات هذا المؤتمر فى كتابه Cart. lV, nos. 4734,4735.

(٤) انظر Amadi, P.258; Chronique du Templier de Tyr: op.Cit., PP. 320-321.

(٥) انظر : D. Le Roulx: les Hosp. en T.S., P.279.

وفي مدينة بواتييه ،اجتمع فولك مع البابا كليمنت الخامس ،والملك الفرنسي فيليـــــب الرابع (الوسيم) ، وحصل على تاييد هما له في مشروع احتلال جزيرة رودس لما يقدمه هـــذا الشروع من فوائد للحركه الصليبيه[١] ، وقد اعطى البابا موافقته الرسميه في منشور بابـــوى صدر بتاريخ ٥ سبتمبر عام ١٣٠٧[٢] . ولمساعدة الاسبتاريه في اتمام العمليه ،قدم البابا للسيد الكبير فولك مبلغ تسعين الف فلورنتى من امواله الخاصه[٣] ، وامر مجلس كاتدرائية نيقوسيا بجزيرة قبرص ، في رساله حملها الى هذا المجلس عضو هيئة الاسبتاريه الأمــــر الكبير جاي دي سيفيراك Guy de Sévérac بتحويل دخــــل هذه الكاتدرائيه ، بعد دفع مرتبات رجال الدين فيها ، وتسديد بقية مصاريفها ، الــــى هيئة الاسبتاريه ، كما ان البابا امر بتسليم هذه الهيئه مبلغ ستين الف بيزانت ابيض كان قد اودعها الداويه امانه عند اسقف ليماسول المدعو بطرس دي برلانت Piero d'Erlante عام ١٣٠٨[٤] .

وقد استخدم السيد الكبير فولك اموال البابا ،بالاضافه الى ما قدم اليه من تبرعات اثناء جولته في فرنسا وايطاليا[٥] ، وما استطاع جمعه من دخول بيوت الاسبتاريه في أوروبا

---

(١) انظر : Vertot II, PP.73-74

(٢) انظر نص المنشور البابوى في : D.Le Roulx: Cart. Iv, no.475.

(٣) انظر : Vertot II, P.74.

(٤) وصل جاي دي سيفيراك الى قبرص صحبه امر البابا في ٨ مايو سنة ١٣٠٨ . انظر Amadi, P.283

(٥) للتعرف على تنقلات فولك في فرنسا وايطاليا انظر : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.279.

بدلا من القروض التى عقدها مع جمهوريتى فلورنسا وجنوه (١) ، فى شراء كميـــــات وافره من الذخائر والمؤن والخيول والاسلحه ، من اسبانيا وصقليه وابوليا وبروفانس وقطالونيه وفى شراء وتسليح وبناء سبع وخمسين سفينه مختلفه الانواع والاحجام ، فى قطالونيه وناربونه ومارسيليا وجنوه وبيزا والبندقيه ، واصدر فولك — فى نفس الوقت — اوامره الى رؤســـاء بيوت الاسبتاريه فى اوروبا بوضع خمسمائة فارس اسبتارى ، من الفرسان الملتحقين ببيوتهم ، على اهبه الاستعداد للسفر معه الى الشرق (٢) .

ويذكر بعض المؤرخين ، ومنهم فرتو Vertot (٣) ، فلاندان Flandin (٤) بليوتى Biliotti (٥) ، ان البابا كليمنت الخامس اراد ان يقدم للاسبتاريـــه العدد الكافى من المقاتلين لمساعدتهم فى احتلال رودس ، فامر — بعد الاتفاق مع الملــــك الفرنسى فيليب الرابع — العالم الكاثوليكى باعداد حمله صليبيه لتخليص الارض المقدســـــه من المسلمين ، واعطى قيادة هذه الحمله للسيد الكبير فولك دى فيلاريه (٦) ، ليتمنى لـــه تحويلها الى رودس .

---

(١) انظر : Vertot II, PP.74-75, 83; Biliotti, P.133.

(٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.280

(٣) انظر : Vertot II, PP.74-76

(٤) انظر : Flandin, P.90

(٥) انظر : Biliotti, PP.130-131

(٦) جاء فى Amadi, PP.298-299) ان الامر الكبير جاى دى سيفيراك وصل الى قبرص فى مايو عام ١٣٠٩ حاملا قرار البابا باعلان الحمله الصليبيه بقيادة السيد الكبير للاسبتاريه فولك دى فيلاريه ، ورغبة البابا فى ان يبذل المسيحيون فـى قبرص وارمينيا كل ما وسعهم من جهد لانجاح هذه الحمله .

وقد توافدت جموع الصليبيين من المانيا بوجه خاص ، فضلا عن فرنسا وايطاليا ، الى مركز تجمعها فى مدينة برنديزى بجنوب ايطاليا ، باعداد كبيره بحيث عجزت سفن الاسبتاريه — بالاضافه الى السفن التى وضعها كل من شارل الثانى ملك نابلى ، وجمهورية جنوه ، تحت تصرف السيد الكبير فولك — عن استيعابهم جميعا ، فاضطر فولك الى اختيار اكثرهم شرائه واكملهم عده واحسنهم سلاحا ، على حين اعطى الاذن للباقين بالانصراف الى اوطانهم (١) . وقد اقلعت الحمله من ميناء برنديزى فى ربيع (٢) عام ١٣١٠ ، (٣) ووصلت الى رودس راسا (٤) . قبل ٢٤ يوليه من نفس العام (٥) . وعندما ادرك الصليبيون ان حملتهم ، التى قصد بها ان تكون عامه ، تحولت الى حمله خاصه للسيطره على جزيرة رودس ، تسربوا من هذه الجزيره عائدين الى بلادهم (٦) ، على حين ظل فرسان الاسبتاريه وحدهم ، برئاسه فولك ، على حصار حصن مدينة رودس العاصمه الى ان تسلموه بالامان فى ١٥ اغسطس عام ١٣١٠ (٧) .

---

(١) انظر : Vertot II, P.76

(٢) انظر : Bilåotti, P.131; Vertot II, P.76?

(٣) نشر المؤرخ د يلافيل وثيقه (D.Le Roulx: Cart., IV,no. 4883) تبين ان ملك ارغونه ، وقد اخطر بتأخير قيام الحمله ، طلب من قسطلان امبوستا الاسبتارى ، فى ٢٢ اكتوبر عام ١٣٠٩ ، ان يتنازل له عن البسكويت الذى جمعه للاسبتاريه لتوزيعه على الجيش الارغونى الذى حشد لقتال ملك غرناطه وذلك يعنى ان السيد الكبير للاسبتاريه وافراد حملتهما لايزالون فى اوروبا حتى خريف عام ١٣٠٩ .

(٤) انظر : Ibid: Les Hosp. en T.S., P.281
مع ملاحظه ان المؤرخين الذين سبقوا د يلافيل رنيا ، وضمهم فرتو (ج٢ ص٧٦٥) وبليوتى (ص١٣١) ، فلاندان (ص٩٠) ، ذكروا بأن فولك مر بالميناء القبرصى ليماسول حيث التقى اعضاء هيئة الاسبتاريه المقيمين فيه قبل ان يتوجه الى رودس .

(٥) انظر : Ibid : Loc. Cit.

(٦) انظر : Vertot II, P.83 ; Biliotti, P.132; Flandin, P.92

(٧) انظر Golubovich II, PP.209,563; vol. 3, PP.1A3-144

الفصـــل الثانـــي

قيام دولة الاسبتارية في رودس وأهم انجازاتها في مجال البناء والتشييد

١) تأسيس دولة الاسبتارية في جزيرة رودس :

أ ـ عهد السيد الكبير فولك دى فيلاريه .

ب ـ عهد السيد الكبير هليون دى فيلنيف .

جـ ـ عهد السيد الكبير ديودونيه دى جوزون .

٢) النشاط العمراني عند الاسبتاريه في رودس .

أ ـ الأسوار والأبراج الملحقة بها لمدينة رودس العاصمة .

ب ـ الحى العسكرى داخل مدينة رودس المعروف باسم الكولاشيوم .

جـ ـ الحى البورجوازى داخل مدينة رودس .

د ـ حصون جزيرة رودس خارج العاصمة .

قيام دولة الاسبتارية فى رودس :

كان فولك دى ڤيلاريه أول سيد كبير للاسبتارية تولى حكم جزيرة رودس وعلى يديه تم فتح هذه الجزيرة (١٣٠٦ — ١٣١٠) .

وأبرز ما أنجز فولك ، بعد أن استتب له الأمر فى جزيرة رودس ، أنه مد فتوحاته الى بقية جزر بحرايجه الواقعة فى الأرخبيل الرودسى ، فاستولى منها ، خلال أربع سنوات (١) ، تبدأ بسنة ١٣١٠ (٢) ، على ثمان جزر كانت تتبع قديما جزيرة رودس ، ووقعت مثلها تحت سيطرة أتراك آسيا الصغرى (٣) ، هى جزر لانجو Lango نيسيروس Nissyros ، كالكى Calchi ، سيمى Cymi ، كالينوز Calymnos ، ليروس Leros ، بسكوبى Piscopi ، فضلا عن جزيرة قشتيل الروج Castellorizo التى احتلها الاسبتارية عام ١٣٠٦ وهم فى طريقهم لاحتلال رودس (٤) .

وتعتبر جزيرة لانجو (٥) أهم هذه الجزر جميعا ، ليس فقط لأنها أكبرها

---

(١) انظر Biliotti, P.135; L'Ile De Castelorizo, PP.26-27.

(٢) يقول D. Le Roulx: Les Hosp. a Rhodes , P.4)
بأن الاسبتارية استولوا على جزيرة لانجو عام ١٣١٤ .

(٣) أنظر : Ludolph von Suchem, PK36

(٤) أنظر : L,Ile de Castelorizo, P.27
وأنظر أيضا Vertot II, P.87 مع ملاحظة انه أخطأ فاعتبر أن بسكوبى ،تيلوس Tilos جزيرتين فى حين أن الاسمين لجزيرة واحدة .

(٥) سميت فى العصور القديمة بأسماء عدة أشهرها كوس Cos ، ولكنها اشتهرت فى العصور الوسطى باسم لانجو (لأنها مستطيلة الشكل) ، وعرفت عند الترك باسم استانكوى ، نسبة الى اسم قديم للجزيرة هو استانكيو . والجزيرة مسقط رأس أبقراط أبى الطب ، وأبلى ، أبرع مصورى الاغريق القدامى ،وأريستون الفيلسوف ، وفلياس ، من أشهر العلماء والشعراء ، وكان معلما لبطليموس فيلادلفوس — أنظر : حبيب غزالة بك : جزيرة رودس ص ٧٤ — ٧٥ .

مساحة ، أو لجودة مينائها ووفرة انتاجها من الفاكهة والنبيذ والزيت والقمح [١] ، ولكن أيضا لموقعها الأمامي عند مدخل خليج بودروم في آسيا الصغرى [٢] • ولهذه الاعتبارات أسرع فولك عقب استيلائه على تلك الجزيرة في عام ١٣١٤، بتشييد حصنين فيها لتأمين الدفاع عنها ، هما حصن أرانجيا Arangea في الشرق ، وحصن أنديماكي Andimachi في الجنوب [٣] • وسرعان ما ازدهرت الجزيرة بعد ذلك على يد الاسبتارية بسرعة كبيرة ، فأصبح ينظر اليها على أنها رودس الثانية ، وتحولت الى وحدة ادارية (آمرية Commanderie قائمة بذاتها [٤] •

وبالرغم من أهمية موقع جزيرة نيسيروس [٥] الى الجنوب من لانجو بنحو ستة أميال [٦] ، وخصوبة أرضها [٧] ، فقد اكتفى فولك بأن منحها ، في ١٥ أغسطس عام ١٣١٦ — على هيئة اقطاع — للأخوين جنا وبونافيتا ولدى أسانتى اشيا Jean & Buonavita Assanti d'Ischia ، مقابل تعهدهما بأن يعدا سفينة حربية بستة وعشرين مقذافا ، وأن يكونا دائما على استعداد لقيادتها الى الجهة التي تعينها

---

(١) انظر : L'Ile de Castelorizo, P.27; HammerIII P.272; Vertot II, P.88; Ludolph von suchem, P.35.

(٢) حبيب غزالة بك: جزيرة رودس ص ٧٤ •

(٣) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.4

(٤) انظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P.6 ; Vertot II, P.90

(٥) اسمها القديم بورفيريس ، وهو نوع من الرخام لونه ضارب الى الحمرة بما يشبه الأرجوان ، سمى بذلك لأن لفظة بورفير (Porphyre) باليونانية معناها الأرجوان • ويسميها الترك انجرلى ، نسبة الى التين الذي تشتهر به الجزيرة — حبيب غزالة بك : جزيرة رودس ص ٧٥ •

(٦) انظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P.5

(٧) شهد بذلك رحالة مجهول ، يعتقد بأنه فرنسى ، زار الشرق في أوائل القرن الخامس عشر ، بعد عام ١٤١٥ ولكن قبل عام ١٤٢٥ — أنظر:

Moranville; Un pélerinage en Terre, dans B.E.C., LXVl, 1905, P.79

لهما أوامر حكومة الاسبتارية فى رودس [1] . غير أن امتياز الاقطاع انتهى أجله بعد سبعين سنه ، أى فى عام ١٣٨٦ (٣٠ مايو) ، وأصبحت الجزيرة وحدة ادارية تابعة للخزانة فى رودس شأنها شأن لانجو [2] .

أما جزيرة سيمى [3] فتعود أهميتها الى كونها أكثر الجزر الخاضعة لرودس قربا من ساحل آسيا الصغرى ، وتقع بين رودس ولانجو ، ولذا شيد فوق احدى رباها العالية قلعة منيعة وبرجا مرتفعا لرصد تحركات السفن التركية فى الأرخبيل واخطار رودس ولانجو بها اما بالاشارات المعتادة ، وهى اشعال النيران أثناء الليل ، واطلاق سحب الدخان الكثيف خلال النهار ، أو بارسال الزوارق الخفيفة اليهما تحمل النبأ [4] .

وكانت جزيرة قشتيل الروج * — وهى جزيرة صغيرة ، ولكنها خصيبة ، [5]

---

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à RH., PP.5-6

(٢) انظر : Ibid : Loc Cit, PP. 5-

(٣) ورد ذكرها فى ايلياذة هوميروس . واشتهرت قديما بصناعة السفن المعروفة بالسمبك ، وهى سفن صغيرة وسريعة ، ومنها الاسم الذى عرفت به عند الترك ، وهو سومبكى — انظر حبيب غزاله : جزيرة رودس ص ٧٧ .

(٤) انظر : Ludolph von suchem, P.35,n.3. ; Hammer III,PP.272-273

(٥) نوه بخصوبتها كل من الرحالة لودولف فون سوشيم (Ludolph von suchem, P.35 الذى قام برحلته بين عامى ١٣٣٦، ١٣٤١ ، Ibid, P. III intro.). والرحالة أنجلور (Anglure, P.203 الذى زار رودس فى عام ١٣٩٥ .

(*) الاسم ايطالى (Castel rosso) ومعناه القصر الأحمر . ويعود الاسم اما الى لون الصخرة التى شيد فوقها (وهذا ما قال به الرحالة أنجلور ص ٢٠٣) او الى لون القلعة التى شيدها الاسبتارية فوق هذه القلعة (وهذا ما قال به الرحالة الفرنسى المجهول الذى زار الجزيرة بين عام ١٤١٥ ، ١٤٢٥ ، ونشر مذكراته الكاتب مورانفيل فى مجلة مدرسة الوثائق رقم ٦٦ عام ١٩٠٥ ص ٨٠) وكانت الجزيرة ، قديما ، تسمى ماجيست magiste ، ويسميها الترك جزيرة ميس (حبيب غزالة بك : جزيرة رودس ص ٨٠) .

تقع الى الجنوب الشرقي من جزيرة رودس بنحو مائة ميل (١) ، وعلى بعد ميل ونصف الميل فقط من تركيا (٢) — تقوم في جنوب رودس بنفس الدور الذي كانت تقوم بـه سيمي في شمالها . ومن المعروف أن الاسبتارية شيدوا فوق ربوة عالية حمراء اللون (٣) من ربا هذه الجزيرة ، وعلى أنقاض برج قديم كان يقيم فيه ممثل الروديسيين في الجزيرة أثناء خضوعها لهم في القرنين الميلاديين الرابع والخامس (٤) ، شيدوا قلعة منيعة تشرف على ميناء الجزيرة (٥) ، وكانت السفن ، حسب أقوال الرحالة الألماني لودولف فون سوشم Ludolph von Suchem الذي زار الجزيرة في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، بين عامي ١٣٣٦ ، ١٣٤١ ، أي بعد سقوط الجزيرة في يد الاسبتارية بثلث قرن أو أكثر قليلا ، تشاهد منها على مسافة خمسين ميلا من جميع الجهات وكان حراسها ، عندما يتسنى لهم مشاهدة هذه السفن ، يتخابرون بشأنها عن طريق اشارات النيران ليلا والدخان نهارا مع جزيرة رودس وغيرها من الجزر المسيحية في بحر ايجه لتعد كل منها للموقف عدته بما يلائم حالة السفن القادمة من حيث العدد والجنسية (٦) .

---

(١) انظر : Anglure, PP.201 , 203;L' Ile de Castelorizo,P.28.

(٢) انظر : moranville: Op. Cit., P.80

(٣) انظر : Anglure, P.201.

Anglure, P.203; L'Ile de Castelorizo, P.26.

(٤) انظر : L, Ile de Castelorizo, PP.25, 27.

(٥) ازدانت القلعة بنقوش تمثل شارات السيد الكبير هيريديا (١٣٧٧ — ١٣٩٦) ربما لأنه بناها أو أكمل بناءها . وقد هدم المماليك المصريون هذه القلعة في عام ١٤٤٠ أثناء تقدمهم بالأسطول لاحتلال جزيرة رودس . وشغل الاسبتارية بالتهديدات المملوكية الأخرى وبالتهديدات العثمانية عن اعادة بناء القلعة . ونظرا لأهميتها ، عهد البابا نقولا الخامس ، في ٦ أكتوبر عام ١٤٥٠ ، بهذه المهمة الى الفونس الأرغوني ، ملك نابلي ، وأذن له بامتلاك الجزيرة . وقد حاول السيد الكبير حنا لاستيك (١٤٣٧ — ١٤٥٤) عبثا اثناء القبطان الارغوني الذي كلفه الملك الفونس بانجاز المهمة عن انجازها . وأعاد الارغونيون بالفعل بناء القلعة عام ١٤٦١ وظلت في يدهم حتى جلوا عنها عام ١٥٢٢ عند سماعهم بنبأ الحشد التركي ضد رودس — انظر : L,Ile de castelorizo, PP. 24-34

(٦) انظر :

وتبقى بعد ذلك من الجزر ، التي استولى عليها الاسبتارية في عهد فولك ، أربع جزر هي جزيرة كالكي ، وتقع على بعد قريب الى الغرب من رودس ،(١) وجزيرة بسكوبي ، وتقع الى الشمال من كالكي ولكن الى الغرب من سيمي والى الجنوب من نيسيروس ،(٢) ثم جزيرة كاليمنوز ، وتقع الى الشمال من لانجو الواقعة شمال نيسيروس ، وأخيرا جزيرة ليروس ، وتقع الى الشمال من كاليمنوز .(٣) وهذه الجزر الأربع صغيرة وصخرية ، ولم تكن ، بالنسبة للاسبتارية ، ذات فائدة اقتصادية كبرى ، ولكنها كانت محطات جيدة قدمت دائما ، لسفنهم ، العاملة ضد الترك في بحر ايجيه ، التموين والملاذ .(٤)

ومهما يكن من أمر هذه الجزر التي ضمها فولك الى جزيرة رودس فان ضمها لم يكن سوى أحد كسبين في الأرض نالتهما هيئة الاسبتارية في عهد هذا السيد الكبير . أما الكسب الثاني فهو ارث هيئة الداوية التي حلها البابا كليمنت الخامس في ٢٢ مارس عام ١٣١٢ تحت ضغط الملك الفرنسي فيليب الوسيم ، وبموافقة مجمع كنسي عام عقد آنذاك في مدينة فينا ،(٥) ثم أصدر البابا منشورا بابويا في ٢ مايو من نفس العام بتحويل أملاك الهيئة الملغاة وأموالها الى هيئة الاسبتارية لتدعيم جهودها في استرداد فلسطين ، ونقل وحراسة الحجاج المسيحيين الى الأماكن المقدسة والعودة

(١) يطلق الترك على هذه الجزيرة اسم هركيت . (حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ص ٧٧) .

(٢) كانت جزيرة بسكوبي Piscopi تسمى قديما باسم تيلوس Telos ويطلق الترك على هذه الجزيرة اسم ايلياكي — (حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ص ٧٩) . وقد وقعت هذه الجزيرة مرة أخرى في يد الترك ، ولكن اسطولا اسبتاريا ، مؤلفا عن عشر سفن استردها في عام ١٣٢١ ، وقتل جميع رجالها على حين باع شيوخها ونساءها وأطفالها بيع العبيد (انظر: (Hammer III, P.273

(٣) تمكن أهالي الجزيرة اليونانيون ، في عام ١٣١٩ ، من بعث الحامية الاسبتارية في حصنها ، وقتلهم جميعا ، ولكن اسطولا اسبتاريا ، بقيادة الآمر الكبير المبجل دي شفارتزبورج (Albert de Schwarzbourg) . توجه الى الجزيرة في يوليه من نفس العام واستولى عليها من جديد ، ورجع الى رودس ومعه ألف وتسعمائة أسير من أهلها (انظر D. Le Roulx: Op. Cit, P.9

(٤) انظر : Vertot, II, P.66-67; Bottari, P.135; Flandin, P.94

(٥) أنظر : Martin: Histoire de France, vol. IV, PP.495-497

بهم منها ، وذلك باستثناء ما يوجد من هذه الاملاك والاموال فى أسبريا حيث تقرر تخصيصها للمساعدة فى الحروب الدائرة فيها ضد مسلمى غرناطة .(١)

على أن الاسبتارية بذلوا جهودا كبيرة ، بالتعاون مع البابوية ، فى سبيل وضع يدهم على هذا الارث ، وهو أمر لم يتوصلوا اليه الا بصعوبة بسبب ما أبداه أمراء اوروبا من اطماع فى هذا الارث للاستئثار به لانفسهم .

وكان البابا كليمنت الخامس قد أذاع ، فى نفس اليوم الذى أصدر فيه منشوره القاضى بتحويل ارث الداوية الى هيئة الاسبتارية ، مرسوما ثانيا قضى بأن تتشكل فى كل ابروشية باوروبا ، لجنة من ثلاث شخصيات ينتمون الى ثلاث أبروشيات متجاورة ، مهمتها التأكد من نجاح سير عملية التحويل ، كل فى دائرة اختصاصها .(٢) وتسهيلا لمهمة هذه اللجان ارسل البابا خطابات الى سائر حكام اوروبا ، الذين توجد للهيئة الملغاة املاك فى بلادهم ، يخطرهم فيها بقرار ٢ مايو ويناشدهم بعدم اثارة عقبات فى طريق تنفيذ هذا القرار .(٣) وقام البابا ، من ناحية اخرى ، فى ١٦ مايو عام ١٣١٢ باخطار المديرين المؤقتين ، الذين كانوا قد تولوا ادارة املاك الداوية فى مختلف دول اوروبا منذ ان صودرت هذه الاملاك فى فرنسا فى ١٣ اكتوبر عام ١٣٠٧ ، وفى دول اوروبا الاخرى بمقتضى الامر البابوى الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر عام ١٣٠٧ ، بأن وظائفهم انتهى اجلها وان عليهم التنازل عن مهامهم لممثلى هيئة الاسبتارية .(٥)

---

(١) انظر Pauli II, PP.23-26, num. XX11; D. Le Roulx: Les Archives P.32 no. 47.

Martin IV, PP.467-498,505; Levis mirepoix: Philippe Le Bel, PP.226-
D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, PP.28-31 ; Vertot II, PP.99 139
Amadi, PP.280-291 ; Georg Trevor, Rome, PP.256-258.

(٢) عدد هذه اللجان اثنى عشر لجنة ـ انظر Pauli II, P.26-29 num. XXIII.

(٣) أنظر خطابيه الى حكام المانيا فى Pauli II, P.30 num. XXIV.

(٤) انظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P.29

(٥) انظر : Ibid , P.32

وقام السيد الكبير للاسبتارية ، فولك دى فيلارية ، من جانبه ، عندما بلغه نبأ منحة البابا ، بتقليد رؤساء بيوت الاسبتارية ، وكبار ممثليها فى الغرب ، سلطات واسعة للتفاوض مع حكام اوروبا ، بشأن تسلم ارث الداوية من ايدى اولئك الموظفين .(١)

غير أن السيد الكبير فولك ما لبث أن قرر فى ١٧ أكتوبر عام ١٣١٢ تشكيل بعثة خاصة ، لاداء هذه المهمة ، برئاسة الأمير الكبير (البرت شفارتزبورج الالمانى ، بصفة مفوض عام ونائب للسيد الكبير فيما وراء البحر المتوسط ، وعضوية ثمانية من كبار أعضاء هيئة الاسبتارية .

وبمقتضى نفس القرار أضيف الى رئيس البعثة ، البرت شفارتزبورج ، مهمة اخرى هى مهمة التفتيش العام وتصحيح الاوضاع فى جميع بيوت الاسبتارية وبيوت الداوية التى يتسلمها فيما وراء البحر ، على ان يكون ملزما بعقد يم تقرير دقيق عن ايرادات هذه البيوت جميعا واوجه انفاقها . وقد منح البرت شفارتزبورج أيضا السلطة لمحاسبة جميع الافراد المسئولين فى نطاق مهمته مهما سمت رتبهم ، ومحاسبة من تثبت ادانته منهم بالفصل من منصبه ، وتعيين من يرى أنه أكفأ منه . كذلك كان من سلطات رئيس البعثة ان يأمر بنقل أعضاء هيئة الاسبتارية ، من فئتى الفرسان وخدم السلاح ، من آمرية الى آمرية ، أو من شعبة الى شعبة ، أو أن يبعث بهم الى جزيرة رودس اذا رأى أن الضرورة تقتضى ذلك . هذا وقد أذن له ايضا ان يقبل فى عضوية هيئة الاسبتارية من يتقدم له من النبلاء ، فيضمهم الى فئة الفرسان ، ويسمح لهم بأن يتمنطقوا بالحزام العسكرى ويحملوا الصليب الذهبى . ومن غير النبلاء ، فيضمهم الى فئتى الاسبتارية الاخريين ، وهما فئة الرهبان وفئة الخدم ، على الا يسمح لهم بحمل الصليب الذهبى الذى يميز فئة الفرسان .(٢)

وكان أن وصل رئيس البعثة ، البرت دى شفارتزبورج ، وصحبه فى ٢٨ مارس عام ١٣١٣ الى مدينة أفنيون الفرنسية حيث استقبله البابا كليمنت الخامس واخبره بأنه لم ينعم على هيئة

---

(١) أنظر : Vertot II, P.142 .
وانظر رد ملك انجلترا ، ادوارد الثانى على الطلب الذى تقدم به اليه رئيس شعبة الاسبتارية فى انجلترا ، فى أول أغسطس عام ١٣١٢ ، وذلك فى Pauli II,P.33,num.XXVI

(٢) أنظر : Pauli II. PP.36-40, num. XXIX;

الاسبتارية بأملاك الداوية حبا فيها ، ولكن لانها ، كما اتضح له ، اقدر من اية هيئة اخرى على ادارة هذه الثروة المخصصة لخدمة القضية المسيحية ، كما أنبأه بأن ملك فرنسا فيليب الوسيم قد وافق على قرار الاندماج ، ولكن هناك صعابا تنتظر بعثة الاسبتارية مع بعض الحكام الاخرين ، وقد رد رئيس البعثة فقدم الشكر للبابا على اختياره هيئة الاسبتارية لوراثة ثروة الداوية ، وأكد له بأن هيئة الاسبتارية كرست نفسها لخدمة المسيحية والكنيسة الكاثوليكية التي يرأسها البابا ، واخيرا وعد بعدم الدخول في منازعات مع الاعداء الذين يرفضون تسليم منحة البابا للاسبتارية (١) .

والواقع ان بعثة الاسبتارية صادفت صعابا كثيرة عند تأديتها للمهمة المكلفة بها ، من معظم دول اوروبا بما فيها فرنسا نفسها (٢) ، وبقطع النظر عن هذه الصعاب فلقد توصل الاسبتارية الى وضع يدهم على الجانب الاكبر من ارث الداوية في اوروبا ، وادى ذلك الى ازدياد ثروتهم بالرغم من التضحيات المالية والتنازلات عن أجزاء كثيرة من الارث نفسه ، التي اضطروا الى بذلها لمختلف الحكام والمختصين للوصول معهم الى هذه النتيجة ، وبالرغم من اضطرارهم الى دفع معاشات سنوية دائمة ، قدرقيمتها الاساقفة رؤساء الاساقفة ، بتكليف من البابا كليمنت الخامس ، لاعضاء هيئة الداوية الذين قبلوا البقاء على حياة الرهبنة في ظل الكنيسة الكاثوليكية كأفراد مستقلين عن الهيئات الدينية الاخرى ، أو كأعضاء في هذه الهيئات باستثناء هيئة الاسبتارية التي حرم عليهم ، بأمر البابا الانخراط في عضويتها (٣) .

وترتب ايضا على ضم املاك الداوية الى املاك هيئة الاسبتارية ان شعبا جديدا

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P.33

(٢) عن هذه الصعاب ودور البابوية في محاولة تذليلها أنظر Pauli II, PP.33-56,80 D.Le Roulx Op.Cit., PP.34-47,Vertot II,PP.130

(٣) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, PP.47-48.
وبخصوص المنشور البابوي الذى يسمح فيه للداوية بالانخراط في عضوية الهيئات الدينية الاخرى فيما عدا هيئة الاسبتارية ، ارجع الى

Pauli II, PP.70-72 num. L 111

للاسبتارية ، تكونت في اوروبا ، عن طريق التفرع عن الشعب القديمة التي اتسعت رقعتها بهذا النمو ، وأول هذه الشعب الجديدة هي شعبة تولوز التي تأسست ، في عام ١٣١٥ في الجزء الغربي من الشعبة القديمة سان جيل ، وقد تأسست في ٢١ يوليه عام ١٣١٧ ، شعبة أخرى باسم شعبة بروڤانس اشتملت على الجزء الشرقي من شعبة سان جيل الواقع المسمى الشرقي من نهر الرون بفرنسا ، ولكنها ألغيت منذ عام ١٣٣٠ واعيدت اختصاصاتها الى رئيس شعبة سان جيل ، علما بأن التسمية دامت الى نهاية عهد الاسبتارية في جزيرة رودس ، وان الفرسان البروڤانسيين كانوا يشكلون طائفة قوية في مدينة رودس العاصمة ، ويقيمون في نسزل خاص بهم في هذه المدينة يديره فارس منهم يحمل لقب عميد بروڤانس الشرى (Pilier de la Petite Provence) مع ملاحظة أن لقب عميد كان يحمله جميع رؤساء الطوائف القومية الاخرى التي كانت تتألف منها هيئة الاسبتارية ، وتفرع عن شعبة فرنسا شعبتان جديدتان هما شعبة شامپيني ، التي تأسست قبل ٢١ يوليه عام ١٣١٧ ، وشعبة أكويتين ، التي تأسست قبل عام ١٣٣١ ، وفي ايبريا أجري في ١٦ يولية عام ١٣١٩ تعديل في قيادة أمپوستا أصبحت بمقتضاه لا تشتمل سوى على مملكتي أرغونه وبلنسيه ، أما اقليم قطالونيا ، الواقع الى الشرق من أرغونه ، فقد انتزع من القيادة ، وتأسس فيه ، مع ضم جزر البليار اليه ، شعبة جديدة باسم شعبة قطالونيا ، أما في المانيا ، فقد تحولت وكالة براندبورج الكبرى (Grand-bailliage de Brandebourg) (١) في حوالي عام ١٣٢٠ الى شعبة .

وبينما كانت جهود الاسبتارية ، مدعمة بجهود البابوية ، تبذل ، في اوروبا ، على هذا النحو ، في سبيل وضع اليد على ارث الداوية واحتوائه ، كانت جهود اسبتارية أخرى تبذل في داخل جزيرة رودس من أجل تعزيز مركز الهيئة في هذه الجزيرة ، من اهمها تحصين العاصمة رودس ، وفتح مينائها لمختلف السفن التجارية ، واستقبال جموع اللاتين الكاثوليك الذين كانوا قد تبعثروا في مختلف الجزر اليونانية منذ طردهم من الشام مع الصليبيين عام ١٢٩١

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, PP.49-52.

ولكنهم ، عند ما علموا باستيلاء الاسبتارية على جزيرة رودس ، هرعوا الى هذه الجزيــــرة للعيش فى حماهم ، وتألفت منهم ، ومن سكان الجزيرة الاصليين ، وهم فى غالبيتهـــــم بيزنطيون ارثوذكس ، مع وجود أقلية صغيرة يهودية ، واخرى تركية اسلامية ، دولــــــة الاسبتارية فى رودس ، وهى دولة عسكرية تجارية قبل أى شىء آخر .(١)

وليس من شك فى أن السيد الكبير فولك دى فيلاريه هو صاحب الفضل الاول فــــى تأسيس هذه الدولة الكبرى التى اشتملت على جزيرة رودس وعلى ثمانى جزر أخرى بجوارهــــا فى بحر ايجه . ويبدو ان احساسا بهذا قد تملك فولك فدفعه الى الجنوح نحو التفرد بســـة فى الحكم ، حتى انه عقد ، فى عامى ١٣١١ ، ١٣١٤ ، مؤتمرين عاميين ، لم يستـــدع لحضورهما سوى أعوانه ومتملقيه ، فوافقا على توسيع سلطاته الى حد اعطائه حق استدعــاء أعضاء هيئة الاسبتارية امامه فى اية لحظة وبدون أى اعتبار لقانون التسلسل اللقبى والوظيفى الذى درج عليه التقليد فى الهيئة . كذلك وافق هذان المؤتمران على انشاء وظيفتيـــن جديدتين لخدمة السيد الكبير ، هما وظيفتا امين الرئاسة (Chambellan
وحامل الاختام* (Chancelier) ، وعلى زيادة المخصصات المالية لمنزله الخاص ، وزيادة عدد الخدم والعاملين فى هذا المنزل ، الى جانب زيادة الفوائــــد المادية لمعاونيه المباشرين(٢) . يضاف الى ذلك ، انه ، بدلا من ان يسدد الديـــون

---

(١) أنظر Vertot II, PP.98 - 99.

(*) ظهرت هذه الوظيفة فى الواقع ، منذ بدء تحول هيئة الاسبتارية الى هيئة عسكرية وجاء لها ذكر فى وثيقة بتاريخ يونيه سنة ١١٢٦ ، ثم فى وثيقة بتاريخ عام ١١٦٨ غير ان الوظيفة اختفت بعد ذلك ـ أنظر

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.347.

(٢) Ibid: Les Hospit. à Rhodes, PP. 11-12

التي كان قد استمد انها لا تنا بمشروع فتح رودس ، انغمر في حياة الترف ، وأهمل في حاسبة مختار الفرسان ، الذين أخذوا يحاكونه في حياة الترف ، فتهربوا من تسليم ما كانوا يظفرون به من غنائم ، عن طريق القرصنة ، للخزانة ، وفق ما كانت تقضي به لوائح الهيئة وفضلوا أن يحيوا بها حياة ناعمة ، متحللين من حياة التقشف التي قامت عليها هيئتهم ، وتمادى فولك ، فاغتصب لنفسه أموال الدوائر التي شغرت من مديريها بالوفاة أو الترقية ، وعين عليها مديرين من أعوانه ضاربا بقانون الاقدمية عرض الحائط ، ولم يكن من السهل على غير أعوانه من أعضاء هيئة الاسبتارية مقابلته ، فاذا سمح لهم بذلك قابلهم بطريقة فظة (١) وتشامخ ، واعتبر توجيه النصائح والتحذيرات اليه من جانب قدامى الاعضاء اهانة .

اثر ذلك ، كان لا بد أن يتولد ضد فولك تيار معارض قوي بين صفوف أعضاء هيئته .

وتحت ضغط هذا التيار ، طلب مجلس الاسبتارية من فولك ، في عام ١٣١٧ ، ان يمثل (٢) أمامه ويقدم له حسابا عن سياسته ، غير أن فولك رفض هذا الطلب بازدراء . وفي ذات ليلة (عام ١٣١٧) فوجيء فولك بالفرسان الثائرين يقتحمون عليه مقره الصيفي المعروف باسم روديني وهو على مسيرة نصف ساعة الى الجنوب من مدينة رودس العاصمة ، ويحاولون خطفه منه بالقوة ، غير انه استطاع ، بفضل اخلاص حاجبه ، أن يفلت منهم ، ويلجأ الى مدينة لندوس ، الواقعة على الساحل الشرقي لجزيرة رودس ، ليتحصن في قلعتها ، وكان أن حاصر المتآمرون فولك في تلك القلعة ، على حين اجتمع مجلس الاسبتارية واصدر قرارا بفصله من منصبه ، وتعيين موريس (٣) دي پانياك Maurice de Pagnac سيدا كبيرا لهيئة الاسبتارية بدلا عنه .

وقد بعث مجلس الاسبتارية والسيد الكبير المنتخب حديثا ، موريس دي پانياك ، في ٨ يوليه عام ١٣١٧ ، برسالتين منفصلتين عن الاحداث التي جرت في رودس ، الى البابا حنا الثاني والعشرين ، مع رسول خاص .

---

(١) انظر Vertot II, PP.158-160; Biliotti, PP.138-139

(٢) أنظر Vertot II, P.160

(٣) أنظر Pauli II, PP.62-64. numbri XLIII-XLIV; Amadi, P.398; D. de Roüix: Les Hosp. à Rhodes, PP.12-13; Vertot II, PP. 161-164.

كما ان فولك ، أبلغ البابا بهذه الاحداث التي جرت ضده من وجهة نظره ، عـــن طريق رسول خاص أقلعت سفينته ، فيما يظن ، من ميناء لندوس الواقع أسفل القلعـــة التي تحصن فيها فولك . (١) ورد البابا على هذه الاحداث بأن ارسل الى جزيـــرة رودس ، في يومي ١٧ ، ١٨ سبتمبر عام ١٣١٧ ، (٢) نائبين بابويين للتحقيـــق في الأسباب الدقيقة للازمة من أطرافها ، (٣) وأمرهما بأن يتسلما من كل من فولـــك وموريس دي پانياك تنازلا عن سلطاته ، (٤) ويتسلما من فولك قلعة لندوس ، ويبحثـــا مسألة ديونه من حيث مقدارها وشرعيتها ، (٥) ويصادرا ما لديه من اموال ومجوهـــرات وغيرهما من ثروة منقولة لحساب خزانة الهيئة حتى يمكن استخدامها في تسديـــد جانب من ديون صاحبها فولك . وكان على النائبين البابويين أيضا ان يبلغا كـــلا من فولك وموريس دي پانياك بالامر البابوي الذي يقضي بضرورة سفرهما لعرض اقوالهمـــا على البابا في مدينة أفنيون ، وان يخطرا مجلس الاسبتارية بأن البابا قد استخـــدم سلطاته كرئيس أعلى لهيئة الاسبتارية ، ثم عهد الى چيرود دي پنز (Géraud des Pins) ، وهو نفس الرسول الذي كان قد بعث به مجلس الاسبتارية وموريس دي پانياك لابلاغ البابا بأمر احداث رودس ، بشئون الحكم في رودس الى حين يتخذ البابا قراره النهائـــي بشأن حل الازمة . (٦)

---

(١) أنظر : Vertot II,PP.163-164;Biliotti,P.140;D.Le Roulx: les Hosp. à Rhodes, P.13.

(٢) أنظر : Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes,P.14

(٣) أنظر المنشور البابوي الى فولك في Pauli II,PP.62-63 num.XLIII وأنظر ايضا D.Le Roulx: Loc.Cit.Vertot II,P.164

(٤) أنظر : Vertot II,P.165;Biliotti,P.140

(٥) أنظر : D. le Roulx:Loc. Cit.

(٦) أنظر : Vertot II,P.165

وتعزيزا لمهمة النائبين البابويين ، ارسل البابا الى كل من فولك وموريس دى بانياك في ١٤ أكتوبر عام ١٣١٧ ، رسالة خاصة بدأها بعرض موجز لوقائع احداث رودس كمقدمة لها ، وخلص من ذلك الى عرض مهمة النائبين البابويين الذين أرسلهما الى الجزيرة ، ثم ختم بابداء الرغبة في أن يصل اليه كل من فولك وموريس دى بانياك ، في مدينة افنيون ، في أقرب فرصة ⁽¹⁾ .

وفي نفس اليوم - أي في ١٤ أكتوبر عام ١٣١٧ ، كتب البابا رسالة الى جيرود ى بنز أبلغه فيها بقرار تعيينه وكيلا عاما لهيئة الاسبتارية مع تزويده بكامل السلطات لادارتها ، واصلاح شئونها الداخلية الى ان يتم التوصل الى تسوية للازمة في رئاستها ⁽²⁾

وفي تلك الاثناء ، كان حامل اختام الاسبتارية ، واسمه بطرس لونجولا ، في زيارة لمدينة افنيون ، فكلفه البابا حنا الثاني والعشرون بالعودة الى رودس لكي يشرح لفولك - وهو صديق شخصي له ، ما اتخذ حتى ذلك الوقت من اجراءات لعلاج الموقف ، ويخفف عنه وقع العنيف منها ⁽³⁾ . وفي نفس الوقت كتب البابا رسالة لفولك أوصاه فيها بحامل الاختام والاستماع لنصائحه وفق التعليمات التي زود بها (اكتوبر ١٣١٧) ⁽⁴⁾ .

ومهما يكن من امر ، فان فولك ، وكذا موريس دى بانياك ، لم يجدا امامهما آنذاك الا ان يستجيبا لاوامر البابا ، وما لبث الرجلان أن غادرا جزيرة رودس ، لمقابلته في مدينة افنيون ⁽⁵⁾ . ومن المعتقد ان موريس دى بانياك توجه الى مدينة افنيون رأسا ، اما فولك

---

(١) بخصوص الرسالة الى فولك أنظر : Pauli II, PP.62-63, num. XLIII

أما بخصوص الرسالة الى دى بانياك فانظر : Ibid, P.P 63-64, num. XLIII

(٢) أنظر : Pauli II, PP.64-65, num. XLV.;D.Le Roulx: les Archives, P.35.

(٣) انظر D. Le Roulx; les Hospit. à Rhodes, P.15

(٤) انظر D. Pauli II, P.61, num. XLII.

(٥) انظر : D. Le Roulx: les Hospit.à Rhodes, P.15; Biliotti, P.

فقد تخلف فى مدينة نابلى بايعاز البابا ، حيث استقبله الملك روبرتو أنجو ، ملك نابلى وصقلية ، استقبالا حافلا يتناسب مع سمعته كقائد صليبى عظيم (١) ، واصطحبه معه ، بعد أخذ موافقة البابا ، فى حملته العسكرية التى جردها على مدينة جنوة ، أحدى مدن بيد مونت ، مما أخره عن الوصول الى أفنيون حتى أوائل شهر أغسطس عام ١٣١٨ (٢)

وقد ترافع أكثر فقهاء القانون شهرة عن كل من فولك وموريس دى بانياك أمام البابا ومجلس كرادلته ، وقال المحامى الذى تولى الدفاع عن موريس دى بانياك ، واسمه أولدرادو دال پونتى من لودى (Oldrado dal Ponte, de Lodi) ، بأن فصل فولك وتعيين موريس دى بانياك كان عملا قانونيا لانه تم عن طريق مجلس الاسبتارية ، وهو مجلس منبثق عن المؤتمر الاسبتارى العام ، الذى رفع فولك الى مركز الرئاسة ، ولديه سلطة فصله اذا رأى أنه أساء استخدام السلطات التى منحها له ، أما محامى فولك فقد بدأ مرافعته بعرض للفتوحات التى قام بها فولك شرق البحر المتوسط واستفادت منها هيئة الاسبتارية والقضية المسيحية فى الشرق بوجه عام ، ثم استنكر أن يجازى فولك على هذه الخدمات بالعزل من منصبه على يد نفر من العصاة بين اعضاء الهيئة التى يرأسها ، واعترض

---

(١) أنظر : D. Le Roulx/ les Hospit. à Rhodes, PP.15-16, Vertot II, P.167

(٢) نشر پاولى اربع رسائل بابوية متعلقة بهذه الرحلة وقد وجه البابا رسالته الأولى الى الملك روبرتو فى نابلى قبل خروجه الى جنوة ، طلب فيها عنه عدم تأخير فولك لديه عن المجئ الى أفنيون لسماع اقواله (Pauli II, P.66, num. XLVII)

ووجه رسالته الثانية الى الملك روبرتو نفسه ضمنها اياها موافقته على ان يصطحب الملك معه فولكا فى رحلته الى جنوه (Ibid, P.67 , num. XLIX)

أما رسالة البابا الثالثة فقد وجهت الى فولك وتضمنت تصريح البابا له بالتأخير عن الحضور الى افنيون ليتمكن من اصطحاب الملك روبرتو فى رحلته الى جنوه (Ibid, P.68 num. L) هذا وكتبت الرسالة الرابعة الى الملك روبرتو بعد وصوله الى جنوة ، وتضمنت تهنئة البابا له بسلامة الوصول الى هذه المدينة وحثه على ان يأذن لفولك بالرحيل الى افنيون (Ibid, P.68 num. Ll

على أن يكون من سلطة مجلس الاسبتارية عزل السيد الكبير وهو الشخص الذي يعود اليه الفضل في منحهم القابهم وتعيينهم في مناصبهم التي أعطتهم الحق في عضوية المجلس . (١)

ويتفق المؤرخ دي يلافيل لرو(Delaville Le Roulx) مؤلف كتاب الاسبتارية في رودس حتى وفاة فليبرت دي نيلاك (١٣١٠ ـ ١٤٢١) ، مع محامي موريس دي بانياك في القول بشرعية فصل فولك وتعيين موريس دي بانياك عن طريق مجلس الاسبتارية ، ويقول تبريرا لذلك ، بأن هذا المجلس كان بمثابة وكيل دائم عن المؤتمر العام الذي يملك سلطة تعيين السادة الكبار للاسبتارية وعزلهم ويحاول دي يلافيل ان يدحض الحجة التي ساقها محامي فولك بأن اعضاء المجلس لا يملكون سلطة عزل من عينهم في مناصبهم ، فيقول بأن هؤلاء الاعضاء حقيقة ، عينوا في هذه المناصب ، أو بالأحرى ، رشحوا لها ، بفضل السيد الكبير ولكنهم كانوا يستمدون سلطاتهم عن المؤتمر العام ، لا من السيد الكبير ، لان المؤتمر العام يملك سلطة تثبيتهم في هذه المناصب أو رفض ترشيحهم لها . (٢)

غير أنه من الممكن الرد على هذا الرأي بأن القانون والعرف صريحان في النص على أن اختيار السيد الكبير يتم داخل مؤتمر اسبتاري عام ، (٣) وعليه فان عزل السيد الكبير لا يجوز أن يتم الا عن طريق المؤتمر العام ، وكان في استطاعة المجلس أن يعقد مؤتمرا عاما قاصرا على أعضاء الهيئة المقيمين في رودس ، اذا كان في عجلة من أمره ، لعزل فولك وتعيين موريس بانياك ، أو كان يلجأ الى البابا ، بصفته الرئيس الاعلى لهيئة الاسبتارية ليدعو الى عقد مؤتمر اسبتاري عام كامل يناقش فيه هذا الموضوع. (٤)

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: les Hospit. à Rhodes, PP.16-17; Vertot II, PP.168-169

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P.17

(٣) أنظر : Les Statuts, Titre 13 , nom. I, PP.115 - 118

(٤) في فبراير عام ١٤٦٧ عقد مؤتمر اسبتاري عام في روما ، بطلب من البابا بولس الثاني على أثر الشكاوى التي رفعت اليه من جانب عدد كبير من رؤساء بيوت الاسبتارية في أوروبا ، متهمة السيد الكبير زاكوستا ، بفرض أعباء مالية اضافية عليهم بدون وجه حق وقد استدعى زاكوستا من جانب البابا ليدافع عن نفسه امام المؤتمر العام ، واستطاع ان يبرئ نفسه مما نسب اليه وينال تقدير البابا .

أنظر : Biliotti, P.237.

وقد يكون مما يعزز هذا الرأى الاخير أن البابا اتخذ قراره فى لول ملوس عــــام ١٣١٩ بالغاء انتخاب موريس دى پانياك واعادة فولك الى منصب الرئاسة ، على ان يعوض دى پانياك بمنحه آمرية الاسبتارية فى ارمينيا ونصف الامرية الكبرى فى قبرص (١) .

على أن ذلك لا يمنع وجود دوافع أخرى وراء القرار البابوى السابق منها ما قال بـه المؤرخ ديلاڤيل لرو ، والمؤرخ ڤرتو Vertot من قبله ، من رغبة البابا فى عدم تحـدى الرأى العام فى اوروبا الذى لم يكن يعرف عن فولك سوى أنه بطل صليبى انتزع من الاتـراك المسلمين عددا من جزرهم المحيطة بسواحلهم فى شرق البحر المتوسط ، فأحاطته الجماهير بالحفاوة والتكريم أينما حل ، اثناء رحلته من رودس الى أفنيون حتى داخل بلاط البابـا نفسه . ومن المحتمل ايضا أن يكون البابا قد اراد (٢) ، باعادة فولك الى منصبه ، أن يؤكـد لنفسه سلطة عزل وقبول استقالات السادة الكبار فى هيئة الاسبتارية ، تأكيدا ، فى الوقت نفسه ، لرئاسته العليا لهذه الهيـئة .

وأيا كان هذا الدافع فقد كان البابا يدرك تماما ان قراره باعادة فولك الى منصبـه سوف لا يساعد على اعادة الوئام بين صفوف الاسبتارية فى رودس ، ولذا اقنع فولك بـأن يقدم له استقالته مقابل منحه رئاسة شعبة كاپوا باستثناء آمرية نابلى ، لانها احدى الآمريات المخصصة ايرادتها للسيد الكبير (chambere magistrale) ، مع اعفائه من دفـع الرسوم المفروضة على هذه الشعبة (٣) لخزانة الاسبتارية. وما لبث البابا أن اصدر قرارا آخـر أصبح فولك بمقتضاه لا يدين بواجب الطاعة والولاء للسيد الكبير لهيئة الاسبتارية وانما للبابا

---

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P.17

(٢) عن هذه المناوأة انظر : Ibid, PP.16-17; Vertot II, P.167 , PP. 170_171

(٣) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, PP.17-18 ; Vertot II,/ والمرسوم البابوى فى Pauli II, P.72 num. LIV)

وحـــــد . (١)

وعند ما اصبحت استقالة فولك نهائية ، اجتمع من كان يوجد آنذاك في مدينة أفنيون من اعضاء مجلس الاستبارية ورؤساء الشعب ، الذين عرف منهم رؤساء شعب فرنســـا وشامبهني واوفرن وتولوز وقشتالة والبرتغال والبندقية ، في قصر البابا حنا الثاني والعشرين وبطلب منه ، على شكل مؤتمر عام ، واختاروا بالطريق القانوني المعتاد سيدا كبـــيرا لهيئتهم ، بدلا عن فولك الذي استقال ، هو هليون دي فيلينيف (Hélion de Villeneuve) (٢) مقدم شعبة بروفانس . (٣) وقد وافق البابا ، في ١٨ يونيه عام ١٣١٩ ، على هذا الاختيار الذي تم بايحاز منه على ما قيل . (٤)

وكان أن رأى هليون دي فيلينيف أن من الصالح تأجيل سفره الى جزيرة رودس فـــترة من الزمن يبقى خلالها في بروفانس قريبا من البابا للاستعانة به في حل مشكلات هيـــئة الاسبتارية الملحة وعلى رأسها مشكلة الديون التي تضخمت كثيرا بسبب تبذير السيد الكبير المستقيل فولك . (٥)

---

(١) أنظر : Pauli II , P.73, num. LV
اقترف فولك في شعبة كابوا نفس الاخطاء التي تسببت في فصله من منصب السيـــد الكبير للاسبتارية ، مما ابعد عنه عواطف الاهالي الذين طلبوا من البابا ، ان يفصـــله من منصبه . وقد استجاب لهم البابا حنا الثاني والعشرون واصدر قرارا في ١٣ يناير عام ١٣٢٥ ، قضى بنقل فولك الى رئاسة شعبة روما . غير ان البابا اصدر فـــــي ٢٥ ابريل عام ١٣٢٦ قرارا آخر حدد فيه لفولك معاشا سنويا مقداره الفا فلورنـــــي ، مرهونة على دخل شعبتي نافاره وشامبانيا مما يدل على اعفاء فولك من منصبه الجديد بعد (D; Le Roulx: les Hospit.à Rhodes, P.18) وقد توفي في اول سبتمبر عام ١٣٢٧ ودفن في كنيسة القديس حنا الكبير بمدينـــــة مونبلييه الفرنسية — انظر : Ibid, Op. Cit., P.18; Vertot II, P.171

(٢) انظر : D.Le Roulx: les Hosp.à Rhodes, P.51.
ينتسب فيلنيف الى اسرة مشهورة وقوية في بروفانس . وكان والده جيرو الثاني دي فيلنيف Géraud II de Villeneuve يحمل لقب بارون . وفي ٢٠ نوفمبر ١٣١٤ عين رئيسا لشعبة بروفانس وظل في المنصب حتى اختير سيدا كبيرا للاسبتارية .
أنظر : Ibid, OP.Cit, P.52, Biliotti, P.142

(٣) أنظر : D.Le Roulx Op.Cit. P.51; Biliotti, P.142.
مع ملاحظة ان قدامى المؤرخين قبل بيليوتي (نشر كتابه عام ١٨٨١) ودي لافيـــل لــرو (نشر كتابه عام ١٩١٣) وعلى رأسهم فرتو (الجزء الثاني ص ١٧٥) كانوا يعتقدون بأن تولية فيلنيف تمت في عام ١٣٢٣ .

(٤) انظر : Vertot II, P.175; Biliotti, P.14 .

(٥) عن قيمة هذه الديون والدائنين انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, P.53; Biliotti, P.146.

وبناء على اقتراح هليون د ى ڤيلينيف ، كلف البابا حنا الثانى والعشرون ، فى ٢٩ مارس عام ١٣٢٠ ، شخصيتين اسبتاريتين كبيرتين ، هما حامل الاختام ، بطرس أونجولا ، والمفتش العام فى الغرب ، ليونارد وتيبرتى ، بمهمة التصرف على هذه الديون وتوزيعها على الشعب المختلفة وتحديد شروط تسديدها مع الدائنين .

وقد استطاع هليون د ى ڤيلينيف أن يسدد هذه الديون فى غضون نحو عشر سنوات منذ ذلك التاريخ ، أو بفضل سياسته الحكيمة ، ومعاونة المؤتمرات العامة التى عقدها أساسا لمناقشة هذه المشكلة ، فضلا عن مساعدة البابا حنا الثانى والعشرين الذى لم يتردد فى اعطاء موافقته للسيد الكبير ڤيلينيف ، كلما طلبها من أجل التصرف فى عقار أو قطعة من ارض الوطن أو الايجار طويل الامد على هيئة الحكر أو الهبة ، وهى موافقة كان لابد من الحصول عليها فى مثل هذه الحالات .

ومن الدلائل على أن الديون قد سددت فى ذلك الوقت ، عدم مناقشتها فى المؤتمرات العامة التى عقدت بعد ٢ نوفمبر عام ١٣٣٠ (١) ، فضلا عن شهادة السائح الالمانى لودولف فون سوشيم (Ludolph von Suchem) ، الذى زار جزيرة رودس فى نطاق رحلته الى فلسطين بين عامى ١٣٣٦ ، ١٣٤١ ، وكتب عن رئيسها ڤيلينيف بأنه غاية فى الشح ، وأنه كدس ثروة لا تحصى ، وحرر هيئة الاسبتارية التى يرأسها من أغلال ديون باهظة (٢) .

على أن مسألة تسديد الديون لم تكن هى الشغل الشاغل الوحيد للسيد الكبير هليون د ى ڤيلينيف ، أثناء اقامته فى بروڤانس ، فقد انهمك أيضا فى دراسة العديد من الطلبات التى تقدم بها اليه بعض أمراء اوروبا وسادتها ، عن طريق البابا حنا الثانى والعشرين ، للحصول على أراضى أو عقارات من ارث الداوية فى بلادهم وهو الارث الذى استكمل الاسبتارية وضع يدهم عليه بفضل الجهود المشتركة للسيد الكبير ڤيلينيف والبابا حنا الثانى والعشرين ، وكان ڤيلينيف يوافق باستمرار على بعض هذه الطلبات التى يرى فيها

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: les Hospit. à Rhodes, PP.53-57

(٢) أنظر : Ludolph von suchem, P.34

فـــــائدة مادية للاسبتارية ، كما كان يوافق على الطلبات التى تجنى هيئته من ورائها فوائد سياسية ممثلة فى كسب مودة بعض الشخصيات الاوروبية الكبرى مثل چان Jeanne زوجة فيليب الخامس ملك فرنسا ، التى اشترت من الاسبتارية منزلا فى سافوا ، ومثل متى دى تريك (Mathieu de Tric) مارشال فرنسا ، الذى أجر له فيلينيف منزلا ، ومثل سانشا Sancha ، ملكة صقلية ، التى باع لها فيلنيف مخزنا كبـــــيرا ومثـــل ألفارو نونيز دوسوريو (Alvaro Nunez d,Ossoris) ، مستشار الفونسو الحادى عشر ، ملك قشتاله ، وقد تنازل له الاسبتارية عن قصر ومنزل مقابل تنازله لهـــم عن عقارات مملوكة له ، وغير ذلك من الشخصيات ، (١)

وبعد أن فرغ فيلنيف من تسوية جميع هذه المشاكل فى اوروبا ، رحل عنهـــــــا ، بعد ٢٥ مايو عام ١٣٣٢ ، إلى جزيرة رودس التى وصل اليها قبل ٦ سبتمبر من نفـــس العام ، (٢) وأكثر ما وجه اليه فيلنيف اهتمامه فى رودس كان التعمير والتشييد حتى أطلق عليه لقب بناء رودس (Batisseur de Rhodes) (٣) هذا الى أنه عقد فى مدينة رودس أربعة مؤتمرات عامة ، فى الاعوام ١٣٣٥ (٤) ، ١٣٣٧ (٥) ، ١٣٤٠ (٦) ، ١٣٤٤ (٧) على

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: les Hospit. à Rhodes, PP.59-65

(٢) أنظر : Ibid, OP. Cit., PP.85-86; vertot II, P.180

وقد كان فيلنيف فى ٢٥ مايو عام ١٣٣٢ لا يزال فى مارسيليا بفرنسا ، فقد أوصاه البابا فى هذا اليوم بألا يبدأ فى الرحلة الى رودس قبل ان يتم لــــه الشفاء . أنظر Pauli II, P.81 , num. LXIII

(٣) أنظر Farochon , P.69

(٤) أنظر D. Le Roulx:OP. Cit.,P.56

(٥) أنظر Ibid: Op. Cit?, P. 120

(٦) أنظر Ibid: Loc. Cit.

(٧) أنظر Ibid: Op. Cit., P.96

التوالى ، بواقع مؤتمر عام فى كل عام ، اتخذ فيها ما يلزم من قرارات دعمت النظام داخل صفوف الاسبتارية . ومن انجازاته أيضا أنه منع التسول ، وقوى البحرية ، وعزز الحاميات وغيرها من وسائل الدفاع ، فى جزيرة رودس فضلا عن جزر الارخبيل الخاضعة لها .(١)

وعندما توفى ڤيلنيف فى مايو عام ١٣٤٦ ،(٢) اختار الاسبتارية فى رودس الآسر الكبير ، واسمه ديه دونيه دى جوزون أى (عطية الله جوزون Dieudonné de Gozon سيدا كبيرا لهيئتهم خلفا له . وقد صدق البابا ، كليمنت السادس ، على اختيار جوزون ، فى ٢٨ يونيه عام ١٣٤٦ ، بعد أن استشار وكيل عام الاسبتارية لدى البلاط البابوى ، ورؤساء شعب الاسبتارية فى سان چيل وكاپوا وناڤارا ، وسبعة من الآمرين مديرى الدوائر Commandeurs تصادف وجودهم آنذاك فى مدينة أڤنيون مقر البابوية .(٣)

ويعرف عن السيد الكبير جوزون أنه من مدينة رويرج Rouergue(٤) الواقعة فى اقليم لانجدوك Languedoc(٥) ، وأن له أقارب كثيرون أعضاء فى هيئة الاسبتارية منهم من كان يشغل مناصب مديرى الدوائر Commandeurs(٦)

وقد اقترن اسم جوزون بحادث ، لعله اسطورة سجلها الادب والفن الرودسى زمن الفرسان الاسبتاريين . ويتلخص الحادث فى أن وحشا ضخما ، يعتقد بأنه تنين ، من بقايا الحيات التى اشتهرت بها جزيرة رودس قديما حتى اطلق عليها وقتذاك اسم جزيرة الحيات Ophionés ، أثار ، فى عام ١٣٤٢ ، أى فى عهد رئاسة ڤيلنيف ، الذعر بين

---

(١) أنظر Vertot II, PP.180-182; Biliotti, PP.145-146

(٢) أنظر D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, P.98

أما بليوتى Biliotti (ص١٥٨) فانه يذكر بأن الوفاة تمت فى شهر يونيه .

(٣) انظر D. Le Roulx: les Hospit. à Rhodes, P.101

(٤) انظر Ibid: OP. Cit, P.102

(٥) انظر Biliotti, P.159

(٦) انظر D. Ibid: OP.Cit., PP.102-104

أهالى وادى قريب من العاصمة رودس كان يعرف آنذاك باسم وادى موپاس maupas وعندما كثر عدد ضحاياه من فرسان الاسبتارية الذين تجرأوا على محاولة قتله ، اصدر السيد الكبير ڤيلنيف (عام ١٣٤٢) قرارا بفصل كل من يحاول من الاسبتارية الاقتراب من مكان الوحش • غير أن الفارس جوزون لم يأبه بهذا القرار ، وقام برحلة الى فرنسا حيث درب كليين وفرسا له على مهاجمة تمثال خشبى صنعه للوحش ، ثم رجع الى رودس وأجهز على الوحش بمساعدة هذين الكلبين والفرس واثنين من خدمه المخلصين وقد نفذ ڤيلنيف قرار الفصل فى جوزون ، ولكنه ، بعد أيام قليلة ، عفا عنه ، واعاده الى عضوية الهيئة ، واثنى عليه • (١)

ومما عرف عن السيد الكبير جوزون ، أيضا ، أنه عقد فى مدينة رودس موتمرين عامين ، أولهما فى ١٠ يناير عام ١٣٤٧ ، وثانيهما فى ٢ مارس عام ١٣٥٣ ، أتخذ فيهما قرارات هامة هدفها المحافظة على النظام داخل هيئة الاسبتارية وتعزيزه ، (٢) وانه ارسل ، فى يوم ١٥ أغسطس عام ١٣٤٧ خطابا دوريا الى رؤساء بيوت الاسبتارية فى داشيمـا والدنمرك والسويد والنرويج ، ويحثهم فيه على امتناعهم عن ارسال أنصبة الخزانة فى رودس من دخول البيوت التى يديرونها ، منذ أن طرد الاسبتارية من الشام عام ١٢٩١ • وبعد أن لفت نظرهم الى أن زملاءهم فى رودس فى حرب دائمة ضد الترك المسلمين وانهم لذلك فى حاجة ماسة الى جميع موارد هيئتهم التى نذرت فى الاصل لمواصلة هذه الحرب ، أمرهم بأن يرسلوا فى كل سنة الاموال التى تطلبها منهم الخزانة فى رودس عن طريق محصل الاسبتارية فى الفلاندرز ، ثم هددهم بعزمه على انزال العقاب بكل من يخالف منهم هذه الاوامر • (٣)

---

(١) أنظر Vertot II, PP.183-193;Farochon, PP.69-83;Biliotti, PP.146-155; D.Le Roulx:les Hospit. à Rhodes,PP.104-105

(٢) أنظر D. Le Roulx: Les Hosp.àRh., P.113

(٣) أنظر Pauli II PP.90-91, num. LXll; Vertot II, PP.216--217

وكان روءساء بيوت الاسبتارية فى الدول الاسكندناقية وشمال المانيا واسبانيا ، فى حقيقة الامر ، قد اظهروا ، منذ مدة ، ميولا للتحرر من السلطة المركزية لهيئتهم فى رودس غير أن سلطة جوزون كانت فى جميع الاماكن الاخرى وطيدة الاركان (١) . ومع ذلك فقد طلب جوزون من البابا أنوسنت السادس ، فى عام ١٣٥٢ ، أن يعفيه من منصبه بحجة كبر السن وأصر جوزون على طلبه ، بالرغم من توسل البابا اليه بالاستمرار فى آداء واجبه ، فلم يجد البابا مندوحة من الموافقة على طلب الاستقالة فى ٤ يولية عام ١٣٥٣ . وكان أن بعث البابا بقرار الموافقة الى رئيس أساقفة رودس لتوصيله الى جوزون ، راجيا اياه أن يضمن للسيد الكبير المستقيل معاشا يكفيه لتمضيته بقية حياته فى سلام . غير أن جوزون توفى فى ٧ ديسمبر عام ١٣٥٣ من غير أن يعلم بقرار البابا بسبب تردد رئيس الاساقفة فى اطلاعه عليه (٢) .

وقد حكم جزيرة رودس ، بعد جوزون ، ستة عشر رئيسا كبيرا . كان آخرهم فيليب فيليير دى ليل آدام (Philippe Villiers de L'Isle Adam) الذى اختير لمنصب الرئاسة فى ٢١ أو ٢٢ يناير عام ١٥٢١ (٣) وظل فيه حتى طرد هو وجميع اعضاء هيئة الاسبتارية من جزيرة رودس فى أول يناير عام ١٥٢٣ على يد السلطان العثمانى سليمان الثانى الشهير باسم السلطان سليمان القانونى (٤) .

---

(١) أنظر D. Le Roulx Les Hospit. à Rhodes, P.114

(٢) أنظر Ibid OP. Cit. , PP112-113, Biliotti, P.164; Vertot 11, P.222

(٣) أنظر Biliotti, P.287 الذى يقول بالتاريخ ٢١ يناير ، (De naberat , P.81) الذى يقول بالتاريخ ٢٢ يناير .

(٤) توفى دى ليل آدم فى جزيرة مالطة فى ٢١ أغسطس سنة ١٥٣٤ — أنظر De naberat , P.81

التشييد والبناء" :

ولعل أعظم الانجازات الدفاعية التي تمت في عهد السادة الكبار الذين حكموا جزيرة رودس من فرسان الاسبتارية كانت انجازات التشييد والبناء وبخاصة ما يتصل منها بتحصين العاصمة رودس التي تقع في الطرف الشمالي من الجزيرة • ومن الثابت أن أعمال التحصين بدأت منذ عهد السيد الكبير الاول فولك دى فيلاريه • وقد أقام فولك الجانب الاكبر من التحصينات التي شيدها • على اساسات الحصون البيزنطية المتهدمة في الجزيرة (١) ثم تناول خلفاؤه هذه التحصينات بالاصلاح والتجديد والاضافة • كلما استدعى الامر ذلك اما لمواجهة تهديد بالفتح من جانب الاتراك أو المماليك • أو لاصلاح ما تهدم نتيجة الحصار الذى فرضه حول العاصمة رودس المماليك المصريون في عام ١٤٤٤ والاتراك العثمانيون في عام ١٤٨٠ • وما تقوض بسبب زلزال وقع في عام ١٤٨١ • (٢) فضلا عن الحاجة لمسايرة التطور في صناعة الاسلحة وبخاصة سلاح المدفعية • مما استلزم معالجة الحصون بحيث تصبح صالحة لاستقبال هذه الاسلحة المتطورة داخل جدرانها • وتغدو قادرة على الثبات عندما يوجه الاعداء هذا السلاح صوبها (٣) • وفي الواقع • لقد غدت مدينة رودس العاصمة نتيجة لهذا التحصين المستمر قلعة بعيدة المنال • واصبحت في القرن الخامس عشر الميلادى

---

(١) أنظر : De Belabre, P.21

(٢) أنظر : Ibid, P.39

وقد زار الرحالة الالماني أرنولد فون هارف Arnold von Harff مدينة رودس بعد مرور ستة عشر عاما على وقوع حادث الحصار الذى فرضه العثمانيون حولها وانتهى الى فشل • أى في عام ١٤٩٦ (زار) بأن السيد الكبير دوبيسون الذى كان يتولى حكم رودس أثناء الحصار • ووقت زيارة هارف لها أصلح ما قوضه الحصار من السور • وقواه فأصبح سمكه أربعة وأربعين قدما لا يدخل ضمنها سمك الستائر أنظر : Harff, P.84

(٣) أنظر : De Belabre, P.39; Biliotti, P.498

تعد واحدة من مدن اوروبا الاكثر منعة (١) . وقد بهر الكاتب التركي المجهول ، صاحب الرسالة التي تركها عن الحصار الاخير الذي فرضه العثمانيون ، بقيادة السلطان سليمان الثاني ، حول هذه المدينة في عام ١٥٢٢ ، وانتهى بسقوطها وسقوط الجزيرة كلها في أيديهم بهر بمنعتها ، فكتب يقول بأن اللسان والقلم لعاجزان عن الاهتداء الى الالفاظ أو التعبيرات المناسبة التي تصف بحق عظمة تحصينات المدينة ، وأن اولئك الذين وضعوا تصميم هذه التحصينات يستحقون الثناء (٢) .

ويمكن تقسيم تحصينات مدينة رودس ، بعد أن اكتمل تشييدها الى تشكيلات مجموعات بحسب موقعها ، هي مجموعة أبراج البوغازين ، أي البوغاز الكبير وبوغاز الماندراكي خارج اسوار المدينة ، ثم مجموعة الاسوار وما يتصل بها من أبراج وبوابات وخنادق تحيط بها ، وأخيرا قصر السادة الكبار في الحي العسكري المعروف باسم الكولاشيوم Collachium داخل الاسوار .

وفيما يتعلق بالابراج التي تحمي البوغازين فان عددها ثلاثة هي برج القديس نقولا ، وبرج نيلاك ، وبرج طواحين الهواء ، وأهم هذه الابراج هو برج القديس نقولا ، ويقع هذا البرج عند طرف رصيف يمتد رأسيا في البحر ليشكل الجانب الشرقي لبوغاز صغير ، شبه مستطيل طوله نحو ثلثمائة ياردة ، وعرضه مائتان (٣) ، كان يعرف باسم جون أو مرسى الشمال (Rade du Nord) (٤) ، كما عرف باسم بوغاز الاغربة (٥) ، حيث كان يستخدم في عهد الاسبتارية لايواء الاغربة الصغيرة (٦) ، وعرف عند الاتراك باسم الدارشانـــى Darshanee ، وعند الاغريق باسم الماندراكي mandrakee وهو أشهر الاسماء التي أطلقت على هذا البوغاز (٧) .

---

(١) أنظر : Biliotti, P.494

(٢) أنظر : Ibid, P.302

(٣) أنظر : De Belabre, P.23

(٤) أنظر : Farochon, P.73

(٥) أنظر : De Belabre, P.23; Farochon, P.73

(٦) أنظر : De Belabre, P.23

(٧) أنظر : De Belabre, P.23; Biliotti, P.499

والارجح أن برج القديس نقولا بنى فى عهد السيد الكبير زاكوستا ، فى عام ١٤٦٤ على انقاض برج أقدم ذو أصل عربى . وقد تبرع دوق بورجنديا ، فيليب الطيب بمبلغ من المال ، قدره اثنى عشر الف قطعة ذهبية من العملة المعروفة باسم الايكوس (ecus) مساهمة منه فى بناء البرج الجديد بمناسبة ذكرى الوقفة الباسلة التى قامت بها فرقة من مواطنيه البرجنديين للدفاع عن البرج القديم عندما حاصره المماليك فى عام ١٤٤٤ أى قبل بناء برج زاكوستا بعشرين سنة . ولان هذا المبلغ وصل الى رودس عن طريق الفارس الاسبتارى جنا داسيلى (Jean d,assaily) ، وكيل عام الاسبتارية فى بلاد الفلاندر ، فقد وضع درعه ، أو بالاحرى شارته ، الى جانب درع الدوق صاحب التبرع ، على مدخل البرج وفوق واجهته المطلة على البحر[1] .

ويرجح دى بيلابر De Belabre الرأى القائل بأن برج القديس نقولا شيد على نفس الموقع الذى أقام فوقه الرودسيون القدامى تمثال الكولوسوس Colossus . ويبنى رأيه على نظرية أن البناء الذى يقام فى العادة على انقاض بناء آخر ، انما يقام ليؤدى نفس الغرض الذى كان يؤديه البناء القديم ، وحيث أن الاسبتارية استخدموا الجزء العلوى من برج القديس نقولا ، كفنار للسفن ، فترة من الزمن ، وأن البيزنطيين من قبلهم كان لهم أيضا فنار فى نفس الموقع ، وأن الكولوسوس نفسه ما هو الا شكل من اشكال الفنارات ، أو هو على الاقل بناء أرضى أقيم لخدمة البحارة ، فعليه يمكن القول بأن العمائر الثلاث اقيمت فى مكان واحد[2] .

وبرج القديس نقولا أسطوانى (دائرى) الشكل[3] ، ويتألف من طابق ارضى عبارة عن غرفة واحدة متسعة هى غرفة الحراسة ، يعلوها الطابق الاول الذى يتصل بشرفة قوية

---

(١) أنظر De Belabre, P.25;Biliotti, PP.236-237; Flandin, PP 179, 180, 292; Harff, P.85

(٢) أنظر : De Belabre, P.23

(٣) أنظر : De Belabre, P.25; Biliotti, P.501

على أسطوانة فوقها بطارية المدافع ، ثم الطابق الثاني ، أو العلوي ، الذي توجد بعه (١) غرفة المراقبة . (٢) ويحيط بالبرج سور حجري شبه دائري ، سمكه نحو خمسين قدما ، وارتفاعه قريب من منتصف ارتفاع البرج . وقد شيد هذا السور في عهد السيد الكبير بطرس دوبيسون ، بعد أن فك العثمانيون الحصار الفاشل الذي فرضوه حول مدينة رودس في عام ١٤٨٠ ، بحيث ضم الى داخله ، بخلاف البرج ، كنيسة صغيرة كانت توجد الى جواره على الرصيف ، فضلا عن المدخل القديم للبرج . ويوجد الى الداخل من السور أيضا صهريج كبير يمد البرج بالمياه الضرورية ، كما يوجد بأسفله من الداخل مجموعة من القصوف المقببة القوية ، كانت حامية البرج تستخدمها كملاجئ ، عندما تتساقط فوقها قذائف الاعداء ، أو كانت تقصف هؤلاء الاعداء بالمدافع من فوقها . هذا ويقع مدخل البرج في الجهة الجنوبية ، وهو مدخل له باب صغير يؤدي اليه كوبري قلاب . (٣)

وبالرغم من وقوع برج القديس نقولا عند مدخل بوغاز الماندراكي من الناحية الشرقية ، فانه ، نظرا لقوة مدفعيته وتوغله في البحر ، لم يقم بحماية هذا البوغاز فحسب ، بل قام أيضا بحماية البوغاز الكبير ، الذي كان يعرف أيضا باسم بوغاز الجمرك ويقع الى الجنوب الشرقي من بوغاز الماندراكي . (٤) ومع ذلك ، فقد أقام الاسبتارية برجين خاصين لحماية مدخل البوغاز الكبير — وهو مدخل يبلغ اتساعه نحو مائتين وخمسين ياردة (٥) — أحدهما من الناحية الغربية وهو برج نيلاك ، (٦) والثاني من الناحية الشرقية ، وهو برج طواحين الهواء .

---

(١) أنظر : De Belabre, P.27; Biliotti, P.501

(٢) أنظر Harff, P.85

(٣) أنظر De Belabre, PP.26-27; Biliotti, P.501

(٤) أنظر Biliotti, PP.500 -501

(٥) انظر De Belabre, P.35

(٦) انظر De Belabre, P.33; Flandin, P.292.

ويقع برج نيلاك عند طرف رصيف طوله ستون ياردة . ويمتد هذا الرصيف شرقا ليشكل زاوية قائمة مع رصيف برج القديس نقولا الذى يمتد ناحية الشمال . ويبلغ ارتفاع البرج نحـو مائة وخمسين قدما فوق سطح البحر . وهو مربع الشكل . ومقوى فى كل زاوية من زواياه الاربع ببرج صغير مربع . ويرتفع فوق سطحه برج صغير خامس مثمن الاضلاع والزوايا (١) . وقد شيـد برج نيلاك فى عهد السيد الكبير فليبير دى نيلاك الذى يحمل اسمه ، فى عام ١٤٠٠ (٢) واشترك فى بنائه عدد كبير من الاسرى العرب ، فسمى أيضا باسم برج العرب (٣) ، علما بأن للبرج أسماء اخرى منها برج القديس انجيلو (St. Angelo) وبرج القديس ميخائيل St. Michael وبرج الفرنجة (Franks) وبرج الترابوكو (Trabuco) والاسم الاخير فى الغالب تحريف لكلمة (Trebuchetum) أو كلمة (Trébuchat) وكانتا الكلمتين تطلقان على المنجنيق الذى يقذف أحجارا ، وعرف فى العصور الوسطى الاوربية باسم الكاتا بولت (Catapult) . ويمتد على رصيف برج نيلاك حائط ستارة ، يبدأ من برج القديس بولس ، وهو أحد الابراج المتصلة بسور المدينة ، وينتهى قبل موضع بـرج نيلاك بنحو عشر ياردات ولكن يتصل به عن طريق قوس . وقد بنى هذا الحائط فى وقت متأخـر ربما فى عهد فلوڤيان (يوليه ١٤٢١ – أكتوبر ١٤٣٧) أو دى لاستيك (اكتوبر ١٤٣٧ – مايو ١٤٥٤) ، لتقوية البرج . هذا ويوجد بقاعدة برج دى نيلاك الجرانيتية الزرقاء موضـع لتثبيت أحد طرفى سلسلة ضخمة كانت تستخدم لقفل مدخل البوغاز (٤) .

ويقف فى مواجهة برج نيلاك ، على الناحية الاخرى من مدخل البوغاز الكبير ، وهـى الناحية الشرقية ، برج طواحين الهواء الذى سمى أيضا باسم برج القديس حنا أو برج المـلاك

---

(١) أنظر : De Belabre, P.34; Flandin, P.291

(٢) أنظر : De Belabre, P.33

(٣) أنظر : De Belabre, PP.33 - 34; Biliotti, P.501

(٤) أنظر : De Belabre, PP. 34 - 35

كما يمكن تسميته ، فى رأى د ى بيلابر De Belabre ، باسم برج فرنسا لان جميع جوانبه المطلة على اليابس والبحر مزينة بنقوش تمثل د رع فرنسا بزنبقاته الثلاث .(١)

ويقع هذا البرج — الذى شيده السيد الأمير جوزون (مايو ١٣٤٦ — د يسمبر ١٣٥٣) ، فى رأى فلاندان ، أو السيد الأمير روبيسون ، على أنقاض برج أقدم قيل أن الملك الفرنسى لويس التاسع بناه فى عام ١٢٤٨ وهو فى طريقه الى مصر ، فى رأى د ى بيلابر — عند طرف رصيف يمتد ، بطول مقداره مائتان وخمس وخمسون يـــاردة ، وعرض قدره خمس وثلاثون ياردة ، من الركن الشرقى لسور المدينة ، ويتجه ناحية الشمـــال ليشكل الجانب الشرقى للبوغاز الكبير . وقد بنى هذا الرصيف فوق أساسات اغريقية فى عهد السيد الأمير جوزون . وكان يحمل ، شأنه شأن البرج نفسه ، اسم طواحين الهـــواء بسبب وجود ثلاث عشر طاحونة هواء فوقه ، كان يطحن فيها معظم احتياجات الاهالى من الدقيق ، علما بأن دخول بعض هذه الطواحين كانت موقوفة للصرف منها على عدد مـــن الكنائس وقاعات الصلاة فى مدينة رودس ، وان طواحين هذا الرصيف لم تكن تشـــكل جميع الطواحين الموجودة فى المدينة ، بل كانت هناك أيضا ثلاث طواحين هواء على رصيف برج القديس نقولا الى الشرق من مونا الماندراكى ، وسبع طواحين فى الناحية الغربيـة من المدينة .(٢) (٣) (٤) (٥) (٦)

---

(١) أنظر : De Belabre, PP.33, 35

(٢) أنظر : Flandin, PP.287, 293

(٣) أنظر : De Belabre, P.35

(٤) أنظر : Ibid, PP.35-36

(٥) أنظر Harff, P.85, De Belabre, P27 ، Ibid, PP.35-36

وقد أشار الرحالة هارف أيضا الى الطواحين الثلاث عشر القائمة فوق الرصيف المقابل أى رصيف برج طواحين الهواء ، وذكر بأن فرقة من الغزاة الجنوية قد شيدتهـــا فى العصور الخالية — أنظر Harff, pP.85-86 . وليس من شك فى أن هـــذا الرحالة الالمانى كان يشير الى حادث احتلال الجنوية لمدينة رودس من البيزنطيين فى عام ١٢٤٨ — أنظر : De Belabre: Loc. Cit.

(٦) أنظر .

وبرج طواحين الهواء أصغر من برج نيلاك ، ولا يزيد ارتفاعه عن خمسة وسبعين قدما ، ويحيط بأسفله من ناحية البحر ، حائط منخفض تظهر فيه كوات المدافع ، أما من ناحية البابر فيوجد بجواره بناءان مربعا الاضلاع أحدهما غرفة الحراسة والثاني كنيسة (١) وعلى العموم فان هذا البرج لم يكن له سوى أهمية ثانوية بالمقارنة مع برجي القديس نقولا ونيلاك اللذين كانا يغطيان بنيرانهما القوية على نيران برج طواحين الهواء (٢) .

ومن الجدير بالذكر أن حراسة الابراج الثلاثة الواقعة خارج أسوار المدينة ، وهي أبراج القديس نقولا ، ونيلاك ، وطواحين الهواء ، كان يعهد بها كل ثلاث سنوات لفارس اسبتاري يختار بالتناوب من بين الطوائف القومية المختلفة التي كانت هيئة الاسبتارية تتألف منها ، ويحمل لقب قائد الابراج الثلاثة (٣) . واذا صدق فلاند أن فان هذه العادة تغيرت في أوائل القرن السادس عشر بحيث أصبحت قيادات الابراج الثلاثة توزع ، كل ثلاث سنوات ، على ثلاثة فرسان من طوائف مختلفة بدلا من اعطائها لفارس واحد (٤) .

أما فيما يتعلق بأسوار المدينة ، فقد كان يحوي خارجها ، في معظم أجزائها التي لا تشرف على البحر ، خندق حفر الجانب الاكبر منه ، في عام ١٢٧٥ في عهد السيادة البيزنطية ، ثم أكمل حفره في عهد الاسبتارية الذين قاموا أيضا بتوسيعه وتعميقه بعد خروجهم ظافرين من الحصار الفاشل الذي فرضه العثمانيون حول عاصمتهم في عام ١٤٨٠ ، بحيث أصبح اتساعه يتراوح بين الثلاثين والاربعين ياردة وعمقه بين الستعشرة والثلاثين ياردة (٥) .

---

(١) أنظر : De Belabre, PP.35-36.

(٢) أنظر : Biliotti, P.502

(٣) أنظر : De Belabre, PP.37-38

(٤) أنظر : Flandin, P.293

(٥) أنظر : De Belabre, P.39

ومن الثابت أن الجانب الاكبر من أسوار مدينة رودس من تصميم مهندسين ايطاليين منهم چياينو Giacno ، بارتولوتشى Bartolucci ، تادينو دى مارتيننجو Tadino de martinengo ، وقد استمال السيد الكبير كاريتو ، فى عام ١٥٢٠ ، المهندس باسيليو دى للا سكولا Basilio della Scola ، الذى كان يعمل آنذاك فى خدمة الامبراطور النمساوى ، ماكسيميليان maximilian ، فحضر الى رودس ، وادخل تعديلات هامة على تحصيناتها المختلفة تتمشى مع العصر ، منها أنه بتر الاجزاء العليا من جميع الحصون والابراج الى نفس مستوى ارتفاع حوائط الاسوار .(١)

وقد قسم السيد الكبير زاكوستا ، فى عام ١٤٦٥ ، السور ، وما يتصل به من ابراج وبوابات الى ثمانية قطاعات بعدد الطوائف القومية التى كانت تتألف منها وقتذاك هيئة الاسبتارية ، وعهد الى كل طائفة منها بمهمة الدفاع عن قطاع من هذه القطاعات التى أصبحت تعرف باسم الحصون أو المراكز وحمل كل منها اسم الطائفة التى تحميه وترفرف راياتهما



(١) أنظر : De Belabre, P.39

فوق حوائطـــــه (١) .

على أن هذا التوزيع فى المراكز على الاسوار بين طوائف الاسبتارية المختلفـــة ، أدخل عليه فى أوائل القرن السادس عشر تعديلات طفيفة أبرزها أن طائفة انجلترا تبادلت مركزها مع طائفة أرغونه (أسبانيا) ، وأن مركز المانيا اصبح أكثر أهمية (٢) .

وللتعرف على هذه المراكز بعد اجراء التعديل الاخير عليها ، يلزم القيام بدورة منها تبدأ بأحدها ، وليكن مركز قشتالة ، ويبدأ سور مركز قشتالة من برج دائرى صغيـر ، يقع فى الركن الجنوبى الشرقى من المدينة الى اليمين من قاعدة رصيف طواحين الهـــــواء الذى يشكل الجانب الشرقى للبوغاز الكبير ، ويمتد غربا حتى برج مماثل له فى الحجـــم ، يسمى القديس بولس ، ويقع عند قاعدة رصيف برج القديس نقولا الذى يشكل الجانب الشرقـــى لبوغاز الماندراكى (٣) . ويبلغ سمك هذا السور ستة أقدام ، وليس له قيمة دفاعية كبيرة ، لان من الصعوبة بمكان على أى أسطول مهاجم أن يصل اليه مخترقا سلسلة البوغاز الكبـــيــر ، الذى يطل عليه الجانب الاكبر من هذا السور ، ونيران الابراج الثلاثة التى تحمى هـــــذا

---

(١) أنظر : De Belabre, P.39

وقد أورد بليوتى (Biliotti, P.234) التوزيع الذى تم فى عام ١٤٦٥ على الوجه التالى :

أ — طائفة أوفرن : من برج نيلاك الى الجناح الشرقى لقصر السادة الكبار .

ب — طائفة المانيا : من الجانب الغربى لقصر السادة الكبار الى بوابة القديس جـــورج .

جـ — طائفة فرنسا : من بوابة القديس جورج الى برج أسبانيا .

د — طائفة اسبانيا : من برج أسبانيا الى برج القديسة مريم الذى كلفت هـــــذه الطائفة بالدفاع عن طوابقه السفلى .

هـ — طائفة انجلترا : من الطوابق العليا لبرج القديسة مريم الى بوابة القديس حنا غير مشتمل على هذه البوابة .

و — طائفة بروفانس : من بوابة القديس حنا الى برج ايطاليا .

ز — طائفة ايطاليا : من بوابة ايطاليا الى بوابة القديسة كاترينا .

ح — طائفة قشتاله : من بوابة القديسة كاترينا الى بوابة القديس بولس .

(٢) أنظر : De Belabre, P.41

(٣) انظر : De Belabre, PP.43,85, Biliotti, P.506

علما بأن بليوتى اختلف عن دى بيلابر فى تحديد بداية السور فذكر بانه يبدأ من بوابة القديسة كاترينا التى تفتح فى وسط البوغاز الكبير .

البوغاز والمناطق القريبة منه ، وهى أبراج طواحين الهواء ونيلاك والقديس نقولا ، ولهذا لم يقوى السور بستائر خارجية ، وعهد بحراسته لفرسان طائفة قشتالة وليون والبرتغال ، وهم الاقل فى العدد ، وطائفتهم هى الاخيرة فى الاهمية بين طوائف الاسبتارية الثمانى ⁽¹⁾ .

ويفتح فى هذا السور ، على مسافة خمسين ياردة الى الغرب من رصيف طواحين الهواء بوابة مزدانة بنقش يمثل د بى ، أى شارة السيد الكبير أوبسون (١٤٦٧ – ١٤٧٦) الذى يعزى اليه تجديد النصف الشرقى من سور قشتالة بما فيه هذه البوابة ⁽²⁾ ، ولما كانت هذه البوابة تفتح على حى اليهود ، فقد اطلق عليها اسم بوابة اليهود ، وكان الاهالى يخرجون عن طريقها الى رصيف طواحين الهواء لطحن دقيقهم فى الطواحين الثلاث عشرة القائمة فوق هذا الرصيف ، وكان يخرج منها أيضا منظفوا الشوارع لكى يلقوا بقمامة المدينة فى البحر ⁽³⁾ .

والى الغرب من بوابة اليهود ، توجد بوابة اخرى ، تكاد تقسم سور قشتالة الى قسمين متساويين شرقى وغربى ، وتفتح فى وسط البوغاز الكبير على رصيف واسع ، هى بوابة القديسة كاترين ⁽⁴⁾ ، أو ، كما يسميها الترك ، بوابة السوق (Bazar - Capou) ⁽⁵⁾

ويحف بهذه البوابة ، على الجانبين ، برجان قويان يحتويان من الداخل على صالات فسيحة . وواجهة البوابة مزدانة بنقوش تمثل اسلحة الهيئة ، أى شاراتها ، واسلحة مهندس الاسبتارية

---

(١) أنظر : De Belabre, P.85

(٢) أنظر Ibid, P.86 ، وقد أشار فلاندان (Flandin, P.295) الى هذه البوابة ، وقال بانها شيدت فى عهد دوبيسون ، وان اسمها بوابة دوبيسون واذا كنا اخذنا بقول دى بيلابر ، فلأن كتابه الفه فى وقت متأخر عن كتاب فلاندان ، وكان كتاب فلاندان احد مراجعه ، علما بأن فلاندان زار جزيرة رودس فى عام ١٨٤٤ (انظر كتابه ص ٢٨٦) على حين ألف دى بيلابر كتابه فى عام ١٩٠٨ وهو بجزيرة رودس

(٣) أنظر : De Belabre, P.86

(٤) أنظر : Ibid, PP.86 , 94

(٥) أنظر : Biliotti, P.505

الذى كان يعيش فى عهد السيد الكبير دوبيسون هو المهندس بطرس كلويه (P.Clouet
(١) ويعلو ذلك نقش بارز لثلاثة أشخاص يمثلون القديس بطرس والقديس حنا والقديسة كاترين •

ويرجح دى بيلابر بأن البوابة ببرجيها ، لم يكتمل بناؤها الا فى السنة الثانية من رئاسة
(٢) دوبيسون ، أى فى سنة ١٤٧٧ •

والى الغرب من بوابة القديسة كاترين بنحو خمسين ياردة • تفتح بوابة اخرى اصغر

هى بوابة أرنالدو Arnaldo • وتزدان واجهة هذه البوابة بثلاثة دروع تمثل

شارات هيئة الاسبتارية والسيدين الكبيرين ڤيلينيف وأورسينى • (٣) مما يدل على أن البوابة

شيدت فى عهد ڤيلينيف (١٣١٩ ــ ١٣٤٦) ، ثم أكمل بناؤها أو جدد فى عهد

أورسينى (١٤٦٧ ــ ١٤٧٦) •

ويلى هذه البوابة غربا برج ضخم مربع الشكل دوره العلوى قلعة صلاة مربعة كانت تابعة

للفرسان الانجليز الذين يصلون اليها بسهولة من خانهم الواقع ، بالقرب من البرج بداخل

(٤) المدينة •

---

(١) أنظر : De Belabre, P.87; Biliotti, P.505

(٢) أنظر : De Belabre, P.88

(٣) أنظر : Ibid , P. 97

يقول هذا المؤرخ (دى بيلابر) بأن من الصعب معرفة سبب تسمية البوابة باسم بوابة أرنالدو • ويذكر بأن لفظ ارنالدو كان يطلق ــ فى عهود أقدم ــ على المستجدين من أعضاء هيئة الاسبتارية ، أو على الاجانب المسيحيين فى الارض المقدسة • ومن ناحية اخرى يبدو بأن فلاند ان (ص ٢٩٦) لم يعرف هذه البوابة ، وخلط بينهما وبين بوابة القديسة كاترينا • فقد ذكر بأن بوابة القديسة كاترينا مزدانة من الخارج بشارة كل من ڤيلينيف واورسينى • ومن المعروف ــ بمقتضى أقوال دى بيلابر ــ بأن شارتى ڤيلينيف واورسينى كانتا تزينان بوابة أرنالدو • أما بوابة القديسة كاترينا فان بليوتى يذكر بأن واجهتها مزدانة بشارات هيئة الاسبتارية والمهندس بطرس كلوية •

وقبل أن يصل سور قشتالة فى دورانه ، حول البوغاز الكبير ، من الداخل ، الى (١) برج تيلاك تنفتح فيه بوابة اخرى اسمها بوابة البحرية ، أو بوابة البحر ، وهى البوابة الرابعة التى تفتح فى هذا السور منذ بدايته ، بعد بوابات اليهود والقديسة كاترين وأرنالدو ، ويبرز من السور ، على جانبى بوابة البحرية (Porte de la marine برجان مربعان زينت شرفة اولهما ، وهو الواقع الى الشرق من البوابة ، بدرع للسيد الكبير هيريديا (١٣٧٧ ـ ١٣٩٦) على كل من جانبى درع للهيئة مما يدل على ان هذه البوابة شيدت أو أكمل بناؤها فى عهد هيريديا .

وعندما يقترب السور من برج القديس بولس ، الذى ينتهى عنده ، مركز طائفة قشتالة يظهر فيه أيضا برجان مربعان يماثلان برجى بوابة البحرية ، ولكن يربطهما فقط قنطرة على شكل قوس . (٢)

هذا وكانت ترفرف على سور مركز قشتالة راية خاصة بهذه الطائفة عليها نقش للابراج الذهبية والاسود الحمراء التى تمثل شعار قشتالة جنبا الى جنب مع شعار البرتغال . (٣)

والى الغرب مباشرة من مركز قشتالة يأتى مركز " أو حصن " فرنسا الذى يبدأ بسبرج

---

(١) أنظر De Belabre P.93 ومن الملاحظ بأن فلاندان (Flandin, P.298 أخطأ حين قال بأن بوابة القديسة كاترينا كانت تسمى احيانا باسم بوابة البحريــة . ومن الواضح بأن فلاندان لم يعرف بأن هناك بوابة قائمة بذاتها اسمها بوابــة البحريــة .

(٢) أنظر : De Belabre, PP. 93-94

(٣) أنظر : Ibid, P. 85.

وابوابة القديس بولس ، (١) وينتهى عند بوابة داميسوازين غير ان تدخل فى نطاقه . (٢)

ويقع برج وبوابة القديس بولس الى الشرق من قاعدة رصيف برج القديس نقولا . (٣)

وتفتح البوابة على رصيف ضيق يجرى شرقا تحت سور قشتالة حتى بوابة البحر أو البحرية (٤)

وقد شيدت بوابة القديس بولس فى عام ١٥٠١ على يد السيد الكبير دوبيسون لتحل محل بوابة اخرى أقدم ، سدها دوبيسون لتصدعها ، فى القيام بوظيفة المنفذ الذى يخرج منه أهالى المدينة الى رصيف برج القديس نقولا وميناء الماندراكى (٥) ، علما بأن البوابة القديمة التى سدها دوبيسون شيدت فى عهد ڤيلينيف ، وكانت تحمل اسم بوابة القديس نقولا ، وتفتح فى السور الى الغرب من بوابة وبرج القديس بولس . (٦) ومن المرجح أن برج القديس بولس ، شيد ، هو أيضا ، شأنه شأن البوابة التى تحمل اسمه ، فى عام ١٥٠١ وهو برج دائرى لا يزيد ارتفاعه عن خمسة وثلاثين قدما (٧) ، وشرفته مزدانة بشكل للقديس بولس الذى يحمل اسمه كل من البرج والبوابة . (٨)

---

(١) أنظر De Belabre, P.44 ، يذكر جروسيه (Grousset; L'Emp.du ley., P.590) بأن مركز فرنسا يبدأ ببرج نيلاك . وتتفق خريطة فاروشون (Farochon, P.72) مع جروسيه فى ذلك . ولكن لا يمكن الاخذ بقولهما لان برج نيلاك يقع خارج الاسوار ويتبع ، مع برجى القديس نقولا وطواحين الهواء ، قيادة واحدة تختار بالتناوب من مختلف الطوائف . ومن ناحية اخرى فان بليوتى (Biliotti, 502-503) يقر بأن بوابة القديس بولس ـ وبالتالى برجها ـ تمثل بداية لمركز احد الطوائف . غير أن بليوتى ذكر خطأ بأن هذه الطائفة هى طائفة اوڤرن ، وهو خطأ جاء نتيجة أن بليوتى ، حين وزع مراكز الطوائف على السور ، وضع مركز طائفة أوڤرن محل مركز طائفة فرنسا وبالعكس .

(٢) أنظر : De Belabre, PP.50,53; Grousset, OP.Cit.,P.590.

(٣) أنظر خريطة فاروشون (ص٧٢) ، خريطة دى بيلابر (ص٤٠) .

(٤) أنظر : De Belabre; P.43

(٥) أنظر : Ibid , P.47

(٦) أنظر : Ibid Loc. Cit ، يذكر فلاند ان (Flandin, P.297) أن بوابة القديس بولس التى تعود الى عصر هليون ڤيلينيف ـ اصيبت بتصدعات خطيرة فأعاد دوبيسون بناءها ـ ويتضح من ذلك أن فلاند ان لا يعرف بأمر بوابة القديس نقولا القديمة ويعتقد بأنها وبوابة القديس بولس شيء واحد .

(٧) أنظر : De Belabre, P.43

(٨) أنظر : Flandin, P.296

ومن برج القديس بولص يتجه سور فرنسا ناحية الغرب فيمر ببوابة القديس نقولا التي سد ها د وبيسون في عام ١٥٠١ ، ثم يد ور حول برج قديم بناه السيد الكبير هيريد يا الى أن يصل الى برج د ائرى صغير شبيه ببرج القديس بولص ، هو برج القديس بطرس ، الذى بناه أو جد د بناءه السيد الكبير زاكوستا في عام ١٤٦٥ .

وعند برج القديس بطرس يغير سور فرنسا اتجاهه فيجرى ناحية الجنوب حتى يصل الى مؤخرة خان فرنسا ، الذى يقيم فيه فرسان طائفة فرنسا ، وعندئذ يأخذ السور اتجاه الغرب مرة أخرى الى أن يصل الى قصر السادة الكبار ، فيتجه شمالا ، ثم غربا ليحيط بحديقة هذا القصر ويد ور معها ناحية الجنوب حتى يصل الى بوابة د امبواز التي ينتهى عند ها مركز ، أو بتعبير آخر حصن فرنسا .

ومن لوحتين رخاميتين مثبتتين على جد ار الستارة الخارجية لسور فرنسا ، نقش على احد اهما د رع السيد الكبير د ويبسون وعام ١٤٧٦ ، ونقش على الاخرى ثلاثة د روع للسيد الكبير د امبواز ، خليفة د ويبسون ، وعام ١٥٠٧ ، يتبين أن سور مركز فرنسا كان له نصيب في أعمال التقوية والترميم التي أجراها هذا ن السيد ان الكبيران في تحصينات مدينة رود س

هذا وكانت راية طائفة فرنسا ، وهى راية زرقاء اللون مزينة بثلاث من زهرات الزنبق الذ هبية ، ترفرف باستمرار على هذا السور (١) .

والى جوار مركز فرنسا مباشرة ، يأتي مركز ، أو حصن المانيا ، الذى يبدأ ببوابة د امبواز وينتهى ببوابة القديس جورج مشتملا على كلتيهما (٢) .

وتفتح بوابة د امبواز على المدينة من ناحية الغرب ، وسميت البوابة بهذا الاسم نسبة الى السيد الكبير ايمرى د امبواز (١٥٠٣ - ١٥١٢). وقد اطلق عليها الترك اسم البوابة المنحرفة (Eghri - Capou) لان الطرق المؤدية اليها من د اخل

---

(١) انظر : De Belabre, PP.44 -50

(٢) أنظر : Ibid, PP.51, 53; Grousset: L'Emp. du Lev., P.590
أما بليوتي (Biliotti, P.503) وخريطة فاروشون (Farochon, P.72) فانهما يبينان بأن هذا الحصن ينتهى عند بوابة القديس جورج ، ولكنهما يظهران بأنه يبدأ من الجهة الغربية لقصر السادة الكبار ، قبل أن ينحنى السور الى الجنوب ليتجه ناحية بوابة د امبواز .

المدينة وخارجها منحرفة عن اتجاه هذه البوابة ، أما الاروام فقد أطلقوا عليها اسم (Tou Protomastrou) لانها أقربها البوابات الى قصر السادة الكبار (١) .

وقد حفر أمام البوابة من الخارج خندق عميق ، أقيم فوقه جسر أو قنطرة من الحجر. وشيد على جانبي هذه البوابة برجان دائريان عاليان ، لا يعلو ارتفاعهما على جدار السور ولكل منهما شرفة وافريز تظهر منه فتحات المدافع . ونحت فوق البوابة تمثال لملك باسط جناحيه وممسك بيده اليمنى شارة (أو درع) هيئة الاسبتارية ، وبيده اليسرى شارة دامبواز وحفر تحته ، أى تحت التمثال ، اسم هذا السيد الكبير وعام ١٥١٢ ، ونحت فوق رأسه تمثال نصفى للمسيح يشير الى السماء ويحمل الكرة الارضية فوقها صليب ، والتمثالان ، تمثال الملك وتمثال المسيح ، منحوتان فى قطعة واحدة من الرخام (٢) .

وبمقتضى دى بيلابر ، فان بوابة دامبواز كانت موجودة منذ البداية ولكن بدون برجيها ، ثم أعاد دامبواز ، الذى أعطى لها اسمه ، بناءها فى عام ١٥١٢ ، وقواها بالبرجين على جانبيها (٣) . وبمقتضى بليوتى بدئ فى تشييد هذه البوابة ، وما يحيط بها من انشاءات ، فى عهد دوبيسون ، ثم أكمل بناؤها فى عام ١٥١٢ فى عهد دامبواز (٤) .

ومن بوابة دامبواز ، يمتد سور مركز المانيا لمسافة مائتين وخمسين ياردة الى ان يصل الى بوابة القديس جورج التى ينتهى بها المركز . وقد شيد هذا السور لاول مرة فى عهد حنا لاستيك . غير أن دوبيسون هدم فى عام ١٤٩٦ جانبا منه ، وأعاد بناء ما هدم ، وشيد للسور ستارته الخارجية . وفى نفس هذا العام — عام ١٤٩٦ — سد دوبيسون بوابة القديس جورج ، التى بنيت ، وبرجها الذى يحمل اسمها ، مع السور فى عهد حنا لاستيك . وقد ادخل دوبيسون عندئذ ، برج القديس جورج — بواجهته التى تزينها لوحة

---

(١) أنظر : Biliotti, P.503

(٢) أنظر : De Belabre, P.50

(٣) أنظر : Ibid, PP.51-52

(٤) أنظر : Biliotti, P.503

رخامية كبيرة مبهمة الشكل تظهر عليها شكل للقديس جورج وهو يحارب التنين من فوق حصانه - ضمن استحكام خارجي ، مؤلف من دورين من الغرفات ، أحدهما تحت الأرض والآخر من فوقها ، شيده دوبيسون بارتفاع لا يعلو على مستوى ارتفاع السور .

وكان مركز ألمانيا متصلا بقصر السادة الكبار الذين كانوا يصلون الى هذا المركز عبر طريق مسور ، وينفذون الى داخله خلال بوابة يحف بها برجان دائريان .

هذا وكانت ترفرف على سور هذا المركز الراية الخاصة بطائفة ألمانيا ، وهي راية بيضاء اللون تشرفي وسطها نسر أسود ذو رأسين .(١)

ويأتي بعد ذلك مركز ألمانيا مباشرة ، مركز أوحصن أوفرن ، وكلا المركزين يقعان في غرب المدينة ، وبنى سورهما في عهد جنا لاستيك (١٤٣٧ - ١٤٥٤) .(٢)

ويبدأ سور مركز أوفرن عند بوابة القديس جورج ، غير مشتمل عليها ، ويمتد مسافة مائتين وخمسين ياردة الى أن يصل الى برج أسبانيا ، الذي يعرف أيضا باسم برج أوفرن ، وينتهي به مركز أوفرن شاملا اياه .(٣)

ولم يكن خندق أوفرن ، الذي يجري خارج هذا السور ، متسعا بما فيه الكفاية قبل الحصار العثماني الأخير عام ١٥٢٢ ، فوسعه السيد الكبير دي ليل آدم ، (١٥٢١ - ١٥٢٣) ، وعمقه الى نحو تسعين قدما ، وفي الوقت نفسه جدد بناء برج أسبانيا فيما عدا استحكامه الخارجي ، الذي كان قد جدد بناؤه في عام ١٤٨٩ في عهد دوبيسون .

---

(١) أنظر : De Belabre, P.53-57 .

(٢) أنظر : Ibid ,P.39 .

(٣) أنظر : Grousset : Op. Cit., P.590; Biliotti,P.503

مع ملاحظة أن بليوتي أخطأ فنسب هذا المركز الى طائفة فرنسا ، ووضع طائفة أوفرن في مركز فرنسا .

هذا وكانت ترفرف على هذا المركز راية طائفة أوفرن ، وهى راية ذهبية اللون تزينها سمكة الدرغيل فى الوسط (١) .

ويمتد مركز أراجونه ، الذى يلى مركز أوفرن ، مسافة مائتى ياردة من برج اسبانيا ، غير مشتمل عليه ، الى برج القديسة مريم شاملا اياه (٢) . ويشغل هذا المركز الركن الجنوبى الغربى من المدينة (٣) . ومن مواضع الضعف فيه أنه يقع مباشرة امام منحدر جبلى على نفس مستوى ارتفاع حوائطه ، كما أن خندقه ضيق (٤) .

وقد أخذ برج القديسة مريم ، الذى ينتهى به المركز ، اسمه من صورة للعذراء تزدان بها واجهته . وبدىء فى تشييد هذا البرج عام ١٤٠٠ ، فى عهد دى نيلاك ، وأكمل فى عهد جنا لاستيك (١٤٣٧ ــ ١٤٥٤). ومن ناحية اخرى ، فان هذا البرج يشرف على بوابة تفتح أسفل حوائطه مباشرة (٥) . وتعرف هذه البوابة باسم بوابة أثناسيوس ، وشيدت فى عام ١٤٤٥ فى عهد لاستيك ، ثم سدها دوبيسون فى عام ١٤٨٦ من الداخل فقط بنفس الطريقة التى سد بها بوابة القديس جورج فى مركز المانيا . غير أن الاسبتارية اعادوا فتحها أثناء الحصار العثمانى الاخير على مدينتهم فى عام ١٥٢٢ ، وشنوا منها هجوما على جيش الحصار العثمانى الرابض أمامها ، فلما انتهى الحصار بانتصار العثمانيين وجلاء الاسبتارية عن جزيرة رودس ، أصدر السلطان العثمانى قائد الحصار أمره بسد هذه البوابة ، التى يرجح بأن السلطان دخل الى المدينة عن طريقها ، لعدم الحاجة اليها (٦) .

وعند برج القديسة مريم وبوابة القديس أثناسيوس ، يبدأ سور مركز ، أو حصن ، انجلترا الذى يمتد نحو أربعمائة ياردة ، وينتهى ببوابة وبرج القديس جنا (٧) . ويعود الفضل فى

---

(١) أنظر : De Belabre, PP.57 -58

(٢) أنظر : De Belabre, P.61; Biliotti, P.503

(٣) أنظر : انظر الخريطة فى آخر الرسالة .

(٤) أنظر : De Belabre, P.62

(٥) أنظر : Biliotti, P.504.

(٦) أنظر : De Belabre, PP.62-65,71-72

(٧) أنظر : De Belabre, P.71; Gnoussot; Op. Cit., P.600; Biliotti [illegible]

بناء سور انجلترا الى السيد الكبير حنا لاستيك الذى قام بتشييده فى عام ١٤٤٥ ، وهو نفس العام الذى شيد فيه بوابة القديس أثناسيوس فى مركز أرعونة . وقد قوى السور من الخارج ، على امتداد طوله ، باستحكام (Terre - plein) ، شيد على الارجح فى عهد د وبيسون (١٤٧٦ ــ ١٥٠٣) الذى ترك خمسة من دروعه منقوشة على جدار الاستحكام شهادة له بذلك . وقد قام السيد الكبير كاريتو (١٥١٣ ــ ١٥٢١) ، فيما بعد بترميم واصلاح السور من الداخل ، ونقش درعه على واجهة بوابة أثناسيوس التى يبدأ بها هذا السور .(١)

— وقد شيد برج القديس حنا ، الذى ينتهى به سور انجلترا ، فى عهد لاستيك شأنه شأن هذا السور . والبرج ذو شكل مربع ، وواجهة مزدانة بنقش بارز للقديس الذى يحمل اسمه ، وبنقش آخر لدرعين للسيد الكبير لاستيك بينهما درع هيئة الاسبتارية .(٢)

أما بوابة القديس حنا ، التى يدافع عنها هذا البرج ، فقد شيدت فى عهد السيد الكبير دى ميلى (١٤٥٤ ــ ١٤٦١) خليفة حنا لاستيك . وكانت هذه البوابة تعرف عند الاروام باسم كوكينو (Koskeenco, "Kokkini Porta) على حين تعرف عند الاتراك باسم قزل كابو (Kyzil Capou والكلمتان معناهما واحد هو البوابة الحمراء .(٣)

ويجرى أمام البوابة وبرجها ، من الخارج ، خندقان ، فوق كل منهما قنطرة ، يتلوهما ، فى اتجاه المدينة ، طريق ملتو ينتهى بصرح ضخم يفتح على داخل المدينة مباشرة فى ناحيتها الجنوبية ، هو الصرح الرئيسى للبوابة الذى أسسه دى ميلى ، علما بأن للبوابة صرحان آخران اضافيان أحدهما بناه ، فيما يعتقد ، السيد الكبير د وبيسون (١٤٧٦ ــ ١٥٠٣) ، ويقع بين الخندقين ، والثانى بناه السيد الكبير زاكوستا (١٤٦١ ــ ١٤٦٧)

---

(١) أنظر : De Belabre, PP. 71-73

(٢) أنظر : Ibid, PP.73-75

(٣) أنظر : Biliotti, P.504

ويقع بين هذا الصرح والصرح الرئيسي الذى بناه ميللي ويفتح على المدينة مباشرة .(١)

هذا وكانت ترفرف على سور وابراج مركز انجلترا راية طائفة انجلترا ، وهى راية مزينة بزنبقة وبالسباع التى تميز شارة مملكة انجلترا .(٢)

والى جوار مركز انجلترا يأتى مركز بروفانس الذى يقع فى الركن الجنوبى الشرقى من المدينة . ويمتد سور مركز بروفانس مسافة أربعمائة ياردة من برج وبوابة القديس حنا ، غير مشتمل عليهما ، الى برج ايطاليا ، أو كما يسمى أيضا ، برج بروفانس ، مشتملا عليه .(٣)

وقد شهد هذا السور فى منتصف القرن الخامس عشر فى عهدى حنا لاستيك (١٤٣٧ — ١٤٥٤) وخليفته يعقوب ميللى (١٤٥٤ — ١٤٦١) ، ثم رممت جدرانه فى عهدى دوبيسون (١٤٧٦ — ١٥٠٣) وكارينو (١٥١٣ — ١٥٢١) . أما برج ايطاليا ، الذى ينتهى به مركز بروفانس ، فقد شيده المهندس الايطالى الاشهر باسيليو ديللاسكولا Basilio della Scola فى عام ١٥١٥ ، فى عهد كارينو .

وعلى العموم فقد كان مركز ، أو بالاحرى ، حصن بروفانس ، قويا ، وخندقه واسع وعميق . وكانت ترفرف عليه الراية الخاصة بطائفة بروفانس ، وهى راية بيضاء تزينها صلبان بيت المقدس الذهبية الخمسة تذكارا لمؤسس هيئة الاسبتارية ، وأول سيد كبير لها فى بيت المقدس ، جيرار المبارك ، الذى كان ينتمى الى بروفانس .(٤)

---

(١) أنظر : Biliotti, PP.504-505; De Belabre, P.73

(٢) أنظر : De Belabre, P.71

(٣) أنظر : De Belabre, P.78; Biliotti, P.505;Grousset:Op.,Cit., P.590.

(٤) أنظر : De Belabre, PP.78-79

وأخيرا يأتي مركز أو حصن ايطاليا ، الذي يمتد سوره نحو ثلثمائة ياردة ، في شرق المدينة ، من برج ايطاليا الى برج أصغر يقف عند قاعدة رصيف برج نيلاك الذي يشكل الجانب الشرقي للموغاز الكبير . (١) وكان يطلق على سور ايطاليا اسم حائط اليهود لان جالية يهودية كبيرة كانت تعيش الى الخلف منه في حي خاص عرف باسم حي اليهود . ويعتبر سور مركز ايطاليا بأنه أضعف نقطة في شبكة التحصينات كلها بمدينة رودس ، وبخاصة أن الارض المقام فوقها منخفضة ، ولا يوجد خندق الى خارجه نظرا لقربه من البحر . وعندما اشتد هجوم العثمانيين على هذا السور في عام ١٤٨٠ ، وأشرف على السقوط في أيديهم ، حفر السيد الكبير الحاكم آنذاك ، وهو دوبيسون ، خندقا ضعيفا الى الداخل من السور ، أمكن عن طريقه صد هجوم العثمانيين على هذا الجانب من المدينة . وقد وسع دوبيسون ، في العام التالي ، هذا الخندق الداخلي ، ولكنه ترك لـ لرئيسين الكبيرين دامبواز (١٥٠٣ ـ ١٥١٢) ، كاريتو (١٥١٣ ـ ١٥٢١) مهمة تشييد حوائط التقوية لكل من خندق ايطاليا وخندق بروفانس الى جواره . (٢)

وقد شهد سور مركز ايطاليا ، على الارجح ، في عهد السيد الكبير جوزون (٣) (١٣٤٦ ـ ١٣٥٣) ، تتناوله السادة الكبار الاربعة ، فلوفيان (١٤٢١ ـ ١٤٣٧) أورسيني (١٤٦٧ ـ ١٤٧٦) ، دوبيسون (١٤٧٦ ـ ١٥٠٣) ، كاريتو (١٥١٣ ـ ١٥٢١) بالترميم والاصلاح أو ببناء استحكامات التقوية ، ومثلها الرصيف الذي شهده

---

(١) أنظر : De Belabre, P.81 . ويقول جروسيه (Grousset: Op. Cit., P.590) بأن حصن ، أو مركز ايطاليا ، ينتهي حيث ينتهي السور ناحية الميناء التجاري ، ويقصد الميناء الكبير . ولم يشر هذا المؤرخ الى البرج الاصغر المقام في هذا الموضع . أما بليوتي Biliotti, P.505 فانه يقول ـ خطأ ـ بأن حصن ايطاليا ينتهي عند بوابة القديسة كاترين . هذا وتتفق الخريطة التي نشرها فاروشون (Farochon, P.72 مع كل من دى بيلابر وجروسية .

(٢) أنظر : De Belabre, PP.81-82

(٣) أنظر : Flandin, P.287

دوبيسون عام ١٤٨١ .(١)

وكانت ترفرف على حوائط هذا المركز الراية الخاصة بطائفة ايطاليا ، وهي راية سوداء كتب في وسطها كلمة ايطاليا بالحروف اللاتينية (أي Italia) .(٢)

هذا عن الاسوار وما يتصل بها من أبراج وبوابات . أما فيما يتعلق بالقسم الثالث من تحصينات مدينة رودس ، فهو ذلك الحي في المدينة المعروف باسم الكولاشيوم Collachium والاسم مشتق من الكلمة اللاتينية Colligere ومعناها ضم أو تجمع ، فقد ضم هذا الحي المباني الرئيسية لهيئة الاسبتارية في رودس فضلا عن مساكن الفرسان .(٣) وقد أدى تجمع الفرسان في هذا القسم من المدينة الذي يقع في شمالها ، واحاطته بالاسوار الحصينة من جميع الجهات ، الى تسميته أحيانا بالقلعة (Castello)(٤) ، وأحيانا أخرى بالمدينة العسكرية أو الحي العسكري(٥) ، كما سمي أيضا باسم الدير بسبب انتماء سكانه من فرسان الاسبتارية الى هيئة دينية هي هيئة الاسبتارية .(٦)

وحي الكولاشيوم محاط من الشرق بسور قشتالة ، ومن الشمال بسور فرنسا(٧) ، ومن الجنوب والغرب بسور شيد منذ أوائل عهد الفرسان في رودس وجدد بناؤه في عهد دوبيسون ليفصل بين هذا الحي وبقية أحياء المدينة التي تقع الى الجنوب منه ، وتسمى باسم المدينة البورجوازية تمييزا لها عن المدينة العسكرية التي هي الكولاشيوم .(٨)

---

(١) أنظر : De Belabre, PP.81-82

(٢) أنظر : Ibid, P.84

(٣) أنظر : Pero Tafur, P.51; Mas latrie III, P.33

(٤) أنظر : Biliotti, P.506; D'angjure, P.42,; De Coumont, P. 83

(٥) أنظر : Biliotti, P.506

(٦) أنظر : De Belabre, P.96

(٧) أنظر : خريطة دى بيلابر ص ٤٠ ، خريطة قاروشون ص ٧٢ . وقد أخطأ بليوتي (ص ٥٠٦) فذكر بأن الحي يحده من الشمال سور أوفرن .

(٨) أنظر : Ibid, PP.96-97

وهناك مجموعة من البوابات التى تفتح فى حى الكولا شيوم من مختلف الجهات ، فمن ناحية سور قشتالة فى الشرق ، تفتح فيه ثلاث بوابات هى بوابات القديس بولس ، والبحرية وأرنالدو ، ومن ناحية الجنوب ، تفتح فيه بوابتان ، تقود احداهما الى السوق (البازار) أما من ناحية الغرب فتفتح فيه البوابة التى تؤدى الى سور الطاليا ، وبوابة دامبواز .(١)

وكان الكولا شيوم فى حالة حراسة مشددة دائمة ، ولم يكن يسمح لاحد بالتجول فيه على ظهور جواد أو فى جماعات ، كما حرم فيه وضع الاقنعة التنكرية اثناء الاحتفالات بأعياد المساخر . (Carnival) . وكانت العادة المتبعة للولوج الى داخل الكولا شيوم هى أن يتم هذا الولوج عن طريق البوابات التى تفتح فى الناحية الاخرى على رصيف البوغاز ، وهى بوابات أرنالدو والبحرية والقديس بولس .(٢)

ومن أبرز المبانى التى يضمها الكولا شيوم قصر ، أو بالاحرى ، حصن السادة الكبار .(٣) ويقع هذا القصر فوق مرتفع ، يشغل الركن الشمالى الغربى من الكولا شيوم ، ويشكل اعلى بقعة فى المدينة كلها .(٤) وكان القصر بهذا الموقع يشرف فى آن واحد ، على المدينة العاصمة التى كان القصر فى حاجة لان تظل خاضعة لطاعة سيده ، وعلى الريف المجاور الذى كان العدو لا يستطيع أن يقترب منه إلا وفضح حراس القصر أمره .(٥)

---

(١) أنظر : De Belabre, PP.97-98; Biliotti, P.506

(٢) أنظر : De Belabre, PP.99-100.

(٣) أنظر : Flandin, P.313

(٤) أنظر : De Belabre, P.101; Biliotti, P.507
وأنظر أيضا خريطتى دى بيلابر (ص ٤٠) ، فاروشون (ص ٧٢) .

(٥) أنظر : .314

وقد شهد قصر السادة الكبار على أنقاض معبد قديم (١) • ومساحة القصر نحو فـــدان من الارض • (٢) وتطل بوابة مدخله البيضاوية الشكل ناحية الجنوب في مواجهة كنيسة القديس حنا • ويحمى هذه البوابة من الجانبين برجان دائريان ، (٣) الى جانب برج ثالث يشغـــل الركن الجنوبي الشرقي من القصر • (٤) ويعلو البوابة نقش يمثل مفاتيح الكرسي البابوى عـــلى شكل صليب منحرف ، ونقش آخر لدرع ـ أى شارة ـ السيد الكبير الثاني ، هليون فيلينيف (١٣١٩ ـ ١٣٤٦) ، شهادة له على أنه المؤسس الحقيقي للقصر مع افتراض أنه لـــم يكن يملك الوقت الكافي لاتمام بنائه • (٥) واذا كان السيد الكبير دوبيسون (١٤٧٦ ـ ١٥٠٣) قد نقش درعه على واجهة هذه البوابة ، فان ذلك يعني أن دوبيسون قد تناول القصر بالاصلاح أو بالاضافة أو بتجديد البناء • (٦)

وقد أصاب القصر ، في ٦ نوفمبر عام ١٨٥٦ ، انهيار في معظم جوانبه ، نتيجـــة انفجار كمية من البارود بالاشعاع ، كانت مخزونه ، منذ عهد فرسان الاسبتارية ، فـــي أقبية كنيسة القديس حنا ، الواقعة أمام القصر ، من ناحية الجنوب ، فتقوضت بسببه هذه الكنيسة ، وما جاورها من بنايات ، من بينها قصر السادة الكبار • (٧)

وبمقتضى أقوال الرحالة الذين زاروا جزيرة رودس قبل هذا التاريخ ، وشاهدوا القصر قبل انهياره ، كان مدخل القصر يؤدى ، عبر قبو ، الى فناء واسع به صوامـــع كثـــيرة

---

(١) أنظر : Flandin, P.314

(٢) أنظر : De Belabre, P.101

(٣) أنظر : Biliotti, P.510 ; flandin, P.313

(٤) أنظر : De Belabre, P.101

(٥) أنظر : Flandin, PP.313-314

(٦) أنظر : De Belabre, P.101.

(٧) أنظر : De Belabre, P.101; Biliotti, PP.509-511; Harff, P.87, notes 1,2.

وكـــان الاسبتارية يخزنون فيها الحنطة لاوقات القحط • وكان يوجد في الفناء أيضـــا بالقرب من مدخل ، قاعات مهنية ، من الصعوبة بمكان تحديد فيم كانت تستخـــدم.
وكان هناك ،الى يمين الفناء ، سلم حجرى ، يؤدى ، بعد ارتقائه ، الى دهلـــيز ، تفتح فيه أولا قاعـة كبرى ، مقسمة الى ثلاثة قطاعات ، عن طريق صفين من الاعـــدة ، ومخصصة لعقد اجتماعات مجلس الاسبتارية ، شريك السيد الكبير فى الحكم ، ثم تفتـــح فى الدهليز حجرات وصالات أخرى كثيرة لسكن السيد الكبير وحاشيته • والى يســـار الداخل فى القصر ، كان يرتفع برجان قويان مرهمان يحتويان على ثكنات حامية القصـــر ، وينتهى عندهما طريق مسقوف يؤدى الى حصنى بروفانس ، أوفرن ، وهما أقرب الحصـــون أو المراكز ، على أسور المدينة ، للقصر • وكان يدافع عن الجناح الشمالى للقصر ، بـــرج ضخم ، وضعت فوق شرفته بطارية مدافع قوية • وفى الطابق الارضى من القصر ، الى اليمين كانت توجد قاعة صلاة خاصة ، يتلى فيها القداس يوميا للسيد الكبير ، اسمها مصــــلى القديسة كاترين • وكانت توجد ، أسفل هذا الطابق الارضى ، أقبية ، تحت الارض ، خصصت لخزن الاسلحة والذخائر والمؤن • (١) والى جانب ذلك كله ، كان القصر يضـــم عددا من الحظائر التى اكتظت بالخيول والسروج الفاخرة لخدمة السيد الكبير وحاشيتـــه • (٢)
وعن طريق سلم حلزونى ، كان يتصل بالقصر من ناحية الشمال الغربى ، حديقة اشتهرت فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى بما كانت تحتوى عليه من التماثيل الاغريقية التى نقلت اليها من مختلف أنحاء الجزيرة ، ومن الحيوانات الغريبة التى عرف منها الشاة الهنديـــة والكلب السيامى والنعام مختلف الانواع وغير ذلك من الحيوانات والطيور • هذا وكان يرفرف على قصر السادة الكبار ، باستمرار ، الراية الخاصة بالسيد الكبير صاحب السلطة ، جنبـــا الى جنب مع راية هيئة الاسبتارية ، وهى راية حمراء اللون تقشر فى وسطها صليـــب أبيض • (٣)

---

(١) أنظر : Flandin, PP.313-316; Biliotti, P.510
(٢) أنظر : De Belabre, P.102
(٣) أنظر : Ibid, PP.49-50

والى الجنوب من قصر السادة الكبار ، وفى مواجهة بوابة مدخله ، كانت تقف كنيسة القديس حنا التى دمرها انفجار ٦ نوفمبر عام ١٨٥٦ . ومن الثابت أن هذه الكنيسة شيدت على أنقاض كنيسة بيزنطية صغيرة ، كانت بدورها قد بنيت على موقع معبد وثنى قديم . وقد بدئ فى تشييد كنيسة القديس حنا فى عهد السيد الكبير الاول ، فولك دى فيلاريه ، فى عام ١٣١٠ ، أى فى نفس العام الذى دخل فيه مدينة رودس ، ثم أكمل بناؤها فى عهد خليفته ، هليون دى فيلنيف . أما من حكم بعد ذلك من السادة الكبار فقد ساهموا فى تجميلها وترميمها .(١)

وكانت كنيسة القديس حنا مقرا لرئيس الكنيسة ، الذى كان يعرف عادة باسم مقدم دير رودس (Le Prieur Conventuel de Rhodes) ، وهو من كبار أعضاء هيئة الاسبتارية وعضو فى المجلس الحاكم مع السيد الكبير . وقد خصصت دخول معينة ، منها دخول بعض المنازل ، للصرف منها على هذه الكنيسة والخادمين فيها من رجال الدين وغيرهم .(٢)

ولم تكن كنيسة القديس حنا ، مع ذلك ، كنيسة ضخمة ، كما أنها لم تتخذ شكل الصليب اللاتينى الذى يميز بناء سائر كاتدرائيات أوربا فى العصور الوسطى . ولكنها كانت صغيرة الحجم ، مستطيلة الشكل ،(٣) طولها مائة وخمسون قدما ، وعرضها خمسون قدما بمقتضى تقدير دى بيلابر ،(٤) وستة وأربعون مترا للطول ، ستة عشر مترا للعرض ، وفقا لتقدير بيليوتى ،(٥) والتقديران متقاربان .

وقد صممت الكنيسة على الطراز القطالونى ، مع طراز ايطاليا الجنوبية .(٦) وكانت تتكون

---

(١) أنظر : Biliotti, PP.511-512 ; Flandin, P.316

(٢) أنظر : Flandin, PP.319-320

(٣) أنظر : Ibid, P.317

(٤) أنظر : De Belabre, P.103

(٥) أنظر : Biliotti, P.511

(٦) أنظر : Grousset, P.589.

من صحن وجناحين يفصل بينهما صفان من الاعمدة الرخامية يتألف كل صف منهما من أربعة أعمدة . وتضم الكنيسة ، الى جانب ذلك ، دهليزا و (خورسا) للمصليات من النساء.(١) وبخلاف جميع مباني الاسبتارية ، كانت هذه الكنيسة مغطاة بسقف مفتوح ،(٢) ودهن باللون اللازوردى الذى يشبه زرقة السماء ، وزين بنجوم ذهبية اللون.(٤)

وقد غصت كنيسة القديس حنا بالتحف والاوانى الثمينة التى وصلت اليها اما عن طريق الاهداء من جانب السادة الكبار وقادة هيئة الاسبتارية ،(٥) بصفتها كنيسة دير رودس الرئيسية التى تحمل اسم شفيع الهيئة ، أو بحكم القانون الذى كان يقضى بضرورة تحويل جميع ما ينفع للخدمة الدينية من النفائس التى توجد بين مخلفات الموتى من أعضاء هيئة الاسبتارية ، مثل الكئوس والاوانى الذهبية والفضية ، والاجواخ المطرزة بالذهب أو الفضة أو الحرير ، وغير ذلك من النفائس ، الى هذه الكنيسة .(٦) وقد أفاض الرحالة المختلفون فى وصف ما شاهدوه فى هذه الكنيسة من آثار القديسين وبقاياهم ، وهى آثار اعتاد الاسبتارية عرضها على زوار الكنيسة مرة واحدة كل عام ، فى يوم الجمعة الكبيرة التى تسبق عيد القيامة عند المسيحيين الغربيين ، وهو دائما يوم أحد .(٧) ومن ناحية أخرى ، فانه فى هذه الكنيسة دفن عدد من السادة الكبار ، هم : جوزون وكورنيليون واورسيني ودى ميسون رداميـــواز ولانشفورت وكاريتو .(٨) أما السادة الكبار الاخرون الذين دفنوا فى رودس فقد دفنوا فى كنائس أخرى تنفيذا لوصاياهم .(٩)

---

(١) أنظر : De Belabre, P.103; Flandin, P.317; Biliotti, P.511
(٢) أنظر : De Belabre, P.103
(٣) أنظر : Biliotti, PP.511-512
(٤) أنظر : Flandin, P.317
(٥) أنظر : Flandin, PP.317-318; Biliotti, P.512
(٦) أنظر : Les Statuts, Titre 3, P.25, nom. 29; Ibid, Titre 5, P.44, nom.31
(٧) أنظر : D'Anglure, PP.43-44,207-208; De Caumont, PP.83-84
(٨) أنظر : De Belabre, P.103
(٩) أنظر : Flandin, P.320

ولم يكن جرس هذه الكنيسة بداخلها ، ولكنه وضع داخل قمة مبنى منفصل على هيئة برج مرتفع أقيم بجوار الكنيسة . وكان هذا البرج الذى اشتهر باسم برج القديس حنا ، يستخدم أيضا كمرقب حربى يتم عن طريقه رصد تحركات الاعداء اذا حاصروا أسوار المدينة[1] . وقد شهد البرج فى نفس الوقت المتقدم الذى شيدت فيه الكنيسة أى فى عهد السيد الكبير الاول فولك دى فيلاريه ، ولكنه أصلح مرة فى عهد دوبيسون (١٤٧٦ ـ ١٥٠٣) ، ومرة اخرى فى عهد دامبواز فى عام ١٥٠٩[2] .

وكانت كنيسة القديس حنا متصلة بقصر السادة الكبار عن طريق شارع ، أو الاحرى دهليز مسقوف ، ويتفرع عن هذا الشارع ، بزاوية قائمة ، شارع آخر يتجه ناحية الشرق لمسافة خمسين ياردة ليصل الى الموقع المرجح لمقصورة القديس حنا[3] ، التى دمرها انفجار ٦ نوفمبر عام ١٨٥٦ وكان يستغلها الاسبتارية فى عقد جلسات مؤتمراتهم العامة[4] ، وفى التدريبات العسكرية المفروض على فرسانهم تأديتها مرة واحدة فى الاسبوع على الاقل ، وفى الاحتفال بعيد القديس حنا ، الذى كان يقام فى مساء يوم ٢٣ يونية من كل عام ، ويقدم فيه طعام العشاء للمحتفلين ، وهم جميع أعضاء هيئة الاسبتارية المقيمين فى رودس ، على نفقة السيد الكبير[5] .

ويعتبر موقع مقصورة القديس حنا ، فى الواقع ، هو البداية الحقيقية للشارع الرئيسى فى الكولاشيوم ، وفى مدينة رودس بأسرها[6] ، وهو شارع الفرسان ، الذى يواصل امتداده بعد ذلك ، شرقا ، حتى الميناء[7] . وشارع الفرسان ، شارع ضيق[8] ، ولكنه مرصوف .

---

(١) أنظر : Flandin, PP.320-321; Biliotti, P.513

(٢) أنظر : Flandin, P.321

(٣) أنظر : De Belabre, P.103

(٤) أنظر : Biliotti, P.513; Flandin, P.312

(٥) أنظر : De Belabre, PP.103-104

(٦) أنظر : De Belabre, P.105; Flandin, P.302

(٧) أنظر : Flandin, P.302

(٨) أنظر : De Belabre, P.105

ويحفه على الجانبين رصيفان للمشاة يفصلهما عنه صفان من الاحجار الضخمة المصقولة . ويجرى ، فى وسطه ، على طول امتداده ، جدول ، شيد من أحجار متماثلة فى الشكل ، لاستقبال مياه أمطار فصل الربيع الغزيرة التى تلقى بنفسها فيه من المساقط المائية . (١)

ويضم شارع الفرسان ، على جانبيه ، النزل التى كان يقيم فيها العمداء أو الرؤساء المقيمون ، للطوائف القومية الثمانى التى كانت تتألف منها هيئة الاسبتارية ، (٢) علما بأن طائفتى ارغونة وقشتالة كان لهما نزل واحد عرف باسم نزل أسبانيا . (٣) وفى هذه النزل ايضا ، كان ينزل الرحالة الذين يزورون رودس ، كل فى ضيافة الطائفة التى تنتمى الى وطنه . (٤) وقد شيدت هذه النزل منذ أوائل عهد الاسبتارية فى رودس ، ثم جدد بناؤها فى القرن الخامس عشر . وكانت واجهاتها مزدانة بنقوش تمثل شعارات الهيئة ، والطوائف القومية صاحبة هذه النزل والسادة الكبار الذين قاموا بتشييدها وتجديدها ، وبعض عمداء الطوائف الذين أقاموا فيها ، وأحيانا المهندسين الذين أشرفوا على بنائها أو تجديد بنائها ، علما بأن جميع هذه الشعارات كانت على هيئة دروع . هذا وقد اشتملت النقوش أيضا على بعض العبارات التى اقتبست من التوراة أو الانجيل . (٥)

ويعتبر نزل فرنسا أكثر هذه النزل جمالا وعظمة . (٦) وقد بدئ فى تشييده فى عهد السيد الكبير دوبيسون (١٤٧٦ ـ ١٥٠٣) ، واكمل بناؤه فى عهد خليفته دامبواز (١٥٠٣ ـ ١٥١٢) على أنقاض النزل القديم الذى دمر ، فيما يعتقد ، بسبب زلزال تعرضت له رودس فى عام ١٤٨١ . وقد تم بناء هذا النزل تحت اشراف مهندس اسبتارى ذاع صيته فى ذلك الوقت ، اسمه بطرس كلويه (Pierre Clouet) . (٧)

---

(١) أنظر : Flandin, P.302

(٢) أنظر : De Belabre, P.105; Biliotti, P.507

(٣) أنظر : Les Statuts, Titre 10 , P.101, nom. 34(Statut de Zaco

(٤) أنظر : Perâ Tafur, P.52

(٥) أنظر : Biliotti, PP.515-519; Flandin, PP.304-307

(٦) أنظر : Biliotti, P.515; Flandin, P.304;De Belabre, P.113

(٧) أنظر : De Belabre,PP.113- 120; Grousset, P.590.

والنزل ، شأنه شأن جميع مساكن مدينة رودس الاسبتارية ، قليل الارتفاع ، ولا يتألف الا من دور واحد فوق الطابق الارضى . وبوابة مدخله المنخفضة ، صنعت من الخشب المنقوش الذى ازدان بالمسامير الكبرى . (١) وقد نقش فى أعلاها شارة هيئة الاسبتارية ، جنبا الى جنب مع شارة السيد الكبير داميواز ونقش ، فوق ذلك ، على ارتفاع الدور الاول ، شارة مملكة فرنسا وشارة السيد الكبير دوبيسون متوجة بقبعة الكاردينالية التى ألبسها له البابا انوسنت الثامن فى عام ١٤٨٨ . ومن العبارات الدينية التى نقشت على واجهة النزل عبارة " فلتكن مشيئة الله " (Voluntas Dei Est) (٢). والنزل من الداخل قليل الاتساع ، وقاعاته صغيرة ذات منظر عابس يطابق الحياة الصارمة التى كان يعيشها فرسان الاسبتارية . وتظهر فى أعلى النزل أبراج صغيرة للمراقبة ، كما تبرز الى الخارج أجسام تماسيح فاغرة أفواهها لتتلقيا ماء السماء فى مواسم الامطار . (٣)

والنزل الذى يلى نزل فرنسا من حيث كبر الحجم ، هو نزل أسبانيا . وقد شيد هذا النزل ، على أنقاض النزل القديم ، فى عام ١٤٤٥ أى فى عهد السيد الكبير فلوفيان (٤). ويقع فى الجزء الغربى من شارع الفرسان (٥) حيث يهبط هذا الشارع متدرجا من المرتفع الذى يحتل قصر السادة الكبار وكنيسة وبرج ومقصورة القديس حنا قمته (٦). ويتألف النزل من مبنيين متقابلين على جانبى الشارع ، يربط بينهما ممشى محمول فوق قوس أقيم عبر عرض الشارع . (٧)

---

(١) أنظر : Flandin, P.30

(٢) أنظر : Biliotti, PP.515-519

(٣) أنظر : Flandin, PP.304-306

(٤) أنظر : De Belabre, P.106

(٥) أنظر : Flandin, P.307; Biliotti, P.514

(٦) أنظر : Flandin, P.302

(٧) أنظر : Flandin, P.307;Biliotti, P.514;De Belabre, PP.106-112

أما بقية نزل الطوائف ، فهى أصغر حجما من نزلى فرنسا وأسبانيا[١] . ويتضح من شارات الدروع ، التى تزدان بها واجهات هذه النزل ، أن أحدها ، وهو نزل انجلترا قد جدد بناؤه فى عام ١٤٧٨ ، أى فى عهد السيد الكبير دوبيسون[٢] ، وان كلا من نزل بروفانس[٣] ونزل ايطاليا[٤] جدد بناؤه فى عهد السيد الكبير كاريتو (١٥١٣ — ١٥٢١) .

ومن المبانى العامة الاخرى التى أقيمت فى شارع الفرسان ، بخلاف نزل الطوائف منصه لها سلم حجرى ، شيدت بجوار نزل أسبانيا ، لكى تبلغ للشعب من فوقها ، قرارات وأوامر السيد الكبير ومجلس الاسبتارية[٥] .

وعند نهاية الشارع من ناحية الشرق ، أى قربها من الميناء ، توجد كنيسة صغيرة تحمل اسم القديسة كاترين[٦] ، وقد شيدت هذه الكنيسة على الطراز القوطى ، فى عام ١٣٣٠ ، أى فى عهد السيد الكبير الثانى هليون دى فيلنيف[٧] . ويعود الفضل فى بنائها الى أمير البحر الذى اشتهر باسم الالمانى (D, Allemagne) بالرغم من انتمائه الى طائفة ايطاليا . وقد شيد هذا الموظف الكبير ، أيضا ، برجا بجوار الكنيسة لحمايتها ، ومأوى للفقراء واليتامى أوقف للصرف عليه ثلاث طواحين وبعض المنازل والكرومات من أملاكه الخاصة[٨] .

---

(١) أنظر : De Belabre, P.106
(٢) أنظر : Flandin, P.301
(٣) أنظر : Grousset: L'Empire du Levant, P.590
(٤) أنظر : Flandin, P.306; Biliotti, P.519
(٥) أنظر : Flandin, P.309; Biliotti, P.515
(٦) أنظر : Biliotti, P.521
(٧) أنظر : Grousset: Op., Cit., P.589
(٨) أنظر : Flandin, P.299

على أن أكثر المباني الدامة فخامة في شارع الفرسان ، كان مبنى المستشفى الذي لم يكن يفوقه مبنى آخر ، في العظمة في حي الكولاشيوم بأسره ، سوى قصر السادة الكبار .(١) ويقع المستشفى ، الذي كان يطلق عليه أيضا اسم بيت التمريض (**) Infirmerie عند مدخل شارع الفرسان من ناحية الميناء على اليد اليسرى ،(٢) أي في نفس الجزء الشرقي من الشارع الذي يقع فيه أيضا كل من كنيسة القديسة كاترين ونزل ايطاليا ونزل انجلترا .(٣) ويتألف المستشفى من أربعة أجنحة متساوية الاطوال ومتلاصقة على شكل مربع،(٤) وشيد على أرض مساحتها نصف فدان .(٥) وتقع جميع حجرات وقاعات المستشفى في الدور الاول وهو الدور الاعلى .(٦) أما الطابق الارضي فقد كان يشتمل على حظائر للخيول ، وعلى حوانيت مقببة كان بعضها ، وهي الخارجية التي تطل على الشارع ، مملوكا للراهب الذي يدبر الخدمة الدينية في المستشفى بدرجة مقدم أو رئيس دير (prieur) وللقس مساعده ،(٧) على حين كان البعض الاخر ، وهي الداخلية التي تطل على الفناء ، مملوكا للحكومة(٨) التي استخدمته مخازنا للذخائر والاسلحة ،(٩) وأحيانا سجنا لمن يعرض عن طاقة أقبية مقر السادة الكبار من المسجونين .(١٠)

---

(١) أنظر : De Belabre, PP.119-120
وقد أشاد الرحالة بيروتافور (ص ٥١) بعظمة مستشفى مدينة رودس .
(٢) أنظر : Pero Tafur, P.51
(٣) أنظر : Biliotti, PP.519-521; Flandin, PP.301,306
(٤) أنظر : Biliotti, P.521; Flandin, P.300
(٥) أنظر : De Belabre, P.123
(٦) أنظر : Biliotti, P.522; Flandin P.301
(٧) أنظر : De Belabre, P.123 ومقتضى أقوال هذا الكاتب (نفس الصفحة) فان الادوار العليا من المنازل في رودس الاسبتارية كان يملكها أشخاص ، والادوار السفلى ، كان يملكها أشخاص آخرون ، وأن الادوار الارضية في المنازل الكائنة بمربع المستشفى تتألف من حوانيت مقببة أو مستودعات لها ملاك مختلفون . هذا ويلمح كل من الرحالة بيروتافور (ص ٥١) ، الرحالة دي كومونت (ص ٨٣) بالخدمة الدينية للمرضى في المستشفى .
(٨) أنظر : Biliotti, PP.522-523
(٩) أنظر : Flandin, P.301
(١٠) أنظر : Biliotti, PP.521-522
(**) بخصوص هذه التسمية (بيت التمريض) أنظر : D,Anglure ,P.42 ;Les Statuts, P.27,Noms. 3,4

وقد شيد المستشفى ، فى أول الامر ، فى عام ١٣٢٥ على يد السيد الكبير الثانى هليون دى فيلينيف [1] ، ثم أعيد بناؤه فى عهد السيد الكبير العاشر ، أنطونيو فلوفيان ، (١٤٢١ ــ ١٤٣٧) [2] ، وألحقت به اضافات فى عهود السادة الكبار ، الذين تعاقبوا بعده ، الى أن اكتمل بناؤه فى عام ١٤٨٣ فى عهد السيد الكبير دوبيسون [3] .

هذا ولم تكن المبانى العامة وحدها التى يضمها شارع الفرسان ، بل انتشرت فيه أيضا المساكن الخاصة لاصحاب الرتب العالية من فرسان الاسبتارية [4] ، وكلها منازل صغيرة ذات أسقف شرقية مسطحة ، وطوابق أرضية خالية من الشبابيك [5] ، وواجهات مزدانة بدروع (شارات) أصحابها ، وبلوحات رخامية نقشر عليها أسماء أصحابها والسادة الكبار الذين شيدت هذه المنازل فى عهودهم ، وتواريخ تشييدها [6] .

ومن ناحية اخرى فان شارع الفرسان ، وحى الكولاشيوم بوجه عام ، لم يكن يضم جميع المبانى العامة فى مدينة رودس ، ولم تتجمع فيه جميع مساكن الفرسان الخاصة ، فقد شيد بعض هذه المبانى ، بنوعيها العام والخاص ، فى الجزء الاخر من مدينة رودس ، وهو الجزء الاكبر فى المساحة ، حيث كان يقيم سكان المدينة الاخرون بفئاتهم المختلفة من اغريق أرثوذكس ولاتين كاثوليك ويهود ، وبخاصة فى حى اليهود أحد أحياء هذا الجزء [7] .

---

(١) أنظر : Vertot II, P.182; Flandin, P.300

(٢) أنظر : Pero Tafur, PP.51-52 ، علما بأن هذا الرحالة زار المستشفى عام ١٤٣٧ ووصفه وصف شاهد عيان ، ولا ندرى من أى المصادر أخذ دبلابر (De Belabre, P.123) قوله بأن المستشفى بدئ فى تشييده فى عهد حنا لاستيك ابتداء من عام ١٤٣٩ بناء على وصية خلفها له فلوفيان . ونعتقد بأن الاصح هو أن حنا لاستيك بدأ فى بناء اضافة جديدة للمستشفى بناء على توصية تركها له فلوفيان . وعلى أى حال فقد سجل كل من فلاندان (Flandin, P.300) ، بليوتى (Biliotti, P.521) فرتو (Vertot II, P.412) بأن من شيد المستشفى هو فلوفيان .

(٣) أنظر : De Belabre, P.123 وأنظر ايضا Grousset; PP.289-90 مع ملاحظة أنه ذكر أن البناء تم تشييده فى عام ١٤٧٣ . أما الكاتبان فلاندان (Flandin, P.300) ، بليوتى (Biliotti, P.521) فقد ذكرا بأن المستشفى تم بناؤه . فى عام ١٤٤٥ فى عهد فلوفيان ويتضح خطأ الكاتبين المذكورين اذا علمنا بأن عهد فلوفيان يمتد من عام ١٤٢١ حتى عام ١٤٣٧ .

(٤) أنظر : Flandin, PP.309-311

(٥) أنظر : De Belabre, P.99

(٦) أنظر :

وأهم المبانى العامة التى شيدت فى حى اليهود قصر الامبرالية حيث كان يقيم أمير البحر، (١) ودار المحكمة التجارية ، التى كانت تعرف باسم القسطلانية Chatellenie (٢) علما بأن هذه الدار شيدت لاول مرة فى عام ١٣٧٥ ، فى عهد السيد الكبير روبيرت دى جولياك ، ثم جدد بناؤها فى عهد السيد الكبير داموز (١٥٠٥ ـ ١٥١٢) (٣).

وفى خارج حى اليهود ، الى يساره ، شيدت الثكنة الفسيحة التى كانت تعسكر فيها حامية الجند العاملين فى خدمة الاسبتارية ، علما بأن هؤلاء الجند ليسوا أعضاء فى هيئة الاسبتارية وأكثرهم من أهالى الجزيرة الوطنيين . وتتألف الثكنة من حظائر لخيول الفرسان الاسبتاريين ومساعديهم تعلوها حجرات جند الحامية . (٤)

ولم يقصر الاسبتارية أعمالهم الانشائية على العاصمة رودس وحدها ، بل امتدت عنايتهم أيضا الى سائر المدن والقرى الاخرى فى الجزيرة ، ولا سيما ما يقع منها على السواحل أو فوق الجبال ، فقد شيدوا فيها القلاع والحصون لكى تدافع عن المناطق المحيطة بها ، ويأوى اليها سكان هذه المناطق ودوابهم عندما يهاجمهم القراصنة أو جيوش الدول الاعداء ، كما أقاموا فيها أبراج المراقبة لانذار الحصون القريبة منها باقتراب العدو بحرا أو برا . (٥)

وحتى تستكمل الصورة عن تلك الجزيرة اطارها فلا بد لنا من دورة كاملة حولها . ففى غرب العاصمة كانت قرية ترياندا ، وفيها للفرسان حصن ظل قائما الى ان هدمه السيد الكبير أورسينى (١٤٦٧ ـ ١٤٧٦) ، عندما اتضح له بأن هذا الحصن يمكن

---

(١) أنظر : Biliotti, P.526;Flandin, P.328

(٢) أنظر : Biliotti, P.524

(٣) أنظر : Ibid, PP.524-526

(٤) أنظر : Flandin, PP.327-328

(٥) أنظر : De Belabre, P.171.

أن يستفيد منه الاعداء أكثر مما يفيد الاهالى . على أن تريا ندا أشتهرت بما كانت تحويه من المنازل الريفية (الفيلات) التى يملكها فرسان الاسبتارية ، وهى منازل مربعة الشكل بيضاء اللون مؤلفة من دورين تنتهى فى أعلى بأسطح مسننة (١)

ويلى تريا ندا جنوبا على الساحل الغربى للجزيرة قرية تحمل اسم ياليسوس Yalysos وتقع هذه القرية بأسفل جبل فيلرموس Falerenos الذى أقام الاسبتارية فوقـه ، عقب احتلالهم للجزيرة مباشرة ، قلعة وكنيسة فوق أنقاض قلعة وكنيسة كان قد بناهمـا البيزنطيون . وقد أطلق الاسبتارية على كنيستهم اسم السيدة العذراء ، ووضعوا فيهـا صورة للعذراء أشاعوا أنها تصنع المعجزات ، مما جذب السائحين بكثرة الى المنطقة . (٢)

والى الجنوب من قرية ياليسوس ، تقع قرية تحمل اسم كريماستى Crémasti ومعناها السادة الكبار (Grande-maistrie) ، نسبة الى قصر صيفى للسـادة الكبار ، شيد بجوارها اما فى عهد دوبيسون (١٤٧٦ ـ ١٥٠٣) ، كما يرى فلانـدان (٣) أو فى عهد كاريتو (١٥١٣ ـ ١٥٢١) بحسب اعتقاد بليوتى . (٤) والقصر بمثابة حصـن مربع قوى ، ولكن تسليحه ليس بالطريقة التى تساعده على صد هجوم خطير . (٥)

والى الجنوب من ذلك يأتى حصن فيلانوفا Villanova نسبة الى السيـد الكبير الثانى هليون دى فيلنيف (١٣١٩ ـ ١٣٤٦) ، الذى شيد هذا الحصن للدفـاع عن الساحل الغربى للجزيرة ، ثم قامت الى جواره قرية تحمل نفس الاسم فيلانوفا ، وتضم كثـيرا من المنازل الصيفية لفرسان الاسبتارية واغنياء التجار الروديسيين والاجانب وخاصة التجـار

---

(١) أنظر : Flandin, P.329

(٢) أنظر : De Belabre, PP.182-185

(٣) أنظر : Flandin, P.329

(٤) أنظر : Biliotti, P.530

(٥) أنظر : Ibid: Loc. Cit.

رجال المال الفلورنسيين • ويشبه حصن فيلانوفا حصن كريماستى فى شكله المربع • ولكن اكثر منه تحصينا وتسليحا • ويضم الحصن ، الى جانب مسكن الحاكم وثكنة الحامية ، كنيسة باسم القديسة كاترينا • ويوجد قربها من الحصن ، برج للمراقبة شيد لخدمة الحصن وضع تحت سلطة حاكمه • (١)

وعند مواصلة السير جنوبا ، على نفس هذا الساحل الغربى للجزيرة نجد حصنا صغيرا مشيدا فى سورونى Soroni ، يليه قلعة كبرى فى فانز Fanes ، ثم برج للمراقبة فى رأس أجيوس ميناس Cap Aghios minas ولا يكاد هذا البرج ، يعطى الاشارة باقتراب العدو حتى يسرع الفلاحون المقيمون حوله ، الى الاحتماء بحصن سالاخوس Salakhos القريب منه • ويلى ذلك جنوبا ، على الساحل ، حصن قوى مربع عرف باسم كاستيللوس (Castellos) أى القلعة ، وهو اسم أعطى أيضا لقرية قامت الى جواره • ويدافع عن هذا الحصن برجان داثريان متصلان به من ناحية البحر ، وبرجان آخران ، أحدهما منشورى ، وثانيهما مربع ، يتصلان به من ناحية اليابس • والمعتقد بأن الحصن بنى فى عهد السيد الكبير أورسينى (١٤٦٧ — ١٤٧٦) ولكنه أكمل فى عهد السيد بن الكبيرين داميواز (١٥٠٣ — ١٥١٢) وكاريتو (١٥١٣ — ١٥٢١) • (٢)

وإلى جنوبا ، بعد هذا الحصن ، برج للمراقبة شيده الفرسان بجوار قرية جليفادا Glifadha الساحلية لاعطاء الاشارة باقتراب العدو ، لحصنى سيانا Sianna ، مونوليثوس monolithos ، وهما حصنان داخليان يربض كل منهما فوق ربوة عالية من بها جبل أكراميتى (Akramity) المجاورة • وقد شيد أحدهما ، وهو حصن مونوليثوس فوق صخرة من قطعة واحدة ، كما يدل على ذلك اسمه unrocher monolithe الذى أعطى أيضا لقرية تقع بأسفل هذه الصخرة • ويعتقد بأن الحصن شيد فى عهد

---

(١) أنظر : Biliotti, PP.530-531; Flandin, P.329; De Belabre, PP.179-180

(٢) أنظر : Biliotti, PPK 531,595

دوبيسون (١٤٧٦ ـ ١٥٠٣) نظرا لوجود شارات هذا السيد الكبير منقوشة فـــوق حوائطه • وأخيرا يأتي حصن بولاكيا Polakia ، أو كما يسمى أيضا بريونيا Prionia الذي تنتهى به مجموعة الحصون والابراج التي أقامها الاسبتارية على الساحل الغربـــي لجزيرة رودس • (١) أما لحماية الطرف الجنوبي للجزيرة فقد أقام الاسبتارية برجا قويـــا خارج قرية كاتافيا Catavia ، كما شيدوا حصنا فوق تل يقع بالقرب من هـــــذا الـــبرج • (٢)

ولا يقل الساحل الشرقي عن الساحل الغربي في عدد الحصون وأبراج المراقبـــة التي أقامها الاسبتارية على هذا الساحل أو فوق بها التلال الواقعة الى الداخل منــــه لحمايته • وهذه الحصون ، من الجنوب الى الشمال ، هي لاكانيا Lachania يناذي Yennadhi ، أسكليبيو Asklipio ، لاردوس Lardos ، لندوس Lindos ، فيراكلوس Pheraclos ، أركانجيلوس Archangelos وأخيرا كوسكينو Koskeenoo . (٣) وكان كل حصن من هذه الحصون يدافع عـــن مدينة أو قرية ، تقع بجواره ، وتحمل نفس اسمه ، فضلا عن قرى أخرى بالقرب منها • وكان

(١) أنظر : De Belabre, PP.177-179; Biliotti, PP.421-423,532

(٢) أنظر : Biliotti, P.532

(٣) أنظر : Biliotti, PP.532-533

(٤) أنظر : De Belabre, P.171, ; Biliotti, PP.533-534.

ولاحظ بأن بليوتي أعطى حصن فيراكلوس اسم مالونا malona ، وهو اسم قرية مجاورة للحصن ، وبأن كلا من فلاندان وخريطة فاروشون اتفق مع بليوتي علـــى أن حصن أركانجيلوس هو آخر الحصون المشيدة على الساحل الشرقي لجزيرة رودس من ناحية الشمال ، وبأن دى بيلابر وحده ـ وبين المراجع المذكورة ـ هو الذي أكد بوجود حصن كوسكينو في أقصى الشمال من هذا الساحل ، وذكر (في ص ١٧١) بـأن الحصن قد تهدم ولم يبق منه قائما سوى جانب من سوره خلف منازل قرية تحمل اسمه

بعض هذه الحصون ، مثل حصن أركانجيلوس ، موجودا قبل عصر الاسبتارية ، فقام السادة الكبار بترميمه وتقويته ، (١) والبعض الاخر ، بناه الاسبتارية على انقاض قلعة (أكروبول) يونانية قديمة ، مثل حصن فيراكلوس الذى يسميه المؤرخ بليوتى Biliotti باسم حصن مالونا Malona نسبة الى اسم قرية بحصيها الحصن بالقرب منه ، ويقول بأن الاتراك كانوا يطلقون عليه اسم تاشتالى كاله (Tachtali-Caleh) (٢) — أو شيدوه على انقاض قلعة بيزنطية ، أقيمت بدورها فوق أساسات أكروبول قديم ، مثل حصن لندوس ، وهو أكثر الحصون المشيدة على الساحل الشرقى لجزيرة رودس ، مناعة وبرىخ مثل عش النسر ، فوق ربوة ، ارتفاعها ستمائة قدم ، تطل على مدينة لندوس (٣) التى تعتبر الثانية بين مدن الجزيرة ، فى الاهمية ، بعد العاصمة رودس . (٤) هذا وكان لكل حصن من هذه الحصون الشرقية ، برج أمامى للمراقبة ، يتولى مهمة اخطاره بالاشارات ، كلما اقترب عدو من الساحل أو نزل عليه . (٥)

---

(١) أنظر : Biliotti, P.533

(٢) أنظر : Ibid. Loc. Cit.

(٣) أنظر : Biliotti : PP.382-385; Flandin, P.331.

(٤) أنظر : Farochon, P.63

(٥) أنظر : Biliotti, P.534

الفصل الثالث

نظام الحكم والادارة عند الاسبتارية

١) تقسيم هيئة الاسبتارية الى طوائف قومية .

٢) الجمعيات ناقصة التمثيل .

٣) المؤتمر العام للاسبتارية .

٤) السيد الكبير للاسبتارية .

٥) مجلس الاسبتارية وسلطاته على الادارتين المركزية والاقليمية .

تعرضت هيئة الاسبتارية فى رودس لكثير من التغييرات ، سواء فى شخصيتها الدولية أو فى تنظيماتها الداخلية ، بوصفها قوة مستقلة تحكم جزيرة رودس وثمان جزر أخرى بجوارها فى بحر ايجه ، فضلا عن أجزاء من اليابس الأسيوى ، حول مدينة أزمير ، التى استولى عليها الاسبتارية ، بالاشتراك مع البنادقة والقبارصة والجنوية والبابا كليمنت السادس ، فى أكتوبر عام ١٣٤٤ ، فى عهد السيد الكبير الثانى هليون دى فيلنيف (١) ، واحتفظوا بها الى أن طردهم منها تيمورلنك التترى ، فى ديسمبر عام ١٤٠٢ (٢) ، فاستعاضوا عنها بمدينة هاليكارناس القديمة ، التى استولوا عليها فى عام ١٤٠٣ ، على يد السيد الكبير فلبيرت دى نيلاك ، وأقاموا فيها حصنا باسم القديس بطرس ظل فى حوزتهم حتى نهاية عهدهم فى رودس عام ١٥٢٢ (٣) .

تقسيم الهيئة الى طوائف قومية :

والواقع ان التغييرات الرئيسية فى الكيان الداخلى لهيئة الاسبتارية فى رودس ترجع بدايتها الى القرار الذى صدر عن المؤتمر الاسبتارى العام ، الذى عقد فى ٢ نوفمبر عام ١٣٣٠ (٤) ، بمدينة مونبلييه الفرنسية ، برئاسة السيد الكبير الثانى هليون

---

(١) انظر :

Gay , PP.36-39; Atiya: The Crusade in the later middle Ages, PP.292-293.

(٢) انظر :

Vertot II, P.332-341; Hammer II, P.114-117; D. Le Roulx: Les Hospital. à Rh., PP.285 - 286; Biliotti, PP.191-195

(٣) أنظر : D. Le Roulx : Op. Cit., PP.287-289; Vertot II, PP.344-345 ; Biliotti, P.196.

(٤) أنظر :

D. Le Roulx: Op. Cit., P.56

دى فلهنيف، والذى نص على تقسيم أعضاء هيئة الاسبتارية الى ألسنة (Langues) أو، بعبارة أخرى، الى طوائف مختلفة، بحسب جنسياتها القومية (١).

وبمقتضى هذا التقسيم تحولت هيئة الاسبتارية من كيان واحد متعدد العناصر القومية، يتمتع فيه العنصر الفرنسى بالسيادة، الى تحالف بين مجتمعات قومية وحد بينها اما الحرب ضد المسلمين واما التجارة. وبما كان الهدف من التقسيم هو الرغبة فى تحطيم السيادة المطلقة للعنصر الفرنسى حتى لا يجد ملوك فرنسا، مستقبلا، مجالا لوضع هيئة الاسبتارية أمام مصير مشابه للمصير الذى حل بهيئة الداوية على يد الملك الفرنسى فيليب الرابع الذى اشتهر بالوسيم (٢).

وكان عدد الطوائف القومية، فى بداية الأمر سبع (٣)، لكل منها نزل خاص بها فى مدينة رودس، يرفرف عليه علمها، ويقيم فيه عميدها، علما بأن هؤلاء العمداء هم الوحيدون، دون سواهم من أعضاء هيئة الاسبتارية، الذين تشكلت منهم فئة الوكلاء المركزيين المعروفين باسم الوكلاء الديريين Baillys Conventuels، كما خصص لكل منهم منصب رئيسى من مناصب الادارة المركزية العليا، يشغله بحكم منصبه كرئيس للطائفة التى يمثلها (٤).

---

(١) أنظر : Vertot II, P.179; The Encyc. Brit. , Vol. XXIV, (Eleventh Edition - 1911), P.16

(٢) أنظر : Ibid., P.16

(٣) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.130

(٤) أنظر : De Belabre, P.18; Les Statuts, Titre 10 , PP.92,101.

على أن هذه الجماعات السبع لم تكن ، من حيث الأهمية ، على قدم المساواة، فقد كانت جماعة بروفانس في مقدمتها ، باعتبار أن جيرار المبارك ، موسس الهيئة من بروفانس (١) ، ولذا خصص لرئيس هذه الطائفة منصب الآمر الكبير ، (Grand Commandeur) الذى كان يلى منصب السيد الكبير مباشرة في الأهمية ، وجاء بعد طائفة بروفانس ، على التوالى ، وبترتيب تنازلى في الأهمية طائفة أوفرن ، اللتي خصص لرئيسها منصب المارشال ، وطائفة فرنسا ، التي خصص لرئيسها منصب المشرف الطبى (الاسبتارى) ، وطائفة ايطاليا ، التي خصص لرئيسها منصب أمير البحر (الأميرال) ، وطائفة أسبانيا ، التي خصص لرئيسها منصب الجواخ ، أو ، كما عرف فيما بعد المحافظ الكبير (Grand Conservateur) وطائفة انجلترا ، التي خصص لرئيسها منصب قائد الخيالة الخفيفة (التركبلى) ، وطائفة ألمانيا ، التي خصص لرئيسها منصب الوكيل الكبير (٢) (Grand Baillif) علما بأن هذا المنصب لم ينشأ سوى في عام ١٤٢٨ ، في عهد السيد الكبير فلوفيان (٣) .

وواضح من هذا الترتيب أن العنصر الفرنسى ظل محتفظا بمركز الصدارة بين العناصر الأخرى في هيئة الاسبتارية ، وذلك بحكم استئثاره بثلاث طوائف من الطوائف السبع التي تألفت منها هذه الهيئة ، وهى طوائف بروفانس وأوفرن وفرنسا ، فضلا عن تقدم هذه الطوائف الثلاث على غيرها واحتكارها لأهم ثلاثة مناصب بين مناصب الادارة المركزية العليا في الهيئة ، وهى مناصب الآمر الكبير وهو المسئول المالى ، والمارشال ، وهو المسئول العسكرى ، والاسبتارى ، وهو المسئول الطبى .

---

(١) أنظر : Farochon, P.141

(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 10 , PP.105-106, nom. 45; Enc. Brit., Vol. XXIV, P.16, note 5

(٣) أنظر : Vertot II, P.408 ; les statuts, Titre 10, P.95 nom. 11.

الكبير Vital Alquier مقدم شعبة قطالونيا ، بمعاقبته بالاعتقال والحرمان من الكنيسة اذا لم يخضع لقرار الوقف من الوظيفة الذى اتخذه ضده السيد الكبير للاسبتارية ريموند بيرنجر ــ خليفة روجر دى بنز ــ بعد أن ثبت من التحقيق الذى أجراه معه اثنان احدهما يمثل الاسبتارية والاخر يمثل البابوية ، صخطاوى بومن شيم تتعلق بمخالفات مالية خطيرة وقعت على يديه فى الشعبة التى يديرها . وكان من نتيجة صدور هذا القرار البابوى أن قدم المقدم الاسبتارى المتمرد استقالته من منصبه للسيد الكبير ريموند بيرنجر فى سبتمبر عام ١٣٦٥ .(١) هذا ويمكن أن نضيف الى ذلك أن البابا أربان الخامس ، حين وافق فى ٢١ يوليه عام ١٣٦٩ على الطلب الذى تقدم به اليه الملك الفرنسى شارل الخامس الشهير بالحكيم (١٣٨٠ ــ ١٣٩٤) بأن يدفع رجال الدين الكاثوليكى العاملين فى فرنسا الضريبة الجديدة التى قررها هذا الملك ، اشترط على الملك أن يعفى من دفعها الكرادلة والاسبتارية والنبيشون .(٢)

على أن البابا أربان الخامس توفى فى عام ١٣٧٠ . وقد اهتم خليفته جريجورى الحادى عشر (١٣٧٠ ــ ١٣٧٨) اهتماما خاصا باصلاح الاوضاع الداخلية المتدهورة فى هيئة الاسبتارية بالتعاون مع السادة الكبار لهذه الهيئة الذين عاصروه وهم على الترتيب ريموند بيرنجر (١٣٦٥ ــ ١٣٧٣) ، وروبرت جويلى (١٣٧٣ ــ ١٣٧٦) ، وهيريديا (١٣٧٦ ــ ١٣٩٦) . ومن مظاهر هذا الاهتمام أنه فى عام ١٣٧٢ طلب من السيد الكبير ريموند بيرنجر ضرورة عقد جمعية من كبار الاسبتارية لمناقشة وسائل الاصلاح المنشود ، وهى الجمعية التى تم عقدها بالفعل فى مدينة أفنيون فى أول سبتمبر عام ١٣٧٣ برئاسة هيريديا نائب السيد الكبير للاسبتارية فى الغرب ،(٣) وفى ٢ فبراير عام ١٣٧٣

---

(١) أنظر : ... Le Roulx: les Hosp. à Rh, PP.171-172.

(٢) أنظر : ... naberat , P.62

(٣) أنظر : ... ertot II, PP.243 - 244.

وقفا على طائفة بعينها • ولكن سرعان ما اتضح لهذه الطوائف الساخطة عجز المؤتمر عن اصدار قرار فى صالحها ، بسبب اصرار العنصر الفرنسى ، بطوائفه الثلاث ، على التمسك بما اعتبره حقا تقليديا له ، فما كان من ليبان ، وكيل طائفة أسبانيا ، الا أن تقدم من السيد الكبير ، يعقوب ميللى ، وألقى ، تحت قدميه ، طلبها بضرورة رفع القضية الى عدالة البابا ، ثم انسحب من المؤتمر ، يتبعه بقية أعضاء الطائفة الأسبانية وحلفاؤهم من الايطاليين والانجليز والألمان • وعندئذ اجتمع مجلس الاسبتارية وقرر اعتبار الحادث انشقاقا وعصيانا ، وكاد أن يصدر حكما رادعا على العصاة ، لو لم يتدارك السيد الكبير الأمر بحكمته ، فينصح بأن تهيأ لهم فرصة لطلب العفو ، فلما طلبوه أعطي لهم (١) .

وما أن توفى يعقوب ميللى ، فى عام ١٤٦١ ، حتى عادت طوائف أسبانيا وايطاليا وانجلترا وألمانيا ، الى مطالبها القديمة ، بالدرجة التى أقنعت المسئولين عن انتخاب السيد الكبير الجديد بضرورة محاولة ارضائها عن طريق اختيار خليفة غير فرنسى للسيد الكبير المتوفى يعقوب ميللى ، هو الأسبانى بطرس ريموند زاكوستا (Pierre Raymond Zacosta) ، ليس فقط لأنه ينتمى الى الطائفة الأكثر تمردا ، وهى الطائفة الأسبانية ، ولكن أيضا لما يتمتع به من منزلة سامية فى نفوس الاسبتارية على اختلاف طوائفهم (٢) .

---

(١) Biliotti, PP.230-231; Bouhours, PP.26-27; Farochon, P.115

(٢) Flandin , PP.175-177; Biliotti, P.233.

وبنفس الروح التى صاحبت اختيار زاكوستا لرئاسة الاسبتارية فى عام ١٤٦١ ، أصدر هذا السيد الكبير ، فى العام التالى لتوليته ، أى فى عام ١٤٦٢ ، قرارا ، وافق عليه مجلس الاسبتارية ، ونص على استحداث طائفة ثامنة فى هيئة الاسبتارية لصالح العناصر غير الفرنسية ، عن طريق تجزئة الطائفة الاسبانية الى طائفتين ، بحيث يطلق على أحدهما اسم طائفة أرغونه وقطالونيا ونافارا ، ويظل ترتيبها الخامس بين الطوائف المختلفة ، ويشغل عميدها منصب الأمين أو المحافظ الكبير ، ويطلق على الثانية اسم طائفة قشتالة وليون والبرتغال ، ويأتى ترتيبها الثامن والأخير بعد الطوائف الأخرى ، ويخصص لعميدها منصب حامل الأختام الكبير (grand Chancelier).(١)

هذا عن تقسيم أعضاء هيئة الاسبتارية فى رودس الى طوائف ، وتوزيع المناصب العليا فى الادارة المركزية على هذه الطوائف . وقد امتدت عدوى التوزيع أيضا الى مناصب الادارة الاقليمية ، أى ادارة الشعب ، بما تشتمل عليه من دوائر أو آمريات ، بحيث اختصت كل طائفة من الطوائف الثمانى بادارة الشعب والآمريات التى توجد فى الوطن الأم الذى تنتمى اليه الطائفة ،(٢) وذلك عن طريق مديرين ، بدرجة مقدمى شعب (Prieurs) لادارة الشعب الواسعة ، وبدرجة وكلاء مجمعيين (Baillifs Capitulaires) لادارة الشعب الأصغر ، ولهم حق الترقية الى درجات مقدمى شعب ، وبدرجة

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 10, P.101, noms. 34,35, P.105 , nom. 45; Pauli II, PP.140-141, num. CXIX; Biliotti, PP.233-234, 120-121.

(٢) أنظر: Les Statuts, P.105, nom. 45 (Coutume); D.Le Roulx: les Hospit. à Rho., P.178.

آمريـن (Commandeurs) ، لادارة الدوائر (أو الآمريـات) التي تتشكل منها سائر الشعب ، ولهم حق الترقيـة الى درجة وكـلاء مجمعـيين أو الى درجة مقدمي شعب مباشـرة (١) ·

وفي الواقع لم يكن يشـذ عن قاعدة توزيع المناصب الكبرى في هيئـة الاسبتارية ، سواء المركزية من هذه المناصب ، أو الاقليمية ، سوى منصبيـن اثنين مركزيين ، كان اختيار من يشغل كل منهما ، يتم بحسب الكفـاءة والصلاحية من غير التفات للطائفـة التي ينتمي اليها · وكان منصب رئيس الكنيسة

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 14, P.123, nom.4 (de milly)

ولمعرفة الشعب والوكالات الخاصة بكل طائفة أنظر : Ibid, Titre 10

Ibid, Titre 10 , PP.105-106, nom. 45 (Coutume).

ومن الملاحظ أن هناك بعض المناصب الاقليمية لم يربط أي منها على طائفة بعينها · ومن هذه المناصب منصب وكيل نجروبونت الذي كان يختار من فرسان طائفتي أرغونه وقشتاله بالتناوب (أنظر : Ibid, P.106 ، ومنصبا آمر لانجـو والآمر الكبير في قبرص اللذان كان يختاران في بداية الأمر من طائفة بروڤانس ، ثـم قررت جمعية الاسـبتارية المنعقدة في أفنيون في أوائل عام ١٣٥٦ بأن يكون لجميـع الطوائف حقوق متساوية في هذين المنصبيـن ·

(أنظر : D. Le Roulx : les Hosp. à Rh., P.130

ومع ذلك ظلت آمرية قبرص الكبرى وقفا على طائفـة بروڤانس ، وآمرها هو الآمر الكبيـر عميـد هذه الطائفة ، الى أن تقرر في المؤتمر العام المنعقد في رودس في ٢٠ فبرايـر عام ١٣٧٩ تقسيم تلك الآمريه الى سبع آمريات صغرى بعدد الطوائف التي كانت تتألـف منها هيئة الاسبتاريـة وقتذاك ، بحيث تختص كل طائفـة بواحدة من هذه الآمريات · ويطلق على احداها اسم آمريـة قبرص الكبرى ويحمل مديرها لقب الآمر الكبير في قـبرص ، وتكون له الرئاسـة على الآمريـن الست الآخرين ·

(أنظر : D. Le Roulx: op. Cit., P.209; Vertot II, P.288; Hill II, P.462

هـذا وتقرر في المؤتمر العام المنعقد في رودس في ٢٣ أبريل عام ١٤٣٣ ضـم آمريـة لانجو الى الآمريـة الكبرى في قـــبرص ·

(أنظر : (Mas-Latrie III, P.15.

أى رئيس رجال الدين الا أعضاء فى هيئة الاسبتارية أحد هذين المنصبين (١) .

أما المنصب الثانى ، فهو منصب السيد الكبير نفسه .

وكان السيد الكبير منذ عصر الشام يختار وفق نظام خاص داخل مؤتمر اسبتارى عام يعقد فجر اليوم التالى لوفاة السيد الكبير المراد انتخاب من يخلفه . وكان يرأس المؤتمر ، عند بدء انعقاده ، نائب السيد الكبير الذى لا يلبث أن يخلى مكانه لرئيس عملية الانتخاب ، وهو فارس اسبتارى تختاره لجنة مؤلفة من ممثلين للطوائف المختلفة ، بواقع ممثل واحد لكل طائفة ، لادارة عملية انتخاب السيد الكبير . وكانت هذه اللجنة نفسها ، تقوم ، بعد ذلك ، بانتخاب ثلاثة أعضاء من هيئة الاسبتارية ، أحدهم فارس ، والثانى راهب ، والثالث من فئة خدم السلاح ، كنواة للجنة أخرى ، تتولى مهمة الانتخاب ، بحيث يقوم الأعضاء الثلاثة ، يرأسهم الفارس ، الذى يلقب بفارس الانتخاب ، باختيار عضو رابع ينضم اليهم فى اختيار العضو الخامس ، وتستمر العملية حتى يبلغ عدد أعضاء تلك اللجنة (٢) ثلاثة عشر عضوا (٣) ، يختارون لكفاءتهم بقطع النظر عن الطوائف التى ينتمون اليها (٤) .

وقد تقرر فى المؤتمر الاسبتارى العام ، الذى انعقد فى مدينة رودس ، فى اكتوبر عام ١٣٧٠ ، أى فى عهد السيد الكبير ، ريموند بيرنجر ، بأن يظل عدد

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 1C , P.166, nom. 45 ; Ibid, Titre 13 , P.119, nom. 6.

(٢) انظر : Ibid , PP.115-116, nom.1 (Coutume)

علما بأنه جاء فى هذا المرجع بأن عدد أعضاء لجنة الانتخاب ستة عشر عضوا بأعتبار ما انتهى اليه عدد أعضاء هذه اللجنة بعد أن اصبحت هيئة الاسبتارية مؤلفة من ثمانى طوائف ابتداء من عام ١٤٦٢ ، انظر ايضا :
D: Le Roulx: les Hospit. en T.S. , P.318

(٣) أنظر : Ibid. Loc. Cit.

(٤) أنظر : Vertot II, P.246.

أعضاء لجنة الانتخاب ثلاثة عشر عضوا على أن يكون أحدهم المعرض ، والباقون بواقع عضوين عن كل طائفة من الطوائف التى كانت تتألف منها هيئة الاسبتارية ـ آنذاك (١) وهى سبع طوائف ، فيما عدا طائفة المانيا عضو واحد لقلة عدد الاعضاء المنتمين اليها (٢) ، علما بأن المعرض كان يختار عادة من طائفة فرنسا (٣) . وضمانا لعدم وقوع أى ضغط محتمل للابقاء على منصب السيد الكبير فى طائفة واحدة ، أصدر المؤتمر قرارا آخر قضى بألا يختار مدير الانتخاب من نفس الطائفة الذى ينتمى اليه السيد الكبير الذى توفى (٤) . وقد ظل هذا القانون معمولا به ـ فيما يبدو ـ الى أن تم تأسيس الطائفة الثامنة فى هيئة الاسبتارية ـ وهى طائفة قشتالة ـ فى عام ١٤٦٢ ، فأدخل عليه عندئذ تعديل أصبحت لجنة الانتخاب بمقتضاه تتشكل من ستة عشر عضوا بواقع عضوين من كل طائفة (٥) .

---

(١) أنظر : 264
(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh. , P.169; Vertot II, P. Flandin, pp.192-193
(٣) أنظر : Les Ctatuts, Titre 10, P.98, nom. 22
(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.169
(٥) أنظر : من المؤكد أن السيد الكبير د ميسون انتخب فى عام ١٤٧٦ وفق النظام الجديد . (أنظر : Bouhours, P.35) ومن المؤكد أيضا أن حنا لاستيك انتخب فى عام ١٤٣٧ ـ أى قبل تأسيس الطائفة فى هيئة الاسبتارية وفق النظام القديم (أنظر : Pero Tafur, pp.107-109, (ومما يجدر ذكره أن الرحالة الاسبانى بيرو تافور وصل الى رودس فى ٢٨ أكتوبر عام ١٤٣٧ قبل انتخاب لاستيك بيومين اثنين ، وسجل لنا معلومات عن طريقة انتخاب السيد الكبير للاسبتارية كما شاهدها بنفسه وما سمعه من الفارس القشتالى الذى نزل تافور فى ضيافته فى رودس ، واسمه nuno de Cabrera ، ومن آخرين . وقد وضح الالتباس الذى وقع فيه تافور ، عند روايته لهذه المعلومات ، فى عدة مواضع ، أولها عند قوله بأن لجنة الثلاثة عشر عضوا مهمتها كانت قاصرة على اختيار لجنة أخرى مؤلفة من سبعة أعضاء ، بواقع عضو واحد عن كل طائفة من طوائف الاسبتارية ، فى اللجنة المختصة باختيار السيد الكبير ، علما بأن ماكان يحدث هو عكس ما قال به تافور تماما . وفى موضع آخر قال تافور بأن المؤتمر العام الذى ينعقد لاختيار السيد الكبير ، يختار من بين أعضائه ثلاثة أعضاء عن كل طائفة من الطوائف السبع التى تتألف منها هيئة الاسبتارية ، أولهم فارس وثانيهم راهب وثالثهم من فئة خدم المكتب ، وهؤلاء المنتخبون الواحد والعشرون يختارون لجنة الثلاثة عشر عضوا ، وصحته أن المؤتمر العام يختار لجنة السبعة أعضاء التى تتألف من عضو واحد عن كل طائفة ، وهذه تختار ثلاثة أعضاء المؤتمر العام ، احدهم فارس والثانى راهب والثالث من فئة خدم السلاح (وليس من فئة خدم المكتب بحسب أقوال تافور) ، كنواة للجنة الثلاثة عشر عضوا التى تقوم باختيار السيد الكبير . وجاء فى رواية تافور أيضا أن صوت الرئيس الكبير المراد انتخاب خليفة له ، كان يؤخذ منه كتابة عندما تشتد عليه وطأة المرض ، لكى يضاف ـ محسوبا بصوتين ـ الى أصوات أعضاء لجنة الثلاثة عشر عضوا التى تشكل لانتخاب السيد الكبير الذى يخلفه ، ولكن لم يرد ما يؤيد هذا القول فى قانون هيئة الاسبتارية .. وقد بنينا ردنا على رواية تافور بما جاء فى :

Titre 13, PP.115-116, Vertot II, P.113; Le Roulx: 16

ومهما يكن من أمر عدد أعضاء لجنة الانتخاب فقد كان على هؤلاء الأعضاء ، بعد أن يتم اختيارهم ، أن يقسموا اليمين على صليب وانجيل أمام مدير الانتخاب ، وبحضور جميع أعضاء المؤتمر ، بألا يختاروا لملىء منصب السيد الكبير الا من يروا بأنه يصلح لقيادة هيئة الاسبتارية بقطع النظر عن أى اعتبار آخر ، ثم ينسحبوا الى حجرة منفصلة ، يغلقون على أنفسهم فيها ، لأداء المهمة المنوط اليهم بها •

وكان لكل عضو من أعضاء اللجنة الحق فى أن يرشح من يرى أنه الأصلح لشغل المنصب • وعندما يفرغون من ذلك ، يحصون عدد المرشحين ، ثم يحضرون صناديقا بعدد هؤلاء المرشحين ، ويضع كل عضو منهم بلية (balotte) فى الصندوق المخصص للمرشح الذى يرغب فى انتخابه ، فيما عدا رئيسهم ، وهو فارس الانتخاب ، فمن حقه أن يضع بليتين ضمانا لعدم حدوث تعادل فى الأصوات بين مرشحين • وبعد فرز الأصوات ، المعطاه بهذه الطريقة ، يتولى فارس الانتخاب مهمة اعلان اسم المرشح الفائز ، بصوت مسموع ، لمدير الانتخاب ، وأمام جميع أعضاء المؤتمر بالرغم من أنهم لا يملكون حق الاعتراض عليه • وكان على السيد الكبير المنتخب أن يقسم أمام الأعضاء ، حتى يتسلم سلطانه بصفة رسمية ، بأن يحترم قوانين الاسبتارية وعاداتها الطيبة ، وبأن يصرف الأمور فى هيئته بمساعدة مجلس الاسبتارية ومشورة قدامى الأعضاء • واذا كان السيد الكبير ، وقت انتخابه ، متغيبا خارج جزيرة رودس ، يستدعى الى هذه الجزيرة ، ولكن لا يسمح له بأن يتسلم سلطاته من نائب السيد الكبير ، الذى كان يمارس هذه السلطات وقت غيابه ، الا بعد تأدية ذلك القسم [1] •

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 13 ,PP.115-118,nom.I

وليس من شك فى أن السرعة التى كان يتم بها انعقاد المؤتمر الاسبتارى العام ، لانتخاب السيد الكبير ، لم تكن تسمح لأحد من أعضاء هيئة الاسبتارية ، بحضوره الا لمن تصادف وجوده منهم آنذاك فى مقر انعقاده ، وهو مدينة رودس العاصمة (١) ، التى تم فيها انتخاب جميع السادة الكبار فيما عدا اثنين منهم ، أولهما هليون دى فيلينيف ، ثانى السادة الكبار الذين حكموا رودس من هيئة الاسبتارية ، فقد تم انتخابه ، فى عام ١٣١٩ ، فى مدينة افنيون الفرنسية ، عن طريق مؤتمر عام تشكل من كبار أعضاء هيئة الاسبتارية الذين كانوا قد وفدوا الى هذه المدينة ، وقتذاك ، لمساعدة البابا حنا الثانى والعشرين فى الخروج بهيئة الاسبتارية من أزمتها التى صاحبت تنحية سيدها الكبير الأول ، فولك دى فيلاريه (٢) ، وثانيهما أورسينى ، الثالث عشر من السادة الكبار الذين حكموا رودس ، فقد تم انتخابه فى عام ١٤٦٧ ، فى مدينة روما ، عن طريق مؤتمر اسبتارى عام ، كان منعقدا بالفعل ، فى هذه الاثناء تحت اشراف البابا بولس الثانى وبرئاسة السيد الكبير

(١) لعل وضوح ظاهرة انعقاد المؤتمر العام الذى يتم فيه اختيار السيد الكبير ، وهو قاصر فى تشكيله على أعضاء هيئة الاسبتارية المقيمين فى رودس ، هو ما دعا مؤرخين مثل فرتو ، بليوتى ، فاروشون ، الى تسميته أحيانا باسم مؤتمر رودس Le Chapitre de Rhodes ، وأحيانا أخرى باسم المؤتمر فقط (Le Chapitre) وأحيانا ثالثة باسم مؤتمر وديــر رودس Le Chapitre et le couvent de Rhodes علما بأن لفظ دير كان يطلق عادة على مجلس الحكم أو الادارة (Le Conseil).
ويلاحظ بأن المؤرخين بليوتى وفاروشون قد أطلقا على هذا المؤتمر العام — فى مرات كثيرة — اسم المجلس أو مجلس رودس ، بالرغم من اشتراك عدد كبير من أعضاء هيئة الاسبتارية الذين لا يتمتعون بعضوية المجلس ، فى تشكيل هذا المؤتمر العام ، وبالرغم من أن جميع أعضاء لجنة انتخاب الرئيس الكبير المنبثقة من هذا المؤتمر ، وعددهم ستة عشر عضوا ليسوا أعضاء فى المجلس بحكم القانون .

(أنظر : (Les Statuts, Titre 13, P.116, nom. I

(٢) أنظر : D.Le Roulx: Les Hospit.à Rh.P.51; Vertot II, P.175; Biliotti, P. 142; De naberat. P.58

الثانى عشر ، زاكوستا ، الذى توفى قبل أن تنتهى جلسات المؤتمر ، فكان انتخاب أورسينى هو آخر أعماله (١) .

الجمعيات ناقصة التمثيل :

وفى الحقيقة ، فانه لم يكن من الجائز قانونا اطلاق اسم مؤتمر عام Chapirte- General على أى اجتماع اسبتارى ناقص التمثيل ، أى لا يضم أكبر عدد من كبار موظفى الادارة المركزية ورؤساء الشعب فى الغرب معا ، الا اذا عقد هذا الاجتماع فى العاصمة رودس بقصد انتخاب السيد الكبير ، وذلك ربما لكثرة عدد الحاضرين فيه بالرغم من عدم وجود ممثلين للشعب فى الغرب أو وجودهم بقلة . أما اذا استدعى الأمر عقد اجتماع ناقص التمثيل لبحث أمر طارئ آخر ، بخلاف انتخاب سيد كبير جديد ، بحيث لا يسمح الوقت أو الظرف باستدعاء عدد كاف من الأعضاء لتمثيل دير رودس ، اذا عقد الاجتماع فى احدى مدن الغرب ، أو لتمثيل وكلاء الغرب ، اذا عقد الاجتماع فى مدينة رودس ، فان هذا الاجتماع كان يكتفى بتسميته جمعية (assembleé) ، وليس مؤتمرا عاما (Chapitre - général) (٢) .

ولم تكن قرارات هذا النوع من الجمعيات لها نفس القوة التى كانت لقرارات المؤتمرات العامة ، أي لا تعتبر قوانينا أو مواد دستورية لها صفة الدوام ، الا اذا صدق عليها مؤتمر عام يعقد فى وقت لاحق ، مثلما حدث لقرارات الجمعية التى عقدت فى مدينة أفنيون ، فى عام ١٩٥٦ ، أى فى عهد السيد الكبير الخامس روجير دى بيتز ، فقد صدق عليها المؤتمر العام الذى عقد فى مدينة رودس ، فى عام ١٣٥٨ ، برئاسة السيد الكبير روجير دى بيتز نفسه (٣) ، أو اذا قلد البابا الجمعية نفس السلطات القانونية التى يتمتع بها المؤتمر العام ، ومثل ذلك ما قام به البابا جريجوار الحادى عشر ازاء الجمعية التى عقدت فى مدينة أفنيون ، فى

---

(١) أنظر : De naberat: , P.73; Bouhours, PP.30-31

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.174

(٣) أنظر : Ibid, PP.130-131

اكتوبر عام ١٣٧٤ برئاسة السيد الكبير السابع روبيرت دى جويلى (١) .

ومن الملاحظ أن أكثر هذه الجمعيات الطارئة ، ذات التمثيل الناقص ، عقد فى الغرب ، وخاصة فى مدينة أفنيون ، مقر البابوية ، فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر ، وأوائل القرن الخامس عشر .

ويمكن ارجاع ذلك الى ازدياد تدخل البابوية ، خلال ذلك الدور ، فى شئون الاسبتارية ، مدفوعة من تلقاء نفسها ، أو نتيجة سعى السادة الكبار اليها ، فى مقرها بمدينة أفنيون ، للحصول منها على المساعدة فى تخليص الهيئة من الفساد الداخلى الذى كثيرا ما تفشى داخل كيانها ، وفاحت رائحته حتى وصلت الى أنف البابا ، وفى حمل مقدمى الشعب ، ومديرى الدوائر (الاقريسن) — بما لها من نفوذ عليهم ، مصدره قدرتها على معاقبتهم بالقطع من الكنيسة ، وعلى الضغط على رؤساء الدول التى ينتمون أصلا اليها ويمارسون فيها مهام مناصبهم ، لطردهم بالقوة من هذه المناصب — فى حملهم على تسديد ما تأخر لديهم من نصيب الخزانة فى دخول الشعب التى يديرونها ، أو على دفع ضرائب استثنائية تكون قد فرضتها الجمعيات على هذه الشعب ، فضلا عن حملهم على التوجه الى رودس على رأس الأعداد المطلوبة من فرسان الاسبتارية المقيمين فى الشعب التى يديرونها ، اما لتمكين الهيئة من المساهمة فى احدى الحملات الصليبية الموجهة ضد المماليك ، مثل الحملة التى قادها الملك القبرصى ، بطرس الأول دى لوزجنان ، على مدينة الاسكندرية فى عام ١٣٦٥ ، أو ضد العثمانيين مثل الحملة التى قادها السيد الكبير الثامن هيريديا ، فى بلاد المورة ، فى عام ١٣٧٨ ، واما لمساعدة هذه الهيئة فى الدفاع عن جزيرة رودس وحصنها أزمير على الساحل الأسيوى ضد التهديد العثمانى ، الذى اشتدت وطأته عليهما خلال تلك الفترة .

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.184

على أن عدد مرات انعقاد هذا النوع من الجمعيات قد قل كثيرا في عهود السادة الكبار الذين توالوا على حكم رودس بعد عهد دى نيلاك المتوفى في عام ١٤٢١ ، بحيث أصبح لا يعقدها برئاسته ، فيما يبدو ، الا مقدم الشعبة في أوروبا الذى يصله قرار مؤتمر عام رودس بوقوع الاختيار عليه لمنصب السيد الكبير ، وذلك للتفاهم مع زملائه الآخرين من مقدمي الشعب على خطة العمل قبل سفره الى رودس لاستلام منصبه الجديد (١) . ويمكن ارجاع ذلك الى أن أحدا من السادة الكبار الذين تولوا بعد نيلاك وحتى نهاية عهد الاسبتارية في رودس ، لم يسافر الى أوروبا خلال مدة رئاسته ، ويقضى فيها ردحا قصيرا أو طويلا من الوقت ، قد يستجد فيه من الأحداث ما يستدعى عقد احدى أو بعض هذه الجمعيات ، اللهم الا السيد الكبير زاكوستا ، الذى رحل الى روما ، في أواخر عام ١٤٦٦ ، أو في بداية عام ١٤٦٧ ، لحضور مؤتمر عام ، عقد في فبراير عام ١٤٦٧ ، بدعوة من البابا بولس الثاني ، للتحقيق في الشكاوى التي وصلت الى البابا ، ضد استبداد زاكوستا نفسه ، من بعض رؤساء بيوت الاسبتارية ، وبعض حكام أوروبا المؤيدين لهؤلاء الرؤساء (٢) .

ويمكن ارجاع ذلك ايضا الى ازدياد نفوذ السادة الكبار على جميع أعضاء هيئة الاسبتارية ، منذ انتهاء حركة الانشقاق داخل صفوف الاسبتارية في عام ١٤١٠ ، بفضل جهود دى نيلاك ، بحيث أصبح السادة الكبار يكتفون ، في تعاملهم مع رؤساء الشعب ، بالاجتماع بهم في المؤتمرات العامة — التي قل بالمثل عدد مرات انعقادها خلال هذه الفترة — وعلى اصدار الأوامر الرئاسية لهم ، أو ، اذا استلزم الأمر ، على استصدار المناشير البابوية بشأنهم ، أما في رودس نفسها فقد اكتفى السادة الكبار بمناقشة جميع شئون الحكم في مجلس الاسبتارية .

---

(١) أنظر : Biliotti, P.212

(٢) أنظر :

المؤتمر العام للاسبتارية :

ومهما يكن من أمر هذه الجمعيات الطارئة ذات التمثيل الناقص فقد كانت لا تملك من الأسانيد القانونية مايسمح لها بممارسة بعض أو جميع اختصاصات المؤتمرات العامة ، أوما يفسح لها مكانا فى حكومة الاسبتارية الى جانب هذه المؤتمرات . وفى الحقيقة لقد احتفظ المؤتمر العام فى العهد الرودسى بجميع اختصاصاته التشريعية والتأديبية التى كان يمارسها فى العهدين الشامى والقبرصى من قبل ، فضلا عن اختصاص تعيين السادة الكبار ، والتصديق على التعيينات التى يكون قد أجراها السادة الكبار ومجلس الاسبتارية ، فى مناصب الادارة المركزية والاقليمية العليا ، قبل دعوة المؤتمر للانعقاد ، وهذه كلها اختصاصات جعلت من المؤتمر العام صاحب السلطة العليا فى دولة الاسبتارية (١) .

وجريا وراء العادة القديمة أيضا لم يكن يستدعى لحضور المؤتمر العام من الاسبتارية المقيمين فى أوربا سوى مقدمى الشعب (Les Prieurs) والوكلاء المجمعين Les Baillifs capitulaires ، والمحصلين ، وبعض القدامى من الآمرين ، (Les Commandeurs) بواقع آمرين عن كل شعبه فى أغلب الأحيان . فاذا عقد المؤتمر العام فى مدينة رودس ، انضم الى هؤلاء أعضاء مجلس الاسبتارية ، ومن يرى السيد الكبير ضرورة حضورهم من أعضاء الهيئة الآخرين المقيمين فى رودس ، بحكم وظائفهم ، أو لما لهم من صلة بموضوعات المناقشة ، أو لما اشتهروا به من حكمه وسداد فى الرأى . أما اذا عقد المؤتمر فى احدى مدن الغرب ، وهو أمر أبيح ، وعمل به كثيرا فى العهد الرودسى ، وبخاصة فى القرن الرابع عشر ، الذى كثر فيه تردد السادة الكبار على مدينة أفنيون ، مقر البابا ، واقامتهم فيها مددا طويلة ، حضره الى جانب مقدمى الشعب والوكلاء المجمعين والمحصلين والقدامى من الآمرين ، ممثلون

---

(١) أنظر : Vertot II, P.389

عن الاسبتارية المقيمين فى رودس يختارهم عادة السيد الكبير ومجلس الاسبتارية .

وكان حضور المؤتمر العام اجباريا لكل من استدعى له ، فاذا تعذر على بعضهم تلبية أمر الاستدعاء ، وجب عليه أن يرسل من ينوب عنه فى حضور المؤتمر ، مزودا بتفويض رسمى ينص صراحة على اعطائه سلطة الموافقة على جميع القرارات التى تتخذ فى المؤتمر (١)، والا رفض السيد الكبير والمؤتمر نيابته (٢) . وقد هدد السيد الكبير الثامن هيريديا (١٣٧٧ - ١٣٩٦) بعقوبة الفصل من عضوية هيئة الاسبتارية ، لكل من يعصى أمر استدعائه ، فيتخلف عن حضور المؤتمر ، ولا يرسل من ينوب عنه (٣) . غير أن السيد الكبير الثالث عشر زاكوستا (١٤٦١ - ١٤٦٧) اعتبر قرار هيريديا قاسيا ، واكتفى بالنص فى قراره ، الذى أصدره فى هذا الشأن ، على أن من تعوقه ظروفه عن حضور المؤتمر العام ، وعن ارسال من ينوب عنه ، يعتبر موافقا على جميع ما يصدر عن هذا المؤتمر من قرارات ، وعليه أن يقوم بتنفيذها داخل حدود اختصاصاته كما لو كان قد حضر المؤتمر بنفسه (٤) .

وقد اعتاد المؤتمر العام على أن يسجل ضمن قراراته ، فى آخر جلسة من جلسات كل دورة له ، نصا قانونيا بأن المؤتمر سوف يعقد دورته القادمة فى غضون خمس سنوات (٥) .

وروعى تنفيذ هذا النص القانونى الى حد بعيد خلال القرن الرابع عشر

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 6 , P.60, nom. 3

(٢) أنظر : Ibid: Op., Cit., P.61, nom. 6

(٣) أنظر : Ibid: Op., Cit , P.60, nom.3

(٤) أنظر : Ibid: Op., Cit., P.61, nom. 6

(٥) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.353.

حتى عام ١٣٨٣ ، فلم يحدث أن زادت المدة بين كل دورتين من دورات المؤتمر ، التى عقدت خلال الفترة المذكورة ، وعددها تسع عشرة دورة ، عن السنوات الخمس ، التى حددها القانون ، سوى أربع مرات ، وكانت زيادتهما فى كل مرة من هذه المرات الأربع ، عاما واحدا (١) .

أما فيما بعد عام ١٣٨٣ فان المسافة الزمنية بين كل دورتين ، قد اتسعت ، فى معظم الأحيان ، الى نحو عشر سنوات وأكثر ، (٢) ونقصت فى أقلها عن الخمس سنوات (٣)

---

(١) سنوات وأماكن انعقاد الدورات التسع عشرة : ١٣١١ فى رودس ـ ١٣١٤ فى رودس ـ ١٣٢٠ فى آرل بفرنسا ـ ١٣٢١ فى أفنيون ـ ١٣٢٤ فى آرل ـ ١٣٣٠ فى مونبلييه ـ ١٣٣٥ فى رودس ـ ١٣٣٧ فى رودس ـ ١٣٤٠ فى رودس ـ ١٣٤٤ فى رودس ـ ١٣٤٧ فى رودس ـ ١٣٥٢ فى رودس ـ ١٣٥٤ فى رودس ـ ١٣٥٨ فى رودس ـ ١٣٦٤ فى مونبلييه ـ ١٣٦٧ فى أفنيون ـ ١٣٧٠ فى أفنيون ـ ١٣٧٠ فى رودس ـ ١٣٧٩ فى رودس ـ ١٣٨٣ فى ڤالنس بفرنسا . وقد عقدت فى عام ١٣٧٤ جمعية ناقصة التمثيل فى أفنيون ولكن البابا قلدها نفس سلطات المؤتمر العام .

(أنظر : D.Le Roulx: Les Hosp. à Rh., pp.12,53-56, 96,113,116,120, 136, 143, 161, 166, 182, 184, 206, 215

(٢) أنظر : Ibid. : Les Hosp. en T.S., P.315

(٣) فيما يتعلق بتواريخ المؤتمرات العامة التى عقدت بعد مؤتمر سنة ١٣٨٣ ، أمكننا معرفة ما يلى : فى عهد دى نيلاك عقد مؤتمران ، أولهما فى ١٩ ابريل عام ١٤١٠ ، فى مدينة إكس باقليم پروڤانس (Ibid., Les Hosp. à Rh,p.311

وثانيهما فى ٨ سبتمبر عام ١٤٢٠ ، فى رودس Ibid; Op.,Cit., P.351

وفى عهد فلوڤيان عقد مؤتمر واحد ، فى مايو عام ١٤٢٨ ، فى رودس . (Biliotti, P.207, Vertot II,P.406) . وفى عهد جنا لاستيك عقد ثلاثة من هذه المؤتمرات ، أولها ، فى ٢٣ نوفمبر عام ١٤٤٠ ، فى رودس De naberat, P.70

وثانيها ، فى ٢٥ يوليه عام ١٤٤٥ ، فى رودس Biliotti, P.216

وثالثها ، فى ٢٢ فبراير عام ١٤٤٦ ، فى الفاتيكان De naberat, P.69 , Flandin, P.171

وفى عهد يعقوب ميللى عقد مؤتمر واحد ، فى أول اكتوبر عام ١٤٥٩ ، فى رودس Biliotti, P.231 . وفى عهد زاكوستا ، عقد مؤتمران أولهما فى ٢٠ أكتوبر عام ١٤٦٢ ، فى روما De naberat, P.73

وثانيهما فى أوائل مارس عام ١٤٦٧ ، فى روما Biliotti, P.238

وفى عهد أورسينى ، عقد مؤتمر واحد ، فى ٦ سبتمبر عام ١٤٧٥ ، فى رودس . (Biliotti, P.245) . وفى عهد دوبيسون ، عقد مؤتمر واحد ، فى ٢٨ أكتوبر عام ١٤٧٨ فى رودس (Biliotti, P.253; Bouhours, P.60

وفى عهد دامبواز ، عقد مؤتمران ، أولهما ، فى عام ١٥٠٤ ، فى رودس . De Belabre, P.177, De Naberat, P. 75

وثانيهما ، فى عام ١٥١٠ ، فى رودس (Flandin, P.165)

وفى عهد كاريتو عقد مؤتمر واحد ، فى عام ١٥٢٠ ، فى رودس (Biliotti, P.286)

واذا كانت الفترة الزمنية الواقعة بين مؤتمرعام ١٣٨٣ المنعقد في عهد هيريديا ، والمؤتمر العام الذى تلاه مباشرة ، وهو مؤتمرعام ١٤١٠ ، المنعقد في عهد دى نيلاك ، قد امتدت حتى بلغت السبعة والعشرين عاما ، فان ذلك راجع ، في أغلب الظن ، الى ظروف الانشقاق الذى حدث في هيئة الاسبتارية ، نتيجة لحدوث الانشقاق العظيم في الكنيسة الكاثوليكية ، بحيث أصبح من غير الممكن جمع جميع ممثلى طوائف الاسبتارية وشعبها في مؤتمرعام واحد ٠ أما أن هذه الظاهرة ، أى ظاهرة التباعد الزمنى الكبير بين دورات المؤتمر العام ، قد برزت الى الوجود مرة أخرى في عهد دوبيسون ، العهد الذى امتد حتى بلغ سبعة وعشرين عاما ، ولم يعقد فيه سوى مؤتمرعام واحد ، في ٢٨ أكتوبرعام ١٤٧٨ ، أى بعد تولية دوبيسون بعامين اثنين ، ولم يعقد المؤتمر العام الذى يليه ، الا في عام ١٥٠٤ وهو العام الثانى في عهد خليفة دوبيسون ، السيد الكبير داموار ، فسببه ، في أغلب الظن ، أن دوبيسون شعر بأنه ، وقد بلغ من الشهرة والمجد مبلغا كبيرا في كلا العالمين الاسلامى والمسيحى ، بسبب نجاحه في احباط محاولة كبرى قام بها الأسطول العثمانى ، في عام ١٤٨٠ ، لفتح مدينة رودس ، وماتلا ذلك من لجوء الأمير العثمانى ، چيم ، بعد أن خرج على أخيه السلطان بايزيد الثانى ، اليه في جزيرة رودس ، في عام ١٤٨٢ ، وتهافت رسل رؤساء بعض الدول المعادية للدولة العثمانية — وعلى رأسهم رسل ملك هنغاريا ، وملك نابلى ، والبابا ، من الجانب المسيحى ، والسلطان المملوكى قايتباى ، من الجانب الاسلامى — تهافتهم عليه ، كل منهم يطلب أن يسلم چيم اليه وحده ، ثم حصوله على لقب كاردينال من البابا ، ثمنا لتسليم الأمير چيم اليه (١) ، فهو أقوى من أن يلجأ الى وسيلة عقد المؤتمرات العامة ، وهى الوسيلة التى كان يلجأ اليها غيره من السادة الكبار ، لمساعدته في حمل رؤساء الشعب أو الآمرين داخل هذه الشعب ، على تسديد ما تأخر لديهم من حقوق الخزانة أو على دفع ضريبة

---

(١) أنظر : Biliotti, PP.255- 271.
وهو ما عولج بتفصيل في الفصل الأخير من هذه الرسالة الخاص بالعلاقات بين الاسبتارية في رودس والأتراك ٠

استثنائية (١) . ومن ناحية أخرى فقد تميز عهد دوبيسون ، منذ أن لجأ اليه الأمير جيم في رودس ، بالسلام والأمن من ناحية الأتراك العثمانيين ، وكذا بالرواج المالي ، الأمر الذي حال دون تشكيل أوضاع شائكة تدعو الى عقد مؤتمرات عامة ، حيث تتضافر جميع الجهود للخروج منها .

ومهما يكن من أمر قصر أو اتساع المسافات الزمنية التي تفصل بين دورات انعقاد المؤتمر العام ، فقد كان هذا المؤتمر ، عند انعقاده ، ينجز أعماله وفق نظام خاص لا يتغير (٢) . وبمقتضى هذا النظام كان المؤتمر العام يفتتح بصلاة خاصة يقودها رئيس الكنيسة . وبعد الفراغ منها كانت تقرأ اللائحة على الأعضاء ، ثم يقف السيد الكبير ويلقي كلمة مقتضبة يأمر بعدها بأن يبدأ المؤتمر أعماله . وعندئذ يقف أحد قدامى الاسبتارية ويلقي خطابة عن فوائد التمسك بقوانين الهيئة وعاداتها الحسنة (٣) . وبعد أن يختم كلامه ، يقوم السيد الكبير وأعضاء مجلس الاسبتارية ، وهم أيضا أعضاء في المؤتمر العام ، بتعيين لجنة من الحاضرين تتولى مهمة فحص صحة وقانونية التوكيلات المقدمة من الأعضاء المتخلفين عن الحضور . وما أن يتم ذلك حتى يتقدم الأعضاء الحاضرون الى السيد الكبير ، كل في دوره بحسب قانون التسلسل اللقبي ، أو الوظيفي (٤) الذي يعطي للوكلاء الديريين (Les Baillifs Conventuels) ، وهم رؤساء الطوائف ، حق التقدم على رؤساء الشعب (Les Prieurs) ، ولهؤلاء حق التقدم على الوكلاء المجمعيين (Les Baillifs Capitulaires) (٥) الذين كان لهم ،

---

(١) أنظر : Vertot II, P.406

(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 6 , PP.57-59nom. I.(Coutune)

(٣) أنظر : Ibid: Op. Cit., PP.57-58; D.Le Roulx/ les Hosp. en T.S., P.316

(٤) كان الاسبتارية يراعون ، في جميع تصرفاتهم ، السلم اللقبي أو الوظيفي ، بحكم القانون ـ أنظر :
Les Statuts, Titre 10, P.100, nom.30 (Statut:De Lastic)

(٥) Ibid. Op., Cit., Titre 14 , P.123 nom. 4(St.De milly)& p.126 noms 16,18. (Sts: D'aubusson)

بدورهم ، حق التقدم على مديرى الدوائر أو الآمرين (Les Commandeurs) [١] — وحسب قانون التصدر المعمول به بين طوائف الهيئة الثمانية ، بروفانس ، أوفرن ، فرنسا ، ايطاليا ، ارغونه ، انجلترا ، المانيا ، قشتالة ، على التوالى [٢] ، فيقـــدم لـــه كيسا صغيرا نقش عليه اسمه ، ووضع بداخله ستة جنيهات x فضية (six jannets d'argent) ، رمزا للدلالـــة على خضوعه للموتمر العام ، ووضع مصيره الوظيفى

---

(١) جميع القوانين تقدم الوكلاء المجتمعين على الآمرين ، وكفى أنهم يتمتعون — دون الامرين — بحق عضوية مجلس الحكومة . وكأمثلة . انظر :

Les Statuts, Titre 3, P.24, nom. 26 ; Titre 5 PP. 35 (nom.2), 37 (nom.7) 38 (nom.9) , 52 (nom.61)

(٢) انظر : Ibid. , Titre 10 ,PP.105-106, nom, 45

x الجنيه Jannet عملة فضية كانت متداولة فى رودس فى عهد الاسبتارية ، وقيل بأنها سميت كذلك نسبة الى الملك القبرصى جانوس Janus — انظر : Ibid., Titre 19 , nom. 34,P.170 . ويرجع بأن هذه العملة ظهـــرت فى رودس فى وقت متأخر نسبيا طالما أن Pegolotti لم يشر اليها فى كتابه الــذى حرره فيما بين عامى ١٣١٠ ، ١٣٤٠ واطلق عليه اسم " ممارسة التجارة " (La Pratica della mercatura). على أن پيجولوتـــى تكلم عــــن عملة فضية أخرى كانت متداولة أيضا فى رودس الاسبتارية اسمها الزنبقية (أو gigliat نسبة الى زهور الزنبق التى تمثل اسلحة فرنسا فى ذلك العـهد ونقشت على وجهى هذه العملة (أنظر : Pegolotti,P.103 انظر ايضا : Les statuts,Titre 19,nom. 32, P.170. وعن العملات الأخرى المتداولة فى رودس الاسبتارية كـــان هناك الفلورنتى الرودسى الذهبى ، وقيمته ست زنبقيات (Les Statuts:Loc.Cit.) أو عشرون أسبر Aspre) تركيه ، علما بأن الآسبر التركية قيمتها ستة عشر دينارا (denier) رودسيا ، والدينار الرودسى قيمته نصف قيراط Carato). وهناك أيضا البيزانت (bisante) وقيمته أربعة وعشرون قيراطا أو ثلاث قطع مـــن العملة المعروفة باسم الآسبر (3 aspri) أو أربعة من الدراهم الصغيرة المعروفـــة باسم Soldi . ومن ناحية أخرى فان الفلورنتى الرودسى الذى يقدر بست زنبقيات فضية يقدر أيضا بست قطع من البيزانت وستة عشر قيراطا (انظر : Pegolotti,P 103 . أما العملة الأكبر قيمة فى رودس الاسبتارية فقد كانت الإيكوس Ecus وقدرها ثلاث فلورنيات وستة من الآسبر Aspre وثمانية من الدنانير denier الرودسية (انظر : Les Statuts, Titre 19 nom. 33, P.170. هذا وكان من المتداول أيضا فى رودس الاسبتارية العملة المعروفة باسم الدوكات (Ducat) وهى أكبر قيمـــة من الفلورنتى الرودسى ولكن أقل قيمة من الايكوس (انظــــــــر : Biliotti,P.602).

تحت تصرفه ، وكذلك يقدم للسيد الكبير أختامه وتقريرا شاملا عن وظيفته يضمنه مقترحاته للاصلاح في نطاق هذه الوظيفة . غير أن السيد الكبير كان يسلم جميع ما قدمه له الأعضاء ، لنائب حامل الأختام (Le Vice - chancelier) فينقل منها أسماء أصحابها الى سجل المؤتمر العام ، ثم يتلو على الأعضاء ما كتبوه في تقاريرهم ، مع مراعاة قانون التسلسل الوظيفي واللقبي عند اختيار كل تقرير يشرع في قراءته . وما أن يفرغ نائب حامل الأختام من قراءة التقارير حتى يتوزع أعضاء المؤتمر الى مجموعات بحسب الطوائف التي ينتمون اليها ، وبعدد هذه الطوائف ، لاختيار ممثليهم ، بواقع عضوين عن كل طائفة في اللجنة التي كان يقع على عاتقها عبء تقرير جميع الأمور في المؤتمر ، وهي لجنة المقررين التي أصبح عدد أعضائها ، منذ عام ١٤٦٢ ، وهو العام الذي استحدثت فيه الطائفة الثامنة في هيئة الاستبارية ، ستة عشر عضوا (Seize Capitulans) . وكان على أعضاء هذه اللجنة ، بعد أن يتم انتخابهم ، أن يقسموا بين يدي السيد الكبير ، وأمام جميع أعضاء المؤتمر العام ، بأن يؤدوا مهمتهم ، التي انتخبوا من أجلها ، بلا غرض الا تحقيق الصالح العام لهيئة الاستبارية وأعضائها ، كما كان يلزم على السيد الكبير ، وبقية أعضاء المؤتمر ، أن يؤدوا ، بدورهم ، قسما بأن يلتزموا بتنفيذ جميع ما يحكم به ويقرره هؤلاء المقررون بدون معارضة . وعلى أثر ذلك كان أعضاء لجنة المقررين ينسحبون الى مكان خاص يباشرون فيه مهمتهم بدون تدخل من أحد سوى مندوب السيد الكبير لتقديم المشورة من غير أن يكون له حق المشاركة في التصويت ، ونائب حامل الأختام لتسجيل القرارات والأحكام التي ينتهون اليها . وكانوا يبدأون عملهم ، عادة بمناقشة موضوع الضرائب ، وحقوق الخزانة المتأخرة لدى الشعب ، وغير ذلك من وسائل توفير الأموال التي تحتاجها حكومة رودس ، لتسديد دين أو لمواجهة تهديد اسلامي بالغزو ويخلصون من ذلك الى مناقشة شئون الخزانة وادارتها ، ثم يفحصون التقارير التي كان قد تقدم بها أعضاء المؤتمر للسيد الكبير ، ليتعرفوا منها على أوجه النقص ، أو الفساد ، في الجهات التي يديرها هؤلاء الأعضاء بحكم مناصبهم فيها ، فيعالجونها بما يلزم من القوانين الجديدة ،

أو المعدله ، التي يصدرونها لهذا الغرض • وبعد أن يفرغوا من ذلك ينتقلون الى النظر في بقية المسائل المعروضة على لجنتهم للبت فيها (١) • ومن هـــذه المسائل ، التصديق على التعيينات التي أجراها السيد الكبير ومجلس الاسبتارية فـي مناصب الوكلاء الديريين ورؤساء الشعب والوكلاء المجمعيين ، قبل انعقـــاد المؤتمر ، وملء الشاغر من هذه المناصب (٢) ، والفصل في الشكاوى بين الأفـراد او الطوائف ، وغير ذلك من مسائل (٣) • وكان محظورا على أي من أعضاء لجنـــة المقررين ، بمقتضى قانون صدر في عهد السيد الكبير بطرس دوبيسون (١٤٧٦ــ١٥٠٣) ، أن يشترك مع زملائه في مناقشة مسألة له علاقة شخصية بها ، أو يجني منفعة خاصة من وراء حكم معين فيها ، بل يجب عليه أن ينسحب قبل مناقشة هذه المسألة التـي أن يتم لزملائه البت فيها (٤) • وبعد أن تفرغ لجنة المقررين من أعمالها ، على هـــذا النحو ، يدعى المؤتمر العام للاجتماع ، مرة أخرى ، بكامل هيئته ، ليستمع أعضاؤه الى تلاوة من نائب حامل الأختام لما اتخذ في اللجنة من قرارات وأحكام وقوانين يلـتزم بها الجميع من غير معارضة أو نقض ، فاذا عصى أحدهم ، فصل من منصبـــه أو أسقطت عنه أقدميته في الهيئة اذا لم يكن من أصحاب المناصب (٥) • وعندما ينتهـي حامل الأختام من قراءة قرارات اللجنة يصدر أمر السيد الكبير بأن يرد الى أعضاء المؤتمر الأكياس والأختام التي قدموها له في الجلسة الافتتاحية ، ويعني ردها اليهم موافقة المؤتمر العام والسيد الكبير على بقائهم في مناصبهم التي يشغلونها • ويتبع ذلك صدور الأمـــر من السيد الكبير الى الرهبان من أعضاء المؤتمر باقامة صلاة الختام (٦) ، وهي صلاة خاصة

---

(١) انظر : Les Statuts, Titre 6, PP.57-58, nom.1 (Coutume)

(٢) لقد وضحت هذه الحقيقة في القانون الذي صدر ، بشأن تعيين وكيل عام الاسبتارية لدى البلاط البابوي ، في عهد يعقوب ميللي ــ أنظـــر :

(٣) انظر : Ibid, Titre 13, P.120, nom. 12 (st. De milly)
Ibid, Titre 6, P.64, nom. 13 (Statut: Orsini)

(٤) انظر : Ibid, Titre 6, P.63 nom. 10 (St.: D'Aubusson)

(٥) انظر : Ibid, Titre 6, P.64 nom 13 (St.: Orsini)

(٦) انظر : Ibid, Titre 6 ,PP.58-59 nom. 1(Coutume)

جرى عليها العرف تبدأ بالابتهال الى الله من أجل السلام ، وغلة الأرض ، والبابا ، والكرادلة ، والأساقفة ، وأمراء المسيحية ، والسيد الكبير للاسبتارية ، ومساعدوه فى الادارة المركزية والشعب ، ومن أجل سائر أعضاء هيئة الاسبتارية ، والمرضى ، والعبيد ، والخطاة ، والذين تبرعوا بأموالهم لهيئة الاسبتارية ، والأعضاء المنتسبين فى هذه الهيئة ، والأقارب ، والحلفاء ، وتنتهى بتلاوة الصلاة الربانية (١) .

ولم يكن المؤتمر العام فى بداية الأمر يتقيد كثيرا بالمدة التى حددت فى عام ١٣٠٤ ، أى فى العهد القبرصى ، لتستغرقها كل دورة من دورات انعقاده ، وهى عشرة أيام ، قابلة للزيادة ثمانية أيام أخرى ، اذا رأى السيد الكبير ذلك (٢) . وقد بلغ من تجاوزه لها أن احدى دوراته — وهى الدورة التى عقدت فى مدينة اكس (Aix) الفرنسية ، فى ١٩ أبريل عام ١٤١٠ ، أى فى عهد السيد الكبير دى نيلاك ، لغرض أساسى هو ازالة آثار الانشقاق الذى حدث فى هيئة الاسبتارية نتيجة لحدوث الانشقاق العظيم فى الكنيسة الكاثوليكية ، بعد أن أفلح دى نيلاك فى انهاء الانشقاق نفسه فى هيئته قبل عقد المؤتمر بعام واحد — قد استغرق انعقادها خمسة أسابيع (١٩ أبريل — ٢٣ مايو) ، أى ضعف المدة المحددة بما فيها الزيادة المشروطة بموافقة السيد الكبير (٣) كما أن الدورة التى عقدت ، فى مدينة رودس ، فى ٨ سبتمبر سنة ١٤٢٠ ، أى فى عهد دى نيلاك نفسه ، استغرق انعقادها ستة وعشرين يوما (٨ سبتمبر — ٤ أكتوبر) (٤) . ولوقف هذه المخالفات المتكررة ، أصدر السيد الكبير ، أورسينى (١٤٦٧ — ١٤٧٦) قرارا أعاد فيه تحديد مدة انعقاد الدورة

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 6 , PP.59-60, nom. II

(٢) أنظر : D. le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.317

(٣) أنظر : Ibid: Les Hospit. à Rhodes, PP.311, 313

(٤) أنظر : Ibid: Op. Cit., PP.350 , 354

بخمسة عشر يوما ، فاذا تبقى ، بعد انقضائها ، بعض المسائل المدرجة في جدول أعمال المؤتمر ، من غير أن يُتّخذ فيها قرار معين ، تولى السيد الكبير مهمة البت فيها بمعاونة مجلس الاسبتارية الكامل الذى تشترك في تشكيله الطوائف المختلفة بممثلين اثنين عن كل طائفة (1).

السيد الكبير للاسبتارية :

هذا فيما يتعلق بالمؤتمر العام. واذا كان المؤتمر العام هو صاحب السلطة العليا في حكومة الاسبتارية ، فقد كان السيد الكبير ، في الواقع ، هو صاحب السلطة الفعلية في هذه الحكومة ، وذلك لأن السيد الكبير هو عضو هيئة الاسبتارية الوحيد الذى كان يملك حق استدعاء المؤتمر العام للانعقاد ، في الوقت الذى يحدده له بنفسه (2) ، وهو من كان يرأس الجلسات العامة لهذا المؤتمر ، عند انعقاده ، أو يعين ، في حالة غيابه ، من ينوب عنه في رئاستها ، وهو أيضا من كان يعد المسائل الهامة التى تدرج في جدول أعمال المؤتمر (3) ، فضلا عن كونه الجهة المسئولة ، بالاشتراك مع مجلس الاسبتارية الخاضع لرئاسته ، عن تعيين أعضاء كل من المؤتمر ومجلس الاسبتارية نفسه في مناصبهم القيادية في هيئة الاسبتارية ، التى خولت لهم الحق في هذه العضوية لأى من الهيئتين أو لكليهما (4).

ومن ناحية أخرى كان السيد الكبير يتمتع بحق تعيين نائب الرئاسة (Vice-gerant) في حكومته (5) ، وسلطة التصرف بالتعيين والفصل في أفراد هيئة العاملين بقصره ، وهم السنشال (Senechal) ، وهو رئيس عداله ملحق بالقصر ، والخدام الدينيون ،

---

(1) انظر : Les Statuts, Titre 6 , P.64 nom. 14 (St:Orsini)

(2) انظر : D. Le Roulx: Les Hospit. en T.S., P.316

(3) انظر : Ibid: Les Hospit. à Rhodes, PP.116, 162

(4) انظر : Ibid: Op., Cit., P.17

(5) انظر : Les statuts, Titre 9, P.88, nom. 10 (St.: Cornillan)

وعددهم أربعة [xx] ، والأمير ياخور (maitre - ecuyer) ، الذي كان يشرف على حظائر الخيول الملحقة بالقصر ، ورفقاء السيد الكبير ، وعددهم ثلاثة ، وخدم القصر العاديون ،

والى جانب ذلك منح السيد الكبير حق التمتع بادارة ايرادات جزيرة رودس وجزر الأرخبيل الرودسي الخاضعة لها ، فيما عدا جزيرتي لانجو ، نيسيروس ، فعرفت باسم جزر الرئاسة (Iles magistrales) بالاضافة الى نصيب ، أو بالأحرى أموية ، في كل شعبه من شعب الاسبتارية في الغرب ، عرفت باسم غرف الرئاسة (Chambres magistrales) ، وكان السيد الكبير يملك وحده سلطة تعيين وفصل مديري هذه الجهات ، باستثناء رئيس المحكمة التجارية المعروف باسم القسطلان (le chatelain) ، ووكيل التجارة (bailli du Commerce) وكلاهما من رجال الادارة الذين يعملون لحساب السيد الكبير في مدينة رودس ، فقد تقرر بشأنهما في جمعية أفنيون ، عام ١٣٥٦ (١) ، ثم في المؤتمرات العامة الأربعة التي عقدت في رودس في الأعوام ١٣٥٨ (٢) ، ١٣٧٠ (٣) ، ١٣٧٩ (٤) ، ١٤٢٠ (٥) ، ضرورة ان يأخذ السيد الكبير موافقة مجلس الاسبتارية في أمر تعيين هذين الموظفين ، مع بقاء حق السيد الكبير المطلق في الاحتفاظ بهما (droit de retention)

(xx) أنظر : Les Statuts, Titre 9, P. 90, nom.17 (St.:Carretto)

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.130

(٢) أنظر : Ibid: Op., Cit., P.131

(٣) أنظر : Ibid: Op.Cit., PP. 166-169

(٤) أنظر : Ibid: Op. Cit., PP.207-208

(٥) أنظر : Ibid: Op., Cit., P.354

(x) وردت أسماء غرف الرئاسة ، وعددها واحد وعشرون غرفة ، في (Les Statuts, Titre 9, P.88, nom.8).

فى وظيفتيهما الى أى وقت يشاء ، وفى فصلهما متى شاء ، وكذا حقه فى تعيين نائب القسطلان . ومن القرارات الأخرى التى اتخذت ، بصفة خاصة ، فى المؤتمر العام ، المنعقد فى عام ١٢٧٩ ، بشأن موظفى الادارة الذين يعملون لحساب السيد الكبير فى جزيرة رودس ضرورة أن يختارهم السيد الكبير من بين أعضاء هيئة الاسبتارية سواء من الأعضاء النظاميين أو المنتسبين من فئة الموهوبين (Donats) ، بحيث لا يلجأ الى سواهم الا فى حالة عدم وجود من يصلح منهم لشغل هذه الوظائف . ونص قرار آخر ، صدر عن نفس المؤتمر العام ، على ضرورة أن يتحمل السيد الكبير أجور هؤلاء الموظفين تخفيفا للعبء عن الخزانة . وقرر المؤتمر أيضا أن يعين فى كل سنة اثنان من المفتشين (deux visitateurs) لمراجعة أعمال موظفى الادارة الذين يعملون لحساب السيد الكبير فى جزيرة رودس ، وأن تعتبر جميع المنح بالضياع ، التى تمت بمعرفة السيد الكبير ، لاغية بموت هذا السيد الكبير . وقد أضاف المؤتمر العام المنعقد فى عام ١٤٢٠ بأن قرر اعفاء موظفى الادارة العاملين لحساب السيد الكبير فى جزيرة رودس ، والعاملين فى قصر الرئاسة ، من واجب الحراسة ، ومن السير فى ركب أحد من كبار شخصيات الاسبتارية سوى ركب السيد الكبير .

ويضاف الى ذلك كله أن السيد الكبير كان يتمتع وحده بسلطة اعطاء التصاريح باخراج الخيول وغيرها من الدواب خارج جزيرة رودس (١) ، واعطاء الاذن لأعضاء هيئة الاسبتارية بمغادرة هذه الجزيرة ، فمن يرحل عنها بدون اذن كتابى موقع عليه من السيد الكبير ، يفصل من عضوية الهيئة على الفور وبالتالى يحرم من مناصبها (٢) . وكان من سلطة السيد الكبير أيضا أن يستدعى من الشعب فى أوروبا من يحتاج اليهم من أعضاء

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 18, P.151, nom. 8 (st.: Villeneuve)

(٢) أنظر : Ibid: Op., cit., P.152 nom. 13 (St.: De Milly)

الهيئة التي يرأسها ، لما للالتحاق بعضوية مجلس الاسبتارية [1] ، أو لتولي بعض وظائف الادارة المركزية [2] ، أو لتعزيز القوات المسلحة عند وقوع جزيرة رودس أو جزر بحرايجه الخاضعة لها ، تحت تهديد عثماني أو مملوكي باحتلالهما [3] ومن ناحية أخرى لم يكن مسموحا لأحد من الاسبتارية أن يأمر بتسديد الديون العامة على الخزانة ، أو أن يسدد هذه الديون ، في غياب المؤتمر العام ، سوى السيد الكبير أو نائبه [4] ، وعندما كانت الأحوال تضطرب في احدى أو بعض الشعب في أوروبا ، كان السيد الكبير يتقلد ، بمقتضى قرار خاص يصدر عن المؤتمر العام الذي يعقد لبحث هذا الخلل ، السلطة المطلقة التي تخول له حق التصرف في هذه الشعب ، من غير مراقبة من جانب أية سلطة أخرى ، لاصلاح أمورها . ومن الأمثلة على ذلك أن المؤتمر العام المنعقد في مدينة رودس ، في عام ١٣٧٠ ، وضع شعبة البرتندال تحت تصرف السيد الكبير ريموند بيرنجير [5] ، وأن المؤتمر العام المنعقد في نفس هذه المدينة رودس ، في عام ١٤٢٠ ، وضع شعب انجلترا وألمانيا وأوفيرن (في فرنسا) وكابوا وبارلتا (في ايطاليا) تحت تصرف السيد الكبير دي نيلاك [6] . أضف الى ذلك أن السيد الكبير كان يملك الحق في أن يمنح ، كل خمس سنوات ، لمن يشاء من أعضاء الهيئة ، ادارة آمرية واحدة ، من الآمريات التي تخلو من آمريها بالوفاة أو بالترقية ، في كل شعبة ، تدعى التكريم Commanderie de grace) فاذا لم يتسنى له ممارسة هذا الحق ، أو لم يشأ أن يمارسه ، خلال الخمس سنوات الأولى ، استطاع ممارسته خلال السنوات الخمس التي تليها في آمريتين ،

---

(١) انظر : Les Statuts, Titre 11, P.111, nom. 15 (St.:Zacosta)

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit.à Rh., PP.168-169

(٣) أنظر : Ibid: Op., Cit., PP.225-234.

(٤) أنظر : Les Statuts, Titre 5, P.54, nom. 69 (St.: Carretto).

(٥) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.167

ولیس فی آمویسه واحدة ، من الامریات التی تشغر فی کل شعبة .(١)

هذا ومن الثابت أن اثنین من السادة الكبار ، هما حنا لاستيك (١٤٣٧ ـ ١٤٥٤) ، بطرس دوبيسون (١٤٧٦ ـ ١٥٠٣) ، تقلد كل منهما سلطات مطلقة (دكتاتورية) فترة من الزمن خلال حكمه ، لمواجهة ظروف حرجة تعرضت لها هيئة الاسبتارية فى عهده . وفيما يتعلق بالسيد الكبير حنا لاستيك فقد تنازل له مجلس الاسبتارية ، فى عام ١٤٤٨ ، عن جميع سلطاته ، لمدة ثلاث سنوات ، لكى يتمكن من اخضاع تمرد على السلطة المركزية ، قام به عدد كبير من مقدمى الشعب ، والآمرين ، احتجوا على قرار كان قد أصدره مؤتمر عام عقد فى رودس قبل ذلك بثلاث سنوات ، أى فى عام ١٤٤٥ ، وقضى بفرض ضريبة استثنائية ، لصالح خزانة الاسبتارية على ايرادات الشعب ، لمدة خمس سنوات ، أى حتى عام ١٤٥٠ ، لمساعدة الحكومة فى تسديد الديون التى اضطرت الى عقدها خلال الحملات المملوكية على جزيرة رودس (١٤٤٠ ـ ١٤٤٤) ، وفى تعزيز وسائل الدفاع فى الجزيرة لمواجهة حملة مملوكية أخرى متوقعة ، احتجوا على هذا القرار ، وامتنعوا عن ارسال ، ليس فقط الضريبة التى فرضت على ايرادات الشعب التى يديرونها ، ولكن أيضا نصيب الخزانة المعتاد فى هذه الايرادات .(٢) أما عن السيد الكبير بطرس دوبيسون ، فقد منحه المؤتمر العام المنعقد فى مدينة رودس ، فى عام ١٤٧٨ ، سلطات مطلقة فى جميع الشئون المالية والادارية ، حتى يتمكن من اتخاذ جميع مايراه من اجراءات كفيلة بإعداد الجزيرة اعدادا يجعلها قادرة على صد حملة عسكرية تأكد الاسبتارية من أن

---

(١) أنظر : Les Statuts, Tire 14 , PP.127-128 (nom. 24), P.128 (nom. 25)

وبمقتضى أقوال (Vertot II,P.180) فان هذا القانون صدر لأول مرة فى المؤتمر العام الذى عقد فى عام ١٣٣٠ فى مدينة مونبلييه بفرنسا .

(٢) أنظر : Vertot II, PP.425-430; Biliotti, PP.216-217

السلطان العثماني محمد الثاني قد أمر بتجهيزها لطردهم من رودس (١) .

مجلس الاستشارية :

وفيما عدا ذلك من الامتيازات الخاصة ، كان السيد الكبير لا يستطيع ممارسة سلطاته الا بمعاونة ، وعن طريق ، مجلس الاستشارية (Le Conseil) ، وقد تقرر في المؤتمر العام ، المنعقد في مدينة مونبلييه ، في ٢ نوفمبر عام ١٣٣٠ ، برئاسة السيد الكبير الثاني هليون دى فيلينيف ، بأن يتشكل هذا المجلس من رؤساء الطوائف برئاسة السيد الكبير ، على أن يكون لكل عضو فيه صوت واحد فيما عدا السيد الكبير فله صوتان (٢) .

غير أن هذا الوضع قد تغير منذ عام ١٣٧٠ بحيث أصبح هناك مجلسان ، بدلا من مجلس واحد ، أطلق على أحدهما اسم المجلس الاعتيادى (Le conseil Ordinaire) ، على حين أطلق على الآخر اسم المجلس الكامل (Le Conseil complet) (٣) .

وكان المجلس الاعتيادى يتألف من السيد الكبير ، أو نائبه ، رئيسا ، وصوته يعادل صوتين x ، ومن رؤساء الطوائف ، وثلاثة من مقدمي الشعب ، ينتمون الى طوائف مختلفة xx ، ويحضرون الى جزيرة رودس ، لهذا الغرض ، باستدعاء

---

(١) أنظر : Bouhours, PP.60-61; Biliotti, P.253

(٢) أنظر : Vertot II, P.179

(٣) أنظر قرارات المؤتمر العام المنعقد في مدينة رودس في عام ١٣٧٠ ، في : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.169; vertot II, P.246

(x) أنظر : Vertot II, P.246

(xx) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P.169

من السيد الكبير ، ولا يسمح لهم بمغادرتها قبل مضي عامين على وصولهم اليها ، وقبل أن يتواجد من يحل محلهم من مقدمي الشعب في عضوية المجلس xxx • ويضاف الى هؤلاء جميع مقدمي الشعب والوكلاء المجمعين (Baillys Capitulaires) الذين يحضرون الى رودس لاى غرض ، فضلا عن رئيس الكنيسة ووكيل الخزانة (Trésorier) وكلاهما عن فئة الوكلاء المجمعين بالرغم من اقامتهم الدائمة في رودس ، والمسئول عن العدالة في قصر الرئاسة (Le Sénéchal) ورأيه استشاري ، ونائب حامل الأختام (Le Vice-Chancelier) لتسجيل محاضر الجلسات •

أما المجلس الكامل فقد كان يتشكل من جميع أعضاء المجلس الاعتيادي ، مضافا اليهم عضوين عن كل طائفة (١) • ولم يكن المجلس الكامل ، في الواقع ، يعقد الا في حالات قليلة أهمها ما يتعلق بالأمن القومي ، مثل حالات الموافقة على عقد الهدنات أو الصلح مع المسلمين ، (٢) واعطاء التصاريح بنقل المدافع والذخائر والبارود ، وغير ذلك من آلات الحرب الصالحة للاستعمال ، خارج جزيرة رودس ، وهي تصاريح لم تكن تعطى الا في حالات الضرورة القصوى حتى لو كان اخراجها الى احدى الجزر الخاضعة للاسبتارية في بحر ايجه (٣) • وكان من اختصاص المجلس الكامل أيضا تعيين كل من قائد جيش البر ، وقائد جيش البحر ، أى الأسطول ، بمقتضى القانون الذى صدر في عهد السيد الكبير زاكوستا (١٤٦١ — ١٤٦٧) ونص على ضرورة أن يفضل اختيار قائد جيش البر من طائفة أوفرن ، وقائد الأسطول من طائفة ايطاليا (٤) • وكان المجلس الكامل يعين كذلك رئيس المحكمة التجارية ، المعروف باسم القسطلان ، من بين الاسبتارية الذين لهم أقدمية في عضوية الهيئة لا تقل عن ثماني سنوات (٥) ، وترشحهم الطائفة صاحبة الدور (٦) ، ووكيل

---

xxx أنظر : Les Statutts, Titre 11,P.111, no.15(St.Zacosta)
(١) أنظر: Les Statuts, Titre 7 ,PP.68-69,nom.2(Coutume)
(٢) أنظر : Ibid, Titre 18 , P.155, nom. 22 (St.: Orsini)
(٣) أنظر : Ibid:Op., Cit., P.155, nom. 23 (St.: Orsini).
(٤) أنظر : Ibid: Titre 13, P.121, nom. 16 (St.: Zacosta)
(٥) أنظر : Ibid: Titre 13,P.121, nom. 14 (St.: Zacosta)

التجارة (١) ، ووكيلين لرعاية المسجونين والفقراء والمرضى والأرامل والقصر ، وللدفاع عن حقوقهم وتوصيل شكاواهم وتظلماتهم الى السيد الكبير والمجلس (٢) . أضف الى ذلك أن المجلس الكامل كان يملك الحق ، شأنه شأن المجلس الاعتيادى ، فى اعطاء التعليمات ، لرئيس الخزانة ، فيما يتعلق بتوزيع السلع وقطع الأثاث وغيرها من الأموال المنقولة المملوكة للخزانة ، على أعضاء هيئة الاسبتارية ومؤسساتها المختلفة (٣) ، وفى تحديد الأجور والمكافآت التى تصرف للمبعوثين والسفراء الى دول الغرب والشرق (٤) . هذا وكان المجلس الكامل هو الهيئة الوحيدة المختصة باعطاء تصاريح السفر ، الى خارج جزيرة رودس ، لأعضاء هيئة الاسبتارية من فئات الوكلاء المجمعيين (٥) ، والوكلاء الديريين ومقدمى الشعب ، فاذا أعطى السيد الكبير واحدا من هؤلاء تصريحا بالسفر الى الخارج ، بدون أخذ موافقة المجلس الكامل ، لا يعتبر تصريحه قانونيا ، ويعاقب حامله بمثل ما يعاقب به من يغادر رودس من غير تصريح (٦) .

المجلس الاعتيادى وسلطته على الادارة المركزية :

أما فيما عدا ذلك من أعباء الحكم والادارة فقد كان من اختصاص المجلس الاعتيادى ، الذى عرف أيضا باسم الدير (Couvent) (x) ، وعرف أعضاؤه باسم الصلبان الكبار (Les Grands - Croix) (xx) . وبالرغم من

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P.169
(٢) انظر : Les Statuts, Titre 13, P.122, nom.18 (St.: Ursini)
(٣) أنظر : Ibid: Titre 5, P.51, nom. 55 (St. de Lastic)
(٤) أنظر : Ibid; Titre 5, P.53 nom. 65 (St.; Fluvian)
(٥) أنظر : Ibid, Titre 13, P.121 nom. 13 (St., D'Aubusson)
(٦) أنظر : Ibid, Titre 7, P.76 nom. 3 (St.: Zacosta)
(x) أنظر : Les Statuts, Tire 19, P.168 nom. 9
(xx) أنظر : Vertot II, P.179; Parochon, P.115 note 1.

التشكيل الموسع لهذا المجلس ، فقد كان كافيا أن يحضره الوكلاء الدبريون (روساء الطوائف) برئاسة السيد الكبير أو نائبه ، فيصبح انعقاده قانونيا [١] . وكان المجلس الاعتيادى نفسه هو الهيئة المختصة بتعيين روساء الطوائف [٢] ، ومراقبة كل منهم فى أعماله كرئيس للطائفة ، وكمشرف على قطاع من قطاعات العمل والادارة ارتبط بمنصبه الذى شغله بحكم رئاسته لهذه الطائفة .

وعلى ذلك كان الآمر الكبير (Le grand Commandeur) ، وهو رئيس طائفة بروفانس ، والاول بين زملائه ، روساء الطوائف الآخرين ، من حيث التسلسل اللقبى أو الوظيفى وحق التصدر ، مسئولا أمام المجلس الاعتيادى ، عن مراقبة سير العمل فى الجهات المختصة باستلام وتخزين وتوزيع السلع والأموال العامة ، سواء ماكان يتعلق منها بالتموين أو بلوازم سفن الأسطول أو بموارد الخزانة .

وفيما يتعلق بقطاع التموين كان يخضع للآمر الكبير كل من آمر شونة الغلال (Le Commandeur du grenier) ، وهى شونة كانت تحتوى أيضا ، الى جانب الغلال من قمح وشعير وغيرهما ، على بعض المواد التموينية الأخرى مثل البسكوت والدقيق [٤] ، والآمر الصغير (Le Petit Commandeur) ، الذى عرف أيضا باسم آمر القبو (Le Commandeur de la Voute) ، وهو مدير المخزن المركزى ، الذى اشتهر فى رودس باسم الآمرية الصغرى (le Petite Commanderie) ، واحتوى على اللحوم والجبنه والمملحات والصابون والأقمشة بأنواعها والخيش والمعادن المختلفة من حديد وقصدير ونحاس وغيرها [٥] .

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 7, PP.68-69nom.2 (Coutume)

(٢) أنظر : Ibid, Titre 13, P.118, nom. 5; d.Le Roulx: les Hospit. à Rhodes, PP.166,353

(٣) أنظر : Les Statuts, Tire 10 , PP.92,101, De Belabre, P.18

(٤) أنظر : Les Statuts, Tire 10, P.69 nom. 17 (St.;De Lastic)

(٥) أنظر : Ibid, Tire 10 , P.94 nom. 11. (St., Fluvian)

وكان آمر شونة الغلال ، ومدير المخزن المركزى (الآمر الصغير) ، يختاران من فئة خدم السلاح (١) ، ويعينان عن طريق المجلس الاعتيادى ، بترشيح من الآمر الكبير (٢) ، لمدة عامين فقط (٣) ، وبراتب سنوى مقداره خمسة وعشرون فلورينا رودسيا لكل منهما (٤) . ومن ناحية أخرى كان كل من هذين الموظفين ملزما بتقديم تقرير شهرى ، للآمر الكبير ، مبينا فيه مقدار ما تم توزيعه ، على الاسبتارية ، ومؤسساتهم الاجتماعية المختلفة،وما تبقى بعد ذلك من السلع الموضوعة فى عهدته ، فاذا امتنع عن تقديم هذا التقرير ، أو ضمنه بيانات كاذبة ، فصل من منصبه وأصبح غير أهل لشغل منصب آخر قبل مرور خمس سنوات (٥) .

وكان المجلس الاعتيادى ، منذ عهد السيد الكبير ، حنا لاستيك (١٤٣٧ — ١٤٥٤) ، يعين اثنين ، من أعضاء هيئة الاسبتارية ، مشهود لهما بالحكمة ، ويتميان الى طائفتين مختلفتين ، بمثابة مفتشين مقيمين ، فى كل من شونة الغلال والآمرية الصغرى (المخزن المركزى) ، لمراقبة سير العمل فى هذين المرفقين . وكان من اختصاصات المفتشين المقيمين فى شونة الغلال ، الاحتفاظ بأحد مفتاحى الشونة ، التى يحتفظ آمرها بالمفتاح الآخر ، والتأكد من سير عمليات حفظ وتوزيع الغلال وفق أوامر وتعليمات الآمر الكبير ، ومن وضع خاتم الآمر الكبير على مختلف المخازن التى تحفظ فيها السلع داخل الشونة ، فضلا عن تقديم تقرير مفصل ، كل ثلاثة شهور ، عن كميات السلع التموينية التى دخلت الشونة ، والتى وزعت منها ، خلال تلك الفترة ، للمجلس الاعتيادى بصفته الهيئة المختصة بالرقابة العليا على جميع قطاعات الادارة والعمل

---

(١) أنظر : Les Statuts, Tire 12, P.112, nom. 2. (St.: De Lastic)

(٢) أنظر : Ibid, Tire 10 , P.100, nom. 32 (St.: Zacosta)

(٣) أنظر : Ibid, Tire 10 , P. 112, nom. 2 (St.:De Lastic), & Titre 10 , P.97 nom. 18 (St.: De Lastic)

(٤) أنظر : Ibid, Tire 10 , P.69 , nom. 17 (St., De Lastic)

(٥) أنظر : Ibid Titre 10 , P.94 nom. 11. (St.: Fluvian).

عن طريق تعيين المفتشين المقيمين بواقع اثنين في كل مرفق من المرافق التي تحتوي عليها هذه القطاعات[(١)] . أما عن المفتشين المقيمين في الآمريه الصغرى فقد كان من اختصاصاتهما اخطار كل من الآمر الكبير والمجلس الاجتيادي بما يتكشف لهما من مخالفات ، أثناء قيامهما بتأدية عملهما ، مع ذكر أسماء مقترفي هذه المخالفات ، وذلك حتى يمكن اتخاذ مايلزم من أجل اصلاح الأوضاع المختلفة[(٢)] .

والى جانب قطاع التموين ، كان الآمر الكبير مسئولا أيضا ، أمام المجلس الاجتيادي ، عن سلامة سير العمل في دار الصناعة ، أو الترسانة ، التي يحصل منها الأسطول على جميع ما يحتاج اليه من لوازم لسفنه وبحارته . وكان للآمر الكبير ، في هذا المرفق ، مركز مماثل لمركزه في كل من شونة الغلال والآمريه الصغرى ، فقد كان من سلطته تعيين وتغيير آمر الترسانة . وكان آمر الترسانة ، من ناحيته ، ملزما بأن يقدم ، للآمر الكبير ، تقريرا شهريا ، عن سير العمل في المرفق الذي يديره ، أسوة بزميليه آمر شونة الغلال ، والآمر الصغير ، كما كان محرما عليه بذل أى مصاريف ، أو دفع أجور ، في مرفقه ، الا في حضور الآمر الكبير ، اذا لم يكن متغيبا عن مدينة رودس ، والا فأمام رئيس الخزانة[(٣)] ، ويجب عليه ، من ناحية أخرى ، أن يختم جميع قوائم المصروفات بخاتم الآمر الكبير[(٤)] .

وقد وقع نزاع ، في عهد السيد الكبير زاكوستا (١٤٦١ ـ ١٤٦٧) ، بين الآمر الكبير وأمير البحر (الاميرال) ، حول ادارة مرفق الترسانة . ولتسوية هذا النزاع تقرر اشراك أمير البحر مع الآمر الكبير في المسئولية عن ادارة المرفق مع عدم المساس بما كان للآمر الكبير من سلطات فيه . وقد أعطى لأمير البحر ، بمقتضى

---

(١) انظر : Les Statuts, Titre 10, P.96, nom. 17 (St.:De Lastic)

(٢) انظر : Ibid, Titre 10, P.97 nom. 18 (St.: De Lastic)

(٣) انظر : Ibid, Titre 10, P. 94 ,nom. 11 (St.: Fluvian)

(٤) انظر : Ibid,Titre 10, P.96 , nom. 17 (St.:De Lastic).

النسوية ، سلطة تعيين رجل حكيم (Preud' homme) للتفتيش أو المراقبة في المرفق من غير أن يتعدى على حقوق آمر الترسانة الذى يعينه الآمر الكبير • وكان من اختصاص هذا الرجل الحكيم أيضا ، تدوين جميع ما يقوم آمر الترسانة ، بشرائه أو استئجاره ، من لوازم السفن ، كالحديد ، والخشب ، والمقاذيف ، والخيوط الليفية ، وغيرها ، في دفتر خاص ، مكلف بأن يحتفظ به ، كما كان من اختصاصه مراجعة قوائم المصروفات اليومية في هذا المرفق • ونصت التسوية كذلك على أن يحتفظ كل من آمر الترسانة والرجل الحكيم بمفتاح للمخزن الذى توجد به مهمات الترسانة • وفي كل مرة يجرى فيها جرد لهذه المهمات ، يجب أن تحفظ نسخة من قائمة الجرد ، لدى كل من الآمر الكبير وأمير البحر والرجل الحكيم • وبالاضافة الى ذلك ، سمحت التسوية لأمير البحر بأن يعين في الترسانة ، بخلاف الرجل الحكيم ، كاتبا مهمته تسجيل جميع ما يخص النوتية من مهمات في الترسانة ، واخطار كل من أمير البحر ، والآمر الكبير بها بصفة دائمة • هذا وقد تحدد في التسوية أجر كل من آمر الترسانة والرجل الحكيم بعشرين فلورنتيا ، بنقص خمسة فلورنتيات عما كان يتقاضاه آمر الترسانة في عهد السيد الكبير حنا لاستيك ، كما تحدد فيها مدة الوظيفة لكل من هذين الموظفين ، أى آمر الترسانة والرجل الحكيم ، بعامين اثنين ، شأنهما شأن سائر موظفى الادارة المركزية الخاضعين لرئاسة الوكلاء الديريين •(١)

وأخيرا كان الآمر الكبير مسئولا أمام المجلس الاعتيادى عن مراقبة الجهاز المختص باستلام وتخزين وتوزيع أو صرف موارد الخزانة • ومن المعروف أن هذه الموارد كانت تتألف من المعاشات السنوية (Les Responsions) التى يرسلها رؤساء الشعب ، وهى نسب من دخول الدوائر (أو الآمريات) التى تشتمل عليها الشعب ، تتراوح بين الخمس والنصف ، تحددها المؤتمرات العامة ، التى كانت تملك أيضا سلطة زيادتها وانقاصها بحسب حالة كل آمرية

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 10, P.100, nom.33 (St.: Zacosta).

وحاجة الحكومة للأموال . وبالاضافة الى هذه المعاشات ، كان يئول الى الخزانة أيضا ، دخل الآمريات التى يموت آمروها أو يفصلون ، وذلك من يوم الوفاة ، أو الفصل ، حتى يوم الاحتفال بعيد القديس حنا ، وهو يوم ٢٣ يونية ، وكان يطلق على هذا المورد اسم ضريبة الموت (Le mortuaire) . على أن الخزانة كانت تستمر فى تحصيل دخل هذه الآمريات نفسها ، التى تشغر بموت آمريها أو بفصلهم ، لمدة سنة كاملة أخرى ، أى حتى حلول العيد التالى للقديس حنا ، فى يوم ٢٣ يونيه التالى ، وكان ذلك يعرف باسم ضريبة الخلو أو الفراغ (Le Vaquent)

ومن موارد الخزانة الأخرى ، ما يدفعه الأعضاء الجدد نظير نقلهم من مواطنهم فى الغرب الى جزيرة رودس لحضور مراسيم العضوية التى تجرى لهم فى مركز الهيئة ، وهذا ماكان يعرف باسم رسوم النقل (Les Passages) ، ومقدارها مائتا قطعة ذهبية (مائتا ايكوس) عن الفارس ، ومائة وخمسون عن خادم السلاح . ويدخل ضمن موارد الخزانة أيضا ، ما يدفعه رؤساء الشعب من أموال متأخرة عليهم ، وهو ماكان يعرف باسم المتأخرات (Les Arrerages) وكذا تركات الموتى من الاسبتارية ، سواء فى رودس ، أو فى الشعب بأوربا ، فيما عدا الموتى من فئتى رهبان الطاعة ، والخدم المكتبيين ، وهو ماكان يعرف باسم تركات الموتى (Les depouilles de defunts) ، وتشتمل على محتويات منازلهم من أثاث وأوانى وكذا الأموال النقدية والأسلحة ، فيما عدا السيوف والمدى ، ومحتويات الحظائر من حيوانات وعربات وغيرها ، وان كان من الضرورى ان يترك ، من هذه التركات فى آمريات الغرب ، ما يلزم لبيوت الآمرين الجدد ، وما تحتاج اليه فلاحة الأرض فى الآمريات من مهمات فضلا عن نصف حيوانات الحظائر بها . وبخلاف هذه الموارد العادية (Ordinaire) ، كانت هناك الموارد غير العادية (Extraordinaire) مثل غنائم الحروب ، والقرصنة ، والضرائب الاستثنائية التى تفرضها المؤتمرات العامة ، والجمعيات الطارئة ، على الآمريات والشعب ، للمساعدة فى تسديد دين باهظ لابد من تسديده ، أو فى تعزيز اضطرارى لوسائل الدفاع عن جزيرة رودس

أوجهه تهديد عثمانى أو مملوكى باحتلالها .(١)

ومهما يكن من أمر هذه الموارد ، فقد كان الامّر الكبير هو المسئول أمـــام المجلس عن سلامة سير العمل فى الجهاز المختص باستلامها ، وتخزينها ، وتوزيعها أو صرفها .(٢) ومنذ عهد السيد الكبير حنا لاستيك (١٤٣٧ — ١٤٥٤) ، كـــان المجلس الاعتيادى يعين ، لمساعدة الامّر الكبير ، فى ادارة هذا المرفـــق ، اثنين من طبقـــة الوكلاء المجمعيين ، عرفا باسم المفوضين (Procureurs) وكان هذان المفوضان ملزمين بتقديم تقرير سنوى للمجلس ،عن الأموال النقديـــة ، والأموال المنقولة ، التى تدخل الخزانة ، أو تخرج منها وكان كل منهما ، والامّر الكبير، يحتفظ بمفتاح لكل خزينة من الخزائن التى تحفظ فيها الأموال النقدية ، وبمفتـــاح آخر لكل مخزن ، من مخازن الخزانة ، يحتوى على الأموال المنقولة ، أو على خزائن الأموال النقدية .(٣) وقد عين فى عهد حنا لاستيك نفسه بخلاف المفوضين ، مدير عام لادارة مخازن الخزانة عرف باسم الخازن الديرى (Le Conservature Conventuel) وباسم الخازن العام للخزانة (Le Conservature general du Thresor) ومقتضى قرار انشاء هذه الوظيفة ، كانت اختصاصات شاغلها أن يتسلم موارد الخزانة ، من الأموال النقدية ،والأموال المنقولة ، ويضعها ، بمعرفة الامّر الكبير ، فى الأماكـــن المخصصة لها ، داخل المخازن التى يديرها ، ويحافظ على سلامتها فى هذه المخازن ، ثم يشترك ، مع الامّر الكبير ، والمفوضين ، فى توزيعها على الجهات الحكومية الـــتى تطلبها ، وفق تعليمات المجلس ، مع تسجيل ذلـــك كلـــه بدقة وتفصيل فى دفاتـــره

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 19 , PP.168-169 , noms. 17,18, 19, 20. & Titre 5 , PP.35 (nom.1), 36 (nom.4), 39 (nom.15), 43 (nom. 23), 44 (nom. 30), 45 (nom. 35).

(٢) أنظر : Ibid,Titre 7 , P.78 nom. 39 (St.: D'Aubusson) & Titre 5 , P.50 , nom. 53 (St.: De Lastic).

(٣) أنظر : Ibid , Tire 5 , P.50, nom. 53 (St.: De Lastic)

ودفاتر كاتب الخزانة . ونص القرار أيضا على أن يغير الخازن العام للخزانة ، فى كل دوره من دورات المؤتمر العام ، وألا يعين الخلف من نفس الطائفة التى ينتمى اليها السلف قبل مرور عشر سنوات ، وأن يحصل هذا الموظف على راتب سنوى مقداره مائة دوكات رودسى اذا كان فارسا ، ومائة فلورنتى رودس اذا كان راهبا أو خادم سلاح (١). وقد صدر قرار ثالث فى عهد السيد الكبير ، جنسا لاستيك ، قضى بأن تعين لجنة من ثمانية أعضاء بواقع عضو عن كل طائفة تختاره الطائفة التى ينتمى اليها ، للقيام بمهمة التفتيش العام فى مرفق الخزانة ، وفحص حسابات هذا المرفق ، على أن تخصص يوما واحدا فى الأسبوع لانجاز هذا العمل ، فاذا وجدت تقصيرا فى العمل بهذا المرفق ، أو خطأ فى حساباته ، أبلغت به ، على الفور ، السيد الكبير والمجلس الاعتيادى . وكان على أعضاء هذه اللجنة ، التى عرفت باسم لجنة فاحص الحسابات (Auditeurs des Comptes) أن يقسموا اليمين أمام السيد الكبير ، والمجلس الاعتيادى ، قبل أن يبدءوا فى مباشرة عملهم ، وأن يتواجدوا فى المجلس ، عند عرض حسابات الخزانة عليه ، كما يلزم تواجدهم فى الخزانة عند دفع أجور الموظفين (٢) ، وهى عملية تتم عادة فى أول شهر سبتمبر من كل عام ، علما بأن جميع أعضاء هيئة الاسبتارية كان لهم الحق ، قانونا ، فى أجر سنوى يصيبهم على الحياة ، فيما عدا من كان منهم آمرا يدير دائرة مهما بلغ دخلها ، ومن كان يدير مالا أو بيتا مملوكا لهيئة الاسبتارية ، ويدر دخلا سنويا يزيد مقداره على ستين فلورنتيا رودسيا . هذا (٣) وفى عهد السيد الكبير بطرس دوبيسون (١٤٧٦ — ١٥٠٣) ، أضيف الى قائمة مساعدي الآمر الكبير فى تسيير دولاب العمل بجهاز

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 5 , P.51, nom. 55 (St.:De Lastic)

(٢) أنظر : Ibid, Titre 5, P.51, nom. 56 (St.: De Lastic)

(٣) أنظر : Ibid, Titre 5, P.51, nom. 57 [illegible]

الاستلام والتخزين والتوزيع التابع للخزانة ، موظف آخر مهمته التواجد يوميا في الخزانة لتقييد الموارد ، التى يتسلمها الخازن العام في دفتر خاص به ، غير دفتر الخازن العام ، كما يجب حضوره عندما يقدم الخازن العام تقاريره للمجلس الاعتيادي (١).

على أن جهاز استلام وتخزين وتوزيع الايرادات العامة ، وهو الجهاز الذى كانت مسئولية الآمر الكبير عنه قاطعة ، لم يكن هو الجهاز الوحيد الذى يشتمل عليه مرفق الخزانة ، فقد كان هذا المرفق يشتمل أيضا على جهاز آخر اختص بالحسابات التى كان يجريها عن طريق مقابلة ايصالات الاستلام بأذونات الصرف المرسلة الى الخزانة من سائر أجهزة الدولة ، سواء الأجهزة التى تعمل تحت اشراف الآمر الكبير ، مثل شونة الغلال والامريه الصغرى ، والترسانة ، وجهاز استلام وتخزين وتوزيع الايرادات العامة التابع للخزانة نفسها ، أو الاجهزة الأخرى في الدولة مثل المستشفى والصيدلية وغيرها . وكان جهاز الحسابات ، يديره موظف مالى ، يعرف باسم الخازندار أو وكيل الخزانة (Tresorier) ، أنشئت وظيفته فى عام ١١٣٥ بمدينة بيت المقدس . وكان هذا الموظف ، فى العهدين الشامى والقبرصى ، وبداية العهد الرودسى ، مسئولا عن وظيفته أمام المجلس بطريقة مباشرة بحكم عضويته فيه (٢). ولكن عندما أعيد تشكيل المجلس ، بمقتضى قرارات المؤتمر الاستشارى العام ، المنعقد فى مدينة مونبلييه الفرنسية ، فى ٢ نوفمبر سنة ١٣٣٠ ، لم يكن وكيل الخزانة ضمن أعضائه (٣) ، ومن ثم انفرد الامر الكبير بالمسئولية أمام المجلس عن مرفق الخزانة بجهازيه (٤).

---

(١) أنظر : Las Statuts, Titre 5, P.52 nom. 58 (St.:Aubusson)

(٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP.342 - 343

(٣) انظر : Vertot II, P.199

(٤) انظر : Les statuts, Titre 7 , P.78, nom. 39 (St.:D, Aubusson)

نص قرار صدر عن المؤتمر العام المنعقد فى مالطة فى ١٢ مارس عام ١٦٠٣ على أن تعود ادارة الخزانة العامة الى الآمر الكبير ومفوضى الخزانة والخازن العام للخزانة ، مما يدل على أن منصب وكيل الخزانة (Le Tresorier) قد ألغى ويثبت بأن الآمر الكبير ، كان هو المسئول الأوحد عن الخزانة بجميع أقسامها قبل عهد حنا لاستيك ـ أنظر :

Les Ordonnances de l'Ordre de S.Jean de Hierusalem, Titre 5, P.211. Nom. 18.

غير أنه صدر فى عهد السيد الكبير جنا لاستيك (١٤٣٧ ـ ١٤٥٤) ، قرار ، أصبح وكيل الخزانة ، بمقتضاه ، يعرف باسم وكيل عام الخزانة (Tresorier _ general) ، ورقى الى رتبة وكيل مجمعى (Baillif capitulaire) التى أعطته حق عضوية المجلس من جديد . ونص هذا القرار أيضا ، على منح وكيل عام الخزانة حق الاحتفاظ بخاتم الدولة العام المصنوع من الحديد (La Commune Pulle de fer) واستخدامه ، وعلى أن يكون تعيينه عن طريق المجلس الاعتيادى من أفراد طائفة فرنسا ، وأن يعطى راتبا سنويا قدره ثمانية وأربعون قطعة ذهبية (ecus) اذا كان من فئة الفرسان ، أو مائة فلورنتى رودسى اذا كان من فئة الرهبان أو من فئة خدم السلاح ، وهو الراتب المعتاد لمديرى المصالح المختلفة من أبناء هاتين الفئتين (١) . ولا شك أن عودة عضوية المجلس الى وكيل الخزانة قد أعفت الأمر الكبير من المسئولية أمام المجلس عن قطاع الحسابات فى مرفق الخزانة ، وأصبحت مسئوليته ، عن هذا المرفق ، مقتصرة على سلامة العمل فى جهاز استلام وتخزين وتوزيع الايرادات العامة .

هذا فيما يتعلق بالأمر الكبير ومسئوليته أمام المجلس الاعتيادى . أما عن المارشال (المشير) ، وهو رئيس طائفة أوفسرن ، والثانى ، بعد الأمر الكبير ، من حيث التسلسل اللقبى وحق التصدر ، فقد ظل فى رودس ، كما كان فى بلاد الشام ، وفى جزيرة قبرص بعدها ، هو عضو المجلس المسئول عن الجيش ، باختصاصات تشبه اختصاصات وزير وليس قائد جيش (٢) . ولما كان المارشال مسئولا عن توفير حاجة الفرسان ، وهم عصب الجيش ، من الخيول والسروج والأسلحة ، فقد وقع على عاتقه مهمة اختيار الصالح للقتال من الخيول التى تعرض عليه بحيث لا تدفع الخزانة ثمنا أو تكاليف نفقة ،

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 10, P.99, nom. 29 (St.:De Lastic) & Ibid, Titre 13 , P.120, Nom. 13 (St.; D,Aubusson)

(٢) الجيش أثناء القتال يعين لـه قائد عن طريق المجلس الكامل ـ أنظر : Ibid, Titre 13 , P.121, nom. 16. (St.: Zacosta).

لما يحكم المارشال بعدم صلاحيته من هذه الخيول (١). وكان يشترك معه في أداء هذه المهمة ، منذ عهد السيد الكبير ، حنا لاستيك (١٤٣٧ ـ ١٤٥٤) ، اثنان آخران من أعضاء هيئة الاسبتارية يختارهما المجلس الاعتيادى (٢) ، وهما بخلاف المفوضين اللذين كان المجلس يعينهما ، منذ ذلك العهد ، للتفتيش على أعمال الأمير ياخور (Le maitre - écuyer) وإبلاغ المارشال بما يجدانه من خلل أو تقصير في أداء هذه الأعمال ، فاذا وجدا بأن المارشال لم يحقق في الأمر ، أبلغا به السيد الكبير والمجلس الاعتيادى (٣) ، علما بأن الأمير ياخور من فئة خدم السلاح ، وكان تابعا للمارشال ، ومختصا باستلام وتقييد أعداد الخيول المستوردة لحساب الاسبتارية ، فضلا عن رئاسته لجماعة التابعين للفرسان (٤) .

وكان المارشال مسئولا أيضا عن تنظيم واجب الحراسة الدائمة في الحصون الساحلية والداخلية بالجزيرة ، وهو واجب فرض على جميع العاملين من الاسبتارية تحت رئاسة المارشال ، ولا يملك المارشال سلطة اعفاء أحد منهم من تأديته (٥) . وقد صدر ، في عهد السيد الكبير داميواز (١٥٠٣ ـ ١٥١٢) ، قرار خاص ، بشأن تنظيم واجب الحراسة في برج قصر السادة الكبار ، بمدينة رودس . وبمقتضى هذا القرار ، أصبح المارشال ، أو نائبه ، ملزما بأن يعهد بالحراسة الليلية ، في هذا البرج ، الى أربعة من الاسبتارية يختارهم المارشال من طوائف مختلفة ، ويعين أحدهم قائدا للبرج ، ويفاجئهم بالزيارة ، ويقوم أخطاءهم ، ويعزل من يهمل منهم في

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 5, P.55, nom. 71 (St.: Orsini)

(٢) أنظر : Ibid, Titre 10, P.97 nom. 20 (St.:De Lastic)

(٣) أنظر : Ibid, Titre 10, P.97 nom. 21 (St.: De lastic)

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. en T.S., P.350.

(٥) أنظر : Les Statuts, Titre 10 , P.97 nom. 19 (St.:De Lastic

تأديبة عليه ، ويعين آخر بدلا عنه . وقد حدد القرار الأجر السنوى لكل من هؤلاء الحراس الأربعة بأربعة وعشرين فلورنيا ، تدفعه لهم الخزانة على أن تخصمه من مخصصات الوكلاء الديريين ونوابهم ، ومن يوجد فى رودس من رؤساء الشعب ، والوكلاء المجمعيين ، ونوابهم ، وذلك بالتساوى وكل ثلاثة شهور .[1]

ويبدو أن المارشال كان مسئولا ، كذلك ، بشكل ما ، عن الزى عند الاسبتارية ، فقد كان من مهامه معاقبة الاسبتارية الذين يحيلهم اليه المحافظ الكبير (Le Grand Conservateur) وهو عضو المجلس المسئول عن قطاع الأقمشة والملابس ، اذا تجرءوا على تفصيل ملابسهم من غير اذنه ، أى اذن المحافظ الكبير ،[2] كما كان يلزم أخذ موافقة المارشال ، اذا رغب أحد من الاسبتارية فى ارتداء ملابس قصيرة ، وهى موافقة لا تعطى ، بحكم القانون ، الا فى حالة الحرب الدفاعية أو الهجومية .[3]

وبعد المارشال يأتى رئيس طائفة فرنسا ، وهو المشرف الطبى أو المسئول عن المستشفى المركزى فى مدينة رودس (L'Hospitalier) الذى كان يطلق عليه أيضا اسم بيت التمريض (L'Infirmerie) ، ويعالج فيه المرضى بالمجان سواء كانوا من الاسبتارية أو من العلمانيين أى من غير الأعضاء فى هيئة الاسبتارية .[4]

وكان يساعد المشرف الطبى فى ادارة المستشفى ، ممرض وكاتب ، يعينهما المجلس الاعتيادى ، لمدة عامين بترشيح من المشرف الطبى نفسه[5] ، فضلا عن موظفين آخرين يعرفان بالحكيمين Les deux preud' hommes)

كان المجلس الاعتيادى ، منذ عهد حنا لاستيك ، يختارهما ، لمدة عام واحد ، من طائفتين مختلفتين ، للعمل فى المستشفى مفتشين مقيمين ، شأنهما شأن الحكماء الآخرين الذين اعتاد المجلس ، منذ عهد حنا لاستيك ، أن يعينهم فى مختلف أفرع قطاعات

---

(1) أنظر : Les statuts, Titre 13, P.122, nom. 20 (St.:Amboise)

(2) أنظر : Ibid, Titre 10 , PP 98-99, nom. 25 (St.De lastic)

(3) أنظر : Ibid, Titre 12, P.113, nom. 5 (St.: Zacosta)

(4) أنظر : Ibid, Titre 4 , P.30, nom. 11 (St.De lastic)

(5) أنظر : Les Statuts, Titre 4 , P.28 nom. 3 (St.: Carretto) and Titre 10 , P.98 , nom. 22 (St.; De lastic)

العمل والادارة ، بواقع حكيمين فى كل فرع (1) .

ومن بين هؤلاء المساعدين كان الممرض هو ، فى الواقع ، المدير الفعلى للمستشفى . وكان هذا الموظف يختار من أبناء طائفة فرنسا (2) . وكان ملزما ، بحكم القانون ، بأن يطوف ، صحبة خادم ، على جميع نزلاء المستشفى من المرضى مرتين كل يوم ، أولهما فى الفجر ، والثانية قبل النوم ، وذلك للتخفيف عنهم وتشجيعهم والتعرف على احتياجاتهم فيوفرها لهم (3) . وكان على الممرض ، أيضا ، وكاتب المستشفى ، أن يرافقا الاطباء أثناء طوافهم على المرضى ، وأن يدونا جميع ما يشير به هؤلاء الاطباء بشأن مرضاهم ، ويعملا على تحقيقه بدون ابطاء ، علما بأن أطباء المستشفى كانوا ملزمين بالطواف على المرضى مرتين على الاقل كل يوم تنفيذا للقسم الذى كانوا ينطقون به ، عند التحاقهم بخدمة المستشفى ، أمام لجنة مؤلفة من ثمانية مندوبين عن الطوائف الثمانى بواقع مندوب واحد عن كل طائفة (4) ، وبأن المستشفى كان يعمل به أيضا جراحان يختارهما الاطباء (5) .

أما عن المفتشين المقيمين فى المستشفى ، فقد كان من مهامهما أن يعودا المرضى كل صباح ، فاذا سمعا منهم بأن الممرض قد قصر فى أداء الواجب المفروض عليه بزيارتهم كل فجر ومساء ، وبخاه ، واذا تكرر منه التقصير ، طلبا من المشرف الطبى أن يعزله ويعين ممرضا آخر بدلا عنه . وكان على المفتشين المقيمين أيضا أن يتأكدا من جودة ما يقدمه الممرض ، للمرضى فى المستشفى ، من اللحوم والخبز والنبيذ (6) ، وأن يقوما فى كل مساء بتقييد حسابات المستشفى عن اليوم المنصرم (7) ، وبالتوقيع عليها لكى يعتمدها وكلاء الخزانة .

(1) أنظر : Les Statuts, Titre 4 , P.27, nom. 2 (St.:DeLastic)

(2) أنظر : Ibid , Titre 10 , P.98, nom. 22 (St.:De Lastic)

(3) أنظر : Ibid, Titre 4 , P.30, nom. 13 (St.: De Lastic)

(4) أنظر : Ibid, Titre 4 , P.30, nom. 11 (St.: De Lastic)

(5) أنظر : Ibid, Titre 4,p. 30, nom. 12 (St.; De Lastic)

(6) أنظر : Ibid, Titre 4,P.30, nom. 13 (St.: De Lastic)

(7) أنظر : Ibid, Titre 4, P.27, nom. 3 (St. Carretto)

وكان عليهما أيضا أن يستلما من الممرض ، في كل شهر ، كشفا بنفقات المستشفى ، لمراجعته (١) ، وأن يتحملا ، مع الممرض ، مسئولية كتابة جميع لوائح وتعليمات المستشفى على قرطاس من الجلد (Perchemin) ، ووضع هذا القرطاس في مكان ظاهر بالمستشفى (٢) .

وكان المشرف الطبي ، من ناحيته ، ملزما ، بحكم القانون ، بأن يصطحب معه المفتشين المقيمين ، والممرض ، وكذا المسئول الديني في المستشفى — وهو راهب برتبة مقدم (Prieur) يعينه رئيس الكنيسة — وبعض الشهود ، في عمل جرد سنوي لمحتويات المستشفى ، من أثاثات وأغطية وأواني وأدوات ، فضلا عن الوصايا والوثائق بالمنح التي يحررها المرضى لصالح المستشفى ، عرفانا منهم بالجميل لما لاقوه فيه من عناية أثناء العلاج . وكان المشرف الطبي ، والمفتشين المقيمين ، تقدير أثمان هذه المحتويات وتسجيلها في كشوف الجرد (٣) . ولضمان سلامتها ، وعدم ابدالها بغيرها ، صدر قرار في عهد السيد الكبير يعقوب ميللي (١٤٥٤—١٤٦١) ، قضى بضرورة وضع علامات عليها بخاتم حديدي نقش عليه اسم المشرف الطبي أو نائبه ، على أن يحفظ هذا الخاتم لدى الممرض ، داخل حقيبة من الجلد مختومة بأختام المشرف الطبي أو نائبه والمفتشين المقيمين . ونص القرار أيضا على أن يوضع الفائض من حاجة المستشفى ، من محتوياته ، في مخزن خاص به ، يحتفظ كل من الممرض والمفتشين المقيمين بمفتاح له (٤) . وعلى أي حال فقد كان الممرض وحده ، من بين جميع العاملين بالمستشفى ، هو المسئول ، أمام المشرف الطبي عن ضياع أي شيء من محتويات المستشفى ، أو ابداله بغيره ، وكان يعاقب على ذلك بالطرد من وظيفته (٥) .

---

(١) انظر : Les Statuts, Titre 4, P.27, nom. 2 (St.: De Lastic

(٢) أنظر : Ibid, Titre 4 , P.29, nom. 7(St.:De milly)

(٣) أنظر : Ibid, Titre 4 , P.28, nom. 5 (St.: De Lastic)

(٤) أنظر : Ibid, Titre 4, P.29, nom. 8. (St.De milly)

(٥) أنظر : Ibid, Titre 4 , P.28, nom. 5 (St. De Lastic)

ولا يعرف ما اذا كان للمشرف الطبي رأي في اختيار المسئول الديني في المستشفى الذى يعينه رئيس الكنيسة (Le prieur de L'infirmeric)، ولكن من الثابت أن مساعد هذا المسئول الديني، وهو راهب مرؤوس له، كان يعينه المشرف الطبي مباشرة بعد أخذ رأي رئيس الكنيسة، مما يؤكد سلطة المسئول الطبي الكاملة على جميع جوانب الخدمة في المستشفى. وكان المسئول الديني، أو بالأحرى الراهب الرئيس، مسئولا عن اقامة صلاة القداس في الكنيسة الملحقة بالمستشفى سبع مرات في الأسبوع، بواقع مرة واحدة كل يوم، على أن يتولى هو بنفسه تلاوة ثلاثة منها ويتولى مساعده تلاوة الأربعة الأخرى (١). وكان الراهب الرئيس مختصا أيضا بالاستماع الى اعترافات المرضى، واستلام الاقرارات بالملكية التي فرض عليهم كتابتها كشرط لقبولهم للعلاج في المستشفى (٢)، على أن يتم ذلك في حضور وشهادة الممرض والمفتشين المقيمين اذا كان المريض صاحب الاعتراف والاقرار بالملكية من العلمانيين أي من غير الأعضاء في هيئة الاسبتارية (٣).

وبمقتضى قرار صدر في عهد السيد الكبير يعقوب ميلي (١٤٥٤ _ ١٤٦١)، سمح للراهب الرئيس بالتخلف عن حضور الجمعيات التي يعقدها الاسبتارية حتى يتمكن من اعطاء وقته كله لخدمة المرضى من الناحية الروحية. وقضى هذا القرار أيضا بأن يعطى الراهب الرئيس نصيبا من الحنطة يعادل النصيب المعين للفارس، وبأن يلحق بخدمته خادم خاص (٤).

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 4, P.29, nom. 9 (St.; De lastic)

(٢) أنظر : Ibid , Titre 3 , P.31 nom. 16 (St.: De Lastic)

(٣) أنظر : Ibid, Titre 4, P.31 nom. 18; (St.: De Milly)

(٤) أنظر : Ibid, Titre 3 , P.29, nom. 10(St. De milly)

هذا وقد امتدت سلطة المشرف الطبي أيضا الى الصيدلية الملحقة بالمستشفى ٠ وكان من واجبه مفاجأتها بالزيارة متى شاء ، صحبة المفتشين المقيمين في المستشفى بحكم أنهما مسئولين عن اجراء حسابات الصيدلية مثلما هما مسئولان عن اجراء حسابات المستشفى ، وبحكم كونهما المسئولين المختصين باخطار الامر الصغير باحتياجات كل من الصيدلية والمستشفى ليمدهما بها (١) — وصحبة أطباء المستشفى لفحص محتويات الصيدلية بقصد الكشف عن الفاسد منها فيستبعد ، والناقص منها فيستكمل من الامريه الصغيرة (٢) ٠

اما فيما يتعلق بالوكيل الديرى ، الذى يلى المشرف الطبى ، فى الترتيب اللقبى ، وهو أمير البحر (الأميرال) فقد كان مسئولا أمام المجلس عن الأسطول ، وتجهيزه للحرب اذا صدرت اليه الأوامر بذلك ، من السيد الكبير والمجلس ، الى جانب مسئوليته عن رئاسة طائفة ايطاليا ٠ وكان يخضع لرئاسة أمير البحر جميع النوتية (البحارة) سواء كانوا فى البحر ، وقت الحرب ، أو فى البر زمن السلم ، كما كان يخضع لأوامره الجند المقاتلون فى الأسطول طالما كانوا داخل سفن اسطوله ، فاذا تركوه الى البر خضعوا لأوامر المارشال أو نائبه ٠ ومن ناحية أخرى كان أمير البحر مسئولا عن تحديد أجور النوتية العاملين تحت امرته على أن تدفعها لهم الخزانة (٣) ٠ ومنذ عهد السيد الكبير زاكوستا (١٤٦١ — ١٤٦٧) ، كان أمير البحر شريكا للامر الكبير فى المسئولية عن حسن سير العمل فى مرفق دار الصناعة (الترسانة) (٤) ٠ وبالرغم من ذلك فانه لم يكن لزاما على أمير البحر أن يخرج على رأس الأسطول لادارة المعارك البحرية ، فقد جرت العادة منذ عهد السيد الكبير زاكوستا ، على الأقل ، على أن يخرج الأسطول للمعارك البحرية بقيادة قائد عام للأسطول يعينه المجلس الكامل مع اشتراط

---

(١) أنظر : Les Status, Titre 4, P.27, nom. 3 -St.: Carretto).

(٢) أنظر : Ibid, Titre 4 , P.28, nom. 6 (St.:De Lastic)

(٣) أنظر : Ibid, Titre 10 , P.94, nom. 9 (St.: De Gozon);
D. Le Roulx: Les Hospit. en T.S., P.345.

(٤) أنظر : Les Statuts, Titre 10 , P.100-101, nom. 33 (St.:

تفضيل اختياره من أبناء طائفة ايطاليا التي يرأسها أمير البحر (١)، هذا اذا لم يتقرر أن يخرج السيد الكبير بنفسه ، أو نائبه ، على رأس الأسطول لادارة هذه المعارك (٢) .

واذا تركنا أمير البحر الى الوكيل الديري التالي له في الترتيب اللقبي ، وهو المحافظ الكبير (Le grand Conservateur) ، رئيس طائفة أرغونه وقطالونيا ونافاره ، الذي كان معروفا قبل عصر السيد الكبير هيريديا (١٣٧٧ ـ ١٣٩٦) باسم الجوامخ أو القماش ، نجد أنه كان مسئولا عن استلام الأقمشة والملابس المختلفة سواء من الأديرة الصغرى أو من المخازن الملحقة بالخزانة ، وفي حضور كل من الآمر الكبير ، وهو الوكيل الديري المسئول عن الاشراف على هذين المرفقين ، ووكلاء الخزانة ، وكذا الخازن العام للخزانة ، ثم توزيع ما استلمه ، بمساعدة الوكيل العام للخزانة ، على أعضاء هيئة الاسبتارية في رودس ، وعلى الجند ، وفق قواعد خاصة ، فاذا وزع على بعضهم أنصبة أكبر مما هو معين لهم ، تحمل الوكيل العام للخزانة ، وليس المحافظ الكبير ، دفع ثمنها للخزانة (٣) .

ولما كانت هيئة الاسبتارية تهتم ، اهتماما بالغا ، بحكم صفتها الدينية ، بالملبس الوقور لأعضائها ، فقد حظرت قوانينها عليهم اعداد أو تفصيل ملابسهم الا بعد الحصول على اذن المحافظ الكبير ، فاذا جرؤ أحدهم ولبس رداء طويلا أو قصيرا ، حيك له بدون أخذ الاذن من المحافظ الكبير ، أحيل الى المارشال لمعاقبته بالحبس مع الصوم سبعة أيام (٤) ، علما بأن الملابس القصيرة محرم لبسها على الاسبتارية الا زمن الحروب وباذن السيد الكبير والمارشال (٥) . هذا وكان المحافظ الكبير ملزما ، بحكم منصبه ، بأن يتواجد ، أو نائبه ، عند ابرام عقود شراء الأقمشة والملبوسات

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 13, P.121, nom. 16 (St.: Zacosta)

(٢) أنظر : Ibid, Titre 10, P.93 nom. 8 (St.: G. De Villaret)

(٣) أنظر : Ibid, Titre 10 , P.98, nom. 24 (St.: De Lastic)

(٤) أنظر : Ibid, Titre 10 , P.98, nom. 25 (St.: De Lastic)

(٥) أنظر : Ibid, Titre 12 , P. 113, nom. 5 (St.: Zacosta)

بمختلف أنواعها ، وكذا عند توزيع تركات الموتى من الاسبتارية ، بعد وصولها الى الخزانة ، على كبار المسئولين فى الهيئة ، لكى يأخذ منها ما يفيد فى صناعة الملابس للأعضاء الأحياء (١) .

ويأتى بعد المحافظ الكبير فى الترتيب الدقيق ، قائد الخيالة الخفيفة او التركوبلى (Turcopolier) رئيس طائفة انجلترا . وكان هذا القائد مسئولا عن قيادة فرقة الفرسان الخفيفة — وهى فرقة ، كان كل فرد من أفرادها يحمل أيضا لقب تركوبلى ، ولكن ليس بينهم عضو فى هيئة الاسبتارية سوى قائدهم التركوبلى الكبير — وعن الخروج ، على رأس هذه الفرقة ، فى جولات تفقدية دورية لسواحل الجزيرة ، ضمانا لسلامة الجزيرة ضد تسلل الأعداء (٢) . ومن ناحية أخرى ، كان هذا القائد مسئولا عن الحاق الخيالة الجدد — وجميعهم من أهالى الجزيرة البيزنطيين — فى فرقة الخيالة الخفيفة تحت قيادته . ولكن كان محظورا عليه طرد أى فرد من أفراد هذه الفرقة ، فاذا اقترف أحدهم خطأ ما ، أمر بوقفه عن أداء عمله فى الفرقة ، أمام شهود ثقاه ، وحدد له مهلة عشرة أيام يمثل خلالها أمام السيد الكبير والمجلس الاعتيادى للدفاع عن نفسه مما اتهم به ، على أن يعتبر المذنب مطرودا من الفرقة اذا انقضت المدة بدون أن يقدم نفسه للمجلس الاعتيادى (٣) .

وفيما يتعلق بالوكيل الديرى الذى يلى قائد الخيالة فى الترتيب الدقيق ، وهو الوكيل الكبير (Le Grand Baillif) ، رئيس طائفة ألمانيا ، فقد كان مسئولا أمام المجلس عن كفاية حامية الاسبتارية فى قلعة القديس بطرس (البودروم) واكتمال تسليحها .

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 10, P.98, nom. 24 (St.:De Lastic

(٢) أنظر : Ibid, Titre 10, P.99, nom. 27 (St.: De Lastic)

(٣) أنظر : Ibid, Titre IO , P.99, nom, 26 (St. De Lastic)

(٤) أنظر :

وبمقتضى قرار صدر فى عهد السيد الكبير فلوفيان (١٤٢١ ـ ١٤٣٧) ، كان الوكيل الكبير ملزما بالتفتيش على قلعة القديس بطرس مرة واحدة فى السنه على الاقل ، وكلما استدعت الظروف ، للتأكد من سلامة الأوضاع فيها . وقد منحه القرار سلطة عقاب المقصر أو عديم الكفاءه التالية ، من أفراد حاميتها ، بالفصل ، أو بالحرمان من المرتب أو بانقاص هذا المرتب ، الى أن يتخلص مما به من عيب ، على ألا تمتد يد الوكيل الكبير بالعقاب الى قائد القلعة أو أحد من أفراد أسرته أو من كان بالقلعة وقت أن استولى عليها الاسبتارية فى عام ١٤٠٢ على يد السيد الكبير دى نيلاك سلف فلوفيان . وكان على الوكيل الكبير أن يقدم للسيد الكبير ، بعد عودته من كل رحلة تفتيشية للقلعة ، تقريرا مفصلا ، كتابيا أو شفويا ، عن نتائج هذه المرحلة (١) .

أما فيما يتعلق بالوكيل الديرى الثامن ، والأخير ، فى الترتيب بين زملائه الوكلاء الديريين الآخرين ، وهو حامل الأختام الكبير (Le Grand Chancelier) فقد كان مسئولا أمام المجلس ، الى جانب رئاسته لطائفة قشتاله وليون والبرتغال ، عن حفظ خاتم المجلس ـ وهو نفسه خاتم الدولة العام (٢) الذى كانت تختم به الرسائل الحكومية ، وأذونات السفر الى خارج رودس ، والتعليمات التى تعطى للمبعوثين وغير ذلك من الأوامر والتعليمات التى تصدر عن السيد الكبير أو المجلس بفئتيه ، أى المجلس الكامل والمجلس الاعتيادى (٣) ، بحيث لم يكن من الجائز ختمها به الا اذا كان قد صدر الأمر بها فى حضور حامل الأختام الكبير نفسه أو من ينوب عنه (٤) .

وكان لحامل الأختام الكبير نائب يعينه المجلس الاعتيادى ، مختارا من بين اثنين يرشحهما حامل الأختام الكبير بنفسه للوظيفة (٥) . وكان نائب حامل الأختام (Le Vice - Chancelier) بحكم منصبه ، يحضر جميع اجتماعات المجلس ، بكلتا فئتيه ، ليقوم بتسجيل

(١) أنظر : Les Statuts, Tite 10 , PP.95-96 noms 12,13,14,15 (Sts. Fluvian); Vertot II, PP.408-409
(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 10, P.102, nom. 37 (St.:Zacosta)
(٣) أنظر : Ibid, Titre 10, P.102, nom. 37 (St.:Zacosta); Ibid, Titre 7 , P.76, nom. 33 (St.:Ursini)
(٤) أنظر : Ibid, Titre 10 , P.102, nom. 37 (St.: Zacosta)
(٥) أنظر : Ibid, Titre 10, P.102, nom. 36.

قراراته وأوامره ، في مضبطة المجلس (١) . وكان نائب حامل الاختام مختصا أيضا بكتابة جميع الرسائل والاوامر الحكومية ، الصادرة عن السيد الكبير والمجلس ، لأي انسان خارج أو داخل رودس ، والتوقيع عليها باسمه ، ثم تسجيلها في سجلات دار الختم (Le chancellerie) ، ووضع خاتم الدولة العام ، الذي يحتفظ به حامل الاختام الكبير ، عليها وارسالها لاصحابها (٢) . وكان يجوز ، أيضا ، لنائب حامل الاختام ، أن يحرر أذونات الصرف والكمبيالات للاسبتارية والعلمانيين ، على السواء ، بشرط أن يصدر اليه الامر بذلك ، مسبقا ، من السيد الكبير والمجلس الاعتيادي . وكان عليه ، بعد كتابتها ، أن يختمها بخاتم الرصاص المستخدم في مثل هذه الامور العامة ، ويسجلها في السجلات الخاصة بها في دار الختم ، ثم يسلمها لمن طلبها ، ممهورة بتوقيعه ، وتوقيع كل من الوكيل العام للخزانة ، وكاتب الخزانة (٣) .

<u>سلطة المجلس الاعتيادي على الادارة الاقليمية (الشعب) :—</u>

وبعد ، فقد كان ذلك عن الوكلاء الديريين ، ومسئولية كل منهم أمام المجلس الاعتيادي ، الذي كان يعينهم في مناصبهم ويشكل أساسا منهم . أما عن سلطة المجلس الاعتيادي على مقدمي الشعب والوكلاء المجمعيين الذين يتولون رئاسة بيوت الاسبتارية خارج رودس فمن أهم مظاهرها أنه كان يعينهم في مناصبهم أو يرقيهم فيها ،

---

(١) أنظر : Les statuts, Titre 10, P.102, nom. 37 (St.:Zacosta)

(٢) أنظر : Ibid: Loc. Cit.; Ibid, Titre 7 , P.76 , nom. 33 (St. Orsini)

(٣) أنظر : Ibid, Titre 5, P.55, nom. 70 (St.:De Lastic)

وهي سلطة كانت في بداية الأمر ــ ومنذ العهد الشامي ــ حكرا للمؤتمر العــــام مع أخذ رأي السيد الكبير، (١) ولكنها تركت للمجلس الاعتيادي بمقتضى قــــرار صدر عن المؤتمر العام المنعقد في رودس في عام ١٣٧٠ (٢) • وكان المجلـــــس يختار هؤلاء المسئولين الاقليميين لمناصبهم بطريق الاقتراع من بين أعضـــاء هيئة الاسبتارية المنتمين الى فئة الفرسان الذين يتقدمون اليه بطلباتهـــم للحصول على هذه المناصب أو ترشحهم لها الطوائف التي ينتمون اليهـــا (٣) ، ويكون لهم أقدميـــة في عضويـــة الهيئة مقدارها خمس عشرة سنة (٤) •

على أن عامل الأقدميـــة ، لم يكن ، في الحقيقة ، القيد الوحيـــد فـــي عملية الترقية الى مناصب مقدمي الشعب أو الوكلاء المجمعيين ، فقد صدر قــــرار عن المؤتمر العام المنعقد في مدينة رودس ،في يونيه عام ١٣٥٤ ، برئاسة السيـــد الكبير الرابع ، بطرس كورنيلان ، نص صراحة على عدم ترقية أي اسبتاري ، له اولاد احياء الى

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. en T.S., P.304

(٢) أنظر : Ibid: Les Hospit. à Rh., P.156

(٣) أنظر : Les Statuts, Titre 13, PP.118-120, noms 3 (St.: D'Aubusson), 5(St.Orsini), 6(St. :DE milly)

(٤) أنظر : Ibid: Titre 13, P.119, nom. 9 (St.:De Lastic)

مناصب مقدمى الشعب أو الوكلاء المجمعيين ، أو الآمرين (Les commandeurs) (١)
كما أن المؤتمر العام ، المنعقد ، فى مدينة أفنيون الفرنسية ، فى مارس عام ١٣٦٧ ، أى فى عهد السيد الكبير ريموند بيرنجر ، أصدر قرارا ، فى هذا الشأن ، قضى بعدم جواز وضع أكثر من شعبة واحدة ، تحت رئاسة مقدم شعبة واحد ، وأكثر من وكالة واحدة ، تحت رئاسة وكيل مجمعى واحد ، وأكثر من آمريه واحدة ، تحت رئاسة آمر واحد (٢). وقد صدق البابا أربان الخامس ، فى ١٤ سبتمبر عام ١٣٦٨، على هذا القرار (٣) ، وأعطى لرؤساء بيوت الاسبتارية مهلة مدتها ثمانية شهور لتنفيذه.
ومن الجدير بالذكر أن هذا القرار قد صدر بتوجيه من جانب السيد الكبير السادس ، ريموند بيرنجر ، بهدف تقليص نفوذ أحد كبار مقدمى الشعب الأسبان ، وهو هيريديا (الذى أصبح فيما بعد سيدا كبيرا للاسبتارية) ، وذلك عن طريق تقليل دخله ، بعد أن كان السيد الكبير الرابع كورنيلان قد فشل فى التخلص منه باستصدار قرار عدم السماح لذوى الأولاد الأحياء بتولى رئاسة بيوت الاسبتارية ، بسبب تمسك البابا انوسنت السادس به .

هذا وقد صدر فى عهد السيد الكبير يعقوب ميللى (١٤٥٤ـ ١٤٦١) ، قرار آخر يتعلق بالترقية الى وظائف مقدمى الشعب نص على أن من يرقى الى هذه المناصب من الوكلاء المجمعيين ، أو من القدامى بين الآمرين عليه أن يتنازل عن الوكالات أو الآمريات التى كان يديرها قبل الترقية ، فيما عدا ما قد يكون

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 14, P.124,nom. 6 ; D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P.125.

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P.163; Les statuts, Titre 14, P.124, nom. 2.

(٣) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P. 163.

تحت يده من آمريات أفلـح فى استرجاعها للاسـبتارية من أيدى مغتصبين علمانيين أى من غير الأعضاء فى هيئـة الاسبتاريـة — حيث كان من حقـه ، قانونا ، أن يحتفظ بمثل هذه الآمريات — وكذا بما يقتنيـه من أرض أو عقار عن طريق الشراء من العلمانيين ، لمدى الحياة ومن غير أن يدفع عنها ضرائب للخزانة (١) ، على ألا يسمح له بالتصـرف فيها بالمقايضـة أو الرهن أو البيع الا بتصريح من السيد الكبير والمؤتمر العام شأنهـا شأن بقيـة أملاك هيئـة الاسبتاريـة (٢) . واذا كان العضو المرقى يدير احـدى الآمريات المخصصة دخولها للسيد الكبيـر ، والمعروفة باسم غرف الرئاسـة (Les Chambres magistrales) ، لـه أيضا الحق فى الاحتفاظ بهـا بعد الترقيـة (٣) .

وفى عهد السيد الكبيـر بطرس دوبيسون (١٤٧٦ — ١٥٠٣) ، تقـرر عدم ترقيـة أى وكيل مجمعى الى مقدم شـعبة أو الى وكيل دير ، وعدم ترقيـة أى آمر الى آمر لآمريـة أكبر ، أو الى وكيل مجمعي أو مقـدم شعبة ، الا اذا أثبت مقدما ، بالوثائق الرسمية ، أي الوثائق الصادرة عن السيد الكبير والمجلس الاعتيادى ، أنه وصل الى منصبه الذى يشغله قبل الترقية ، بالطريق القانونى للترقيـة (٤) .

---

(١) أنظر : Les statuts, Titre 14, P.135, nom 55 (St.: De Villeneuve)

(٢) أنظر : Ibid, Titre 14, P.135, nom. 57 (St.; Berenger)& Ibid, Titre 16, P.144, nom. 10 (St. De Pins).

(٣) أنظر : Ibid, Titre 14, P. 123 , nom. 4. (St.: De milly)

(٤) أنظر : Ibid, Titre P4, P.126, noms 16 (St. D,Aubusson), 18 (St.:D, Aubusson).

على أن سلطة المجلس الاعتيادي على مقدمي الشعب والوكلاء المجمعيين ، لم تكن قاصرة على ترقيتهم الى هذه المناصب ، وانما امتدت أيضا الى مراقبتهم في وظائفهم وتقويمهم • ولكي يتمكن المجلس من ممارسة هذه السلطة عليهم ، ألزمتهم القوانين بأن يرسلوا اليه طوابع أختامهم التي يوقعون بها على سائر الاوراق الرسمية الصادرة عنهم (١) ، كما أجبرتهم على أن يرسلوا اليه ، في كل سنة ، نسخا ، مطابقة تماما لما هو مدون في سجلاتهم ، عن محتويات الشعب والوكالات التي يديرونها ، وعن مساحاتها وايراداتها والمقيمين أو العاملين فيها من الاسبتارية وغير الاسبتارية ، (٢) وذلك فضلا عن التقارير المفصلة ، التي يجب عليهم أن يرسلوها الى المجلس ، عن حالة الآمريات في شعبهم ، عقب تأديتهم لواجب الزيارات التفتيشية لهذه الآمريات ، (٣) وهو واجب فرض عليهم منذ القرن الثالث عشر ، أثناء اقامتهم في الشام ، ولكنه نظم في رودس ، بمقتضى قرار صدر عن المؤتمر العام ، الذي انعقد في مدينة رودس ، (٤) في شهر سبتمبر عام ١٤٢٠ ، برئاسة السيد الكبير دي نيلاك ، وقضى بأن يقوم مقدم الشعبة بجولة تفتيشية للآمريات التي تشتمل عليها شعبته مرة كل ثلاث سنوات ، فيما عدا الآمريات المخصصة دخولها أجرا له ، والمعروفة باسم غرف رؤساء الشعب (Les chambres prieurales) ، فقد نص القرار على أن يقوم بالتفتيش عليها ، مرة كل ثلاث سنوات ، شخصيتان كبيرتان من شخصيات الاسبتارية ليس من بينهما مقدم الشعبة صاحب المصلحة • (٥)

---

(١) أنظر Les Statuts, Titre 11 ,P.111, nom. 13 (St.:De Naillac)

(٢) أنظر : Ibid, Titre 11 , P.110, nom. 11(St:De Villeneuve)

(٣) أنظر : Ibid, Titre 15 ,P.139, nom. 3 (Coutume)

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. en T.S., P.307

(٥) أنظر : Ibid : Les Hosp. à Rh., P.352

ومما يذكر أن قرارات أخرى صدرت بعد ذلك ، عن المؤتمرات العامة المختلفة ، بشأن الزيارات التفقدية التى يقوم بها مقدمو الشعب للآمريات التى تشتمل عليها شعبهم . ومن هذه القرارات ، قراران صدرا فى عهد السيد الكبير فلوفيان (١٤٢١ ــ ١٤٣٧) ، نص أحدهما على ضرورة أن يراعى مقدم الشعبة عند قيامه بواجب الزيارة ، جانب الاعتدال فى المصاريف لكى لا يرهق بها الآمرين الذين يتحملونها وتصبح موضع شكاواهم ، على (١) حين نص القرار الثانى على أن واجب مقدم الشعبة ، عند تأديته لواجب الزيارة التفتيشية فى احدى الآمريات داخل شعبته ، أن يبدأ أولا باستقطاع حقوق الخزانة من دخولها ، ثم يعمل بعد ذلك ، وعلى التوالى ، على سد حاجة الاصلاح فى كنائسها ومستشفاها ومؤسساتها الخيرية ، وسد احتياجات آمريها من الكساء والتموين ، فاذا تبقى بعد ذلك شيء من دخولها ، أمر مقدم الشعبة الزائر بصرفه على البناء والتشييد ، واذا تصرف مقدم الشعبة بغير ما جاء فى هذا القرار ، فصل من منصبه ، وعين مقدم شعبة آخر بدلا عنه بمعرفة السيد الكبير والمجلس الاعتيادى (٢) . ومن هذه القرارات أيضا ، قرار صدر فى عهد السيد الكبير حنا لاستيك (١٤٣٧ ــ ١٤٥٤) ، خليفة فلوفيان ، سمح فيه لمقدمى الشعب بأن يختار كل منهم راهبا اسبتاريا ، ويكلفه بمهمة التفتيش على الكنائس ، ومحتوياتها داخل الشعبة ، على أن يكون هذا الراهب مزودا بسلطة تماثل سلطة رئيس الكنيسة فى رودس نفسه (٣) .

ومهما يكن من أمر هذه الزيارات التفتيشية ، التى كان يقوم بها مقدمو الشعب والوكلاء المجصديون للآمريات المشتملة عليها شعبهم ووكالاتهم ، فقد كان لزاما عليهم أن يخطروا المجلس الاعتيادى بنتائجها (٤) . ومن ناحية أخرى كان المجلس الاعتيادى ، وليس رؤساء الشعب أو الوكلاء ، هو الهيئة المختصة باجراء حركات الترقية الى مناصب آمرى الآمريات بين أعضاء هيئة الاسبتارية (٥) ــ بما فيهم الرهبان ــ (٦) الذين لهم أقدمية .

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 15 ,P.140, nom. 6 (St.: Fluvian)
(٢) أنظر : Ibid , Titre 15, P.140, nom. 7 (St.:Fluvian)
(٣) أنظر : Ibid, Titre 15, P.140 nom. 8. (St.: De Lastic)
(٤) أنظر : Ibid, Titre 15, P.139, nom. 3 (Coutume)
(٥) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.116; Vertot II, P. 274
(٦) أنظر : Ibid, Titre 14 , P.130, nom. 34 (St.:Berenger)

عضوية فى الهيئة مدتها ثلاث سنوات ، اذا كانوا قد امضوا هذه الفترة فى التمرين فى الشرق ، وخمس سنوات ، اذا كانوا قد أمضوا فترة التمرين فى شعب الغرب (١) .

وفى الحقيقة ، كانت العادة ، منذ عهد الشام ، أن يقوم رؤساء الشعب مباشرة بالاشتراك مع الجمعيات الاقليمية المشكلة من أعضاء هيئة الاسبتارية العاملين تحت رئاستهم فى الشعب ، بتعيين آمرى الآمريات ، اختيارا من بين الفرسان الاسبتاريين المقيمين فى شعبهم (٢) . فلما رأى السيد الكبير الرابع فى رودس ، وهو بطرس كورنيلان ، أن مقدمى الشعب تمادوا فى تعيين أقاربهم ومحاسيبهم ، استصدر قرارا من المؤتمر العام ، الذى انعقد برئاسته ، فى مدينة رودس ، فى ٢٠ يونيه عام ١٣٥٤ ، نص على ابطال هذه العادة ، واعطاء سلطة تعيين آمرى الآمريات للسيد الكبير والمجلس الاعتيادى وحدهما (٣) . وقد تأيد هذا القرار بقرار آخر صدر عن المؤتمر العام المنعقد فى مدينة رودس ، فى ١٨ فبراير عام ١٣٥٨ ، برئاسة السيد الكبير الخامس روجر دى بنز ، خليفة بطرس كورنيلان (٤) .

وفى عهد السيد الكبير العاشر ، فلوفيان (١٤٢١ — ١٤٣٧) صدر قرار ، فى هذا الشأن ، نص على أن أى عضو فى هيئة الاسبتارية لا يجوز له أن يطلب لنفسه ، أو يحصل على ، رئاسة شعبة أو وكالة اقليمية أو ادارة آمرية أو وحدة انتاجية فى آمريه (membre) الا من السيد الكبير والمؤتمر العام ، واذا كان قد حصل على رئاسة احدى هذه الجهات عن طريق آخر ، عليه أن يتنازل عنها ، أمام مسجل شرعى وفى حضور شهود ، والا فصل من عضوية هيئة الاسبتارية . واذا كان هذا القرار لم يذكر صراحة اسم المجلس الاعتيادى ضمن الهيئات المختصة بتعيين مقدمى الشعب والوكلاء المجمعيين وآمرى الآمريات ، فهو ، فى أغلب الظن ، قد اكتفى بذكر السيد الكبير بصفته رئيس هذا المجلس (٥) .

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les hospit. à Rh., P.318

(٢) أنظر : Ibid: Les Hosp. en T.S., P.305

(٣) أنظر : Ibid: Les Hosp. à Rh., P.116, 5
Ibid, Les Hosp.

(٤) أنظر : Ibid; : Op. Cit. , P.136

(٥) أنظر : Les statuts, Titre 14 P.137 not., 64

على أن تجريد مقدمي الشعب من سلطة تعيين آمري الآمريات داخل شعبهم لم يكن مطلقا ، فقد ترك لكل مقدم شعبة أن يعين في شعبته آمرا واحد كل خمس سنوات ، (١) على أن يختاره من بين الاسبتارية ، الذين أحتفل بقبولهم في عضوية الهيئة في جزيرة رودس نفسها ، ودفعوا الرسم المقرر على القيام بالرحلة من شعبته الى هذه الجزيرة ، وهو الرسم المعروف باسم رسم المرور (Le droit de Passage) ، والا ألغي تعيينه ، وحرم مقدم الشعبة نفسه ـ الذي عين هذا الآمر ـ من حقه في تعيين آمر آخر للفس الآمرية أو لغيرها من الآمريات في شعبته ، هذا العام ، وأصبح هذا الحق للمجلس الاعتيادي (٢) .

واذا كان مقدمو الشعب قد جردوا ، منذ عهد السيد الكبير الرابع ، بطرس كورنيلان ، من سلطة تعيين آمري الآمريات داخل شعبهم ، فقد حرم عليهم ، منذ عهد السيد الكبير التاسع ، فليبر دي نيلاك (١٣٩٦ ـ ١٤٢١) اجراء أية مبادلات في الآمريات بين آمريها أو الموافقة على هذه المبادلات قبل أخذ الاذن بها من السيد الكبير والمجلس الاعتيادي والا تعرضوا للعقاب بالحرمان سنة من ايرادات الآمريات المخصصة ايراداتها أجرا لهم ، عن قيامهم بأعباء مناصبهم ، والمعروفة باسم غرف رؤساء الشعب ، وهي خمس آمريات لكل منهم ، كانت قبل مارس عام ١٣٦٧ ، في عهد السيد الكبير ريموند بيرنجر ، أربع آمريات فقط ـ مع الغاء المبادلات موضع المخالفة ، ومعاقبة أطرافها بنزع (**) آمرياتهم منهم ، وعدم اعطائهم غيرها لادارتها قبل مرور خمس سنوات (٣) .

وفي عهد السيد الكبير ، بطرس دوبيسون (١٤٧٦ ـ ١٥٠٣) ، صدر قرار مكمل لقرار دي نيلاك ، نص على عدم السماح لمقدمي الشعب ، والوكلاء المجمعين والآمرين بأن يستبدلوا شيئا من ممتلكات الاسبتارية ، التي أوتمنوا على ادارتها ، سواء كانت هذه

---

(١) أنظر : Les statuts, Titre 14 P.128, nom. 27 (St.: D'Aubusson)

(٢) أنظر : Ibid, : Titre 14, P.128, nom. 28 (St.: De Lastic)

(٣) أنظر : Ibid, Titre 14, P.131 , nom. 46 (St. De Naillac)

(**) Ibid, Titre 14, P.130, nom. 33 (St. R. Berenger); D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., p.162.

المعتلكات على شكل آمريه (Commanderie) أو وحدة انتاجية داخل آمريـــه (Membre) أو منزل ، بممتلكات أخرى لعلمانيين ـ أى لغير الاعضاء فى هيـــئة الاسبتارية ـ أو يمنحوها العلمانيين ، فاذا تمت مبادلة ، أو منحة من هذا النوع ألغيت ، وعوقب طرفيها الاسبتارى بفصله من منصبه ، وعدم تعيينه فى منصب مماثل قبل مرور عشـــر سنوات (١) .

هذا وكما حرم على مقدمى الشعب اجراء المبادلات فى الآمريات بين آمريها ، فقد حرم عليهم أيضا تلقى تنازلات هؤلاء الآمرين عن آمرياتهم ، أو فصلهم منها ، لان ذلك مـــن سلطة السيد الكبير والمجلس الاعتيادى وحدهما (٢) .

على أن تعيين الآمرين وفصلهم ، لم يكن الجانب الوحيد من السلطة الذى انتزع فى العهد الرودسى ، من مقدمى الشعب لصالح المجلس الاعتيادى ، فقد تقـــرر فـــى المؤتمر العام ، الذى انعقد فى مدينة رودس ، فى فبراير عام ١٣٥٨ ، برئاسة السيـــد الكبير الخامس روجير دى بنز ، تجريد مقدمى الشعب من سلطة تحصيل حقوق الخزانـــة مـــن الآمرين داخل شعبهم ، ومنح هذه السلطة لمحصلين متفرغين ، يخضعون مباشرة للسيـــد الكبير ، والمجلس الاعتيادى ، الذى يتولى مهمة تعيينهم بواقع محصل واحد لكل آمرية (٣) .

وكان سبب اصدار هذا القرار ـ فى الواقع ـ هو ما لوحظ من تمادى بعض مقدمـــى الشعب فى عدم ارسال حقوق الخزانة الى رودس ، بالرغم من ثبوت تحصيلهم لهـــا مـــن الآمريـــن . وكان على رأس هؤلاء المقدمين ، قسطلان أمبوستا ، الذى كان ، فى نفـــس الوقت ، رئيسا لشعبة سان جيل ، واصبح فيما بعد السيد الكبير الثامن (١٣٧٧ ـ ١٣٩٦) وهو هيريديا ، الذى لم يتردد فى استخدام الاموال التى جمعها فى مساعدة دولتـــه أرغونة وأقاربـــه (٤) .

(١) أنظر : Les statuts, Titre 14, P.134, nom. 53

(٢) أنظر : Les statuts, Titre 14, PP.110(nom.10),130(nom.37) 131 (nom. 38).

(٣) أنظر : Les statuts, Titre 5, P.45, nom. 36; D.Le Roulx Les Hospit.àRho.,P.136; Vertot II, P.237.

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit.à Rh. , P.136; Vertot II, P.237.

ومهما يكن من أمر بسبب صدور القرار الخاص بانشاء وظائف المحصلين فى الأمهات فقد كان من اختصاصات هؤلاء المحصلين أن يقدموا للجمعيات الاقليمية فى الشعب ، فى كل مرة تنعقد فيها هذه الجمعيات ، تقاريرا مفصلة عما جمعوه من أموال ، وما تبقى عليهم أن يجمعوه ، وكان على أعضاء الجمعيات أن يستمعوا لتقارير المحصلين ، ويوقعوا عليها ، من غير أن يصدروا اليهم أية أوامر بنقل الحسابات التى تتضمنها هذه التقارير ، حيث أن ذلك من سلطة السيد الكبير والمجلس الاعتيادى وحدهما (١) •

وعندما تحدث حالة وفاة بين مقدمي الشعب ، أو آمري الأمريات ، يتوجه المحصل لجرد متروكاته (La depouille) ، بقصد تحصيل حقوق الخزانة منها كان عليه أن يصطحب معه شهود ثقاة من الاسبتارية أو العلمانيين ، فضلا عن المسجل الشرعى ... كاملة بالجرد • ولم يكن مسموحا للمحصل ، فى هذه الحالة ، أن يستولى على جميع ما تركه المتوفى ، بل يجب أن يترك فيها ما يسد حاجة الشعبة او الآمرية التى حدثت فيها الوفاة ، وحاجة مديرها الجديد ، فى حدود النصف • وكان عليه ، بعد أن يفرغ من انجاز هذه المهمة ، أن يقدم تقريرا مفصلا ، عما اتم فيها ، للجمعية الاقليمية فى الشعبة التى حدثت فيها الوفاة ، لاخذ موافقتها (٢) ، ثم يبعث بنسخة من هذا التقرير للمجلس الاعتيادى فى رودس (٣) •

يضاف الى ذلك أنه كان محظورا على المحصلين أن يحتفظوا لانفسهم بأى نصيب فى متروكات الموتى ، أو المرتقين ، التى يقومون بجردها لتحصيل حقوق الخزانة منها أو عليها ، فاذا طمع أحدهم فى شىء من هذه المتروكات ، فصل من منصبه ، وأرغم على دفع ضعف قيمة ما استحوذ عليه لنفسه منها للخزانة (٤) •

---

(١) أنظر : es statuts, Titre 5 , P.47, nom. 43.(St.De Nai:lac)

(٢) أنظر : id, Titre 5,P.46,nom. 40 (St.: De Naillae)

(٣) أنظر : Le Roulx:les Hosp. à Rh.,P.317

(٤) أنظر : s Statuts, Titre 5, P.48,nom. 45 (St.:Crsini)

ومن ناحية أخرى حرم عليهم أن يتقاعسوا عن تحصيل حقوق الخزانة التي يجدوا أنهـا موضع نقمة بين أمرى الأمريات والخزانة العامة ، بل أن من واجبهم تحصيل هذه الحقوق من الأمرين كاملة غير منقوصة ، بغض النظر عن القضية المرفوعة بشأنها .(١)

هذا وقد سمح لهم بأن يودعوا الأموال التي يجبونها تباعا من الأمرين ، عند أناس أمناء معروفين لهم ، أو عند مقدمي الشعب وبعض الأمرين ، على أن تسلم لهم أمسلم الجمعيات الاقليمية لتهود ، وبمقتضى ايصالات قانونية معمول بها ، فاذا اودع أحد المحصلين ما جباه من أموال عند أحد الاشخاص ، بدون اتخاذ هذه الضمانات ، فصل ، ليس من وظيفته فحسب ، ولكن أيضا من عضوية هيئة الاستشارية .(٢)

وتقرر في المؤتمر العام ، الذي انعقد في مدينة أفنيون ، في مارس عام ١٣٦٧ ، أي في عهد السيد الكبير ، ريموند بيرنجر ، انشاء وظيفة لمحصل عام ، مقره أفنيون ، وعمله تسلم حقوق الخزانة ، كل سنة ، من سائر المحصلين في الأمريات بأوروبا .(٣) وفي المؤتمر العام المنعقد في مدينة رودس ، في سبتمبر عام ١٤٢٠ ، برئاسة السيد الكبير فليير دي نيلاك ، تقرر زيادة المحصلين العامين من واحد الى اربعة ، بحيث يختص احدهما باستلام حقوق الخزانة من المحصلين العاملين في الشعب الست بمملكة فرنسا ، ويختص الثاني باستلام هذه الحقوق في الشعب الست بشبه جزيرة ايبريا ، والثالث في الشعب الست بشبه جزيرة ايطاليا ، والرابع في شعب المانيا وبوهيميا وهنغاريا . وبمقتضى نفس القرار ، كان على هؤلاء المحصلين العامين الاربعة — الى جانب وظيفتهم الرئيسية ، وهي تسلم حقوق الخزانة سنويا من المحصلين في الدوائر المختلفة — أن ، يراجعوا الحسابات ، التي كان من اللازم أن يتقدم بها المحصلون للجمعيات الاقليمية كل ثلاث سنوات ، وأن يقدموا لهذه الجمعيات حساباتهم الخاصة لاعتمادها قبل أن يرسلوا نسخا منها الى السيد الكبير والمجلس في رودس .(٤)

---

(١) أنظر : [illegib]s Statuts, Titre 5, P.49, nom. 48 (St.De Lastic)
(٢) أنظر : [illegib]id, Titre 5, P.48, nom. 47 (St.; D'Aubusson)
(٣) أنظر : Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.162
(٤) أنظر : [illegib]bid: Op., Cit., PP.352 - 353.

والواقع ان التقارير التى بعث بها المحصلون العامون ، والمحصلون ، الى السيد الكبير والمجلس فى رودس ، عن الاوضاع ، وبخاصة المالية منها ، فى الشعب ، كانت تعطــى صورة صادقة عما قد يوجد فيها من خلل يستدعى الاصلاح . وكان السيد الكبير عندئــذ ، يعقد موتمرا عاما ، أو جمعية عادية ممن يحضر كبار أعضاء الهيئة ، لمناقشة الامر وغالبــا ما كانت هذه الموتمرات العامة ، أو الجمعيات تعالج الموقف عن طريق ، ارسال ما يعــرف باسم المفتشين المبعوثين (Les visitateurs) أو المصلحين eformateurs بعد تزويدهم بسلطات واسعة ، لانجاز الاصلاح المنشود فى الشعبة ، أو الشعب المختلفة. وقد حدث أن قررت احدى جمعيات الاسبتارية ، وهي الجمعية المنعقدة فى مدينة أفنيــون ، فى أغسطس عام ١٤١٨ ، برئاسة السيد الكبير دى نيلاك ، ارسال مفتشين مبعوثين الــى جميع شعب الاسبتارية فى أوروبا ، بعد أن تكشف لها من قراءة تقارير المحصلين ، ان الفوضى ضاربة أطنابها فيها جميعا بلا استثناء ، (١) وكان ذلك نتيجة طبيعية للانشقاق الذى حــدث فى هيــئة الاسبتارية ابتداء من عام ١٣٧٨ وحتى عام ١٤١٠ ، وهو الانشقاق الذى تولــد عما عرف باسم الانشقاق العظيم فى الكنيسة الكاثوليكية العامة . (٢) ومن التعليمات الــتى أعطيت لهولاء المفتشين المبعوثين ، يتضح بأن جمعية أفنيون زودتهم بسلطات تفــــوق سلطات مقدمى الشعب أنفسهم ، ولكنها تماثل ما كان يمنح عادة من سلطات للمفتشـــين المبعوثين فى الحالات الاخرى . وبمقتضى هذه السلطات ، كان فى استطاعتهم أن يعاقبوا أو يفصلوا الآمر الذى يرفض دفع ما عليه من حقوق للخزانة ، وأن يطلبوا حسابات المحصــلين لفحصها ، وأن يقدموا بدعوة الجمعيات الاقليمية للانعقاد حتى شاءو ، لمساعدتهم فــى

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.338

(٢) أنظر : Ibid: Op., Cit., PP.307 -311.

استمر الانشقاق فى الكنيسة الكاثوليكية حتى عام ١٤٢٩ .

أنظر : Trevor: Rome, PP.279 -280.

تنظيم شئون الشعب ، وأن يتخذوا كافة الاجراءات الكفيلة باستعادة أملاك الاسبتارية من المغتصبين ، وبعدم ضياع ما للهيئة الاسبتارية من حقوق لدى الآخرين . كذلك نصت التعليمات على أن من واجب المفتشين المبعوثين ، أن يتصلوا بالسلطة المركزية في رودس ، (١) لابلاغها بأسماء من لم يذعن للاصلاح أو لأحكامهم من مديري ممتلكات الاسبتارية ، مما يشهد بأن المفتشين المبعوثين كانوا ، بالرغم من السلطات الواسعة التي منحلت لهم ، في حاجة مستمرة الى أن يستمدوا العون من سلطة التنفيذ المركزية التي يمثلها السيد الكبير ومجلس الاسبتارية في رودس .

وبالوصول في الحديث الي المفتشين المبعوثين ، ودورهم في تقويم ادارة الشعب ، نكون في الحقيقة ، قد فرغنا من الكلام عن السلطة التي كان يمارسها المجلس الاعتيادي على هذه الادارة . وكنا قبل ذلك قد تكلمنا عن طائفة الوكلاء الديريين (illifs Conventuels أو بعبارة أخرى ، رؤساء الطوائف ، الذين كان يتشكل منهم ، أساسا ، المجلس الاعتيادي وعن مسئولية كل منهم أمام هذا المجلس . ومن الملاحظ أن المجلس الاعتيادي كان في كلتا الحالتين يمارس اختصاصاته كمجلس ادارة ورقابة وحكم . وبهذه الصفة ، كان يقوم ، أيضا ، منذ عهد السيد الكبير يعقوب ميللي (١٤٥٤ ـ ١٤٦١) ، بتعيين اثنين من الرهبان الاسبتارية المشهود لهما بالحكمة ، للخروج مع رئيس الكنيسة ، أو مع من ينوب عنه ، في جولاته التفقدية والتفتيشية على كنيسة القديس حنا ، وسائر كنائس رودس ، وقاعات الصلاة فيها وما تحتوى عليه هذه الكنائس والقاعات من أدوات ومقدسات ، (٢) وهو اجراء اعتاد المجلس الاعتيادي اتخاذه منذ عهد السيد الكبير حنا لاستيك (١٤٣٧ ـ ١٤٥٤) ، سلف يعقوب ميللي ، بالنسبة لمؤسسات الاسبتارية الاخرى في رودس .

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.338.

(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 3 P.25, nom. 28.

يضاف الى ذلك أن المجلس الاعتيادى كان هو الهيئة المختصة ، الى جانب السيد الكبير ، بارسال السفراء والمبعوثين الى الخارج (١) وبتقرير المكافآت لهم (٢) .

هذا فضلا عن النظر فى الالتماسات بتخفيف العقوبة التى نص عليها القانون ، والتى تقضى باسقاط ثلاث سنوات من الاقدمية فى عضوية هيئة الاسبتارية ، لكل من يحكم عليه من أعضاء هذه الهيئة ثلاث مرات ، بالسجن فى البرج (٣) أى برج قصر السادة الكبار.
ومن ناحية اخرى كان محرما على أى شخص مقيم فى جزيرة رودس ، سواء من الاسبتارية أو من العلمانيين ، أن يسلح سفنا خاصة فى احدى موانى الجزيرة لغرض القرصنة ، أو لغزو سواحل المسلمين ، الا اذا حصل بذلك على اذن من السيد الكبير والمجلس الاعتيادى (٤) .
وقد اشترط فى عهد السيد الكبير زاكوستا (١٤٦١ — ١٤٦٧) ، لاعطاء هذا الاذن ، لمن يطلبه من الاسبتارية ، أن يكون قد أقام فى دير رودس خمس سنوات ، ويقدم ضمانات كافية على عدم قيامه ، منفردا ، أو بالاشتراك مع غيره ، بتوجيه الاذى للمسيحيين فى أشخاصهم أو أموالهم أو أراضيهم . غير أن هذين الشرطين أعفى منهما أعضاء هيئة الاسبتارية الذين يفدون الى رودس تلبية لنداء واجب الدفاع عنها ضد خطر خارجى أحدق بها ، لان هؤلاء كان لهم الحق فى تسليح ما شاءوا من السفن من غير الحصول على اذن المجلس (٥) . وقد صدر ، فى عهد السيد الكبير اورسينى (١٤٦٧ — ١٤٧٦) ، خليفة زاكوستا قرار آخر ، فى هذا الشأن أضاف بأن تصادر ، لصالح الخزانة أية سفينة تسلح فى رودس من غير الحصول على تصريح بتسليحها من المجلس الاعتيادى (٦) . وبمقتضى قرار

---

(١) أنظر : Les statuts, Titre 7,P.76,nom.32(St.:D'Aubusson)
(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 5 , PP.53-54nom. 65(St.;Fluvian)
(٣) أنظر : Les Statuts, Titre 18,P.164,nom.56(St.:D'Aubusson)
(٤) أنظر : Les Statuts, Titre 18,P.154,noms.17,18,19
(٥) أنظر : Les Statuts, Titre 18 , P.154 , nom. 19
(٦) أنظر : Les Statuts, Titre 18, P.154 , nom. 18

أخير صدر في عهد السيد الكبير دامبواز (١٥٠٣ ــ ١٥١٢) ، أصبح من غير المسموح به اعطاء مثل هذه التصاريح لرؤساء العدالة ، مثل السينشال (Seneschal وهو رجل العدالة في قصر السيد الكبير ــ والقسطلان (Chastelain) وهو رئيس المحكمة التجارية ، ومساعديهم ، ومديري أموال الاسبتارية ، مثل الخازندار ، وآمري الترسانة ، ومخزن الغلال ، والآمريه الصغيرة ، والمدفعية ، ومحصل حقوق السيد الكبير في جزيرة رودس ، والعاملين تحت رئاستهم ، وكذا قباطنة الاغرية ومساعديهم . ونص القرار على أن من يسلح سفنا من هؤلاء الموظفين ، باسمه ، أو باسم آخرين من الاسبتارية أو من العلمانيين ، يفصل من وظيفته ، وتصادر السفن التي سلحها ، أو ما يعادل ثمنها من ثروته ، كما تصادر الغنائم التي تكون هذه السفن قد نهبتها من المسلمين ، وذلك لصالح الخزانة ، فيما عدا الثلث فللمبلغ عنها ، أما من تواطأ معه بوضع اسمه زورا على السفن التي سلحها ، فيعاقب بتهمة الكذب وحنث اليمين ، فضلا عما يناله من ضرر بسبب المصادرة (١) .

هذا ، وكما كان المجلس الاعتيادي هو الجهة المختصة باعطاء التصاريح للاسبتارية وغيرهم من سكان رودس ، بتسليح السفن الخاصة لاقتراف أعمال القرصنة ضد المسلمين ، فقد كان هو أيضا ، منذ عهد السيد الكبير زاكوستا (١٤٦١ ــ ١٤٦٧) ، الجهة الوحيدة التي لها الحق منح تأشيرات الدخول ، وتصاريح المرور ، في جزيرة رودس ، للقراصنة الاغراب من غير رعايا الاسبتارية (٢) .

---

(١) أنظر : Les statuts, Titre 18, P.154, nom. 17

(٢) أنظر : Les statuts, Titre 18 , P.155, nom. 21

المجلس الاعتيادى سلطة قضائيـــة :

على أن المجلس الاعتيادى لم يكن مجلس ادارة ورقابة وحكم فحسب ، بل كان أيضـا مجلس قضاء وتأديب • وكان المجلس الاعتيادى ، فى الواقع ، أحد هيئتين قضائيتيــــين كبيرتين لمحاكمة الاسبتارية فى رودس ، بخلاف المؤتمر العام ، الذى كان يعقد جلساته فى فترات غير منتظمة ، متقاربة أو متباعدة ، سواء فى رودس أو فى احدى مدن الغـــــرب بحسب رغبة السيد الكبير أو البابا بصفته الرئيس الاعلى لهيئة الاسبتارية • أما الهيـــئة القضائيـة الثانية ، التى كانت تعمل بجانب المجلس الاعتيادى فى مدينة رودس ، فكانــت من أجل المحاكمات السريعة وتتشكل خصيصا عند كل قضية ، بناء على طلب أطرافها •

وكان محرما على أى اسبتارى أن يقاضى اسبتارى آخر امام سلطة قضائيـة خــــارج هيـئة الاسبتارية ، سواء كانت سلطة مدنية أو سلطة كنسية ، والا عوقب باسقاط اقدميتـــه فى عضوية الهيـئة ، أو بالفصل من منصبـــه بحيث لا يعود اليه ، أو يشغل منصبا آخـــر غيره ، قبل مرور خمس سنوات • (١)

وكان لكل اسبتارى الحرية فى أن يرفع شكواه أمام المجلس الاعتيادى ، أو يطلب محكمة للفصل السريع فى هذه الشكوى • ولكن ، بمقتضى قانون سن فى عهد السيد الكبيـــير جنا لاستيك (١٤٣٧ ــ ١٤٥٤) ، أصبح المجلس الاعتيادى هو الهيـئة القضائيـــة الوحيدة المختصة بالفصل فى الخصومات التى تنشأ بين عضوين من أعضاء هيـئة الاسبتارية أحدهما فارس والآخر راهب أو من فـئة خدم السلاح • (٢)

وبمقتضى قانون سن فى عهد السيد الكبير أورسينى (١٤٦٧ ــ ١٤٧٦) ، كــان لزاما على كل عضو من أعضاء المجلس الاعتيادى ، أن يقسم ، على الصليب الموضوع فـــوق ردائه ، قبل البدء فى اجراءات المحاكمة ، بألا يفشى أسرار المحاكمة وأن يتقيد ، عنـــد اصدار الاحكام ، بنصوص قوانين هيـئة الاسبتارية ، وعاداتها الحميدة ، فاذا تصرف أحد

---

(١) أنظر : Les statuts, Titre 7, P.78, nom. 41 (St.De Naillac)

(٢) أنظر : Les statuts, Titre 7 , P.71, nom. 15 (St.De Lastic)

... ترتب عليه اعلان عدم اهليته لشغل اية وظائف ادارية أو حكومية فى هيئة الاسبتارية ، والغى الحكم الذى اشترك فى اصداره . (١)

وقد أضاف قانون آخر صدر فى عهد أورسينى نفسه ، الى ذلك ، بالنص على أن من واجب أعضاء المجلس ، عدم مقاطعة أى من طرفى الخصومة المعروضة أمامهم ، عند ادلائه بأقواله ، أو مرافعته عن نفسه ، وعدم التحيز لواحد منهما ، فاذا شك أحد الطرفين فى عدالة عضو من أعضاء المجلس نحوه ، وجه اليه الاتهام بالتحيز ضده صراحة ، وعلى عضو المجلس المتهم ، عندئذ ، أن ينسحب فورا من مكانه فى المجلس ، ولو كان هذا العضو هو السيد الكبير نفسه . (٢)

وفى عهد أورسينى أيضا ، صدر قانون ثالث ، قضى بضرورة التزام جانب السرية ، عند اعطاء الاصوات بالحكم فى الخصومة ، وضرورة أن تجرى عملية اعطاء الاصوات نفسها بالطريقة التى تقضى بأن يضع كل عضو بلية (balotte) فى أحد صندوقين ، كتب على أحدهما اسم المتهم ، وعلى الثانى اسم موجه التهمة أو المدعى ، ثم يحصى عدد البليات الموجودة فى كل من الصندوقين ، فمن يوجد منها أنه يحتوى عدد اكبر من البليات حكم لصالح صاحبه . (٣) ومن المعروف أن طريقة وضع البلى فى صناديق ، هى الطريقة التى يأخذ بها المجلس الاعتيادى ، عادة ، عند قيامه ، أيضا ، بمهمة الترقية الى مناصب الوكلاء الديريين ومقدمى الشعب ، والوكلاء المجمعيين . (٤)

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 7 , P69 , nom.3 (St.:Orsini)& Titre 13 , P.118, nom. 5 (st.:Orsini)

(٢) أنظر : Les Statuts, Tire 7, P.69, nom. 6

(٣) أنظر : Les statuts, Titre 7 , P.72, nom.16 (St.:Orsini)

(٤) أنظر : Les statuts, Tire 13 , P.118, nom 5 (St.:Orsini)

ولما كان أشد ما يحرص عليه أولو الآمريين الاسبتارية ، أن يبعدوا أعضاء هيئتهم عن كل ما من شأنه أن يشغلهم عن أداء مهمتهم الرئيسية فى جزيرة رودس، وهى التدريب المستمر على استخدام السلاح ، والسهر على حراسة سواحل الجزيرة ، فقد سنوا من القوانين ما يسط لهم اجراءات التقاضى أمام محكمة المجلس الاعتيادى ، ووقاهم من الاستغراق فى مشاكلها • ومن هذه القوانين ، قانونا صدر فى عهد السيد الكبير هيريديا (١٣٧٧ ـ ١٣٩٦) ، ونص على عدم السماح لاى عضو فى هيئة الاسبتارية ، بأن يرفع قضية أمام المجلس نيابة عن عضو آخر يقيم فى دير رودس، الا اذا كان هذا العضو الآخر مريضا يعرض بعجزه عن رفع القضية ، أو اذا كان من أبناء طائفة انجلترا ، أو طائفة ألمانيا ؛ ولا يعرف أن يعبر الا بلغة وطنه الاصلى ، (١) علما بأن جميع اعضاء المجلس من الفرنسيين والاسبان والايطاليين ، فيما عدا اثنين أحدهما انجليزى قائد الخيالة (التركوبلى) ، رئيس طائفة انجلترا ، والثانى هو الوكيل الكبير ، رئيس طائفة ألمانيا •

وفى عهد السيد الكبير زاكوستا (١٤٦١ ـ ١٤٦٧) ، صدر قانون قضى بأنه اذا دعت الضرورة لحضور وكلاء عن طرفى الخصومة ، أمام المجلس ، فلا يجب أن يزيد عددهم عن وكيلين اثنين عن كل من الطرفين ، ويجب أن يكون حضورهم بالزى الطويل وبدون أسلحة •(٢)

وحول نفس الموضوع صدر قانون فى عهد السيد الكبير بطرس دوبيسون (١٤٧٦ — ١٥٠٣) جاء فيه أنه اذا وقع نزاع بين أحد الوكلاء الديريين أو رؤساء الشعب أو الوكلاء المجمعيين ، طرفا أول ، وأحد الآمريين أو عضوا عاديا من أعضاء هيئة الاسبتارية المقيمين فى دير رودس ، طرفا ثان ، وعرض هذا النزاع على المجلس الاعتيادى ، فانه يسمح للطرف الاول أن يوكل عنه وكيلين للترافع عن حقوقه أمام المجلس ، وذلك حتى لا تشغله القضية عن أداء وظيفته الكبرى التى يشغلها فى الهيئة •(٣)

---

(١) أنظر : Les statuts, Tire 7, PP.70-71, nom.11(St.:D'Heredia)

(٢) أنظر : Les Statuts, Tire 7, P.70, nom. 9 (St.: Zacosta)

(٣) أنظر : Les statuts, Titre 7, P.71, nom. 13 (St.:D'Aubuson)

على أن وظيفة المجلس الاعتيادى القضائية ، لم تكن قاصرة على خدمة أعضاء هيئة الاسبتارية ، ولكنها امتدت أيضا الى خدمة جميع سكان رودس من غير الاسبتارية • وقد صدر قانون فى عهد السيد الكبير دى نيلاك ، (١٣٩٦ ــ ١٤٢١) ، أصبح المجلس الاعتيادى بمقتضاه ، يعقد ، فى يوم الجمعة من كل اسبوع ، جلسة عامة ، يحضرها جميع أعضاء المجلس ، والقسطلان رئيس المحكمة التجارية ، وقضاة محكمته ، والاسقف ، ونائب حامل الاختام ، للفصل فى الخصومات التى يرفعها اليه العلمانيون ، أى أهالى رودس غير الاعضاء فى هيئة الاسبتارية • (١)

محكمة الفصل السريع فى الخصومات :

هذا فيما يتعلق بالمجلس الاعتيادى كسلطة قضائية • ولكى تكتمل الصورة يجدر الحديث عن المحكمة الاخرى التى كان أعضاء هيئة الاسبتارية يرفعون اليها قضاياهم للفصل فيها ، وهى محكمة الفصل السريع فى الخصومات ، أو محكمة الحق والعدل Esgard (٢) كما كانوا يسمونها آنذاك ، وبخاصة لما كان للمجلس بفئتيه ــ أى المجلس الكامل والمجلس الاعتيادى ــ من دور كبير فى تشكيلها وفى أعمالها •

---

(١) أنظر (Les statuts, Titre 7, P.77, nom. 35 (St.De Naillac)

(٢) يقترح (mas-latrie III, P.87 note 4) بأن تكون الكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية (Esguardium) ، وتعنى الاحكام الصادرة بحضور المدعى والمدعى عليه ، أى بحضور طرفى الخصومة • ولكن يمكننا الرد على ذلك بأن الاحكام تصدر أيضا فى المجلسين الاعتيادى بحضور طرفى الخصومة • وقد جاء فى (Les Statuts, Tire 19 , P.168 , nom 10).
بأن كلمة " Esgard " ، كلمة فرنسية معناها " الحق والعدل (Raison) أو " الاعتبار " (Consideration) ، أو الاحترام (Respect) وقد دلت منذ القدم على قاضى الاسبتارية •

وفي الحقيقة ، لم تكن هذه المحكمة هيئة قضائية دائمة مثل محكمة المجلس الاعتيادي وانما كانت محكمة موقته تتشكل بأمر من السيد الكبير والمجلس الاعتيادي عند الطلب .(١)

ولم يكن مباحا ، بمقتضى قانون صدر في عهد السيد الكبير هيريديا (١٣٧٧ — ١٣٩٦) ، عقد هذا النوع من المحاكم للنظر في خصومة سبق أن فصل فيها المجلس الاعتيادي ،أو أنها قيد بحثه .(٢)

بمقتضى قانون آخر ، صدر في عهد السيد الكبير جنا لاستيك (١٤٣٧ — ١٤٥٤) لم يكن من الجائز لهذه المحكمة الانعقاد للفصل في نزاع بين عضوين من أعضاء هيئة الاسبتارية ، أحدهما ينتمي الى فئة الفرسان ، والثاني ينتمي الى فئة الرهبان أو فئة خدم السلاح ،(٣) لان الجهة الوحيدة المختصة بالفصل في هذا النوع من المنازعات هو المجلس الاعتيادي .(٤)

وأضاف قانون ثالث ، صدر في عهد السيد الكبير زاكوستا (١٤٦١ — ١٤٦٧) ، الى ذلك ،بالنص على أنه من الضروري ، لصدور أمر انعقاد هذه المحكمة ، عن السيد الكبير والمجلس الاعتيادي ، بمجرد طلبه ، أن يتقدم طرفا الخصومة ، كلاهما ، بهذا الطلب ، فاذا تقدم به أحدهما ، على حين عارض فيه الآخر ، استلزم الامر أن يتشاور السيد الكبير مع المجلس الكامل حول اجابة الطلب أو رفضه .(٥)

وأخيرا سن قانون في عهد السيد الكبير بطرس د وبيسون (١٤٧٦ — ١٥٠٣) ، جاء فيه ، بأن هذه المحكمة ، متى شكلت ، لا يجوز لها ، بأي شكل من الاشكال ، أن تتعرض لحقوق الخزانة وامتيازاتها ، أو لشخص السيد الكبير وسلطاته .(٦)

---

(١) أنظر : Les status, Titre 7, P.69, nom. 5 (St.: Zacosta)

(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 8 , P.83, nom. 5 (St.: Heredia)

(٣) أنظر : Les Statuts, Titre 8, P.83, nom. 6 (St.: De Lastic)

(٤) أنظر : Les Statuts, Titre 7, P.71, nom. 5 (St.: De Lastic)

(٥) أنظر : Les Statuts, Titre 8, P.84, nom. 8 (St. : . Zacosta)

(٦) أنظر : Les statuts, Titre 8, pp.83-84, nom.7 (St.D'Aubusson)

وكانت محكمة الفصل السريع فى الخصومات تتشكل ، فى الاصل ، من رئيس ، بمجلسه السيد الكبير أو المجلس الاعتيادى ، ومن أعضاء بعدد الطوائف القومية التى كانت تتألف منها هيئة الاسبتارية — أى من سبعة أعضاء أصبحوا ابتداء من عام ١٤٦٢ ثمانية — بواقع عضو واحد عن كل طائفة يختاره عميد طائفته الذى يمثلها فى المجلس بهيئتيه الكامل والاعتيادى فاذا وجد ، عند صدور الأمر بتشكيل هذه المحكمة ، أن احدى الطوائف لا تضم ، بين أبنائها ، شخصا كفوءا لعضوية المحكمة أختير عضو غيره من طائفة أخرى بحيث لا ينقص عدد أعضاء المحكمة عن عدد طوائف الاسبتارية بأى حال من الاحوال (١) .

على أنه كان من المسموح به لاى من طرفى الخصومة أن يرفض حكم هذه المحكمة ، ويطلب عقد ما كان يطلق عليه اسم التعزيز (Le renfort) الذى كان يضاعف فيه عدد أعضاء المحكمة بحيث يصبح عضوين عن كل طائفة مع بقاء الرئيس الاول بدون تغيير ، واذا لم يرض عن الحكم الصادر عن التعزيز أمكنه أن يطلب عرض القضية على ما كان يعرف باسم تعزيز التعزيز (Le renfort du renfort) ، الذى كان يرتفع فيه عدد أعضاء المحكمة الى ثلاثة أعضاء عن كل طائفة ، مع عدم تغيير الرئيس الاول ، فاذا رفض ، بعد ذلك ، النزول على حكم تعزيز التعزيز ، لم يبق أمامه ، عندئذ ، الا أن يطلب رفع القضية الى محكمة الوكلاء للفصل السريع فى الخصومات (l'Esgards des Baillifs) فحكمها نهائى وبات . وكانت محكمة الوكلاء للفصل السريع فى الخصومات ، تتشكل من الوكلاء الديريين ، أى من رؤساء الطوائف ، أو من نوابهم ، فى حالة عدم تواجدهم ، مضافا اليهم رئيس المحاكم الثلاث التى فصلت فى الخصومة قبل تشكيل محكمة الوكلاء — وهى محاكم الدرجة الاولى ، والتعزيز ، وتعزيز التعزيز — سواء كان هذا الرئيس من فئة الوكلاء الديريين ،

---

(١) Les statuts, Titre 8, P.81, nom. I (coutume) & P.84 nom 9 (St.:Orsini).

وهو ما كان يحدث عادة فى حالة ما اذا كان أحد طرفى النزاع من هذه الفئة ، أو من فئة غيرها ، على أن تكون عضويته قاصرة على الادلاء بصوته فقط من غير أن يشترك فى المداولة. أما عن رئيس محكمة الوكلاء ، فقد كان يعينه السيد الكبير من فئة الوكلاء الديريين أو رؤساء الشعب • وكان أحيانا يختار لهذا المنصب رئيس الكنيسة • ولكن اذا وقع اختياره على وكيل ديرى تحتم على هذا الوكيل أن يختار واحدا من أقدم أبناء الطائفة التى يرأسها ليحل محله فى عضوية المحكمة (١) •

وفى الواقع ، لم يكن مباحا تشكيل محكمة الوكلاء للفصل السريع فى الخصومات ، بقصد النظر فى شكوى مقدمه من اسبتارى ضد اسبتارى آخر ، قبل أن تكون هذه الشكوى قد فصل فيها بالفعل أمام محاكم أول درجة ، والتعزيز ، وتعزيز التعزيز ، على التوالى ، الا فى حالة ما اذا كان هذا الاسبتارى الذى قدم الشكوى هو السيد الكبير أو نائبه • وكان السيد الكبير ، فى هذه الحالة ، بالرغم من كونه موجها للتهمة ، يملك سلطة تعيين رئيس محكمة الوكلاء التى تتشكل للفصل فى شكواه ، ولكن اذا ثارت ضد هذا التعيين معارضة من جانب المشكو فى حقه ، تولى المارشال مهمة اختيار رئيس آخر للمحكمة •

أما اذا كانت الشكوى مقدمة من أحد الوكلاء الديريين ، فتتشكل للفصل فيها محكمة للفصل السريع فى الخصومات من أول درجة ، أى مؤلفة من أعضاء بعدد الطوائف القومية التى تتشكل منها هيئة الاسبتارية برئاسة وكيل ديرى يختاره السيد الكبير ، على أن يكون حكمها نهائيا واجب تنفيذه شأنها ، فى ذلك ، شأن محكمة الوكلاء (٢) •

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 8, PP.81-82 , nom. I(Coutume)

(٢) أنظر : Les Statuts, Tite 8 , P.83, nom. 2 (Coutume)

ومهما يكن من أمر تشكيل محاكم الفصل السريع في الخصومات ، على أختلاف درجاتها فقد كانت تمتاز بأن اجراءات التقاضي أمامها تتم بصورة مبسطة وخالية من التعقيد ، حتى تحقق الغرض الرئيسي الذي أنشئت من أجله ، وهو سرعة الفصل في الخصومات المعروضة عليها . ومن أمثلة هذه الاجراءات ، أنه كان من اللازم على طرفي الخصومة ، وكذا من يأتيان بهم من شهود ، أن يدلوا بأقوالهم مختصرة ومشافهة من غير تقديم مذكرات أو ايضاحات مكتوبة لها . (١)

ولعل هذه الامثلة بالذات من الاجراءات بالاضافة الى عدم اختصاص هذا النوع من المحاكم بالنظر في شكاوى أخرى غير الشكاوى المرفوعة من أعضاء هيئة الاسبتارية ، بعضهم ضد البعض الآخر ، هو ما دعا هؤلاء الاعضاء الى أن يطلقوا عليه ـ أي على هذا النوع من المحاكم ـ اسم " عدالة بيت " (une justice de maison) (٢)
وهو أيضا ما يميزه عن محكمة المجلس الاعتيادي .

على أن هناك اجراء آخر يؤدي الى نفس الغرض ، أي الى سرعة الفصل في الخصومات كان يتخذ في هذه المحاكم بدرجاتها الثلاث ، ولكن كان يتخذ أيضا في محكمة المجلس الاعتيادي ، وهو عدم السماح بحضور وكلاء للترافع أمامها ، عن أي من طرفي الخصومة الا اذا كان هذا الطرف مريضا أو منفيا عن دير رودس (٣) أو شاغلا لوظيفة من وظائف الوكلاء الديريين ، أو رؤساء الشعب ، أو الوكلاء المجمعيين ، (٤) وعلى الا يزيد عدد الوكلاء الذين ينيبهم عنه عن وكيلين . (٥)

وفيما يتعلق بأسلوب اصدار الاحكام في هذا النوع من المحاكم ، كان لكل عضو في المحكمة ، بما فيهم رئيس المحكمة ، صوت واحد . وكان الادلاء بالاصوات يتم بنفس

---

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 8, PP.81-82 nom. I (Coutume)
(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 8 , P.82, nom. I (Coutume)
(٣) أنظر : Les Statuts, Titre 8, P.82 nom. I (Coutume)
(٤) أنظر : Les statuts, Titre 7, P.71, nom. 13 (St.: D'Aubusson)
(٥) أنظر : Les statuts, Titre 7, P.70, nom. 9 (St.: Zacosta)

الطريقة التي كان يعمل بها في محكمة المجلس الاعتيادي ، وتقضي بأن يضع كل عضو بليه في أحد صندوقين صغيرين يحمل أحدهما اسم موجه التهمة ويحمل الآخر اسم المتهم ، ثم يحصي عدد ما وضع في كل من الصندوقين من بليات ، فمن يتضح أنه يحتوي على عدد أكبر من البليات حكم لصالح صاحبه ، الا في حالة صدور الحكم عن محكمة الوكلاء حيث كان يضاف ، الى عدد البليات الذي يحصل عليه كل من طرفي الخصومة ، عدد ما أحرزه من بليات في المحاكم الثلاث التي فصلت في الخصومة قبل محكمة الوكلاء ، وهي محاكم أول درجة والتعزيز ، وتعزيز التعزيز (١) .

وليس من شك في أن الاسبتارية لم يأخذوا بهذا الاسلوب لاصدار الاحكام في محاكم الفصل السريع في الخصومات ، الا كوسيلة لضمان عدالة هذه الاحكام . ومن وسائلهم الاخرى لبلوغ هذا الهدف نفسه ما نص عليه القانون الذي صدر في عهد السيد الكبير زاكوستا (١٤٦١ ـ ١٤٦٧) من أن رئيس وأعضاء هذا النوع من المحاكم ، بدرجاته الثلاث ، ملزمون بأن يقسموا ، قبل البدء في اجراءات المحاكمة ، بأن يحكموا بالعدل ، وبألا يفشوا أسرار المحاكمة ، فاذا ما صدر عن أحدهم ما من شأنه أن ينقض هذا القسم ، عوقب بحرمانه ، حتى مماته ، من تبوء أية وظيفة من وظائف هيئة الاسبتارية ، بما فيها وظائف الآمرين في الشعب بأوروبا (٢) .

---

(١) أنظر : Les statuts, Titre 8, PP.81-82, nom. I (Coutume)

(٢) أنظر : Les statuts, Titre 8, P.85, nom. 11(St.:Zacosta)

يضاف الى ذلك ما جاء في قانون صدر في عهد السيد الكبير أورسيني (١٤٦٧ — ١٤٧٩) بخليفة زاكوستا ، من أن رئيس المحكمة ملزم بمنع أعضاء محكمته من مقاطعة أي من طرفي الخصومة ، أثناء ادلائه بأقواله ، بالقول أو بالفعل ، (١) وما نص عليه قانون آخر ، صدر في عهد أورسيني نفسه ، من أن عضو المحكمة ، الذي يعلن أحد طرفي النزاع شكه في نزاهته وتحيزه لخصمه ، يجب أن ينسحب من المحكمة فورا ، ويعين عضو آخر بدلا عنه • (٢)

---

(١) أنظر: Les statuts, Titre 8 , PP.84-85, nom. 10 (St.:Orsini).

(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 8, P.84 nom. 9 (St.:Orsini).

الفصـــل الرابـــع

العلاقات بين الاسبتارية فـي رودس

والقوى المسيحية في ايطاليا وشرق البحر المتوسط

الفصـــل الرابـــــع

العلاقات بـين الاسبتارية فـــي رودس
والقـوى المسيحية فى ايطاليا وشرق البحـــر المتوســـط

* العلاقات بين الاسبتارية فى رودس والبابوية فى أفنيون أو روما .
* العلاقات بين الاسبتارية وآل لوزجنان فـــي قـــبرص .
* العلاقات بين الاسبتاريـــة وجمهوريـــة البندقيـــة .

ارتبط الاسبتارية فى رودس بعلاقات قوية واضحة بكل من البابوية فى أفنيون أو روما وبيت لوزجنان فى قبرص ، فضلا عن البندقية فى ايطاليا ٠

البـــابويـــة :

أما عن علاقة الاسبتارية بالبابوية فكانت عضوية بحكم المركز الذى كان يتمتع به البابا كراع ورئيس أعلى لهيئة الاسبتارية ٠ وقد جرت العادة ، منذ أن اصدر البابا باسكال الثانى (Pascall II,1099-1118) فى ١٥ فبراير عام ١١١٣ ، منشوره الذى تبوأ البابا بمقتضاه هذا المركز ، على أن يرسل السيد الكبير للاسبتارية ، بمجرد أن يتم انتخابه للمنصب عن طريق المؤتمر الاسبتارى العام ، سفارة خاصة الى البابا للحصول على موافقته على هذا الانتخاب ، وتقديم فروض الطاعة والولاء له ، فضلا عن تقديم بعض الهدايا الثمينة والجواهر له وللكرادلة أعضاء مجمعه المقدس ٠ (١) ومن ناحية أخرى كان كل بابا جديد يرسل عند توليته منشورا بابويا الى السيد الكبير للاسبتارية يبلغه فيه بنبأ هذه التولية ويعرب له فى الوقت نفسه عن حسن نواياه نحوه وهيئة الاسبتارية التى يرأسها ٠ (٢) وكان السيد الكبير للاسبتارية يرد عندئذ على البابا بارسال وفد من كبار الاسبتارية لتهنئته وتأكيد واجب الطاعة والولاء له ٠ وفضلا عن ذلك كان البابا الجهة الوحيدة التى يتقدم اليها السيد الكبير للاسبتارية باستقالته ، علما بأن ذلك لم يحدث فى تاريخ الاسبتارية فى جزيرة رودس سوى مرتين : اولاهما — حين قدم السيد الكبير جوزون — ثالث رئيس للاسبتارية فى رودس — استقالته للبابا انوسنت السادس فى عام ١٣٥٣ ، وقبلها هذا

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP.150,-151

(٢) أنظر : Pauli II, num. CXXX, PP.155-156 & num. CXLIX,P.177; Bouhours, pp. 150-151.

البابا بعد أن أصر جوزون عليها ، [1] والثانية عندما قدم ريموند بيرنجر ـ سادس السادة الكبار في رودس ـ استقالته للبابا جريجوري الحادي عشر في عام ١٣٧٢ ولكن البابا رفضها . [2] هذا الى جانب ما كان يتمتع به البابا من سلطات في حكم هيئة الاسبتارية مثل سلطات اجراء التحقيق لمعرفة أسبابا قد يتسرب الى الهيئة من فساد ، والدعوة الى عقد المؤتمرات العامة للاسبتارية في الجهة التي يريدها مع التصديق على القرارات التي تصدرها هذه المؤتمرات لتصبح قوانينا دستورية للاسبتارية ، واصدار قرارات الحرمان ضد مقدمي الشعب (Prieurs) وآمري الآمريات (Commandeurs) المتمردين على السلطة المركزية في رودس ، ودعوة فرسان الاسبتارية المقيمين في الشعب المختلفة بالسفر الى جزيرة رودس للدفاع عنها كلما احتاج الامر الى ذلك ، يضاف الى ذلك كله أن بعض البابوات اعتقد بأن من سلطته تعيين مقدمي الشعب ، غير أن مجلس الاسبتارية لم يكف عن الاحتجاج بأن هذا الامر من سلطاته الخاصة بمقتضى قوانين هيئة الاسبتارية التي صدق عليها البابوات الى أن اعترفت له البابوية بهذه السلطة بعد وقت طويل من النزاع بينهما حوله .

وفي الحقيقة كان البابوات ـ عندما كان مركز هيئة الاسبتارية في الشام حتى عام ١٢٩١ ، ثم في جزيرة قبرص ابتداء من عام ١٢٩١ وحتى عام ١٣١٠ على أكثر تقدير ـ يحرصون على ألا يتدخلوا كثيرا في الشئون الداخلية لهذه الهيئة ، وكان تدخلهم محصورا في أمور محددة خارج نطاق السلطات الادارية التي كان السيد الكبير ومجلسه يتمتعان فيها بالاستقلال الاداري الكامل ، اللهم الا في عهد البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥ ـ ١٣١٤) الذي مارس نوعا من الضغط على الاسبتارية على شكل توصيات تقدم بها لمجلس اداراتهم تقضي بتعيين مرشحين مقبولين لديه في مناصب الهيئة . [3]

---

(١) أنظر : D. Le Roulx:Les Hosp. à Rh.,P.112;Vertot II pp. 221-222,

(٢) أنظر : D. Le Roulx:Les Hosp. à Rh, P. 173. ; Pauli II, Dipl. XV, giunt, P.407.

(٣) أنظر : De Le Roulx: Op. Cit., pp. 25-26 .

غير أن الامر تغير عندما انتقل مركز الهيئة الى جزيرة رودس • ففى بداية عهد الاسبتارية بهذه الجزيرة وقع من الاحداث ما دعا الى زيادة تدخل البابا فى شئون الهيئة بل وفى صميم اختصاصات السيد الكبير نفسه • وأهم هذه الاحداث حل هيئة الداوية وصدور قرار البابا كليمنت الخامس فى ٢ مايو عام ١٣١٢ بتحويل أملاك هذه الهيئة الى هيئة الاسبتارية • فبعد مرور عام واحد من صدور هذا القرار — وعلى وجه التحديد فى ٢٩ مايو سنة ١٣١٣ — أصدر البابا كليمنت الخامس قرارا جديدا حرم فيه على السيد الكبير للاسبتارية الموافقة على أى تصرف في أملاك هيئة الاسبتارية • (١) وبعد خمسة أعوام أخرى = أى فى ٢٩ مايو عام ١٣١٨ — أصدر البابا حنا الثانى والعشرون (٧ أغسطس ١٣١٦ — ٤ ديسمبر ١٣٣٤) — خليفة كليمنت الخامس — قرارا نص صراحة على عدم التصرف فى الاراضى أو العقارات المملوكة لهيئة الاسبتارية ، ولو بالتنازل عن بعضها على هيئة حكر دائم ، الا بعد الحصول على اذن صريح بذلك من البابا • وفى نفس الوقت أصدر البابا أوامره الى أساقفته فى سائر الدول المسيحية الخاضعة لرئاسته بالغاء جميع صفقات البيع والرهن والحكر التى تمت قبل صدور هذا القرار • (٢)

---

(١) أنظر . De Le Roulx: Les Hosp. à Rh., pp. 20-21; De naberat P.56

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P.21; De naberat, P.57.

وقد أخذ السادة الكبار منذ ذلك الحين يصدرون بين الفينة والاخرى القرارات الـتى يحرمون فيها على رؤساء بيوت الاسبتارية أن يتصرفوا فى الاراضى والعقارات التابعة للبيوت التى يديرونها الا بعد الحصول على اذن السيد الكبير والمؤتمر العام (ارجع الى : Les statit., Titre 14 , P.134, n.53& Titre 16 PP.143 -144 noms. 7,8,9

وذلك بلا شك حتى يمكنهم الاتصال بالبابا واخذ التصريح منه قبل اعطاء هذا الاذن •

وهكذا اتخذت البابوية من قرارها بتوريث هيئة الاسبتارية أملاك الداوية ذريعة لتجريد مقدمي هذه الهيئة لحساب البابا من سلطة التصرف فيما تحت يدها من أملاك أصلية أو موروثة عن الداوية بحجة الرغبة في المحافظة على هذه الاملاك للهيئة . على أن تسلم الاسبتارية لارث الداوية من حكام أوربا الطامعين في هذا الارث لم يتحقق في الواقع الا بفضل تدخل البابا كليمنت الخامس، ومن بعده البابا حنا الثاني والعشرين، لدى هؤلاء الحكام لصالح الاسبتارية . ولقد قبض البابا حنا الثاني والعشرون الثمن من وراء هذا التدخل على شكل أنصبة من أملاك الداوية المنقولة حصل عليها من بعض الحكام وبخاصة من ملكي فرنسا ونابلي ، مقابل السماح لكل منهم بالاحتفاظ لنفسه ببعض ما يطمع فيه من الارث وتسليم الباقي للاسبتارية .(١) ولكن الاهم من ذلك أن هذا البابا انتهز فرصة حاجة هيئة الاسبتارية اليه لكي تتمكن من وضع يدها على ارث الداوية _ الى جانب حاجتها الى قراراته البابوية التي تبيح لها التصرف في بعض أملاكها بالبيع أو الرهن بما يساعدها على الخروج من أزمتها المالية التي وضعها فيها سوء تدبير أول سيد كبير لها في رودس ، فولك دي فيلاريه ، وحاجتها الى أن يستخدم نفوذه لدى مقدمي الشعب لكي يدفعوا الضرائب الاستثنائية التي كان من الضروري فرضها على شعبهم للغرض نفسه (٢) _ فأدار شئونها بمثابة رئيس حقيقي لها ،(٣) مع حرصه على أخذ رأي السيد الكبير ، هليون دي فيلينيف ، فيما يصدر عنه من قرارات وبخاصة فيما يتعلق بالتصرف في املاك الهيئة بالبيع أو المقايضة .(٤) ولقد أدرك حكام أوربا وأمراء الاقطاع فيها هذه الحقيقة ، فاتصلوا مباشرة بالبابا حنا الثاني والعشرين ، وليس بالسيد الكبير دي فيلينيف ، لقضاء حاجاتهم

---

(١) أنظر : Vertot II, PP.147-148

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., pp.22-23.

(٣) أنظر : Ibid : Op. Cit., P.26

(٤) أنظر : Ibid:op. Cit., PP.61-65

لدى الهيئة ، علما بأن اعرابهم له عن رغباتهم في مقايضة بعضهط يملكون من أراضـــى وعقارات بغيرها من أملاك الداوية التى ورثها الاسبتارية ، (١) والطلب الذى تقدم له بـــه ملك انجلترا ــ ادوارد الثانى ــ فى بداية عام ١٣٢٨ ، (٢) ثم عزّه فى ٣ مارس عام ١٣٢٩ (٣) لاعفاء مقدم شعبة انجلترا المدعوتوماس النبل، (Thomas the Archer) مـــن منصبه لكبر سنه وتعيين الفارس الاسبتاري ليونارد و تيرتى عوضا عنه فى هذا المنصب ، لـــم يكن سوى أمثلة على ذلك .

هذا ، وهناك حدث آخر وقع فى أوائل عهد الاسبتارية بجزيرة رودس روساعــــد بدوره على زيادة تدخل البابا في شئون الاسبتارية هو انقسام الاسبتارية على أنفسهم فـــى عهد أول سيد كبير لهم فى هذه الجزيرة فولك دى فيلاريه . ولعل أهم مظاهر التدخـــل البابوى نتيجة هذا الحادث ــ الى جانب محاكمة فولك وارغامه على الاستقالة ــ قيام البابـــا حنا الثانى والعشرين بتقديم التوصية للمؤتمر الاسبتارى العام ، الذى انعقد فى قصـــره بعد استقالة فولك ، بانتخاب هليون دى فيلينيف سيدا كبيرا جديدا للهيـــئة (٤) ، وهو

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., PP.22-23

(٢) أنظـــر : Ibid: Op. Cit., P.69

(٣) أنظر : Pauli II, P.79 num. LXI

(٤) أنظر : Vertot II, P.175

لم يلبث دى فيلينيف أن رد الجميل للبابا حنا الثانى والعشرين ، فباع له فـــى ٢٠ نوفمبر عام ١٣٢١ المنازل والاراضى التى ورثها الاسبتارية عن الداوية فى مدينـة كاهور Cahors الفرنسية ومجاوراتها ، وأراد البابا أن تقتنيها أسرته التى تستوطـــن هذه المدينة فيرفع عن طريقها من قدرها الاجتماعى المتواضع .

(أنظر : De. Le Roulx: Les Hops. à Rh.,P.59;Vertot II,P.176

هذا فضلا عن العديد من المقايضات في الاراضى والعقارات اللتى أجراها فيلينيـف مع أبناء واخوة هذا البابا .

(أنظر : D. Le Rulx: Op. Cit?,PP.59 - 60.

أمر لم يكن يحدث من قبل عند انتخاب السادة الكبار للاسبتارية .

ومهما يكن من أمر زياد تدخل البابا كليمنت الخامس ومن بعده خليفته حنا الثاني والعشرين في شئون هيئة الاسبتارية ، وعوامل هذه الزيادة ، فقد أدى هذان البابوان للاسبتارية خدمات جليلة ليس ضم أملاك الداوية لهم ، ومساعدتهم على وضع يدهم على هذه الاملاك ، وعلى الخروج من الضائقة المالية التي ورطهم فيها السيد الكبير فولك دي فيلارية سوى بعضا منها .

ومن الامثلة على الخدمات الاخرى التي أداها البابا حنا الثاني والعشرون ـ على وجه الخصوص ـ للاسبتارية أنه قام في ١٣ يونيه عام ١٣١٧ بمنحهم ديرين ، بجميع ملحقاتهما من كنائس وقلاع وضياع ومنازل ، في ايطاليا .(١) وفي ٢٩ سبتمبر عام ١٣١٩ أصدر البابا حنا الثاني والعشرون منشورا بابويا صدق فيه على جميع الامتيازات التي منحها من سبقه من البابوات لهيئة الاسبتارية منذ تأسيسها في الشام في أوائل القرن الثاني عشر ، وفي مقدمتها اعفاؤهم من دفع ضريبة العشور الكنسية وسائر الضرائب التي اعتادت الكنيسة الكاثوليكية جمعها للاغراض الدينية على شكل رسوم أو تبرعات ،(٢) علما بأن جميع البابوات الذين جاءوا بعد حنا الثاني والعشرين ، وحتى نهاية عهد هيئة الاسبتارية بجزيرة رودس ، ما أن كان الواحد منهم يعتلي كرسي البابوية حتى يبادر بالتصديق على الامتيازات العامة القديمة لهيئة الاسبتارية ، وعلى امتياز اعفاء هذه الهيئة من دفع ضريبة العشور الكنسية ، في منشور بابوي واحد أو في منشورين .(٣) كما أن هذا البابا تنازل لهيئة الاسبتارية في ١٤ مايو عام ١٣٢٠ عن كنيستين مركزيتين في مقاطعة

---

(١) أنظر : Pauli II, PP.58-59, num. XXXIX; D. Le Roulx: les Hosp. à Rh., P.25.

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit., pp. 20, 57 ; De naberat, PP.57-58.

(٣) أنظر : De naberat pp.55-81.

لنكولن Lincolne بانجلترا ، (١) وأصدر منشورا بابويا في ٨ مايو عام ١٣٢٢ أعلن فيه تكفل الكرسي البابوي بحماية هذه الهيئة من المرابين والغشاشين والمغتصبين (٢) .

والواقع ان عهد البابا حنا الثاني والعشرين تميز بكثرة الطامعين في املاك هيئة الاسبتارية ليس من الحكام وأمراء الاقطاع فحسب ولكن أيضا من بعض فرسان الاسبتارية أنفسهم ، الامر الذى استلزم التدخل من جانب البابا مرات عديدة لكى تعود لهذه الهيئة املاكها المغتصبة وبخاصة في أيبريا واسكتلاوه وايطاليا .

ومن الامثلة على تدخل البابا حنا الثاني والعشرين ضد أطماع بعض فرسان الاسبتارية وغيرهم من الافراد في أيبريا أنه طلب في ١٢ أغسطس عام ١٣١٧ من كل من ملك ارغونه جيم الثاني Jaine II ، وملك ميورقه سانشى Sanche ورئيس أساقفة تاراجونه Tarragone في أسبانيا ، بالقبض على مقدم شعبة (قسطلان) أمبوستا المدعو ريموند دى لامبوردان Raymond de Lampourdan لانه د رفض ، بالرغم من فصله من منصبه منذ عام ١٣١٤ وصدور قرار بابوى في ذلك الحين بحرمانه ، أن يتنازل عن الشعبه للفارس الاسبتاري الذى عينته حكومة رودس مقدما لهذه الشعبه خلفا له — وهو الفارس مارتن بيريز د وروز martin Perez d'Cros واستخدم القوة في الاحتفاظ بها لنفسه . وفي أول سبتمبر عام ١٣١٨ أضطر البابا حنا الثاني والعشرون الى اصدار قرار الحرمان ضد فارس اسبتاري اسمه لوب دى فارو Loup de Faro لانه خلع رداء هيئة الاسبتارية وقاد فرقة مسلحة واعتدى بها على أملاك الهيئة في قشتالة. ولم يلبث البابا أن أصدر في ٢٥ يوليه عام ١٣١٩ قرارا آخر بالحرمان ضد فارس قشتالى اسمه ألفارو نونيفوريز Alvaro nunofores أحرق مدينة بوفيدا Boveda المملوكة للاسبتارية في مملكة قشتالة منذ ثلاث سنوات — وعلى وجه التحديد في

---

(١) أنظر : Pauli II, PP.74-75 num. LVll

(٢) أنظر : De Naberat P.58.

١٧ أبريل عام ١٣٢٢ ـ وضع هذا البابا أهالي مدينة أشبيلية بمملكة قشتالة تحت قرار الحرمان لأنهم رفضوا أن يسلموا للاسبتارية حصنا في مدينتهم ـ يقال له حصن فريجينال Fregenal ورثه الاسبتارية عن الداوية ، ولم يرفع عنهم قرار الحرمان الا في عام ١٣٣٥ بعد أن وافقوا على شراء الحصن من الاسبتارية . وحدث في خلال تلك الاثناء أن تمرد مقدم شعبة أمبوستا ، ريموند دي لامبوردان ـ وكان قد أعفي عنه وأعيد الى منصبه ـ مرة أخرى ، فاضطر البابا حنا الثاني والعشرون الى أن يطلب من ملك أرغونة الفونسو الرابع ، في ١٤ مارس عام ١٣٢١ ، أن يرغمه على العودة الى الطاعة . وكان السيد الكبير دي فيلينيف قد فصل في العام السابق (عام ١٣٢٠) المدعو أرنال دي ألوزيو Arnal de alosio ، مقدم شعبة قطالونيا من منصبه لعدم كفاءته وتمرده على أوامر حكومة رودس ، غير أن هذا الفارس الاسبتاري رفض قرار الفصل واحتفظ بالشعبة لنفسه بتأييد من الملك الارغوني ألفونسو الرابع . وكان أن أصدر البابا حنا الثاني والعشرون قرار الحرمان ضد الفارس المتمرد ، ثم أرسل الى الملك ألفونسو الرابع ، في ٢٠ نوفمبر عام ١٣٣١ رسالة يطلب فيها منه أن يتخلى عن تأييد هذا الفارس ويرشح فارسا اسبتاريا غيره للمنصب . على أن البابا لم يلبث أن أرسل رسالة أخرى الى ملك ارغونة في ٢٤ فبراير عام ١٣٣٢ يطلب فيها منه الموافقة على تعيين الفارس الاسبتاري أرنال دولموز Arnal d'olmos مقدما لشعبة قطالونيا . أما الفارس المتمرد ألوزيو فقد قدم للمحاكمة في ١٩ يونيه عام ١٣٣٢ بأمر البابا حنا الثاني والعشرين . ولكن البابا نفسه عاد في ٢١ يونيه عام ١٣٣٣ وكتب يتشفع له عند السيد الكبير دي فيلينيف مما يدل على أنه برأه أو أراد أن يعفو عنه .

وفيما يتعلق بموقف البابا حنا الثاني والعشرين من أطماع حكام أسبانيا أنفسهم فانه أرسل في عام ١٣٢٦ يطلب من الامير بطرس ، ابن ملك أرغونة جيم الثاني (Jaime II) المثول أمامه في مدينة أفنيون لتبرئة نفسه من تهمة اغتصاب أملاك الاسبتارية في امارة لامبوردان Lampourdan . غير أن الملك جيم الثاني رفض أن يلبي ابنه

طلب البابا ، وأرسل سفراءه لمحاولة اقناع وكلاء البابا ومندوبى الاسبتارية بعقد اتفاق يقضى الملك تنص على بيع أملاك الاسبتارية فى كل من امارة لاميوردان وامارة القديس استبان من باز (S. Esteban of Bas) للامير بطرس . وبالرغم من أن المفاوضات بين الطرفين حول هذا الامر قد امتدت حتى عام ١٣٣٤ الا أنها انتهت فى أغلب الظن الى فشل . وفي خلال تلك الاثناء تدخل البابا حنا الثاني والعشرون لدى ملك البرتغال ألفونسو الرابع (١٣٢٥ — ١٣٥٧) ثلاث مرات على الاقل — الاولى فى ٥ سبتمبر عام ١٣٢٦ ، والثانية في أول أغسطس عام ١٣٢٧ ، والثالثة فى أول يوليه عام ١٣٣٠ — لكى يفرج عن دخل شعبة الاسبتارية فى مملكته البرتغال الذى كان قد حال دون خروجه الى رودس ، كما تدخل لدى هذا الملك مرة رابعة فى ٢٨ مايو عام ١٣٣٣ ، لمنعه من اصدار قرار مماثل يحرم خروج دخل شعبة الاسبتارية فى مملكة أرغونه — التى تولى عليها الملك أيضا الى جانب البرتغال فى الفترة الواقعة بين عامى ١٣٢٧ ، ١٣٣٦ (**) — الى جزيرة رودس (١).

واذا انتقلنا من ايبريا الى اسكندناوه نجد أن البابا حنا الثانى والعشرين شغل ابتداء من عام ١٣٢٠ فى محاولة اقناع كل من ملك النرويج هاكون السابع Hakon Vll الذى طرد الاسبتارية من مملكته لانهم رفضوا مقايضة أملاكهم فى هذه المملكة بما يقابلها من أملاكه في الدانمرك ، وملك الدانمرك اريك الثامن Eric Vlll — الذى أغتصب جانبا من أملاك الاسبتارية فى مملكته — ثم خليفته كريستوف الثانى Christophe II

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les hosp. à Rh., pp.64-68.

(**) بخصوص تولية الفونسو الرابع ملك البرتغال على أرغونه أيضا أنظر :

Trevor/ Rome, P.246.

الذى رفض أن يعيد هذه الاملاك المغتصبة لاصحابها - بأن يرد للاسبتارية حقوقهم التى اعتدى عليها (١). غير أننا لا نعرف فى الواقع ما انتهت اليه هذه المحاولات من نتائج .

وفى ايطاليا احتاج الامر الى تدخل أكبر من جانب البابا حنا الثانى والعشرين لصالح الاسبتارية ، كما أن هذا التدخل اصاب توفيقا أكبر . ففيما يتعلق باقليم تسكانيا اضطر هذا البابا الى أن يصدر فى ٢٢ يناير عام ١٣٢٦ منشورا بابويا يوصى فيه أهالى مدن فلورنسا وبيزه وسيينا وفيتربه (viterbe) وأورفيتو (orvieto) خيرا بشعبة الاسبتارية فى بيزه ومقدمها حنا ريفارا Jean de Rivara . والى جانب ذلك تدخل البابا مرتين - احداهما فى ٢٥ يناير عام ١٣٢٧ والثانية فى ٤ يناير عام ١٣٣١ - من أجل استعادة قصر للاسبتارية فى مدينة فلورنسا يقال له قصر القبر المقدس بفلورنسا " اغتصبه منهم فارس فلورنسى اسمه روبيس (Jean pini de Rubeis) ، كما تدخل فى ٦ أبريل عام ١٣٣٤ بهدف طرد فارس اسبتارى متمرد اسمه كاستليونى Pietro Lamberti di Castiglione من قصر اغتصبه من الهيئة التى ينتمى اليها اسمه قصر القديس اجيديو (S. Egidio di colle). وفيما يتعلق بولايات الكنيسة تدخل البابا حنا الثانى والعشرون فى ١٣ يناير عام ١٣٢٩ بمناسبة اعتداء أهالى مدينة بيان دى كاربينه Pian di Carpine على الاسبتارية المقيمين فى مدينتهم ، وفى ٦ فبراير عام ١٣٣١ لحماية الاسبتارية من دفع ضريبة العشور على الفواكه والنبيذ التى طالبتهم بها المجالس البلدية فى مدينتى بيان دى كاربينه ومونتيكولونيا montecolognona

---

(١) أنظر : D. Le Roulx; Les Hosp. à Rh, P.70

لابد وأن الاسبتارية عادوا الى النرويج بعد ذلك حيث أن السيد الكبير جوزون أرسل اليهم فى أغسطس ١٣٤٧ يطلب منهم ضرورة ارسال نصيب رودس من دخل الاملاك التى يديرونها فى مملكة النرويج .

أنظر : Pauli II, PP.90-91 num. LXXII.

وفيما يتعلق بمملكةنابلى أصدر هذا البابا فى ٢١ يوليه عام ١٣٢٩ منشورا بابويا يقضى بأن يرد الى هيـئة الاسبتارية بعض الاملاك التى ضمت ظلما لاسقفية القديس جرمانو germano كما أصدر فى ٢ ديسمبر من نفس العام منشورا طلب فيه من أهالى مدينة بويانو Boiano أن يعلموا الاسبتارية جثمان فارس اسبتارى اسمه ديون (Pierre Raymond de Penne قتل ومثل به فى تمرد شعبى وقع فى هذه المدينة ، وأن يصلحوا الاضرار التى لحقت بأملاك الاسبتارية بسبب أعمال التخريب التى اقترنت بهذا التمرد ، هذا الى جانب أن البابا حنا الثانى والعشرين اضطر فى ١٤ مارس عام ١٣٣٤ الى أن يرسل خطابا الى الملك روبرتـو يذكره فيه بضرورة احترام حقوق وامتيازات هيـئة الاسبتارية فى مملكته (١) .

وبقى أن نذكر فيما يتعلق بالعلاقة بين الاسبتارية والبابا حنا الثانى والعشرين أن هذا البابا كان يتخذ من بعض كبار الاسبتارية مستشارين له أو نوابا عنه فى قضاء بعض المهام السياسية العامة المتعلقة بالكرسى البابوى . وكان على رأس هؤلاء السيد الكبير هليـون دى فيلنيف نفسه الذى كلفه البابا فى ٢٢ يوليه عام ١٣٢٦ بأن يقوم ، جنبا الى جنب مع رئيس أساقفة تولوز ، بدور الوساطة فى النزاع القائم وقتذاك بين أربعة من أمراء الاقطـاع (**) على تخطيط الحدود بين أملاكهم فى امارة ڤينا الواقعة على نهر الرون بفرنسا ، وفـى ٢١ مارس عام ١٣٣٠ بأن يقوم بالاشتراك مع رئيس أساقفة امبرن (Embrum بالتوسط فى النزاع المحتدم بين أسقف ڤالنس .

وأمير بواتييه ، وفى ٦ أكتوبر عام ١٣٣٠ ، ثم فى ٢٤ أبريل عام ١٣٣١ بقضاء مهام سياسية تخص البابا لدى ملك فرنسا فيليب السادس دى ڤالوا (٢) . ومن الاسبتارية الآخريـن الذين أدوا مهاما سياسية للبابا حنا الثانى والعشرين بطرس أو نجل Pierre de l'ongle

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., PP.76-77

(**) هم : جاى الثامن أمير ڤينا ، ادوارد أمير سافوى ، هنرى أسقف مـتز metz ، أمير مونتوبان (Baron montauban)

(٢) أنظر : Ibid, : Op. Cit, P.85

مقدم شعبة تولوز ، الذى أرسله البابا الى ألمانيا عدة مرات خلال الاعوام ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، اما للوساطة بين بعض الاساقفة المتنازعين — مثل النزاع بين أسقف كولون وأسقف ليبج — أو لتحصيل أموال للبابا على أملاك الاسبتارية فى ألمانيا كان مديروا هذه الاملاك قد رفضوا دفعها له ، أو لتشجيع بعض الامراء الالمان على الاستمرار فى مقاومة الامبراطور الالمانى لويس الخامس الشهير باسم لويس الباقارى (١٣١٣ — ١٣٤٧) الذى اشتد الصراع بينه وبين البابا حنا الثانى والعشرين — ومحاولة كسب هؤلاء الامراء الى صف البابا . وهناك أيضا الفارس الاسبتارى بولس المودينى Paul de modine الذى اعتمد عليه البابا حنا الثانى والعشرون فى الدفاع عن مصالحه وقضيته فى صراعه ضد الامبراطور لويس الباقارى فى الوطن الالمانى حتى عام ١٣٢٤ على الاقل عندما انتهت خدمة هذا الفارس كمدير لاملاك الاسبتارية فى ولايات سكسونيا وثورنجيا ومارش وبلاد القند ، وهى الاملاك التى تأسست فيها منذ عام ١٣٢٧ شعبة خاصة باسم وكالة براند بورج (١) . هذا الى جانب بعض الفرسان الذين أدوا لصالح البابا حنا الثانى والعشرين فى ايطاليا نفس الدور الذى أداه له فى ألمانيا بولس المودينى (٢) .

ومما يجدر ذكره أيضا أن انتقال دى ڤيلينيف من أڤنيون — حيث كان يقيم منذ توليته فى عام ١٣١٩ — الى جزيرة رودس ، فى عام ١٣٣٢ ، ساعد على التخفيف من هيمنة

---

(١) أنظر : D. Le Roulx:Les Hosp. à Rh,PP.73-75

(٢) أنظر : Ibid: OP. Cit?, PP. 77-78.

من هؤلاء الفرسان بطرس إمولا مقدم شعبة روما ، وحنا ريڤارا مقدم بيزه ، ونابليون تيبرتى مقدم شعبة البندقية . ولقد توفى بطرس إمولا فى عام ١٣٣٠ ولكن زميليه امتد بهما العمر الى أن كافأهما البابا بندكت الثانى عشر (١٣٣٤ — ١٣٤٢) على خدماتهما للبابوية بأن عين أحدهما — وهو حنا ريڤارا حاكما على ولاية أنكونية ، وثانيهما — وهو نابليون تيبرتى — حاكما على ولايتى كامبانيا وماريتو .

Ibid: Loc. Cit.

البابوية على رئاسة هيئة الاسبتارية ، ومن تدخلها المستمر فى شئون هذه الهيئة ، واعطى السيد الكبير ومجلسه قدرا كبيرا من حرية التصرف بحيث أصبح البابا فى الاحوال العادية لا يتدخل فى اختصاصاتهما الا اذا طلبا منه هذا التدخل لارغام بعض مقدمى الشعب على الانتظام فى دفع حقوق الخزانة فى رودس لديهم ، وتسديد الاموال المتأخرة عندهم لهذه الخزانة ، أو لمراجعة أمير أوروبى ألحق الاذى بأملاك الاسبتارية فى بلاده ، أو ما شابه ذلك من الحالات التى لا مناص من استخدام النفوذ البابوى للتصدى لها . ويبدو أن عددا من الكرادلة أعضاء المجمع المقدس — شريك البابا فى ادارة شئون الكنيسة الكاثوليكية — قد ساءهم أن ينفرد السيد الكبير للاسبتارية بتصريف أمور هيئته من غير أن يطلب المشورة منهم ، فشكلوا فى البلاط البابوى — بالاشتراك مع بعض فرسان الاسبتارية الذين أحاطوا بالبابا فى مدينة أفنيون يتمسحون فى أعتابه من أجل أن يطلب لهم ما يطمعون فيه من المناصب الادارية العليا داخل هيئة الاسبتارية أو أن يعينهم حكاما على بعض الولايات البابوية — حزبا قويا جعل همه الاول ايغار صدر البابا ضد حكومة الاسبتارية فى رودس. وقد وجد هذا الحزب فى الاتهامات التى كيلت للاسبتارية منذ عهد البابا حنا الثانى والعشرين نفسه ، من جانب بعض الفئات الحاقدة عليهم بسبب ظفرهم بارث الداوية الذى كانت هذه الفئات تطمع فى أجزاء منه لنفسها ، ومن جانب بعض العناصر الحاسدة لحياة الترف والنعيم التى كان يعيشها مقدموا شعب الاسبتارية ، مادة دسمة استغلها — بعد أن تناولها بالاضافة والتضخيم — لتحقيق بغيته لدى البابا (١) . وليس من شك فى أن كلا من البابا حنا الثانى والعشرين وخليفته البابا بندكت الثانى عشر (١٣٣٤ — ١٣٤٢) حين اشتكى من فتور حماس الاسبتارية للحروب الصليبية ضد المسلمين ، ومن انغماسهم فى اللهو ورغد العيش بما يتنافى مع حياة التقشف التى نذروا أنفسهم لها عند التحاقهم بهيئة الاسبتارية ، كان واقعا تحت تأثير هذا الحزب (٢) . وقد وضح هذا التأثير أيضا فى الرسالة شديدة اللهجة التى أرسلها البابا كليمنت السادس (١٣٤٢ — ١٣٥٢) — خليفة بندكت الثانى عشر — فى أغسطس عام ١٣٤٣ ، الى السيد الكبير دى فيلنيف يحثه فيها على

---

(١) أنظر : Vertot II, PP.193-195; D. Le Roulx: Les hospit. à Rh., PP. 116,125

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit. pp.125-126.

ما قال له بأنه سمعه من أن الاسبتارية آثروا أن يبددوا ثروتهم الواسعة ، التى تضاعفت بتوريثهم أملاك الداوية ، على حياة الترف بدلا من توجيهها الى اغاثة مسيحى الشرق الذين اشتدت عليهم هجمات المسلمين ، والى التخفيف عن الفقراء من قسوة الحياة ، ويعرب له عن استياءه لما جاء فى الشكاوى التى رفعها اليه الاسبتارية المقيمون فى رودس ، وبخاصة الذين ينتمون منهم الى طائفتى الاخوة الرهبان والاخوة الخدم ، من عدم تقديم ضروريات الحياة من الغذاء والكساء لهم ، ومن تمييز طائفة الفرسان عنهم تمييزا كبيرا فى المعاملة ، ثم يهدده بأنه ، ان لم يسرع الاسبتارية باصلاح اسلوب حياتهم ، سوف ينفذ ما اقترحه عليه البعض من انشاء هيئة جديدة يحول اليها جانبا كبيرا من أملاك الاسبتارية لتقوم بانجاز ما تنكر له الاسبتارية من واجبات مفروضة عليهم (١) . وكان البابا كليمنت السادس قد بعث بهذه الرسالة الى دى فيلينيف بمناسبة التوصل الى عقد اتفاق مع مندوبى البندقية وقبرص والاسبتارية أنفسهم بشأن تأليف عصبة بحرية ضد الاتراك السلاجقة فى امارتى أيدين وصاروخان على الساحل الغربى لآسيا الصغرى ، فأمر فيها دى فيلينيف بأن يساهم الاسبتارية فى أسطول هذه العصبة ـ الذى تقرر أن يتألف من عشرين غرابا ـ بستة أغربة شأنهم شأن البندقية ، ولكن بأزيد غرابين مما تقرر أن يساهم بكل من البابا وملك قبرص (٢) . وقد اتضح للسيد الكبير دى فيلينيف من هذا التوزيع فى السفن بين أعضاء العصبة ، ومن اللهجة التى صيغت بها الرسالة نفسها أن البابا كليمنت السادس أصبح منصاعا تماما لمؤامرات الحزب المعادى للاسبتارية فى البلاط البابوى ، وأنه والحالة هكذا سوف لا يتورع ، ان لم يظهر دى فيلينيف الطاعة الكاملة له ، عن تنفيذ وعده بتحطيم هيئة الاسبتارية كما حطم البابا كليمنت الخامس من قبل (فى عام ١٣١٢) فرقة الداوية . ومن ثم بادر فيلينيف باستصدار عدة تشريعات من مجلس حكومته تقضى بمحاربة الترف فى هيئة الاسبتارية ، وقرارا بالموافقة على اعداد السفن الست المطلوبة من الاسبتارية لاسطول العصبة البحرية ، ثم أرسل ثلاثة من أعضاء المجلس

---

(١) أنظر : Pauli II, PP.86-87 num. LXIX

(٢) أنظر : Ibid: Loc.Cit.

الهاربين لعرض هذه التشريحات على البابا فى أفنيون مع تقديم رجاء دى فيلينيف والمجلس اليه بأن يضيف اليها ما يراه مناسبا من التشريحات الاخرى التى تؤدى الى نفس الغرض .(١)

وهكذا استطاع دى فيلينيف أن يرضى البابا كليمنت السادس ويكسب ثقته . وليس أدل على ذلك من أن هذا البابا كان يدفع أجور قباطنة وبحارة الاغربة البابوية الاربعة فى أسطول العصبة البحرية عن طريق السيد الكبير للاسبتارية الذى كانت ترسل اليه الاموال المخصصة لهذه الاجور تباعا صحبة سفراء من كبار الاسبتارية أنفسهم اعتاد البابا على تكليفهم بحمل أوامره ورغباته الى قادة العصبة فى بحر ايجه ثم العودة اليه بأخبار هؤلاء القادة .(٢) ومن الادلة الاخرى أن البابا كليمنت السادس ، عندما علم بأن هذه الاغربة الاربعة لم تقم فى المعارك التى دارت بين أسطول العصبة والاتراك فى عام ١٣٤٤ بواجبها وفق التعليمات المعطاة لها ، أرسل الى السيد الكبير دى فيلينيف و " مارشال "الاسبتارية جيرالدو دى مونتياكوتو Geraldo de monteacuto ، فى ١٢ مايو عام ١٣٤٥ يطلب منهما اجراء تخفيض على أجور قباطنة هذه الاغربة وعلى أجر قائدها الجنوى مارتينو زكريا martino Zaccaria نفسه .(٣) يضاف الى ذلك أن هذا البابا حذا حذو سلفه البابا بندكت الثانى عشر فعين حكاما على بعض الولايات البابوية — وعلى وجه التحديد ولايات أنكونه ، وسبوليتو spoleto بوكامبانيا ، وماريتو — من فرسان

---

(١) أنظر : Vertot II, PP.198-200; Biliotti, P.156-157

(٢) أنظر : Gay, P.127

وكان من هؤلاء السفراء الاعضاء فى هيئة الاسبتارية جاران دى شاتونيف Garin de chateauneuf مقدم شعبة نفاره ، وازنار دى ألبارن Isnard de Albarn مقدم شعبة كابوا (أنظر : Ibid: Loc. Cit.

(٣) أنظر : Ibid, PP.175 -177

قتل مارتينو زكريا فى المعارك ضد الترك فى ضواحى أزمير فى ١٧ يناير عام ١٣٤٥ (أنظر : gay, pp.55-56;F.O.1, P.104; Atiya, P.295

ولكن يبدو أن البابا لم يكن على علم بهذا الحادث حتى ١٢ مايو (عام ١٣٤٥) عندما أرسل يطلب تخفيض رواتبه .

الاسبتارية ، كما طلب من ملكة نابلى — عندما شغرت وظيفة المدعى العام sénéchaussée فى مملكتها — أن تملأ هذه الوظيفة بتعيين مقدم شعبة الاسبتارية فى كابوا (١) . هـذا الى جانب بعض الامتيازات التى منحها هذا البابا لهيئة الاسبتارية ومنها أنه — بخلاف المنشور البابوى الذى أصدره فى ٦ أغسطس عام ١٣٤٢ ونص على اعفاء هذه الهيئة من دفع ضريبة العشور وغيرها من الضرائب التى تفرضها الكنيسة الكاثوليكية على رعاياها ، والمنشور الذى أصدره فى ١٤ يونيه من العام التالى للتصديق على جميع الامتيازات التى منحها أسلافه من البابوات للاسبتارية (٢) ، وهو ما اعتاد أن يفعله جميع البابوات منذ تأسيس هيئة الاسبتارية بفلسطين الى أن انتهى عهدها بجزيرة رودس — فى ٨ أبريل عام ١٣٤٧ ، نظم لهم الرسوم التى يجب عليهم دفعها للاساقفة فى مقابل التصريح لرهبانهم بالوعظ وجمع الصدقات فى الكنائس العامة الخاضعة لرئاسة هؤلاء الاساقفة (٣) ، وفى ٢٠ ديسمبر عام ١٣٥٠ صرح لهم بتناول الوجبات الدسمة من الاحد الثالث قبل الصوم الاربعينى septuagesime الى أول أحد قبل ابتداء هذا الصوم الاربعينى quinquagesime فى مقابل صومهم أيام الجمع ابتداء من الاحد الاول قبل الصوم الاربعينى حتى عيد القديس حنا (٤) ، وفى شهر سبتمبر عام ١٣٥١ أعفى الهيئة من واجب استضافة الوكلاء البابويين أو تقديم أية مساعدات مادية لهم اذا حلوا فى أحد أملاك هذه الهيئة (٥) ، وهو امتياز يبدو

---

(١) أنظر : Gay, P.128

(٢) أنظر : De naberat, P.59

(٣) أنظر : D. Le Roulx: les Hosp. à Rh., P.113

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Loc. Cit.; De naberat, PP.59-60

(٥) أنظر : D. Le Roulx; Loc. Cit?;vertot II, P.217

أن البابا منحه للإسبتارية برهانا على اعترافه لهم بالجميل لانهم وافقوا على التنازل لابن أخيه المعروف باسم أمير تورن (le Vicomete de Turenne) عن حصن يقع بجــوار أملاكه يعرف بحصن ديترات (Detrats) مقابل بعض الاراضي التي تنازل لهم عنها بجوار نهر الرون وضمها الى شعبة سان جيل . (١)

وفي الحقيقة لقد ظلت العلاقات طيبة بين الاسبتارية والبابا كليمنت السادس حــتى وفاته في ١٢ ديسمبر عام ١٣٥٢ . (٢) والارجح أن علاقتهم كانت أيضا طيبة مع البابــا انوسنت السادس ـ الذي تولى في ١٨ ديسمبر من نفس العام خلفا للبابا كليمنت السادس ـ (٣) في بداية عهده ، بدليل أنه لم يقبل استقالة السيد الكبير جوزون عندما قدمها له أول مــرة وأرسل اليه خطابا رقيقا يشجعه فيه على الاستمرار في تحمل مسئولياته لهلا ضعف أو وهن ، فلما أصر جوزون على طلب الاستقالة وافق انوسنت السادس عليها في ٤ يوليه عــام ١٣٥٣ وأرسل الى رئيس أساقفة رودس يأمره بأن يعمل على ضمان معاش لجوزون يكفيه للعيــش الكريم بقية سني عمره ، (٤) هذا بقطع النظر عن المنشور الذي أصدره البابا انوسنت الســادس في ٧ مارس ١٣٥٣ للتصديق على جميع الامتيازات والاعفاءات التي منحها أسلافه لهيئــة الاسبتارية ، (٥) باعتبار أن ذلك اجراء تقليدي للبابوات نحو هيئة الاسبتارية .

غير أن الوضع لم يلبث أن تغير قبل أن يكتمل مرور عامين اثنين على تولية البابــا انوسنت السادس . ففي الرابع والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٤٥٤ كتب هذا البابا رسالة الى السيد الكبير بطرس كورنيلان ـ خليفة جوزون ـ أبلغه فيها بأنه اعتمد لديه سفارة مؤلفة

---

(١) أنظر : Vertot II, P.217.

(٢) أنظر : Biliotti, P.162

(٣) أنظر : Ibid: Loc. Cit.

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.112

(٥) أنظر : De naberat, P.60

من ثلاثة من كبار أعضاء هيئة الاسبتارية ، هم هيريديا — الذى أصبح فيما بعد السيد الكبير الثامن للاسبتارية فى جزيرة رودس — وبيما ، وريموند بيرنجر — الذى أصبح السيد الكبير السادس فى هذه الجزيرة — وبطرس كورنيلان — ابن اخ السيد الكبير — عضوين ، لكى يقدموا اليه أوامر البابا ومجمعه المقدس بشأن مستقبل هيئة الاسبتارية . (١)

ومن رسالة أخرى بعث بها البابا انوسنت السادس الى السيد الكبير بطرس كورنيلان فى ١٤ أكتوبر عام ١٤٠٥ — (٢) أى بعد رسالته الاولى بعام واحد وعشرين يوما — يتضح بأن هيريديا وزميليه بيرنجر وكورنيلان عرضوا على مسامع السيد الكبير ، عند وصولهم الى رودس ، شكوى البابا والكرادلة أعضاء مجمعه المقدس من تمادى الاسبتارية فى رودس فى حياة الترف ومهادنة المسلمين بالرغم مما وجه اليهم بسبب ذلك من لوم من جانب البابوات حنا الثانى والعشرين وبندكت الثانى عشر وكليمنت السادس الذين سبقوا انوسنت السادس مباشرة . كما أن هؤلاء السفراء أبلغوا السيد الكبير للاسبتارية رأى البابا انوسنت السادس بأن ثروة الاسبتارية لم تمنح لهم لتبدد فى بناء حوائط لا نفع لها حول مدينة رودس ولكن لتستخدم فى محاربة المسلمين ، وقوله بأن التيوتون الذين كانوا يملكون ثروة أقل من ثروة الاسبتارية أصبحوا يحكمون ، بفضل بعدهم عن حياة الهذخ والكسل التى أنغمس فيها الاسبتارية ،

---

(١) أنظر : Vertot II, D. Le Roulx: les Hopit. à Rh., PP.116-117; pp. 227-228.

(٢) أنظر نص الرسالة فى : Pauli II, PP.91-93 num. LXXIII.

علماً بأن كورنيلان كان قد توفى منذ ٢٤ أغسطس عام ١٣٥٥ ،

(أنظر : D. Le Roulx Op. Cit., P.126.

غير أن البابا لم يكن قد علم بالحدث عندما كتب اليه رسالته فى ١٤ أكتوبر حيث ان نقل الاخبار من الشرق الى الغرب كان يستغرق وقتذاك ثلاثة شهور .

(أنظر : Ibid: Op. Cit., P.127

على شراء عرض مماثل لشراء هؤلاء الاسبتارية • وأخيرا نقل السفراء الثلاثة للسيد الكبير أوامر البابا بضرورة أن ينقل الاسبتارية مركز رئاستهم من جزيرة رودس الى اقليم تركى يستولون عليه ، بحيث يكون من السهل عليهم منه استرداد الارض المقدسة من المسلمين ، والا استعاد منهم البابا أملاك الداوية ومنحها لهيئة عسكرية جديدة يأمر بتأليفها لاستخدامها فى محاربة المسلمين •

ويتبين من هذه الرسالة أيضا أن السيد الكبير بطرس كورنيلان رد على سفراء البابا الثلاثة بأنه لا يستطيع أن ينفذ هذه الاوامر التى أصدرها اليه البابا بسبب خطورتها من غير أن يأخذ رأى المؤتمر الاسبتارى العام الذى سوف يتخذ الاجراءات لعقده فى اقرب فرصة ممكنة •

ويبدو أن البابا ، عندما بلغه رد السيد الكبير ، خشى أن يتم انعقاد المؤتمر الاسبتارى العام فى رودس بعيدا عن اشرافه وامكان تدخله مما يغرى أعضاءه على رفض أوامره بنقل مركز هيئتهم من رودس ، كما خشى أن يعتقد السيد الكبير ومجلسه بأن هيريديا ، حين بلغهما هذه الاوامر ، بالغ فى اظهار نوايا البابا العدائية نحو رئاسة الهيئة مما قد يؤدى الى تراخيهما فى تنفيذها ، ولذا فقد أصدر الامر للسيد الكبير ، فى نهاية رسالته هذه ، بأن يتم انعقاد المؤتمر الاسبتارى العام فى مدينة نيم nimes أو مدينة مونبلييه بفرنسا فى موعد أقصاه أول يناير عام ١٣٥٦ ، واكد له فى الوقت نفسه ، بأن الاقوال التى تكلم بها هيريديا معه كانت تعبيرا دقيقا عن نواياه — أى نوايا البابا — ورغباته •

والواقع انه مما يبعث على الدهشة أن يوجه البابا انوسنت السادس اللوم الى الاسبتارية على اهتمامهم بتحصين عاصمتهم رودس ، ويقول لهم بأن الاجدى من ذلك أن يقوموا بمهاجمة المسلمين فى عقر دارهم ، فماذا يكون الحال فى جزيرة رودس لو أراد المسلمون الرد على هجمات الاسبتارية — وهم قادرون على ذلك — بمحاولة غزو هذه الجزيرة وهى على قدر غير كاف من التحصين للدفاع عنها ! على أن الامر الاكثر غرابة أن يأمرهم هذا

البابا بنقل قاعدتهم الرئيسية من جزيرة رودس ، التى تمتاز بتحصيناتها القوية وموانئها الطبيعى الجيد فضلا عن موقعها " الاستراتيجى " الممتاز بالنسبة للحركة الصليبية التى يعتبر البابا بها نها ، الى اقليم فى آسيا الصغرى قد يستطيعون الاستيلاء عليه من الاتراك ولكنهم لا شك لابد وأن يعيشوا فيه ، إذا امكنهم الاحتفاظ به ، محاصرين من جانب هؤلاء الاتراك الذين يتميزون عليهم بالتفوق الكبير فى العدد على الاقل . ولعل أحسن ما قيل تعليقا على هذا القرار البابوى الغريب قول المؤرخ فرتو (١) بأن من أملى فكرته على البابا ليس الا عدو لهيئة الاسبتارية فضلا عن أنه سياسى غير كفوء ولا دراية له بفن الحرب .

وفى أغلب الظن أن البابا انوسنت السادس حين اتخذ هذا القرار فى سبتمبر عام ١٣٥٤ كان واقعا تحت تأثير عاملين رئيسيين . وأول هذين العاملين وشايات الحزب المعادى لهيئة الاسبتارية فى البلاط البابوى ، وقد عزز ممن انضم اليه من كبار الاسبتارية الذين تأثر نفوذهم بما صدر عن المؤتمر الاسبتارى العام المنعقد فى ٢٠ يونيه عام ١٣٥٤ من قرارات اصلاحية وبخاصة القرار الذى حرم مقدمى الشعب من سلطة تعيين آمرى الآمريات داخل شعبهم وقصر هذه السلطة على مجلس الحكومة فى رودس بعد أخذ رأى السيد الكبير (٢) .
أما العامل الثانى فهو الجزع الذى سببه للبابا عبور الاتراك العثمانيين ، بقيادة الاخير سليمان ابن السلطان أورخان بن عثمان (١٣٢٦ ـ ١٣٥٩) مضيق الدردنيل واستيلائهم على جزيرة غاليبولى (٣) فى عام ١٣٥٤ (٤) ، واعتقاد هذا البابا بأن تواجد الاسبتارية بقوتهم الرئيسية فى آسيا الصغرى ومثابرتهم على مهاجمة أملاك الدولة العثمانية فى أقاليمها

(١) أنظر : Vertot II, P.227

(٢) أنظر : Biliotti, PP.167 -168

بخصوص قرارات هذا المؤتمر العام أنظر Vertot II, PP.223-224 ;D Le Roulx: Les Hosp.à Rh., P. II6

(٣) أنظر : Vertot II, P.226

(٤) أنظر : Baynes & moss: Byzantium, P.47

الاسبوتكفيل بأن يرغم القوات العثمانية التى عبرت الى أوربا على الارتداد للدفاع عن هذه الاملاك ، (١) أو على الاقل يشجع الامبراطور البيزنطى حنا الخامس باليولوجس على أن يظل على قتال هذه القوات الى أن يتم له اجلاؤها (٢) •

ومهما يكن من أمر عوامل اتخاذ هذا القرار ، فقد حدث ، بعد فترة قصيرة من ارساله الى السيد الكبير للاسبتارية فى رودس لتنفيذه ، أن تقدم أمير بيدمونت المدعو يعقوب دى سافوى (J. de Savoie) الى البابا انوسنت السادس يعرض عليه أن يشترى منه امارة أخايا (Achaie)ـ وتقع فى شبه جزيرة الموره ـ التى كان يدعى ملكيتها عن طريق الوراثة من أمه ايزابيلا فيلهاردوان Isabelle de Ville hardouin ولكن حكومتها الفعلية فى يد مدع آخر هو روبرتو الثانى الانجيفى حامل لقب امبراطور القسطنطينية وأمير تارانتو Taranto • (٣) وقد انتهز البابا فرصة تقديم هذا العرض فأعاد النظر فى قراره الخاص بنقل مركز هيئة الاسبتارية من جزيرة رودس الى أحد الاقاليم التركية ، واستقر رأيه ـ بعد أن استشار هيريديا الذى كان يعد نفسه لتولى منصب السيد الكبير للاسبتارية مستقبلا ، ويرى بأن بلاد اليونان وليس رودس هى المكان الذى يستطيع أن يقوم فيه بمغامراته العسكرية ويظهر بطولاته القتالية والسياسية عندما يصل الى هذا المنصب ـ على أن يشترى الاسبتارية امارة أخايا من الامير يعقوب دى سافوى ، بعد أخذ موافقة روبرتو الثانى الانجيفى ، وينقلوا اليها حكومتهم ومؤسساتهم المركزية الاخرى السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها بدلا من الدخول فى محاولات غير مضمونة العواقب لاحتلال اقليم تركى يستقرون فيه ، على أن يكون واجبهم الاول فى أخايا الدفاع عن بلاد

---

(١) أنظر : Vertot II, PP.226-227

(٢) أنظر : Biliotti, P.168

(٣) أنظر : D.Le Roulx: les Hosp. à Rh., pp.131-133, vertot II, P.232.

اليونان عامة اذا حاول الاتراك العثمانيون المرابطون في غاليبولي الزحف اليها من ناحية البر أو هاجمها الاتراك السلاجقة أصحاب امارات منتشة وايدين وصاروخان ومرمره وغيرها من ناحية البحر . [1] ويذكر المؤرخ فرتو بأن البابا انوسنت السادس ــ الذي غير رأيه أيضا فيما يتعلق بالمؤتمر الاسبتاري العام الذي كان ينوي عقده بمدينة نيم أو مدينة مونبلييه في أول يناير عام ١٣٥٦ ، واكتفى بأن عقد في نفس الموعد بمدينة أفنيون جمعية عادية تضمن بعض كبار الاسبتارية المقيمين في الغرب بحكم مناصبهم كمقدمي شعب أو آمري آمريات ــ قدم قراره الاخير لاعضاء هذه الجمعية وأخذ موافقتهم عليه . [2] غير أن هذا المؤرخ يؤكد من ناحية أخرى بأن الاسبتارية المقيمين في رودس لم يستقبلوا القرار ، عندما أبلغ لهم في مارس ١٤٥٦ ، [**] الا بالاشمئزاز ، لانه يطالبهم ــ شأنه شأن القرار الاول ــ بنقل مركز هيئتهم من جزيرة رودس ، وأخذوا يصرحون علنا بأن البابا انوسنت السادس يستغل منصبه كرئيس أعلى لهيئة الاسبتارية لهدم هذه الهيئة . [3]

هذا ولم يلبث البابا انوسنت السادس أن أتى عملا آخر سبب المزيد من الضيق للاسبتارية في رودس . وذلك أن هذا البابا ، أراد أن يكافئ هيريديا ــ مقدم شعبة (قسطلان) أمبوستا ــ على اخلاصه وخدماته له ، فلم يكتف بأن عينه في ٢٥ ديسمبر عام ١٣٥٦ حاكما بابويا على كل من امارة فينيسان (Comptat Venaissin وحاضرتها أفنيون ، ولكن عينه أيضا في منصب اسبتاري كبير هو منصب مقدم شعبة سان جيل بفرنسا . [4] حقيقة سبق للبابا انوسنت السادس أن عين هيريديا ، في ١٤ أكتوبر عام ١٣٥٥

---

(١) أنظر : D. Roulx: Les Hosp. à Rh.,p. 132; Vertot II, P.232

(٢) أنظر : Vertot II, PP.241- 233

(٣) أنظر : Ibid: Op. Cit., P.235

(**) أنظر : D. Le Roulx: OP.Cit., P.131

(٤) أنظر : D. Le Roulx: les Hospt. à Rh., P.132; Vertot II, P. 234.

مقدما لشعبة قشتالة وليون ، (١) ووافقت حكومة رودس ، في ٩ سبتمبر عام ١٣٥٦ ، على هذا التعيين من غير أن يعرف عنها أنها احتجت عليه ، ليس لانها كانت راضية عنه ، فقد سبب لها الضيق لانه من ناحية افتئات على سلطتها ، ومن ناحية أخرى وسع سلطات هيريديا ، ولكن لان شعبة قشتالة وليون التي عين هيريديا مقدما لها كانت شعبة فقيرة ، كما كانت شعبة متمردة لا يتمتع السيد الكبير للاسبتارية في رودس الا بسلطات ضعيفة عليها . (٢) غير أن الامر اختلف عن ذلك بالنسبة لشعبة سان چيل ، فقد كانت هذه الشعبة عند الاسبتارية أهم شعبهم وأكثرها درا للريع لهم ، وكان يلي منصب المقدم فيها — بحكم الدستور — أقدم عضو في هيئة الاسبتارية من طائفة پروڤانس ، ومن ثم كان تعيين البابا انوسنت السادس هيريديا مقدما لهذه الشعبة يشكل اعتداء ليس فقط على دستور هيئة الاسبتارية الذي يعطي سلطة تعيين المقدمين للسيد الكبير ومجلسه دون غيرهما ، ولكن أيضا على حق من الحقوق التي كانت تتمتع بها طائفة پروڤانس داخل الهيئة ، هذا الى جانب ما يقدمه هذا التعيين لهيريديا من اضافة في الثروة والنفوذ بما يسمح له بأن يتمتع بسلطات لا تقل كثيرا عن سلطات السيد الكبير نفسه . (٣)

وقد رأى السيد الكبير روچردي پنز — خليفة كورنيلان المتوفى في ٢٤ أغسطس عام ١٣٥٥ — ومجلس حكومته في رودس ضرورة ابلاغ البابا باعتراضهم على قراره بتعيين هيريديا

---

(١) أول مرة يذكر هيريديا كمقدم لشعبة قشتالة وليون كان في رسالة البابا الى كورنيلان في ١٤ أكتوبر عام ١٣٥٥ .
أرجع الى هذه الرسالة في : Pauli II, P.91, num. LXXIII

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit?, PP. 135 -136.

(٣) أنظر : Ibid, Op. Cit., P. 132.

مقدما لشعبة سان چيل • ومن ثم كلفا سفارة مؤلفة من ثلاثة من كبار الاسبتارية لانجاز هذه المهمة الى جانب مسائل أخرى مهمة معلقة بين حكومة رودس والبابا وعلى رأسها مسألة نقل مركز هيئة الاسبتارية الى امارة آخايا باليونان • ولتسهيل مهمة السفراء الثلاثة لدى البابا فيما يتعلق بهيريديا سمح لهم بابلاغ هذا البابا بأن السيد الكبير أصدر قرارا بتعيين هيريديا في منصب نائب السيد الكبير في الغرب تعويضا له عن منصب مقدم شعبة سان چيل الذى يعترض عليه المجلس • على أن سفراء الاسبتارية عندما وصلوا الى مدينة أڤنيون في مارس عام ١٣٥٧ علموا بأن هيريديا قد باشر بالفعل مهام منصبه الجديد مقدما لشعبة سان چيل قبل شهرين من ذلك وعلى وجه التحديد منذ ٢١ يناير عام ١٣٥٧ • ولما أبلغوا رسالة السيد الكبير للبابا طلب منهم أن يعربوا لهذا السيد الكبير عن امتنانه واعترافه بالجميل لتعيين هيريديا في منصب نائبه في الغرب ، ويؤكدوا له في نفس الوقت اصرار البابا على أن يحتفظ هيريديا أيضا بمناصبه الاخرى ومنها منصب مقدم شعبة سان چيل. ولم يلبث البابا أن كتب للسيد الكبير روچر دى پنز ، في ٢٥ مايو عام ١٣٥٧ ، رسالة قدم له فيها الاعتذار لانه عين هيريديا مقدما لشعبة سان چيل من غير أن ينتظر وصول موافقته اليه مبررا تصرفه بقوله أنه لم يكن يشك أبدا في وصول هذه الموافقة ، ثم أعرب له عن أمله في عدم الاعتراض على الاجراء الذى تم على يد البابا في هذا الشأن وازاء هذا الاصرار من جانب البابا ، لم يجد السيد الكبير ومجلسه مناصا من الاعتراف بالامر الواقع وسمحا منذ ٩ يونيه عام ١٣٥٨ باضافة لقب مقدم سان چيل الى مجموعة الالقاب الاخرى التى يحملها هيريديا — وهى ألقاب قسطلان امپوستا ونائب السيد الكبير في الغرب ومقدم شعبة قشتالة وليون — في سائر المكاتبات الرسمية التى تجريها معه مختلف فروع الادارة برودس[(١)] •

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP.132-134

وقد أشار ڤرتو (Vertot II, P.235) الى هذه الواقعة بشكل عام ومختصر •

هذا ما انتهت اليه مسألة تعيين غيريديا مقدما لشعبة سان جيل • أما فيما يتعلق بمسألة أخايا فقد أبلغ البابا سفراء الاسبتارية الثلاثة عند وصولهم الى أثينون بأنه قد بذل محاولة لدى الامير روبرتو الثاني الانجيفي ، أميرتارانتو ، لاقناعه بالتصريح للاسبتارية بشراء امارة أخايا من أميريد مونت يعقوب دى سافوى ، ولكن المحاولة انتهت الى فشل ، وطلب منهم التوجه الى مدينة نابلى حيث يقيم روبرتو الثاني لمحاولة اثنائه عن التمسك برأيه. غير أن اثنين من السفراء الثلاثة اعتذرا عن القيام بهذه المهمة ، وبرر أحدهما اعتذاره بأن التعليمات التي تسلمها من السيد الكبير تأمره بأن يعود مباشرة الى رودس بعد انتهاء مهمته في أثينون ، على حين برر ثانيهما اعتذاره باضطراره للسفر الى المانيا لانجاز بعض المهام التي تهم الاسبتارية فيها وكلفه السيد الكبير بانجازها • أما عضو السفارة الثالث فقد وافق على السفر الى نابلى صحبة القاصد البابوى برنارد رئيس أساقفة سالرنو ، ولكنهما لم



بلبثا أن غدا منها الى أثنيون بجران أذيال الفشل • (١)

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P. ;133

وجدير بالذكر أن الاسبتارية عندما أصبح هيريديا سيدا كبيرا عليهم طمعوا فى بسط سيادتهم على المورة فى بلاد اليونان • وقد بدءوا فى عام ١٣٧٧ بالحصول على امارة أخايا كرهن لمدة خمس سنوات من صاحبتها آنذاك ملكة نابلى جوانا الاولى Joanna I (Miller, P.308) واذا كانوا قد تنازلوا عن حقهم فى الامارة قبل انتهاء السنوات الخمس (١٣٨١) — بسبب افلاسهم — لما عرف باسم الشركة النفارية الكبرى التى تغلبت وقتذاك على المنطقة (miller, P.317) ؛ فانهم لم يلبثوا أن اشتروها فى ٢٤ يناير عام ١٣٨٧ من المدعوة مريم البريطانية Marie de Bretagne والدة الطفل لويس الثانى الانجيفى الذى آلت اليه الامارة آنذاك بالوراثة ، ولكن البابا كليمنت السابع رفض الموافقة •
أنظر : D. Le Roulx; Op.Cit.PP.221-223 ; Miller, PP.318-319

وفى عام ١٤٠٠ اشترى الاسبتارية — فى عهد رئيسهم دى نيلاك ، خليفة هيريديا — أملاك البيزنطيين فى شبه جزيرة المورة ، وهى قيادة كورنثه وقيادة كالافريتا Kalavryta وامارة مسترا mistra ، من حاكمها الامير ثيودور الاول باليولوجس — أخى الامبراطور مانويل الثانى ، الذى عرض على الاسبتارية أن يشتروها بسبب حاجته للمال ومرضه وخوفه من سقوطها فى يد العثمانيين • وقد وضع الاسبتارية يدهم بالفعل على كورنثه حيث اشتروا سكوت الاهالى اليونانيين بتقديم مختلف المنح لزعمائهم • ولكن عندما وصل وكلاء الاسبتارية الى مدينة اسبرطه عاصمة امارة مسترا كاد أن يفتك بهم الاهالى — وهم ارثوذكس بيزنطيون أعداء الكاثوليك ومنهم الاسبتارية — لولا أن انقذهم منهم مطران المدينة وقد أدى تطور الاحداث على هذا الوضع الى الاتفاق بين ثيودور والاسبتارية عام ١٤٠٤ على الغاء المبايعة ليس بالنسبة لامارة مسترا فقط ولكن أيضا بالنسبة لكورنثه وكالافريتا على أن يرد ثيودور للاسبتارية أموالهم ويتنازل لهم عن مدينة سالونا والتى لم يلبث أن استولى الاتراك عليها منهم •

(D. Le Roulx: Op. Cit., PP.277-281 ,301; miller, PP.368-370)

وهكذا انفرجت الازمة التى نشبت بين الاسبتارية فى رودس والبابا انوسنت السادس بسبب قراره بنقل مقر هيئة الاسبتارية من جزيرة رودس وتعيين هيريديا مقدما لشعبة سان جيل . على أن انفراجها لم يساعد تماما على تنقية جو العلاقات بين الطرفين بسبب اصرار البابا على حماية هيريديا ومناصرته على حكومته التى يرأسها روجر دى بنز فى رودس بالرغم من تمادى هيريديا فى تحدى أوامر هذه الحكومة وقوانين الهيئة التى ينتمى اليها . ومن ذلك أن السيد الكبير روجر دى بنز أرسل الى هيريديا فى ١٥ يونيه عام ١٣٥٨ ـ أى بعد أن اعترف به مرغما مقدما لشعبة سان جيل بستة أيام فقط ـ يستدعيه للحضور الى رودس ليدافع عن نفسه ضد تهم اغتصابه حقوق الخزانة فى رودس فى دخول الشعب التى يرأسها ، وادارة الآمريات التى تشغر بوفاة آمريها داخل هذه الشعب ، وتركات هؤلاء الآمرين المتوفين . غير أن هيريديا لم يكترث بأمر الاستدعاء اعتمادا على تأييد البابا له . ومن ثم أرسل السيد الكبير فى عام ١٣٥٩ الى مدينة أفنيون سفارة مؤلفة من عضوى مجلس حكومته اللذين يليانه مباشرة فى المرتبة ـ وهما الآمر الكبير والمارشال ـ طلبت من البابا السماح لها بمحاكمة هيريديا وفق قوانين هيئة الاسبتارية . غير أن البابا رفض هذا الطلب وشكل لجنة من ثلاثة من الكرادلة المتعاطفين مع هيريديا لفحص التهم الموجهة له ومحاولة الوصول الى تسوية بشأنها مع سفيرى الاسبتارية، وكان أن اصدرت هذه اللجنة حكمها ببراءة هيريديا وعدم اثارة المسألة مرة أخرى . ولم يلبث البابا أن أرسل الى السيد الكبير روجر دى بنز ، فى ٨ فبراير عام ١٣٦٠ يطلب منه اعفاء هيريديا من الاموال المدين بها لصالح الخزانة فى رودس ، لانه لم ينفقها الا فيما ينفع الكنيسة والكرسى البابوى . ولم يجد روجر دى بنز أمامه فى هذه المرة أيضا الا أن يخضع لامر البابا ويصدر ، فى ٢٠ مارس عام ١٣٦١ قرارا باعفاء هيريديا من جميع ديونه للخزانة .(١)

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., pp.137-139,

وفى الحقيقة فان الجفوة بين الاسبتارية فى رودس والبابا انوسنت السادس ظلت قائمة الى أن توفى هذا البابا فى عام ١٣٦٢ ، وخلفه البابا أربان الخامس (١٣٦٢ — ١٣٧٠) فى ٦ نوفمبر من هذا العام . ولكن حدث فى ٢٩ مارس من العام التالى — أى فى عام ١٣٦٣ — أن وصل الى مدينة أفنيون الملك القبرصى بطرس الاول لوزجنان — فى نطاق جولة كبرى قام بها فى أوروبا ابتداء من ٢٤ أكتوبر عام ١٣٦٢ وحتى شهر يوليه عام ١٣٦٥ لطلب المساعدة من حكامها له فى اعداد حملة صليبية ينوى القيام بها ضد دولة سلاطين المماليك فى مصر والشام — وأبلغ البابا بمشروع هذه الحملة وبموافقة السيد الاكبر للاسبتارية على الاشتراك فيها ، وربما أيضا توسط لديه لصالح هيئة الاسبتارية (١) . وكان أن غيرت البابوية من سياستها العدائية ازاء هذه الهيئة ، وقدم لها البابا أربان الخامس كل مساعدة ممكنة من أجل حل مشاكلها المالية والادارية حتى تتفرغ كلية للقيام بالدور العسكرى المنتظر منها أن تؤديه فى الحملة الصليبية جنبا الى جنب مع ملك قبرص . ومن الامثلة على ذلك أن البابا طلب فى ٢٧ أغسطس عام ١٣٦٣ من حكام أوروبا التدخل لارغام رؤساء بيوت الاسبتارية فى دولهم على تسديد المبالغ المستحقة لديهم للخزانة فى رودس ، وأصدر أمره فى ١٠ أكتوبر من نفس العام الى مقدم شعبة قشتالة — وكان منشقا على رئاسة الاسبتارية فى رودس — بعدم التخلف عن حضور المؤتمر الاسبتارى العام المقرر عقده فى ٢٥ مارس عام ١٣٦٤ فى مدينة مونبلييه بفرنسا صحبة جميع ما عليه من مستحقات مالية لرودس حتى ذلك التاريخ (**) (٢) . كما أن هذا البابا أصدر قرارا فى ٨ يناير عام ١٣٦٥ ، هدد فيه متمرد آخر على السلطة المركزية فى رودس ، هو فيتال

---

(١) أنظر : Atiya; The Crus. in the lat. mid. ages, PP.330-331

(٢) أنظر : D. Le Roulx:Les Hospit. à Rhodes, PP.142-143.

(**) اسمه جوتر جوميز الطليطلى Guter gomez de Tolede وكان مغتصبا للسلطة فى الشعبة من مقدمها الشرعى هيريديا .
ارجع فيما يتعلق بقصة هذا الاغتصاب الى : Ibid:Op. Cit?, PP.137-138.

أمر أساقفة الكنيسة الكاثوليكية بأن يرفع اليه كل منهم تقريرا وافيا عن حالة بيوت الاسبتارية الواقعة داخل نطاق أبروشيته بعد اجراء تحقيق دقيق عن سير الامور فيها حتى يمكنه الاهتداء الى أسباب الفساد الحقيقية في هذه البيوت (١) . وحدث بعد وفاة السيد الكبير ريموند بيرنجر في ١٦ فبراير عام ١٢٧٤ وتولية روبرت چويلي مقدم شعبة فرنسا خلفا له — أن تلقى كل من البابا جريجوري الحادي عشر والسيد الكبير الجديد — ولم يكن قد غادر فرنسا الى رودس بعد — شكاوى من مجلس الاسبتارية في جزيرة رودس ضد أعضاء هيئة الاسبتارية المقيمين في هذه الجزيرة متهما اياهم باستغلال طلبات استدعاء مدبرة الى البلاط البابوي للتهرب من القيام بواجباتهم في رودس ، وشكاوى أخرى من هؤلاء الاعضاء ضد المجلس متهمين اياه بعدم اتخاذ جانب العدالة أو مراعاة لقانون الاقدمية عند قيامه بتعيين مقدمي الشعب وآمري الآمريات ، وعند اجتماعه للنظر في الشكاوى التي يرفعها الاسبتارية أحدهم ضد الاخر أمام محكمته . ولتسوية هذا النزاع أصدر البابا في ٣ أكتوبر عام ١٣٧٤ منشورا نص على الغاء جميع ما اتخذ في المجلس منذ وفاة السيد الكبير ريموند بيرنجر ، وما يتخذ فيه قبل وصول دي چويلي الى رودس ، من قرارات متعلقة بالتعيينات في الوظائف الشاغرة ، ومن أحكام في المنازعات بين الاسبتارية ، كما نص على شجب لسلوك الاسبتارية الذين يسعون للحصول على طلبات استدعاء بابوية الى أفنيون تهيء لهم الفرصة للتهرب من القيام بواجباتهم في رودس ، وعلى أمر للمجلس بعدم النظر الى هذه الطلبات بعين الاعتبار عند اعطاء تصاريح سفر من رودس للاسبتارية في المستقبل (٢) . هذا ولم يلبث البابا جريجوري الحادي عشر أن وجد نفسه مضطرا في عامي ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ للتدخل مرة اخرى لاحباط حركة تمرد قام بها كل من مقدم شعبة انجلترا ، ومقدم شعبة

---

(١) أنظر :). Le Roulx: Les Hosp. à Rh, P.170

(٢) أنظر : ›id, Op. Cit?, p. 187. ; vertot II, PP.248-249.

قشتالة ، ومقدم شعبة البرتغال ، ونائب مقدم شعبة هنغاريا ، بمساندة مليكه ضد سلطة الحكومة المركزية التى يرأسها دى چوبلى فى رودس • ومن الثابت أن هذا التدخل أدى الى عودة المقدمين المتمردين فيما عدا نائب مقدم شعبة هنغاريا الذى ظل على تمرده الى أن تولى البابا كليمنت السابع (١٣٧٨ ـ ١٣٩٤) فى أفنيون ـ خلفا للبابا جريجورى الحادى عشر الذى توفى فى عام ١٣٧٨ ـ فأصدر فى ١٨ أبريل عام ١٣٧٩ قرارا بتعيينه مقدما لشعبة لمباردیا مقابل تخليه عن شعبة هنغاريا للمقدم حنا ريفيرا الذى عينه عليها مجلس الاسبتارية • (١)

وفى الحقيقة لقد ظلت العلاقات بين الاسبتارية فى رودس والبابا كليمنت السابع على متانتها التى كانت عليها فى عهد سلفه البابا جريجورى الحادى عشر • ومن المعروف بأن الاسبتارية عقدوا بمدينة رودس فى مارس عام ١٣٨٣ مؤتمرا عاما برئاسة السيد الكبير هيريديا قرروا فيه بمحض ارادتهم ـ ضمن قرارات أخرى ـ أن تدفع هيئة الاسبتارية نصيبها فى الضريبة التى فرضها البابا كليمنت السابع على جميع المسيحيين الذين ناصروه على منافسه أربان السادس (١٣٧٨ ـ ١٣٨٩) بابا روما ، وهو ما يتعارض مع امتيازات الهيئة التى تعفيهم من دفع أية ضرائب للكنيسة ، ويثبت بأن حكومة الاسبتارية فى رودس كانت وقتذاك على استعداد للتضحية مؤقتا ببعض امتيازاتها لصالح البابا الذى شايعته مساهمة منها فى تعزيز مركزه أمام منافسه اربان السادس ، (٢) ولانها كانت فى حاجة اليه لمساعدتها على الخروج من ضائقتها المالية التى أوقعها فيها امتناع مقدمى الشعب الذين ناصروا بابا روما ـ وهى الشعب الموجودة فى ايطاليا والمانيا وانجلترا والبرتغال ـ عن ارسال الاموال المطلوبة منهم سنويا للخزانة فى رودس ، وتحويل هذه الاموال الى حكومة السيد الكبير المنافس ، ريتشارد كاراتشولو Richard Caracciolo ، الذى عينه عليهم أربان السادس ، وكذا توقف بعض مقدمى الشعب الذين ظلوا على ولائهم لحكومة هيريديا عن ارسال

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh, PP.192 -198; Vertot II, PP.253 - 254.

(٢) أنظر : D. Le Roulx : Op. Cit. , P. 217

تصيب هذه الحكومة فى دخول شعبهم (١) ، وذلك عن طريق قيامه بالضغط على هؤلاء المقدمين الاخيرين لكى يرسلوا الاموال المطلوبة منهم لرودس مستخدما فى ذلك نفوذه المستمد من امكانه اصدار قرار الحرمان ضدهم وتأليب أمراء الدول التى يعملون فيها عليهم ، وعن طريق التصريح لحكومة رودس بأن تتصرف فى بعض أملاك الاسبتارية بالبيع أو الرهن أو الايجار طويل الامد (٢) ، علما بأن رودس كانت وقتذاك فى مسيس الحاجة للكثير من المال لمواجهة خطر التهديد العثمانى المتزايد ضد مستعمراتها أزمير (٣) . وعلى أى حال فان البابا كليمنت السابع لم يتأخر عن تنفيذ كل ما طلبه منه السيد الكبير هيريديا من أجل توفير هذا المال . يضاف الى ذلك أنه بفضل هذا البابا تمكن هيريديا من عقد ثلاث جمعيات للاسبتارية فى مدينة أفنيون ـ الاولى فى عام ١٣٩٠ والثانية فى عام ١٣٩٢ ، والثالثة فى عام ١٣٩٣ ـ اتخذت فيها القرارات المالية والادارية المناسبة لاصلاح الاوضاع فى هيئة الاسبتارية ، وتمكينها من أن تظل واقفة على أرجلها بالرغم من حركة الانشقاق التى حدثت فيها نتيجة لوقوع الانشقاق فى الكنيسة الكاثوليكية العامة (٤) .

وعندما توفى البابا كليمنت السابع فى عام ١٣٩٤ منح الاسبتارية فى رودس تأييدهم لخليفته البابا بندكت الثالث عشر (١٣٩٤ ـ ١٤١٧) الذى تولى فى نفس هذا العام بمدينة أفنيون . غير أنه حدث فى ٢٥ مارس عام ١٤٠٩ أن افتتحت أولى جلسات مجمع كنسى كاثوليكى عقد فى مدينة بيزه الايطالية لمحاولة الاهتداء الى وسيلة

---

(١) أنظر : Vertot II, PP.290-292.

(٢) أنظر : De naberat, PP.57 , 62; D. Le Roulx: les Hospit. a Rh, P.184

(٣) أنظر : D. Le Roulx:Op.Cit., P.220

(٤) لمعرفة تفاصيل هذه القرارات ارجع الى :
De Le Roulx:Op.Cit?, PP.225-234 ; vertot II, PP. 292-293

لا سيما الانشقاق الكبير الذى أصيبت به الكنيسة الكاثوليكية منذ عام ١٣٧٨ . وتسهيلا لبلوغ هذه الغاية قرر أعضاء المجمع فى جلسة ٥ يونيه (عام ١٤٠٩) خلع كل من البابوين المتنافسين وقتذاك ـ وهما بابا أفنيون بندكت الثالث عشر ، وبابا روما جريجورى الثانى عشر ـ وتعيين بابا واحد مقره روما هو البابا اسكندر الخامس (١٤٠٩ ـ ١٤١٠) الذى تم تتويجه بالفعل فى ٢٦ يونيه من نفس العام . ولقد رفض كل من البابوين المخلوعين الامتثال لقرار خلعه مما ترتب عليه قيام ثلاث بابوات بدلا من بابوين . غير أن السيد الكبير للاسبتارية فلبيرت دى نيلاك Philibert de Maillac ـ الذى تولى بعد وفاة هيريديا فى عام ١٣٩٦ ، وكان ضمن أعضاء مجمع بيزه صحبة ستة عشر فارسا اسبتاريا عهد اليهم تولى مسئولية الحراسة فى المجمع ـ أيد صراحة البابا اسكندر الخامس الذى عينه مجمع بيزه ، كما أن مجلس الاسبتارية فى رودس بعث فى ٢٠ نوفمبر عام ١٤٠٩ برسائل الى البابا اسكندر الخامس ومجمع الكرادلة المقدس والسيد الكبير دى نيلاك يعلنون فيها تأييدهم المطلق لهذا البابا (١) .

وكان من الطبيعى أن يرد البابا اسكندر الخامس الجميل للسيد الكبير دى نيلاك فاعترف به ـ فى منشور بابوى خاص ـ سيدا كبيرا أوحد للاسبتارية (٢) ، ولهيئة الاسبتارية نفسها فصدق لها ـ بمقتضى عدة منشورات صدر بعضها فى ٣٠ يوليه عام ١٤٠٩ والبعض الاخر فى ١٠ أغسطس عام ١٤٠٩ أيضا ـ على جميع امتيازاتها وحقوقها القديمة (٣) .

ومن ناحية أخرى دعا البابا اسكندر الخامس ، فى ٢٠ أغسطس عام ١٤٠٩ ، لعقد

(١) أنظر : ...tot II, PP.370 - 374.

(٢) أنظر ...ot II, P.374; D. Le Roulx: op. Cit, P.307.

(٣) أنظر : ...i II, PP.113-114, num. X cl;
...aberat P.66; D. Le Roulx: OP. Cit?, P.307 n. 2

مؤتمر اسبتاري عام تتخذ فيه القرارات المناسبة لتمزيز الوحدة التى أخذت تسود بالفعل الى صفوف الاسبتارية لها بالتدريج منذ أوائل القرن الخامس عشر . وقد افتتحت اولى جلسات هذا المؤتمر — الذي انعقد في مدينة إكس بإقليم بروفانس (aix en provence) بناء على أمر البابا — في ١٩ أبريل عام ١٤١٠، وفيها تم انتخاب ثلاثة من مقدمـــــى الشعب — هم مقدم شعبة أوفرن ومقدم شعبة لمبارديا ومقدم شعبة تولوز — لرئاسة المؤتمـــر بالتناوب في حضور ممثل البابا في هذا المؤتمر ، وهو الكاردينال بطرس د يفورى Pierre de vaury ، نيابة عن السيد الكبير دى نيلاك الذى كلفه البابا اسكندر الخامس بمهمة دبلوماسية هي التوسط في الصلح بين كل من ملك فرنسا شارل السادس وملك انجلترا هنري الرابع ومن المعروف أن جلسات دورة هذا المؤتمر قد استغرقت خمسة أسابيع (١٩ أبريل — ٢٣ مايو) ، وأهم ما تقرر فيها — بقطع النظر عن القرارات الاخرى — الاعتراف بجميع القوانـــين والقرارات ، بما فيها القرارات الخاصة بالتعيينات في الوظائف الكبرى ، التى أصدرها كـل من البابويين المتنافسين — وهما بابا أفنيون بندكت الثالث عشر ، وبابا روما جريجورى الثانـي عشر ، بشأن هيئة الاسبتارية ، فانتهى بذلك عهد الانشقاق في هذه الفرقة (١) .

وكان البابا اسكندر الخامس قد توفي في أول مايو عام ١٤١٠ قبل انفضاض هذه الدورة للمؤتمر العام ، وخلفه البابا حنا الثالث والعشرون (١٤١٠ — ١٤١٥) الذى تم انتخابه في اليوم السابع عشر من نفس الشهر . وقد استقبل الاسبتارية انتخاب هذا البابا بنفـــس الحماس الذى استقبلوا به انتخاب سلفه اسكندر الخامس (٢) . غير أن البابا حنا الثالـــث والعشرين ، في الوقت الذى صدق فيه للاسبتارية على جميع امتيازاتهم العامة ، أباح لنفسه (٣)

---

(١) أنظر التهنئة التى أرسلها اليه مجلس الاسبتارية بمناسبة انتخابه في :
D. Le Roulx; Les Hosp. à Rh, PP.307-314; Vetrot II, PP.374-377.

(٢) أنظر : Pauli II, PP.114-115 ,num XClll.

(٣) أنظر : D. Le Roulx; Les hosp. à Rh, P.323 ; De naberat pp. 66-67.

حق تعيين مقدمى الشعب وآمرى الآمريات من غير أن يحصل على موافقة السيد الكبير للاسبتارية ومجلسه الاعتيادى ، وهما الجهتان الوحيدتان اللتان قررت لهما القوانين هذا الحق . وكان هذا البابا ينتهز فرصة موت أى مقدم أو آمر فيعين بدلا منه من يدفع لمن فرسان الاسبتارية مبلغا أكبر من المال من غير مراعاة لشرط الاقدمية فى عضوية هيئة الاسبتارية الذى نصت عليه قوانين هذه الهيئة بشأن ملء هذه الوظائف ، وأحيانا من غير مراعاة لشرط العضوية نفسه . (١) وقد أرسل اليه مجلس الاسبتارية فى ٦ نوفمبر عام ١٤١٠ خطابا طلب فيه منه أن يترك أمر تعيين مقدمى الشعب وآمرى الآمريات للسيد الكبير ومجلسه وفق نصوص قوانين هيئة الاسبتارية ، (٢) كما أن السيد الكبير دى نيلاك لفت نظره شخصيا فى العام التالى الى خطورة هذا الامر (٣) ومع ذلك لم يغير من سياسته ، بل انه فى عام ١٤١٢ عين على الآمرية الكبرى فى قبرص آمرا طفلا عمره خمس سنوات ، هو لويس الابن غير الشرعى للملك القبرصى جانوس ، وذلك بعد أن وافق على قبول هذا الطفل عضوا فى هيئة الاسبتارية (٤) التى تحرم قوانينها قبول عضوية من يقل عمره عن الثمانية عشر عاما . (٥) وكان أن أرسل مجلس الاسبتارية فى رودس خطابا ثانيا الى البابا حنا الثالث والعشرين ، فى ٦ نوفمبر عام ١٤١٢ ، أنذره فيه بأن فرسان الاسبتارية المقيمين فى جزيرة رودس عقدوا العزم على هجر هذه الجزيرة والعودة الى أوطانهم الاصلية للعيش فيها بين ذويهم اذا لم يترك البابا أمر شغل وظائف مقدمى

---

(١) أنظر D. Le Roulx: Op. Cit., PP.323 -324; Vertot II, PP. 380- 382 ; Biliotti, P.201.

(٢) أنظر : Pauli II, PP.115-116, num.XCIV.

(٣) أنظر : D. Le Roulx; Op.Cit., P.324.

(٤) أنظر : Hill II, PP.462 -463 ; vertot II, P.382

(٥) أنظر : Les statuts, Titre 2 , P. 9.

الشعب وآمري الآمريات تتم وفق قوانين هيئة الاسبتارية • وقد أحس البابا مما جاء في هذا الخطاب ، ومن أقوال السيد الكبير دى نيلاك له في مقر اقامته بمدينة فرارا الايطاليـة ، بعنف حركة التذمر بين فرسان الاسبتارية ، ورأى أن من الحكمة تهدئة هذه الحركـة ، فوافق على الغاء قراره الخاص بمنح الآمرية الكبرى في قبرص للطفل لويس ،ولكنه رفض في الوقت نفسه أن يعيد للملك جانوس المبلغ الذي كان قد استلمه منه ثمنا للآمرية ــ ومقداره على ما قيل أربع عشرة ألف دوكات ــ فأضطر الاسبتارية الى دفعها للملك في عام ١٤١٤ ، بالاضافة الى مبلغ آخر مقداره ستة آلاف فلورنتي دفعوها للبابا مقابل موافقته على الغـاء القرار • (١) كما أن هذا البابا رفض أن يتنازل عن ادعائه الخاص بأحقيته في تعيين رؤساء بيوت الاسبتارية بصفته راعيا ورئيسا أعلى لهم • (٢)

وعلى أي حال فقد عزل البابا حنا الثالث والعشرون في ٢٩ مايو عام ١٤١٥ على يـد مجمع كنسي كان قد عقد في مدينة كولستانس Constance الالمانية منذ ٥ نوفمبر عام ١٤١٤ لغرض العمل على انهاء حركة الانشقاق الكبير في الكنيسة الكاثوليكية بعـد أن فشل مجمع بيزه الذي عقد في عام ١٤٠٩ في تحقيق هذا الغرض • وقد ضغط مجمـع كونستانس أيضا على البابوين الآخرين المنافسين للبابا حنا الثالث والعشرين ، وهما البابا جريجوري الثاني عشر الذي اضطر الى تقديم استقالته للمجمع في ٤ يوليه عام ١٤١٥ ، والبابا بندكت الثالث عشر الذي رفض أن يقدم استقالته فعزله المجمع في ٢٦ يوليه عام ١٤١٧ • ولم يلبث المجمع بعد ذلك أن شكل لجنة من ثلاثين عضوا ، جميعهم من رجال الديـن ، وأحدهم كان مقدم دير رودس ، للتعاون مع الكرادلة الثلاثة والعشرين أعضاء المجمع المقدس في عملية انتخاب بابا واحد يحل محل البابوات الثلاثة المعزولين • وقد عقدت لجنـة

---

(١) أنظر : Vertot II, PP.382 -384; Biliotti, P.202; Hill II, P.463 ; D. le Roulx:Les Hosp. à Rh., P.324.

(٢) أنظر : D. Le Roulx:Op. Cit, P.325

الثلاثين عضوا أولى اجتماعاتها المشتركة مع أعضاء المجمع المقدس في ٨ نوفمبر عام ١٤١٧ ، وظلت هذه الاجتماعات أربعة ايام متواصلة الى أن انتهت في يوم ١١ نوفمبر عام ١٤١٧ بانتخاب البابا مارتن الخامس (١) Martin V (١٤١٧ — ١٤٣١) .

وقد انتهز السيد الكبير دى نيلاك فرصة تولية البابا مارتن الخامس فحصل منه في ٢٢ ديسمبر عام ١٤١٧ على خمسة من المناشير البابوية التى كانت هيئة الاسبتارية في حاجة اليها وقتذاك لتقوية النظام الذى زعزعته حركة الانشقاق في داخلها ولتوطيد العلاقات بينها وبين البابوية . وقد تضمن أول هذه المناشير تجديدا لجميع الامتيازات التى منحها الباباوات المختلفون لهيئة الاسبتارية منذ انشائها بما فيها الامتيازات التى صدرت من الباباوات المتنافسين خلال فترة الانشقاق الكبير في الكنيسة (١٣٧٨ — ١٤١٧) ، على حين تضمن المنشور الثانى بطلان جميع ما تم في أملاك الاسبتارية من عمليات رهن ، والثالث بطلان ما تم في هذه الممتلكات من عمليات بيع أو غيرها خلال فترة الانشقاق ، والرابع الغاء جميع التعيينات في مناصب مقدمى الشعب وآمرى الآمريات التى تمت بطريقة تتعارض مع نصوص قوانين هيئة الاسبتارية ، بما فيها التعيينات التى تمت بأوامر الباباوات ، والخامس تحريم أى اعتداء على الاسبتارية في أشخاصهم أو أملاكهم (٢) .

وليس أدل على أن البابا مارتن الخامس لم يصدر هذه المناشير الخمسة الا عن اقتناع بمضمونها من أنه ما كاد يعلم في أول يوليه عام ١٤١٨ بأن سلفه البابا حنا الثالث والعشرين قد أتى مخالفة لقوانين هيئة الاسبتارية بأن كلف كاردينالا بالتحقيق في شكوى تقدم بها اليه — أى الى البابا — فارسان اسبتاريان ، حتى أصدر أمره بسحب هذه الشكوى من الكاردينال المذكور وتحويلها الى جهة الاختصاص التى نصت عليها تلك القوانين وهى السيد الكبير للاسبتارية ومؤتمرهم العام . كذلك أصدر هذا البابا

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh, pp.329 - 335.

(٢) أنظر : Ibid, Op. Cit, P.336. ; De naberat, p.67.

في ١٣ ديسمبر عام ١٤١٩ منشورا بابويا نص صراحة على أنه ليس من سلطته تعيين رؤساء بيوت الاسبتارية أو تأييد أى من هؤلاء الرؤساء يكون قد طلب منه مباشرة ، وليس عن طريق السيد الكبير ، أن يتدخل لصالحه في أمرها • وفي نفس اليوم أصدر البابا مارتن الخامس منشورين آخرين قضى أحدهما بمنع قبول الابناء غير الشرعيين في عضوية هيئة الاسبتارية الا اذا كانت تجرى في عروقهم الدماء الملكية ، وقضى الثاني بالغاء جميع الامتيازات البابوية التي استغلها بعض رؤساء بيوت الاسبتارية في التهرب من تسديد التزاماتهم المالية للخزانة في رودس • (١)

على أن البابا مارتن الخامس ، بالرغم من ذلك ، لم يكف هو وكرادلته عن التدخل بالوساطة لدى رئاسة الاسبتارية في رودس لصالح بعض فرسان الاسبتارية الراغبين في الحصول عن طريقهم على مناصب ادارية هامة ، سواء مركزية في رودس أو اقليميه في الشعب ، من غير أن تتوفر فيهم الشروط التي نصت عليها قوانين هيئة الاسبتارية لتعيينهم فيها ، ويبدو أن مارتن الخامس وكرادلته تمادوا في هذا النوع من التدخل في عهد السيد الكبير أنطوان فلوفيان (١٤٢١ ــ ١٤٣٧) ، خليفة دى نيلاك ، مما دعا المؤتمر الاسبتاري العام المنعقد في رودس برئاسة هذا السيد الكبير ، في ١٠ مايو عام ١٤٢٨ ، الى اصدار قرار ينص على عدم السماح لاى عضو في هيئة الاسبتارية بأن يغادر مقر اقامته في جزيرة رودس أو في شعب الاسبتارية المختلفة لغرض التوجه الى مدينة روما مقر البابا من غير أن يحصل على اذن السيد الكبير أو الوكيل العام لهيئة الاسبتارية في البلاط البابوي • (٢)

---

(١) أنظر : D. Le Roulx : les hosp. à Rh., PP.344-345;

(٢) أنظر : Vertot II, PP.411-412 ; Biliotti, P.209.

ولمعرفة طريقة تعيين الوكيل العام للاسبتارية في البلاط البابوي •

أنظر : Les statuts, Titre 13, P.120

وعلى أى حال فقد كان توافد فرسان الاسبتارية للاقامة فى البلاط البابوى بغية الحصول عن طريقه على مناصب هامة لهم فى هيئتهم ظاهرة قديمة • ومن ناحية أخرى فقد ظلت هذه الظاهرة قائمة حتى نهاية عهد الاسبتارية بجزيرة رودس • ولعل من شواهد ذلك أن البابا بيوس الثانى Pius II (١٤٥٨ ـ ١٤٦٤) أصدر منشورا بابويا فى ٣ يونيه عام ١٤٦٢ ـ بناء على طلب السيد الكبير القائم بالحكم فى رودس وقتذاك وهو زاكوستا (١٤٦١ ـ ١٤٦٧) ـ حرم فيه الحصول على عضوية هيئة الاسبتارية أو على أى منصب قيادى فى الشعب المختلفة الا عن طريق السيد الكبير للاسبتارية وفق لوائح وقوانين الهيئة ، كما حرم على أعضاء هذه الهيئة البقاء طويلا حول أمراء أوروبا يتملقونهم بغية أن يساعدوهم فى الحصول على مناصب مقدمى بيوت الاسبتارية الموجودة فى اطارتهم بطرق غير شرعية لا تتفق وقوانين الهيئة • ومن هذه الشواهد أيضا ان البابا سكستوس الرابع Sixtus IV (١٤٧١ ـ ١٤٨٤) صادق فى ٢٥ يونيه عام ١٤٧٢ ، أى فى عهد السيد الكبير أورسينى (١٤٦٧ ـ ١٤٧٦) خليفة زاكوستا ، على ما جاء فى قرار البابا بيوس الثانى ، (١) وأن البابا انوسنت الثامن (١٤٨٤ ـ ١٤٩٢) خليفة سكستوس الرابع ـ أصدر منشورا بابويا ، فى ٢٨ مارس عام ١٤٨٩ ، أى فى عهد السيد الكبير دوبيسون وبناء على طلبه ولا شك ، تنازل فيه عن سلطة البابا فى تعيين مقدمى شعب الاسبتارية الشاغرة ، وأكد بأن هذه السلطة يملكها السيد الكبير للاسبتارية وحده • (٢)

ومهما يكن من أمر هذه الظاهرة فقد برزت خلال تلك الفترة نفسها ظاهرة أخرى كان لها أكبر الاثر فى العلاقة بين البابوية وحكومة الاسبتارية فى رودس هى ظاهرة لجوء بعض فرسان الاسبتارية من مقدمى الشعب وآمرى الآمريات الى البابا يشكون له من بعض تصرفات السيد الكبير ومجلسه الضارة بهم ، ويطلبون منه أن يتدخل لانصافهم • وقد وضح أثر هذه

---

(١) أنظر : De Naberat, P.74.

(٢) أنظر : Pauli II, PP.160-164num. CXXXVI,

الظاهرة فى عهد السيد الكبير حنا لاستيك) (١٤٣٧ ـ ١٤٥٤) حيث أرسل اليه البابا نقولا الخامس (١٤٤٧ ـ ١٤٥٥) فى عام ١٤٤٨ رسالة أبلغه فيها بأن عددا كبيرا من رؤساء بيوت الاسبتارية فى أوربا تقدموا اليه بشكاوى تنص على أن السيد الكبير فرض عليهم بطريقة استبدادية دفع عائد عن البيوت التى يديرونها أكبر من العائد المعتاد دفعه (Les responsions) ، وبأنهم عززوا شكاواهم بتقديم نسخة له من مجموعة القوانين التى أصدرها المؤتمر الاسبتارى العام فى دورته الاخيرة المنعقدة فى رودس قبل ثلاث سنوات ـ أى فى عام ١٤٤٥ ـ تظهر نصوصها بجلاء بأنهم على حق فى التقدم بشكاواهم ضده . وبعد أن وبخ البابا فى هذه الرسالة السيد الكبير حنا لاستيك على عدم احترامه هذه القوانين طلب منه ضرورة مراعاة التقيد بها فى تصرفاته المستقبلة . غير أن حنا لاستيك لم يلبث أن رد على البابا نقولا الخامس ، ٢٣ أكتوبر عام ١٤٤٨ ، فى رسالة وقع عليها معه جميع أعضاء مجلس حكومته ، يقول فيها بأن قرار رفع قيمة العائد الذى اشتكى منه بعض مقدمى بيوت الاسبتارية لم يصدر عنه وانما صدر عن المؤتمر العام المنعقد فى رودس فى عام ١٤٤٥ للمساعدة فى تسديد الديون التى أضطر الاسبتارية الى افتراضها لتعويض الخسائر التى لحقت بهم نتيجة وقوع غزوة مصرية مملوكية كبرى على جزيرتهم رودس فى العام السابق لانعقاد هذا المؤتمر (أى فى عام ١٤٤٤) ، وبأن البابا يوجين الرابع (١٤٣١ ـ ١٤٤٧) ـ الذى خلفه نقولا الخامس ـ قد صدق على هذا القرار بعد أن تأكد من صدق حسابات حكومة الاسبتارية حول تكاليف تلك الغزوة . أما عن مجموعة القوانين التى قدمها للبابا أصحاب الشكاوى وبعث بها هذا البابا الى السيد الكبير صحبة رسالته اليه ، فقد ذكر حنا لاستيك بأنه وأعضاء المجلس قد فحصوها بأنفسهم مطابقة على النسخة الاصلية المحفوظة ضمن وثائق الحكومة ، واتضح لهم بأن الفرسان الذين رفعوها للبابا قد حرفوا بعض نصوصها بما يخدم ادعاءاتهم ضده . هذا وقد هاجم دى لاستيك فى رسالته للبابا هؤلاء الفرسان متهما اياهم بالهروب من حياة الديرية الصارمة فى أديرة البيوت التى وضعوا على رأسها ، وبأنهم بدلا من البقاء فى هذه البيوت لادارتها على الوجه

الامثل ، غادروها من غير الحصول على اذنه ليعيشوا حياة الرخاوة والرغد فى روما ، كما اتهمهم بالحرص على عدم الحضور الى رودس ، وبأنهم اذا جاءوا اليها لا يبقون فيها سوى مددا قصيرة تفاديا لعدم العيش فى ظل القوانين الصارمة السائدة فيها ، وتجنبها لانفسهم شر مقاتلة المسلمين • وختم دى لاستيك رسالته بأن رجا البابا ارسال المقدمين الذين اشتكوه الى رودس ليتعلموا من اخوانهم المقيمين فيها من أعضاء هيئة الاسبتارية كيف تكون الحياة الحقة للفارس الاسبتارى • ولم تقع تطورات لهذا الحادث مما يدل على أن البابا بقولا الخامس قد اقتنع بما جاء فى دفاع لاستيك عن نفسه ضد التهمة الموجهة اليه (١) •

غير أن حادثا مشابها لهذا الحادث لم يلبث أن وقع فى عهد السيد الكبير زاكوستا (١٤٦١ — ١٤٦٧) حيث تقدم بعض مقدمى الشعب وآمرى الآمريات العاملين فى ايطاليا وأرغونه — عن طريق أمراء الدول التى يعملون فيها ، وبخاصة دوج البندقية كرستوفورو مورو Cristoforo Moro (١٤٦٢ — ١٤٧١) وملك نابلى فرديناندو الاول (١٤٥٨ — ١٤٩٤) وملك ارغونة حنا الثانى (١٤٥٨ — ١٤٧٩) — للبابا بولس الثانى (١٤٦٤ — ١٤٧١) بشكاوى يتهمون فيها هذا السيد الكبير بالاستبداد فى الحكم وبأنه فرض عليهم دفع ضريبة استثنائية من غير وجه حق لا لشىء الا لاثراء نفسه على حسابهم. وكان أن أرسل البابا الى زاكوستا يأمره بأن يتخذ الاجراءات الضرورية لتغيير مقر انعقاد المؤتمر الاسبتارى العام ، الذى كان زاكوستا قد دعا لعقده فى مدينة رودس ، الى مدينة روما ، بحجة رغبته فى الاشراف بنفسه على سير المناقشات فيه ، ولكن لغرض حقيقى هو احضار زاكوستا الى روما لمحاكمته بطريقة تحفظ له كرامته فى شيخوخته على التهم المنسوبة اليه • ولم يلبث أن عقد هذا المؤتمر العام فى روما فى شهر فبراير عام ١٤٦٧ ، وفيه دافع زاكوستا عن سياسته مؤكدا بأنها متفقة تماما مع نصوص قوانين هيئة الاسبتارية ، وبأن الضريبة غير الاعتيادية التى اشتكى منها بعض رؤساء بيوت الاسبتارية فرضها المؤتمر الاسبتارى العام

---

(١) أنظر : [D]elaville Le Roulx, Rhodes ... ertot II, PP.427-430; Biliotti, P. 217.

فى دورته السابقة التى عقدت قبل خمس سنوات أى فى عام ١٤٦٢ ٠ وقد شهد بعض أعضاء المؤتمر من فرسان الاسبتارية المشهود لهم بالنزاهة ،وعلى رأسهم بطرس دوبيسون الذى أصبح فيما بعد سيدا كبيرا للاسبتارية ، لصالح زاكوستا أمام البابا الذى حضر بنفسه بعض جلسات المؤتمر ،وانتهى الامر بحصول زاكوستا على تأييد جميع أعضاء المؤتمر وعلى رضاء البابا بولس الثانى ٠ ولم يلبث البابا أن بحث مع السيد الكبير فيما يلزم اتخاذه من الاجراءات لرد مقدمى الاسبتارية المتمردين الى الطاعة وارغامهم على دفع الضريبة المطلوبة منهم ، كما أن هذا البابا ألقى أمام أعضاء المؤتمر العام خطبة حث فيها هؤلاء الاعضاء على اصدار ما يلزم من القوانين التى تلزم الاسبتارية على التزام جانب الحياة الفاضلة ٠ هذا ومن المعروف بأن زاكوستا توفى بمدينة روما ، فى ٢١ فبراير عام ١٤٦٧ ، ودفن بأمر البابا بولس الثانى فى كنيسة القديس بطرس بهذه المدينة مما يدل على أن هذا البابا قد رد الاعتبار بالكامل للسيد الكبير للاسبتارية ٠ وكان المؤتمر الاسبتارى العام المنعقد وقتذاك فى روما قد فض دورته بعد أن انتهى من بحث جميع أعماله ، ولكنه عاد الى الاجتماع مرة أخرى بمجرد الانتهاء من مراسيم دفن زاكوستا لانتخاب سيد كبير جديد خلفا لزاكوستا (١) فوقع اختياره فى ٤ مارس على مقدم شعبة روما أورسينى ربما بتزكية من البابا بولس الثانى ، والكاردينال أورسينى قريب السيد الكبير المنتخب ٠ (٢)

ولم يقع فى عهد أورسينى (١٤٦٧ ــ ١٤٧٦) ما يمكن أن يكون قد عكر صفو العلاقات بينه وبين البابوية فى روما ٠ غير أن الامر يختلف عن ذلك فى عهد خليفته بطرس دوبيسون (١٤٧٦ ــ ١٥٠٣) الذى وقعت الجفوة بينه وبين اثنين من الباباوات المعاصرين

---

(١) أنظر : Bouhours, PP.29-31; Biliotti, PP.237-239.

(٢) أنظر : De Naberat, P.73

له هط البابا انوسنت الثامن (١٤٨٤ ـ ١٤٩٢) ثم خليفته البابا اسكندر السادس ، (١٤٩٢ ـ ١٥٠٣) . وفى الحقيقة لم يكن البابا انوسنت الثامن ـ وهو سليل أسـرة سيبو Sibo الجنوية ـ غريبا عن جزيرة رودس التى يحكمها دوبيسون ، فقد ولد والده وعاش فيها . وعندما تولى هذا البابا منصبه كتب رسالة الى دوبيسون يبلغه فيها بأمـر توليته . وقد خاطبه فى هذه الرسالة بالابن المحبوب (dilecto filio) وتوسل اليه بأن يصلى ويقدم النذور الى الله ليمنح البابا بركات السماء ، ثم أكد له بأنـه سوف يجده دائما على استعداد لتلبية جميع طلباته التى من شأنها أن تحقق المجد لـه ولهيـئة الاسبتارية التى يرأسها .(١) ومن ناحية أخرى جدد البابا انوسنت الثامن لهيـئة الاسبتارية امتيازاتها العامة(٢) ، والاوامر البابوية الهادفة الى حماية أملاكها وخاصة ما ينص منها على تحريم التصرف فى هذه الاملاك بالبيع أو الرهن أو الاستبدال أو التأجير لمدى الحياة الا باذن البابا مع الغاء جميع ما تم من هذه العمليات من غير الحصول على هـذا الاذن .(٣) أضف الى ذلك أن هذا البابا قلد المسئول الدينى فى مجلس الاسبتـارية (رئيس الكنيسة) ونوابه سلطات دينية لم يتنازل البابوات عادة عن مثلها الا نادرا مـن أمثلتها غفران الخطايا ورفع العقاب بالقطع أو الحرمان من الكنيسة والاحلال من تأديـة القسم والنذور فيما عدا النذر بالطاعة والفقر والعفة الذى تستلزمه عضوية هيئة الاسبتارية ، وتأدية الصلاة فى الاماكن الواقعة تحت قرار الحرمان ، واستخدام مذبح متنقل يمارسـون فوقه الشعائر الدينية أينما يحلون فى البر أو البحر ، وغير ذلك من السلطات الدينيـة .(٤)

---

(١) أنظر : Pauli II, PP.155-156, Num. CXXX; Bouhours, PP. 150-151

(٢) ارجع الى منشور أول أبريل عام ١٤٨٥ ، ومنشور ١٤ يوليه عام ١٤٨٦ ، ومنشـور ١٠ مايو عام ١٤٨٧ فى De naberat , PP.76 -77

(٣) أرجع الى منشور ٢٩ ديسمبر عام ١٤٨٩ فى Ibid:Op. Cit., P.77

(٤) أنظر : Bouhours, P.152; Thuasne, P.130

هذا بخلاف المنح التي جاد بها انوسنت الثامن على دوبيسون وهيئة الاسبتارية ثمنا لقيام دوبيسون ، في عام ١٤٨٩ ، بتسليم الامير العثماني جم — وكان قد لجأ الى رودس ، قبل ذلك بسبع سنوات ، أي في عام ١٤٨٢ ، فارا من وجه أخيه السلطان بايزيد الثاني — للبابا ، وأهمها تقليد دوبيسون لقب كاردينال باسم القديس أدريان ولقب نائب بابوي عـام في آسيا والشرق ، وضم هيئات القبر المقدس ، والقديس لعازر ، وبيت لحم ، والناصـرة ، وبيت مونتموريلون (mont morillon) — التابع لهيئة القديس أوغسطين فـي أبروشية بواتييه — بعد الغائها الى هيئة الاسبتارية .(١)

على أنه حدث بعد ذلك — وعلى وجه التحديد في ٣٠ نوفمبر عام ١٤٩٠ — أن وصل الى روما قاصد عثماني اسمه مصطفى بك أرسله السلطان بايزيد الثاني للتفاهم مع البابا فيما يتعلق باقامة جم في روما ، التي كان قد وصل اليها منذ ١٣ مارس عام ١٤٨٩ بعـد أن وافق دوبيسون على تسليمه للبابا . وقد أبلغ هذا القاصد البابا بأن دوبيسون تسـلم من بايزيد مبالغ مالية تزيد كثيرا عما اتفق عليه الطرفان في معاهدة مكتوبة بينهما وذلك فـي مقابل اعالة وحراسة جم . وكان دوبيسون قد أخبر البابا بأن بايزيد يدفع لكل سنة مبـلغ أربعين ألف دوكات . ولكن البابا كان يشك في قوله فيما يتعلق بمقدار المبلغ نتيجـة ما استقاه من أخبار كاذبة من مصادر أخرى منها تجار فلورنسا في تركيا ، ثم قوى الشك لديه نتيجة تصريح القاصد التركي مصطفى بك . وكان أن أرسل البابا الى دوبيسون يوبخـه ويطلب منه ضرورة أن يرسل اليه نص الاتفاقية المعقودة بينه وبين بايزيد بشأن جم . وفـي نفس الوقت وجه انوسنت الثامن اللوم للرودسة على ما أكده له مصطفى بك من كـذب

---

(١) أنظر : Pauli II, PP.157-159 num. CXXXIV; PP. 160-164 num. CXXXVl; De naberat, P.76; Bouhours, PP.162-164; Thuasne, PP.227, 238.

ادعائهم بأن بايزيد طلب منهم ضرورة بقاء جم تحت حراستهم الخاصة بالرغم من انتقال مقر اقامته الى روما .(١) والارجح أن دوبيسون أرسل الى البابا نص الاتفاقية الذى طلبه منه طالما أنه كان قد ذكر له الصدق فيما يتعلق بمضمونها . وعلى أى حال فمن الثابت أن دوبيسون قدم للبابا انوسنت الثامن فى يوليه عام ١٤٩١ تقريرا شاملا ضمنه الوثائق المتعلقة بالامير جم منذ لجوئه الى رودس فى عام ١٤٨٢ حتى وصوله الى روما فى ١٣ مارس عام ١٤٨٩ ، وكشف حساب بالاموال التى تسلمها من بايزيد خلال هذه الفترة على أساس المبلغ المحدد فى الاتفاقية المعقودة بينهما وهو مبلغ أربعون ألف دوكات سنويا .(٢)

هذا ما كان من أمر البابا انوسنت الثامن مع الاسبتارية فى رودس وسيدهم الكبير دوبيسون . وقد توفى هذا البابا فى ٢٥ أغسطس عام ١٤٩٢ وخلفه البابا اسكندر السادس الذى ابتهج الاسبتارية فى رودس لتوليته لانه كان قبل أن يشغل منصب البابوية يقوم بدور المحامى عنهم بين زملائه الكرادلة الاخرين أعضاء المجمع المقدس .(٣) غير أن البابا اسكندر السادس الذى صدق ، شأنه شأن البابوات الذين سبقوه ، فى آخر يوليه عام ١٤٩٤ ، على سائر الامتيازات العامة لهيئة الاسبتارية ، والاوامر البابوية الهادفة الى الحفاظ على أملاك هذه الهيئة -(٤) لم يلبث أن اجترأ على امتياز سبق أن أصدر سلفه البابا انوسنت الثامن منشورا خاصا بالتصديق عليه لاهميته القصوى عند الاسبتارية ، هو انفراد السيد الكبير للاسبتارية مشتركا مع مجلس حكومته بسلطة تعيين مقدمى الشعب وآمرى الآمريات ، فعين ابن أخيه الايطالى ، لويس بورجيا ، مقدما لشعبة قطالونيا من غير أن يأخذ رأى دوبيسون الذى كان يحتفظ بهذا المنصب لفارس اسبتارى قديم ، اسمه فرانسوا دبوزولا Françis de Bosola ينتمى الى طائفة ارغونه

(١) أنظر : Thuasne, PP.139-140, 271 , 276 -281

(٢) أنظر : De naberat, P.78

(٣) أنظر : Thuasne, PP.303 - 307 ؛ Bouhours, P.17 2

(٤) أنظر : De naberat, P.79 .

وقطالونيا التي تعطيها قوانين الهيئة وحدها حق شغل هذا المنصب . وكان من الطبيعي أن يرفض دوبيسون الموافقة على تصرف البابا ، ويطلب من ملك ارغونه وقشتالة فرديناند الخامس الشهير بالكاثوليكي أن يتوسط لديه في هذا الامر . وقد استجاب اسكندر السادس لوساطة فرديناند الخامس فألغى قرار تعيين ابن أخيه مقدما لشعبة قطالونيا ، ولكنه لم يتنازل عن ادعائه بأن من سلطته تعيين كبار موظفي هيئة الاسبتارية بوصفه رئيسا أعلى لها ، كما أنه لم يلبث أن مارس هذه السلطة التي يدعيها بالفعل بتعيين آمرين على بعض الآمريات الشاغرة من غير أن يعبأ بأي من الاحتجاجات التي رفعها اليه دوبيسون حول هذا الامر (١) .

وعلى أي حال لم يلبث هذا البابا أن توفي في عام ١٥٠٣ ، الذي توفي فيه أيضا السيد الكبير دوبيسون . وقد تولى في الفترة التي تلت ذلك ، وامتدت حتى أول يناير عام ١٥٢٣ حيث أرغم الاسبتارية على الجلاء عن رودس على يد السلطان العثماني سليمان الثاني ، ثلاثة بابوات في روما هم على التوالي : يوليوس الثاني Julius II (١٥١٣ — ١٥١٣) ، وليو العاشر Leo X (١٥١٣ — ١٥٢١) ، وأدريان السادس Adrian VI (١٥٢٢ — ١٥٢٣) . ونحن نعرف بأن أول هؤلاء البابوات — وهو يوليوس الثاني — قد أصدر قرارا في ٢٧ يونيه عام ١٥٠٥ — بناء على طلب السيد الكبير المعاصر له ايمري دامبواز (خليفة دوبيسون) — جدد بمقتضاه قرار البابا انوسنت الثامن المتعلق بضم هيئات القبر المقدس والقديس لعازر وبيت لحم والناصرة وميمونتموريلون لهيئة الاسبتارية (٢) . ونعرف أيضا بأن نفس البابا كرم هيئة الاسبتارية في عهد السيد الكبير جاي دي بلا نشفورت — خليفة دامبواز — بتعيين أمير البحر الاسبتاري كاريتو (Carretto) ، الذي أصبح سيدا كبيرا للاسبتارية في رودس بعد وفاة جاي ، قائدا للحرس في المجمع الكنسي العام الذي افتتحه البابا

---

(١) أنظر : Bouhours, PP.179-180; Biliotti, P.272

(٢) أنظر : Pauli II, P.172 num. CXLIV; De naberate , P.80.

الاسبتارية فى رودس • ومن المعروف أن البابا انوسنت الثالث (١١٩٨ ـ ١٢١٦) قد أوصى الاسبتارية فى ٢٠ نوفمبر عام ١١٩٨ ـ أى عندما كان مقر رئاستهم فى فلسطين ـ بأن يساعدوا ملك قبرص عمورى لوزجنان Aimery de Lusignan (١١٩٨ ـ ١٢٠٥) فى الدفاع عن جزيرته ضد هجمات المسلمين •(١) وما أن تلقى الاسبتارية هذه التوصية حتى أرسلوا بعض قواتهم الى جزيرة قبرص حيث استقرت فى بعض قلاعها التى وضعها الملك عمورى تحت تصرفهم ، فكان ذلك على الارجح نقطة البداية فى العلاقات بين هيئة الاسبتارية وآل لوزجنان بقبرص•(٢) وفى سبتمبر عام ١٢١٠ منح الملك القبرصى هيو الاول (١٢٠٥ ـ ١٢١٨) ـ خليفة عمورى ـ هيئة الاسبتارية امتيازات خاصة هامة منها حق اقتناء الاراضى ، وطحن الغلال فى الطواحين الملكية ، والاعفاء من دفع الرسوم الجمركية على الصادرات والواردات ، فضلا عن منحها أراضى ومنازل فى مدينة ليماسول ، وأربع ضياع ، أهمها ضيعة كولوسى Kolossi التى أقام فيها الاسبتارية قلعة حصينة وجعلوا منها مركزا لما عرف باسم الآمرية الكبرى •(٣)

وهكذا تشكلت نواة ثروة الاسبتارية فى جزيرة قبرص ، التى دارت حولها فى بعض الاحيان علاقاتهم مع حكام هذه الجزيرة من آل لوزجنان •وقد أخذت تلك الثروة منذ ذلك

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Cartulaire I, P.655 no 1044

(٢) أنظر : Hill II P.30.

(٣) أنظر D.Le Roulx: Cartulair II, P.1217, no. 1354, ; D.Le Roulx: Les Hospit. En T.S., PP.149 - 150. ; mas-latrie I, PP.190-191

ويجدر التنويه بأن الاسم كولوسى نسبه الى اسم صاحبها الاصلى الذى اخذها منه الملك هيو الاول بعد أن دفع له تعويضا عنها وهو Garinus De Colos

أنظر : Hill II, P.30, N.5

الحين فى الاتساع عن طريق الشراء (١) • واذا كان الملك هنرى الثانى لوزجنان (١٢٨٥ — ١٣٢٤) قد حرم عليهم وعلى الداوية — بعد قليل من لجوئهم الى جزيرته قبرص على أثر طردهم من الشام فى عام ١٢٩١ — اقتناء المزيد من الاراضى والعقارات فى هذه الجزيرة (٢)، فان البابا كليمنت الخامس لم يلبث فى عام ١٣١٢ أن عوضهم عن ذلك بتوريثهم أملاك هيئة الداوية فى قبرص بعد أن ألغى هذه الهيئة (٣) • ولعل أهم ما اشتملت عليه هذه الاملاك من الاراضى والعقارات كنيسة المعبد والبيت الملحق بها فى مدينة نيقوسيا ، وكنيسة القديس أنطوان والبيت الملحق بها فى مدينة فاماجوستا ، وقلعة جاستريا gastria وعدة ضياع كبرى كل منها محصنة بقلعة تحميها (٤) •

ومهما يكن من أمر أملاك الاسبتارية فى جزيرة قبرص ، فقد كانت هذه الاملاك فى الواقع تشكل عاملا هاما من عوامل قيام علاقات الود بين الاسبتارية فى رودس وبيت لوزجنان فى قبرص • ومن هذه العوامل أيضا عامل الجوار ، حيث تقع كل من دولتيهما بالقرب من الاخرى ، وعامل وحدة المصير ، حيث تقف الدولتان جنبا الى جنب فى مواجهة عدو مشترك يتمثل فى

---

(١) ربما كان من ذلك أراضى فى ابيسكوبى — بجوار كولوسى — شيد فيها الاسبتارية قلعة ظلت قائمة حتى القرن ١٦ أنظر : Hill II, P.24

(٢) أنظر : Vertot II, P.24; Hill II,P.198

(٣) أنظر : Amadi, P.395;Hill II pp.273 -274.

(٤) أنظر : Mas- Latrie II, PP.109-110
Hill II, PP.22-23, 274;Hill III , P.644 n. 2.

علما بأن أهم هذه الضياع ثلاث ، منها اثنتان تقعان فى اقليم بافوس هما ضيعتا فينيكا وأنوجيرا اللتان شكل منهما الاسبتارية ما عرف باسم الآمرية الصغرى ، وضيعة المعبد أو تمبروس Tembros التى شكل منها الاسبتارية آمرية قائمة بذاتها بالقرب من مدينة كيرينيا • أما بقية أملاك الاسبتارية فى قبرص وما ورثوه عن الداوية — فيما عدا الضياع الثلاث المذكورة — فقد كانت ضمن الآمرية الكبرى •

أنظر :
MaslatrieIII, PP.59 , 87; D.Le Roulx:Les Hosp. à Rhodes, PP. 24-25.

جيرانهما المسلمين ، وبخاصة المماليك في مصر والشام ، والاتراك في آسيا الصغرى ، وهو عدو قوي يرغب في اخضاعهما بحكم كونهما يمثلان رأس جسر يتقدم نحو أراضيه للحركة الصليبية الاوربية العاملة بتعصب ضده . يضاف الى هذه العوامل أن كلا الطرفين ينتميان الى طبقة اجتماعية واحدة هي طبقة الاشراف الاوربية ، والى مذهب ديني واحد هو المذهب الكاثوليكي برئاسة البابا ، والى عنصر قومي واحد هو العنصر الفرنسي الخالص بالنسبة لآل لوزجنان ، والمتحالف مع أقليات أيبيرية وايطالية وانجليزية وألمانية مع دوام السيادة للعنصر الفرنسي بالنسبة للاسبتارية ، هذا الى جانب أن كلا منهما مستعمرة بحكم رعية تختلف عنه في الدين — حيث تدين بالارثوذكسية البيزنطية — وفي الجنس حيث أن الغالبية فيها من اليونانيين والاقلية من اللاتين .

وفي محاولة لتتبع العلاقات بين الطرفين الاسبتاري الرودسي واللوزجناني القبرصي منذ عام ١٣٠٦ — وهو العام الذي بدأ فيه الاسبتارية محاولاتهم لفتح جزيرة رودس — نجد أن السيد الكبير فولك دي فيلاريه قد اشترك ، قبل أن يخرج من جزيرة قبرص للقيام بهذه المحاولات ، وعلى وجه التحديد في ٢٩ أبريل عام ١٣٠٦ ، مع السيد الكبير للداوية وأساقفة قبرص ، في محاولة ناجحة لاقرار الصلح بين الملك هنري الثاني وأخيه عموري لوزجنان — حامل لقب أمير صور (١) .

ومن المعروف أيضا بأن الاسبتارية قد توسطوا مرة أخرى ، بالاشتراك مع أساقفة قبرص وممثلي الهيئات الدينية الاخرى ، في الصلح بين الملك هنري وأخيه عموري ، في عام ١٣٠٨ ، وانتهت وساطتهم في هذه المرة بموافقة الملك على تعيين عموري حاكما لقبرص مدى الحياة (٢) .

وقد حدث في ٤ فبراير عام ١٣٠٩ ، أو عام ١٣١٠ ، أن تمكن عموري وأنصاره من الافصال من ارغام الملك هنري الثاني على مغادرة الجزيرة والتوجه الى أرمينيا الصغرى

---

(١) أنظر : Macheras, PP.29-36; Hill II, PP.220-222.

(٢) أنظر : Amadi, P.262; Hill II, PP.229-230.

حيث قام ملكها أوشين Oshin — وهو أخو زوجة عمورى ابزابيل — بحجزه فى حصن لامبرون Lambron (١) . وما أن وصل هذا الخبر الى حكومة الاسبتارية فى رودس حتى أرسلت الآمر الكبير جاى دى سفيراك الى مملكة أرمينيا (٢) لتدبير أمر ارجاع هنرى الثانى الى قبرص مع الملك الارمينى أوشين وللاتصال بالملك هنرى للاستفسار منه عن حالته . وقد منح الملك أوشين الآمر الكبير للاسبتارية مقابلة هنرى الثانى فى سجنه ، ولكنه سمح بوصول رسالة من هذا الملك الى الآمر الكبير يعلن فيها العفو عمن يرجع الى طاعته ممن ألحقوا به الاذى ، ويأمر رعاياه فى جزيرة قبرص بأن يطيعوا السيد الكبير للاسبتارية كنائب عنه فى حكم جزيرتهم الى حين عودته من أرمينيا . وعندما وصل سفيراك الى الميناء القبرصى فاما جوستا ، عائدا من أرمينيا ، فى ٥ يونيه عام ١٣٠٩ أو عام ١٣١٠ (٣) ، قيل له بأن الحاكم عمورى ثائر ضد الاسبتارية متهما اياهم بالانحياز الى جانب أنصار أخيه الملك هنرى الثانى ، ففضل البقاء فى سفينته الى أن ينجلى الموقف . ولم يلبث أن علم فى نفس اليوم بنبأ اغتيال عمورى ، ولكنه لم يغادر سفينته الا فى اليوم التالى عندما أرسل زعيم الحزب المناصر للملك من أهالى قبرص يستدعيه لابلاغ أعضاء هذا الحزب بنتائج رحلته الى أرمينيا . وقد أطلع سفيراك هؤلاء الاعضاء على الرسالة التى حملها اياه لهم الملك هنرى

---

(١) أنظر : Amadi, PP.320-325-Macheras, PP.37-38,

(٢) يقول أمادى (ص ٣٣٦) بأن الآمر الكبير أرسل الى أرمينيا من قبل السيد الكبير للاسبتارية ، وهذا حقيقى اذا كان الحادث وقع فى عام ١٣١٠ كما ذكر أمادى . ولكن اذا كان الحادث قد وقع فى عام ١٣٠٩ كما ذكر ماكيراس (ص ٣٩) فلا بد أن مجلس الاسبتارية هو الجهة التى أرسلت الآمر الكبير الى أرمينيا حيث كان السيد الكبير فى عام ١٣٠٩ فى أوربا . أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S, P.279

(٣) عن التاريخ ٥ يونيه عام ١٣٠٩ (أنظر : Hill II, P.246) وعن التاريخ ٥ يونيه عام ١٣١٠ (أنظر : Amadi, pp.329-331) . ويلاحظ بأن المؤرخ دى ماس لاتري يؤيد أمادى ، وبأن ماكيراس (Macheras, P.39.) ذكر بأن التاريخ هو ٥ مارس ١٣٠٩ .

الثاني كما ذكر لهم بأن الملك الارميني أوشين اشترط لاطلاق سراح هنري بأن يأتيه سفيراك بخطاب من عموري يوافق فيه على ذلك • وكان أن كلف أنصار الملك هنري الآمر الكبير للاسبتارية بالعودة الى أرمينيا صحبة اثنين من الفرسان القبارصة • لمطالبة الملك أوشين من جديد بأن يطلق سراح هنري الثاني بعد أن توفى أخوه عموري • وما أن وصلت السفينة التى تقل هؤلاء السفراء الى ميناء مالونا malona الارميني • حتى تسلل منها الفارس القبرصي نونو للو ـ الذى كان قبلا يناصر عموري • ثم أقسم يمين الولاء للملك هنري ربما بعد أن أغتيل عموري ـ الى داخل المدينة وأشاع بين الناس أن عموري وزوجته ايزابيل أخت الملك أوشين وأطفالهما أغتيلوا جميعا على يد أنصار هنري بمساعدة الاسبتارية • فهرعت جموع الأرمينيين الذين صدقوا الاشاعة الى الميناء للقبض على الآمر الكبير للاسبتارية ورفاقه ولكنهم أخفقوا بسبب تحصن هؤلاء فى سفينتهم • ولم يلبث سفيراك أن كتب من هذه السفينة رسالة الى الملك أوشين أكد له فيها بأنه لم يأت اليه يشر وانما لابلاغه بخبر موت عموري ولرجائه باطلاق سراح الملك هنري • وقد رد عليه ملك أرمينيا معربا له عن استعداده لتحقيق رغبته فى اطلاق هنري اذا أتى له سفيراك برسالة من أخته ايزابيل أرملة عموري تؤكد له فيها سلامتها وأطفالها • وكان أن عاد سفيراك الى فاما جوستا حيث أبلغ الأنصار الموالين للملك هنري بنتائج رحلته الى أرمينيا • ثم غادرها الى جزيرة رودس لاطلاع السيد الكبير فولك على هذه النتائج (١) • على أن الآمر الكبير للاسبتارية لم يلبث أن رجع مرة أخرى الى فاما جوستا فى ٢٦ يونية عام ١٣١٠ على رأس قوة مؤلفة من أربعين فارسا اسبتاريا • بكامل عدتهم وأسلحتهم وخيولهم • قرر فولك تعزيز أنصار

---

(١) أنظر : Amadi, PP.336 - 337.

الملك هنرى بهم ، وبما رد اعى انسحاب الداوية فى قهورالى الاخصان المتمردين على (١) هذا الملك ، أو رغبة منه فى تسديد ضربة قوية لهؤلاء الاخصان ، الذين وضح ضعف (٢) موكزهم بعد موت زعيمهم عمورى واعلان مدن فاما جوستا وبافو وليماسول ولاءها للملك ، فيضطرون الى انهاء تمردهم • وفى الحقيقة ازداد مركز أنصار الملك هنرى قوة بفضل هذه المساعدة الاسبتارية حتى أن غرماء هم المتمركزين فى مدينة نيقوسيا أرسلوا اليهم يعربون لهم عن رغبتهم فى التفاوض معهم من أجل الصلح ، فردوا عليهم بالرفض وبأنهم عازمون على التقدم الى نيقوسيا لادخالها فى طاعة الملك بالقوة • (٤) وعندما وصل هذا الرد الى الاخصان المتمردين انسحبوا من نيقوسيا الى مدينة مجاورة اسمها كورماكيتى ormakiti رأوا أن من الاسهل عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم فيها مما لو ظلوا فى نيقوسيا ، فأرسل أنصار الملك الى نيقوسيا قوة مؤلفة من خمسين فارسا قبرصيا ، الى جانب أربعين فارسا اسبتاريا بقيادة آمر الآمرية الكبرى — وكان وقتذاك ألبرت الالمانى — فاحتلوا مواقعهم فيها فى ٢٢ يوليه عام ١٣١٠ (٥) • وبعد يومين من ذلك — أى فى يوم ٢٤ يوليه عام ١٣١٠

---

(١) أنظر : adi, P.354

(٢) أنظر : e Roulx: Les Hospit. en T.S., P.281; Hill II, P.2?2

(٣) عن الاحداث التى أدت الى عودة هذه المدن الثلاث الى طاعة هنرى • أنظر :

di ?, PP.333 - ?35

(٤) أنظر : madi, PP. 361 - 364

(٥) أنظر : madi, PP.364 - 367

عقد اجتماع في القصر الملكي بنيقوسيا ضم أنصار الملكة وفرسانها وأعيانها ، حيث قرأ عليهم الفارس رولاند و د بلابوم Rolando de la Baume نص الرسالة التي كان سفيراك قد أحضرها من الملك هنري سجين أرمينيا قبل اغتيال عموري ، وأمر فيها الملك أنصاره بالامتثال لاوامر السيد الكبير للاسبتارية كنائب له في حكم قبرص الى أن يعود اليها. وبعد يومين آخرين — أي في يوم ٢٦ يوليه — وصل الى جزيرة قبرص تعزيز اسبتاري يود سي جديد بقيادة المارشال ومقدمي شعب فرنسا وألمانيا والبندقية ، فارتفع بوصوله عدد أفراد القوة الاسبتارية بجزيرة قبرص الى ثمانين فارسا اسبتاريا وعشرين تابعا للفرسان ومائتين من الجند المشاة (١) . هذا وقد حدث خلال الشهر التالي — أي شهر أغسطس عام ١٣١٠ — أن استقر الرأي عند أنصار الملك هنري ، بما فيهم الاسبتارية ، على ارسال ايزابيل أرملة عموري وأطفالها الى أرمينيا لافساد الحجة التي كان يتذرع بها أخوها أوشين للاستمرار في احتجاز الملك هنري لديه . وقد عارضت ايزابيل في بداية الامر في سفرها الى أرمينيا ، غير أنها أضطرت في النهاية الى أن ترضخ للامر الواقع بعد أن هددها الآمر الكبير للاسبتارية بحملها الى تلك المملكة بالقوة اذا ظلت على عنادها (٢) . ومن ثم لم يجد الملك أوشين مندوحة من أن يفرج عن هنري الثاني الذي لم يلبث أن وصل الى ميناء فاماجوستا بقبرص في ٢٧ أغسطس عام ١٣١٠ ، ومنها توجه الى العاصمة نيقوسيا فوصل اليها في ١٠ سبتمبر من نفس العام في موكب يتألف من ألف وثمانمائة فارس قبرصي وسبعين فارسا اسبتاريا وأربعة آلاف من الجند المشاة (٣) .

وهكذا انتهى الصراع على الحكم في جزيرة قبرص الذي وقف فيه الاسبتارية في بداية الامر على الحياد ، ولكنهم لم يلبثوا أن انضموا الى أحد طرفيه وهو الملك هنري الثاني ،

---

(١) أنظر : Amadi, PP.368 - 371.

(٢) أنظر : Amadi, PP. 375 - 377

(٣) أنظر : Amadi, PP. 380 - 383.

صاحب السلطة الشرعية فى الجزيرة ، ضد الطرف الاخر ، وهو عمورى أخو هنرى ، مغتصب السلطة . وفى الحقيقة لقد ظلت العلاقات الوثيقة قائمة بين الاسبتارية فى رودس وبيت لوزجنان فى قبرص حتى نهاية عهد هذا البيت فى الجزيرة . ومن المعروف بأن البابا حنا الثانى والعشرين أرسل فى عام ١٣١٧ يوبخ الملك هنرى الثانى لانه عوق وصول محاصيل أملاك الاسبتارية فى قبرص وأموالهم الى رودس فى ذلك العام الذى شحت فيه الاقوات فى رودس ، ويطلب منه أن يسهل وصولها (١) ، ولكن يمكن تفسير هذا التصرف من الملك هنرى برغبته فى رد الجميل للسيد الكبير فولك الذى ناصره فى صراعه ضد عمورى ، وذلك بمعاقبة أعدائه بين فرسان الاسبتارية الذين سيطروا فى ذلك العام على الحكم فى جزيرة رودس بزعامة المدعو موريس دى پانياك ، بعد اقصاء فولك منه بالقوة .

كذلك حدث فى عهد السيد الكبير الثانى للاسبتارية فى رودس ، هليون دى ڤيلينيف أن استولى الملك القبرصى هيو الرابع (١٣٢٤ - ١٣٥٩) خليفة هنرى الثانى - من املاك الاسبتارية فى قبرص على ما تربو قيمته على ألفين وخمسمائة فلورنتى ليعوض بها رعايا له تعرضوا للنهب من جانب قرصان ، كان فولك قد أقطع والده وعمه (فى ١٥ أغسطس سنة ١٣١٦) جزيرة نيزيروس nisyros مناصفة فيما بينهما ، ثم ورث القرصان نصيب والده بعد وفاة هذا الوالد . غير أن هذا الحادث لم يؤد الى وقوع جفوة بين الطرفين الاسبتارى واللوزجنانى بسبب حكمة دى ڤيلينيف الذى بادر بطرد القرصان من اقطاعه وبيع هذا الاقطاع (فى ١١ يوليه عام ١٣٤١) الى ابن عمه يعقوب أساتى وريث نصف الجزيرة الاخر (٢) .

ومن الدلائل على مرور هذا الحادث من غير أن يترك أثرا على العلاقات الوطيدة بين الاسبتارية وبيت لوزجنان دخول الطرفين منذ ذلك الوقت - وعلى وجه التحديد منذ عام ١٣٤١ - جنبا الى جنب مع البابوية وجمهورية البندقية فى مباحثات بشأن اتخاذ موقف

---

(١) أنظر : Hill II, P.275

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh, PP.5, 370-373

موحد ضد الاتراك السلاجقة في آسيا الصغرى انتهت في ٨ أغسطس عام ١٣٤٣ بتأليف عصبة بحرية فيما بينهم قامت في العام التالي لتأليفها - أي في عام ١٣٤٤ - بما يعرف باسم الحملة الصليبية على أزمير نسبة الى مدينة أزمير التي استولى عليها الحلفاء في ذلك العام (١). وقد ظلت العصبة قائمة - من الجهة الرسمية على الاقل - حتى عام ١٣٦٢.

وحدث قبل انتهائها بنحو عام - أي في عام ١٣٦١ - أن أسهم الاسبتارية بأربع سفن حربية في أسطول قبرصي مؤلف من مائه الى مائه وعشرين سفينة ، استولى بقيادة الملك القبرصي بطرس الاول (١٣٥٩ - ١٣٦٩) على مدينة أنطاليا مركز امارة العلايا سن أميرها تكه Takke (٢). وبعد أربع سنوات - أي في عام ١٣٦٥ - أسهم الاسبتارية بأربع سفن حربية ومائه فارس اسبتاري في العمارة البحرية التي غزا بها الملك بطرس الاول مدينة الاسكندرية . ولم يتخل الاسبتارية عن مساندة هذا الملك ، ثم عن مساندة ابنه وخليفته بطرس الثاني (١٣٦٩ - ١٣٨٢) من بعده ، عسكريا وسياسيا ضد السلطان المملوكي الحاكم وقتذاك في مصر - وهو السلطان شعبان - الى ان وافق هذا السلطان في عام ١٣٧٠ على عقد الصلح مع بطرس الثاني .

وقد حدث في العام التالي لعقد هذا الصلح أن الوصي على عرش قبرص - وهو حنا لوزجنان عم الملك بطرس الثاني الذي لم يكن قد بلغ سن الرشد بعد - أرسل الى البابا جريجوري الحادي عشر يطلب منه أن يعين على الجزيرة حارسا يشد أزره في مواجهة الملكة الوالده ، اليانور الارغونية (Eleanor) التي تكثر من التدخل في الحكم ، فأرسل البابا له احد فرسان الاسبتارية لشغل هذا المنصب . وفي نفس الوقت أصدر البابا منشورا أمر فيه بوضع جزيرة قبرص تحت حراسة السيد الكبير للاسبتارية ريموند بيرنچر على

---

(١) تفاصيل هذه الحملة في فصل العلاقات مع الاتراك .

(٢) أنظر : Amadi, P.411;macheras, P.64;strambaldi, P.45.

أن يتولى ادارتها بالتشاور مع الملكة اليانور والدها بطرس الفرانسسكاني ، وعمى الملك وهما الوصي حنا لوزجنان ، والحاكم العسكري (الكونستابل) يعقوب لوزجنان (١) .

وقد وصل الى رودس ، في شهر مارس أو أبريل من عام ١٣٧٣ ، أسطول جنوى مؤلف من سبعة أغربه ، صرح قائده بأنه سوف يواصل طريقه الى جزيرة قبرص لارغام ملكها بطرس الثاني وسادتها طوعا أو كراهية على أن يسلموا له المجرمين القبارصة والهنادقة الذين قتلوا — أثناء الاحتفال بتتويج بطرس الثاني ملكا على بيت المقدس في ليلة ١٠ أكتوبر أو ١٢ أكتوبر عام ١٣٧٢ بمدينة فاماجوستا — بعض أفراد الجالية الجنوية في الجزيرة ونهبوا أموالهم ومتاجرهم ، وأن يدفعوا له تعويضات مناسبة عن الاضرار التي لحقت بالجنويه بسبب احداثهم . كما أن القائد الجنوى سلم السيد الكبير للاسبتارية رسالة من البابا جريجوري الحادى عشر يطلب فيها منه أن يتوجه الى جزيرة قبرص صحبة الاسطول الجنوى لبذل مساعيه الحميده في الصلح بين سادة هذه الجزيرة وجنوة . غير أن السيد الكبير لم يشأ وقتذاك أن يرافق القائد الجنوى في رحلته الى قبرص ، كما أنه لم يرسل مع هذا القائد من ينوب عنه في تنفيذ رغبة البابا (٢) ، ربما لاعتقاده بأن الامر لم يبلغ من الخطورة حد الحاجة الى التدخل الفوري ، أو لانه كان يرغب في اعطاء الجنوية الفرصة لتلقين سادة قبرص ، وعلى رأسهم الوصي حنا (٣)

---

(١) أنظر Hill II, PP.378 - 379.

وفيما يتعلق بوالد الملكة اليانور فقد كان ابنا لملك أرغونه الفونسو الثاني (١٢٩١ — ١٣٢٧) .

أنظر : Amadi, P.438 n.1; Strambaldi, P.143 n.1

(٢) أنظر : Amadi, PP.430-438;macheras, PP.184 -206; Strambaldi, PP.131- 149.

(٣) ذكر كل من ماكيراس ص ٢٠٦ ، وسترامبالدي (ص ١٤٩) بأن الروادسة رأوا مجيء الاغربة السبعة واستمعوا للتهديدات التي أعلنتها هذه الاغربة ضد قبرص ، فلما تأخرت في عودتها عزموا على البحث عنها " .

لوزجنان وأخيه " الكونستابل " يعقوب ، د رسا لوقوفهم فى مذبحة فاماجوستا — سبب الخصومة مع جنوة — الى جانب البنادقة الذين لم يكن الاسبتارية يتعاطفون معهم ، وارضاء للملكة الوالدة اليانور الارغونية التى كانت تتهم هولاء السادة باغتيال زوجها بطرس الاول (١) صديق الاسبتارية • ويبدو أن هذا الموقف من السيد الكبير ريموند بيرنجير قد أثار الشكوك لدى البابا جريجورى الحادى عشر فى نواياه الحقيقية ،فكتب اليه رسالة ، فى ١٠ يونيه عام ١٣٧٣ ، أمره فيها بالا يمد الجنويه بأى مساعدة تفيدهم فى وضع اليد على قبرص (٢) • على ان السيد الكبير للاسبتارية كان فى الواقع قد أرسل فى نفس هذا الشهر — يونيه عام ١٣٧٣ — المارشال الاسبتارى الى جزيرة قبرص للقيام نيابة عنه بدور الوساطة بين حكومة هذه الجزيرة والجنوية • وقد رحب الملك بطرس الثانى بالمبعوث الاسبتارى ، وعين خمسة سفراء قبارصة لمرافقته عند أداء مهمته لدى قائد الاسطول الجنوى المرابط فى مياه ميناء فاماجوستا • ولكن عندما رجع اليه حاملا شروط هذا القائد — وهى ضرورة أن يتنازل بطرس الثانى للجنوية فى قبرص عن حصن يقيمون فيه ، وأن يسلم لجنوه مجرمى مذبحة فاما جوستا أو أن يدفع بدلا عن ذلك مبلغا كبيرا من المال — لم يوافق على أى من هذه الشروط ، وطلب من المرشال الاسبتارى أن يبلغ القائد الجنوى باستعداده لقبول حكم البابا — فلما رفض هذا القائد عرض الملك القبرصى أنهى المارشال الاسبتارى وساطته ورجع الى رودس فى شهر سبتمبر عام ١٣٧٣ (٣) • ولم يضع القائد الجنوى ، عندئذ ، وقتا فى اعلان الحرب على الجزيرة ، فهاجمت قواته مدن الملاحات (Salines) وليماسول وبافوس وبندايا (Pendaia) على التوالى ، ولكنها لم تتمكن من الاستيلاء منها سوى على مدينة بافوس • ولم يلبث أن وصل

---

(١) بخصوص اتهام اليانور لسادة قبرص بقتل زوجها أنظر :

Amadi, PP.437-438; macheras, PP.197 -198; strambaldi, P.143

(٢) أنظر : Pauli II, P.406 num. XIV giunt.

(٣) أنظر : Amadi , PP442 -444; macheras, PP.206-211; Strambaldi, PP.149 - 153.

الى فاماجوستا فى الشهر التالى - أى فى شهر اكتوبر - اسطول جنوى آخر كبير ، مؤلف من ست وثلاثين سفينة ، فاستولى على هذه المدينة وأسر الملك بطرس الثانى بها ، ثم تقدمت قواته الى العاصمة نيقوسيا واستولت عليها . وعندما علم بأن المقاومة القبرصية أصبحت ، بعد سقوط العاصمة ، متمركزة فى مدينة كيرينيا Kerynia ، بقيادة " الكونستابل " يعقوب لوزجنان والملكة اليانور ، أرسل قواته الى هذه المدينة فحاصرتها تمهيدا لفتحها . وقد حدث فى تلك الاثناء - وعلى وجه التحديد فى شهر يناير عام ١٣٧٤ - أن وصل الى فاماجوستا السيد الكبير للاسبتارية ريموند بيرنجر ، الذى كان قد أقلقه عدم وصول أخبار اليه عن أحداث الحملة الجنوية على قبرص منذ عودة المارشال الاسبتارى - بعد أن فشلت وساطته فى الصلح بين القبارصة والجنوية - قبل خمسة شهور ، فأراد أن يذهب الى قبرص بنفسه ليقف على مدى تطور هذه الاحداث ويقوم ببذل محاولة جديدة للصلح بين الطرفين . غير أن وساطة ريموند بيرنجر انتهت بدورها الى فشل . ولم يلبث أن أصابه المرض ثم توفى فى ١٦ فبراير عام ١٣٧٤ ، ودفن فى كنيسة القديس حنا المملوكة للاسبتارية بمدينة نيقوسيا .(١) وقد قام الجنوية بعد ذلك بثلاث محاولات لفتح مدينة كيرينيا انتهت كلها الى فشل . ولم يلبث أن تم الاتفاق بين أمير البحر الجنوى والملك بطرس الثانى على مشروع للصلح بين دولتيهما ، وعلى أن يسمح " للكونستابل " يعقوب لوزجنان بأن يرحل وأسرته فى أمان الى الغرب لعرض القضية على البابا بعد أن يسلم حصن كيرينيا لفصل قبرص .(٢) وقد غادر يعقوب لوزجنان وأسرته وحاشيته ميناء كيرينيا على السفينة الملكية تحرسها سفينتان جنويتان . وعندما وصل الى رودس رحب به كبار الاسبتارية برئاسة المارشال ، بصفته نائبا

---

(١) أنظر : Amadi, PP.444-460; macheras, PP.211-263; Strambaldi, PP.153 -192

وقد أشار المؤرخ ديلافيل (الاسبتارية فى رودس ص ١٧٦) الى وساطة ريموند بيرنجر وذكر بأن السيد الكبير قرر السفر الى قبرص ليتوسط فى الصلح عندما علم بأن الملك يفكر فى هذا الصلح بالفعل . ولكن المؤرخ هل قال (فى الجزء الثانى ص ٤٠٢) بأنه لم يجد مصدرا لزعم ديلافيل .

(٢) أنظر : Amadi, PP.460 -473; macheras, PP.264 - 306; Strambaldi, PP.193 - 223.

للسيد الكبير روبرت دى چويلى المنفيب وقتذاك فى فرنسا ، وأنزلوه فى الحى العسكرى — أى الكولا شيوم — المخصص لاقامتهم ، زيادة فى تكريمه . ومع ذلك لم يلبث أن طلب الاسبتارية من ضيفهم — تحت ضغط تهديد قبطانى سفينتى الحراسة الجنويتين باعلان الحرب على جزيرتهم — أن يرحل عن هذه الجزيرة . فلما استحلفهم بحق محبتهم لوالده ملك قبرص الراحل هيو الرابع ، وبقانونهم الذى يلزمهم بنصرة المظلوم ، وباتساع أملاكهم فى جزيرة قبرص ، أن يسمحوا له بالبقاء تحت حمايتهم فى جزيرة رودس أو أن يعينوا له برجا حصينا بالجزيرة يقيم فيه الى أن تعود السفينتان الجنويتان أدراجهما الى قبرص فيعدوا له على حسابه الخاص سفينة اسبتارية تتولى حراسته حتى مدينة روما ، وافقوا — بعد مشاورات فيما بينهم داخل مجلسهم استغرقت بضعة ايام — على اغاثته الى أن يرحل الجنوية فيقومون بحراسته الى مدينة البندقية . ولكن لم يلبث أن وصل الى رودس — بعد مضى ثلاثة عشر أو أربعة عشر يوما على وصول " كونستابل " قبرص اليها — أمير البحر الجنوى فريجوزو ، على رأس عشر سفن من سفن أسطوله ، فجدد التهديد بمهاجمة رودس اذا لم يدفع اليه الاسبتارية باللاجئ القبرصى ، فسلموه له فى صباح اليوم الثالث من شهر يونيه عام ١٣٧٤ . وقد قاد أمير البحر الجنوى " الكونستابل " ، ومن كان قد أسرهم فى قبرص من الفرسان القبارصة ، الى جنوة حيث ألقى بهم فى سجنين من سجونها (١) . هذا ولم يلبث أمير البحر الجنوى أن عاد الى قبرص حيث عقد مع ملكها بطرس الثانى ، فى ٢١ أكتوبر عام ١٣٧٤ ، معاهدة الصلح الذى كان الطرفان قد واتفقا عليه قبل رحيل " الكونستابل " عن الجزيرة (٢) .

وقد حدث بعد ثمانى سنوات من عقد هذه المعاهدة — أى فى عام ١٣٨٢ — أن توفى ملك قبرص بطرس الثانى من غير أن يترك وريثا من صلبه ، فخلفه على العرش عمه " الكونستابل " يعقوب لوزجنان ، الذى لم يلبث الجنوية أن أطلقوا سراحه بعد ثلاث سنوات من توليته — أى فى عام ١٣٨٥ — مقابل تعهده بدفع المزيد من الغرامات لهم ، وأصبح يعرف باسم يعقوب الاول (٣) (١٣٨٢ — ١٣٩٨)

---

(١) أنظر : Amadi, PP.473-476; macheras, PP.306-315 ; strambaldi, PP.223 - 231

(٢) أنظر : Hill II, PP.413 - 415

(٣) أنظر :

وبعكس المتوقع لم ينتقم الملك يعقوب الاول لوزجنان من الاسبتارية ،فلم يكن أمامه وسيلة للانتقام الا أن يصادر بعض أو كل أملاكهم فى قبرص ، وهو مالا يقدر عليه بسبب حماية البابا لهذه الاملاك ، ووجود حاميات اسبتارية فى حصون أقاموها - منذ آلت اليهم - فى وسطها للدفاع عنها بمفردها أو معززة بما يأتيها من نجدات سريعة ترسلها رودس ، وربما أيضا الجنوية فى فاماجوستا . ومن ناحية أخرى فمن المعروف أن الملك يعقوب الاول تولى فى وقت كانت فيه كل من قبرص ورودس ، وسائر القوى الاوروبية المسيحية فى شرق البحر المتوسط ، واقعة تحت التهديد بالغزو من جانب السلطان العثمانى مراد الاول (١٣٥٩ - ١٣٨٩) ، فوجد نفسه مضطرا - بدلا من معاداة الاسبتارية ، أصدقاء أسرته التقليديون ، لا لشئ الا لانهم عجزوا عن حمايته من عدو أقوى منهم ولا يتورع عن انزال أفدح الاضرار بجزيرتهم اذا قدموا له هذه الحماية - الى أن يعقد معهم ، فى أول ديسمبر عام ١٣٨٨ ، محالفة ضد هذا السلطان جنبا الى جنب مع ثلاث من مستعمرات جنوة فى بحر ايجه هى جزر خيوس Chios ، ميتيلين mytilene ، بيرا Pera (٢)

وعلى أى حال لم يلبث الملك يعقوب الاول أن توفى فى عام ١٣٩٨ ، وخلفه ابنه الملك چانوس (١٣٩٨ - ١٤٣٢) . وقد فرض هذا الملك ، فى أوائل عام ١٤٠٢ ، الحصار حول مدينة فاماجوستا لطرد الجنوية منها ، ولكن لم تلبث أن وصلت الى ميناء هذه المدينة فى اغسطس من نفس العام ، ثلاث سفن حربية جنوية يقودها الفارس الاسبتارى أنطونيو جريمالدى Antonio grimaldi ، أمير آمرية جنوة ، فرفع الملك الحصار عنهما من غير أن يشتبك مع الجنوية ، علما بأن جريمالدى لم يأت الى قبرص بصفته اسبتاريا بل جنويا

---

(١) بخصوص تفاصيل الظروف التى عقدت فيها هذه المحالفة . ارجع الى فصل العلاقات مع الاتراك ، والى Hill II, PP.439-440

(٢) عن كون هذه الجزر مستعمرات جنوية أنظر :

De La Ronciere II, P.131; D. Le Roulx: F.O.1, P.428.

ينفذ أوامر حكومته بلاده الاصلية ، وهو أمر سمح به قانون هيئة الاستبارية لأعضاء (**) هذه الهيئة شريطة الا يحملوا أسلحة أو شارات هيئتهم أثناء القتال . على أنه حدث في العام التالي - أي في عام ١٤٠٣ - أن نما الى علم حاكم جنوة ، بوسيكو ، بأن جانوس يستعد مرة أخرى لطرد الجنوية من فاماجوستا بتشجيع ومساعدة من جانب البندقية ، التي كانت تحقد على جنوة لسيطرتها على ميناء فاماجوستا الهام بالنسبة للسفن التجارية التابعة لها . وكان أن أرسل بوسيكو ، في ٢٤ مارس سنة ١٤٠٣ ، سفيرا الى قبرص ، هو الناسك دي لافاي L 'Ermite de la Faye لمحاولة عقد الصلح مع الملك جانوس ، في حين خرج بوسيكو بنفسه من ميناء جنوه ، في ٤ أبريل ، على رأس اسطول يتألف من تسع عشر سفينة للتدخل به عسكريا ضد جانوس اذا فشل الناسك دي لافاي في مهمته . وقد وصل بوسيكو ، في شهر يونيه ، الى رودس حيث كان من المقرر أن يتقابل مع دي لافاي ، بعد عودته من قبرص ، ليتعرف منه على نتائج مباحثاته مع الملك جانوس . وفي الحقيقة فان دي لافاي لم يلبث أن وصل الى رودس ، وأبلغ بوسيكو برفض جانوس الموافقة على الصلح مع الجنويه قبل انسحابهم من فاما جوستا . وقد عزم بوسيكو عندئذ على أن يتقدم بأسطوله لمهاجمة قبرص ، غير أن السيد الكبير للاسبتارية دي نيلاك أقنعه بالتريث الى أن يجرب وساطته الشخصية مع جانوس . ولم يلبث دي نيلاك أن سافر الى قبرص بالفعل ، في نفس ذلك الشهر يونيه عام ١٤٠٣ ، صحبة دي لافاي وبعض كبار الاسبتارية ، للقيام بهذه الوساطة ، وهي وساطة ناجحة انتهت في ٧ يوليه عام ١٤٠٣ بعقد اتفاقية للسلم والتجارة بين قبرص وجنوة (١) .

(**) Les statutes, Titre 18, PP.155-156 .n. 24.

(١) أنظر : Hill II, PP. 449-455 ; D. Le Roulx: F.O.1, PP. 409-432; D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., PP. 293 -296; De la Roncier e II, PP.129-132.

ولمعرفة شروط الاتفاقية أنظر : Mas-latrie II, PP. 466 - 471.

والمعتقد بأن الفضل في التوصل الى عقد هذه المعاهدة يعود الى افلاح السيد الكبير للاسبتارية في تخويف چانوس من قوة الاسطول الجنوى الذى جاء الى رودس بقيادة بوسيكو ، أكثر مما يعود الى عامل الصداقة التقليدية بين الاسبتارية في رودس وآل لوزجنان في قبرص . ومن الادلة على أن چانوس لم يكن يقيم وزنا لهذه الصداقة في معاملاته مع الاسبتارية أنه في عام ١٤١١ أعفاهم من دفع ضريبة العشور الملكية على أملاكهم في قبرص (١) ، ولكنه في نفس الوقت طلب من حكومتهم في رودس بأن تعين على الآمرية الصغرى ـ المعروفة أيضا باسم آمرية فينيكا أنوجيرا ـ التى توفى آمرها حديثا ، آمرا معينا اختاره لها بنفسه لا نعرف عنه الا أنه كان يشغل وقتذاك منصبا آخر هو منصب آمر بلفيل Belleville (٢) . كذلك من المحتمل أنه وضع يده على هذه الآمرية عندما لم تستجب حكومة الاسبتارية لطلبه وعينت آمرا آخر ـ اسمه لوقاد ڤالين Luce de valines ـ غير الآمر الذى تقدم به اليها (٣) . ومن تلك الادلة أيضا أنه ، في ٢٠ مايو عام ١٤١٢ ، شغر منصب آمر الآمرية الكبرى فرشح چانوس لشغله احد فرسان الاسبتارية ، وعندما ردت عليه حكومة الاسبتارية في رودس معتذرة (٤) بانها اضطرت ، حسما للمناقسة القائمة على هذا المنصب بين الطوائف السبع التى كانت تتألف منها وقتذاك هيئة الاسبتارية ، الى اصدار قرار بتجزئة الآمرية الكبرى الى سبع آمريات صغرى يوضع على رأس كل منها آمر ينتمي الى احدى هذه الطوائف ، استصدر

---

(١) أنظر : mas latrie II, PP. 498 - 500

(٢) أنظر : Mass latrie II, PP. 501- 502, Hill II,PP.461-462

(٣) أنظر : Hill II, P. 462 n.6.

(٤) في شهر يونيه عام ١٤١٢ كتبت الى كل من الملك چانوس ، والملكة الزوجة شارلوت دى بوربون ، والملكة الوالدة هيلويز دى برونزويك (Heloise de Brunswick) ، تعتذر عن عدم امكانها تلبية هذه الرغبة .

(أنظر : D. Le Roulx Les Hosp. à Rh, P.319

وفي ٢٤ مايو عام ١٤١٣ أرسلت سفراءها الى چانوس لاقناعه بقرار تجزئة الآمرية

Ibid, Op. Cit?, P.321

من البابا حنا الثالث والعشرين - فى نفس العام ١٤١٢ - قرارا يقضى بمنح الآمرية لابنه غير الشرعى لويس البالغ من العمر خمس سنوات . وقد استند چانوس الى هذا المنشور فوضع يده على الآمرية ، (١) وظل يضايق الاسبتارية فى جزيرته الى أن اضطرت حكومتهم ، فى ٢٧ يوليه عام ١٤١٤ ، الى اصدار قرارها باستدعائهم جميعا الى رودس . غير أن هذه الحكومة لم تلبث - من ناحية اخرى - أن أقنعت البابا حنا الثالث والعشرين ، قبل ٩ سبتمبر عام ١٤١٤ ، باصدار قرار آخر ألغى بمقتضاه قراره السابق بمنح الآمريه للطفل لويس ، وأرسلت من جديد وكلاءها وفرسانها لادارة هذه الآمرية . (٢) وبالرغم من أن لويس عوض بمقتضى نفس القرار بتعيينه آمرا للآمرية الصغرى ، ومعاشا سنويا مقداره ألفان من الفلورنتيات ضمانته جميع أملاك الاسبتارية فى قبرص ، (٣) فان والده الملك چانوس لم يكف عن وضع العراقيل أمام وكلاء الاسبتارية فى ادارة الآمرية الكبرى الى أن أوشكت هذه الآمرية على الافلاس . (٤) على أن الازمة فى العلاقات بين الاسبتارية والملك چانوس فيما يتعلق بهذه المسألة انتهت أخيرا فى شهر يناير عام ١٤٢١ بعقد اتفاق بين الطرفين نص على تنازل چانوس عن ادعائه بأحقية ابنه لويس فى ادارة الآمرية الكبرى مقابل موافقة السيد الكبير دى نيلاك على تعيين لويس آمرا للآمرية الصغرى ، وعلى اعفاء چانوس ولويس من رد الاموال التى حصلا عليها نتيجة تحصيلهما دخل الآمرية الكبرى منذ وفاة آمرها المدعو ريموند ديلسكير

---

(١) أنظر : Hill II, P.463

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.321

(٣) أنظر : Hill II, P.463.

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Loc. Cit.

مع ملاحظة أن السيد الكبير دى نيلاك أصدر أمرا فى ٨ أكتوبر عام ١٤٢٠ أعاد بمقتضاه للآمرية الكبرى وحدتها ، وعين عليها آمرا واحدا لانقاذها من افلاسها .

Ibid: Loc.Cit.

فـــــى ربيع عام ١٤١٢ ، فضلا عن اعفاء جانوس ، وخلفائه من بعده ، من تسديد مبلغ اثنى عشر ألف دوكات بندقى كان جانوس مدينا به للآمر ريموند دبلسكير ، وأصبح دفعـــــه واجبا لخزانة الاسبتارية فى رودس بعد وفاة هذا الآمر (١) . وليس أدل على عودة العلاقـــات الطيبة بين الطرفين من اسهام الاسبتارية بمبلغ كبير من المال فى الفدية التى طلبتهـــــا مصر المملوكية لاطلاق سراح جانوس الذى كانت جيوشها قد أسرته خلال غزوة قامت بهـــــا لجزيرة قبرص فى صيف عام ١٤٢٦ ، وذلك بالرغم مما كان يعانى منه الاسبتارية وقتذاك مـــــن ضائقة مالية استدعت منهم أن يقترضوا الجزء الاكبر من هذا المبلغ من البنوك الاجنبيـــــة والجزء الباقى من السيد الكبير لهيئتهم أنطوان فلوفيان (٢) .

ولعل من دلائل استمرار علاقات الود والاخاء بين الاسبتارية وقبرص فى عهد المـــلك القبرصى حنا الثانى (١٤٣٢ ــ ١٤٥٨) ــ ابن جانوس وخليفته ــ ما ذكره الرحالـــــة بيرو تافور من أن السيد الكبير للاسبتارية فلوفيان رشح فى عام ١٤٣٧ ، لملك قـــــبرص ان يتزوج من ابنه أمير ارجل (Count of Urgel) الارغونى وهى أخت زوجة الوصـــى على عرش البرتغال بطرس (Don peter) (٣) ، وأن هذا الرئيس الاسبتارى تسـلم رسائل بعث بها اليه حنا الثانى شارحا له فيها أحواله وأحوال مملكته ، صحبة الرحالـــــة تافور عند مغادرته قبرص الى رودس فى نطاق جولته فى الشرق ، ورد عليها فور قراءته لهـــــا بالرغم من شدة مرضه الذى أدى الى وفاته فى نفس تلك الليلة (٤) .

---

(١) أنظر : mas-latrie II, P.505 ; Hill II, PP.463-464

(٢) بخصوص موقف الاسبتارية من الغزوة المملوكية لجزيرة قبرص ، وتفاصيل المبلغ الـــــذى أسهموا به فى الفدية أنظر فصل العلاقات مع المماليك .

(٣) اقتباس Hill III, P.526

(٤) أنظر : Pero Tafur, P.107

ولم يلبث أن برز بعد ذلك عامل ساعد على تدعيم ما بين قبرص ورودس من روابط الصداقة التقليدية هو حاجة الملك حنا الثانى لمساندة الاسبتارية فى رودس له ضد التهديد بالغزو الذى تعرضت له وقتذاك جزيرته قبرص ومستعمرتها جورهيجوس[1]، الواقعة على الساحل التركى المواجه لهذه الجزيرة، من جانب كل من أميرى العلايا وقرمانيا التركيين اللذين ربما أغراهما عليه صغر سن الملك وما وصلهما من أخبار عن انقسام حكومته على نفسها وجبن أفصاله[2]، فضلا عن ضعف قواته العسكرية منذ أن حطمتها الغزوة المملوكية لجزيرته قبرص فى عهد والده عام ١٤٢٦ . فمن المعروف أنه بفضل تدخل الاسبتارية وحده نجت قبرص فى عام ١٤٤٤ من الغزو على يد أمير العلايا[3]. كما أنه حدث بعد أربع سنوات - أى فى عام ١٤٤٨ - أن أرسل أمير قرمانيا ابراهيم بك الى الملك حنا الثانى يدعى عليه بأنه يدفع جزية سنوية لأمير العلايا قدرها خمسة آلاف دوكات ويطالبه بأن يدفع له مثلها . وقد أنكر ملك قبرص ادعاء أمير قرمانيا ورفض طلبه . ولم يلبث أن نما الى علمه بأن هذا الأمير أعد أسطولا لغزو قبرص وجيشا لغزو مستعمرتها جورهيجوس وكان أن أرسل سفيرا الى السيد الكبير للاسبتارية حنا لاستيك ينبهه بالأمر . وقد رد عليه حنا لاستيك ، فى ٢٨ أغسطس عام ١٤٤٨ ، بأنه فهم من أقوال قاصد قرمانى وصل الى رودس مؤخرا بأن ابراهيم بك يرغب فى السلم ، ومع ذلك فقد قرر ارسال سفير اسبتارى خاص ، لتحذير هذا الأمير التركى من القيام بأى عمل عدوانى ضد قبرص أو مستعمرتها جورهيجوس ، فاذا أصر على العدوان أرسل الاسبتارية سفينة حربية أو سفينتين لمؤازرة هذا الملك فى صد عدوانه[4] . وتقضى

---

(١) فى ٨ يناير عام ١٣٥٩ وصل الى قبرص وفد من أهالى مدينة جورهيجوس التابعة لملك أرمينيا وعرض على الملك القبرصى بطرس الأول الموافقة على وضع مدينتهم تحت حمايته بعد أن عجز ملك أرمينيا عن توفير هذه الحماية لها ضد هجمات الأتراك . وقد استجاب بطرس الأول للعرض وأرسل حامية للمدينة صحبة سفينتين فى ١٥ يناير عام ١٣٥٩) - أنظر : machras, PP. 62 -64

(٢) أنظر : Hill III, P.521

(٣) أنظر : Hill III, P.517

(٤) أنظر : Mas-latrie III, P.48.

التعليمات التى سلمها حنا لاستيك ، فى نفس هذا اليوم ، لسفيره ، بأن يقدم هذا السفير الشكر لأمير قرمانيا على رسالته الودية التى حملها قاصده الى السيد الكبير حنا لاستيك، وأن ينقل اليه موافقة السيد الكبير على ما عرضه عليه القاصد القرمانى بأن يرحب بالتجارة القرمانية فى موانى رودس مقابل المعامله بالمثل لتجارة رودس فى الميناء المشيد حديثا فى مدينة أنامور Anamur القرمانية ، كذلك يجب عليه ابلاغه بموافقه حنا لاستيك على طلبه بأن يتوسط السيد الكبير للاسبتارية فى الصلح بينه وبين ملك قبرص ، مع ضرورة التأكيد له بأن الملك القبرصى لا يدفع جزية سنوية لأمير العلايا ، ولكنه اذا كان قد دفع له مبلغا من المال فان ذلك لم يكن سوى حالة فردية فى مناسبة خاصة • ويجب على السفير الاسبتارى بعد ذلك أن يطلب من أمير قرمانيا بأن يتخلى عن مشروعه بغزو جزيرة قبرص وسنعرضها جورهيجوس ، فاذا وجد منه اصرارا على الحرب أنذره بأن السيد الكبير للاسبتارية يعتبر نفسه والدا وحارسا لملك قبرص وأنه سوف يدافع عن هذا الملك ضد أى اعتداء قرمانى يقع عليه مثلما دافع عنه مؤخرا ضد أمير العلايا • وكان على سفير الاسبتارية عندئذ أن يغادر قرمانيا ويتوجه الى جزيرة قبرص لاطلاع الملك حنا الثانى على حقيقة الأمر وطمأنته بالمساعدة الاسبتارية التى وعده بها السيد الكبير حنا لاستيك ، ثم يعود الى جزيرته رودس مارا بامارة العلايا لتقديم رسالة ودية من حنا لاستيك لأميرها • (١) وقد توجه السفير بالفعل الى قرمانيا لأداء المهمة التى أوكله بها السيد الكبير حنا لاستيك • ولكن حدث بينما كان يتفاوض - بمساندة سفير قبرصى أرسله الملك حنا الثانى فى تلك الاثناء - مع الأمير ابراهيم بك ، أن استولت قوات هذا الأمير على مدينة جورهيجوس بالتواطؤ مع حاميتها القبرصية التى دفعها الى ذلك نفاذ مؤونتها واغراء الذهب الذى قدمه لها ابراهيم بك ، فأسرع بمغادرة

---

(١) ارجع الى نص خطاب اعتماد السفير فازلين فى

Mas-Latrie III, PP. 49-50

والى نص التعليمات المعطاة لهذا السفير فى

Ibid: Op. Cit., PP. 50-53.

قرمانيا متوجها الى جزيرة قبرص ومنها عائدا الى جزيرة رودس حيث قدم للسيد الكبير تقريرا عن الواقعه ضمنها رغبة الملك حنا الثانى ، التى أبداها له عند مروره بقبرص ، فى أن يرسل اليه حنا لاستيك نصائحه عما يجب عليه عمله لمواجهة الموقف (١). ولم يلبث حنا لاستيك أن بعث فى ٢٠ نوفمبر عام ١٤٤٨ برسالة الى الملك حنا الثانى ينصحه فيها بأن يلجأ الى السلطان المملوكى جقمق لمعاونته فى استرجاع جورهيجوس سلما أو حربا ، بالرغم مما عرف - كما يقول لاستيك - عن سماح هذا السلطان لأمير قرمانيا باحتلال جورهيجوس ، على أن يعتمد الملك أيضا على مساعدة الاسبتارية له اذا اختار طريق الحرب (٢). وفى نفس اليوم - أى فى يوم ٢٠ نوفمبر عام ١٤٤٨ - كتب حنا لاستيك للسلطان جقمق يقول له بأنه يعجز عن التصور بأن أمير قرمانيا قد تصرف ضد جزيرة قبرص باذن من السلطان الذى يلتزم بالدفاع عن هذه الجزيرة بحكم أنها تدفع له الجزيه سنويا ، ثم يحثه على أن يمد يد المساعدة لفصله الملك حنا الثانى (٣).

وواضح من رسالتى حنا لاستيك الى الملك القبرصى والسلطان المملوكى بأن السيد الكبير للاسبتارية يتهم صراحة السلطان جقمق بأنه ضالع مع أمير قرمانيا فى احتلال جورهيجوس وذلك يعنى بأن الرئيس الاسبتارى حين فكر فى طلب العون من هذا السلطان كان يشك فى موافقته على تقديم هذا العون . وفى الحقيقه لم يكن فى مقدور حنا لاستيك وقتذاك أن يقدم للملك حنا الثانى الا هذا العون السياسى ليس لأن أمير قرمانيا كان يملك من القوة ما جعل حنا لاستيك يخشى مواجهته بقوات جزيرتى قبرص ورودس موحدها ، ولكن الأرجح لأن السيد الكبير للاسبتارية كان فى ذلك العام - أى فى عام ١٤٤٨ - عاجزا عن تقديم أية مساعدة عسكرية لقبرص لسبب داخلى هو تمرد معظم مقدمي شعب الاسبتارية فى أوربا على سلطته وامتناعهم عن ارسال الأموال المطلوبة من شعبهم الى حكومته مما أدى الى افلاس هذه الحكومة (٤)، وسبب خارجى هو ما وصل اليمن أخبار عن حشود عسكرية ضخمة يجريها السلطان

---

(١) أنظر : Mas-latrie III, P.59; Hill III, PP.519 -520.

(٢) أنظر : Ibid: Op. Cit., PP.55 -56

(٣) أنظر : Ibid: Op. Cit?, PP. 55 - 56.

(٤) لمعرفة تفاصيل هذه المشكلة الداخلية ارجع الى :

Borfot II , PP. 127 - 128 ...

العثمانى مراد الثانى بعد أن أحرز النصر على الجيوش المجرية التى يقودها جانوس هو نيادى فى موقعة قوصـــوه ، وهى حشود تبين فيما بعد بأن هدفها كان اخماد ثورة قامت ضـــد السلطان فى ألبانيا بزعامة اسكندربك ، ولكن جنا لاستيك حسبها وقتذاك موجهة ــ بمفردها أو متعاونة مع سلطان مصر ــ ضد جزيرته رودس[(١)].

وعلى أى حال فانه لم يمض عام واحد على ذلك ــ أى فى عام ١٤٤٩ ــ حتى كان جنـــا لاستيك قد أعاد النظام داخل هيئة الاسبتارية ، وعقد الصلح مع السلطان العثمانـــى مراد الثانى[(٢)]. ومن ثم استطاع فى العام التالى ــ أى فى عام ١٤٥٠ ــ أن يرســـل سفينتين اسبتاريتين ــ صحبة أسطول أرغونى يتألف من عشر سفن كان قد وصل الى ميـــاه جزيرة رودس فى ذلك العام للدفاع عنها وجزيرة قبرص اذا تعرضتا للهجوم من جانب الأتراك العثمانيين ــ للاسهام فى الدفاع عن جزيرة قبرص التى كان أمير العلايا يهدد وقتـــذاك بغزوها[(٣)]، مما اضطر هذا الأمير التركى الى أن يتخلى عن مشروعه العدائى ضد قـــبرص ويعقد مع ملكها جنا الثانى لوزجنان ، فى ٧ سبتمبر عام ١٤٥٠ ، معاهدة صداقة وتجـــارة وافق فيها الطرفان على الاحتكام الى السيد الكبير للاسبتارية فى أى نزاع قد ينشب بينهما اذا خرق أحدهما شروط المعاهدة[(٤)]. هذا ولم يتردد جنا لاستيك فى العام التالـــى

---

(١) ارجع الى نص رسالة جنا لاستيك الى ملك انجلترا فى :
Pauli II, PP. 128-129 num. CVIII

وارجع أيضا الى :
Vertot II, PP. 432-437; Biliotti, P.218; Lamartine III, PP.139 - 140, 147.

ولمعرفة تفاصيل عن موقعة قوصوه وتاريخها ارجع الى :
Gibbon II, PP.1317 - 1318.

(٢) Vertot II, PP.430 -431, 437; Biliotti, P.218

(٣) أنظر : Hill III , PP. 520 - 521,523

(٤) أنظر : Mase-Latrie III, PP. 64 -66.

لعقد هذه المعاهدة فى ارسال بعض سفنه تلبية لطلب الملك حنا الثانى ــ الذى استغاث به أمير العلايا عندما حاصرت قوات ابراهيم بك أمير قرمانيا مدينته العلايا انتقاما لتقاربه لملك قبرص ــ فقامت هذه السفن الرودسية ، جنبا الى جنب مع السفن القبرصية ، بحصار مدينة أنامور القرمانية فى محاولة لم تعرف نتيجتها للضغط على الأمير ابراهيم بك ليرفع الحصار عن مدينة العلايا (١).

ويبدو أن هذه المرة كانت الأخيرة التى احتاج فيها الملك حنا الثانى لأن يطلب العون السياسى أو العسكرى من الاسبتارية فى رودس بعد أن توقف كل من أمير العلايا وأمير قرمانيا عن التهديد بغزو جزيرته قبرص . على أن ذلك لم يقلل فى شئ من متانة العلاقات التقليدية القائمة بين هذا الملك والاسبتارية منذ توليته . وقد توفى حنا الثانى فى عام ١٤٥٨ ، وتولت ابنته الشرعية الوحيدة شارلوت خلفا له ، فاعترف بها الاسبتارية فى رودس ، كما أيدوها ضد أخيها غير الشرعى يعقوب ــ أو كما ينطقه الفرنسيون چاك والانجليز چيمس ــ لوزجنان ، الذى لم يلبث أن ادعى بأحقيته بالعرش ، ثم لجأ الى مصر المملوكية للحصول على تأييد سلطانها اينال له (٢). وعندما علمت الملكة شارلوت وزوجها الملك لويس أمير سافوى ــ الذى اقترنت به فى ٧ أكتوبر عام ١٤٥٩ ــ بنبأ فشل سفرائهما (٣) الذين بعثا بهم الى مصر وراء يعقوب لافساد خططه عند السلطان اينال طلبا من السيد الكبير للاسبتارية ، يعقوب ميللى ، أن يرسل الى السلطان سفيرا اسبتاريا خاصا لتعزيز موقف سفير قبرصى قررا أن يبعثا به لمعاونة السفراء الذين سبقوه فى التفاوض مع السلطان . وكان أن سافر القاصد الاسبتارى حنا دلفن (J. Delfin) الى مصر فى عام ١٤٦٠ ، ولكنه فشل فى اقناع السلطان ومماليكه بسحب تأييدهم من يعقوب لوزجنان ومنحه لاخته

---

(١) أنظر : Hill III, P.522

(٢) أنظر : Ibid:Op. Cit., PP. 552 - 553.

(٣) أنظر : Ibid:Op. Cit., P.554

شارلوت ، كما أن السلطان لم يلبث أن ألقى به في سجن بالاسكندرية ظل به حتى مات ، على حين أمر السلطان باعادة يعقوب لوزجنان الى جزيرة قبرص على رأس أسطول مملوكى قادر على اجلاسه على عرش هذه الجمهورية (١) .

وما أن وصل الدعى يعقوب الى قبرص في ١٨ سبتمبر سنة ١٤٦٠ (٢) حتى بعث قائد سفينة الحراسة الاسبتارية التى كان السيد الكبير دى ميللى قد أرسلها الى مياه قبرص لمراقبة الموقف منذ أن أشيع خبر عزم السلطان على تأييد الدعى عسكريا ، واسمه نقولا كورونيا (Nicolas de Gorogna) بالخبر الى السيد الكبير في رودس ، وطلب منه أن يرسل اليه تعليماته بما يجب عليه عمله . ولم يلبث دى ميللى ، في ١١ أكتوبر عام ١٤٦٠ ، أن كتب تعليماته (٣) التى أمر فيها دى كورونيا ، وزميل آخر له اسمه حنا شيلى (J. de Chailly) ، بأن يتصلا بالملك لويس في مدينة كيرينيا ، التى لجأ اليها مع زوجته الملكة شارلوت عند وصول الدعى يعقوب وحماته من المماليك الى الجزيرة ، ويعرضا له عن استعدادهما لنقله الى جزيرة رودس أو أى مكان آخر ، اذا أراد مغادرة جزيرة قبرص ، على ألا يوافقا على أن يتوليا أو يتولى غيرهما من الاسبتارية حراسة قلعة كيرينيا أثناء غيابه . وبمقتضى هذه التعليمات أيضا يجب على الفارسين الاسبتاريين كورونيا وشيلى أن يطلبا من الملك لويس بأن يدبر قبل مغادرته الجزيرة أمر حماية آمرية قبرص الكبرى ومركزها كولوسى ، وبأن يسمح كتابة لنائب الآمر في هذه الآمرية بالتفاهم مع يعقوب لوزجنان حول بقاء الوضع بالنسبة للآمرية من غير تغيير ، مع ضرورة طمأنة الملك لويس بأن هذا التفاهم سوف لا يضر بحقوقه في الجزيرة

---

(١) لتفاصيل سفارة السفير الاسبتارى دلفن الى مصر ارجع الى فصل العلاقات مع المماليك . وارجع أيضا الى :
Hill III, PP. 555-557; mas-latrie III, PP.96-99.

(٢) أنظر : Hill III, P.560

(٣) أنظر : Mas-latrie III, PP. 104-106;

لأن الاسبتارية مصممون على عدم السماح للآمرية أوتسليمها - وهى قلعة لا تقل قدرتهما الدفاعية عن قدرة قلعة كيرينيا نفسها - بالخضوع ليعقوب لوزجنان • هذا وقد أمــــر السيد الكبيرد ى ميللى هذين الفارسين الاسبتاريين ، فى رسالة سرية (١) سلمت لهمـــا صحبة تلك التعليمات ، بأن يتصلا سرا بالراهب الأوغسطينى جيانوتسو سالفياتـــــــى Giannozze Salviati - وهو أحد النصحاء المخلصين ليعقوب لوزجنان - ويحاولا أن يصلا معه الى وسيلة لتحقيق ما سوف يكلف نائب الآمر بالتفاهم بشأنه مع هــذا الامــــير •

وبعد أسبوع واحد - أى فى ١٨ اكتوبر عام ١٤٦٠ - أرسل السيد الكبيرد ى ميللى بتعليمات خاصة الى نائب الآمر (٢) أمره فيها بأن يرفض أى طلب لمغتصب السلطة يعقــوب لوزجنان ، أو لمقدم الجيش المملوكى المناصر له فى الجزيرة ، باعلان الخضوع أو أداء يمين الولاء أو تسليم قلعة كولوسى ولكن له أن يتعهد لهذا المغتصب بعدم استخدام القلعـــة فيما يضره ، وبأن حراس هذه القلعة سوف يكونون رعايا طيعين ومخلصين له ، كما يجب عليــه أن يؤكد له استعداد هيئة الاسبتارية لأن تقدم له الطاعة التى قدمتها لأسلافه طالمـــا أن آمر الآمرية والعاملين فيها يستطيعون أداء أعمالهم بيسر ومن غير أن يصيبهم أذى • (٣)

وهكذا يتضح بأن الاسبتارية فى رودس لم يكن لهم هدف ، بعد أن بلغهم نبـــأ وصول يعقوب لوزجنان الى قبرص معززا بأسطول المماليك من مصر الا ضمان سلامة الملـــك لويس ، عن طريق ابعاده عن الجزيرة على سفينة اسبتارية ، وسلامة أملاك الاسبتارية فى هذه الجزيرة بكل امتيازاتها القديمة عن طريق التفاهم مع كل من لويس ويعقوب • وكان من الطبيعــى

---

(١) أنظر : Mas-latrie III, P.106

(٢) أنظر : Ibid,: Op. Cit. , PP. 107-108.

(٣) وكان على نائب الآمر (واسمه وليم كومبورت Combort) أيضا بمقتضى هــذه التعليمات أن يخبر المغتصب يعقوب بأن هيئة الاسبتارية علمت من سفيرها فـــى القاهرة ، دلفن ، بأن السلطان وعد باعفاءات ضرائبية لاملاكها فى قبرص ، وأن مقدم الجيش المملوكى فى قبرص يصدق على هذا الوعد - ارجع للتفاصيل فى فصــل العلاقات مع المماليك •

الا يحاول السيد الكبير دى ميلى أن يغامر بالتدخل العسكرى الذى لا يضمن له أية نتيجة الا قيام المغتصب وحماته المماليك بتخريب أملاك الاسبتارية فى الجزيرة، (١) الى جانب عوامل أخرى ساعدت على منعه من القيام بهذه المحاولة منها مبادرة أهالى قبرص باعلان خضوعهم للمغتصب يعقوب بعد أن حقق سيطرته السريعة على الجزيرة عدا مدينة كيرينيا الساحلية التى تحصن فيها لويس وشارلوت وحاصرها أنصار يعقوب، ووقوع جزيرة رودس نفسها، وسائر جزر الاسبتارية فى بحر ايجة، وقتذاك، تحت التهديد بالغزو من جانب كل من السلطان العثمانى محمد الثانى - الذى حاصر أسطوله بالفعل احدى هذه الجزر، وهى جزيرة لانجو، لمدة ثمانية أيام - والسلطان المملوكى إينال - الذى توقع دى ميلى أن يرسل أسطوله المملوكى لغزو جزيرة رودس فى فصل الربيع، أى فى ربيع عام ١٤٦١، منفردا أو متعاونا مع أسطول محمد الثانى - (٢) فضلا عن انتشار وباء الطاعون والمجاعة فى رودس. (٣)

ومهما يكن من أمر، فقد ساعد الاخذ بسياسة عدم التدخل العسكرى ضد المغتصب يعقوب لوزجنان - الا بسفينة عسكرية رودسية ظلت مرابطة فى ميناء كيرينيا للمحافظة على سلامة شارلوت وزوجها لويس الشخصية وابعادهما عن الجزيرة وقت اللزوم، (٤) وبعض

(١) أنظر: Hill III, P.642; Biliotti, PP.227-228.

(٢) أنظر: نص الخطاب الدورى الذى أرسله دى ميلى فى عام ١٤٦٠ الى قسطلان أمبوستا فى mas-latrie III, PP.108-113

(٣) أنظر المنشور البابوى الذى أصدره البابا بيوس الثانى فى ١٦ فبراير سنة ١٤٦١ لحث أمراء المسيحية على سرعة انجاد رودس التى يهددها كل من السلطان العثمانى والسلطان المملوكى بالغزو فى الوقت الذى فتك فيه بأهلها الطاعون والمجاعة. ويوجد هذا المنشور فى Pauli II, PP.138-139 num. CXVLI.

(٤) أنظر: Hill III, P.571 n.2

فرسان الاسبتارية الذين ألحقوا بحاشية الملك لويس وحرصهم على نجاح مهمة نائب آمر الآمرية الكبرى لدى هذا المغتصب فيما يتعلق بوضع الآمرية (١) .

على أن هذه السياسة من جانب الاسبتارية لم ترض الملكة شارلوت وزوجها لويس ، ومن ثم وصلا - فى أوائل عام ١٤٦١ - الى جزيرة رودس لمحاولة اقناع السيد الكبير دى ميللى بارسال قواته لمساعدتهما على استعادة عرشهما الذى اغتصبه يعقوب لوزجنان . وقد استقبلهما الاسبتارية فى رودس بحفاوة ، ولكن لم يقدموا لهما أكثر من سفينة واحدة للمساعدة فى الدفاع عنهما فى مدينة كيرينيا الى جانب سفينة الحراسة التى وضعوها فى خدمتهما منذ بدء محنتهما (٢) . ومن ناحية أخرى لم يلبث السيد الكبير دى ميللى أن أرسل الى قبرص بعد عودة شارلوت اليها سفيرا اسبتاريا لمحاولة تحقيق الصلح بين هذه الأميرة وأخيها يعقوب ، ولكن السفير فشل فى مهمته (٣) . وفى تلك الاثناء وصلت الى رودس شكوى من شارلوت مؤداها أن المغتصب يحشد حوله المزيد من الأنصار عن طريق دفع أعلى الأجور لمن ينضم اليه ، فبادر السيد الكبير دى ميللى باصدار بيان يحرم بمقتضاه على جميع العاملين فى آمريات الاسبتارية بقبرص ، والمستفيدين من أملاكهم بتلك الجزيرة بأى صورة من الصور ، الدخول فى خدمة المغتصب . غير أن شارلوت كانت فيما يبدو تطمع فى أكثر من اصدار هذا البيان ، فقد قامت ، فى مايو من هذا العام - أى فى عام ١٤٦١ - بزيارة ثانية لجزيرة رودس حصلت خلالها على كميات وافرة من البسكويت ، وافق دى ميللى على ارسالها الى أنصارها فى كيرينيا بالرغم من النقص الخطير فى المؤن الذى كانت تعانى منه وقتذاك رودس نفسها ، كما استطاعت - وهو الأهم - أن تقنع السيد الكبير وأعضاء مجلسه بالموافقة على اعداد سفينتين حربيتين لتخرجا - صحبة أسطول أبلغتهم شارلوت بأن أمير سافوى ، والد لويس ، أكد لها بأنه على وشك أن يرسله لمساعدتها فى حمله على جزيرة قبرص تهدف الى اعادة شارلوت وزوجها لويس الى عرشهما فى هذه الجزيرة . وعلى أى حال فقد حدث فى ٢٧ مايو عام ١٤٦١ أن وصلت رسالة من أمير سافوى الى السيد الكبير

---

(١) أنظر : Hill III, op. Cit?, P. 569 n.2.

(٢) أنظر : Ibid: Op. Cit, P.571.

دى ميللى يبلغه فيها بأنه لم يته بعد من اعداد السفن التى وعد بها شارلوت ، ثم يطلب منه بأن يقدم لهذه الاميرة القبرصية كل مساعدة ممكنة • وفى نفس اليوم وصل الى رودس فارسان قبرصيان ، صحبة رسالة من لويس ، زوج شارلوت ، يشكو فيها من الحالة السيئة التى أصبح وأنصاره يعيشون فيها بمدينة كيرينيا • وكان أن أبلغت شارلوت مجلس الاسبتارية — حيث كان السيد الكبير دى ميللى وقتذاك مريضا — بأنها قررت العودة للوقوف الى جانب زوجها فى جزيرة قبرص ، وطلبت منه الموافقة على اعطائها سفينة حربية تسافر عليها الى تلك الجزيرة ، وتصريحا يسمح لأفصال أمير سافوى من أعضاء هيئة الاسبتارية الموجود بين فى مدينة كيرينيا بالبقاء فى هذه المدينة للمساعدة فى الدفاع عنها ، فضلا عن كميات كبيرة من الذخائر ومدفعين • وقد أجابها المجلس الى ما طلبت ، ولكنها ، مع ذلك ، لم تلبث أن اتصلت بهم مرة أخرى وأخبرته بأنها أصبحت تفضل السفر الى ايطاليا لحث كل من البابا وأمير سافوى على سرعة العمل لمساعدتها ، وحصلت على موافقته على مدها بحرس خاص من فرسان الاسبتارية يتبعها أينما ذهبت فى رحلتها الى ايطاليا وبقرض قيمته ألف دوكات •(١)

وهكذا وجدت شارلوت من الاسبتارية ، فى زيارتها الثانية لهم فى رودس ، كل مساعدة ممكنة بما فى ذلك الموافقة على الاشتراك مع أسطول سافوى لاعادتها الى العرش اذا وصل هذا الاسطول ، وهى موافقة بنيت ولا شك على أساس التأكد من قدرة أسطول سافوى الكاملة على أداء مهمته فلا تتيح ليعقوب لوزجنان أية فرصة للانتقام منهم بتخريب أملاكهم فى جزيرة قبرص • وعلى أى حال فقد غادرت شارلوت مدينة رودس متجهة الى ايطاليا ربما فى شهر سبتمبر من عام ١٤٦١ •(٢) ومن مدينة لوزان بامارة سافوى أرسلت شارلوت سفيرين الى مدينة برشلونة بمملكة أرغونه — حيث كان يقيم السيد الكبير للاسبتارية ريموند زاكوستا ، خليفة دى ميللى ، منذ أن كان يشغل منصب مقدم شعبة أمبوستا قبل انتخابه لرئاسة هيئة الاسبتارية فى ٢٤ أغسطس عام ١٤٦١ — لمحاولة التفاهم مع هذا السيد الكبير وملك أرغونه حنا الثانى

---

(١) أنظر : Hill III, PP. 580 - 581.

(٢) أنظر : Ibid, : Op. Cit., P.581.

(١٤٥٨ ـ ١٤٧٩) حول ارسال حملة عسكرية تمهيدا الى عرش قبرص . وأهم ما تقضى به التعليمات التي كتبتها شارلوت لسفيريها (١) ، فى ١٧ فبراير عام ١٤٦٢ (٢) ، أن يتقدم هذان السفيران بالشكر للسيد الكبير زاكوستا ـ الذى دعته شارلوت بالوالد وبالصديق العزيز ـ على جميع الخدمات والمساعدات التي أداها سلفه دى ميللى ـ وقد دعته شارلوت كذلك بالصديق الفريد جدا ـ وهيئة الاسبتارية بوجه عام لها ولزوجها الملك لويس ، وأن يقوما بابلاغه بأن كلا من البابا بيوس الثانى وأمير ميلان ـ اللذين قامت شارلوت بزيارتهما فى بلديهما وهى فى طريقها الى سافوى ـ قدم كميات كبيرة من الحبوب والنبيذ لانصارهما فى كيرينيا ، وبأن أمير سافوى أرسل اليهم بالفعل مؤخرا سفينة كبيرة محملة بالعون والأموال والرجال ، ووعد شارلوت ببذل كل ما فى وسعه من جهود لاعادتها وزوجها الى عرشهما الذى اغتصبه منهما أخوها يعقوب ، فى نفس الوقت الذى عبر لها فيه مستشار ملك فرنسا المدعو يعقوب فالبرج (J. de Valperge) ـ وكان يقوم وقتذاك بزيارة لسافوى ـ عن رغبة مليكه القوية فى مساعدتها على بلوغ هدفها ، ثم يحرضا عليه بأن يبادر الاسبتارية من ناحيتهم بمساعدة شارلوت ولويس على استرجاع عرش قبرص بتقديم قوة قوامها ثلثمائه فارس اسبتارى وثلاثة آلاف جندى من المشاه ـ وهى قوة ترى شارلوت بأنها كافية لتحقيق الغرض ـ أو ـ اذا رأى غير ذلك ـ الاكتفاء بتقديم مائتى فارس وألفين من الجند المشاة ، مقابل وعد من شارلوت بمنح هيئة الاسبتارية أملاكا فى جزيرة قبرص تعطى دخولا قدرها ألف دوكات أو ألفى دوكات ، لتنشىء الهيئة فيها آمرية جديدة أو آمريتين ، الى جانب تأمين أملاك الاسبتارية الاخرى فى هذه الجزيرة ، فاذا وافق السيد الكبير على هذا العرض ، يقدم له السفيران بعض المال ليبدأ به على الفور فى حشد الجند للحملة ، ويقترحان عليه بأن يتوجه الى مدينة نيس للالتقاء بشارلوت والرحيل معها على سفينتها الى رودس ومنها

---

(١) أنظر : Mas-latrie III, PP.118-124

(٢) أضافت شارلوت بندا لهذه التعليمات فى نهايتها يوم ١٩ فبراير ١٤٦٢ — أنظر : Ibid, Op. Cit.P.124 n. 1

الى قبرص لبدء الحملة ضد يعقوب لوزجنان • وكان على سفيرى شارلوت أيضا - بمقتضى هذه التعليمات - أن يحصلا على وعد من السيد الكبير زاكوستا بألا يتأخر - فى حالة ظهور عوائق فى رودس ، بعد وصوله اليها ، تعطله عن ارسال الحملة - عن ارسال نجدة لمساعدة لويس على المقاومة فى كيرينيا الى أن يتمكن من تسيير هذه الحملة ، وبأن يظل أفراد الحملة فى خدمة شارلوت وزوجها لويس بجزيرة قبرص لمدة ثلاثة شهور كاملة ، وهى المدة المنتظر أن يتم خلالها اعادة غزو هذه الجزيرة لحسابهما • أما اذا رفض زاكوستا التعهد بارسال الحملة فان على السفيرين أن يأخذا منه وعدا بأن يمد شارلوت ولويس بما يساعدهما على الاحتفاظ بمدينة كيرينيا والمحافظة على حياتهما من المؤن والاسلحة والذخائر والزوارق ، مقابل وعد من شارلوت بأن تدفع له أثمان جميع هذه المساعدات • هذا وقد كلفت شارلوت سفيريها كذلك بأن يطلبا من السيد الكبير للاسبتارية بأن يحتج لدى ملك أرغونة على انحياز رعاياه القطالونيين المقيمين بجزيرة قبرص للمغتصب يعقوب ، ويحثه على ارسال نوابه الى هذه الجزيرة لتهديد أولئك الرعايا بترك خدمة المغتصب فى مدة يحددونها لهم ، والا عوقبوا بتهمة الخيانة والتمرد على يد السيد الكبير للاسبتارية بتفويض من ملكهم الأرغونى حتا الثانى يطلبه السيد الكبير لنفسه ، كما يطلبه له السفيران ضمن طلبات أخرى أهمها أن يقدم الملك كل مساعدة ممكنة لشارلوت أسوة بالبابا والسيد الكبير للاسبتارية وغيرهما من أمراء المسيحية ، وأن يؤجر لهذه الملكة القبرصية أسطوله الذى يقوده القبطان ڤيللا ماريتا Bernard Villamarina

ومهما يكن من أمر فحوى هذه التعليمات فقد فشلت مهمة السفيرين المتعلقة بها لدى كل من السيد الكبير للاسبتارية وملك ارغونة (١) • ولم تلبث شارلوت أن رجعت الى رودس فى نفس ذلك العام - أى فى عام ١٤٦٢ - ونزلت فى قصر السيد الكبير حيث منحها زاكوستا - وكان قد وصل الى رودس قبلها بقليل - جناحا خاصا أصبح يعرف منذ ذلك الوقت

(١) أنظر : Hill III, P.587

باسم " قصر ملكة قبرص • وقد لحق بها زوجها لويس في رودس التي وصل اليها في ٢٣ فبراير عام ١٤٦٣ قادما من كيرينيا • (١) وكان لويس لا يزال مقيما في رودس في ١٨ سبتمبر عام ١٤٦٣ عندما عقد مع زاكوستا قرضا ماليا ، واعترف له في نفس الوقت بدين قيمته نحو أربعة آلاف وسبعمائة وواحد وأربعين دوكات • (٢) ولكن من الثابت أنه كان موجودا بمدينة البندقية يوم ٢٦ أكتوبر من نفس العام في طريقه الى بلده الأصلى سافوى ، (٣) ولم يعرف عنه أنه رجع مرة أخرى الى رودس • ويبدو أن شارلوت قد غادرت جزيرة رودس في نفس الوقت الذى رحل فيه عنها زوجها لويس ، فقد كانت موجودة بمدينة كيرينيا في ٢٢ سبتمبر عام ١٤٦٣ ، (٤) ولكنها لم تلبث أن رجعت مرة أخرى الى هذه الجزيرة رودس في أواخر هذا العام أو أوائل العام الذى يليه • وقد حدث في عام ١٤٦٤ أن أرسل البابا بيوس الثانى يشكر السيد الكبير زاكوستا على المساعدات التى قدمها لشارلوت وزوجها لويس ويطلب منه أن يستمر في تقديم هذه المساعدات لهما ، وأن يبذل محاولة للصلح بينهما وبين مغتصب عرشهما يعقوب لوزجنان • ومن ثم أرسل زاكوستا – بعد أن استشار شارلوت التى كانت تقيم وقتذاك في رودس – فارسين اسبتاريين الى جزيرة قبرص للتفاوض مع يعقوب في أمر هذا الصلح • ولكن المفاوضات بين الطرفين انتهت الى فشل • ولم يلبث يعقوب لوزجنان أن استولى في خريف عام ١٤٦٤ على مدينة كيرينيا ، آخر معقل لشارلوت وزوجها لويس في جزيرة قبرص ، وحقق نصره النهائى في هذه الجزيرة • (٥) وقد رحلت شارلوت ، بعد ذلك بقليل ، عن جزيرة رودس ، متجهة الى أوروبا لحث أمرائها على مساعدتها على استعادة عرشها ، (٦) ولكنها عادت الى هذه الجزيرة مرة أخرى في شهر يوليه عام ١٤٦٦ • ومن المعروف أن

---

(١) أنظر : Hill, III, P. 588
(٢) أنظر : Mas-Latrie III, P.88 n.l.
(٣) أنظر : Hill 111, P.589
(٤) أنظر : Mas-latrie III, P.124
(٥) أنظر : Hill 111, PP. 593 - 594
(٦) أنظر : Ibid:op. Cit., P.594

السيد الكبير زاكوستا أصدر - بناء على طلبها - في السابع والعشرين من هذا الشهر قرارا نص على منح جميع أفراد حاشيتها ، من فرسان وخدم ، نفقة شهرية تعادل النفقة التي يحصل عليها أعضاء هيئة الاسبتارية أنفسهم كل بحسب مركزه الاجتماعي (١) ، كما أنه أرسل لها في رودس - في ٢٢ ديسمبر من نفس العام - من مدينة روما ، التي كان يزورها وقتذاك ، تصريح مرور يسمح لها بحرية البقاء في رودس أو الرحيل عنها في أي وقت تشاء صحبة كل أو بعض أفراد حاشيتها من كلا الجنسين بما فيهم من يكون قد تزوج في رودس أثناء اقامتهم بها بالرغم مما جرت عليه العادة في الجزيرة من تحريم هجرة المتزوجين (٢) . ومن المعروف أيضا أن هذه الأميرة القبرصية كانت لا تزال تقيم في رودس في عام ١٤٦٩ على معاش شهري من خزانة الاسبتارية قدره ثلاثون فلورنتيا أمر لها به وقتذاك السيد الكبير أورسيني خليفة زاكوستا . ولكن لم يسمع عنها خلال السنة الثلاث التالية لذلك - البعيد وأنها قضتها كلها أو معظمها في رودس - سوى مرة واحدة ، وذلك في ٢٧ فبراير عام ١٤٧٢ حيث طلبت من مجلس الاسبتارية مدها بالمال اللازم لسفرها الى روما - صحبة بعض السفن الفرنسية التي كانت وقتذاك على وشك مغادرة رودس الى الغرب - واستجاب المجلس الى طلبها . هذا وقد قامت شارلوت بهذه الرحلة ، ثم عادت الى رودس ، قبيل يوم ٦ يوليه عام ١٤٧٣ ، الذي حدثت فيه وفاة أخيها يعقوب لوزجنان بقبرص (٣) .

وبعد ، فقد كان ذلك عن الدور الذي قام به الاسبتارية في النزاع بين شارلوت وأخيها يعقوب - الذي أصبح يعرف منذ أن أتم سيطرته على جزيرة قبرص في عام ١٤٦٤ باسم يعقوب الثاني لوزجنان (٤) - على عرش هذه الجزيرة . وفي الحقيقة لقد كان يعقوب الثاني آخر من حكم جزيرة قبرص من ملوك لوزجنان أصدقاء الاسبتارية وحلفائهم التقليديين

---

(١) أنظر : Hill III, P. 597

(٢) أنظر : Mas-latrie II, PP. 144-146

(٣) أنظر : Hill III, PP. 597-598 ; Bouhours, P.34

(٤) أنظر : Hill III, P. 622.

بقطع النظر عن الفترات قصيرة العمر التى ساءت فيها العلاقات بين الطرفين[(١)] • حقيقة ولد لهذا الملك ابن بعد وفاته بأقل من شهرين ـ وعلى وجه التحديد فى ٢٨ أغسطس عام ١٤٧٣ ـ أطلق عليه اسم جاك ـ أى يعقوب ـ الثالث[(٢)] ، غير أن هذا الابن لم يلبث أن توفى فى ٢٦ أغسطس عام ١٤٧٤ ، أى بعد ولادته بعام واحد[(٣)] • ومن ناحية أخرى فان جمهورية البندقية ـ التى تنتمى اليها أرملة يعقوب الثانى المعروفة باسم كاتيرينا كورنارو Caterina Cornaro[(٤)] ، أو باسم كاتيرينا البندقية Caterina veneta الذى أطلقته عليها جمهورية البندقية عندما أعلنت تبنيها لها ـ[(٥)] تصرفت ، منذ اليوم الأول الذى علمت فيه بوفاة يعقوب الثانى ، على أساس أن جزيرة قبرص احدى مناطق نفوذها ، متذرعة بحجة أن من واجبها حماية مصالح ابنتها كاتيرينا ومصالح ابن كاتيرينا الذى لم تكن قد ولدته بعد ، ومن ثم أصبحت علاقة الاسبتارية فى رودس بجزيرة قبرص تشكل منذ ذلك الوقت جزءاً لا يتجزأ من علاقاتهم مع جمهورية البندقية •

البندقيــــة :

وفى الحقيقة لا يمكن القول بأن العلاقات بين الاسبتارية والبندقية اتسمت دائما بالمودة ، بل كثيرا ما شابها التوتر الذى وصل أحيانا الى حد قيام الأسطول البندقى بفرض الحصار البحرى على مدينة رودس والتهديد بغزوها ، وذلك بالرغم من وجود مصالح اقتصادية متبادلة بين الطرفين من أمثلتها وجود شعبة لهيئة الاسبتارية فى البندقية[(٦)] ، واتخاذ

(١) لقد حافظ يعقوب الثانى على علاقاته السلميه مع الاسبتارية رغم انحيازهم لاخته شارلوت • ومن الأدلة على ما كان يكنه نحوهم من نوايا طيبة أنه أرسل فى عام ١٤٧٢ يعرض وساطته فى خلاف وقع وقتذاك بين السيد الكبير أورسينى ووكيل خزانته قائلا بأنه يعتبر نفسه ابنا مخلصا لهيئة الاسبتارية •
أنظر : Hill III, PP.643-644

(٢) أنظر : Ibid, Op. Cit., P. 663

(٣) أنظر : Ibid: Op. Cit., P. 710

(٤) تزوجها فى يوليه عام ١٤٦٨ ـ أنظر : Ibid:Op. Cit., P.631

(٥) أنظر : Ibid:Op. Cit., P.634

(٦) أنظر :

سفن البندقية التجارية من جزيرة رودس محطة لها في طريقها الى أسواق شرقي البحر المتوسط ، وفي طريق العودة من هذه الاسواق ، (١) مع وجود جالية بندقية تجارية في مدينة رودس يرأسها قنصل تعينه جمهورية البندقية ، (٢) فضلا عن مواظبة الاسبتارية على تأجير معظم أراضي آمريتهم الكبرى في قبرص لعائلة كورنارو Cornaro البندقية التي تملك ضيعة ابسكوبيا Episcopia المجاورة لهذه الآمرية ، (٣) وقيامهم - خلال القرن الخامس عشر على الأقل - ببيع محصول ضيعة كولوسي Kolossi - وهي احدى الضياع التي تتألف منها الآمرية الكبرى - من مسحوق السكر الى بيت مالي بندقي هو بيت مارتيني martini ، (٤) وأحيانا الى تجار بنادقة من أسرة لوريدانو Loredano (٥)

ولعل ما كان بين الدولتين من عدم انسجام يعود أساسا الى التناقض بين سياسة الاسبتارية القائمة على التعصب الأعمى ضد جيرانهم المسلمين - عربا كانوا أو تركا - وبين سياسة البندقية الرامية الى مسالمة القوى الاسلامية الحاكمة في منطقة البحر المتوسط للاستفادة بتجارة هذه القوى وضمان عدم قيامها بمهاجمة المتاجر أو المستعمرات البندقية في ذلك البحر.

على أن أول مرة ثار فيها النزاع بين هاتين الدولتين كان بسبب قيام أول سيد كبير للاسبتارية في رودس - وهو فولك فيلاريه - في عام ١٣١٢ بضم ثلاث جزر صاحبها استعماري بندقي اسمه أندريا الأول كورنارو Andrea I cornaro - هي جزر كارباثوس Karpathos ، ساريا saria ، كاكسو kaxo ، الواقعة في أرخبيل

---

(١) أنظر : Noiret, PP.20, 230 , 307,315,341,-342,405,408,409 413,499

(٢) ألغيت القنصلية في عام ١٤١٠ مع بقاء الجالية - أنظر : D.Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, P.327; Hill 11, P.449 n.2

(٣) أنظر : D. Le Roulx : Op. Cit., P.25n. 1

(٤) أنظر : Mas-latrie III, PP.27, 88-90; Hill III, P.628

(٥) أنظر : Mas-latrie III, P.93.

كارياثوس بين جزيرتى رودس وكريت ـ وذلك بالتواطؤ مع أهالى هذه الجزر الثائرين على سوء معاملة أولاد كورنارو لهم • وقد بادرت جمهورية البندقية ـ التى كانت تعد أرخبيل كارياثوس منطقة نفوذ لها ـ فى ربيع عام ١٤١٤ بارسال سفير بندقى الى رودس حيث طلب من السيد الكبير فولك ضرورة اعادة الجزر الثلاث الى صاحبها كورنارو • غير أن السيد الكبير للاسبتارية رد ، فى ٢٥ أبريل عام ١٣١٤ ، بأن كورنارو لم يكن مالكا لهذه الجزر وانما كان يدير شئونها بمقتضى اتفاق سرى بينه وبين أهاليها ، الذين اعتقدوا بأن فى مقدوره حمايتهم من اعتداءات القراصنة ، فلما ظهر لهم عجزه سلموا جزرهم ـ طوعا واختيارا ـ للاسبتارية أصحاب جزيرة رودس التى كانت هذه الجزر تخضع لها قبل كورنارو ، ثم ختم فولك رده بأن اقترح على البندقية عرض القضية على البابا أو أى محكم آخر • ولم يلبث فولك أن تلقى ، فى شهر سبتمبر من هذا العام ، رسالة من دوج البندقية ، أخبره فيها بأن حكومته ترفض فكرة التحكيم وتصر على ملكية الجزر الثلاث • ولم تكف جمهورية البندقية بعد ذلك عن مطالبتها بهذه الجزر الى أن تنازل لها فولك عنها فى ٢٠ يونيه عام ١٣١٦ • (١)

وهناك ثلاث ظواهر على الأقل تشير الى استمرار روح عدم التعاطف بين الاسبتارية والبندقية خلال القرن الرابع عشر ، بالرغم من اضطرارهما للتحالف معا ، فى هذا القرن ، عدة مرات ، جنبا الى جنب مع قوى مسيحية أخرى لها مصالح حيوية فى شرق البحر المتوسط ، للدفاع عن هذه المصالح أمام تهديدات الأتراك السلاجقه ثم الأتراك العثمانيين لها •

وأول ظاهرة من هذه الظواهر الثلاث هى اعتراض السيد الكبير للاسبتارية دى فيلينيف على دخول سفن البنادقة ميناء مدينة أزمير ، بعد قليل من سقوط هذه المدينة ، فى ٢٨ أكتوبر عام ١٣٤٤ ، فى يد أسطول مسيحى مشترك ساهم فى تشكيله كل من الاسبتارية والبنادقة الى جانب البابوية والقبارصة والجنوية • (٢)

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., pp. 3-4

(٢) أنظر : Day, P.74

الى السيد الكبير جوزون – خليفة فلينيف – رسالة أبلغه فيها بأن دوج البندقية ومجلس شيوخها (السلناتو) اشتكيا من وقوف عدد كبير من فرسان الاسبتارية بكامل أسلحتهم الى جانب الجنوية فى حربهم القائمة وقتذاك ضد البنادقة ، ثم طلب منه ضرورة وقوف الاسبتارية على الحياد بين هاتين الدولتين الايطاليتين (١) . وقد رد عليه جوزون (٢) بأن هيئة الاسبتارية حريصة على التزام جانب الحياد بين جنوة والبندقية تنفيذا لمواد دستورها التى تحرم على أعضاء هذه الهيئة التدخل فى الحروب الدائرة بين الدول المسيحية (٣) ، وبأن فرسان الاسبتارية من الجنوية الذين اشتكت منهم البندقية لم يدخلوا الحرب ضدها الا بصفتهم الشخصية بدافع من حبهم الطبيعى لوطنهم الأم ، كما أن هناك عددا من فرسان الاسبتارية البنادقة اشتركوا أيضا فى هذه الحرب بصفتهم الشخصية ضد جنوة .

أما الظاهرة الثالثة فمفادها أن البابا جريجورى الحادى عشر أرسل الى السيد الكبير ريموند بيرنجر ، فى ١٠ يونيه عام ١٣٧٢ ، رسالة أمره فيها بألا يمد الجنوية بأية مساعدة تفيدهم فى احتلال قبرص ، (٤) التى كانت قواتهم قد بدأت بالفعل وقتذاك فى غزوها ، حيث كان البابا – على ما يعتقد – يخشى أن يقدم الاسبتارية على تقديم مثل هذه المساعدة للجنوية بدافع من الحقد على سادة قبرص لأنهم وقفوا الى جانب البنادقة – الذين لا يتعاطف الاسبتارية معهم – فى المعركة الدموية التى وقعت بينهم وبين الجنوية أثناء الاحتفال

---

(١) الرسالة منشورة فى : Pauli II, P.403 num. IX giunt.
تحت تاريخ سنة ١٣٥٠ . أما تاريخ ١٥ مايو ١٣٥١ فقد أورده المؤرخ D.Le Roulx: Op.Cit , P.112 . وقد أشار الى هذه الرسالة أيضا المؤرخ vertot II, P.217 من غير أن يذكر تاريخ تحريرها .

(٢) أنظر : Vertot II, PP.218-220;D.Le Roulx: Op. Cit.,P.112

(٣) أنظر : Les statuts, Titre 18 , PP. 155-156

(٤) أنظر : Pauli II, P.406 , num. Xlv giunt.

بتتويج الملك بطرس الثاني بمدينة فاما جوستا في ليلة ١٠ أو ١٢ أكتوبر عام ١٣٧٢ ، أى قبل أن يرسل البابا رسالته هذه للسيد الكبير بثمانية شهور .

واذا انتقلنا الى القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الى أن جلا الاسبتارية عن رودس في مطلع عام ١٥٢٣ ، نلاحظ أن الاسبتارية تعرضوا خلال هذه الفترة للحصار الطويل في جزيرتهم رودس ثلاث مرات ــ أولها في عام ١٤٤٤ على يد المماليك المصريين في عهد سلطانهم جقمق واستمر نحو أربعين يوما ،(١) وثانيها في عام ١٤٨٠ على يد الأتراك العثمانيين في عهد سلطانهم محمد الثاني ودام نحو ثلاثة شهور ، وثالثها (وهو الحصار الأخير الذى انتهى بجلاء الاسبتارية عن رودس في فجر أول يناير عام ١٥٢٣) على يد الأتراك العثمانيين أيضا في عهد سلطانهم سليمان الثاني وظل قرابة سبعة شهور(٢) ــ من غير أن تتقدم البندقية لنجدتهم بالرغم من وجود سفن حربية تابعة لها أمام مستعمراتها في بحر ايجه(٣) ــ وبخاصة جزيرة كريت ــ(٤) القريبة من رودس ، فضلا عن أسطولها القوى في بحر الأدرياتيك ، وذلك ولا شك حتى لا تعرض نفسها للانتقام من جانب سلطان أى من هاتين الدولتين الاسلاميتين في مصالحها الواسعة لديه ، الى جانب ضعف الروح الصليبية لدى البندقية ــ بالرغم من أن هذا الضعف لم يمنع قيام التحالف الصليبي بين الدولتين ضد الأتراك العثمانيين مرات كثيرة خلال تلك الفترة ــ وربما أيضا لأن البندقية كانت وقتذاك تحقد على الاسبتارية بسبب صداقتهم لمنافستها جنوة وبخاصة منذ أن وقعت جنوة تحت سيطرة فرنسا ــ التي يتعصب لها العنصر الفرنسي المسيطر في هيئة الاسبتارية ــ في ٤ نوفمبر عام ١٣٩٦ .(٥)

---

(١) ارجع بشأنه الى فصل العلاقات مع المماليك

(٢) ارجع بشأن هذين الحصارين الى فصل العلاقات مع الأتراك

(٣) عن هذه المستعمرات أنظر : Miller , P.653

(٤) أنظر : Noiret, PP. 47 , 125, 406, 40?, 428.

(٥) أنظر : D.Le Roulx:F.O.I, P.405.

على أننا من ناحية أخرى نلاحظ بأن الاسبتارية لم يتقدموا لجمهورية البندقية ، خلال هذه الفترة ، بشكوى واحدة تفيد بوقوع اعتداء بندقى ما عليهم ، فى حين قدمت هـذه الجمهورية لحكومتهم فى رودس عددا غير قليل من الشكاوى ضد تصرفاتهم المعادية نحوها . ومن الأمثلة على هذه الشكاوى التى تقدمت بها البندقية أنها اشتكت فى ٤ أبريل عام ١٤٠٤ على لسان سفيرها مرقس ميخائيل Marco michieli لدى السيد الكبير للاسبتارية دى نيلاك من أن سفن الاسبتارية ، التى خرجت بقيادة دى نيلاك نفسه فى العام السابق - عام ١٤٠٣ - صحبة أسطول حاكم جنوة بوسيكو لغزو مدن ساحل الشام المملوكى ، ساعدت هذا الأسطول فى نهب متاجر البندقية فى مدينة بيروت ، وأن سفينة اسبتارية كانت ضمن سفن اسطول بوسيكو الذى اشتبك فى معركة بحرية ضد أسطول البندقية أمام مدينة مودون ، التابعة للبنادقة على الساحل الغربى للمورة ، أثناء مروره بها فى طريق عودته لجنـوه ، ثم طلبت من السيد الكبير أن يدفع لها تعويضا عن الخسائر التى منيت بها بسبب هـذا الحادث . وقد رد دى نيلاك على السفير البندقى بأنه سوف يرسل مبعوثا اسبتاريا خاصا لتوضيح الموقف لسناتو البندقية . غير أن السيد الكبير تباطأ فى ارسال هذا المبعـوث ، ولذا كلفت البندقية ، فى ٢٩ أغسطس عام ١٤٠٤ ، قباطنة سفنها التجارية ، التى كانت على وشك القيام برحلتها الموسمية الى مدينة بيروت ، بالمرور بجزيرة رودس - قبل الذهاب الى بيروت - لتقديم طلب جديد للسيد الكبير دى نيلاك بدفع التعويض المطلوب منه ، وقدره ثمانية آلاف دوكات ، على أن يكون لهؤلاء القباطنه سلطة التفاهم معه على تخفيض المبلغ الى النصف . غير أن مبعوثى دى نيلاك لم يلبثوا أن وصلوا الى مدينة البندقية ، فـى ١٦ أو ١٨ سبتمبر ، قبل وصول قباطنه سفن رحلة بيروت الى رودس ، وأكدوا لمجلس شيوخها (السناتو) بأن سفينة الاسبتارية التى شاهدها البنادقة صحبة أسطول بوسيكو أثناء معركة مودون البحرية لم ترسل الى تلك الجهات لغرض عدائى ضد البندقيه ، بل لاطاعة أوامـر بوسيكو بوصفه ممثلا لملك فرنسا وللدفاع عن مصالح الاسبتارية فى المورة ، كما أكدوا له بأن دى نيلاك لم يخرج برفقة بوسيكو الى ساحل الشام لالحاق الأذى بالبنادقة ولكن لحـرب المسلمين ، وأنه يعتذر عن نهب بيروت بالرغم من عدم اشتراكه فى القيام به ، ومـن أن

البضائع التي نهبت ردت بالكامل لممثلي البندقية كبيرهنا في مدينة بقبرص . وانتهى الأمر بموافقة السناتو على الكف عن مطالبة الاسبتارية بدفع التعويض عن هذا الحادث مكتفيا بما قدمه السيد الكبير دى نيلاك على لسان مبعوثيه من تأكيدات واعتذارات حوله .(١)

ومن الأمثلة الأخرى أن جمهورية البندقية اشتكت لدى دى نيلاك في عام ١٤١٠ من قيامه باغلاق قنصليتها في عاصمته رودس . وقد دافع دى نيلاك عن نفسه باضطراره الى اتخاذ هذا الاجراء بناء على طلب الجنويه والقطالونيين الذين ساءهم ، وهم الذين لا يحتفظون بقناصل لهم في جزيرة رودس ، أن تتمتع البندقية في هذه الجزيرة بميزات أكثر مما لهم من ميزات فيها . ومما لا شك فيه أن جمهورية البندقية لم تقتنع في أول الأمر بالحجة التي ساقها لها السيد الكبير للاسبتارية ليبرر بها تصرفه ، حيث ظلت المراسلات بين الطرفين حول هذه المسأله قائمة لمدة عامين ، ولكنها في النهاية رضخت ـ فيما يبدو ـ للأمر الواقع .(٢)

ويمكن أن نضيف الى ذلك عددا من الشكاوى تقدمت بها البندقية لحكومة الاسبتارية في رودس ـ في أبريل عام ١٤٠٦ ، وديسمبر عام ١٤٢٣ ، وسبتمبر عام ١٤٢٤ ، ويناير عام ١٤٤٢ ، وفبراير عام ١٤٤٤ ، وأغسطس عام ١٤٨٢ ـ ضد اعتداءات الروديسين على بعض رعاياها من التجار مطالبة بدفع تعويضات مناسبة لهؤلاء الرعايا عما فقدوه من بضائع وأموال نتيجة تلك الاعتداءات .(٣)

وعلى أى حال فان جميع هذه الشكاوى التي مثلنا لها قد قدمت وتم التفاهم بشأنها سلما بالطرق السياسية . على أن هناك شكاوى وطلبات لم تتورع جمهورية البندقية عن

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. a Rh., pp.300-301, Ibid, F.O.l, PP.475-476.

(٢) أنظر : Ibid, Les Hopit. à Rh., P.327

(٣) أنظر : Noiret, PP. 166, 300, 301, 400, 406, -407, 549

تقدمها مقرونة بعبارات التهديد أو معززة بارسال الأسطول الحربي لحصار مدينة رودس .
ومن هذه الشكاوى — وربما أولها — شكوى تقدمت بها البندقية في ٢٠ سبتمبر عام ١٤٦٤ للسيد الكبير زاكوستا من قيام فرسانه بمصادرة حمولة سفينتين بندقيتين — كانتا قد لجئتا الى ميناء رودس للاحتماء فيه من عاصفة اجتاحتهما بالقرب منه — من البضائع التي يملكها بعض التجار المسلمين من رعايا السلطان المملوكي خشقدم ، وبقيام هاتين السفينتين بنقلها لحسابهم ، وبأسر من وجدوه على ظهرهما صحبة هذه البضائع من المسلمين ، مما دعا السلطان الى اصدار أوامره بالقاء جميع التجار البنادقة الموجودين في سوريا في السجن .
وقد طلب السفير البندقي ، الذي تقدم بهذه الشكوى ، من زاكوستا ضرورة الافراج عن جميع البضائع المستولى عليها والتجار المسلمين المأسورين . غير أن زاكوستا كان في الواقع يرغب في الاحتفاظ بما تحت يده من أسرى وبضائع الى أن يطلق السلطان سراح السفير الاسبتاري دلفن — الذي كانت حكومة الاسبتارية قد أرسلته قبل أربع سنوات ، أي في عام ١٤٦٠ ، الى القاهرة بناء على طلب الأميرة القبرصية شارلوت لمحاولة كسب تأييد المماليك لهذه الأميرة في صراعها على عرش قبرص ضد أخيها يعقوب ، فزج به هؤلاء المماليك في أحد سجون الاسكندرية — ويرد للاسبتارية سفنهم التي كان رجاله قد استولوا عليها في ذلك الوقت ، ومن ثم لم يعط للسفير البندقي جوابا شافيا عما طلب منه . وكان أن أرسلت البندقية الى مدينة رودس العاصمة أسطولا قويا مؤلفا من اثنتين وأربعين سفينة ما أن وصل الى مينائها حتى هدد قائده بفتح نيران مدافعه عليها اذا لم يذعن السيد الكبير لطلب الافراج عن الأسرى المسلمين وبضائعهم المحتجزة . وهنا تدخلت الأميرة القبرصية شارلوت لوزجنان — وكانت تقيم وقتذاك في مدينة رودس كلاجئة بعد أن سقط آخر معقل لها في قبرص ، وهو مدينة كيرينيا ، في يد أخيها يعقوب — بالوساطة بين الطرفين ، وانتهت وساطتها في ١٢ نوفمبر (عام ١٤٦٤) بموافقة السيد الكبير زاكوستا — الذي أثر فيه ولا شك تهديد القبطان البندقي بقصف عاصمته ، وما بلغه من معلومات عن هذا القبطان بأنه يحمل تعليمات من حكومته بأن يأسر أكبر عدد ممكن من أهالي رودس لتسليمهم لسلطان مصر — على اطلاق سراح أسراه والافراج عن بضائعهم .(١)

---

(١) أنظر : Hill III, PP. 592 - 593; Biliotti, PP. 228-230

أما بقية ما نعرف من شكاوى وطلبات تنتمى الى هذا النوع فتعود جميعها فى الواقع الى اختلاف سياسة كل من الاسبتارية والبندقية فيما يتعلق بمشكلة السيادة فى جزيرة قبرص ، وبخاصة بعد وفاة ملكها يعقوب الثانى لوزجنان • فقد كانت هذه الجزيرة محطة تجارية هامة لسفن البندقية فى شرق البحر المتوسط ، وقد تأثر مركز تجارة البندقية فيها منذ أن استولى الجنوية —وهم أكبر منافس تجارى واستعمارى لها فى منطقتى البحر المتوسط والبحر الأسود — فى عام ١٣٧٣ على مدينة فاماجوستا الساحلية التى تعتبر أهم ميناء تجارى بالجزيرة ، فلما تمكن الملك يعقوب الثانى لوزجنان — بمساعدة البنادقة — من تحرير جزيرته من الاستعمار الجنوى فى عام ١٤٦٤ ، عقدت جمهورية البندقية العزم على بسط سيطرتها على هذه الجزيرة التى لم تلبث أن خضعت لها بالفعل عقب وفاة يعقوب الثانى فى عام ١٤٧٣ ، وان كان خضوعها من الناحية الرسمية لم يتم سوى فى عام ١٤٨٩ • وليس من شك فى أن البندقية كانت منذ البداية غير راضية عن الاسبتارية فى رودس لانهم بدلا من أن يمدوا يد المساعدة لملوك قبرص من آل لوزجنان — وهم أصدقاء تقليديون لهم — فى محاولاتهم لتحرير مدينة فاماجوستا من مستعمريها الجنوية ، تصادقوا مع هؤلاء المستعمرين ، ثم لأنهم بعد ذلك ظلوا على تأييدهم السياسى لشارلوت منافسة حليفها يعقوب الثانى وزوجته كاتيرينا البندقية • ومن المعروف بأنه عندما وصل الى رودس خبر وفاة يعقوب الثانى لوزجنان تقدمت شارلوت — وكانت تقيم وقتذاك فى رودس — الى مجلس الاسبتارية طالبة اعطاءها فرسانا اسبتاريين يساعدونها على استعادة عرشها فى قبرص ، جنبا الى جنب مع أنصارها فى هذه الجزيرة ، ولكن المجلس رفض طلبها منعا لوقوع صدام مع البندقية التى أعلنت صراحة تحملها لمسئولية الدفاع عن مصالح ابنتها كاتيرينا أرملة يعقوب الثانى • على أن جمهورية البندقية رأت فى بعض التصرفات الأخرى لهيئة الاسبتارية ما جعلها تشك فى النوايا الحقيقية لهذه الهيئة • ومن هذه التصرفات أن الهيئة عندما توفى يعقوب الثانى فى ٦ يوليه عام ١٤٧٣ كان لها سفينتان تعملان بقيادة التركوبلى حنا وستون J. Weston جنبا الى جنب مع سبع وأربعين سفينة بندقية بقيادة القبطان بطرس موتشينيجو Pietro mocenigo وعشر سفن بابوية بقيادة رئيس أساقفة سبالاترو spalatro — فى أسطول مشترك قاعده

العام القبطان البندقى بطرس موتشينيجو ، قائد السفن البندقية المشتركة فى هذا الأسطول ، ضد الأتراك فى المياه القرمانية ، فلما وصل خبر هذه الوفاة الى بطرس موتشينيجو أراد أن يتوجه على رأس الأسطول المشترك الى جزيرة قبرص لمراقبة الموقف ، غير أن تركوپلى الاسبتارية حنا وستون اعتذر عن الذهاب معه الى هذه الجزيرة وانسحب فى الحال بسفينتيه الى رودس . ومن هذه التصرفات أيضا أن هيئة الاسبتارية سمحت لأمير البحر الرودسى ، بأن يتوجه ، موفدا من شارلوت ، لمقابلة بطرس موتشينيجو فى ميناء فيسكوس (فيسكو) ، الواقع على الساحل الأسيوى فى مواجهة رودس ، قبل أن يتحرك الى جزيرة قبرص ، ويطلب منه باسم هذه الأميرة أن يقدم البنادقة بمساعدتها على استرجاع عرشها .(١) وأيا كانت هذه التصرفات فقد ترتب على الشك الذى أثارته عند البندقية أن القبطان بطرس موتشينيجو ، ما أن اطمأن على مركز كاتيرينا فى قبرص — التى كان قد وصل اليها فى ١٨ أغسطس ١٤٧٣ قادما من ميناء موفيسكو — حتى توجه الى جزيرة رودس ليستوثق من نوايا السيد الكبير أورسينى ، ولكن عندما وصل الى ميناء مدينة رودس ، فى أول أكتوبر ، لم يسمح له بدخول هذه المدينة — شأنه شأن كل من وصل فى تلك الايام لزيارة المدينة — بسبب انتشار وباء الطاعون فى قرمانيا ودول أخرى فى شرق البحر المتوسط ، فواصل سيره الى ميناء مودون الخاضع للبندقية فى المسورة ليمضى به فصل الشتاء .(٢) على أن القبطان البندقى لم يلبث أن تلقى من حكومته رسالة ، محررة بتاريخ ٤ أكتوبر عام ١٤٧٣ ، تطلب فيها منه هذه الحكومة بأن يرسل مبعوثا الى السيد الكبير للاسبتارية أورسينى يحذره من القيام بتشجيع أية محاولة من شأنها أن تثير المتاعب للملكة كاتيرينا فى قبرص . وعندما تسلم أورسينى هذا التحذير أرسل يحتج عليه لدى حكومة جمهورية البندقية عن طريق فرديناند الأول ملك نابلى الذى أبلغ هذه الحكومة أيضا بأن السيد الكبير للاسبتارية سوف لا يقدم لها أية مساعدة الا فى حروبها ضد المسلمين بسبب قيامها بارسال التحذير اليه .(٣)

---

(١) أنظر : Hill III, PP. 599 - 600

(٢) أنظر : Ibid : Op. cit., PP 660 n.1 - 661

(٣) أنظر : Ibid:Op. Cit, PP. 660 n.1 - 661

وهكذا تدهورت العلاقات بين الاسبتارية في رودس والبندقية • وحدث في أواخر هذا العام . أن ، قام رئيس أساقفة نيقوسيا — بمساعدة عدد من الشخصيات البارزة في جزيرة قبرص — بمحاولة للاستيلاء على السلطة في العاصمة نيقوسيا ، ولكن محاولتهم انتهت الى فشل ، وهرب بعضهم الى خارج الجزيرة ، على حين اختبأ البعض الآخر في أماكن مختلفة داخل الجزيرة منها ضيعة كولوسي المملوكة للاسبتارية • ولم يلبث أن نما الى علم مستشاري كاترينا من البنادقة ، في أول يناير عام ١٤٧٤ ، أن رئيس الأساقفة المتمرد وأربعة من كبار أعوانه ، تمكنوا من الهرب من الجزيرة على سفينه يملكها فرديناند الأول ملك نابلي الذى كانوا قد قاموا بحركتهم الفاشله لصالحه • ومن ثم أطلقت سفينتان بندقيتان خلف سفينة الهاربين لأسرها واعادتها بمن فيها الى قبرص • وقد وجدت هاتان السفينتان ضالتهما راسيه في ميناء مدينة رودس ، ولكنهما لم تتجاسرا بمهاجمتها بعد أن هدد السيد الكبير أورسيني بحزمه على مقاومة أية محاولة من هذا القبيل يقومان بها • ولم يلبث أن وصل بطرس موشينيجو بنفسه الى رودس ، في ٢٥ يناير عام ١٤٧٤ ، وطلب من أورسيني ضرورة أن يسلم له القبارصه الفارين ، فرد عليه أورسيني بأن هؤلاء القبارصة الذين يطلبهم قد خبئوا أنفسهم ولا يمكن العثور عليهم ، كما أنه لا ينوى تسليمهم لأحد • وقد أبدى القبطان البندقي موافقته على ما جاء في رد أورسيني عليه ، ولكنه أصر على ضرورة ألا يسمح للقبارصه المطلوبين بالاقامة في جزيرة رودس ، ثم رجع عائدا الى قبرص ، على حين جد أورسيني في البحث عن هؤلاء القبارصه حتى تم له اكتشافهم — فيما بعدا واحد منهم قبض عليه البنادقه مختبئا في ميناء رودس وأخذوه معهم الى قبرص — وترحيلهم عن جزيرته الى الغرب في شهري فبراير ومارس • (١)

---

(١) أنظر :

Hill III, PP. 687 - 689.

ومما يجدر ذكره أن أورسيني سلم لزعيم هؤلاء القبارصة ، وهو رئيس أساقفة نيقوسيا ، عند مغادرته رودس في ٢٣ مارس عام ١٤٧٤ ، رسالة تتضمن التوصية به لدى جميع أعضاء ورعايا هيئة الاسبتارية أينما وجدوا — أنظر :

Mas-latrie III, P. 165 .

ومهما يكن من أمر هذا الحادث ، ففى شهر اكتوبر من هذا العام ـ أى فى عام ١٤٧٤ ـ وصلت الى البندقية أنباء موجهه من قبرص مفادها أن كثيرين من القبارصة انتهزوا فرصة موت الملك الطفل يعقوب الثالث لوزجنان ، فى ٢٦ أغسطس عام ١٤٧٤ ، وقاموا بمظاهرات عدائية ضد كاتيرينا كما طالبوا بعودة شارلوت . وكان أن قرر مجلس الشيوخ البندقى ، فى ١٩ أكتوبر ، ارسال مرقس كورنارو marco cornaro ـ والد كاتيرينا ـ الى جزيرة قبرص لمؤازرة ابنته فى محنتها . وقد تسلم هذا الشريف البندقى التعليمات الخاصة برحلته فى ١١ نوفمبر عام ١٤٧٤ ، ولكنه لم يبدأ القيام بهذه الرحلة الا فى ٣ يناير عام ١٤٧٥ . والذى يهمنا فى الأمر أن التعليمات المعطاة لمرقس كورنارو تقتضى منه بأن يمر ـ وهو فى طريقه الى قبرص ـ بجزيرة رودس ليسلم للسيد الكبير أورسينى خطابات كتبها له الدوج ومجلس الشيوخ . وليطلب منه بأن هيئة الاسبتارية اذا لم تكن مستعدة لتأييد كاتيرينا والقضية البندقية ، فان عليها على الأقل أن تمتنع عن اغاثة المتمردين عليهما ، على أن يؤكد له فى نفس الوقت بأن كل ما يصيب قبرص من خير أو شر على أيدى الروادسة سوف يعود الى رودس على أيدى البنادقة الذين عقدوا العزم على ألا يعاملوا الاسبتارية فى رودس الا بمثل ما يعامل به هؤلاء الاسبتارية قبرص ، ويوضح له بأن من الخير لهيئة الاسبتارية أن تكسب صداقة البندقية . هذا وقد طلبت التعليمات من مرقس كورنارو بأن يؤدى هذه المهمة من غير أن ينزل الى ساحل رودس حرصا على سلامته الشخصية ولاكساب كلماته تأثيرا أقوى ، كما طلبت منه بأن يوجه كلامه الى السيد الكبير ، اذا وجد منه روحا معادية ، على شكل انذار أو تهديد .(١)

---

(١) أنظر : Hill III, PP. 712 - 713

وفى الحقيقة فاننا لا نعرف ماذا تم بشأن سفارة والد الملكة كاتيرينا فى رودس . وبقطع النظر عن ذلك فقد حدث فى ١٥ يونيه من العام التالى - أى فى عام ١٤٧٥ - أن أبلغ مجلس شيوخ البندقية القائد العام للأسطول البندقى أنطونيو لوريدانو Antonio loredano بأن الفارس الاسبتارى حنا كانوزا J.de canosa أعد فى نابلى - بالتعاون مع الملك فرديناند الأول والمتمرد القبرصى الهارب ريتسو د يماريتو - سفنا حربيه بقصد ارسالها الى قبرص لاعادة شارلوت - وكانت قد غادرت رودس نهائيا الى الغرب فى ٤ يوليه عام ١٤٧٤ (١) - الى عرشها فى هذه الجزيرة ، وطالب منه بأن يرسل تعزيزات كافية من السفن الى ميناء فاماجوستا لتحطيم أية حملة معادية تصل اليها ، ثم يتوجه الى جزيرة رودس ، بعد أن يتأكد من زوال الخطر عن قبرص ، لانذار السيد الكبير أورسينى بأن جمهورية البندقية سوف لا تقف مكتوفة الأيدى أمام أية محاولة من شأنها تهديد الأمن والسلم فى قبرص (٢) . وسواء قدم هذا الانذار أولم يقدم - وهو أمر لا نزال نجهله وان كنا نرجح عدم تقديم الانذار نظرا لعدم وصول الحملة التى قيل بأن الفارس الاسبتارى حنا كانوزا أعدها فى نابلى لغزو قبرص لصالح شارلوت - فالشيء المؤكد أن القائد العام البندقى أنطونيو لوريدانو - الذى كان قد وصل الى قبرص فى خريف عام ١٤٦٧ عندما عرف فى البندقية بأن بعض المتآمرين على نفوذها فى هذه الجزيرة قد أقلعوا من نابلى فى غرابين لغزوها ، وأن بعضهم الآخر يتآمر بزعامة ريتسو د يماريتو ضد هذه الجزيرة مع السيد الكبير دوبيسون ، خليفة أورسينى ، فى رودس - قد أرسل من هذه الجزيرة مبعوثا الى رودس حيث سلم لدوبيسون رسالة من الدوج أندريا فيندرامين Andrea Vendramin يطلب فيها منه بلهجة عنيفة عدم تشجيع ريتسو د يماريتو أو غيره من أعداء الملكة كاتيرينا ، والا فان جمهورية البندقية ، التى صممت على أن تقوم بحماية قبرص كما لو كانت ملكا لها ، سوف تعامل هيئة الاسبتارية معاملة الأعداء . وقد رد دوبيسون على المبعوث مشافهة وعلى الدوج ، فى رسالة كتبها لـه

---

(١) أنظر : Hill III, PP. 712 - 713

(٢) أنظر : Ibid: Op. Cit., P. 605.

بتاريخ ١٨ سبتمبر عام ١٤٧٦ وسلمها للمبعوث ، بأن هيئة الاسبتارية لم تتدخل قط في أحداث قبرص الداخلية وسوف لن تتدخل مستقبلا في هذه الأحداث ، ولكنها كدولة حرة سوف تتمسك دائما بحقها في ايواء كل من يلجأ اليها • ولكن يبدو وأن لويدانو لم يعجبه هذا الرد ، فقد توجه بنفسه ، في الشهر التالي ، الى رودس حيث طلب من دوبيسون أن يسلم له المتمرد ريتسو ، غير أن دوبيسون رفض أن يجيبه الى هذا الطلب ، ولم يرد عليه الا بنفس ما رد به على الدوج والمبعوث (١) •

وعلى أى حال فلم تلبث جمهورية البندقية أن أرغمت كاتيرينا كورنارو في عام ١٤٨٩ على أن تتنازل لها عن جزيرة قبرص (٢) • ومن ثم رأى الاسبتارية في رودس عدم جدوى الاستمرار في تأييد قضية شارلوت ، وأصبح لا يهمهم سوى عدم اغضاب البندقية حتى لا تنتقم منهم بالاستيلاء على أملاكهم الغنية في تلك الجزيرة • على أن البندقية لم تنسى لهم أبدا مواقفهم المداشية السابقة ضد نفوذها في قبرص ، فكانت أول من أرسل يهنئ السلطان سليمان الثاني في مطلع عام ١٥٢٣ عندما تم له طردهم من جزيرة رودس وسائر الجزر الخاضعة لهم في بحر ايجة (٣) •

---

(١) أنظر : Hill III, PP. 6 06 -607; Biliotti, PP.250 -251;

Bouhours, PP. 39,41- 42

(٢) أنظر : Hill III, P. 746

(٣) أنظر : Ibid Op. Cit., P.834•

الفصل الخامس

العلاقات بين الاسبتارية في رودس ودولة سلاطين المماليك في مصر والشام

- الدور الذى رسمه بعض دعاة الحروب الصليبية ليقوم به الاسبتارية في هذه الحروب .
- الحملة التى قام بها الملك القبرصي ، بطرس الاول ، على مدينة الاسكندرية ، في عام ١٣٦٥ ، ودور الاسبتارية في رودس فيها .
- الدور الذى قام به الاسبتارية ـ بالاشتراك مع قبرص والبندقية وجنوة ـ من أجل تصفية آثار حملة ١٣٦٥ ، وانتهى بصلح عام ١٣٧٠ مع السلطان .
- اشتراك الاسبتارية في رودس مع بوسيكو ـ الحاكم الفرنسي على جنوة ـ في غزو بعض مدن ساحل الشام في عام ١٤٠٣ .
- معاهدة صداقة وتجارة بين الاسبتارية في رودس والمماليك في عام ١٤٠٣ .
- الاسبتارية يصدون ثلاث حملات مملوكية على جزيرة رودس في عام ١٤٤٠ ، وعام ١٤٤٣ ، وعام ١٤٤٤ ـ صلح عام ١٤٤٥ .
- جفوة بين الاسبتارية والمماليك ، بسبب تعارض سياسة كل طرف منهما مع سياسة الطرف الآخر في حرب الوراثة بين شارلوت وأخيها يعقوب لوزجنان على عرش قبرص ، بدأت في عام ١٤٦٠ ، وانتهت بصلح عام ١٤٧٧ بين الاسبتارية والمماليك .
- موجه من الاعتداءات للاسبتارية على سفن المماليك في شرق البحر المتوسط في أوائل القرن ١٦ (١٥٠٦ ـ ١٥١٠) .
- سقوط دولة المماليك في يد العثمانيين في عام ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ثم سقوط رودس في يد العثمانيين في ١٥٢٢ .

اذا كان الاسبتارية قد قاموا بدور ملحوظ فى الحروب الصليبية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، فان طرد الصليبيين من الشام فى نهاية القرن الثالث عشر وما ترتب عليه من استيلاء الاسبتارية على رودس واستقرارهم فيها ، لم يؤد كل ذلك الى نهاية الحروب الصليبية وانما دخلت تلك الحروب مرحلة جديدة فى أواخر العصور الوسطى غلب عليها فيها الطابع البحرى ، وتزعمتها فى شرق البحر المتوسط قوى عديدة منها أرمينيا الصغرى وآل لوزجنان فى قبرص والاسبتارية فى رودس . والواقع ان نجاح الاسبتارية فى اقامة دولة لهم فى رودس لم يضعف فيهم الرغبة فى مواصلة الحرب ضد دولة سلطنة المماليك فى مصر والشام ، ليس فقط لأن هيئتهم — أى هيئة الاسبتارية — تأسست أصلا لقتال المسلمين فى الشرق ، ولأن ثروة هذه الهيئة من أرض وعقار ، فى أوربا والشرق اللاتينى ، آلت اليها عن طريق التبرع لمساعدتها على المضى فى تحقيق رسالتها ، ولكن أيضا من أجل استرداد أملاكهم وقلاعهم فى الشام ، وفى مقدمتها مستشفاهم فى مدينة بيت المقدس ، الذى نشأت فيه هيئتهم وأحاطوه بهالة كبيرة من التقديس ، فضلا عن مدينة بيت المقدس ذاتها ، حلمهم — وحلم كل صليبى — منذ أن طردوا منها على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى فى عام ١١٨٧ . يضاف الى ذلك أن المنشور البابوى الصادر فى ٢ مايو سنة ١٣١٢ بشأن توريث أملاك هيئة الداوية — الملغاة فى ٢٢ مارس من نفس العام — لهيئة الاسبتارية ، نص صراحة على أن الاسبتارية منحوا هذا الارث لتدعيم جهودهم الرامية الى استرداد الارض المقدسة .(١)

على أن الاسبتارية وجدوا أنفسهم ، فى بداية عهدهم بجزيرة رودس ، مضطرين الى مواجهة مجموعة من المشاكل الاخرى التى شغلتهم عن مواصلة الحرب ضد دولة سلاطين المماليك ومن هذه المشاكل — على سبيل المثال — المعارك الدفاعية والهجومية

---

(١) أنظر : Pauli II, PP. 23-26, num. XXll.

التي خاضوها ضد الأتراك السلاجقة بآسيا الصغرى ، لحماية ملكهم في جزيرة رودس أو لمد سلطانهم على الجزر المجاورة لهذه الجزيرة في بحر أيجه ، فضلا عن محاولات الخروج من الأزمة المالية التي ورطهم فيها سوء تدبير أول رئيس لهم في رودس فولك دى فيلاريه (١٢٩٦ — ١٣١٩) ، ومشاكل وضع السيد على ارث الداوية في أوربا .

يضاف الى ذلك ، أن الاسبتارية كانوا يدركون — وقتذاك — أنهم أعجز من أن يقوموا منفردين ، بعمل عسكري فعال ، ضد دولة كبرى ، مثل دولة سلاطين المماليك ، وانه لم يكن أمامهم سوى الانتظار لما تسفر عنه الجهود التي كانت تبذلها البابوية في أفنيون ، بالتعاون مع ملوك فرنسا ، منذ أن سقطت مدينة عكا في يد خليل بن قلاوون عام ١٢٩١ ، من أجل اعداد حملة صليبية عامة ، فيتحركون في نطاق هذه الحملة .

ومن المعروف أن هذه الجهود اقترنت بظاهرة تقديم المشروعات التي تضمنت آراء أصحابها ، من المهتمين بشئون الشرق ، فيما يجب أن تكون عليه الحملة الصليبية العامة الناجحة ضد المماليك ، من حيث وسائل اعدادها وخط سيرها . ولعل من المناسب أن نتعرض هنا لبعض هذه المشروعات التي رسم فيها أصحابها دورا للاسبتارية بودولة ، في نطاق الحملة الصليبية العامة ، حتى يمكننا معرفة حجم هذا الدور كما ورد في كل منها ، وبخاصة أن اثنين من هذه المشروعات ، تقدم بهما رؤساء الاسبتارية في رودس ، فتقدم بأحدهما أول سيد كبير للاسبتارية تولى حكم رودس ، وهو فولك دى فيلاريه (١٢٩٦ — ١٣١٩) ، وتقدم بالآخر خليفته هليون دى فيلينيف (١٣١٩ — ١٣٤٦) .

وأول مشروع من تلك المشاريع التي جاء فيها ذكر للاسبتارية ، هو المشروع الذى تقدم به ملك صقلية ، شارل أنجو الثانى ، الى البابا نقولا الرابع (١٢٨٨ — ١٢٩٢) ، قبل وفاته في عام ١٢٩٢ . وقد بين الملك في مشروعه عدم جدوى ارسال حملة صليبية عامة ضد مصر لأن المصريين — في رأيه — قادرون على صدها ، وفضل عليها حربا اقتصادية تستهدف اضعاف قوة المماليك ، عن طريق تدمير تجارتهم الخارجية ، بصفة عامة ، ومنع وصول السلع الحربية ، من رقيق وخشب وحديد وقار وغيرها ، اليهم بصفة خاصة .

وفى رأيه أن أسطولا مؤلفا من خمسين سفينة حربية ، وخمسين سفينة أخرى من سفن النقل ، الى جانب قوة عسكرية ضاربة صغيرة ، مؤلفة من ألف وخمسمائة جندى ، كافية لتحقيق هذا الهدف • واقترح بأن تلتزم كل من هيئتى الاسبتارية والداوية ، وملك قبرص ، باعداد وتقديم عشر سفن ، على حين يتكفل البابا بتدبير بقية سفن الأسطول ، والقوة العسكرية • على أن ملك صقلية نصح ـ لتحقيق أفضل النتائج ـ بتوحيد جميع الهيئات الدينية والعسكرية فى هيئة واحدة ، يتمتع رئيسها ـ الذى يشترط أن يكون ابن ملك ، أو ، على الاقل ، من أبناء طبقة كبار الأشراف ـ بسلطات مطلقة فى هيئته ، ويعطى وعدا بحرش بيت المقدس • وقد قدر الملك قوة الهيئة الموحدة المقترحة بألفين من الفرسان ، وماثتين من خدم السلاح ، وتابعين لكل فارس • وعرض بأن تتكون موارد هذه الهيئة من أموال العشور ، التى تجبى من جميع بلدان العالم المسيحى لغرض الحرب الصليبية ، ومن الصدقات ، كما تؤول اليها الخيول وعدة السلاح الخاصة بالأمراء والفرسان بعد موتهم • (١)

وفى شهر أبريل من عام ١٣٠٥ وضع الراهب الميورقى ، ريموند لول Raymond Lull مشروعا نادى فيه بتوجيه حملتين صليبيتين ضد المسلمين على أن تكون احداهما حملة سلمية وسيلتها التبشير والاقناع ، والثانية حملة حرب أداتها التنكيل والضرب • وأوصى بأن يختار البابا والكرادلة قائدا للحملة العسكرية يلقب بلقب السيد الملك المحارب Dominus Bellator Rex ممن تجرى فى عروقهم الدماء الملكية ، وأن يأذنوا بتحصيل ضريبة العشور الكنسية لتغطية تكاليف الحملة ، ويطلبوا من رجال الدين ، فى جميع أركان العالم المسيحى ، بالعمل لتهيئة النفوس للحملة • ومن ناحية أخرى ، طالب الراهب الميورقى بتوحيد الهيئات الحربية الثلاث ، الاسبتارية والداوية والتيوتون ، فى هيئة واحدة رئيسها قائد الحملة الصليبية • واقترح بأن يلبس أعضاء الهيئة الجديدة الموحدة أردية سوداء وصلبانا حمراء ، وبأن يطلقوا لحاهم طويلة ، وينتخبوا من بينهم

---

(١) أنظر : D. Le Roulx; F.O.1 PP. 16-19, 57, Atiya; The Crus. in the Later middle ages, PP. 35 - 36.

مجلسا مهمته تقديم المشورة لرئيس الهيئة . وأشار ريموند لول ، أيضا ، بأن يختار قائد الحملة الصليبية — الذى هو فى الوقت نفسه قائد الهيئة الموحدة — فارسا من أعضاء هيئته ليشغل منصب أمير البحر ، وقيادة أسطول مهمته منع سفن تجار أوربا من الوصول الى سواحل مصر والشام ، وتدمير جميع المدن الواقعة على هذه السواحل ، على أن يبدأ أمير البحر عملياته البحرية بالاستيلاء على جزيرتى رودس ومالطة ، حتى يستفيد بموقعهما الممتاز ، وموانيهما الجيدة ، فى أداء مهمته ضد دولة سلاطين المماليك . وقد تنبأ ريموند لول بأن سلطان هذه الدولة سوف يستسلم للصليبيين خلال ست سنوات ، اذا أحكم الحصار البحرى على بلاده ، مما يحملنا على الاعتقاد بأن ريموند لول كان يكتفى من الحملة الصليبية العسكرية بالحرب الاقتصادية ، وبأنه كان يؤمن أكثر بحرب الاقناع والتبشير . هذا وقد تجول ريموند لول فى بعض دول أوربا والشرق المسيحى ، فى محاولة لاقناع حكوماتها بفكرته السلمية عن الحرب الصليبية ، فلم يجد له آذانا صاغية الا عند حكام جمهوريتى جنوه وبيزة (١) .

وفى الواقع ، كان كل من البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥ — ١٣١٤) ، والملك الفرنسى ، فيليب الرابع — الشهير بفيليب الوسيم — (١٢٨٥ — ١٣١٤) ، يفكر ، وقتذاك ، تفكيرا جديا فى ارسال حملة صليبية مسلحة الى الشرق، لانتزاع فلسطين بالقوة من المسلمين ،

---

(١) أنظر : Atiya ; The crusade in the later middle ages, PP. 75-85; Le Roulx: F.O.I, 29-31.

مع ملاحظة أن دكتور عزيز سوريال عطيه يذكر فى ص (٧٥) بأن ديلافيل لرواكد بأن ريموند لول رفض فكرة الحرب الصليبية ، ونادى فقط بغزو المسلمين عن طريق التبشير . وقد ذكر ديلافيل لرو ذلك فعلا فى ص (٢٨) من كتابه (فرنسا فى الشرق حـ ١) غير أنه ذكر فى ص (٣١) من نفس الكتاب بأن لول تحمس لغزو مصر عسكريا .
ارجع أيضا الى دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية حـ ٢ ص ١١٩٣ — ١١٩٤

وكانت النداءات المتكررة ،التى وجهها الاسبتارية ،من مقرهم فى جزيرة قبرص ،الى هذين العاهلين ، من أهم دوافع اهتمامهما بهذا الامر (١) .

وقد رأى البابا كليمنت الخامس أن يستشير فى أمر هذه الحملة ، كلا من رئيس هيئة الداوية ، يعقوب دى مولى (J. de Molay) ، ورئيس هيئة الاسبتارية ، فولك دى فيلاريه ، لما لهما من خبرة طويلة بشئون الشرق ، فاستدعاهما من جزيرة قبرص ، واستقبلهما ، فى عام ١٣٠٧ ، بمقره فى مدينة بواتييه الفرنسية ، واستلم من كل منهما مذكرة ضمنها وجهة نظره الخاصة .

وقد تحمس رئيس هيئة الداوية ، فى مذكرته ، لصالح فكرة ارسال حملة صليبية عامة الى الشرق ، على حين أبدى رفضه لأى اتجاه الى أن يحل محلها نجدات صغيرة يبعثبها بين حين وحين . واشترط بأن تتألف الحملة العامة ، على الأقل ، من خمسة عشر ألف فارس ، وخمسين ألف جندى من المشاة . وأوصى ، لنقل هذه القوات ، بالاستعانة بالقوى البحرية الايطالية ، وباستخدام سفن النقل الكبرى ، لأنها ـ فى رأيه ـ أفضل وأرخص من السفن الحربية المعروفة باسم الأغربه . وكذلك نصح بأن تتوقف الحملة فى جزيرة قبرص ، فترة من الزمن ، للراحة ، قبل أن تواصل سيرها الى هدفها فى الشام ، من غير أن يذكر اسم هذا الهدف ، خوفا من وقوعه ـ على حد تعبيره ـ فى أيدى المسلمين بطريقة ما .

على أن السيد الكبير لهيئة الداوية أشار أيضا بضرورة ارسال عمارة بحرية ، مؤلفة من عشرة أغربة ، تحت قيادة أمير البحر الارغونى المجرب ،روجر دى لوريا Roger de lauria ، الى مياه البحر المتوسط ، لمطاردة سفن التجار الاوروبيين الذين يصرون على المتاجرة مع دولة المماليك فى مصر والشام وامدادها بالسلع الحربية المحرمة الى حين وصول قوات الحملة الرئيسية (٢) . ويتضح من ذلك بأن يعقوب دى مولى كان على اتفاق فى الرأى مع شارل أنجو الثانى ، ملك صقلية ، والراهب الميورقى . ريموند لول فى

---

(١) أنظر : D. Le Roulx:F.O.I, P.55

(٢) أنظر : Ibid:Op. Cit., PP. 55-57 :Ibid : Les Hospit.en T.S.

أهمية الحرب الاقتصادية ضد دولة سلاطين المماليك ، ولكنه لم يكن متفائلا ، علىى ثقة في قدرة هذه الحرب على كسب المعركة بمفردها من غير أن تتبعها حملة عسكرية عامة تجنى ثمار زرعها •

وقد تعرض يعقوب دى مولى ، في مشروعه ، أخيرا ، لمسألة توحيد هيئتى الاسبتارية والداوية في هيئة واحدة تضمهما معا ، فأعلن معارضته القاطعة لأى اتجاه يتخذ في هذا الشأن ، لأن الاضرار التى تنتج عنه — في رأيه — تبز كثيرا الفوائد التى ترجى منه • وفى مجال سرده لهذه الاضرار ، أوضح الاخطار التى تتعرض لهما سلامة الهيئتين بارغام أعضاء كل منهما على التخلى عن قانونهم الأول ، الذى دخلوا الهيئة على أساسه ، ونذروا نفوسهم للعيش في ظله ، لكى يمضوا بقية سنى عمرهم في ظل قانون آخر ، هو قانون الهيئة الموحدة ، وكشف عن خطورة الاحقاد ، بل والمعارك ، التى قال بأنها لابد وأن تتولد داخل الهيئة الموحدة ، نتيجة لمباريات التفاخر المتوقعة بين الاسبتارية والداوية ، كل فريق منهما بهيئته القديمة ، ونتيجة لرغبة أعضاء كل من الهيئتين في الاستئثار بمراكز الصدارة في الهيئة الموحدة • ومضى دى مولى ، فأظهر مخاوفه من أن يؤثر التوحيد بين الهيئتين ، تأثيرا ضارا ، على نشاطهما المعهود في مجالات الخدمة الدينية والتصدق على الفقراء ورعاية المرضى وأعمال الضيافة ، وبين مدى الغبن المنتظر وقوعه على أصحاب المناصب الكبرى من الاسبتارية ، والداوية ، الذين يتحتم عزلهم ، بعد توحيد الهيئتين ، منعا للازدواج الوظيفى ، وجميعهم — في نظره — من الفرسان القدامى الذين رقوا الى هذه المناصب مكافأة لهم على ما قاموا به من خدمات ، وما أدوه من تضحيات ، لصالح الهيئتين والقضية المسيحية •

ولم يفت على يعقوب دى مولى ، في هذا المجال ، أن يرد على الاتهامات ، التى دأب بعض الحكام والاساقفة والهيئات ، في أوروبا ، على توجيهها لهيئتى الاسبتارية والداوية ، بأن المنافسات بين هاتين الهيئتين هى السبب في ضياع فلسطين من أيدى الصليبيين ، فأكد بأن هذه المنافسات — في الواقع — أفادت كثيرا الحركة الصليبية ،

لأن كلا من الهيئتين كانت ، في سبيل التفوق على الهيئة الاخرى ، تحاول قصارى جهدها ، ليس فقط من أجل احراز البطولات والانتصار في المعارك على المسلمين ، ولكن أيضا ، في جلب أكثر ما يمكنها من الفرسان والسفن والاسلحة والذخائر من شعبها المنتشرة في أوربا . وخلص دى مولى من ذلك بأن وجه الى هذه الفئات تهمة مضادة ، هى أنها تحسد الهيئتين على ثروتهما الواسعة ، وأنها ترغب فى السطو على هذه الثروة بمختلف الاعذار ، وطلب من البابا أن يفوت عليها هذه الفرصة . (١) ومن الارجح أن السيد الكبير لهيئة الداوية كان يشير بهذا الاتهام ، أيضا — من طرف خفى — الى العناصر التى أظهرت — وقتذاك — عداوتها الصريحة لهيئة الداوية ، واتهمتها بالالحاد والانحلال وخيانة القضية المسيحية . ولما كان ملك فرنسا ، فيليب الرابع (الوسيم) ، على رأس هذه العناصر ، وكان البابا ، كليمنت الخامس ، واقعا تحت سيطرة هذا الملك ، فقد شعر السيد الكبير لهيئة الداوية بأن مشروع توحيد هيئتى الاسبتارية والداوية ، لو تم تنفيذه ، فانه سوف يتم على حساب هيئة الداوية ، وهذا هو السبب الحقيقى — فيما يظن — لموقفه المعارض من المشروع . (٢)

هذا عن فحوى مشروع السيد الكبير لهيئة الداوية ، يعقوب دى مولى . واذا انتقلنا الى السيد الكبير لهيئة الاسبتارية ، فولك دى فيلارية ، نجد أنه قد طالب ، بدوره — فى المشروع الذى قدمه للبابا ، كليمنت الخامس ، فى نفس العام الذى قدم فيه السيد الكبير للداوية مشروعه ، وهو عام ١٣٠٧ ، أى بعد عام واحد من نزول الاسبتارية على أرض جزيرة رودس — بارسال حملة صليبية عامة كبرى الى أراضى دولة سلاطين المماليك فى مصر والشام لاحتلالها وأوصى بأن يقوم البابا بالدعوة لهذه الحملة ، وأن يحدد موعدا مناسبا لقيامها لا يبتعد كثيرا عن وقت الدعوة لها ، حتى لا تفتر الحماسة وتبرد الهمم وتكثر الاعتذارات وتوضع العراقيل فى طريقها . ونصح فولك ، أيضا ، بضرورة أن يخطر البابا ، السيد الكبير لهيئة التيوتون فى ألمانيا ، بالاستعداد للعبور الى الشرق على رأس جميع قواته ، وأن يطلب — أى البابا — من ملوك وحكام أوربا ، عدم التعرض للفرسان ، من أعضاء الهيئات

---

(١) أنظر : D; Le Roulx: Les Hospit. en T.S. PP.271-272 ;

(٢) أنظر : Ibid: F.O.l, PP. 57-58 ; vertot II, PP. 68-71.

Le Roulx: les Hospit. en T.S., P.272; Ibid, F.O.l,

الحربية الثلاث ، الاسبتارية والداوية والتيوتون ، عند خروجهم من أوطانهم للانضمام الى قوات الحملة ،وأن يعهد بقيادة الحملة لاحد الكرادلة ، على أن يساعده فى الامور العسكرية البحتة أحد رجال الحرب .

ودخل فولك ، بعد ذلك ،فى تفاصيل دقيقة ، عن وسائل تدبير الأموال اللازمة للحملة ، شغلت الجانب الاكبر من مشروعه . ومن الوسائل التى اقترحها جبى ضريبة عشور على أملاك الكنيسة والاشراف ، وفرض ضريبة خاصة على ممتلكات جميع اليهود فى العالم المسيحى ، لا تقل قيمتها عن عشر قيمة هذه الممتلكات ، وتحويل دخول الاراضى المخصصة لمعاشات الاساقفة ،وايرادات الاوقاف الخالية ، وتركات رجال الدين الذين يموتون من غير أن يتركوا وصايا تحدد مصير ثرواتهم ، والاوانى الذهبية والفضية التى يتركها الاساقفة بعد وفاتهم . وأضاف فولك الى ذلك ، بأن أصحاب المناصب العليا فى العالم المسيحى ، الذين ينتفعون من ادارة عدة جهات ذات دخول ، ويكون مصرحا لهم بالاقامة بعيدا عنها ، فانهم يكتفون بايراد احدى هذه الجهات ، ويتنازلون عن ايرادات الجهات الاخرى لاغراض الحملة الصليبية ، أما اذا لم يكن مصرحا لهم بالاقامة بعيدا عن الجهات التى ينتفعون بمواردها ، ومع ذلك لا يقيمون فيها ، فان ايرادات جميع هذه الجهات تحول الى الحملة . وطالب السيد الكبير للاسبتارية ، أيضا ، بأن تعطى الأوامر لرجال الدين ، فى جميع أنحاء العالم المسيحى ، بجمع التبرعات لصالح الحملة الصليبية ، عند قيامهم بواجب زيارة المرضى ، وتعزية أهالى الموتى ، وبأن يهدد ، بعقوبة الحرمان ، أى شخص لا يكشف عن الوصايا التى تحوى نصوصا لصالح الحملة الصليبية ، مع علمه بأمرها ، أو يخفى هذه النصوص ، وأى شخص لا يدفع — فى فترة محددة — المبالغ التى يكون قد وضع يده عليها ، من غير وجه حق ، من الاموال الموصى بها لصالح الحملة ، فاذا كان هذا الشخص حاكما لدولة ، واغتصب أموالا جمعت فى دولته من أجل الحملة ، وجب عليه ردها دفعة واحدة ، أو على أقساط . هذا وقد طالب السيد الكبير فولك ، أخيرا ، باعفاء أصحاب الديون من دفع الفوائد عن الاموال التى

استدانوها بالها ، بشرط أن يتبرعوا للحملة ، حتى مقابل هذا الاعفاء - بما يتناسب مع قدراتهم المالية .

وبالرغم من هذا الاهتمام الكبير الذى أبداه السيد الكبير للاسبتارية بالحملة العامة ، الا أنه كان يؤمن - شأنه شأن زميله السيد الكبير للداوية ، يعقوب دى مولى - بعدم جدواها من غير أن يسبقها شن الحرب الاقتصادية التى تضمن عدم وصول السلع الحربية المحرمة الى الموانى المملوكية . وفى رأيه أن الاسطول الذى يكلف بهذه المهمة ، ينبغى الا يقل عدد سفنه عن خمس وعشرين سفينة حربية ، الى جانب جميع سفن قبرص والاسبتارية والداوية ، وهو عدد ضخم بالمقارنة مع عدد السفن العشر الذى اقترحه السيد الكبير للداوية لهذا الاسطول . هذا ومن رأى السيد الكبير فولك دى فيلارية ، أيضا ، أن يعد أسطول آخر ، يتراوح عدد سفنه بين خمسين وستين سفينة ، نصفها من سفن النقل الكبرى ، والنصف الآخر من الاغربة ، لغرض تدمير المنشآت الساحلية فى مصر والشام ، عن طريق القيام ضدها بسلسلة من الغزوات هنا وهناك ، لان هذه الغزوات - فى رأيه - تؤدى ، ليس فقط ، الى شل حركة الدفاع البحرية عند المماليك ، ولكن أيضا ، الى وضعهم فى حالة حيرة وشك من مقاصد الصليبيين الحقيقية مما يسهل لنزول قوات الحملة العامة عند وصولها .(1)

---

(1) أنظر :

D. Le Roulx: Cart. Iv, nom. 4681; D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP. 269 - 271; Joseph Petit : memoire de Foulques de Villaret sur la croisade, dans B.E.C., LX (an. 1899) PP. 602-610.

هذا ما جاء في مشروع السيد الكبير للاسبتارية ، فولك دى فيلارية ، ويلاحظ عدم ورود أية اشارة فيها تفصح عن رأيه في مسألة توحيد هيئتي الداوية والاسبتارية ، مما يدل على أن البابا كليمنت الخامس لم يطلب نصيحته في هذا الشأن ، وانما اكتفى باستشارة السيد الكبير لهيئة الداوية ، التي كان ملك فرنسا ، فيليب الرابع (الوسيم) يطالب بحلها ، وكان يأمل في أخذ موافقته على ادماج الهيئة التي يرأسها مع هيئة الاسبتارية ، حتى لا يضطر — تحت ضغط ملك فرنسا — الى الغائها ، مما يجلب عليه — أي على البابا — متاعب التحقيق مع أعضائها في التهم التي رماها بها ملك فرنسا ، ويتيح لهذا الملك فرصة اغتصاب ثروتها وأملاكها الواسعة في بلاده فرنسا .(١)

على أن السيد الكبير للاسبتارية ، كان في مقدوره أن يتطوع بابداء الرأي في هذا الموضوع ، كوسيلة من وسائل الاعداد الكامل للحملة الصليبية ، كما فعل — مثلا — كل من شارل أنجو الثاني ملك صقلية ، والراهب الميورقي ، ريموند لول . وكان من صالح الهيئة ، التي يرأسها ، أن يحبذ تنفيذ فكرة توحيد الهيئتين ، لان تنفيذها ، في تلك الاونة حيث اشتدت الحملة ضد هيئة الداوية الى درجة المطالبة بالغائها ، سوف يكون على حساب الداوية لصالح الاسبتارية . على أن السيد الكبير للاسبتارية آثر الصمت ، ربما خوفا من رميه ، وهيئته الاسبتارية ، بتهمة الانتهازية ، من جانب أنصار هيئة الداوية ، ومن يعطفون عليها ، أو ربما كان هو نفسه يعطف على هيئة الداوية ، بالرغم من الخصومات والمصادمات القديمة بينها وبين هيئة الاسبتارية التي يرأسها ، وذلك بسبب ماضيها الطويل في خدمة الحركة الصليبية ، وبسبب اقتناعه بأن حملة ملك فرنسا ، فيليب الرابع ، عليها ، مصدرها طمع هذا الملك في مصادرة أملاكها الواسعة في بلاده لحسابه الخاص ، واذا كان ملك فرنسا قد اتهم هذه الهيئة بالهرطقة ، فقد سبق لهيئة

---

(١) أنظر : Vertot II, P.72

الاسبتارية أن اتهمت بنفس هذه التهمة في النصف الأول من القرن الثالث عشر ، (١) ومن الممكن لملك فرنسا أن يرميها بها مرة أخرى لنفس السبب الذي رمى بها هيئة الداوية ، وهو الطمع في الثروة ، علما بأن هيئة الاسبتارية تملك من الاراضي والعقارات في مملكة فرنسا ما لا يقل عما تملكه هيئة الداوية • ولا يستبعد كذلك أن يكون صمت السيد الكبير للاسبتارية سببه الرغبة في عدم توريط هيئة الاسبتارية — في تلك الآونة التي تستلزم تضافر جميع القوى المسيحية من أجل العمل للعودة الى فلسطين — في منازعات جديدة محتملة مع هيئة الداوية اذا ما خرجت من أزمتها مع الملك الفرنسي ، فيليب الرابع ، منتصرة ، وهو أمر في الامكان حدوثه ، فقد سبق لها أن خرجت ظافرة من أزمات مماثلة منذ عهد الملك لويس التاسع ، وربما تستطيع أن تحققه مع الملك فيليب الرابع بالتنازل له عن جانب صغير ، أو كبير ، من ثروتها في فرنسا • هذا ولا يمكن أيضا استبعاد احتمال اقتناع السيد الكبير للاسبتارية بالاضرار التي أوردها الرئيس الداوى ، يعقوب دى مولى ، في مشروعه ، لتوحيد الهيئتين ، ولكنه لم يشأ أن يصرح بذلك ، خشية أن يجلب على نفسه ، وهيئة الاسبتارية ، غضب ملك فرنسا ، فيليب الرابع •

ومهما يكن من أمر ما جاء في مشروع فولك دى فيلارية ، فان هذا السيد الكبير ، ما أن رفعها الى البابا ، كليمنت الخامس ، حتى أخذ يلح عليه — خلال المقابلات التي أجراها معه في مدينة بواتييه — من أجل الاسراع في ارسال الحملة الصليبية ، التي دعا اليها في مشروعه ، الى الشرق • وكان فولك دى فيلاريه — في الواقع — يأمل في أن يتمكن من الاستفادة بهذه الحملة في استكمال بسط السيطرة الاسبتارية على جزيرة رودس التي بدأ رجاله في احتلالها منذ عام ١٣٠٦ • وعندما صارح البابا — كليمنت الخامس — بنواياه أعطاه البابا ، في ٥ سبتمبر عام ١٣٠٧ ، موافقته على فتح رودس ، (٢) وعينه ، في عام ١٣٠٩ ، قائدا للحملة الصليبية ، (٣) لكي يستطيع توجيهها الى ما يخدم غرضه ، وأمره

---

(١) عن اتهام الاسبتارية بالهرطقة في القرن ١٣ — أنظر :

Martin IV, PP. 468 - 469

(٢) أنظر

D. Le Roulx; Les Hospit en T.S., P.278; Ibid, Cart. IV nom. 475

(٣) أنظر :

Amadi, PP. 298 -299

— في نفس الوقت — بمساعدات مالية ، (١) استخدم منها — الى جانب الاموال التي جمعها من بيوت الاسبتارية في أوربا ، والقروض التي عقدها مع جمهوريتي فلورنسا وجنوه ، والتبرعات التي تلقاها أثناء جولته داعيا للحملة في فرنسا وايطاليا — في شراء كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر والخيول ، وتسليح أو بناء عدد من السفن لحساب الاسبتارية (٢). واستجابة لرغبته ، طلب البابا من ملك فرنسا ، فيليب الرابع ، مرتين ، أن يحمل الصليب ، المرة الاولى في ٢٩ يونيه عام ١٣٠٩ ، والمرة الثانية في ٢٧ أكتوبر من نفس العام ، ووافق كل من ملك انجلترا ، ادوارد الثاني ، وملك ارغونة جيم الثاني Jaime II ، لرؤساء الهيئات الحربية الثلاث ، الاسبتارية والداوية والتيوتون ، في نفس العام ١٣٠٩ ، على أن يستوردوا من بلده الاسلحة والخيول والتونية والذخائر والمؤن اللازمة للحملة (٣).
على أن جميع هذه الجهود ، التي بذلها فولك دى فيلارية ، معززة بجهود البابا كليمنت الخامس ، لم تؤد في النهاية الى اعداد الحملة الصليبية العامة التي أرادها (٤)، ولم يخرج ، ما حدث بالفعل ، عن تجمع عدد من الصليبيين — الذين دفعتهم حماستهم الدينية ، من غير أن يحشدهم ملك أو أمير — في ميناء برنديزى ، حيث اختار فولك أكثرهم شرافة وأكملهم تسليحا ، على قدر ما استطاعت سفنه أن تقله منهم ، الى جانب فرسان الاسبتارية الذين حشدهم من بيوت الهيئة في أوربا ، وأقلع بهم ، في عام ١٣١٠ ، مباشرة الى جزيرة رودس ، ولكنهم ما لبثوا أن تسربوا منها — عندما تأكدوا بأن استكمال فتحها لحساب الاسبتارية هو الهدف النهائي من هذه الحملة لفولك — من غير أن يتعاونوا معه في تحقيق هذا الهدف (٥).

(١) أنظر : Vertot II, P.74

(٢) أنظر : D. Le Roulx; Les Hospit. en T.S., PP.279-280; Vertot II, PP. 74-75; Biliotti, P.133

(٣) أنظر : D. Le Roulx / f.O.1, P.58

(٤) أنظر : Ibid, Les Hospit en T.S., P.280

وهكذا لم يكن من الغريب أن تدرج مسألة الحرب الصليبية ضد دولة سلاطين المماليك ضمن جدول أعمال المجمع الكنسي العام ، الذى افتتح ، في ١٦ أكتوبر عام ١٣١١ ، بمدينة فينا — على نهر الرون بفرنسا — الى جانب موضوعات أخرى ، أهمها وضع أسس الاصلاح الكنسي العام ، وتقرير مصير هيئة الداوية التي أصر الملك الفرنسي ، فيليب الرابع ، على حلها (١). وفيما يتعلق بالحرب الصليبية عرض على أعضاء المؤتمر مشروعان ، تقدم بأحدهما وليم دى نوجاريه G. de Nogaret ، المستشار المقرب للملك الفرنسي ، فيليب الرابع الوسيم ، على حين تقدم بالآخر هنري لوزجنان ، ملك قبرص (١٢٨٥ — ١٣٢٤). وقد ركز وليم دى نوجاريه ، في مشروعه ، على وسائل اعداد الحملة الصليبية العامة . واقترح أن يتولى ملك فرنسا ، فيليب الرابع ، قيادة هذه الحملة ، على أن يعطى المهلة الكافية للاعداد لها ، وأن تحل هيئة الداوية ، وتصادر أموالها وأملاكها المنقولة ، ودخول أملاكها الثابته ، لصالح الحملة ، الى جانب الفرق بين ايرادات ومصاريف هيئة الاسبتارية ، والهيئات الدينية والحربية الاخرى ، فضلا عن الكاتدرائيات والكنائس والاديرة (٢). أما هنري لوزجنان الثاني ، ملك قبرص ، فقد اهتم أكثر بالعمليات العسكرية البرية والبحرية للحملة ، وأكد أهمية الدور ، الذى يمكن أن يؤديه للحملة ، أسطول ، يتراوح عدد سفنه بين خمس عشرة سفينة وعشرين سفينة ، يبعث به ، قبل قيامها بسنتين أو بثلاث سنوات ، لشن الغارات المتواصلة على سواحل مصر وسوريا ، ومطاردة السفن المسيحية التي تحمل السلع الحربية المحرمة الى هذه البلاد ، على أن يكون الاسطول الصليبي مستقلا عن الجمهوريات الايطالية التجارية التي اعتادت سفنها على مد المماليك بالسلع الحربية (٣).

---

(١) أنظر : Martin IV, PP. 494 - 495

(٢) أنظر : D. Le Roulx; F.O.1, PP. 59 -61 ; Atiya: The crusade in the later middle ages, PP. 53 -54

(٣) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٥٤ ، نفس المؤلف : الحركة الصليبية حـ ٢ ص ١٢٠٤
وأنظر أيضا : D. Le Roulx; F.O.1 ,PP. 59-61

ويتضح من ذلك بأن ملك قبرص ، هنرى لوزجنان الثانى ، قد تبنى ، فى عام ١٣١١ ، ما سبق أن قال به كل من السيد الكبير لهيئة الداوية ، يعقوب دى مولى ، والسيد الكبير لهيئة الاسبتارية ، فولك دى فيلارية ، فى عام ١٣٠٧ ، من أن الحملة الصليبية العامة لا بد — لضمان نجاحها — أن تكون مسبوقة بالحرب الاقتصادية ، وان كان قد اختلف معهما فى تقدير عدد السفن التى يجب أن يتألف منها أسطول الحرب الاقتصادية ، فطالب له بعدد أكبر من العدد الذى طالب له به السيد الكبير للداوية ، وأقل مما طالب به السيد الكبير للاسبتارية ، فضلا عن اختلافه مع السيد الكبير للاسبتارية — بصفة خاصة — فى أنه قال بأسطول واحد للحرب الاقتصادية وتدمير سواحل مصر والشام ، على حين قال الرئيس الاسبتارى بأسطولين أحدهما للحرب الاقتصادية والآخر لغزو السواحل .

ومهما يكن من أمر مشروعى وليم دى نوجارية ، وهنرى لوزجنان الثانى ، فان المجمع الكنسى لم يأخذ بأى منهما . وقد أراد ملك فرنسا ، فيليب الرابع ، أن يعزز مشروع مستشاره ، وليم دى نوجاريه ، فأعلن أمام أعضاء المجمع الكنسى عن استعداده لقيادة حملة صليبية ضد دولة سلاطين المماليك خلال عام واحد . غير أن البابا ، كليمنت الخامس ، وأعضاء المجمع ، لم يوافقوا على الجانب المالى فى هذا المشروع — وهو الهدف الحقيقى الذى رمى اليه الملك باعلانه عن استعداده لقيادة الحملة — واكتفوا بأن قرروا السماح لملك فرنسا بتحصيل ضريبة العشور على الكنيسة فى دولته لمدة ست سنوات ، مقابل ما يصرفه على الحملة .(١) واذا كان البابا ، كليمنت الخامس — رغبة منه أيضا فى ارضاء الملك الفرنسى ، قد قرر ، فى ٢٢ مارس عام ١٣١٢ ، الغاء هيئة الداوية ، ووافق أعضاء المجمع الكنسى ، فى جلسة ٣ أبريل ، على هذا القرار ،(٢) فانهم لم يحققوا للملك فيليب الرابع رغبته ، التى وردت فى مشروع مستشاره وليم دى نوجارية ، وهى اصدار قرار من البابا والمجمع الكنسى بمصادرة أملاك الهيئة الملغاة لصالح الحملة الصليبية التى يقودها الملك ، بل أصدر البابا منشور ٢ مايو عام ١٣١٢ القاضى بتوريث هذه الاملاك لهيئة الاسبتارية ، ووافق أعضاء المجمع على هذا المنشور قبل أن يفضوا

---

(١) أنظر : Martin IV, P.499

(٢) أنظر : Ibid;Op. Cit., PP. 495 - 496

جلسات مجمعهم بعد ذلك بأيام قليله .(١)

وسواء كان ملك فرنسا ، فيليب الرابع الوسيم ، جادا في حين وعد بقيادة حملة صليبية ضد دولة سلاطين المماليك ، أو لم يكن ، فانه لم ينفذ وعده . وقد توفى في ٢٩ نوفمبر عام ١٣١٤(٢) وخلفه ابنه لويس العاشر الذى أعلن ، بدوره ، عن عزمه على المضى فيما بدأ فى عهد والده من استعداد للحملة الصليبية . غير أن هذا الملك توفى بعد توليته بعامين اثنين — أى فى عام ١٣١٦ — وخلفه أخوه فيليب الخامس الملقب بالطويل فأعلن بمثل ما أعلن به أخوه وأبوه . وحدث فى نفس العام ١٣١٦ أن تولى بابا جديد فى أفنيون ، هو البابا حنا الثانى والعشرون ، بعد عامين ظل فيهما كرسى البابوية شاغرا منذ موت البابا كليمنت الخامس .(٣) وما أن تولى البابا حنا الثانى والعشرون حتى أصدر قرارا صادق فيه على قرار سلفه كليمنت الخامس الخاص بالسماح لملك فرنسا بتحصيل ضريبة العشور على أملاك الكنيسة الفرنسية لصالح الحملة الصليبية . ورغبة منه فى اعطاء الملك فيليب الخامس الطويل قوة دفع جديدة ، صرح له بتحصيل ضريبة العشور على جميع الدخول فى مملكة فرنسا لمدة عامين متتاليين ، هما عاما ١٣١٦ ، ١٣١٧.(٤)

وفى الرابع والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٣٢١ ، رفع البندقى مارينو سانودو Marino Sanudo ، الى البابا حنا الثانى والعشرين نسختين من كتابه " أسرار المؤمنين بالصليب " (Secreta fidelium Crucis) ، الذى ضمنه مشروعا للحملة الصليبية ، يقترب ، فى خطوطه الرئيسية ، من المشروعين اللذين تقدم بهما السيد الكبير للداوية ، يعقوب دى مولى ، والسيد الكبير للاسبتارية ، فولك دى فيلاريه

---

(١) أنظر : Martin; Hist de France, vol IV, PP. 496-498

وأنظر ايضا المنشور البابوى الصادر فى ٢ مايو عام ١٣١٢ فى :

Pauli II, PP. 23-26 num XXII

(٢) أنظر : Yonge; History of France P.51

(٣) أنظر : Martin IV, P.543. ; D. Le Roulx: F.O.1, P.78

(٤) أنظر : D. Le Roulx; F.O.1, P.78

(وكان صديقا حميما لمارينو سانودو) ، للبابا كليمنت الخامس ، في عام ١٣٠٧ ، ومن المشروع الذي تقدم به ملك قبرص ، هنري لوزجنان الثاني ، للمجمع الكنسي المنعقد في مدينة فينا الفرنسية في عام ١٣١١ . وعلى ذلك فان الحملة الصليبية الناجحة ضد دولة سلاطين المماليك - في رأي مارينو سانودو - لابد أن تمر بمراحل ثلاث ، أولها مرحلة اضعاف قوة مصر الاقتصادية - وهي أساس قوتها الحربية - عن طريق فرض حصار بحري كامل حول سواحلها ، لمدة ثلاث سنوات ، يقوم به أسطول صليبي مؤلف من عشرة أغربة ، يساهم فيهما ملك قبرص ، هنري لوزجنان الثاني ، وأفصاله بأربعة أغربة ، والسيد الكبير للاسبتارية في رودس ، وهو هليون دى فيلينيف ، بغرابين ، وكل من زكريا الجنوى ، حاكم جزيرة خيوس ، ووليم سانودو ، حاكم جزيرة ناكسوس ، وبطريرك القسطنطينية ، ورئيس أساقفة كريت ، بغراب واحد . وتأتي بعد ذلك المرحلة الثانية ، وهي مرحلة ارسال الحملة الصليبية العامة لاحتلال مصر وفلسطين من بعدها . ومن الشروط التي رأى مارينو سانودو ضرورة توافرها في قائد هذه الحملة ، أن يخاف الله ويتقبل صداقة البنادقة ويستأنس بنصائحهم ومساعداتهم . أما المرحلة الثالثة والاخيرة فهي مرحلة الصمود في الارض المفتوحة ، وكيفية الاحتفاظ بها الارض المقدسة في يد الصليبيين . ولم يغض مارينو سانودو الطرف ، في كتابه ، عن الاخطار التي كانت تتهدد - آنذاك - دولة أرمينيا المسيحية - من جانب سلطان المماليك ، الناصر بن قلاوون ، الذي وجه اليها غزوة تخريبية كبرى ، بقيادة الامير شهاب الدين قرطاي ، في عام ١٣٢٠ ، أي قبل أن يفرغ مارينو سانودو من تأليف كتابه بعام - فاقترح - أي مارينو سانودو - ارسال نجدة صليبية خاصة الى هذه البلاد ، في الوقت الذي يقوم فيه أسطول الحصار البحري بواجبه حول سواحل مصر وسوريا . هذا وقد شكل البابا حنا الثاني والعشرون ، لجنة من أربعة رهبان ، لهم دراية بشئون الشرق فحصت كتاب مارينو سانودو ، في غضون شهر واحد ،

وأقرتها جاء فيه من وجهات نظر .(١)

وما كادت تمضى شهور قليلة ، بعد وصول كتاب مارينو سانودو الى البابا حنا الثانى والعشرين ، حتى تلقى البابا ، فى اوائل عام ١٣٢٢ ، أنباء مزعجة من الشرق ، مفادها أن قوات تترية ، وأخرى تركمانية ، وثالثة مملوكية مصرية ، غزت أرمينيا الصغرى من ثـــلاث جهات مختلفة ، فى آن واحد ، وأن جماعة الهاربين من مدينة أياس التى استولى عليهـــا المماليك ، لجأت الى بعض السفن القبرصية الراسية فى ميناء هذه المدينة ، مما يتوقـــع معه وقوع عدوان مملوكى على جزيرة قبرص .(٢) وكان أن أصدر البابا حنا الثانى والعشرون ، فى هذا العام ــ أى فى عام ١٣٢٢ ــ منشورا جديدا لحظر التعامل التجارى مع مصـــر ،(٣) وشدد الضغط على الجمهوريات الايطالية الثلاث التى تمارس التجارة مع دولة المماليـــك ، وهى جمهوريات البندقية وجنوة وبيزة ، فاستجابت لقراره وقطعت كل علاقة تجارية لها مـــع هذه الدولة ابتداء من عام ١٣٢٢(٤) وحتى عام ١٣٤٥ بالنسبة للبندقية ،(٥) وعام ١٣٤٦ بالنسبة لجنوة ،(٦) وربما أيضا لبيزة .(٧) يضاف الى ذلك أن البابا حنا الثانى والعشريـــن طلب ، فى ٢٢ يونيه عام ١٣٢٢ ، من ملك فرنسا ، شارل الرابع الوسيم (١٣٢٢ ــ ١٣٢٨) ــ وكان قد تولى العرش ، فى هذا العام ، خلفا لاخيه فيليب الخامس الطويل ــ

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit a Rh., pp.80 -81
Ibid: F.O.1,PP. 32 -39 ,81 ; Atiya:The Crus. in the Lat. mid. ag. PP. 116-121.
وارجع أيضا الى دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٩٨ ــ ١١٩٩. وفيما يتعلق بالغزوة المملوكية لارمينيا عام ١٣٢٠ ارجع الى دكتور سعيـــد عبد الفتاح عاشور نفس المرجع ص ١٢١٩ .

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., PP. 79-80
ولتفاصيل أحداث أرمينيا فى هذه الفترة ارجع الى :
Continuation de la chr. de semp., dans Rec. des Hist. des crois., document arm. I, PP. 666-668
وعن موقف المماليك من أرمينيا ارجع الى دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركـــة الصليبية جـ ٢ ص ١٢١٩ ــ ١٢٢٠ .

(٣) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٢٠

(٤) أنظر : Heyd II, PP. 37 , 44

(٥) أنظر : Ibid, P.45

(٦) أنظر : Ibid, P.49

(٧) لا نعرف عن تجارة بيزة مع مصر والشام شيئا منذ عام ١٣٢٢ سوى انها ارسلت الـــى القاهرة فى عام ١٣٨٥ سفيرا ، يدعى نقولا ڤيڤالدس Nicolaus de Vivaldis وطلب من السلطان برقوق تعويض التجار البيزانيين فى مدينة الاسكندرية عن اضــــرار لحقت ...

بأن يعجل بأخذ مشورة أهل الرأى ممن لهم دراية بشئون الشرق ، لتكون له عونا عند خروجه على رأس الحملة الصليبية ، التى أعلن الملك — عند اعتلائه العرش — عن استعداده لقيادتها (١) .

وأهم من استشارهم الملك شارل الرابع ثلاثة هم : هليون دى ڤيلينيف ، السيد الكبير للاسبتارية فى رودس (١٣١٩ — ١٣٤٦) ، ووليم دوران الصغير ، أسقف منـــــد

G. Durand Le Jeune, évêque de mende

(١٢٩٧ — ١٣٢٨) ، جارسياز دايرب ، أسقف ليون Garcias D,Ayerbe

(١٣١٩ — ١٣٣٢) .

وكان أولهم ، وهو هليون دى ڤيلينيف ، السيد الكبير للاسبتارية ، موجودا ، وقتـذاك فى فرنسا . وقد أشار بارسال حملة صليبية عامة الى مصر تتألف من ألف فارس ، وأربعة آلاف رام من حملة الاقواس . ونصح بأن يقوم أسطول صليبى ، مؤلف من ستين سفينة ، بنقل هـذه القوات ، من موانى فرنسا وايطاليا وأسبانيا ، الى حيث تلتقى جميعا فى جزيرة قـبرص أو جزيرة رودس قبل أن تقلع معا الى مصر . ورأى أن يتم اعداد الحملة ، بسفنها ، خــلال أربع سنوات . واشترط — فى الوقت نفسه — ضرورة تدبير مرتبات أفرادها لمدة خمس سنـوات متصلة ، وأجور سفن أسطولها ، بواقع ثمانية شهور فى السنة ، خلال فترة السنوات الخمس . وكما فعل مارينو سانودو ، فى كتابه " اسرار المؤمنين بالصليب " ، فقد أصر السيد الكبـير للاسبتارية على ضرورة أن تقطع الدول المسيحية كل علاقة تجارية لها مع مصر ، قبل ارســال الحملة العامة . وطالب دى ڤيلينيف — أخيرا — بأن يتولى أسطول صليبى خاص ، مهمة شل حركة الصادرات والواردات المصرية فى البحر الابيض المتوسط ، لان شلها — فى تقديره — لا يؤدى فقط الى اضعاف مصر ، ولكن أيضا الى انعاش أرمينيا المسيحية ، التى ســوف تتحول اليها — عندئذ — التجارة الهندية ، للوصول عن طريقها الى البحر المتوســط ، بدلا من طريق البحر الاحمر ومصر (٢) .

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: F.O.1 , P.79 ; Ibid : Les Hospit. àRh., PP. 80 - 81.

(٢) أنظر : Ibid : F.O.1, PP. 79 -81. ; Ibid: Les Hosp. à Rh..P. 8I

ثم جاءت نصيحة أسقف مند ، وهو أحد الذين استشارهم الملك شارل الرابع الوسيم ، متفقة مع نصيحة السيد الكبير للاسبتارية ،هليون دى ڤيلينيف ، فى ضرورة ارسال الحملة الصليبية العامة عن طريق البحر ، وقطع العلاقات التجارية بين أوربا ومصر • غير أنه أشار بأن يستعان بالقوى البحرية الايطالية ، وخاصة قوى البندقية وجنوة وبيزة ، وبقوة عسكرية اسبتارية خاصة مهمتها تسهيل عملية انزال الصليبين فى آسيا الصغرى لانجاد أرمينيا المسيحية •

أما أسقف ليون ، وهو الشخصية الثالثة التى أعطت رأيها لملك فرنسا ، شارل الرابع ، فى الموقف ، فقد نصح بالتحالف مع التتار ، وبأن تسلك الحملة الطريق البرى الذى سلكته قوات الحملة الصليبية الاولى فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى • ولانه أسبانى ، فقد اهتم ، بصفة خاصة ، بتوضيح الفوائد التى يمكن الحصول عليها فى حالة الاستعانة بالهيئات الحربية الاسبانية والجاسكونية ، عند تشكيل الحملة (١) •

ومهما يكن من أمر هذه النصائح التى تلقاها الملك الفرنسى ، شارل الرابع الوسيم ، من السيد الكبير للاسبتارية ، وأسقفى مند وليون ، فانها لم تكن سوى فاتحة لنشاط آخر أبداه الملك من أجل استئناف الحرب الصليبية • وذلك أنه أصدر ، فى ٧ فبراير عام ١٣٢٣ ، قرارا بتعيين الڤيكونت عمورى السادس الناربونى ، وأمير البحر بيرنجيه بلان Ber. Blane قائدين للحملة الصليبية • وبعد عشرة أيام — أى فى يوم ١٧ فبراير — أرسل سفارة الى البابا حنا الثانى والعشرين ، فى مدينة أڤنيون ، للوصول معه الى وضع الترتيبات النهائية للحملة ، وطرق تنفيذها ، ولتقديم اقتراح الملك الفرنسى له ، بأن يكون تاريخ ابحار الحملة الصليبية العامة الى الشرق هو شهر أغسطس من عام ١٣٢٤ ، أى بعد عام ونصف العام ، على أن يخرج الڤيكونت عمورى السادس ، فورا ، على رأس أسطول صليبى خاص ، لنقل قوات صليبية تعزز بها مملكة أرمينيا المسيحية حاميات قلاعها وحصونها ، وللدفاع عن أرمينيا وقبرص ، وللسيطرة على مياه البحر المتوسط (٢) •

---

(١) أنظر : D. Le Roulx : Les Hosp. à Rh., PP. 81- 82

(٢) أنظر : Ibid:Op. Cit., P.82

على أن الملك شارل الرابع الوسيم ، ما لبث أن تلقى ، فى صيف عام ١٣٢٣ ، أنباء عن صلح طويل الأجل ، مدته خمسة عشر عاما ، بين أرمينيا الصغرى وسلطان مصر المملوكى ، الناصر محمد بن قلاوون (١) ، فثبطت همته فيما يتعلق بالحرب الصليبية (٢) ، ثم توفى فى ٣١ يناير سنة ١٣٢٨ (٣) .

وعندما تولى الملك فيليب السادس دى فالوا — ابن عم شارل الرابع — فى ٢٩ مايو عام ١٣٢٨ ، عرش فرنسا (٤) ، أعلن بأن سياسته هى استئناف الجهود التى بذلها أسلافه ، فيليب الرابع الوسيم ، ولويس العاشر ، وفيليب الخامس الطويل ، وشارل الرابع الوسيم ، من أجل مواصلة الحرب الصليبية (٥) . ولمساعدته فى الاعداد لهذه الحرب ، سمح له البابا حنا الثانى والعشرون — بمقتضى منشور بابوى خاص أصدره فى ١٦ يوليه عام ١٣٣٠ — بجمع ضريبة العشور فى فرنسا لمدة عامين (٦) . ومن الادلة على صدق نيته أنه اتصل بجمهورية البندقية ، فى ١٨ نوفمبر عام ١٣٣١ ، وطلب منها أن تساعده فى نقل جيش الحملة الى الديار المقدسة . وقد ردت عليه البندقية ، فى ١١ مايو سنة ١٣٣٢ ، فأعربت له عن استعدادها لان تضع تحت تصرفه أسطولا يكفى لنقل خمسة آلاف فارس بخيولهم ، وألف جندى من المشاة ، وأن تقدم له أربعة آلاف نوتى بندقى لمدة ستة أشهر على نفقتها الخاصة ، ولكنها اشترطت عليه أن يحشد جيشا ضخما ،

---

(١) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٢٠

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.83

(٣) أنظر : Martin IV, P.562

(٤) أنظر : Ibid, Op. Cit, P. 565

(٥) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.84

(٦) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٩٥

واسطولا كبيرا ، وألا يتصرف الا بالتعاون مع البابا حنا الثاني والعشرين (١) . على أن البندقية ، ما أن توصلت الى عقد اتفاقية محالفة ضد الاتراك السلاجقة ـ الذين دأبوا منذ عام ١٣٢٥ على غزو سواحل بلاد اليونان وجزر بحر ايجه (٢) ـ مع امبراطور الدولة البيزنطية ، أندرونيق الثالث ، والسيد الكبير للاسبتارية في رودس ، هليون دى فيلينيف في ٦ سبتمبر عام ١٣٣٢ ، حتى أرسلت ـ بما بالاتفاق مع حليفيها الامبراطور البيزنطي والرئيس الاسبتاري ـ الى ملك فرنسا ، فيليب السادس ، تعرض عليه الانضمام الى المحالفة ضد الترك (٣) . وقد رد عليها فيليب السادس ، في ٣ نوفمبر سنة ١٣٣٣ ، بأنه يعتذر عن تلبية طلبها ، فورا ، لانشغاله في الاعداد للحملة الصليبية من أجل استعادة الارض المقدسة ، ولكنه يتعهد بارسال بضع سفن فرنسية للانضمام الى اسطول المحالفة ضد الترك في الربيع القادم (٤) . على أن ملك فرنسا ، أرسل ، بعد ثمانية أيام فقط ، أى في (٥)

---

(١) أنظر :

Mas . Latrie: Comm. et Exp. mil., pp. 97-101; D. Le Roulx: F.O.1, PP. 87 -88; Le Roulx : les Hospit. à Rh., PP·86-87; Atiya : The crusade in the later middle ages, P.96; De le Ronc. et Dorez: lettres Inedites , dans B.E .C·, LVl, an. 1895, PP. 22 -23.

(٢) في عام ١٣٢٥ وصل الى مدينة أفنيون وفد اسبتاري من عضوين لعرض مخاوف الاسبتارية في رودس ، من الاستعدادات الضخمة التي يجريها الاتراك لغزو جزيرة رودس وغيرها من الدول المسيحية في شرق البحر الابيض المتوسط ، على مسامع البابا ، حنا الثاني والعشرين ، والسيد الكبير للاسبتارية دى فيلينيف ـ الذي كان يقيم وقتذاك في أفنيون منذ انتخابه لمنصبه عام ١٣١٩ ، وحتى عام ١٣٣٢ عندما رحل الى رودس ـ فحمل البابا عضوي الوفد الاسبتاري الى ملك فرنسا ، شارل الرابع ، لحثه على التدخل السريع ، غير أن مخاوفهما لم تجد صدى عند هذا الملك .

أنظر :

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., p. 84

(٣) أنظر : Ibid : Op. Cit., P.87 ; gay: le Pape, P. 22-23

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.88

(٥) أنظر : Mas - Latrie : Commerce et Expeditions, PP. 101-102

١١ نوفمبر سنة ١٣٣٣ ، الى البندقية يبلغها بأن البابا حنا الثاني والعشرين قد عينه قائدا عاما للحملة الصليبية الى الارض المقدسة ، ويطلب منها أن ترسل اليه سفراءها للتفاهم معا فى وسائل انفاذ الحملة .[1] وكان أن وصل الى فرنسا السفيران البندقيان حنا جرادونيكو (J. gradonico) ، وأندريا بازيليو (ndrea Basilio) ، وهما يحملان تعليمات حكومتهما ، بمحاولة اقناع كل من ملك فرنسا ، فيليب السادس ، والبابا حنا الثاني والعشرين ، بالانضمام الى المحالفة أو العصبة ضد الترك ، على أساس أن تدمير قوة الاتراك السلاجقة ، فى شرق البحر المتوسط ، هو الضمان الاكيد لوصول أسطول الحملة الصليبية الى الارض المقدسة سالما .[2] ونتيجة لمساعى هذين السفيرين فى فرنسا ، تم عقد اجتماع ، فى ٨ مارس عام ١٣٣٤ ، بمدينة أفنيون ، حضره ، الى جانب السفيرين البندقيين ، والبابا حنا الثاني والعشرين ، ممثلين عن الاسبتارية وفرنسا وقبرص ، اتفقوا فيه على أن تشترك دولهم فى القيام بحملتين بحريتين ضد الاتراك السلاجقه ، على أن تخرج الحملة الاولى فى شهر مايو من نفس العام — أى فى عام ١٣٣٤ — وهدفها تدمير أساطيل الاتراك تمهيدا للقيام بالحملة الثانية فى العام التالى — أى فى عام ١٣٣٥ — وهدفها غزو الساحل الاسيوى نفسه .[3] وهكذا نجحت الدبلوماسية البندقية ، معززة بالدبلوماسية الاسبتارية ،

---

(١) أنظر : D.Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.88

(٢) أنظر : Ibid: F.O.I, PP. 99- 100; mas - latrie: Commerce et Expeditions, P.103
gay: Op. Cit., P.21,

(٣) أنظر : Mas-latrie: commerce et Expeditions, PP. 104-106 ; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 88-89 ; ibid.: F.O.1, PP. 99-100; Atiya , P. 112

فى تحويل جهود ملك فرنسا ، فيليب السادس ، الصليبية ، عن دولة سلاطين المماليك فى مصر والشام ، الى الاتراك السلاجقه فى آسيا الصغرى • ولقد شارك فيليب السادس فى الحملة الاولى ضد الاتراك فى موعدها المقرر من عام ١٣٣٤ ، (١) ولكن ما أن أكمل استعداده للقيام بدوره المتفق عليه فى الحملة الثانية ، وهم باصدار أوامره لقواته بالاقلاع الى الشرق ، حتى فوجئ بتأهب أعدائه الانجليز للهجوم على مملكته ، فقرر ارجاء العمل الصليبى ، والتفرغ للانجليز (فبراير ١٣٣٦) • (٢)

وقد أثر هذا الحادث فى حماسة البابا بنوا الثانى عشر — وكان قد خلف البابا حنا الثانى والعشرين بعد وفاته فى ٤ ديسمبر عام ١٣٣٤ — (٣) للحروب الصليبية ضد المسلمين تركا وعربا ، فطلب من الملك فيليب السادس ، فى ١٣ مارس عام ١٣٣٦ ، عدم العودة لها ، كما أمر بوقف تحصيل ضريبة العشر الذى كان سلفه ، البابا حنا الثانى والعشرون ، قد أمر به من أجل الحملة الصليبية الى الارض المقدسة ، وبرد ما جمع منها لاصحابها • (٤) وعندما طلب منه ملك أرمينيا الصغرى ليون الخامس (١٣٢٠ — ١٣٤١) ، المساعدة ضد قوات السلطان المملوكى ، الناصر محمد بن قلاوون ، (٥) اكتفى

---

(١) أنظر :

De La Ronciere et Dorez: Lettres Inedites, dans B.E.C. LVl, an .1895 , PP. 22-36;Atiya:Op. Cit., PP.112-113 ; D. Le Roulx:Les Hospit.a Rh., PP.89-90; De La Roncier 1, PP. 233-237

(٢) أنظر :

D. Le Roulx:Les Hosp. à Rh.,P.90 ; Atiya, P.113

(٣) أنظر :

(٤) D. Le Roulx:F.O.1, P.103

D. Le Roulx:Les Hospit. à Rh., PP.90-91

(٥) عندما علم ليون الخامس ، ملك أرمينيا ، بأن فيليب السادس ، ملك فرنسا يستعد للقيام بحملة صليبية على الشرق ، أغار على بعض البلدان الاسلامية فى بلاد الشام ، الامر الذى جعل السلطان الناصر محمد يرسل حملة ، تحت قيادة علاء الدين الطنبغا ، نائب حلب ، ضد أرمينيا سنة ١٣٣٦ — أنظر دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٢٠

بأن وجه ، في أول مايو عام ١٣٣٦ ، نداءً عاما ، الى جميع المسيحيين ، في صقلية وقبرص ورودس وجزر بحر ايجة ، بأن يهبوا لنجدة أهل أرمينيا اخوانهم في الدين (١) .

وهكذا تعطل العمل الصليبي من أجل اخضاع دولة سلاطين المماليك واستعادة الارض المقدسة ، وان كان قد استمر ضد الاتراك السلاجقة في آسيا الصغرى ، من غير أن يشترك فيه ملك فرنسا ، الى أن تولى ، على عرش قبرص ، في عام ١٣٥٩ ، الملك بطرس الاول لوزجنان ، فقرر أن يستأنفه تحت قيادته ، حتى اعتبرت سنة ارتقائه العرش — أي سنة ١٣٥٩ ، بداية لمرحلة جديدة في تاريخ الحروب الصليبية المتأخرة (٢) .

على أن الملك بطرس الاول رأى ضرورة الحصول على موافقة البابا أنوسنت السادس ، وعلى تأييد وعون ملوك أوروبا وحكامها البارزين ، في رحلة يقوم بها شخصيا الى بلادهم . وقد بدأ رحلته ، في ٢٤ أكتوبر عام ١٣٦٢ ، بالتوجه الى جزيرة رودس (٣) ، للتفاهم في أمر الحملة مع السيد الكبير للاسبتارية الحاكم أنذاك في هذه الجزيرة ، وهو روجر دى بينز (١٣٥٥ — ١٣٦٥) ، قبل أي حاكم مسيحي آخر ، باعتبار أن الاسبتارية هم قطب الرحى في كل عمل صليبي يوجه ضد المسلمين في الشرق (٤) . وعندما وصل بطرس الاول الى جزيرة رودس ، استقبله الاسبتارية بحفاوة بالغة يمكن تفسيرها برغبتهم في تكليفه بالتوسط لصالح هيئتهم لدى البابا ، أنوسنت السادس ، الذي عرف بميوله العدائية نحوها (٥) .
وما أن رحل عن هذه الجزيرة ، متوجها الى أوروبا ، حتى قامت فيها الاستعدادات للحملة

---

(١) أنظر : Gay , P.25

(٢) أ دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٥٦

(٣) نفس المؤلف والمرجع ص ٥٦ — ٥٧

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.142

(٥) أنظر : Atiya, PP. 330 -331

على قدم وساق . [1] ومن ناحية أخرى ، قدم البابا أربان الخامس ــ الذى تولى خلفا للبابا أنوسنت السادس فى ٦ نوفمبر عام ١٣٦٢ ــ وتقابل مع بطرس الاول فى مدينة أفنيون فى ٢٩ مارس سنة ١٣٦٣ [2] كل مساعدة ممكنة لهيئة الاسبتارية ، من أجل أن تحل مشاكلها المالية والادارية فى أوروبا ، حتى تتفرغ كلية للقيام بالدور العسكرى المنتظر منها أن تساهم به فى الحملة الصليبية التى يعد لها ملك قبرص . كما أن هذا البابا رجا ملوك فرنسا وانجلترا ونافاره وقشتاله وأرغونة والبرتغال فى ١٤ أبريل عام ١٣٦٥ ، بأن يصرحوا لرؤساء بيوت هيئة الاسبتارية ، فى دولهم ، بالسفر الى مدينة كاربنتراس Carpentras لحضور الجمعية التى قرر " مارشال " الاسبتارية عقدها فى هذه المدينة ، من أجل مناقشة وسائل تدبير ، الاموال اللازمة لاسهامهم فى هذه الحملة . [3]

على أنه لم يكن من المتفق عليه بين الاسبتارية والملك بطرس الاول ، قبل سفره الى أوروبا ، بأن يساهموا فى الحملة بالسفن والفرسان فحسب ، ولكن أيضا بوضع جزيرتهم رودس تحت خدمة الصليبيين كمركز تجمع لهم ولسفنهم قبل خروجهم لتحقيق هدفهم الصليبى فى هذه الحملة . وعلى ذلك فقد توجه الملك بطرس ، بعد أن انتهت رحلته فى أوروبا ، مباشرة الى جزيرة رودس ، من غير أن يعرج على جزيرته قبرص ، فوصل الى رودس فى شهر يوليه عام ١٣٦٥ ، [4] صحبة خمس عشرة سفينة ، [5] بخلاف ست عشرة سفينة أخرى كانت قد سبقته الى ميناء مدينة رودس عن طريق جنوة وقبرص . [6] وفى ٢٥ أغسطس وصل الى رودس

---

(١) أنظر : D.Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.146

(٢) أنظر : Atiya: Op. Cit., P.331

وفيما يتعلق برحلة بطرس الاول فى اوروبا ارجع الى Ibid, Op. Cit., PP.330-343; Hill II, PP. 326-329.

(٣) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., PP. 142 -144

(٤) أنظر : Machaut, PP. 52 -54

(٥) أنظر : Macheras, P.91

(٦) أنظر : Atiya, P.343.

أسطول قبرص المؤلف من مائة قطعة بحرية وثمان قطع ، بقيادة أخى الملك حنا لوزجنان (١)

أما السيد الكبير للاسبتارية ، ريموند بيرنجر (١٣٦٥ — ١٣٧٤) — الذى خلف روجر دى بنز ، فى مايو سنة ١٣٦٥ — فقد قدم أربعة أغربة ، ومائة فارس اسبتارى ، تحت قيادة أمير البحر الاسبتارى ، فرلينو دبراسكا Ferlino D ,Airasca (٢) واشترك معه من كبار أعضاء هيئة الاسبتارية رئيس شعبة لمبارديا ، فضلا عن عدد آخر من كبار شخصيات هيئة الاسبتارية فى رودس . (٣) وكانت هذه أول مناسبة تقابل فيها الاسبتارية ، بعد سيطرتهم على رودس ، وجهـا

---

(١) أنظر : Strambaldi, PP. 65-66, machaut, P. 56, Hill II P.329
أما أمادى (Amadi, P.414) فقد ذكر بأن أسطول قبرص أرسل الى رودس فى ٢٥ يونية لينتظر فيها الملك الذى وصل الى رودس فى ٢٥ أغسطس . وذكر أن عدد قطع أسطول قبرص ٩٢ قطعة .

(٢) أنظر : Macheras, P.91-92 , Strambaldi, P.66
أما ماشور (Machaut, P.59) فانه يذكر بأن الاسبتارية ساهموا فى الحملة بقوة قائدها أمير البحر ، ولكنه لم يحدد عدد أفراد هذه القوة ، كما لم يحدد عدد السفن ويلاحظ بأن ديلافيل لرو (D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh, P. 152) ذكر بأن الاسبتارية فى رودس أسهموا فى الحملة بست عشرة سفينة . ويعتقد الدكتور عزيز سوريال عطيه (...e Crus. in the later mid. Ag., P 343 n.1) بأن ديلافيل أخذ هذا العدد عن سترامبالدى (ص ٦٦ — ٦٧) الذى خلط بين عدد سفن الاسبتارية ، وعدد سفن الملك الست عشرة ، أو عدد سفن الجنويه والبندقية ، غير أن سترامبالدى — فى الواقع كان قاطعا فى قوله بأن الاسبتارية ساهموا بأربعة أغربة ، فهو يقول فى (ص ٦٦ — ٦٧) .

"Et il gran maestro armò quattro gallere, et mandò cento freri et cavalli et gallere; et commandò che menasse con Lui (يقصد بطرس الاول الذى قاد معه الى رودس ١٥ سفينة) Quindise gallere ;

et la gallera che ritornò da genoa, in tutto no 16.

"Il re..., et del Hospital quattro; et moltri altri vasselli .."

هذا ولم يذكر لنا ديلافيل مصادر أخرى لروايته عن حملة ١٣٦٥ على الاسكندرية — الى جانب ماشو ، سترامبالدى ، ماخيراس ، أمادى ، الا مرجعا حديثا ، وليس معاصرا ، قال ديلافيل بأنه يعتمد عليه اعتمادا رئيسيا لانه رجع فى روايته الى جميع المصادر والوثائق المعاصرة الافرنجية والعربية . وهذا المرجع هو :

Jorga: Philippe de mézieres et la crdsade au XIVS., PP. 284-304

(٣) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit ,P.152

[illegible]

عكا عام ١٢٩١ ، وكانت المرة الاولى حين اشتركوا مع القبارصة والداوية ، في شهر يوليه من عام ١٣٠٠ ، في الاغارة على ساحل مصر الشمالي من رشيد الى الاسكندرية ، وعند عكا وانطرسوس ومرقية على ساحل الشام ، والمرة الثانية حين اشتركوا مع حلفائهم القبارصة والداوية ، في شهر نوفمبر من نفس العام ١٣٠٠ ، في غزو جزيرة أرواد القريبة من ساحل الشام •(١) كذلك انضم الى أسطول الملك بطرس الاول سفن أخرى ، ربما مملوكة للقراصنة ، بحيث أصبح مجموع سفن هذا الاسطول نحو ١١٥ سفينة من مختلف الانواع والاحجام ،(٢) على حين بلغ عدد قوات الحملة عشرة آلاف مقاتل من بينهم ألف فارس وقواس •(٣)

وقد أقلع أسطول الحملة من ميناء رودس ، في ٤ أكتوبر عام ١٣٦٥ ،(٤) ويمم شطر الاسكندرية فوصل اليها في صباح ٩ أكتوبر •(٥) وفي صباح اليوم التالي ،أي في يوم ١٠ أكتوبر ــ وكان يوم جمعة ــ بدأت عملية انزال الجند الى البر عن طريق بحر السلسلة ، وهو الميناء القديم ــ أي الغربي ــ(٦) فيما عدا قوات الاسبتارية ، بقيادة فرلينو دي راسكا ، التي نزلت الى البر عن طريق الميناء الجديد ــ أي الشرقي ــ ثم

---

(١) ارجع الى الفصل الاول

(٢) أنظر : Strambaldi, P.67; Amadi, P.414
بمقتضى ماخيراس ج ٢ ص ٩٢ عدد السفن ١١٥ سفينة • وبمقتضى أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢٩) سبعين قطعة •

(٣) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.152
يقول أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٩) أن عدة الفرنج تزيد على ثلاثين ألفا •

(٤) أنظر : Hill II, P.331; Atiya , P.347

(٥) أنظر : machaut, P.67; machéras, P.92

(٦) النويري الاسكندري ، الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام بالامور المقضية في واقعة الاسكندرية ج ١ ورقة ٧٨ ، المقريزي السلوك ج ٤ ورقة ٤٧ • يقول ماشو ص (٦٧) بأن الاسطول القى مراسيه أمام الميناء القديم ، ويعلق الناشر ، ماس لاتري ، في نفس الكتاب ص ٢٨٠ ملحوظة (١٩) بأن الميناء القديم هو الغربي ، والميناء الجديد هو الشرقي ناحية رشيد •والنويري الاسكندري نفسه الجزء الثاني ورقة (٢٧٥) يقطع بذلك فيقول " وكان بالمينة الغربية المعروفة ببحر السلسلة قرقورة •• "

شقت طريقها ناحية الميناء القديم ، وصفت الجموع الدافعة ، التي كانت تعرقل تقدم بقية جند الحملة في المياه الضحلة نحو اليابس ، من الخلف ، فأرغمت هذه الجموع على الفرار مذعورة الى داخل أسوار المدينة . (١)

وفي الحقيقة لقد بدت الاسكندرية لغزاتها الصليبيين ، من وراء أسوارها العالية ، وأبوابها الضخمة القوية ، بعيدة المنال . وحدث ، بالفعل ، قبل أن يشن الصليبيون الهجوم على أسوار المدينة ، أن خارت عزائم بعض قادتهم ، وفكروا جديا في هجر مشروع الغزو والعودة الى أوطانهم ، واقترح أحدهم — وهو على ما يعتقد أمير البحر الاسبتاري — على الملك بطرس بأن يأمر جيشه بالانسحاب . (٢) غير أن بطرس الاول استطاع أن يقنع قادة جيشه بمواصلة الحرب . وكان أن هجم الصليبيون على أسوار المدينة عند باب البحر ناحية الميناء الغربي ، من غير أن يشترك معهم فرسان الاسبتارية ، الذين وضعوا في الاحتياطي ، جنبا الى جنب مع الافصال القبارصة بقيادة الملك بطرس الاول نفسه . فلما صدت القوات المهاجمة ، خرج الملك على رأس الفرق الاحتياطية ، ومن ضمنها فرسان الاسبتارية وحتى تقهقرها . ثم أن الملك لم يلبث أن قاد

(١) أنظر : D. Le Roulx : les hosp. à Rh., P.153 ; Hill II, pp. 331-332

(٢) أنظر : Machaut, PP.80-81
مع ملاحظة أنه لم يحدد شخصية المتكلم مع الملك في صالح الانسحاب ، وقال عنه أنه اميرال (un amiraut) أما الذي قال بانه امير البحر الاسبتاري فرلينو د يراسكا فهو : D. Le Roulx:Les Hosp. à Rh., P.153
علما بأن ديلافيل لرو يتكلم بقطع من غير أن يستخدم كلمات مثل " يعتقد " أو يظن " او " يرجح " ولا يعطينا مرجعا استقى منه روايته ، معتمدا على ما ذكره في حاشية سابقة من أن مرجعه الرئيسي هو (Jorga:Philippe de mézieres
ويقول دكتور عزيز سوريال عطيه في كتابه : The crus. in the Lat. mid. ag., p.357
بان Jorga يقترح بانه امير البحر الاسبتاري ويؤكد بأن كلا من امير البحر الاسبتاري وامير البحر القبرصي كان من بين المتمردين انصار العودة . ويستطرد دكتور عزيز سوريال بان كلمة " amiraut " التي استخدمها ماشو يمكن ان تؤخذ ايضا على انها بارون (baron) ولقد اخذها ، بالفعل ، ماس لاتري ، الذي نشر رسالة ماشو ، بهذا المعنى (بارون) — أنظر ماشو ص ٨١ .

جيشه بأكمله فى ، هجوم جديد ، تركز ، فى هذه المرة ، على السور ناحية الميناء الشرقى ، فأحرق بعضهم باب الديوان ونفذوا فيه ، على حين وصل بعضهم الأخر الى داخل المدينة عن طريق تسلق السور فى هذه الناحية وعبوره ، ولم يحل مساء ذلك اليوم حتى كان الملك بطرس الاول قد استولى على جميع أبواب الاسكندرية فيما عدا باب الفلفل ، الذى كان يؤمن الاتصالات مع القاهرة ، فقد استولى عليه الصليبيون فى اليوم التالى — أى فى يوم ١١ أكتوبر ، وأتموا ، باستيلائهم عليه ، سيطرتهم على المدينة بأسرها (١) .

وكان بطرس الاول قد اجتمع ، فى صباح اليوم التالى للغزو — أى فى يوم السبت ١١ أكتوبر — بقادة جيشه ، لاستطلاع آرائهم فيما يجب عمله بعد أن تم غزو الاسكندرية . وقد اتضح جليا فى هذا الاجتماع أن أنصار الانسحاب كانوا لا يزالون عند رأيهم الاول . وكان لسانهم المتكلم عنهم الفيكونت دى تورن . Le vicomte de Turenne قريب البابا كليمنت السادس . وقد ناصره الصليبيون الاوروبيون . أما أمير البحر الاسبتارى ، فرلينو ديراسكا ، فقد هدد قائلا بأنه ، فى جميع الاحوال ، سوف ينسحب مع فرقته من فرسان الاسبتارية (٢) . ويمكن تفسير معارضة الصليبيين الاوروبيين للبقاء ،

---

(١) أنظر : Machaut, PP. 82 -95; D. Le Roulx : Les Hosp. à Rh., P.153

وعن نجاح الصليبيين فى اقتحام المدينة ناحية الميناء الشرقى ، وحرقهم لباب الديوان — أنظر النويرى الاسكندرى الالمام جـ ١ ورقة ٣٢٢

(٢) أنظر : Machaut, PP.100-103

علما بأن ماشو فى هذه المرة أيضا لم يحدد شخصية الاميرال الذى هدد بالانسحاب ولكن دولافيل لرو (الاسبتارية فى رودس ص ١٥٤) يقطع بأنه أمير البحر الاسبتارى .

بأن كثرة ما حصلوا عليه ، نهبا ، من الغنائم في الاسكندرية ، جعلهم متمسكون أكثر بالحياة حتى تتاح لهم فرصة التمتع بهذه الغنائم في بلادهم ، وهو ما لا يمكن أن يضمنوه عند مجيء جيش القاهرة لتحرير الاسكندرية منهم • أما مسلك أمير البحر الاسبتاري فيمكن تفسيره بأنه (١) ، بحكم خبرته بشئون الشرق ، كان مقتنعا منذ البداية بأن الدولة المملوكية أقوى من أن يقضي عليها ملك قبرص ، واذا أفلح في اسقاطها ، فانه لا يستطيع الاحتفاظ بفتحه طويلا ، لأن أوربا — التي ضعفت فيها الروح الصليبية ، واشتعلت الحروب بين دولها — لا يمكن الاعتماد عليها في تدعيم الفتح ، ولأن أهل مصر والشام — بل والمغرب أيضا — سوف لا يسمح لهم حماسهم الديني ، وتراثهم التاريخي في النضال ضد أطماع الاوربيين ، بتقبل الاحتلال الصليبي لفترة طويلة • هذا وهناك أيضا احتمالات أن فرليبو د يراسكا كان يرغب في تجنيب هيئة الاسبتارية خسارة فقدان مائة فارس اسبتاري ، وهو عدد كبير بالنسبة الى قلة عدد أعضاء الهيئة من الفرسان عموما الموجودين في رودس ، أو أنه ، بصفته اسبتاريا رودسيا ، كان لا يحب أن يرى هذا الفتح الكبير ، هدف الحركة الصليبية منذ أن نشأت هذه الحركة ، وقد تحقق على يد آل لوزجنان بقبرص ، مدفوعا ، ليس فقط بعامل الحسد ، بحكم أن آل لوزجنان هم المنافسون الوحيدون للاسبتارية في رودس

---

(١) يعلق (D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.154) على موقف أمير البحر الاسبتاري بقوله ان موقفه في هذا الظرف غريب ، انه لم يكف منذ بدء الحملة عن اظهار الحذر والتعقل الزائد • ثم يتساءل ديلافيل قائلا : هل أمير البحر الاسبتاري كان يبالغ في اظهار أخطار الاحتلال الدائم للاسكندرية ، مثلما بالغ من قبل في اظهار صعوبات الهجوم على هذه المدينة ؟ هل خبرته بشئون الشرق تبرر نصائحه ومخاوفه ؟ هل كان يخشى عواقب موت خيول فرسان الاسبتارية المشتركين في الحملة ، على أساس أن هذه الخيول لو قتلت في المعارك فان قتلها سوف يشل حركة الاسبتارية في بقية المعارك ؟ مهما كانت دوافعه فقد كان نصيرا لانصار الانسحاب ، وكان لرأيه تأثير قاطع •

— بين القوى المسيحية الحاكمة شرقي البحر المتوسط — في ميدان العمل الصليبي ضد المسلمين ، ولكن أيضا بعامل الشك في أن يسمح حكام قبرص للاسبتارية بوضع يدهم على ما يطمعون فيه من أملاك دولة السلاطين المماليك وخاصة في الشام ، واضعا في اعتباره ما لاقاه الاسبتارية من مضايقات على يد الملك هنري الثاني لوزجنان عندما لجئوا الى جزيرته قبرص بعد سقوط عكا في عام ١٢٩١ ، وحتى رحيلهم عن هذه الجزيرة الى جزيرة رودس ابتداء من عام ١٣٠٦ .

ومهما يكن من أمر العوامل التي دفعت أمير البحر الاسبتاري على المطالبة بالانسحاب — وهي في أغلب الظن نفس العوامل التي يفسر بها صغر حجم المساهمة الاسبتارية في الحملة — فقد كان واحدا بين كثيرين قالوا رأيهم صراحة للملك بطرس الاول . وعبثا حاول الملك ، والنائب البابوي بطرس دى توماس ، اقناعهم بالصمود في مدينة الاسكندرية . الى حين وصول النجدات المطلوبة من الغرب وقبرص ورودس والقسطنطينية ، فقد زادهم الخوف من وصول امدادات ، لا قبل لهم بمواجهتها ، من القاهرة ، اصرارا على موقفهم (١) .
وازاء هذا الوضع لم يجد الملك بطرس الاول مناصا — حين بلغه نبأ اقتراب جيش السلطان شعبان ، بقيادة الاتابك يلبغا العمري الخاصكي ، من الاسكندرية — من أن يصدر أمره لجميع رجال الحملة بالانسحاب الى سفن الاسطول . وعندما دخل يلبغا مدينة الاسكندرية ، (٢) في يوم ١٦ أكتوبر عام ١٣٦٥ ، كان الصليبيون في مرحلة الاقلاع بسفنهم نحو قبرص ، صحبة خمسة آلاف أسير وأسيرة منهم المسلم والمسلمة ، واليهودى واليهودية ، والنصرانى والنصرانية (٣) ، عدا الاسلاب والغنائم (٤) .

---

(١) أنظر : Machaut, PP. 103-107

(٢) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٦٨

(٣) النويرى : الالمام جـ ١ ورقة ٣٦٦ ، المقريزى : السلوك جـ ٤ ورقة ٤٧٠ .
أنظر ايضا دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٦٨

(٤) أنظر : Atiya , PP. 366-367

هذا ما كان من أمر الحملة الصليبية التى قادها ملك قبرص ، بطرس الاول ، على مدينة الاسكندرية ، فى اكتوبر من عام ١٣٦٥ ، مع تركيز على الدور الذى لعبه الاسبتارية فى هذه الحملة . (١) على أن هذه الحملة خلفت وراءها آثارا وذيولا ، كان للاسبتارية فى رودس ، أيضا ، دور فى ازالتها ، بالحرب أحيانا ، وبالمفاوضات أحيانا أخرى . (٢)

فقد حدث فى أوائل العام التالى لوقوع تلك الغزوة — أى فى أوائل عام ١٣٦٦ — أن ، تواترت الانباء ، فى كل من رودس وقبرص ، بأن تحالفا اسلاميا عقد بين سلطان مصر وأمراء آسيا الصغرى ، من الاتراك السلاجقه ، لتوجيه ضربة انتقامية قاصمة الى الدول المسيحية التى اعتدت على الاسكندرية وتعتدى باستمرار على أرض الاسلام ، وعلى رأس هذه الدول جزيرتا رودس وقبرص . (٣) وصاحب هذه الانباء ، وعززها ، وقوع غزو اسلامى مملوكى تركى لارمينيا الصغرى ، نتج عنه تشريد عدد كبير من أهلها ، لجئوا أولا الى جزيرة ميتيلين ، ثم الى جزيرة لانجو الخاضعة للاسبتارية ، حيث منحهم السيد الكبير ، ريموند بيرنجر ،

---

(١) لمعرفة وقائع هذه الغزوة بالتفصيل بمقتضى المراجع العربية والافرنجية ، وبخاصة العربية ، ارجع الى : دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٥٦ — ٧٠ . وارجع ايضا الى نفس المؤلف : مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ص ٧٢ وما بعدها ، وكتابه " الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٢٤ وما بعدها .

(٢) لمعرفة تفاصيل ما حدث بين عامى ١٣٦٥ ، ١٣٧٠ ارجع أيضا الى : دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٧١ — ٨٢

(٣) أرسل السيد الكبير للاسبتارية ، ريموند بيرنجر ، رسالة الى هيو جوزون أحد مقدمى شعب الاسبتارية بفرنسا ، أخبره فيها عن استعدادات المصريين والاتراك ضد رودس وقبرص ، وأمره بأن يحضر الى رودس على رأس مائة فارس اسبتارى للدفاع عنها :
أنظر :

Archives de L'Orient latin I, PP.391-392

فى ٨ فبراير عام ١٣٦٦ ، تسهيلات ضخمة للاقامة .(١)

وقد أصيب السيد الكبير للاسبتارية فى رودس ، ريموند بيرنجر ، بذعر شديد من جراء هذه الانباء دفعه الى اتخاذ اجراءات عاجلة لتعزيز وسائل الدفاع عن جزيرة رودس ، ومن هذه الاجراءات ، أنه أرسل ، فى يناير عام ١٣٦٦ ، يطلب شراء الخيول والاسلحة والذخائر من ايطاليا ، كما بعث ، فى نفس الشهر ، بأمر نائب رئيس شعبة كابوا ، بأن يرسل الى رودس ، جميع أعضاء هيئة الاسبتارية الزائدين عن حاجة بيوت الاسبتارية فى مملكة نابلى بشرط أن يكونوا صالحين للقتال .(٢) يضاف الى ذلك أن ريموند بيرنجر ، بعث ، فى أول مارس عام ١٣٦٦ ، الى أحد مقدمى شعب الاسبتارية فى فرنسا ، وهو مقدم شعبة لاسلف La Selve ، المدعو هيو جوزون ، رسالة شرح له فيها قوة أسطول المصريين والاتراك المعد للهجوم على جزيرتى رودس وقبرص ، انتقاما لغزوة الاسكندرية ، ثم طلب منه أن يسهل لمارشال الاسبتارية مهمة شحن مائة فارس اسبتارى الى جزيرة رودس ، على أن يقلع ستون من هؤلاء الفرسان من ميناء مارسيليا ، على سفينتين حربيتين ، ويبحر الاربعون فارسا الباقون الى رودس عن طريق البندقية .(٣) وبعد عشرين يوما ـ أى فى يوم ٢٠ مارس عام ١٣٦٦ ـ أرسل السيد الكبير للاسبتارية الى نائبه فى الغرب يطلب منه أن يعمل بقوة من أجل أن تصل الى جزيرة رودس فى أقرب فرصة ممكنة ، جميع الاموال المتأخرة لدى بيوت الاسبتارية فى أوربا من حقوق الخزانة فى رودس .(٤)

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.155 ; Flandin, P. 131

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.155

(٣) أنظر : Archives de L'Orient Latin, T.1, PP.391-392

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit , P.155

وكان ملك قبرص ، بطرس الاول ، من ناحيته ، على علم بالاستعدادات المملوكية (١) التركية لغزو رودس وقبرص ، عندما وصل اليه ، فى نهاية شهر أبريل عام ١٣٦٦ ، السفيران البندقيان ، سورانسو (Pietro Soranzo) وبمبو (francesco Bembo) ، قادمين من مصر ، لاقناعه بعقد الصلح مع السلطان (٢) ، ولكن مفاوضات الصلح بين الطرفين فشلت لتطرف ملك قبرص فى شروطه (٣) . وكان أن صمم الملك بطرس الاول على الحرب ، وحشد لهذا الغرض ، فى ميناء فاماجوستا بجزيرة قبرص ، أسطولا كبيرا تألف من مائة قطعة حربية وست عشرة قطعة ، منها ستة وخمسون غرابا ، وستون سفينة أخرى مختلفة الانواع والاحجام . وقد ساهم الاسبتارية فى رودس ، فى هذا الاسطول ، بأربعة أغربة ، واثنتى عشرة سفينة أخرى من النوع السريع ، وصلت الى ميناء فاماجوستا فى ١١ نوفمبر عام ١٣٦٦ (٤) . وعندما اكتمل اعداد الاسطول ، أقلع من ميناء فاماجوستا ، فى ٧ ديسمبر عام ١٣٦٦ ، بحسب رواية ماخيراس ، (٥) وفى ١٧ يناير عام ١٣٦٧ ، وفق رواية ستراميالدى ، (٦) باتجه ماشيرة الى ساحل الشام . غير أن عاصفة هوجاء هبت على الاسطول ، وهو فى عرض البحر ،

---

(١) أنظر : Hill II, P.339

(٢) أنظر : Machéras P.96; Machaut, PP. 118-119

(٣) أنظر : Macheras, PP. 96-100; Hill II, PP.339-340

(٤) أنظر : Macheras, P.103; Strmbaldi, PP.75-76 ;Amadi,P.415

وقد ذكرت المراجع الثلاثة بأن السيد الكبير للاسبتارية ، أرسل هذه السفن الست عشرة على حساب هيئة الاسبتارية ، ولكنه أرسل أيضا أربعة أغربة وجميع السفن الموجودة آنذاك فى ميناء رودس ، وانما على حساب بطرس الاول وطلبه .

(٥) أنظر : Macheras, P.104

(٦) أنظر : Strambadi, P.76

مع ملاحظتين أولهما أن المؤرخ (Amadi,P.415) ذكر بأن الاسطول أقلع من فاماجوستا يوم ٦ يونية عام ١٣٦٦ . والملحوظة الثانية أن المؤرخ ديلافيل D. Le Roulx:Les Hosp. à Rh., P. 158 اعتمد رواية ستراميالدى وان كان مرجعه دائما فى الحروب ضد المماليك سواء فى القرن ١٤ أو أوائل القرن ١٥ (حيث ان كتاب ديلافيل لوروينتهى عند عام ١٤٢٠) هـو

فرقت شمل سفنه ، وأجبرتها على العودة الى قبرص ،[١] فيما عدا أربع عشر سفينة ، أو خمس عشرة سفينة ، منها — بحسب اختلاف روايات المؤرخين — دفعتها العاصفة الى مينـــاء مدينة طرابلس ، فاحتلت هذه المدينة لمدة اثنى عشر يوما ، ثم عادت الى قبرص بعد أن فقدت الامل في وصول بقية سفن الاسطول .[٢] وقد حدث اثناء المفاوضات المتقطعة بين سلطنـــة المماليك والملك بطرس لوزجنان أن سافر الى قبرص في صيف سنة ١٣٦٧ سفيران مصريـــان لعرض شروط السلطان على ملك قبرص .[٣]

وكان الملك بطرس الاول ، وقتذاك ، موجودا في جزيرة رودس ،[٤] التي سافر اليهـا ليكون في استقبال السيد الكبير للاسبتارية ، ريموند بيرنجير ، فور عودته من رحلة قام بهـا هذا العام الى أوربا ، فيتعرف منه على تطورات ونتائج الدعوة — التي كان قد وجههـا البابا أربان الخامس لامراء أوربا عقب فشل حملة الاسكندرية عام ١٣٦٥ —[٥] من أجل اعداد حملة صليبية جديدة توجه ضد سلطان القاهرة ، ثم يتفاهم معه بشأن السياسة التي يلـــزم انتهاجها ازاء السلطان على ضوء هذه التطورات والنتائج .[٦]

---

(١) النويري الاسكندري : الالمان ج ٢ ورقة ٢٨
وأنظر أيضا : Macheras , P.104 ; Strambaldi, P.76; Amadi,P.415

(٢) المؤرخ الذى قال بأنهم أربع عشرة سفينة هو ديلافيل فى كتابه الاسبتارية فى رودس ص ١٥٨ نقلا عن المؤرخ جورجا (Jorga) فى كتابه فيليب ميزيير ص ٣٥٤
غير أن مؤرخى قبرص يقطعون بأن عدد السفن خمس عشرة .
أنظر سترامبالدى ص ٧٦ ، ماخيراس ص ١٠٤ — ١٠٥ ، أمادى ص ٤١٦ .

(٣) أنظر : Machéras, PP.105-109; Strambaldi, PP.76-77

(٤) أنظر : Machéras, P.113; Strambaldi, P.82; Michaut, P.286

(٥) فيما يتعلق بهذه الدعوة أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.157

(٦) انظر : Hill II, PP. 349, 351

وعندئذ اضطر السفيران المصريان ـ وكان أحدهما يسمى ناصر الدين محمد بن قراجا الشيهى ، والثانى يدعى سيف الدين الجوبان ـ (١) الى مغادرة قبرص وارحل الى جزيرة رودس ، فوصلا اليها فى ٢٨ يولية سنة ١٣٦٧ • وفى رودس قدم السفيران المصريان مشروع الصلح الذى وضعه السلطان للملك بطرس الاول • وبعد أن تدارس ملك قبرص هذا المشروع مع مستشاريه والسيد الكبير للاسبتارية ، ريموند بيرنجر ، رفض شروطه وقرر العودة الى حمل السلاح ، (٢) وهو قرار لم يقدم بطرس الاول على اتخاذه ـ فيما يظن ـ الا بعد تأكده من السيد الكبير للاسبتارية بأن دعوة البابا ، أربان الخامس ، للحملة الصليبية قد أثمرت ، وأن عددا من الصليبيين المتحمسين فى طريقهم الى جزيرة قبرص للمساهمة فى هذه الحملة •

وقد أعد بطرس الاول لحملته الجديدة أسطولا تراوح عدد سفنه بين مائة وثلاثين سفينة ، (٣) ومائه وخمسين سفينة ، (٤) ساهم فيها الاسبتارية فى رودس بعشر سفن (٥) • وحشد لهذه الحملة قوة عسكرية تألفت من سبعة آلاف مقاتل ، بعضهم من القبارصة وفرسان

---

(١) النويرى الاسكندرى : الالمام جـ ٢ ورقة ٢٧ ، ٢٨ ، ١٢٨

(٢) أنظر : Macheras, PP.113-114; Strambaldi, P.82 ; Machaut, pp. 202 -203; D . le Roulx : F.O.1, PP. 137-138

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٥٢ ، المقريزى : السلوك جـ ٤ ورقة ٦٠

(٤) النويرى : الالمام جـ ٢ ورقة ٢٨ • مع ملاحظة أن النويرى قال أيضا (فى ورقة ٣١) انهم ١٧١ مركبا • وبمقتضى (ديلافيل فى كتابه : الاسبتارية فى رودس ص ١٥٩) من (جورجا فى كتابه : فيليب ميزيير ص ٣٦٤ وما بعدها) فان عدد سفن الاسطول مائه واربعون سفينة ، وعدد المقاتلين سبعة آلاف مقاتل • وبمقتضى Hill II, P. 359 مائه واربعون أو مائة وستون سفينة ، وسبعة آلاف مقاتل •

(٥) النويرى الاسكندرى : الالمام جـ ٢ ورقة ٣٠ • ويذكر النويرى بأن أسيرا فرنجيا أدلى لنائب طرابلس بأن طوائف الفرنج الذين أتوا مع القبرسى ، جنوية وبنادقية وخرابطة (اى كريتيين) وروديسية وفرنسيسية وهنكر وأغراب وجملتهم ستة عشر الف منهم ألف فارس ، فأتت البنادقة فى ثلاثين غرابا والجنوية فى عشرين والروادسة =

الاسبتارية ، والبعض الآخر من الصليبيين الانجليز والفرنسيين والبنادقة والجنوية ، الذين وفدوا الى جزيرة قبرص استجابة لنداء البابا اربان الخامس (١) • وكانت وجهة الحملة في هذه المرة مدينة طرابلس على ساحل الشام ، وليس مدينة الاسكندرية التي كان بطرس الاول يحلم بأنها وضعت — منذ غزوته الفاشلة لها في عام ١٣٦٥ — في حالة استعداد وترقب داعين لصد أي عدوان صليبي قد يقع عليها • وقد وصل اسطول الحملة — الذى أقلع من ميناء فاماجوستا في ١٧ سبتمبر سنة ١٣٦٧ — الى ميناء طرابلس في مساء يوم ١٨ سبتمبر عام ١٣٦٧ — (٢) • وفي صباح اليوم التالي بدأت فرقة من الصليبيين الجنوية والبنادقة تهاجم المدينة ، فصدها الاهالي • وكان أن تقدم الملك بطرس الاول ، على رأس فرسان الاسبتارية المشتركين في الحملة ، وعدد من فرسان الغرب ، لنجدة هذه الفرقة • ولم يلبث الصليبيون أن انتصروا في هذه المعركة التي دارت على الساحل ، ثم دخلوا المدينة وشرعوا في نهبها (٣) ، على حين اعتصم أهلها بجبل مجاور (٤) • ولكن ما أن حل المساء

= في عشرة والاغراب في خمسة عشر والبقية من قبرص •
أما دي لاقيل لرو فانه لم يحدد عدد سفن أي من الطوائف المشتركة في الحملة ، ولا المؤرخين القبارصة مثل ماخيراس وسترامبالدي وأمادي وباشو •

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.159

(٢) التواريخ المستخدمة مأخوذة من دي لاقيل لرو (Les Hosp. à Rh., P.159)
ويعترف هذا المؤرخ بأنها تتعارض مع التواريخ التي قال بها مؤرخو قبرص مثل ماخيراس وسترامبالدي ويقول بأنها مأخوذة من تقرير كتبه قائد سفينة بندقية ، اسمه ميخائيل روسو Micaletto Rosso ، كان يتتبع خطى الاسطول للتجسس ، وقدمه لحكومة بلاده جمهورية البندقية • وقد أشار المؤرخ (Hill II, PP352-353) الى تقرير هذا القبطان البندقي ولكنه سجل التواريخ التي جاءت في كتب المؤرخين القبارصة للوصول الى طرابلس — وهي ٢٥ سبتمبر بمقتضى أمادي ، ٢٨ سبتمبر بمقتضى ماخيراس ، ٢٩ سبتمبر بمقتضى سترامبالدي — في ملحوظة ز ، ويسرد وقائع الحملة باختصار •

(٣) أنظر : D.Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.159

(٤) النويري الاسكندري : الالمام ج ٢ ورقة ٣١ ، المقريزي : السلوك ج ٤ ورقة ٦٠

حتى كان أهالى طرابلس قد تقووا بالامدادات التى وصلت اليهم من الجهات المجاورة ، فشنوا هجوما مضادا على الصليبيين ، وأفلحوا فى طردهم من المدينة الى السفن ، مكبدين اياهم خسائر فى الارواح بلغت ثلثمائة قتيل على الاقل (١) من بينهم تركوبلى الاسبتارية ، (٢) على حين سقط من المسلمين واحد وعشرون شهيدا ، بمقتضى رواية النويرى الاسكندرى ، (٣) وأربعون شهيدا ، بحسب رواية كل من المقريزى وأبى المحاسن . (٤)

وقد ظل أسطول الصليبيين طوال اليوم التالى — أى يوم ٢٠ سبتمبر عام ١٣٦٧ — فى ميناء طرابلس من غير أن يجرؤ على انزال قواته فى هذه المدينة مرة أخرى . غير أن الاسطول أقلع فى صباح ٢١ سبتمبر (٥) واتجه شمالا حتى وصل الى مدينة أنطرسوس فاستولى عليها الصليبيون ، بعد أن هجرها أهلها . وقد أقام الصليبيون فى هذه المدينة يوما وليلة ، ثم انسحبوا منها بعد أن أحرقوا منازلها (٦) ، وما وجدوه فيها من سلع بحرية كان أمير طرابلس ، منجك ، قد كدسها فيها لفرض بناء أسطول سوريا المملوكى (٧) . ومن

---

(١) المرجع السابق ورقة ٦٤ ؛ وأنظر أيضا :
D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. , P.160 ; Hill II, P.353
أما أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٥٣) ، المقريزى (السلوك ج ٤ ورقة ٦٠) فيقولان القتلى من الفرنج ألف قتيل .

(٢) أنظر : B. Le Roulx: Op. Cit, P.160; Hill II, P.353

(٣) النويرى الاسكندرى : الالمام ج ٢ ورقة ٣٠ : يقول النويرى الاسكندرى فى هذه الورقة : ولم يقتل من المسلمين بطرابلس سوى احدى وعشرين . ومنهم من قال لم يقتل من المسلمين بطرابلس سوى أربعة أنفس ، وهم مغربيان وتركمانى ورجل من أهلها . وقتل خارج البلد من الافرنج نحو ثمانمائة ... ومنهم من قال قتل من الفرنج اربعمائة ..

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٥٣ ، المقريزى : السلوك ج ٤ ورقة ٦٠

(٥) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.160

(٦) النويرى الاسكندرى : الالمام ج ٢ ورقة ٦٦

(٧) أنظر : Macheras, P.116
علما بأن منجك كان نائب طرابلس من النويرى الاسكندرى : الالمام ج ٢ ورقة ٦٢ ، ٦٦

أنطرسوس اتجه الاسطول الصليبي الى مرقية ، حيث أشعل رجاله النيران في ثلاثة بيوت من بيوتها ، [1] ثم غادرها الى بانياس ، فأخلاها أهلها للصليبيين الذين احتلوها يوما وليلة ، ثم رحلوا عنها بعد أن أشعلوا النيران في منازلها ، وأحرقوا ما وجدوه من سفن اسلامية في مينائها وثمانية آلاف مد أب كانت حاصلا للمسلمين بها . [2] وقصد الصليبيون بعد ذلك جبله ، فاجتازوها عن غير أن ينزلوا فيها ، بسبب ريح عاصفة هاجمت أسطولهم أمامها وكسرت لهم سفينة من سفنهم ، [3] الى اللاذقية حيث ارتطمت ثلاث سفن لهم بسلسلة الميناء فكسرت منها سفينتان ، وأسر المسلمون السفينة الثالثة . [4] وقد دفعت العاصفة أسطول الصليبيين بعد ذلك [5] الى موقع على ساحل قيليقيه يقال لمالو Mallo ، فاحتله الصليبيون لمدة يومين ، [6] ثم رحلوا عنه شرقا الى مدينة أياس الواقعة على ساحل أرمينيا الصغرى ، فاستولوا بسهولة على قلعتها الخارجية — وهي قلعة مقامة على جزيرة أمام الميناء — ولكنهم تقاعسوا عن التقدم لاحتلال قلعتها الداخلية بسبب المقاومة الشديدة التي لاقوها من أهالي المدينة ، [7] وكلفتهم

---

(١) النويري الإسكندري : الالمام جـ ٢ ورقة ٦٦ .

(٢) المرجع السابق : ورقة ٥٨ ، ٦٦ .

(٣) المرجع السابق : ورقة ٥٤ ، ٦٦ .

(٤) المرجع السابق : ورقة ٥٧ ، ٦٦ .

(٥) من الملاحظ أن النويري الاسكندري سرد خط سير الحملة مرتين بأسلوبين مختلفين : في المرة الاولى قال بأن اسطول الحملة بدأ بطرابلس ثم جبله ثم اللاذقية ثم بانياس ثم أياس . ثم رجع في المرة الثانية وتكلم بترتيب آخر هو الترتيب الذي جاء في الكتب الافرنجية ، وهو ما أوردناه في هذه الصفحات (طرابلس — انطرسوس — مرقية التي لم تذكرها الكتب الافرنجية — بانياس — جبلة التي لم يأت لها ذكر في الكتب الافرنجية — اللاذقية) .

(٦) أنظر Machera, P.116, ; Hill II, P.353

(٧) أنظر : Machéras, PP.116-117; Hill II, PP. 353 -354

خمسمائة قتيل أو أكثر ، ولم يلبثوا أن أحرقوا أياس وانسحبوا عنها الى سفنهم حتى لا يشتبكوا مع الحملة التى أرسلها نائب حلب لنجدتها (١) . وقد يمم اسطول الصليبيين ، بعد ذلك ، شطر ميناء جورهيجوس ، الذى كانت تحتله قبرص على ساحل أرمينيا ، فمكث الملك بطرس الاول فيها ثمانية أيام ، ثم رحل عنها الى ميناء فاماجوستا فى قبرص التى وصل اليها فى ٥ أكتوبر عام ١٣٦٧ . أما سفن الاسبتارية التى اشتركت فى الحملة فقد رحلت الى جزيرة رودس (٢) .

وفى العام التالى — أى فى عام ١٣٦٨ — خرج الملك بطرس الاول الى أوربا ليقوم فيها بدوره أخرى داعيا لحرب صليبية جديدة ضد دولة سلاطين المماليك . ولكن لحق به فى مدينة نابلى مبعوث من قبل دوج البندقية ، وأخبره بأن الجمهورية عازمة على ارسال سفراء آخرين للتشاور مع سلطان مصر فى أمر الصلح واطلاق سراح الاسرى الاوربيين فى بلاده ، وأنها تود تأييد الملك . فلما علم بطرس الاول بأن جمهورية البندقية نجحت فى اقناع البابا أربان الخامس — وكان قد انتقل من أفنيون الى روما فى ١٦ أكتوبر عام ١٣٦٧ — بالسماح لها بارسال سفرائها الى مصر ، وجد نفسه مضطرا الى قبول وساطة سفراء البندقية وجنوه لدى السلطان (مايو ١٣٦٨) (٣) . وكان أن تقابل فى جزيرة رودس — التى أصبحت ، منذ سفر بطرس الاول الى أوربا — مركزا للاتصالات بين الجانبين الصليبى والمملوكى (٤) — سفيرا جنوة ، وسفيرا للبندقية ، وخرجوا جميعا ، فى ٢٥ يوليه عام ١٣٦٨ الى القاهرة

---

(١) النويرى : الالمام جـ ٢ ورقة ٦٤ ، ٦٦ . أنظر أيضا :
دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٧٨

(٢) أنظر : Machéras, P.117 ; D. Le Roulx : Les Hosp. à Rh., P.160 ; Hill : Op. Cit., P.354.

(٣) أنظر : Machéras, P.120-121; Hill II, PP.355 -356; Heyd II, P.56
بخصوص تاريخ انتقال البابا الى روما انظر :
D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.161

(٤) أنظر : D. Le Roulx: op. Cit., P.165

وزود بن بنصائح السيد الكبير للاسبتارية ، ريموند بيرنجير . (١) وبعد مفاوضات طويلة أهين فيها أحد سفيرى جنوه — واسمه كاسانوتشيجالا ، أو ، كما يسميه النويرى الاسكندرى — قازان سوسجن ، (٢) كلف السلطان هذا السفير بالعودة الى قبرص ، لاحضار أسرى الاسكندرية وطرابلس ، ولأخذ وعد صريح من الملك بطرس الاول بأنه نبذ الفكرة الصليبية ولم يعد يستعد لحملة جديدة على بلاد السلطان . وقد تعهد السلطان للسفير الجنوى بأنه سوف يوافق على عقد الصلح بمجرد موافقة الملك على هذه الطلبات . وقد أعلن بطرس الاول — وكان قد عاد من أوربا فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٣٦٨ — صراحة تخليه عن كل فكرة صليبية ، (٣) وسلم للسفير الجنوى نحو عشرين أسيرا مسلما ، كانوا فى قبرص ، لتسليمهم للسلطان . (٤) غير أن السفير ، عندما رجع الى الاسكندرية ، بعد ثلاثة شهور من مغادرته اياها ، أصر على عدم تسليم ما بحوزته من أسرى مسلمين قبل أن يدفع اليه بالتجار الاوربيين المحتجزين فى سجون القاهرة ، فلما رفض السلطان شروطه عاد أدراجه من غير أن يسلم الاسرى . (٥) وكان أن اتفقت جمهوريتا جنوة والبندقية على وقف كل تجارة لهما مع مصر ، وعقدتا فى ٢٨ يوليه سنة ١٣٦٩ محالفة ضد السلطان تنتهى مدتها فى أواخر سنة ١٣٧٠ ، ثم طلبتا من جزيرتى قبرص ورودس الانضمام الى هذه المحالفة . واذ تم لهما ذلك ، أرسلت الحليفات الاربع رسلها الى مصر على ظهر ثمانى سفن لكل منها

---

(١) أنظر : Macheras, PP. 123-124 ; Heyd II, P.56; Hill II,P.357

(٢) أنظر : Macheras, PP.124 -126

النويرى الاسكندرى : الالمام جـ ٢ ورقة ١٢٦ — ١٢٨

(٣) أنظر : Macheras, PP.126-127

(٤) النويرى الاسكندرى : الالمام جـ ٢ ورقة ٢٧٣ . أما ماخيراس (ص ١٢٧) فيقول : " أسيران وجدا فى قبرص " . ومما يذكر أن بطرس الاول كان قد ارسل بعض الاسرى الى مصر فى أكتوبر ١٣٦٦ ، أى فى المراحل الاولى من المفاوضات مع السلطان من أجل الصلح ، غير أن السلطان رفض وقتذاك عقد الصلح وأصر على جميع الاسرى . أنظر ماخيراس ص ١٠٠ .

(٥) النويرى الاسكندرى : الالمام جـ ٢ ورقة ٢٧٣ ، ٢٧٤

سفينتان . وما أن وصل رسل جنوة والبندقية وقبرص ورودس الى الاسكندرية ، في اكتوبر سنة ١٣٦٩ ، حتى كتبوا للسلطان في القاهرة رسالة طلبوا فيها اطلاق سراح الاوربيين المحجوزين في سجونه منذ غزوة الاسكندرية عام ١٣٦٥ . فلما طلب منهم السلطان ـ بدوره ـ الحضور الى القاهرة لمناقشة الأمر معه ، رفضوا ثم أعلنوا عليه الحرب ، في ورقة تركوها له على الساحل على طرف رمح ، وعادوا أدراجهم الى رودس (ديسمبر ١٣٦٩) .

وكان أن خشى السلطان من تكاتف أوربا ضده ، فأطلق من السجن تاجرين ، أحدهما جنوي ، والثاني بندقي ، وبعث بهما الى جزيرة قبرص ليملنا للوصي على الملك بطرس الثاني ، الذي خلف أباه بطرس الاول ، أن السبب في عدم عقد الصلح هو رفض السفراء مقابلة السلطان الذي يرغب رغبة صادقة في السلم ، ويطلبا ارسال سفراء جدد لمقابلة هذا السلطان والاتفاق معه على شروط الصلح . وعندما وصل التاجران الى قبرص أعد لهما لتصلا جنوة والبندقية في هذه الجزيرة سفينة خاصة أقلتهما ، في ١٠ فبراير سنة ١٣٧٠ ، الى بلديهما في ايطاليا لاستطلاع رأى حكومتي الجمهوريتين . فلما طال غيابهما على السلطان ، أخرج من السجن تاجرين آخرين ، أحدهما جنوي والآخر بندقي ، وكلفهما بنفس المهمة . واذ وصلا الى جزيرة قبرص بعث بهما قنصلا جنوة والبندقية الى ايطاليا في أثر زميليهما . أما السلطان فقد أرسلت اليه رسالة تطلعه على الامر كله (٢) .

وقد استقبلت كل من جنوة والبندقية رغبة السلطان في الصلح بالترحيب والاغتباط ، وأرسلتا الى البابا اربان الخامس ليطلب من رودس وقبرص أن تبعثا برسليهما الى السلطان . وعندما استجاب البابا لطلب الجمهوريتين ، أعدت كل من الدول الاربع ، جنوة والبندقية

---

(١) أنظر : Strambaldi, PP.117-119; Amadi, P.428; Macheras PP.166-168

علما بأن ماخيراس ص ١٦٦ قال أن رودس اشتركت بسفينة واحدة ، أما سترامبالدى ص ١١٨ ، أمادى ص ٤٢٨ فقد قالا أنهما سفينتان رودسيتان .

(٢) أنظر :

Macheras, PP.169-170; Strambaldi, PP.119-121; Amadi, PP.428-429

رودس الاسبتارية وقبرص ، غرابين ، وعينت لها سفيرا للسلطان ، فيما عدا قبرص التي عينت منه سفيرين . وقد وصلت الاغربة الثمانية والرسل الخمسة الى الاسكندرية في ٨ أغسطس سنة ١٣٧٠ . ورفض السفير الاسبتاري ، وسفيرا قبرص ، النزول الى البر قبل اقرار السلـــم ، فاستقبل السلطان سفير جنوة وسفير البندقية ، وعرض عليهما ، في مقابل الصلح ، ضـــرورة اعفائه من رد بضائع التجار الاوربيين التي كان قد استولى عليها انتقاما لغزوة الاسكندريـــة الفاشلة عام ١٣٦٥ . وكان أن وافق السفيران بعد امتناع كلفهما السجن مدة أربعة أيام . وعند ئذ استدعى السلطان سفراء رودس وقبرص من الاسكندرية للاشتراك في مناقشة شـــروط الصلح التي قوبلت بالموافقة من الجميع . وما أن تم التوقيع على هذه الشروط حتى عـــاد السفراء الى الاسكندرية ، وانتظروا فيها - فيما عدا سفير رودس الذي سبقهم ، صحبـــة غرابي الاسبتارية ، الى فاماجوستا ، التي وصل اليها في ٢٩ سبتمبر سنة ١٣٧٠ ، لاعـلان نبأ الصلح للملك بطرس الثاني - الى أن وافاهم سفيران من لدن السلطان ، سافرا صحبتهم الى قبرص حيث حصلا على تصديق كل من الملك بطرس الثاني ، والوصي على العرش حنـــا لوزجنان ، على شروط الصلح .(١)

وبقطع النظر عن شروط صلح عام ١٣٧٠ - وهي شروط لم يحفظ لنا التاريخ نصوصهـا - فان هذا الصلح لم يكن صلحا منفردا مع جزيرة قبرص وحدها ، بالرغم من أن ملك قـــبرص هو الوحيد بين حكام أوربا الذي صدق عليه ، وانما شمل جميع الدول المسيحية بما فيهـــا دولة الاسبتارية في رودس ،(٢) وهو أمر نص عليه صراحة في ديباجة معاهدة أخرى عقـــدت فيما بعد ، في عام ١٤٠٣ ، بين هيئة الاسبتارية في رودس ومصر ، وتعتبر تجديـــدا لمعاهدة عام ١٣٧٠ بالنسبة للاسبتارية .(٣)

---

(١) أنظر : Macheras, PP. 170-174 ; Strambaldi, PP.121-122; Amadi, PP. 429-430; Hill II PP. 374-375; Golubovich II P. 198

(٢) أنظر : D. Le Roulx; Les Hospit. à Rh., PP 165 -166

(٣) أنظر : Pauli II, PP. 108-110, num. LXXXVI

والأرجح أن الاسبتارية سعوا ، في عهد سيدهم الكبير ، فليبرت دي نيلاك (١٣٩٦ ـ ١٤٢١) ، لعقد معاهدة صداقة مع السلطان المملوكي في مصر ، فرج بن برقوق (١٣٩٨ ـ ١٤٠٥) ، ردا على احتلال تيمور لنك التتري لقلعتهم أزمير على الساحل الاسيوي ، في ديسمبر سنة ١٤٠٢ ، وتهديد هذا القائد التتري لاملاكهم الاخرى في بحر ايجه ، علما بأن الاسبتارية درجوا طوال مدة بقائهم في رودس على انتهاج سياسة خاصة كلما اضطرتهم الظروف الى مواجهة تحركات عدو قوى ، هي مصالحة القوى المعادية الاخرى ليأمنوا جانبها وقت انشغالهم مع العدو الذى تحرك ضدهم (١) .

وقد رحب السلطان فرج بمبادرة الاسبتارية لانه كان نفسه ، وقتذاك ، واقعا تحت تهديد تيمور لنك التتري بعد ان استولى هذا القائد من المماليك ، في عام ١٤٠٠ ، ـ أى في عهد السلطان فرج ـ ، على شمال الشام حتى شمال دمشق ، وارغم السلطان فرج ، في عام ١٤٠١ ، على سك العملة في دمشق نفسها باسم تيمور لنك (٢) .

وجاء في خطاب بعث به وكيل بندقي في رودس الى حكومة بلاده ، بأن الطرفين المملوكي والاسبتاري توصلا ، في آخر ابريل عام ١٤٠٣ ، الى الاتفاق على شروط معاهدة صداقة بينهما ، وأن الاسبتارية يعتبرون هذه الشروط مكسبا لهم (٣) . على أن الأمر ، في الواقع ، لم يكن قد بت فيه ، وقتذاك ، بصورة نهائية . وهذا ما شجع السيد الكبير دى نيلاك على الاتفاق ـ بدون تردد ـ مع بوسيكو ، حاكم جنوة ، في شهر يونية عام ١٤٠٣ ، على القيام بحملة صليبية مشتركة على مدينة الاسكندرية . وكان بوسيكو قد حل بجزيرة رودس ، في هذا الشهر ، انتظارا لعودة مبعوث ، كان قد بعث به الى جزيرة قبرص للتفاوض مع ملكها جانوس (١٣٩٨ ـ ١٤٣٢) من أجل ايجاد تسوية لجفوة قامت بين جنوة وقبرص ، سببها

---

(١) أنظر : Vertot II, PP.401 , 414

(٢) دكتور ابراهيم علي طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٧١ ـ ٨٨

(٣) أنظر : D. Le Roulx:Les Hospit. à Rh., PP.291-292 .

ما قام به جانوس من محاولات تستهدف طرد الجنويين من الميناءين القبرصيين فاماجوستا ، كيرينيا ، اللذين كانت جنوة قد احتلتهما منذ عام ١٣٧٣ . وقد فشل المبعوث فى أداء مهمته مع الملك جانوس ، ولحق بمعسكره فى رودس بعد أيام قليلة من وصوله اليها . وكان أن قرر السيد الكبير دى نيلاك أن يسافر بنفسه للقيام بدور الوساطة بين جنوة وقبرص . ولما كان واضعا فى عين الاعتبار مسألة الحملة على الاسكندرية المتفق عليها فيما بينه وبين بوسيكو ، فقد اصطحب معه الى قبرص - التى أبحر اليها قبل يوم ١٩ من نفس الشهر يونيه - فرايسون وسفينة النقل الكبرى المخصصة لتنقلات السيد الكبير والمعروفة باسم سفينة القيادة ، فضلا عن قوة مجهولة العدد من فرسان الاسبتارية على رأسهم مجموعة من كبار أعضاء هيئة الاسبتارية المشهود لهم بالكفاءة الحربية ، من بينهم حنا لاستيك الذى أصبح فيما بعد سيدا كبيرا للاسبتارية فى رودس.(١)

وقد وفق دى نيلاك فى اصلاح ذات البين بين قبرص وجنوة . وانتهز الملك جانوس فرصة توقيع معاهدة الصلح مع بوسيكو ، فى ٧ يوليه سنة ١٤٠٣ ،(٢) فعرض عليه أن يضع تحت تصرفه سفينتين حربيتين لمعاونته فى الحملة على الاسكندرية التى ينوى بوسيكو القيام بها بالاشتراك مع السيد الكبير للاسبتارية . وقبل بوسيكو العرض ، ولكن لم تنضم اليه سوى سفينة قبرصية واحدة يملكها من يدعى برنارد دى سانت ساتورنين Bernard de S. Saturnin. أما السفينة الاخرى فقد اتضح أنها سفينة قرصنة واختفت .(٣)

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP.293-294 ; Ibid: P.O.1, PP.426-427, 438 note 4; vertot II, P.353 ; De La Ronciere, II, P.132

(٢) أنظر : Mas - latrie II, PP. 466 - 471 ; De Le Ronciere; op. Cit, vol II, P.131; Hill II. P.454

(٣) أنظر : Hill II , P.455 , note 1

وكان أن أقلع أسطول الحملة من جزيرة قبرص ، في الخامس من شهر أغسطس عـــام ١٤٠٣ ، (١) مؤلفا من تسع عشرة سفينة جنوية تابعة لبوسيكو ـ بما من بينها السفينة القبرصية ـ وسفن الاسبتارية الثلاث ، وعدد آخر من السفن الصغيرة يتراوح بين عشر سفن واثنتي عشرة سفينة . (٢) ولسوء الاحوال الجوية ، في ذلك اليوم ، قرر بوسيكو والسيد الكبير للاسبتارية البدء بغزو مدن الشام الساحلية من الشمال الى الجنوب قبل الوصول الـــى الاسكندرية . (٣) وقد اختار الصليبيون مدينة طرابلس لتكون أول هذه المدن . وعندمـــا وصلوا اليها ، في ٧ أغسطس ، (٤) فوجئوا بوجود أكثر من خمسة عشر ألف مدافع عنها من أهاليها وحاميتها ، بينهم سبعمائة فارس ، بحسب تقدير بوسيكو ، في انتظارهم على الشاطـــئ ، مما يقطع بأن المدينة أنذرت قبل وصول الغزاة الجنوية والاسبتارية اليها . وما أن نزلـــوا الى البر ، وهو أمر تم لهم بصعوبة بالغة ، حتى قسموا أنفسهم الـى ثلاث فرق ، هاجمــت المدينة من عدة جهات ، وأظهر الاسبتارية في هذا الهجوم بسالة كبيرة ، أشاد بهـــا بوسيكو ، ولكنه فشل . (٥)

---

(١) أنظر : D. Le Roulx:Les Hosp. à Rh.,P.297 ; Ibid : F.O.l., P.438 note 4

(٢) أنظر : De La Roncière;Histoire De marine franc.,vol. II, P.132 ويلاحظ بأن ديلافيل (الاسبتارية في رودس ص ٢٩٧) لم يذكر عدد السفـــن ، وأن كلا من (Biliotti,P.196) ، (Farochon P.92) ذكر بأن عددها ست عشرة سفينة . أما (Piloti: L'Egypte ,P.85) فذكر بأن عددها أربع وعشرون سفينة منها ست سفن تقدمت بها مستعمرات جنوة في الشرق

(٣) لم تمتد غزوات بوسيكو ، ودى نيلاك الاسبتارى الى الاسكندرية قط بالرغم من أن بيلوتي (Piloti: L(Egypte , PP. 89.92) ذكر بأن بوسيكو أرسل الى الاسكندرية سفيرين لابهام السلطان بالترغيب في عقد الصلح . وبعد عودة سفيريه الى قبرص (حيث كان يوجد بوسيكو آنذاك) ، من غير أن يعقـــد معهما السلطان فرج الصلح ، أرسل بوسيكو عشر سفن لغزو الاسكندرية ، ولكنها فشلت في غزوها بسبب حسن استعدادات السلطان فرج . ولقد حذر الاستاذ P.H.Dopp الذي نشر كتاب بيلوتي في القاهرة سنة ١٩٥٠ ، من الاعتماد على ما ذكره بيلوتي عن حملة عام ١٤٠٣ على الاسكندرية قائلا بضرورة أن يؤخذ كلامه بحذر في تفاصيل كثيرة ـ أنظر : ص ٨٤ ملحوظة ٦ .

(٤) أنظر : D. Le Roulx:Les hospit. à Rh., P.297

(٥) أنظر : De la RonciereII, P.132 ; D. Le Roulx:Les Hosp. a Rh., PP. 297 -298; D. Le Roulx:F.O.l, PP. 438 - 439;Vertot II, PP.359-361; Farochon, PP.92-94 .

وبعد أن أقلع الغزاة من طرابلس اتجهوا بأسطولهم صوب الجنوب ، ووصلوا في التاسع من أغسطس الى مدينة البطرون التي وجدوها من غير دفاع فنهبوها (١) . ثم واصلوا تقدمهم جنوبا الى أن دخلوا ميناء بيروت في العاشر من أغسطس . وقد أسر الصليبيون في ميناء بيروت سفينة اسلامية عربية فقتلوا جميع أفراد طاقمها ، كما أسروا مركبا صغيرا تابعا للبندقية أخبرهم قبطانه بأنه جاء الى بيروت لانذار أهلها بوصول أسطول الجنوية والاسبتارية لغزو بلادهم ، وأنه سبق وأنذر موانئ اسلامية أخرى في الشام وفلسطين ومصر . وقد اتضح لبوسيكو أيضا بأن القائد العام لاسطول البندقية في بحر الادرياتيك ، واسمه شارل تسيلو Zeno ، كان يتعقب اسطوله خطوة خطوة منذ خروجه من جنوة ، علما بأن بوسيكو كان قد أخطر جمهورية البندقية بنواياه العدوانية ضد دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢ ــ ١٥١٧) قبل خروجه من جنوة بعشرة أشهر . وهكذا لم تكن مفاجأة للغزاة الصليبيين أن يجدوا مدينة بيروت ، عندما نزلوا اليها من سفنهم ، خالية من أهلها الذين هجروها الى الغابة والجبل . على أن الصليبيين نهبوا المدينة وأحرقوها ، ولم تنج بضائع البنادقة ، المكدسة في مخازنها ، القريبة من الميناء ، من النهب ، وذلك بالرغم من الصلح القائم بين جمهوريتي جنوة والبندقية منذ عام ١٣٨١ ، والمعروف باسم صلح تورينو نسبة الى المدينة الايطالية التي عقد فيها (٢) .

ثم واصل اسطول الصليبيين ، بعد مغادرته مياه بيروت ، تقدمه جنوبا الى أن وصل ، في اليوم الثاني عشر من أغسطس ، مدينة صيدا . وبسبب المواصفة لم يستطع النزول من الصليبيين في هذه المدينة سوى عدد صغير يتراوح بين اربعمائة وستمائة صليبي على رأسهم

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les hosp. à Rh., P.298 ; Ibid: F.O.I, P.442 ; De laronciere: Op. Cit. , II , P.133 ,

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les hopit. a Rh. PP.298 , 300 ; Ibid: F.O.I, PP. 442 - 443 , 447-449 ; De la Ronciere II, PP. 132 -133 ; Vertot II , PP.362 - 363.

بوسيكو ونيلاك . وقد اضطر هؤلاء الى القتال دفاعا عن أنفسهم ضد جيش من المدافعين من المدينة ، يتراوح عدد أفراده بين عشرة آلاف واثنى عشر ألف مدافع ، يتنظر وصولهم ، خمس ساعات كاملة ، قبل أن تتمكن سفنهم من مغالبة الامواج ولنتقطهم .

وما أن ابتعدت هذه السفن الصليبية عن مياه صيدا حتى بعثرتها العواصف ، ودفعتها صوب الشمال بدلا من الجنوب . وكان أن وجد بوسيكو ودى نيلاك نفسيهما أمام مدينة اللاذقية فى بعض الاسطول فقط . وقد استقر رأيهما على عدم انزال ما تحت أيديهما من قوات فى هذه المدينة بسبب قلة هذه القوات ، ووجود جرحى ومرضى بينهم ، واحتشاد أكثر من ثلاثين ألف مسلم على شاطئ هذه المدينة للدفاع عنها ، وواصل بوسيكو طريقه الى فاماجوستا ، على حين يمم دى نيلاك شطر كبريتا ومنها الى رودس التى وصل اليها فى
١٧ سبتمبر عام ١٤٠٣ (١) .

ولا شك فى أن هذه الغزوات ـ أو بالأحرى المغامرات العسكرية ـ التى قام بها الاسبتارية ، بالاشتراك مع بوسيكو ، حاكم جنوة ، على ساحل الشام ، قد فشلت فى أن تلحق بدولة المماليك الجراكسة أضرارا مادية تذكر ، وانما تعود أهميتها الى أنها وقعت فى وقت كان فيه سلطان هذه الدولة ، فرج بن برقوق ، يعانى من الفتنة والانقسام بين أمرائه ، وخروج بعض هؤلاء الامراء عليه (٢) ، ومن سوء الاحوال الاقتصادية وارتفاع الاسعار وانخفاض قيمة العملة فى بلاده (٣) ، فضلا عن تدهور تجارة مصر والشام الخارجية بسبب تلك الغزوة من ناحية

---

(١) أنظر : D. Le Roulx:Les Hosp. a Rh., P.298 ; Ibid: F.O.l, P.444 ; De La Ronciere II, P.133 ; Vertot II, PP. 363 - 365.

(٢) دكتور ابراهيم على طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٢٦ ـ ٢٧

(٣) Wiet:L'Egypte Musulmane (dans:Précis de L'His.d'Eg. T.II , PP.260 - 261.)

وغزوات التتار من ناحية أخرى ، (١) مما حدا بهذا السلطان الى أن يبادر بوصل ما انقطع من مفاوضات للصلح بينه وبين الاسبتارية ليأمن شرهم وما قد يصيبوه له من متاعب أخرى بمفردهم ، أو بالاشتراك مع غيرهم من قوى أوروبية معادية ، خلال أزمته الداخلية .

وكان أن أرسل السلطان فرج الى رودس سفيرا مصريا توصل ، في ٢٧ أكتوبر عام ١٤٠٣ ، الى عقد معاهدة صلح وتجارة مع السيد الكبير دى نيلاك . وعندما غادر السفير المصري جزيرة رودس ، في ٤ نوفمبر عام ١٤٠٣ ، للعودة الى بلاده ، رافقه الفارس الاسبتاري ، ريموند دى لسكير مقدم شعبة تولوز ، الذى يعود اليه الفضل في اقناع السلطان فرج بالتصديق على شروط المعاهدة . (٢)

وقد بدأت شروط المعاهدة بالنص على دوام السلم الذى كان قد عقد بين مصر وقبرص ،

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhod, P.292

(٢) نص المعاهدة منشور في :

Pauli II, PP.108-110, num. LXXXVI

وهي باللغة الفرنسية المستعملة في أوائل القرن ١٥ ، فيما عدا الديباجة التي ذكر فيها اسم السفيرين المصري الحاج محمود ، والاسبتاري دى لسكير ، فهي باللغة اللاتينية . وقد أورد (Depping: Hist. du commerce T.II, PP. 126-130) ملخصا كبيرا لهذه المعاهدة ، ولكنه أخطأ في نقل احدى فقراتها سوف ننوه عنه في حاشيته عندما نصل اليه . ومن ناحية أخرى أورد لنا ديلافيل (في كتابه : الاسبتارية في رودس ص ٢٩١ ـ ٢٩٢) ملخصا مقتضبا جدا لهذه المعاهدة . وكذلك فعل فرتو (حـ ٢ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨) . وقد نقل فرتو خطأ بأن الاسبتارية سمح لهم بقنصليته في الاسكندرية في حين أن نص المعاهدة ، وكذا ديبنج وديلافيل ، جاء فيه بأن القنصلية في دمياط . وقد وصل خطأ فرتو الى كل من :

(Flandin, P.158); (Miliotti, P.199) ; (Ziada : Foreign Relations, P.184) ; طرخان (مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٩٩) .

فى عام ١٢٧٠ ، وشمل جميع أمم الفرنجة • وتقرر فى معاهدة عام ١٤٠٣ ، أيضا ، بأن جميع أعضاء هيئة الاسبتارية وعائلاتهم يستطيعون أن ينتقلوا بزيهم الخاص من مكان الى مكان داخل بلاد السلطان ، مشاة أو راكبين مختلف أنواع الدواب ، بحرية ومن غير أن يدفعوا أية رسوم ، بشرط أن يكونوا مزودين بشهادات تدل على شخصياتهم من السيد الكبير لهيئتهم أو نائبه • كما أن المعاهدة سمحت للسيد الكبير للاسبتارية بتعيين قناصل ، فى كل من بيت المقدس والرملة (١) ودمياط ، لرعاية شئون رعاياه فى بلاد السلطان • وقد نصت المعاهدة ، فيما يتعلق بقنصل دمياط خاصة ، على أن يتمتع هذا القنصل بحماية السلطان وبجميع الحقوق والامتيازات التى اعتاد القناصل الآخرون فى الازمنة الماضية أن يتمتعوا بها ، وألا يدفع للسلطان سوى الضريبة القديمة المعتاد دفعها له ، وهو ما يثبت بأن معاهدة عام ١٤٠٣ ليست أول وثيقة دبلوماسية تعطى للاسبتارية الحق فى تعيين قنصل فى دمياط ، وانما تقرر لها هذا الحق من قبل ، ربما فى معاهدة عام ١٢٧٠ ، بين مصر وبطرس الثانى لوزجنان ملك قبرص • ثم ان معاهدة عام ١٤٠٣ أعطت لقناصل الاسبتارية الحق فى شراء الرقيق المسيحيين ، من كلا الجنسين ، فى بلاد السلطان ، ودفع أثمانهم نقدا أو ابدالهم بأعداد مساوية لهم من الاسرى المسلمين الذين فى حوزة الاسبتارية فى رودس ، بحيث لا يجوز شراء أو ابدال أحد على غير رغبته •

وحول موضوع آخر ، نصت معاهدة عام ١٤٠٣ على أن يكون من حق الاسبتارية

---

(١) كان قنصل الاسبتارية يقيم فى مستشفى ، يديره الاسبتارية كذلك ، فى مدينة الرملة ، ومن الثابت أن مستشفى الرملة كان فى عام ١٤٩٧ لا يزال تحت ادارة الاسبتارية ، ولكن فى عام ١٥١٤ كان تحت ادارة الفرانسسكان •

أنظر : Golubovich IV, P.17,n.3.

الاشراف على مستشفى في مدينة بيت المقدس ، يديره ستة أعضاء أو أكثر من أعضاء الهيئة الاسبتارية أو من رجال الدين غير الاعضاء في هذه الهيئة ، لغرض ايواء وخدمة الحجاج المسيحيين الى المدينة المقدسة بحيث لا يدفع الاسبتارية عن هذا المستشفى ايجارا أو رسوما ، ويكون لمديريه الحق في اقامة سور حوله وحول الارض المجاورة له واضافة ما يرون أنه ضروريا من الغرف والاجنحة والملحقات الاخرى من أجل اعطاء الحجاج ضيافة وخدمة أفضل .

وأضافت المعاهدة الى ذلك بأن من حق الاسبتارية صيانة كنيسة القيامة بمدينة بيت المقدس ، وكنائس بيت لحم والناصرة وجبل صهيون ، وجميع الكنائس الاخرى التي يزورها الحجاج ، وذلك منعا لها من السقوط .

وعنيت معاهدة عام ١٤٠٣ عناية خاصة بمسألة الرسوم التي يلزم أن يدفعها الحجاج المسيحيون في بلاد السلطان ، فنصت على ألا يؤخذ منهم أكثر مما اعتادوا دفعه قبل غزوة الاسكندرية ، كما أوردت فئات هذه الرسوم وموضوعاتها .

---

(١) عندما زار الرحالة الالماني سوشيم بيت المقدس عام ١٣٣٥ رأى مستشفى ، تديره راهبة اسمها مارجريتا الصقلية ، شيد على أنقاض المستشفى القديم الذي كان يملكه الاسبتارية في مواجهة القيامة . وكان هذا المستشفى يستخدم كمأوى للحجاج المسيحيين الى بيت المقدس تحت حماية وعناية حكومة السلطان المملوكي . وكان يقيم فيه الرهبان الفرنسسكان الى أن انتقلوا منه عام ١٣٣٣ الى دير صهيون ، فأصبح يديره طائفة الرهبان المعروفة باسم الرهبان الصغار ، الى أن انتقلت ادارته عام ١٤٠٣ الى فرسان الاسبتارية في رودس بمقتضى المعاهدة المعقودة مع السلطان . وكان قنصل الاسبتارية وغيره من القناصل الاجانب في المدينة المقدسة يقيمون في مستشفى بيت المقدس .

أنظر :

Golubovich IV, PP. 13-18

واهتمت المعاهدة كذلك بتنظيم المعاملات التجارية بين الطرفين المتعاقديـــن ، فأباحت للاسبتارية شراء الحبوب ، من قمح وشعير وغيرهما من المواد التموينية الاخـــرى، من دمياط والاسكندرية وجميع بلاد السلطان ، دون دفع ضرائب من أى نوع ، عـــلى أن يدفعوا رسوما جمركية على السلع الاخرى غير التموينية بواقع ١٣ ٪ فى ميناء دمياط ، ١٠٪ فى ميناء الاسكندرية ، ٤ ٪ فى ميناء يافا ، ٢ ٪ فى ميناء طرابلس ، وبحسب التعريفـــة المحلية الجارية فى كل من بيروت ودمشق . وفى مجال التجارة أيضا حرص الاسبتاريـــة على أن ينص فى المعاهدة على أن التجار المسيحيين محرم عليهم جلب السلع الحربية الـــى بلاد السلطان ولا يستطيع سوى غض الطرف عن هذا التحريم والا تعرضوا للعقوبـــات المعتـــادة .

هذا وقد تم الاتفاق أخيرا فى نهاية المعاهدة على أن يكون لأى من الطرفيـــــن المتعاهدين الحق فى فسخ شروط هذه المعاهدة برضاء الطرف الآخر ، فى أى وقـــت يشاء ، وبخاصة فى حالة ما اذا أراد السلطان أن يستأنف الحرب ضد المسيحيين ، أو اذا نوى البابا وأمراء المسيحية تجريد حملة عسكرية ضد السلطان ، بشرط أن يتم هذا الفســخ بعد مرور مهلة قدرها ثلاثة شهور (١) من بدء الانذار به ، وفى مهلة لازمة لاجلاء رعايـــا وبضائع كل من الطرفين من بلاد الطرف الآخر .

وقد أضاف بوناكورسو جريمانى Buonaccorso grimani — وهو وكيـــل البندقية فى رودس الذى أنبأ حكومته بأمر هذه المعاهدة قبل عقدها — الى شروط المعاهدة شرطا لم يرد فى نصها ، خلاصته أن الاسبتارية تعهدوا للسلطان برد الاسرى المسلمين ، واعادة سفينة اسلامية ، كانوا قد أسروها عند دمياط ، مع دفع مبلغ يتراوح مقداره بيـــن اثنى عشر ألف ، وستة عشر ألف دوكات تعويضا لاصحابها عن الخسائر التى تكبدوها من وراء أسرها . واستطرد الوكيل البندقى قائلا بأن السيد الكبير للاسبتارية دى نيـــــلاك ،

---

(١) بمقتضى Depping: Hist. du Commerce, T.II, P.130
وهو غير ما جاء فى نص المعاهدة .

اعتزم تغطية هذا المبلغ عن طريق فرض ضريبة مقدارها ٤ % على أرباح تجار رودس فى سوريا .(١)

هذا عن معاهدة عام ١٤٠٣ بين الاسبتارية وسلطنة المماليك فى مصر . وتجدر الاشارة هنا الى أن الفارس الاسبتارى ريموند دى لسكير الذى أفلح فى اقناع السلطان ، فرج بن برقوق ، بالتصديق على هذه المعاهدة ، كلفه ملك قبرص ، چانوس ، وكان معجبا بمهارة دى لسكير الدبلوماسية ، بالسعى لدى السلطان فرج من أجل عقد معاهدة مماثلة بينه وبين قبرص . غير أن السلطان فرج ـ الذى كان يحقد ، وقتذاك ، على قبرص بسبب كثرة اعتداءات قرصان قبرص على سفن التجارة المملوكية ـ رفض الاستماع الى مقترحات دى لسكير ، وألقى به فى أحد سجون القاهرة ، ولم يطلق سراحه الا بعد أن دفع السيد الكبير للاسبتارية ، دى نيلاك ، من أجله ، فدية مقدارها خمسة وعشرون ألف دوكات ، منها ستة آلاف دوكات اقترضها دى نيلاك من التجار الجنوية والبنادقة والقطالونية والفرنسية المقيمين بالاسكندرية .(٢)

وحدث فى الثانى والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٤٠٥ ، أن عين ريموند دى لسكير فى وظيفة آمر على آمرية الاسبتارية الكبرى فى قبرص . ولما كان الملك القبرصى چانوس يضع فيه ثقته الكاملة فقد أرسله فى أغسطس عام ١٤٠٧ سفيرا عنه الى جنوة للتفاهم مع حاكمها بوسيكو فى أمر يتعلق بالصلح الذى كان قد عقد بينهما فى عام ١٤٠٣ بفضل وساطة السيد الكبير للاسبتارية دى نيلاك . وفى جنوة ، أفصح بوسيكو للفارس الاسبتارى دى لسكير عن عزمه على تجريد حملة على الاسكندرية ، تحتاج منه توفير مبلغ مائة واثنين وثلاثين ألف فلورنسى ، واعداد تسعة أغربة ، وألف ومائتى رجل ، فأشار عليه دى لسكير بأن يرسل سفارة الى ملك قبرص ، چانوس ، لمحاولة اقناعه بالمساهمة فى هذه الحملة . وقد شكل بوسيكو بالفعل ، سفارة من فارسين ، أحدهما عضو فى هيئة الاسبتارية ، لاداء هذه المهمة التى أشار بها عليه ريموند دى لسكير . وتقضى التعليمات التى سلمها بوسيكو لسفيريه

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.292

(٢) أنظر : Ibid: F.O.1, P.506; Hill II P. 468

بأن يتوجها أولا الى جزيرة رودس ، عن طريق البندقية ، ليطلعا السيد الكبير دى نيلاك على نتائج سفارة ريموند دى لسكير فى جنوة بشأن المسائل المعلقة فى الصلح بين قبرص وجنوه ، ويطالبا منه أن يسهل لهما وسائل الوصول الى جزيرة قبرص • وعندما يمثلان أمام الملك القبرصى جانوس ، فان عليهما ، للوصول الى غرضهما منه ، أن يتملقاه بالقول له بأنه الامير الــــذى تنعقد عليه آمال المسيحية فى مشروعاتها ضد المسلمين ، ثم عليهما ـ بعد ذلك ـ أن يوضحا له بأن الخطة الموضوعة للحملة تقضى بأن يتوجه جند قبرص الى رودس أولا ، من أجل التمويه على السلطان فرج ، ومن رودس يتوجهون الى جزيرة قشتيل الروج ، الخاضعة للاسبتارية فى رودس ، حيث يتم اللقاء بين هؤلاء الجند القبارصة وبين قوات جنوة ، ويخرجان منها معا الى الاسكندرية (١) •

ومما يلفت النظر فى التعليمات التى سلمها بوسيكو لسفيريه الى ملك قبرص ، جانوس ، أنه لم يطلب من هذين السفيرين أن يعرضا على السيد الكبير للاسبتارية دى نيلاك المساهمة فى الحملة الصليبية على الاسكندرية ، وهو أمر ربما كان للفارس الاسبتارى ريموند دى لسكير يد فيه ، فهو السفير الاسبتارى الذى وقع عليه عبء اقناع السلطان فرج بالتصديق على معاهدة عام ١٤٠٣ ، وينتظر منه أن يأبى هدم ما بناه بتوريط هيئة الاسبتارية التى ينتسب اليها فى عملية عسكرية صغيرة احتمالات الفشل فيها أكبر من احتمالات النجاح •

غير أن عدم اشتراك الاسبتارية عسكريا فى الحملة ، لو أنها وقعت بحسب الخطة التــى وضعها لها بوسيكو ، لم يكن يعفيهم من المسئولية أمام السلطان فرج ، باعتبار أن أحــد زعمائهم ـ وهو ريموند دى لسكير ـ كان على بينة بالمشروع منذ بدايته ، وربما ساهــم فى التخطيط له مع بوسيكو ، وأن جزيرة قشتيل الروج ، التابعة للاسبتارية ، هى المكان الذى أختير مركزا لتجمع قوات الحملة ، فضلا عن مرور قوات قبرص بجزيرة رودس نفسها قبل أن تقصد جزيرة قشتيل الروج ، وكلها أمور يمكن للبنادقة معرفتها ، وابلاغها للسلطان •

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: F.O.1, PP. 505-508

ولم ينفذ الموقف ، فى الواقع ، ويحافظ على حالة السلم القائمة بين الاسبتارية فى رودس ودولة المماليك الجراكسة ، على أساس معاهدة عام ١٤٠٣ ، سوى رفض ملك قبرص ، جانوس ، الاشتراك فى الحملة بحجة صغر سنه ، وتعرض بلاده للانقسامات الداخلية ، وللتهديد بالغزو من جانب أتراك آسيا الصغرى ، وعدم رغبته فى معاداة السلطان المصري بعد أن تحسنت العلاقات بين بلديهما (١) .

على أن حادثا آخر وقع بعد أربع سنوات ــ أى فى عام ١٤١١ ــ كاد أن يودى مرة أخرى بهذه الحالة من السلام بين الاسبتارية والمماليك ، لولا أن تداركته حكمة الطرفين . وذلك أنه فى عام ١٤١١ أسرت حامية قلعة القديس بطرس الاسبتارية ، الواقعة على الساحل الأسيوى ، سفينة مصرية ، كانت مارة بجوار ساحل تركيا فى طريقها الى مصر ، وأرسلت شحنتها الى جزيرة رودس . وقد اعتبر السلطان فرج بن برقوق أن هذا الحادث انــذارا اسبتاريا له بقطع العلاقات معه ، ورد عليه بالقبض على جميع التجار الروادسة فى مصر والزج بهم فى السجن . غير أن حكومة الاسبتارية فى رودس أرسلت اليه فى ١٠ ديسمبر من هذا العام ــ عام ١٤١١ ــ تعتذر عن الحادث ، وتتعهد بأنها أفرجت عن شحنة السفينة ، وتطلب منه أن يأمر باطلاق الاسرى الروادسة . وكان أن استجاب السلطان لرغبة الاسبتارية ، وعادت العلاقات الطيبة بين بلديهما الى سيرتها الاولى قبل الحادث (٢) .

غير أن هذه العلاقات لم تلبث أن شابها التعثر مرة أخرى بسبب الغزوات الثلاث التى قام بها السلطان المملوكى الاشرف برسباى (١٤٢٢ ــ ١٤٣٧) لجزيرة قبرص فى الاعوام ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ (٣) .

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: F.O.l, P.509

(٢) أنظر : Ibid : Les Hospit. à Rh., P.327

(٣) عن غزوات السلطان برسباى لجزيرة قبرص ارجع الى :
دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٠٢ ــ ١٢١

وكانت أنباء الغزوة الاخيرة من هذه الغزوات — وهى غزوة عام ١٤٢٦ — قد وصلت الى الملك القبرصى جانوس قبل أن تخرج من مصر • واتصل جانوس على الفور بالسيد الكبير للاسبتارية ، القائم بالحكم فى رودس آنذاك ، وهو أنطوان فلوفيان (١٤٢١ — ١٤٣٧) وطلب منه المساعدة (١) • ولم يكن السيد الكبير يملك الا أن يلبى هذا الطلب ، لان وقوع جزيرة قبرص فى قبضة المماليك ، يعنى سقوط خط الدفاع الاول عن جزيرته رودس ضد أى هجوم يوجه اليها من جانب مصر أو الشام ، وحصول المماليك على قاعدة بحرية هامة لتموين أسطولهم فى الطريق الى رودس مما يسهل لهم فتح هذه الجزيرة ، يقابل ذلك حرمان الاسبتارية من قاعدة لسفنهم العاملة فى ميدان القرصنة قرب السواحل المملوكية ، ومن أغنى شعبهم خارج رودس ، وضياع سوق هامة للتجارة الرودسية ، هذا الى جانب التزام الاسبتارية أدبيا أمام الرأى العام الاوروبى — الذى أمدهم باستمرار بمختلف ألوان المساعدات • وسمح لهم بامتلاك العقارات والاراضى الواسعة فى أوربا ، وحباهم بالعديد من الامتيازات والاعفاءات الضرائبية — بالدفاع عسكريا عن مراكز المسيحية فى الشرق ، وفى مقدمتها بطبيعة الحال جزيرة قبرص التى يرتبط ملوكها ، آل لوزجنان ، مع هيئة الاسبتارية بوحدة الهدف الصليبى ، ويشتركون مع العنصر المتغلب بين عناصر هذه الهيئة فى الانتماء الى الدم الفرنسى •

غير أن السيد الكبير أنطوان فلوفيان فضل أن يبذل أولا وساطته للصلح بين الملك جانوس والسلطان برسباى ، عسى أن تسوى المسألة بطريقة سلمية تحفظ لجزيرة قبرص استقلالها ولجزيرة رودس صلحها مع دولة المماليك الجراكسة • ولكن هذه الوساطة فشلت ، شأنها شأن وساطة أخرى قام بها وقتذاك امبراطور القسطنطينية ، حنا الثامن باليولوجس (١٤٢٥ — ١٤٤٨) ، بسبب رفض الملك جانوس شروط برسباى لالغاء الحملة ، وهى أن يعلن جانوس تبعيته لمصر ، ويدفع جزية سنوية للسلطان ويدفع تكاليف أسطول الحملة (٢) •

---

(١) أنظر : Hill II, P.476.

(٢) أنظر : Vertot II, PP.401 -402; Hill II P.476 note 2.

وكان أن خرجت الحملة من مصر ، فى شهر يونية عام ١٤٢٦ ، واستولت على جزيرة قبرص ، ثم عادت ، فى شهر أغسطس من نفس العام ، ومعها الملك جانوس ، أسيرا • ومن الثابت أن نجدات قوية من الاسبتارية وقفت الى جانب قوات قبرص فى الدفاع عن الجزيرة قبل سقوطها •(١) وعرف أن عددا كبيرا من فرسان الاسبتارية قتلوا فى المعركة التى دارت ، فى السابع من شهر يوليه ، فى خيروكيتيا Chierokitia ، وانتهت بوقوع جانوس فى أسر المماليك •(٢) وعندما وصلت أنباء هذه المعركة الى السيد الكبير للاسبتارية فى رودس ، أنطوان فلوفيان ، أرسل الى قبرص نجدات أخرى ، من الرجال والذخائر والاموال ، كان لها الفضل فى تأخير سيطرة المماليك على الجزيرة بعد وقوع ملكها فى الاسر •(٣) هذا وقد أرسل الاسبتارية الى جزيرة قبرص ، أيضا ، سفينتين حربيتين ، انضمتا الى أسطول الملك جانوس ، ولكن لم يثبت اشتراكهما فى أية معركة بحرية ضد أسطول الغزو المملوكى •(٤)

وكان من الطبيعى أن ينتقم القائد المملوكى على الحملة ، وهو تغرى بردى المحمودى ، من الاسبتارية ، على موقف العداء الذى وقفوه من حملته فى قبرص ، فقام — قبل أن يغادر هذه الجزيرة عائدا الى مصر — بتخريب آمرية بهم الكبرى ، بالقرب من كولوسى ، تخريبا شاملا(٥)

---

(١) بمقتضى رواية كل من (Macheras, P.378) ، (Strambaldi, P.277) فان أسطول المماليك — وقوامه مائة وخمسون سفينة ، وخمسمائة مملوك بمقتضى ماخيراس ، وخمسمائة وثمانية من المماليك بمقتضى سترامبالدى ، وستمائة عربى ، وألفين من المقاتلين الآخرين — وصل فى أول يولية عام ١٤٢٦ الى قبرص • وما أن نزل قواته على الساحل حتى بعث هذه القوات شطر قلعة ليماسول فاحتلتها • وفى اليوم الثالث من هذا الشهر وصل الخبر الملك جانوس ، فتقدم على رأس جيش من ألف وستمائة فارس ، وأربعة آلاف راجل ، من العاصمة نيقوسيا الى بوتاميا Potamia ، فلما وصل الى هذه المدينة أرسل الى رودس يطلب منها النجدة •

(٢) أنظر : Hill II, P.479 note 2; Vertot II, P.402; Biliotti, P. 206 ; Flandin, P. 164

وارجع أيضا الى العينى : عقد الجمان جـ ٢٨ ص ٢٥٥

ويجدر التنوية بأن أيا من سترامبالدى ، ماخيراس ، أمادى (وهم ثلاثة من مؤرخى قبرص اللوسيين) لم يذكر شيئا عن فرسان اسبتارية اشتركوا فى هذه المعركة • =

يكفي للدلالة عليه أن الهيئة عهدت بهذه الآمرية ، في عام ١٤٢٨ ، الى اثنين من أعضائها لاستغلالها واستصلاحها مقابل ايجار اسمي مقداره أربعة دوكات لا غير في السنة لمـــدة سبع سنوات ، علما بأن ايجارها السنوى المعتاد هو اثنى عشر ألف دوكات ، وأنها لم تستعد ايجارها المعتاد الا في عام ١٤٤٩ ، أى بعد ثلاث وعشرين سنة من تخريبها (١) .

واذا كان السلطان برسباى ، قد أعلن ، خلال المفاوضات التى جرت معه عن اجـــل افتداء الملك جانوس (٢) ، عن اعتزامه اعداد حملة لاحتلال جزيرة رودس ، فانه كان يعبر بذلك عن استيائه من الاسبتارية لموقفهم المعادى من سلطنة المماليك ، بالرغم من الصلـــــح المعقود بين الطرفين في عام ١٤٠٣ ، هذا بطبيعة الحال الى جانب رغبة برسباى فـــى تصفية آخر الجيوب الصليبية في الشرق ، بعد أن أصابه التوفيق في غزو قبرص ، مشجعـــا بهذا التوفيق .

وليس من شك في أن مندوب الاسبتارية ، الذى حضر مفاوضات افتداء جانوس فـــى القاهرة ، عندما أرسل الـــى السيد الكبير أنطوان فلوفيان في رودس بما تم عليه الاتفاق مـــع برسباى مقابل اطلاق سراح جانوس ، أنبأه أيضا بما أعلنه برسباى بشأن رودس . ومن ثـــم

---

(٣) أنظر : Vertot II, PP.402 -403; Biliotti, P.206.

(٤) أنظر : Macheras, P. 386; Strambaldi, P.282; Amadi, P.509.

(٥) أنظر : Vertot II, P.403; Biliotti, P.206; Flandin, P.165 .

---

(١) أنظر : Hill II, P.487.

(٢) أنظر : Ziada , P.185

طلب انطوان فلوقيان المساعدة من البابا مارتن الخامس (١٤١٧ ــ ١٤٣١) ومعظم أمراء المسيحية فى أوروبا ، وأرسل أوامر مستعجلة الى جميع مقدمى شعب الاسبتارية فى أوروبا بأن يرسل كل منهم الى رودس ، على وجه السرعة ، ما لا يقل عن خمسة وعشرين فارسا اسبتاريا ، ومثلهم من تابعى الفرسان ، وما يستطيع ارساله من الاسلحة والذخائر والمؤن .(١) وفى نفس الوقت أرسل أنطوان فلوقيان الى القاهرة سفيرا اسبتاريا صحبة مبلغ خمسة وأربعين ألف دوكات على الاقل ،(٢) ساهم بها الاسبتارية فى مقدم

---

(١) أنظر : Vertot II, P.405 ; Biliotti, P.206; Flandin, P.116.
علما بأن هؤلاء المؤرخين الثلاثة ذكروا بأن طلب المساعدة تم بعد أن عقد الاسبتارية الصلح مع السلطان بناء على تحذيرات جواسيس الاسبتارية للسيد الكبير بأن السلطان يستعد ، بالرغم من الصلح ، لغزو رودس . ولكن هناك وثيقة تثبت بأن الاسبتارية اتصلوا بالبابا طالبين منه المساعدة قبل ان يعقدوا الصلح مع السلطان . فالمعروف أن الاسبتارية اصطلحوا مع السلطان بعد أن دفع له مقدم الفدية الذى تم فى مارس ١٤٢٧ (طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٠٢) . ولكن البابا مارتن الخامس أرسل الى السيد الكبير للاسبتارية ، فى ٩ فبراير ١٤٢٧ ، رسالة سمح له فيها برهن بعض أملاك الاسبتارية لمواجهة نفقات الدفاع عن الجزيرة ضد أسطول مصر !
(Pauli II, PP. 117-118, num. XCVI)
مما يثبت بأن الاسبتارية طلبوا المساعدة من البابا قبل دفع مقدم الفدية للسلطان ، وبالتالى قبل عقد الصلح معه بشهر على الاقل .

(٢) منها ١٥ ألف قدمها السيد الكبير ، فلوقيان ، من ماله الخاص ، كقرض لهيئة الاسبتارية ، ١٥ ألف أخرى قدمها بعض المواطنين الروادسة وأفضال الاسبتارية ، ١٥ ألف ثالثة استدانتها هيئة الاسبتارية لهذا الغرض من البندقية على يد السفير الرودسى يعقوب الالمانى (Hill II, PP.488-489)
أما فرتوحـ ٢ ص ٤٠٤ فيقول بأن هيئة الاسبتارية تحملت الجانب الأكبر من الجزيه . هذا ويذكر ماس لاترى)
أنظر : Mas-Latrie: Nouvelles Preuves, dans B.E.C, an. 1874, P.136 .
بأن السيد الكبير للاسبتارية قام بالدور الرئيسى فى الوساطة لدى سلطان مصر من أجل افتداء ملك قبرص .

فدية جانوس ، البالغ مائة ألف دوكات — أى نصف مقدار المبلغ الاجمالى للفدية ، وهو مائتا ألف دوكات — وصحبة هدية ثمينة للسلطان برسباى قدر ثمنها بنحو ثمانمائة دينار[(١)] .

وعندما أذن لهذا السفير بمقابلة السلطان لتقديم ما أتى به من رودس اليه ، طلب منه عقد معاهدة صلح وعدم اعتداء . وقد استجاب برسباى لطلبه وأعطاه تجديدا لمعاهدة عام ١٤٠٣[(٢)] ، قبل ١٢ مايو عام ١٤٢٧ ، وهو تاريخ اليوم الذى وصل فيه جانوس ، بعد الافراج عنه ، الى ميناء بافوس بجزيرة قبرص ، فى حراسة خمس سفن حربية ، احداها مقلة سفير رودس الى القاهرة[(٣)] .

أما اذا كانت بعض السفن المصرية قد هاجمت ، فى عام ١٤٣٤ ، أملاك الاسبتارية فى كولوسى ، بجزيرة قبرص ، وخربتها ، فان ذلك — على الأرجح — كان انتقاما ملوكيا قصد به عائلة فرر Ferrer القطالونية ، التى كانت تدير هذه الأملاك كاقطاع لها من الاسبتارية ، للرد على غارات قام بها قطالونيون على ساحل الشام ، أو قصد به الاسبتارية ، أنفسهم ، أصحاب هذه الممتلكات ، لاعتقاد السلطان بأن المغيرين على الشام خرجوا من موانى رودس ، أو الجزر الخاضعة لها فى بحر ايجه ، طالما أنهم لا يستطيعون الخروج من جزيرة قبرص التى تدفع الجزية للسلطان[(٤)] .

ويبدو أن السلطان برسباى شرع فى اعداد السفن التى قامت بتخريب أملاك الاسبتارية

---

(١) أنظر : Hill II, P.488
وأنظر أيضا دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية حـ ٢ ص ١٢٣١ .

(٢) أنظر : Ziada:Foreign Relations of Egypt,PP.185-186
ويذكر دكتور ابراهيم على طرخان (مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٠٥) بأن السفير الرودسى وعد السلطان بدفع جزية سنوية ، وهو ما نستبعد حدوثه ، ليس فقط لانه لا يوجد أى دليل يثبت بأن الاسبتارية دفعوا جزية للسلطان بعد هذا العام ، ولكن أيضا لان الاسبتارية رفضوا عدة مرات أن يدفعوا الجزية للعثمانيين عندما طلبوها منهم وجيوشهم معدة لغزو رودس ، أو تحاصر هذه الجزيرة فعلا ، وهذا ما سوف نبينه فى فصل العلاقات بين الاسبتارية فى رودس والاتراك .

(٣) أنظر : Strambaldi, PP.285-286; Hill II,P.490

(٤) أنظر : Hill III, PP.515 - 516

فى كولوسى ، بمجرد عودته ، فى أواخر عام ١٤٣٣ ، من حملة قام بها ضد عثمان قرايلوك زعيم قبيلة الشاه البيضاء التركمانية فى أعالى الفرات ، (١) وأن الاسبتارية فى رودس علموا بقدائه بأمر هذه السفن عن طريق عيونهم فى مصر ، واعتقدوا بأنها تمهد لغزو جزيرة رودس نفسها ، ومن ثم اتصلوا بالبابا يوجين الرابع (١٤٣١ ـ ١٤٣٩) لمساعدتهم فى مواجهتها • ومن الدلائل على ذلك ، رسالة تلقاها ملك قشتالة وليون ، حنا الثانى (١٤٠٦ ـ ١٤٥٤) ، من البابا يوجين الرابع ، طلب فيها منه البابا بأن يخف لنجدة رودس ، التى قال بأن حاكمها ، السيد الكبير أنطوان فلوفيان ، كتب له بأن سلطان مصر يعد العدة لغزوها ، فهذه الرسالة البابوية كتبت بتاريخ ١٧ يناير عام ١٤٣٤ ، (٢) أى تقريبا فى بداية العام الذى وقع فيه الهجوم المملوكى على كولوسى ، مما يقطع بأن الاعداد لهذا الهجوم تم فى أواخر عام ١٤٣٣ ، وأن الاسبتارية فى رودس كانوا على علم به •

ومهما يكن من أمر ذلك ، فان الاسبتارية فى رودس لم يعتبروا الاعتداء المملوكى على كولوسى سوى مقدمة لغزوة كبرى توقعوا بأن يوجهها السلطان برسباى فى العام التالى لجزيرة رودس نفسها • وكما هى عادتهم ، فى مثل هذه الظروف، أرسلوا يطلبون المساعدات المختلفة من أمراء المسيحية فى أوربا • ومن ذلك أنهم أرسلوا قائد الخيالة الخفيفة الى وطنه الأصلى ، انجلترا ، حيث صرح له الملك هنرى السادس (١٤٢٢ ـ ١٤٦١) ، فى ٣ يونية عام ١٤٣٤ ، بجمع كميات من الذهب والفضة ، وأخذها معه خارج المملكة • (٣) وفى ٢٥ يناير عام ١٤٣٥ أصدر الملك هنرى السادس تصريحا لمقدم شعبة الاسبتارية فى انجلترا ، بمغادرة المملكة ، صحبة كميات وافرة من الاموال والاوانى والاوعية الذهبية والفضية ، لتوصيلها الى جزيرة رودس بأقصى سرعة ممكنة ، حتى تستفيد منها ـ كما جاء فى التصريح ـ فى مقاومة سلطان مصر الذى يهددها بالغزو • (٤) وبعد أربعة أيام فقط من ذلك ـ أى فى

---

(١) دكتور ابراهيم على طرخان ، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٢٣

(٢) أنظر : Pauli II, P.118, num. XCV11.

(٣) أنظر : Ibid, P.119 num. XCV111.

يوم ٢٩ يناير سنة ١٤٣٥ ـ أرسل ملك انجلترا نفسه سفيرا انجليزيا ، الى جزيرة رودس ، صحبة أموال وسبائك قيمتها خمسمائة مارك ، لتسليمها للسيد الكبير أنطوان فلوفيان (١) .

وفي الحقيقة ، ظل السيد الكبير أنطوان فلوفيان يتوقع الغزو المملوكي لجزيرة رودس ، معتمدا على تحذيرات بواسير الاسبتارية في مصر ، حتى وفاته في ٢٩ أكتوبر عام ١٤٣٧ ، وتولية حنا لاستيك خلفا له (٢) . وفي نفس هذا العام توفي أيضا السلطان برسباى في مصر وخلفه ابنه يوسف الذي اغتصب منه الوصي عليه ، وهو أتابك العساكر جقمق ، في العام التالي ـ أي في عام ١٤٣٨ ـ كرسي السلطنة ، وأصبح يعرف باسم الملك الظاهر أبي سعيد جقمق (١٤٣٨ ـ ١٤٥٣) (٣) .

وما كاد السيد الكبير الجديد حنا لاستيك يتسلم سلطاته في جزيرة رودس ـ التي وصل اليها ، في أوائل ديسمبر عام ١٤٣٨ ، من فرنسا حيث كان يقيم قبل انتخابه للرئاسة ـ حتى تلقى من عيون الاسبتارية في مصر انذارا بأن السلطان المملوكي جقمق يعد العدة لغزو جزيرة رودس ، وأن السلطان العثماني ، مراد الثاني (١٤٢١ ـ ١٤٥١) (٤) ، ان لم يكن يؤيد هذا المشروع ، فهو ، على الاقل ، لا يعارضه . وكان مراد الثاني ـ في الحقيقة ـ راغبا في أن يقوم جقمق بتنفيذ مشروع احتلال جزيرة رودس ، وربما حرضه على ذلك ـ بالرغم من المنافسة القائمة بين هاتين الدولتين الاسلاميتين الكبيرتين ، وبالرغم من اعتبار العثمانيين بأنهم أحق من المماليك بامتلاك جزيرة رودس لانها أقرب الى دولتهم ـ حتى ينشغل به فرسان الاسبتارية عن الانضمام الى الحلف المسيحي الكبير ، الذي أوشك أن يتشكل آنذاك في أوروبا ، لغرض شن حرب صليبية كبرى ضد العثمانيين في شبه جزيرة البلقان ، يشترك فيها الغرب ـ

---

(١) أنظر : Pauli II, P.119, num. XCIX.

(٢) أنظر : Biliotti, P.210; De Belabre, P.19; Farochon, P.95

(٣) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية حـ ٢ ص ١٣٠٤ .

وأنظر أيضا Wiet: L'Egypte , dans Précis de L'Hist. de l'Egyp. T.II, P.331

(٤) أنظر : Baynes & moss: Byzantium, P.48.

للكاثوليكي والشرق البيزنطي الارثوذكسي على السواء [1]. أما سلطان المماليك الجراكسة ، جقمق ، فقد كان ، من جانبه ، له دوافعه الخاصة لتنفيذ مشروع غزو رودس ، منها رغبته في أن يحذو حذو برسباي ، ليحقق لنفسه مجدا يغطي به جقمق اغتصابه للسلطنة من العزيز يوسف بن برسباي ، من ناحية ، ويصرف المماليك من المنازعات الداخلية ، ويوجه طاقتهم نحو الغزو والجهاد من ناحية ثانية [2]. يضاف الى ذلك تذمر السلطان جقمق من الاسبتارية في رودس بسبب تدخلهم في تجارة قبرص بما يضر رعاياه القبارصة [3]، وتبرمه من اغارات القراصنة على شواطئ مصر ، التي لم تنقطع عقب استيلاء المماليك على قبرص (عام ١٤٢٦) مما لا يدع مجالا للشك لديه بأن أولئك القراصنة اتخذوا من موانئ رودس قواعد لهم [4].

وقد رأى حنا لاستيك أن يبدأ في مواجهة الموقف بسبر غور مراد الثاني ومحاولة حمله على التدخل لوقف مشروع الغزوان أمكنه ذلك . وكان أن أرسل اليه ، في عام ١٤٣٨ ، رئيس الكنيسة الديرية في رودس ، حنا موريل J. Morel ، في سفارة خاصة ، لابلاغه نبأ توليته منصب السيد الكبير للاسبتارية في رودس ، وليعرض عليه رغبته في تجديد المعاهدة القديمة المعقودة بين الاسبتارية والعثمانيين ، وهي المعاهدة التي كان قد عقدها السيد الكبير أنطوان فلوفيان ، سلف حنا لاستيك ، في عام ١٤٢٥ ، مع مراد الثاني نفسه . غير أن مراد الثاني ، بالرغم من المعاملة الطيبة التي لاقاها منه سفير الاسبتارية رفض الدخول في أية مفاوضات بشأن تجديد أو عقد معاهدة جديدة معه ، ورد على السفير بأن المعاهدة القديمة لا تزال نافذة المفعول ، وهي كافية لأمن كلا الطرفين الرودسي والعثماني [5].

---

(١) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ص ١٧٠
وأنظر أيضا : Vertot II, P.414; Biliotti, P.212; Ziada, P.187
(٢) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ص ١٧١
(٣) أنظر : Hill III, P.516
(٤) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ص ١٧٠
(٥) أنظر : Hammer II, P.256
(٦) أنظر : Vertot II, PP.414-415; Biliotti, PP.212-213; Flandin, P.168.

لم يبق أمام حنا لاستيك ، عندئذ ، سوى أن يستوثق من ناحية السلطنة المملوكية ،

فأرسل ابن أخيه ، ولم لاستيك ، فى سفينتين ، الى سواحل مصر ، للوقوف على ما يجرى

فيها من استعدادات ، ولم يلبث هذا المبعوث أن رجع الى رودس ، وأخبر عمه السيد الكبير

بأنه رأى هذه الاستعدادات رأى العين ، فأيقن السيد الكبير بأن الهجوم على جزيرة رودس

من جانب ماليك مصر واقع لا محالة ، وأخذ على الفور يحصن جزيرته ، ويستمد بالقوات البحرية

والبرية اللازمة لحمايتها (١) .

---

(١) أنظر : Vertot II, PP.415-416 , Farochon, P.69

يتكلم ابن حجر (إنباء الغمر حـ ٢ ص ٧٢١) عن معركة وقعت فى ربيع الاول سنة ٨٤٢ هـ / يولية ١٤٣٩ ، بين " المطوعة فى البحر من أهل دمياط " والفرنج عند ساحل صيدا قتل فيها كبير المطوعة ، المجاهد عبد الرحمن ، كما قتل عدد من رجاله وأسر الباقون وسفنهم الثلاث ، ويذكر نفس المؤرخ (فى ص ٧٢٢) بأنه ثبت على نصرانى من أهل دمياط أنه " كان السبب فى قتل المجاهدين ، وأنه كاتب الفرنج بقضيتهم حتى استعدوا لهم ودل على عوراتهم " .

وقد ربط الدكتور زيادة (Foreign Relations of Egypt, P.188) بين هذا الحادث ورحلة ابن أخ السيد الكبير للاستبارية الى مصر فذكر بأن هذا الفارس الاسبتارى علم بأمر استعدادات السلطان لغزو رودس عن طريق مسيحى من دمياط فعاد الى رودس وبعد أن أسر فى طريقه ، أمام صيدا ، سفينة استطلاع لمجاهدين من دمياط .

ونحن نعتقد بأن كلا الواقعتين — واقعة أسر السفينة ، أو السفن الثلاث على الاصح ، وواقعة رحلة ولم لاستيك الى مصر — لا صلة للواحدة منهما بالاخرى ، وذلك ان المؤرخ فرتو ، الذى أورد واقعة ارسال ولم لاستيك الى سواحل مصر ، قال بأن هذا الفارس الاسبتارى أخبر عمه ، عند عودته الى رودس ، بأنه شاهد جميع قوات مصر عن قرب ، ولما كانت قوات الحملة لم تخرج من بولاق الى دمياط الا فى ٨ أغسطس عام ١٤٤٠ (بحسب قول الدكتور زيادة نفسه ص ١٨٩) ، فلا بد أن يكون ولم لاستيك قد وصل قرب دمياط فى شهر أغسطس بعد يوم ٨ — عام ١٤٤٠ ، على حين وقع حادث أسر سفينة المجاهدين أمام صيدا فى عام ١٤٣٩ أى قبل ذلك بنحو عام .

هذا من ناحية جنا لاستيك ، أما من ناحية مقريزى ، فقد أبحرت الحملة من ، من ميناء بولاق ، أربعة عشر غرابا وستمائة من المماليك السلطانية ، بقيادة تغرى برمش الزردكاش ، بمقتضى رواية العينى (١) ، وخمسة عشر غرابا ومائتين من المماليك بقيادة تغرى برمش الزردكاش ، ويونس المحمودى أمير آخور ، بمقتضى رواية أبى المحاسن (٢) ، على أن الحملة عندما أقلعت من دمياط ، فى أغسطس عام ١٤٤٠ ، لتأدية مهمتها فى رودس ، كانت قوتها من المقاتلين قد ازدادت فأربت على الألف مقاتل (٣) ، بسبب ما انضم اليها من المتطوعين فى القاهرة ودمياط ، وقد رسا أسطول الحملة أولا فى جزيرة قبرص حيث تزود بحاجته من المؤن والذخائر ، ثم توجه الى ميناء العلايا ، الواقع على الساحل الجنوبى لآسيا الصغرى ، فأمده صاحب الميناء التركى بغرابين انضما الى بقية سفن الاسطول عند اقلاعها من هذا الميناء الى رودس (٤) ، وبمقتضى رواية السيد الكبير جنا لاستيك نفسه ، فى رسالة بعث بها ، فى ٦ نوفمبر عام ١٤٤٠ — أى بعد وصول الحملة الى رودس بأربعين يوما فقط ، حيث وصلت فى ٢٥ سبتمبر عام ١٤٤٠ — الى رئيس شعبة أبروستا (٥) ، فان أسطول المماليك كان يتألف من تسع عشرة سفينة ، منها ست عشرة سفينة من نوع الحراقات (   ) ، وأن هذا الاسطول رسا أولا فى جزيرة قشتيل الروج وخربها (٦) ، ثم وصل الى جزيرة رودس ، حيث رسا فى موضع رملى ، ليس ببعيد من ميناء العاصمة رودس ، فى الطرف الشمالى من الجزيرة (٧) ، وفى هذا الموضع دهمه أسطول الاسبتارية ، المكون من أربع سفن كبرى ، وست سفن صغرى مختلفة الانواع ، بقيادة مارشال الاسبتارية ، وأخذ يتبادل معه اطلاق نيران المدافع طوال نهار ذلك اليوم ، وعندما حل ظلام

---

(١) العينى : عقد الجمان حـ ٢٨ ص ٤٤٧

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٧ (طبعة كاليفورنيا) ص ١١٢ ،

Zida, P.189

(٣) أنظر : Ziada: Loc. Cit.

(٤) العينى : عقد الجمان حـ ٢٨ ص ٤٤٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٧ (طبعة كاليفورنيا) ص ١١٤

(٥) أنظر : Pauli II,PP.121-123, num. C11

(٦) "... primo ad Castrum Rubrum Insulam nostram, ubi varias iniurias intulerat..." Ibid, P.121

(٧) "Deinde Rhodum, odio quodam obstinato, transmisit & anchoras iecit, non multum longe a portu nostro, ad locum, quem dicunt puncta arenarum." (P.121)

الليل انسحب أسطول المماليك ، ويمم شمالا شطر جزيرة لانجو ، وهى الجزيرة التى تسلى جزيرة رودس من الاهمية بالنسبة للاسبتارية ، فلما اقترب منها ، فى الصباح — أى فى صباح ٢٤ سبتمبر عام ١٤٤٠ — رأى أن أسطول الاسبتلرية بقيادة المارشال قد سبقه اليها ، فآثر عدم مهاجمتها ، واتجه شرقا الى أن وصل الى أحد الخلجان التركية المتعددة فى ساحل آسيا الصغرى ، فتحصن فيه . غير أن أسطول الاسبتارية ، الذى كان يتعقبه عن بعد ، لم يلبث أن بغته فى هذا الموضع ، ثم اشتبك معه فى معركة بحرية انجلت فى آخر النهار عن مقتل أكثر من سبعمائة من المصريين ، البالغ عددهم ألفا مقاتل ، على حين فقد الاسبتارية ستين قتيلا . وعندما حل ظلام الليل غادر أسطول الاسبتارية الموقع واتجه رأسا الى جزيرة رودس بسبب ظهور نذر عاصفة ، فوصل اليها فى الفجر وسط طوفان من المطر ، أما أسطول المماليك فقد غادر هذا المكان ، فى الليلة التالية ، وتوجه مسرعا الى جزيرة قبرص حيث أعاد تخريب أملاك الاسبتارية ، ثم عاد الى مصر .(١)

هذا ما رواه السيد الكبير حنا لاستيك عن الحملة .(٢) أما روايات المؤرخين المصريين المعاصرين عن هذه الحملة فقد جاءت ناقصة ، واقتصرت على ذكر أن أسطول الحملة توجه من

---

(١) "mox instaurata classe, dato stipendio Teurcis, in cyprum traiciunt, resque ibi nostras ferro igne que in aliquibus locis populantur" (P.122)

(٢) لم تختلف روايات Vertot II,PP.416-420 ;Biliotti,PP. 212-214;Flandin,PP.168-169; Farochon,PP. 96-107 فى وقائعها الرئيسية عما رواه السيد الكبير حنا لاستيك فى رسالته الى رئيس شمبة أمبوستا ، وان كان فرتو مثلا ذكر بأن سفن المماليك ثمانى عشرة سفينة ، وبليوتى ذكر بأن قائد أسطول الاسبتارية هو أمير البحر ، لا وهو ذكر بأن المارشال هو ابن أخ السيد الكبير أى هو ولم لاستيك ، وأن المعركة الكبرى بين المصريين والاسبتارية وقعت عند ساحل جزيرة تركية اسمها Katharoua ، وأن أتراكا كثيرين من أهل الجزيرة ، ومن الساحل الاسيوى وفدوا الى مكان المعركة وشاركوا فيها الى جانب المصريين ، وغير ذلك من التفاصيل المتباينة .

ويجدر التنويه هنا بأن الدكتور زيادة لجأ الى كتب هؤلاء المؤرخين الاجانب وغيرهم — الى جانب المراجع العربية ، ولما جاءت الكتب العربية خلوا من واقعتى تخريب جزيرة قشتيل الروج ، وأملاك الاسبتارية فى قبرص ، فقد أسقط هاتين الواقعتين من روايته متوسما بأنه تعمد اسقاطهما لانه لا يملك وثيقة أجنبية معاصرة تنص عليهما ، ففضل رواية الكتب العربية المعاصرة — ارجع الى

(Ziada; , PP. 189 note 20-190).

المغاربة الى رودس حيث أغار على إحدى قراها الساحلية وخربها ، ثم رجع مباشرة الى دمياط ، ومنها الى القاهرة فوصل اليها فى ١٨ أكتوبر عام ١٤٤٠ ، وقد ذكر العينى (١) بأن المصريين خربوا القرية الرودسية عند وصولهم الى جزيرة رودس ، ولم يتكلم هذا المؤرخ عن أية معركة دارت عند رودس ، وبالتالى لم يتكلم عن خسائر فى الارواح بين المصريين . أما ابن حجر فقد (٢) تكلم عن معركة دارت بجوار ساحل جزيرة رودس ، وذكر بأن الرواد سة أحاطوا بالمصريين و " قاتلوهم الى الليل فهبت ريح شديدة ، ومطر ، فانفرجت لهم ، فساروا كما هم الى أن مروا على بعض سواحل البلد فرأوا فى طرفها معصرة قصب سكر ، فنهبوا ما فيها ، وأسروا من وجدوه من المزارعين وغيرهم ، ورضوا بهذه الغنيمة التافهة ، ونجوا بأنفسهم ، بعد أن قتل منهم نحو الاربعين ، وجرح جماعة " ، وتكلم أبو المحاسن (٣) أيضا عن معركة بين المصريين والرواد سة ، ولكنه أفاد بأن القتلى بين المصريين اثنى عشر قتيلا لا غير بخلاف الجرحى .

ومهما يكن من أمر تفاصيل الحملة المملوكية الاولى على رودس فقد انتهت هذه الحملة التى فشل ، وما أن رجع أسطول الحملة الى مصر حتى أخذ السيد الكبير جنا لاستيك من ناحيتــه يستعد لصد حملة أخرى توقع أن يوسلها المماليك الى جزيرة رودس لغسل عار الهزيمة التى منيت بها حملتهم الاولى أمام هذه الجزيرة ، ولم يقتصر فى استعدادا ته على تقوية حصون الجزيــرة والجزر الاخرى الخاضعة لها فى بحر الارخبيل ، وتعزيز حاميات هذه الحصون ، ولكنه أيضــا أرسل استدعاء لجميع الاسبتارية القادرين على حمل السلاح من الفائضين عن حاجة الشعـــب

---

(١) العينى : عقد الجمان حـ ٢٨ ص ٤٤٧

(٢) ابن حجر : انباء الغمر حـ ٢ ص ٧٥١ ـ ٧٥٢

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٧ (طبعة كاليفورنيا) ص ١١٤
وأنظر ايضا :

Ziada, P. 190

الاسبتارية فى الخارج (١) وأصدر أمانا لجميع المنفيين ـ فيما عدا مشترى الفتن ـ بالعودة الى رودس للمساهمة فى الدفاع عنها ، وطلب من مقدم شمبيقرنسا أن يرسل الى جزيرة رودس ، على جناح السرعة ، كل ما يمكن ارساله من الاموال والذخائر والموءن ، وفرض على حاكم كل من جزيرة لانجو ، وحصن لندوس الواقع على الساحل الشرقى لجزيرة رودس ، بأن يجهز على حسابه الخاص سفينة حربية يحتفظ بها للمساعدة فى الدفاع عن موقعه ، ولتوفير نفقات الدفاع والحرب استصدر حنا لاستيك من البابا فيلكس الخامس Felix V (١٤٣٩ ـ ١٤٤٧) ، فى ابريل عام ١٤٤١ ، قرارا سمح فيه لهيئة الاسبتارية بالتصرف فى بعض أملاكها ، كما أرسل ـ أى حنا لاستيك ـ أوامره المشددة الى روءساء بيوت الاسبتارية بضرورة ارسال أنصبة الخزانة فى رودس من دخول هذه البيوت فى مواعيدها وبدون نقصان ، يضاف الى ذلك كله أن حنا لاستيك أرسل ، عن طريق قصادة ورسائله الخاصة ، أو عن طريق المناشير البابوية ، يطلب المساعدة من معظم ملوك وحكام أوروبا ، ولكن لم يجبه سوى امبراطور القسطنطينية ، حنا الثانى باليولوجس ، الذى عقد معه معاهدة دفاعية هجومية لانفع لها من الوجهة العملية ، بسبب عدم استطاعة هذا الامبراطور ابعاد قواته وسفنه عن دولته خوفا عليها من أن تجتاحها قوات أعدائها العثمانيين المحيطين بها ، أما سائر ملوك المسيحية فان اجاباتهم لم تخرج عن نطاق التمنيات واظهار العطف (٢) .

أما عن السلطان جقمق فقد أخذ ، منذ عام ١٤٤٢ ، يعد العدة عسكريا للحملة الثانية على جزيرة رودس ، ومن ناحية أخرى سعى دبلوماسيا لعزل الاسبتارية عن أكبر

---

(١) من ذلك استدعاوءه لفرسان شعبة أمبوستا فى الرسالة التى أرسلها الى رئيس هذه الشعبة ، فى ٦ نوفمبر ١٤٤٠ ، وذكر فيها وقائع الحملة المملوكية الاولى .
انظر : Pauli II, PP.121-123 num. Cll

(٢) انظر : Vertot II, PP. 420-422 ; Biliotti, PP. 214-215; Flandin, PP.159-170; Farochon, PP.107-108.
وبخصوص القرار البابوى الذى نص على السماح للهيئة بالتصرف فى بعض أملاكها ،
انظر : Pauli II, P.124 num. CIV.

قوتين مسيحيتين فى المنطقة يستطيعان تقديم العون لهم ، وهما البندقية وقبرص ، وكان جقمق يخشى من أن تتدخل البندقية باسم الدفاع عن مصالح المدعو فانتينو كويرينى Fantino Quirini وكيل جزيرة لانجو الخاضعة للاسبتارية ، فقد كان هذا الوكيل ، الذى كان يشغل أيضا منصب أمير البحر فى حكومة رودس ، ينتمى الى عائلة بندقية كبرى لها نفوذ واسع فى مجلس السناتـــو بالبندقية ، وكانت هيئة الاسبتارية قد أقطعته — الى جانب جزيرة لانجو التى يحكمهـــا — جزيرة أخرى بجوار لانجو ، هى جزيرة نيسيروس Nisyros وكلفته بالدفاع عن هاتين الجزيرتين اذا تعرضتا للغزو من جانب المماليك ، فخشى جقمق أن تضغط عائلته — أى عائلة فانتينـــو كويرينى — على حكومة جمهورية البندقية لكى ترسل أسطولها الى رودس لمساعدتها فى صـــدد حملته التى يعدها لغزو هذه الجزيرة ، ومن ثم عرض جقمق على فانتينو كويرينى ، عن طريـــق البندقية نفسها ، أن يعقد معه معاهدة خاصة تبقى على حياد جزيرتيه لانجو ونيسيروس ، وقـــد وافق فانتينو كويرينى على عرض السلطان جقمق ، وعقد معه المعاهدة التى طلبها ، بعد أن أخذ فانتينو موافقة السيد الكبير ، حنا لاستيك ، الذى اشترط عليه فقط أن ينص فى المعاهـــدة صراحة على تبعية الجزيرتين وخضوعهما للاسبتارية فى رودس ، علما بأن حنا لاستيك أعطـــى موافقته على أمل أن هذه المعاهدة الخاصة مع فانتينو كويرينى ، ان لم توصل الى عقد معاهـــدة عامة للصلح بين الاسبتارية والسلطان جقمق ، فهى على الاقل تزيح من كاهل هيئة الاسبتاريـــة عبء الدفاع عن جزيرتى لانجو ونيسيروس فى الحرب ضد السلطان .(١)

أما عن جزيرة قبرص فقد سلك السلطان جقمق لعزلها عن رودس طريقا آخر ، ففى عـــام ١٤٤٣ أعلن جقمق عن امكان قيام سلم بينه وبين الاسبتارية فى رودس ، اذا توصل الطرفـــان الى اتفاق بشأن شكوى السلطان من أن الاسبتارية يتدخلون فى تجارة قبرص على حساب رعايـــاه القبارصة ، ومن ثم أرسل السيد الاكبر ، حنا لاستيك ، فى أواخر ابريل عام ١٤٤٣ ، السفير حنا مارزاناك J. de marsanac ، نائب الآمر على الأمير الكبرى فى قـــبرص ، صحبة هدايا وكثير من أسرى المسلمين الى مصر للتفاهم مع جقمق فى أمر الصلح ، غير أن

---

(١) أنظر : Vertot II, PP.422-423; Farochon, PP.107-108

المفاوضات بين هذا السفير والسلطان جقمق لم تسفر عن نتيجة سوى اتفاق الطرفين على حياد قبرص في النزاع المسلح بين المماليك ورودس • وقد صدق السيد الكبير ، جنا لاستيك ، على هذا الاتفاق ، بعد عودة السفير جنا مارزاناك الى رودس ، ثم تولى البندقي جنا د يلفينو J. Delfino مهمة توصيل تصديق جنا لاستيك الى جقمق في مصر • (١)

وكان السلطان جقمق ، في غضون ذلك ، قد استكمل اعداد الحملة • وعندما أقلعت هذه الحملة من د مياط ، في ١١ أغسطس عام ١٤٤٣ ، كانت قوتها من السفن ، ثمانين سفينة مختلفة الانواع والاحجام ، عدا الزوارق ، ومن المقاتلين ، ما بين ألف ، وألف وخمسمائة من المماليك السلطانية ، وعدد كبير من المتطوعين (٢) ، بقيادة الدوادار الكبير

---

(١) أنظر : Hill III, PP.516 -517

وقد ذكر فاروشون (Farochon, P.107) ، بصورة مقتضبة ، أن جنا لاستيك عقد معاهدة مع السلطان نصت على حياد قبرص •

أما فرتو (Vertot II, p. 423) ، دكتور زيادة Foreign Relations, p.191

فقد ذكرا أن السلطان عقد معاهدة مع الملك القبرصي جنا الثاني تنص على حياد جزيرة قبرص بين رودس ومصر •

ومن ناحية اخرى جاء في كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي (ص ٦١ ، ٦٢) أن السلطان أمر بحبس الفرنج القادمين من رودس لطلب المهادنة " ومعهم تقدمة وأسراء من المسلمين ، فحبسوا بالمقشرة ، حبس أولى الجرائم ، وهم نيف على عشرين نفسا ، وكان السلطان فهم منهم المخادعة لكونهم أحسوا بالتجهيز اليهم " وبعد وأن سفير رودس فوجئ في القاهرة بأن السلطان يعرض عليه الموافقة على حياد قبرص وليس الصلح مع رودس ، فرفض عرض السلطان ، ولم يقبله الا بعد أن أمضى فترة في السجن •

(٢) السخاوي : التبر المسبوك ص ٦٢ ـ ٦٣

ابن حجر : انباء الغمر ج ٢ ص ٨٠٢ ـ ٨٠٤

العيني : عقد الجمان ج ٢٨ ص ٤٧١ (لم يذكر عدد السفن ، وذكر أن عدد المماليك السلطانية في الحملة اكثر من الف مملوك) •

اينال العلائي ، المعروف بالاجرود ، الذي أصبح فيما بعد سلطانا على مصر ، بمساعدة رأس النوبة الكبير تنبك البهلوان ، في قيادة الاسطول فقط . وقد بدأ أسطول الحملة ، فور اقلاعه من دمياط ، شطر مدينة بيروت لاصطحاب قوة من جند الشام تقرر اشتراكها في الحملة . غير أن العواصف أخرت وصوله الى بيروت ، كما عزلت خمس عشرة سفينة من سفنه ، منها سفينة تمربهاي ، قائد الاسطول ودفعتها الى ميناء طرابلس بدلا من بيروت . وعندما استبطأته قوة الشـام ، أقلعت من بيروت ، في خمس عشرة سفينة ، وسبقته الى جزيرة قبرص . ولم تلبث سفن أسطـول مصر أن أقلعت بدورها من بيروت وطرابلس ، كل مجموعة منها على حدة ، من غير علم الاخرى ، واتخذت طريقها الى قبرص ، حيث التأم شملها على الملاحة ، بالقرب من لارناكا Larnaka [1] [2] ولكنها لم تجتمع مع سفن الشام ، الخمس عشرة ، الا بعد وصولها — أى سفن مصر — الى ميناء ليماسول (الليمسون) قادمة من لارناكا . [3] ولم تلبث العمارة بأكملها أن رحلت من ليماسول الى قرية قريبة من بافوس (الباف) ، حيث تزودت بحاجتها من المئونة ، ثم أقلعت عنها في ظروف جوية سيئة ، حيث الريح كانت ساكنة ، وشرعت في طريق رودس ، مارة بالموانى التركية الصديقة ، الواقعة على الساحل الجنوبي لاسيا الصغرى ، العلايا فأنطاليا ففنيكا ، الى ان وصلت الى جزيرة قشتيل الروج ، الخاضعة للاسبتارية في رودس ، في ٧ أكتوبر عام ١٤٤٣ ، فأحتلها المصريون وهدموا حصنها ، وخربوها تخريبا شاملا عبر عنه المؤرخ المعاصر ابن حجر بقوله " ولم يبق في تلك الجزيرة ديار ولا نافخ نار ". [4] وكان في نية الحملة بعد ذلـــك مواصلة السير الى رودس ، ولكن حلول فصل الشتاء حمل العسكر على التفكير في تمضية الشتاء ، كما يقول السخاوي " ببلاد الروم ، فصرفهم عنه صارف ، فاقتضى رأيهم النزول بجزيرة قبرص ،

---

(١) ابن حجر : انباء الغمر حـ ٢ ص ٨٠٢ — ٨٠٣

السخاوي : التبر المسبوك ص ٦٢

(٢) أنظر :

Ziada, P.192

(٣) ابن حجر : انباء الغمر حـ ٢ ص ٨٠٤

(٤) ابناء حجر : انباء الغمر حـ ٢ ص ٨٠٤ — ٨١٠

فلم يتهيأ لهم ذلك ، بل توغلوا في جزائر الفرنج ، وعصفت عليهم الريح والامطار ، ودخل الشتاء ، فاجتمعت الآراء على العودة الى الديار المصرية ، خوفا من هيجان البحر ، وعدم موافقة الرياح (١) . وفي الحقيقة لقد منعت عواصف البحر سفن الاسطول من الوصول الى مصر مجتمعة ، ولكن وصل بعضها الى دمياط ، والبعض الآخر الى الاسكندرية ، وأكثرها الى رشيد ، ولم تجتمع الا عند وصولها ، من هذه الموانى ، الى بولاق ، في ٢١ ديسمبر سنة ١٤٤٣ (٢) .

هذا ما حدث للحملة الثانية التي أعدها السلطان جقمق من أجل احتلال جزيرة رودس ، فلم تحتل سوى جزيرة صغيرة خاضعة لرودس هي جزيرة قشتيل الروج ، وكان احتلالها هو كل حصيلة الحملة الى جانب مائتين ، أو مائتين وعشرة من الاسرى ، منهم ستون رجلا فقط ، والباقون من الشيوخ والنساء والاطفال ، جلبهم الجند معهم من هذه الجزيرة (٣) ، علما بأن عدد القتلى بين هؤلاء الجند أمام قشتيل الروج كان ثلاثون قتيلا خلا الجرحى وعددهم كثير (٤) .

ويجدر التنويه هنا بأن البابا يوجين الرابع ، كان قد علم بأمر اعداد هذه الحملة الفاشلة ، قبل خروجها من مصر . ومن ثم فكر في اعداد أسطول بابوي على نفقته الخاصة للدفاع عن جزيرة رودس ، وغيرها من مراكز المسيحية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط . وأصدر بالفعل ، في شهر يناير عام ١٤٤٤ ، منشورا بابويا أعلن فيه وقوع اختياره على الكاردينال فرانسسكو دى سانت كليمنت Franciscum Di S. clemente

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك ص ٦٤

(٢) السخاوى : التبر المسبوك ص ٦٤ — ٦٥

ابن حجر : انباء الغمر حـ ٢ ص ٨١٢

السيوطى : غزوات قبرص ورودس ص ١٥

(٣) ابن حجر : انباء الغمر حـ ٢ ص ٨١٠

السخاوى : التبر المسبوك ص ٦٤

العينى : عقد الجمان حـ ٢٨ ص ٤٧٣

(٤) السخاوى : التبر المسبوك ص ٦٤

ابن حجر : انباء الغمر حـ ٢ ص ٨١٠

لقيادة هذا الاسطول (١). وفى نفس الشهر أصدر وثيقة أخرى بتعيين المدعو مرقص ، حامـل لقب بطريرك الاسكندرية ، رئيسا لحلف مسيحى ضد المسلمين ، وقاصدا رسوليا فى جزيرتـى رودس وقبرص ، مع تكليفه بمهمة الدفاع عن هاتين الجزيرتين ضد أى اعتداء اسلامى عليهما (٢). غير أن جهود البابا يوجين الرابع ، بشأن اعداد الاسطول البابوى ، وتأليف العصبـة المسيحية ، لم تتمخض ـ على الارجح ـ عن شئ أكثر من اصدار هذه المناشير البابويـة . على أن يدلنا فى هذا الاتجاه بعكس ، بصورة واضحة ، ما كان عليه البابا ، ومن ورائـه الاسبتارية ، من ذعر شديد بسبب تحركات المماليك ضد جزيرة رودس .

ومن ناحية أخرى فان الاسبتارية ، عندما وصلت اليهم الانباء بما انتهت اليه الحمـلة المملوكية الثانية ضدهم ، وبما كان يقوم به السلطان جقمق من استعدادات ضخمة لانفـاذ حملة ثالثة الى جزيرتهم رودس ، اتصلوا بالبابا يوجين الرابع ، فأصدر ، بناء على رغبتهـم ، منشورا بابويا خاصا ، فى شهر ابريل عام ١٤٤٤ ، حث فيه رؤساء بيوت الاسبتارية وفرسـان الاسبتارية فى الخارج ، على أن يبعثوا ، بأقصى سرعة ، الاسلحة والمقاتلين الى جزيرة رودس للمساعدة فى تعزيز وسائل الدفاع عنها ، وعن الجزر الخاضعة لها فى بحر ايجه ، ضـد اسطول سلطان مصر الذى يتهددها (٣).

أما عن السلطان جقمق فقد جهز حملته الثالثة بقوة من المماليك السلطانية تتألف من أكثر من ألف وخمسمائة مملوك ، وهو ـ كما يقول السخاوى ـ " عدد كثير أزيد منه فى التى قبلها " ، الى جانب عدد كبير انضم اليها من المتطوعين (٤). واختار جقمق قائدى الحملة السابقة لقيادة هذه الحملة أيضا ، وهما اينال العلائى ، الدوادار الكبير ، للقيادة العليا ، أو ـ كما يقـول

---

(١) أنظر : Pauli II, PP.126-127 num. CVl

(٢) أنظر : Ibid: Op.Cit., T.II, PP.127-128, num CVll.

(٣) أنظر : Ibid, OP.Cit., T.II, P.125, num. CV.

(٤) السخاوى : التبر المسبوك ص ٨٨

السخاوى ـ هو " المقدم الكبير " ، خير باعر ، وصى نهلة ، للبلية البحر ، [1] وقد أقلعت الحملة ، فى شهر يوليه عام ١٤٤٤ ، من ميناء الاسكندرية ـ بمقتضى روايتى السخاوى [2] وابن حجر [3] ـ أو من ميناءى دمياط والاسكندرية ، بحسب رواية أبى المحاسن. [4] بعد أن تزودت الحملة بمجموعة من أمراء البلاد الشامية ، [5] كانت تنتظرها فى ميناء طرابلس الشام ، [6] اتجهت رأسا من هذا الميناء الى جزيرة رودس فوصلت اليها فى أواسط شهر أغسطس عام ١٤٤٤ [7] . وبمقتضى رواية أوردها المؤرخ فاروشون ، من غير أن يدلنا على المصدر الذى استقاها منه ، فان أسطول المصريين وصل الى الجزيرة من ناحية ساحلها الشرقى ، ولكنه أنزل قواته على ساحلها الغربى ، الذى جاء اليه عن طريق الدوران حول الطرف الجنوبى للجزيرة ، ربما لكى يتفادى المرور أمام ميناء مدينة رودس العاصمة ، اذا دار حول الجزيرة من الشمال ، مما يعرضه للدخول فى معركة

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك ص ٨٨

(٢) المرجع السابق

(٣) ابن حجر : انباء الغمر حـ ٢ ص ٨١٨

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٧ (طبعة كاليفورنيا) ص ١٣٢ ـ ١٣٣

(٥) السخاوى : التبر المسبوك ص ٨٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٧ (طبعة كاليفورنيا) ص ١٣٤

(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٧ (طبعة كاليفورنيا) ص ١٣٣ ـ ١٣٤

(٧) دكتور زيادة (Foreign Relations, P.197) . ولكن اذا أخذنا بقول فاروشون (Farochon,PP.108-109) بأن الحصار دام ستة أسابيع ـ أى اثنين وأربعين يوما ـ وأنه رفع يوم ٢٠ سبتمبر ، لوجدنا بأنه بدأ يوم ١٠ أغسطس .

على أن جاستون فييت (wiet: , L(Egypte Arabe, PP. 582-583 من ناحية أخرى ، ذكر بأن الحصار بدأ فى أواخر اغسطس ، وأن الحملة عادت فاشلة الى مصر فى ٢٥ اكتوبر .

بحريقع أسطول الاسبتارية ، قد تحول بينه وبين انزال قواته على البر . وقد ضرب المصريون المنطقة التى نزلوا فيها ، ثم تقدموا شمالا ، بأقصى سرعة ، على أحد الطرق التى عبدها الاسبتارية داخل الجزيرة ، الى أن وصلوا الى العاصمة رودس فى أقصى شمال الجزيرة ، فحاصروها من جهة البر ، على حين حاصرها الاسطول من جهة البحر .(١)

وقد ظل الحصار ستة أسابيع .(٢) وفى بدايته استطاعت فرقة مملوكية ، تعززها المدفعية الثقيلة ، أن تقيم لها معسكرا حول كنيسة القديس أنطوان ، الواقعة فى مواجهة برج القديس نقولا ، من ناحية الغرب ، وأن تمطر هذا البرج ، والجانب من السور القريب منه ، بوابل من طلقات مدافعها . وعندما أخذ القصف يحدث صدوعا خطيرة فى ستارة أبراج السور فى المنطقة الممتدة من برج القديس بطرس الى ميناء الاغربة ، المعروف باسم الماندراكى ، اضطر السيد الكبير جان لاستيك ، الى أن يصدر الامر بالهجوم على المعسكر المملوكى المصرى الذى تسببت مدافعه فى احداث هذه التصدعات ، وهو المعسكر الواقع حول كنيسة القديس أنطوان . وبناء على هذا الامر ، خرجت ، فى صبيحة يوم ٢٤ أغسطس ، عند شروق الشمس ، جميع قوات الاسبتارية التى أمكن حشدها فى برج القديس نقولا — ومن ضمنها مجموعة المقاتلين البرغنديين والقطالونيين التى تصادف وجودها فى رودس ، عند وقوع هذه المدينة تحت الحصار المملوكى ، وعززها السيد الكبير جان لاستيك حامية برج القديس نقولا — خرجت من بوابتى القديس بطرس والقديس نقولا بهدوء ، وبغتت المعسكر المملوكى فقتلت معظم أفراده ، بحيث لم ينج من القتل منهم سوى قلة ألقت بنفسها فى ماء البحر والتقطتها السفن المصرية .(٣)

---

(١) أنظر : Farochon, P.108

(٢) أنظر : Farochon: Loc. Cit.

وجاء فى (Hammer III, P.275) بأن الحصار دام اثنى وأربعين يوما .

أما (Vertot II, P.424) ، (Biliotti, P.216)

فقد ذكرا بأنه دام أربعين يوما .

(٣) أنظر : De Belabre, P.28

وقد أشار كل من السخاوى (التبر المسبوك ص ٨٨ — ٨٩) ، وأبى المحاسن (النجوم الزاهرة ح ٧ طبعة كاليفورنيا ص ١٣٥ — ١٣٦) الى هذا الحادث . وبمقتضى رواية أبى المحاسن قتل فى هذا الحادث اكثر من عشرين نفسا .

وفى نحو ذلك الوقت حاول اسطول الاسبتارية (١) بقت السفن المصرية فى البحر أمـــام الميناء ، غير أن محاولته باءت بالفشل بسبب يقظة الامير يلخجا (٢) الذى عينه جقمق قائـــدا للاسطول بعد أن طلب تمربای اعفاءه من القيام بهذه المهمة عندما همت الحملة بالخـــروج من مصر • (٣)

على أن حادث مذبحة كنيسة القديس أنطوان ، قد أثر تأثيرا ذ سيئا فى نفوس المماليك • ثم ان المماليك أصابهم الوهن بسبب عجزهم عن اقتحام أسوار المدينة أو النيل منهـــا بعد الهجوم ، وبسبب كثرة من أصيب منهم نتيجة القصف العنيف الذى تعرضوا له فى سفنهـــم

---

(١) بمقتضى رواية فاريشون ص ١٠٩ فان سجلات الاسبتارية أشارت الى أن أسطول الاسبتارية كان معدا للمعركة اعدادا جيدا ، وأن سبع سفن ، على الاقل ، قد انضمت اليه مـــن الخارج بحيث قدم كل من حاكم جزيرة لانجو ، فالتينو كيريني ، وقائد حصن لندوس ، الواقع على الساحل الشرقى لجزيرة رودس ، والصقلى أنجلودى ليونى Angelo de leone والبروفنسالى حنا كافايون J. de Cavaillon والكتلانيان ، يعقوب دى فيلاراجوت Jacques de Vilaragut وجراسيان دى مونسيرات gracian de monserrat والفرنسى جود فروى ليرمان Godefroy lerment ، والميورقى فردينانـــد برتران Hernando Bertran واحدة من هذه السفن السبع • وقد أفـــاد دكتور احمد دراج (المماليك والفرنج ص ٥٨) بأن السلطان جقمق بعد حملة ١٤٤٤ صب انتقامه على تجار الكتلان بالاسكندرية بسبب اشتراك سفنهم فى الدفاع عن رودس ضد هذه الحملة • وجاء فى نفس المرجع (ص ٧٤) أن دوق برغنديه ، فيليب الطيـــب ، أرسل خطابا الى ملك فرنسا ، شارل السابع ، فى مايو عام ١٤٥٢ ، على يد أسقف مدينة شالون ، جاء فيه أن سفن برغنديه قامت بدور فى احباط حملة عام ١٤٤٤ المملوكيـــة على رودس •

(٢) السخاوى : التبر المسبوك ص ٨٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٧ (طبعـــة كاليفورنيا) ص ١٣٤ •

(٣) السيوطى : غزوات قبرص ورودس ص ١٥

من مدافع أبراج الميناء وبخاصة برج القديس نقولا • وعندما ساءت أحوال الحملة كتب الواعظ السيد نور الدين على الكردى المعروف بالقصيرى ، وكان مصاحبا للحملة ، الى السلطان جقمق يشرح له الموقف ، فأرسل السلطان اليهم مددا مؤلفا من أربعمائه أو خمسمائه من المماليك ، بقيادة الامير شاد بك ، رأس نوبة • ولكن قبل أن يصل المدد الى رودس ، كانت الحملة قد رفعت الحصار عنها ، بعد أن يئست من احراز النصر وأوشك موسم الصيف على الانتهاء ، ورجعت إلى الاسكندرية ودمياط ، ثم الى بولاق ، وتلتها بعد ذلك بقليل الفرقة التى كانت قد أرسلت مددا للحملة • وقد عرف أن الحملة الثالثة على رودس تكبدت خسائر فادحة فى الارواح بلغت أكثر من ثلثمائة قتيل وأكثر من خمسمائة جريح ، بخلاف من لجأ من المماليك الى معسكر الاسبتارية حيث اعتنقوا الدين المسيحى ، ومنهم بهادر الترجمان (١) الذى عرف أنه رجع ، بعد ارتداده ، الى اسمه القديم ، أنطوان ، الذى كان يحمله قبل أن يدخل فى خدمة المماليك ، وأنه حارب فى صفوف الاسبتارية بنفس الشجاعة التى حارب بها ضدهم قبل لجوئه الى معسكرهم ، فلما رفع الحصار عن رودس عين له السيد الكبير ، جنا لاستيك ، معاشا سنويا مقداره مائه وخمسون فلورنتيا ، يدفع له على حساب شحنة الاسبتارية فى مسينا بجزيرة صقلية (٢) •

وبهما يكن من أمر وقائع الحملة المملوكية الثالثة على رودس ، فقد انتهت _ شأنها شأن الحملتين الاولى والثانية _ الى فشل • وما أن عادت هذه الحملة الى مصر حتى بعث السيد الكبير ، جنا لاستيك ، بابن أخيه وليم لاستيك ، فى رحلة الى الغرب ليبنى ، البابا يوجين الرابع ، وحكام أوربا ، بنصر الاسبتارية على المماليك ، ويطلب منهم ارسال النجدات لصد محاولة مملوكية أخرى متوقعة ضد رودس (٣) • ونتيجة لسعى وليم لاستيك وتعزيزا له ،

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك ص ٨٩
العينى : عقد الجمان حـ ٢٨ ص ٤٧٢ _ ٤٧٣
السيوطى : غزوات قبرص ورودس ص ١٦

(٢) أنظر : Farochon, P.109

(٣) أنظر : Vertot II, PP. 424 -245 ; Biliotti, P.216

أصدر البابا يوجين الرابع ، في ٢٨ ديسمبر عام ١٤٤٤ ، منشورا بابويا أشاد فيه ببسالة الاسبتارية في الدفاع عن جزيرة رودس ، وحث ملوك وأمراء أوربا على عدم حجب جيوشهم عن مساعدة هذه الجزيرة ، لأن سقوطها في يد المسلمين ، في رأيه ، سوف يفتح الطريق أمام هؤلاء المسلمين لغزو المسيحية حتى ايطاليا ، وختم البابا منشوره بأن أعلن عن عزمه على ارسال أسطول انقاذ الى جزيرة رودس ويتم اعداده على حساب البابوية (١) .

على أن السيد الكبير ، حنا لاستيك ، لم يلبث ، في صيف عام ١٤٤٥ ، أن تلقى من ابن أخيه ، وليم لاستيك ، أنباء بفشل مهمته في أوربا ، بسبب انشغال ملوكها وأمرائها في منازعاتهم الداخلية القائمة فيما بينهم ، فضلا عن ضعف الروح الصليبية ، على وجه العموم ، لدى هؤلاء الملوك والامراء ، وانتهى وليم لاستيك بأن نصح عمه بأن ترتب هيئة الاسبتارية أمورها على قاعدة أن تعتمد اعتمادا كليا على قواتها الخاصة (٢) . ومن ناحية أخرى قدم البابا يوجين الرابع نصائحه للاسبتارية بأن يتولوا بأنفسهم تسوية أمورهم مع سلطان مصر (٣) .

وكان أن وسط السيد الكبير ، حنا لاستيك ، التاجر الفرنسي ، صاحب الشهرة العالمية ، چاك كير Jacques Coeur ، لمفاوضة السلطان چقمق — الذى تربطه بهذا التاجر صلات طيبة — في أمر الصلح . وبعد أن استأذن چاك كير ، الملك الفرنسي شارل السابع ، أرسل أحد عماله الى السلطان چقمق ، صحبة قاصد اسبتاري فلورنسي الاصل ، اسمه برنارد وسالفياتي Bernardo Salviati ، فتم على يديهما عقد الصلح معه (عام ١٤٤٥) ، ومن ثم رجع القاصد الاسبتاري الى رودس صحبة عدد كبير من الاسرى والعبيد المسيحيين دفعهم اليه چقمق عربونا للصداقة (٤) . وقد أصدر السيد

(١) أنظر : Farochon, P.109

(٢) أنظر : Vertot II, PP.425 -426; Biliotti, P.216

(٣) أنظر : Ziada:, P.201

(٤) أنظر : Vertot II, PP.426 -427; Biliotti, PP.216-217

Lane -Poole: A Hist. of Egypt in the middle Ages, P.339

وبخصوص اسم القاصد الاسبتاري ارجع الى : Pauli II, P.129, num. CIX.

الكبير ، حنا لاستيك ، فى ٨ فبراير عام ١٤٤٦ أمرا الى مقدم شعبة الاسبتارية فى سان جيل ، وصراف طائفة بروفانس ، وهى احدى الطوائف التى تتألف منها هيئة الاسبتارية ، بأن يسددا للتاجر الفرنسى جاك كير جميع المبالغ التى تكلفها بسبب قيامه بالوساطة (١) • أما القاصد الاسبتارى ، برناردو سالفياتى ، فقد كافأه حنا لاستيك ، على ما قام به من مجهود فى الدفاع عن رودس أثناء وقوعها تحت الحصار المملوكى ، وفى التفاوض مع السلطان جقمق ، بعد رفع هذا الحصار ، الى أن حصل منه على صلح مشرف لهيئة الاسبتارية ، بأن سمح له — فى وثيقة خاصة أصدرها حنا لاستيك ، فى ٤ نوفمبر عام ١٤٤٨ ، بأن يضم أسلحة (شارات) السيد الكبير لهيئة الاسبتارية الى مجموعة الاسلحة الخاصة بعائلته الفلورنسية (٢) •

أما عن العلاقات بين الاسبتارية وسلطنة المماليك الجراكسة ، فقد خيم عليها الهدوء ، بفضل صلح عام ١٤٤٥ ، الى أن اعترى هذه العلاقات التوتر — من جديد — فى عام ١٤٦٠ ، بسبب تأييد الاسبتارية للاميرة القبرصية شارلوت لوزجنان — وهى ابنة الملك حنا الثانى ، الذى توفى فى عام ١٤٥٨ ، وصاحبة الحق الشرعى فى وراثته — فى صراعها على عرش جزيرة قبرص ، ضد أخيها يعقوب لوزجنان — وهو ابن غير شرعى للملك حنا الثانى وأصغر من شارلوت — الذى وصل الى القاهرة (٣) ، فى عام ١٤٥٩ واستنصر المماليك فناصروه •

---

(١) أنظر : Vertot II, P.427 ; Biliotti, P.417

لقد حصل جاك كير ، من وراء هذه الوساطة ، على قاعدة لوطنه فرنسا • ولذلك أنه ، فى عام ١٤٤٧ ، زار القاهرة صحبة أسلحة فاخرة من النوع الذى تشمليه التحريمات البابوية ، فاستقبله السلطان جقمق استقبالا حافلا ، ورد له الجميل بأن اتفق معه على أن يلقى التجار الفرنسيون معاملة خاصة فى بلاد السلطان ، وزوده بهدايا ثمينة للملك الفرنسى شارل السابع ، تشتمل على بلسم فاخر ، وخزف صينى ، وزنجبيل أخضر ، وسكر ، ولوز وشهد — De La Ronciere II , P.280

(٢) أنظر : Pauli II, P.L29, num. ClX

(٣) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٢٣

وذلك أنه فى عام ١٤٦٠ أرسل السيد الكبير للاسبتارية ، الحاكم آنذاك فى رودس ، وهو يعقوب دى ميلى (١٤٥٤ــ ١٤٦١) ، خليفة حنا لاستيك ، سفيرا الى القاهرة ، اسمه حنا دلفن ، لتحزيز مركز سفير قبرص ، اسمه بطرس بود وكاتارو (P.Podocataro أرسلته الى القاهرة ، الملكة الشرعية شارلوت ، وزوجها لويس أمير سافوى ، للحصول على اعتراف السلطان المملوكى الحاكم وقتذاك ، وهو السلطان اينال ، بحكومتهما فى قبرص ، ولمحاولة اثنائه عن منح تأييده العسكرى للدعى يعقوب لوزينان ، أخى شارلوت . وكان على السفير الاسبتارى دلفن ــ بمقتضى التعليمات التى سلمها السيد الكبير للاسبتارية اليه ــ أن يتصل ، فور وصوله الى القاهرة ، بالمدعو وليم جونيم Goneme ، مستشار الدعى يعقوب وبشخص آخر من حاشية الدعى اسمه جانوتسو سالفياتى Giannozzo salviati للتعرف منهما على مخططات ، أو نوايا ، الدعى فينسق خطواته على هديها ، وعليه أيضا أن يحث السلطان بقوة على أن ينتهج سياسة من شأنها المحافظة على السلام فى جزيرة قبرص، فاذا وجد بأن ميول السلطان تتجه الى السلام ، فان على السفير الاسبتارى أن يحث سفير شارلوت على التعجيل الى التفاهم مع السلطان ، أما اذا اتضح له ــ أى للسفير الاسبتارى ــ بأن السلطان عازم على ارسال الدعى يعقوب لوزينان الى قبرص ، واعطائه عرش أخته شارلوت بالقوة ، عليه ، فى هذه الحالة ، أن يطلب من السلطان أمانا من أجل أملاك الاسبتارية فى جزيرة قبرص .(١) وقد عرف عن سفير الاسبتارية ، حنا دلفن ، عند وصوله الى القاهرة ، أنه صدق ، لدى السلطان اينال ، على عرض قدمه مبعوث شارلوت وزوجها لويس ، مضمونه أنه اذا اعترف السلطان بلويس ملكا على قبرص ، يرفع لويس الجزية المقررة على الجزيرة من خمسة آلاف الى عشرة آلاف دوكات ، ويرتب مثلها معاشا ليعقوب لوزينان ، فضلا عن مبلغ ثلاثين ألف دوكا تدفع للسلطان لتظير مساعدته وتأييده . كما أن دلفن حاول أن يكسب تأييد السلطان ــ من ناحية أخرى ــ عن طريق التهديد بالعقاب من جانب أوربا ، التى أكد له بأنها سوف لن تتخلى عن لويس وزوجته شارلوت .(٢) ولا يستبعد أن

---

(١) أنظر : Mas - Latrie III, PP. 96-99.

(٢) أنظر : Hill III, P.556.

يكون لتدخل سفير الاسبتارية أثر عندما غير السلطان رأيه بحيث أصبح يميل الى تأييد شارلوت وزوجها ، بعد أن كان قبلا يؤيد الدعى يعقوب (١) . غير أن تدخل معظم المماليك الأجلاب — الذين استمالهم يعقوب عن طريق أحمد ، ابن السلطان ، وبعض الوزراء — (٢) وربما أيضا تدخل السلطان العثمانى محمد الثانى — الذى قيل بأنه أرسل خطابا لاينال يطلب فيه منه أن يؤيد يعقوب — (٣) أدى فى النهاية الى أن يعود اينال الى تأييد يعقوب (٤) . كما أن اينال ومماليكه قبضوا على جميع سفراء شارلوت وزوجها لويس ، ودفعوا بهم الى يد يعقوب ، فاقتادهم معه الى قبرص التى وصل اليها ، فى ١٨ سبتمبر عام ١٤٦٠ ، فى حمى أسطول مملوكى يتألف من ثمانين سفينة مختلفة الانواع والاحجام (٥) ، وقوة عسكرية قوامها أكثر من خمسمائة مملوك — خلا المتطوعين — بقيادة الأمير يونس الأقباشى (٦) . أما سفير الاسبتارية حنا دلفن فقد احتجز سجينا فى مصر الى أن توفى بها (٧) . وقد رد الاسبتارية على أسر دلفن بالقبض على ثلاثة تجار مسلمين أغنياء ، تصادف وجودهم آنذاك فى رودس ، ووضع اليد على سفنهم (٨) . غير أن الاسبتارية ، مع ذلك ، أرادوا أن يضمنوا سلامة أملاكهم فى قبرص ، ومن ثم أرسل السيد الكبير يعقوب دى ميللى ، فى ١٨ أكتوبر عام ١٤٦٠ ، أى بعد شهر من وصول يعقوب

(١) تكلم أبو المحاسن (النجوم الزاهرة جـ ٧ طبعة كاليفورنيا ص ٥٣٧) عن وصول وفد الى القاهرة " من ملوك الفرنج وأهل قبرص " ، وأن القادمين الفرنج على قسمين ، فرقة تسأل ابقاء ملكة قبرص على المملكة ، وفرقة تسأل عزلها وتولية أخيها جاكم . غير أن أبا المحاسن لم يذكر شيئا عن وصول سفير الاسبتارية ضمن هذا الوفد .

(٢) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٢٣ — ١٢٤

(٣) أنظر : Biliotti, PP. 226 - 227

(٤) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٢٤

(٥) أنظر : Hill III, PP. 556 -557

(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٧ طبعة كاليفورنيا ص ٥٤٨ — ٥٤٩ ودكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٢٤

(٧) أنظر : Hill III, P.557 - note 1; Biliotti, P.227

(٨) أنظر : Hill III, P.557 note 1

لوزجنان الى قبرص ، بخطاب الى نائب قائد قلعة الاسبتارية في كولوس بقبرص ، وهو وليم دى كومبورت G. de Combort ، تقضى منه بعدم تسليم قلعته ليعقوب أو لمقدم الفرقة المملوكية التي تحمى يعقوب في قبرص ، اذا طلب منه أحدهما تسليمها له ، مع افهامهما بأن السلطان اينال أعطى وعدا بالأمان لسفير الاسبتارية في القاهرة ، حنا دلفن ، لصالح أملاك الاسبتارية في جزيرة قبرص . (١) ومن ناحية أخرى حرر السيد الكبير للاسبتارية ، في نفس اليوم — ١٨ أكتوبر ١٤٦٠ — رسالة باللغة العربية الى مقدم القوة المملوكية في قبرص ، طلب فيها منه أن يراعى في تصرفاته وعد السلطان للسفير دلفن بالأمان لأملاك الاسبتارية في قبرص . وأوصى السيد الكبير حامل هذه الرسالة للأمير المملوكي أن يبلغه بأن هيئة الاسبتارية ، اذا كانت توازر لويس زوج شارلوت ، فهي مضطرة الى ذلك خوفا على أملاكها في بلاده سافوى ، وفى دول أوربا الأخرى المؤيدة له . (٢)

على أن الاسبتارية كانوا — بالرغم من ذلك — يشعرون بأن السلطان سوف لن يتركهم من غير عقاب على تدخلهم ضد سياسته في قبرص ، وعلى تجروئهم على أسر التجار المسلمين الثلاثة في رودس . ويتضح من رسالة كتبها السيد الكبير ، يعقوب دى ميللى ، في ٦ نوفمبر سنة ١٤٦٠ ، الى مقدمى شعب الاسبتارية في أوربا ، بأن الاسبتارية كانوا يتوقعون أن يهاجم السلطان جزيرتهم رودس في فصل الربيع من العام التالي — أى في عام ١٤٦١ . (٣) فلما حل هذا الفصل والصرم ، رأى يعقوب دى ميللى أن يستوثق من السلطنة المملوكية ، وبخاصة أن السلطان اينال توفى في ٢٦ فبراير عام ١٤٦١ ، وحل

---

(١) أنظر : Mas-Latrie III, PP.107-108

(٢) أنظر : Ibid: Op. Cit., T.III, P.106 n.3.

(٣) أنظر : Hill III, PP. 569-570

وقد نشر ماس لاترى (Mas-Latrie III, PP.108-113) الرسالة الموجهة الى قسطلان أمبوستا .

محله سلطان آخر ، هو ابنه الملك المؤيد أحمد بن اينال [(١)] . وكان أن كلف السيد الكبير للاسبتارية فى ٢٢ يونية عام ١٤٦١ ، تاجرا قطالونيا اسمه بارثولميو باريت Barthelemy de Farete بأن يتوجه الى مدينة الاسكندرية حيث يسلم خطابات ، زوده بها ، للسفير الاسبتاري ، حنا دلفن ، المحتجز فى هذه المدينة ، ثم يرحل عنها الى القاهرة فيقدم للسلطان احتجاجا على أسر دلفن وسوء معاملته بالرغم من كونه سفيرا ، واذا رأى بأن الظرف مناسب يدعو السلطان الى اعادة شارلوت الى كرسى المملكة فى قبرص [(٢)] . غير أن هذه السفارة قد فشلت ، ولا شك ، فى الوصول الى أى تفاهم مع السلطان المملوكى الذى تفاوض معه التاجر القطالونى ، وهو السلطان خشقدم (١٤٦١ ــ ١٤٦٧) ، الذى تولى بعد احمد بن اينال فى ٢٦ يونية ١٤٦١ [(٣)] . ودلائل فشلها ، ليس فقط أن دلفن ظل حتى وفاته فى سجنه بالاسكندرية ، وأن السلطنة المملوكية ظلت على تأييدها ليعقوب لوزجنان ، وهما موضوعا السفارة ، ولكن أيضا أن الاسبتارية انتهزوا فرصة جنوح سفينتين بندقيتين الى ميناء رودس ، مضطرتين بسبب العواصف ، فى عام ١٤٦٤ ، فاستولوا على شحنتهما من بضائع لمسلمين من رعايا خشقدم ، وأسروا أصحاب هذه البضائع [(٤)] ، وعندما رد السلطان عليهم ، فى نفس العام ــ أى فى عام ١٤٦٤ ــ بتخريب أملاكهم فى قبرص [(٥)] ، انتقموا بأسر ثلاث سفن محملة ببضائع ، قيمتها زهاء مائة ألف دينار ، مملوكة لتجار مراكشيين ، كانت مارة بجوار سواحل جزيرتهم وهى فى الطريق من الاسكندرية الى مراكش (صيف عام ١٤٦٤) [(٦)] .

---

(١) أنظر : Wiet: L(Egypte Arabe, P.586

(٢) أنظر : Mas - Latrie III, P.86

(٣) أنظر : Wiet: OP. Cit., P.588

(٤) أنظر : Hill III, PP. 592 -593 ; Biliotti, PP. 228-230

(٥) أنظر : Hill III, P.569 note 2

(٦) أنظر : Ziada, P.202.

وفي الحقيقة ، لم يحاول الاسبتارية ، منذ ذلك الحين ، أن يحسنوا علاقاتهم المتأزمة مع القاهرة ، الا بعد أن هدد السلطان العثماني محمد الثاني (١٤٥١ ـ ١٤٨١) بفتح جزيرتهم رودس ، وسائر جزر بحر ايجه الخاضعة لهم . وقد رأى السيد الكبير الحاكم في رودس وقتذاك ، وهو بطرس دوبيسون (١٤٧٦ ـ ١٥٠٣) ، أن يبذل محاولة دبلوماسية من شأنها عزل محمد الثاني عن دولة المماليك الجراكسة في مصر ، ودولة بني حفص في تونس ـ وهما الدولتان الاسلاميتان الكبيرتان اللتان من المحتمل أن تمنحا تأييدهما للسلطان العثماني محمد الثاني ـ عن طريق عقد معاهدة سلم وتجارة مع كل منهما ، علما بأن آخر معاهدة عقدت مع المماليك يرجع تاريخها الى عام ١٤٤٥ ، ولم يسبق للاسبتارية عقد معاهدات مع بني حفص .

ولم ينظر المماليك الجراكسة ، بعين الارتياح الى فتوحات السلطان العثماني ، محمد الثاني ، في آسيا الصغرى ، على حدود دولتهم في الشمال ، بل كانوا ينظرون الى هذه الفتوحات بعين الحسد والخوف في آن واحد ، وبخاصة لأن محمد الثاني استولى في عام ١٤٧١ على محميتهم امارة قرمان [1] ، وفي عام ١٤٧٢ على صد يقتهم امارة العلايا [2] ، ولأنه كان دائم التدخل في شئون محميتهم الاخرى ، دلغادر ، ويشجع أمراءها على الخروج عن طاعة المماليك [3] ، وهذه كلها أمور تشكل خطرا على المماليك أشد من خطر القرصنة التي يمارسها الاسبتارية على سفنهم في عرض البحر .

وكان أن استجاب السلطان المملوكي الأشرف قايتباي (١٤٦٨ ـ ١٤٩٦) ، لمسعى السيد الكبير ، دوبيسون ، فأرسل الى رودس قاصدا مملوكيا عقد ، في عام ١٤٧٧ ، معاهدة مع دوبيسون . وتقرر في هذه المعاهدة أن يكون لتجار وتجارة أي من الطرفين المتعاهدين ،

---

(١) دكتور محمد مصطفى صفوت : السلطان محمد الفاتح ص ١٥٦

(٢) أنظر :

Gibbons: The Foundation, P.285; Hill III, P.623

(٣) دكتور ابراهيم علي طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٢٦ ـ ١٣٤

حرية التنقل الآمن فى موانى وأسواق الطرف الآخر - وتعهد الاسبتارية ، فيها ، بعدم السماح لرعاياهم بتسليح السفن ، فى ميناء رودس ، وفى غيره من الموانى الخاضعة لهم ، من أجل الحاق الأذى بالمسلمين من رعايا سلطان مصر ، وبعدم السماح لرجالهم بمد يد المساعدة ، بالجند أو البحارة أو المرشدين الى القراصنة الأجانب العاملين ضد السلطان ورعاياه . وتعهد قايتباى ، فى مقابل ذلك ، بعدم توجيه أى أعمال عدوانيه ضد دولة الاسبتارية ، وباستقبال سفنهم ، استقبالا حسنا ، فى جميع ثغور الدولة المملوكية ، فاذا احتاجت احدى هذه السفن الى تموين أو تصليح سدت لها حاجتها ، واذا كانت هذه السفينة قد جاءت لاجئة ، بسبب مطاردة عدولها ، وفرت لها الحماية ، واذا كانت قد جاءت جانحة قدمت لها الاغاثة . ووافق قايتباى أيضا ، فى هذه المعاهدة ، على أن يحتفظ السيد الكبير للاسبتارية بقنصل فى مصر ، وأن يسمح لتجار رودس بفندق خاص مستقل بهم فى مدينة الاسكندرية ، وأن تكون مدينة القاهرة مفتوحة دائما لهؤلاء التجار . ووافق أيضا على الا يؤخذ على بضائع الاسبتارية ، فى موانى دولته ، سوى الرسوم الجمركية المعتادة ، على أن يعفى النبيذ ، الذى يحضره تجارهم معهم لاستعمالهم الخاص ، من هذه الرسوم . كما وافق على عدم فرض أية أعباء مالية ، كرسم المرور مثلا ، على الاسبتارية ، أو رعاياهم ، الذين يفدون لغرض الحج الى دير القديسة كاترينا بسيناء أو الى سائر الأماكن المقدسة فى فلسطين . واتفق أخيرا ، فى هذه المعاهدة على أن تتم عملية تبادل الأسرى ، بين الطرفين المتعاهدين ، على قاعدة المساواة العددية ، أى أسير مسلم مقابل أسير مسيحى ، وذلك بخلاف العادة التى كان الجانب المملوكى يتمسك بها ، من قبل ، وهى أن يطلق سراح أكبر عدد ممكن من الأسرى المسلمين مقابل اطلاق أقل عدد من الأسرى المسيحيين .(١)

---

(١) أنظر :

Bouhours, PP. 50-51; Flandin, PP.199-200

هذه هي أهم بنود معاهدة عام ١٤٧٧ بين الاسبتارية والمماليك . على أن هذه المعاهدة نقضت بعد أربع سنوات فقط من عقدها ، أي في عام ١٤٨١ ، بسبب اغارة سفن الاسبتارية ، في ذلك العام ، على بعض موانى مصر والشام ، ردا — بحسب ادعائهم — على اعتداءات قراصنة قايتباى على بعض سفنهم وجزرهم في بحر ايجه (١) ، ثم انتقام قايتباى لهذه الاغارة بأسر رعايا الاسبتارية من التجار الذين وجدهم في مدينة الاسكندرية وغيرها من المدن المملوكية (٢) .

وقد حدث في نفس العام — أي في عام ١٤٨١ — أن توفى السلطان العثماني محمد الثاني ، وخلفه ابنه بايزيد (٣) ، الذي فوجئ بخروج أخيه چم عليه ، ولجوء هذا الاخ ، في عام ١٤٨٢ ، الى جزيرة رودس ، مما اضطر بايزيد الثاني الى عقد صلات ود وصداقة مع السيد الكبير للاسبتارية ، بطرس د وبيسون ، حتى لا يسلم الاسبتارية الأمير چم الى أحد أعداء الدولة العثمانية المسيحيين ، وعلى رأسهم ملك هنغاريا المدعو ماثياس كورفن Mathias Corvin ، فيستخدمه ضد بايزيد (٥) .

وكان أن أثار هذا التقارب ، بين الاسبتارية والسلطان بايزيد الثاني ، القلق لدى السلطان المملوكي قايتباى — الذي كانت علاقاته متأزمة مع الطرفين — (٦) ودفع به الى التفكير في تحسين علاقته مع السيد الكبير للاسبتارية ، بطرس د وبيسون ، لكي يأمن شره أثناء صراعه مع بايزيد الثاني ، من ناحية ، ويحاول اغراءه على أن يسلم چم اليه فيستخدمه ضد بايزيد الثاني ، من ناحية أخرى .

---

(١) أنظر : Bouhours, P.115

(٢) أنظر : Ibid: OP. Cit. PP., 147 -148

(٣) أنظر : Thuasne , P.18

(٤) أنظر : Ibid, OP.Cit., PP. 31-34

(٥) أنظر : Ibid: Op. Cit, PP. 82 -84 , 94 -95

(٦) أنظر : Ibid: Op. Cit., P.120 ; Bouhours P. 147

وقد أرسل قايتباى الى جزيرة رودس، فى عام ١٤٨٤ ، سفيرا مملوكيا ، اسمه دوان أغا Duan Aga ، جدد مع دوبيسون صلح عام ١٤٧٧ (١) . وفى الرابع والعشرين من شهر مايو من العام التالى - أى فى عام ١٤٨٥ - وصل الى رودس سفير مملوكى آخر من لدن قايتباى ، طلب من بطرس دوبيسون أن يسلمه چم . وقد وعد دوبيسون سفير قايتباى بارسال قاصد اسبتارى الى القاهرة ، فى أقرب وقت ، للوصول مع قايتباى الى اتفاق فى هذا الامر . وكان دوبيسون ، وقتذاك ، ينتظر عودة سفيرين من كبار الاسبتارية ، أحدهما التركبلى قائد الخيالة حنا كندال J. Kendal والآخر سكرتير عام هيئة الاسبتارية وليم كاأورسين ، كان قد أرسلهما الى ايطاليا ، قبل شهور قليلة ، للتفاهم مع البابا أنوسنت الثامن (١٤٨٤ - ١٤٩٢) بشأن مصير چم . وقد عاد السفيران الى رودس فى ٢١ يولية عام ١٤٨٥ ، وأخبرا دوبيسون بأن كلا من البابا ، أنوسنت الثامن ، وملك نابلى ، فرديناند الاول ، طلب الامير چم لنفسه . ومن ثم كان رد دوبيسون على السلطان المملوكى قايتباى بأنه ليس فى مقدوره أن يسلم چم اليه ، لأن البابا - الذى لا يستطيع دوبيسون أن يرفض له طلبا بحكم كونه رئيسا أعلى لهيئة الاسبتارية ، التى يتولى فيها دوبيسون منصب السيد الكبير الخاضع لأوامر البابا - طلب الأمير چم لنفسه (٢) .

وكان أن انتهز قايتباى فرصة ارسال سفير له ، فى أواخر عام ١٤٨٧ ، الى جمهورية فلورنسا ، من أجل عقد معاهدة تجارية جديدة مع هذه الجمهورية ، فكلفه بأن يوسط رئيسها لورنزو ميدتشى ، لتبليغ البابا رسالة مضمونها أن قايتباى على استعداد لبذل مبلغ كبير من المال فى سبيل أن يسلم چم الى البابا ، لكى يدفع به ، الى ملك هنغاريا ، ماثياس كورڤن ، أو ملك نابلى ، فرديناند الاول ، أو جمهورية البندقية ، أو أى عدو آخر

---

(١) أنظر : Thuasne , P.120; Bouhours, P.149

(٢) أنظر : Thuasne , PP. 133-134 ; Bouhours , P.152

للسلطان العثماني بايزيد الثاني ، يستطيع أن يستخدم جم في منع بايزيد الثاني من أن يقوم بأي اعتداء على أي من الطرفين المسيحي الأوربي أو المملوكي (١) ، علما بأن السيد الكبير ، بطرس د ابيسون ، كان قد عقد بالفعل ، في ١٣ فبراير عام ١٤٨٦ ، عن طريق سفيريه في روما — وهما أمين الخزانة فيليب دي كلوي Ph. de Cluys والسكرتير العام وليم كاأورسين — اتفاقية مع وكلاء البابا ، نصت على شروط تسليم جم للبابا — التي اشتمل احداها على تصريح بابوي لرعايا هيئة الاسبتارية بالمتاجرة مع مصر والشام — ولكن تنفيذ هذه الاتفاقية كان متوقفا على أخذ موافقة ملك فرنسا ، شارل الثامن (١٤٨٣ — ١٤٩٨) ، الذي احتفظ الاسبتارية بالأمير جم سجينا في احدى بيوتهم بالدولة التي يحكمها هذا الملك ، فرنسا (٢) .

ولكن حدث في ربيع عام ١٤٨٨ أن تجمعت قوات بايزيد الثاني قرب أدنه ، واستولت على قلعة أياس . ومن ثم سير قايتباي حملة ، بقيادة أزبك بك ، أمير كبير ، لمحاربة هذه القوات . (٣) وأرسل ، في نفس الوقت ، سفيرا الى جزيرة رودس ، هو ريتشو دي مارينى Riccio de Marini ، أحد أشراف قبرص ، فطلب ، بمجرد وصوله الى مدينة رودس العاصمة ، في ١٠ يونية عام ١٤٨٨ ، من السيد الكبير ، بطرس د ابيسون ومن مجلس الاسبتارية ، أن تعقد رودس مع قايتباي محالفة ، وأن تسلم له الأمير جم ، لأن قايتباي يرى بأن ظهور هذا الامير العثماني على رأس القوات المملوكية سوف يؤثر في معنويات الجند العثمانيين بما يضمن النصر للمماليك . وقد رأى د ابيسون ، وأعضاء مجلس الاسبتارية ، بأنهم لا يستطيعون تلبية رغبة قايتباي من غير أن يثيروا عليهم غضب البابا ، الذي يريد جم لنفسه ، من ناحية ، ويعرضوا دولتهم في رودس لانتقام بايزيد الثاني ، من ناحية أخرى . غير أن السيد الكبير للاسبتارية وأعضاء مجلسه ، أرادوا ، في الوقت نفسه ، عدم اغضاب قايتباي ، وبث روح الأمل فيه ، لكي يواصل الحرب ضد

---

(١) أنظر : Thuasne , PP.174 -176

(٢) أنظر :

بايزيد الثانى الى أن يبعد أحدهما الآخر ، وهو ما يمثله الاسبتارية أولا وأخيرا بحكم روحهم الصليبية وطبيعتهم التعصبية ضد المسلمين • ومن ثم ردوا على سفير قايتباى بأنهم لا يستطيعون تلبية طلب سلطان المماليك فى مصر الا بعد أخذ موافقة البابا ، ووعدوه بأنهم سوف يكتبون للبابا فى هذا الشأن ، وأنهم سوف يزكون طلب قايتباى لديه (١) •

على أن المعركة بين قايتباى وبايزيد الثانى لم تنتظر نتيجة هذه المحاولة التى وعد دبيسون بأن يقوم بها مع البابا ، اذ أن أسطول بايزيد الثانى ، بقيادة أحمد باشا ، قريب بايزيد ، لم يلبث أن هاجم القوات المملوكية التى يقودها أزبك بك ، بمجرد وصول هذه القوات الى ناحية باب الملك (اللاذقية) ، ولكن " بمشيئة الله تعالى هب ريح عاصف ، فغرق غالب تلك المراكب فى البحر المالح ، والذى فر من البحر ، من العسكر العثمانى ، وطلع الى البر قتله العسكر المصرى ، وكانت النصرة لهم على العثمانية " (٢) • وكان أن تشجع أزبك بك ، فتقدم شمالا وهاجم فى ١٥ أغسطس سنة ١٤٨٨ (٩ رمضان ٨٩٣ هـ) القوات العثمانية المجتمعة بالقرب من مدينة أنطرسوس ، وانتصر عليها ، ثم طاردها الى مدينة أدنة ، التى ظل أزبك بك على حصارها الى أن ملكها بالأمان بعد أكثر من ثلاثة شهور (٣) • ولم يلبث دبيسون أن علم بنبأ انتصار الجيش المملوكى على جيش بايزيد الثانى ، عن طريق جواسيس الاسبتارية فى مدينة أدنة • كما أن السلطان المملوكى قايتباى أرسل اليه سفيرا أبلغه بنصره على العثمانيين ، وطلب منه رأيه ووساطته فيما يتعلق بسفارة مملوكية يبعث بها قايتباى الى البابا فى روما ، لمحاولة اقناعه بالموافقة على تسليم جم للسلطان قايتباى (٤) •

---

(١) أنظر : Thuasne , P.199; Bouhours , PP.157-158

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ٢ ص ٢٥٣ وأنظر أيضا : Bouhours, P.159

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ٢ ص ٢٥٤

(٤) أنظر : Bouhours, PP.159-160

وليس من المعروف رد السيد الكبير ، بطرس دوبسون ، على سفير السلطان قايتباى .٠ ولكن من الثابت أن قايتباى ، عندما علم بأن الأمير جم قد سلم بالفعل الى البابا ، ووصل الى مدينة روما ، فى ١٣ مارس سنة ١٣٨٩ ، (١) أرسل الى هذه المدينة - قبل ٨ مايو ١٤٨٩ - سفيرا مملوكيا عرض على البابا رغبته فى أن ينضم الى عصبة أوروبية ضد بايزيد الثانى . (٢) غير أن قايتباى لم يلبث أن أرسل الى البابا مرة أخرى - عن طريق ملك هنغاريا ، ماتياس كورفن - يعرض عليه أن يسلم له جم ، مقابل مبلغ ستمائة ألف قطعة ذهبية من العملة المعروفة باسم إيكوس ، يدفعها قايتباى للبابا ، بالاضافة الى مبلغ ستين ألف قطعة من نفس العملة تدفع للبابا باسم أم الأمير جم . (٣)

وكان أن عين البابا ، أنوسنت الثامن ، مندوبا بابويا ، اسمه فيليب كانوفى Philippe de Canovi ، وكلفه بأن يتوجه الى القاهرة للتفاوض مع السلطان قايتباى فى هذا الشأن . وتقضى التعليمات التى سلمها البابا للمندوب كانوفى ، بأن يتوجه أولا الى جزيرة رودس ليعطى السيد الكبير دوبسون علما بعرض قايتباى للبابا ، وليطلب منه ، باسم البابا ، بأن يفتح باب المفاوضات مع قايتباى حول هذا الأمر ، على ألا يعقد معه اتفاقا من غير أن يأخذ رأى البابا واذنه . وكان كانوفى مطالبا ، بمقتضى هذه التعليمات ، بأن يؤكد لدوبسون بأن البابا قد فهم من عرض قايتباى ، بأن هذا السلطان لا يقدم المبلغ المالى الكبير ، الذى تعهد بتقديمه ، لكى يصرف على المنافع الشخصية للبابا ، بل على تجهيز أسطول وحشد جيش من أجل الحرب ضد بايزيد الثانى . وطلب البابا أيضا من كانوفى ، فى هذه التعليمات ، بأن يتصل به لأخذ رأيه ، اذا تأخر دوبسون فى اعطائه التعليمات الخاصة ، وبدا أنه يريد أن يكسب وقتا ، أو اذا جاء فى هذه التعليمات ما يتعارض مع صالح وشرف البابا .. وجاء فى تعليمات البابا لنائبه كانوفى ، أخيرا ، بأن يتصل بالفارس الاسبتارى الذى يدير جزيرة لانجو الخاضعة لهيئة الاسبتارية ،

---

(١) أنظر : Thuasne , P.227; Bouhours, PP.162 -163

(٢) أنظر : Thuasne PP. 242 -243; Bouhours, P.163

(٣) أنظر : Thuasne , P.254

وهو قريب للبابا ، ويتصرف وفق ما يراه هذا الفارس مناسبا (١) .

على أن النائب البابوى ، فيليب كانوفى ، ما أن وصل الى القاهرة ، فى صيف عام ١٤٨٩ ، حتى صرح بأن السيد الكبير للاسبتارية ، بطرس د وبيسون ، لم يعد يملك سلطة التصرف فى مصير الأمير العثمانى جم ، وأن البابا أنوسنت الثامن أصبح يملك هذه السلطه وحده (٢) . وربما كان كانوفى قد اضطر الى أن يدلى بهذا التصريح عندما قيل له فى القاهرة بأن د وبيسون قد وعد بتسليم جم للسلطان قايتباى ، وأنه حصل من السلطان ، ومن والدة جم ، على مبلغ عشرين ألف دوكات من أجل أن يعد السفن اللازمة لنقل الأمير العثمانى الى القاهرة ، وهو حدث وقع منذ عام ١٤٨٣ وظل خافيا حتى تلك اللحظة (٣) . غير أن السيد الكبير ، بطرس د وبيسون ، غضب من التصريح الذى أدلى به كانوفى ، وعده خروجا على التعليمات المعطاه له ، واشتكى تصرفه للبابا (٤) . وعلى أى حال فان سفارة كانوفى الى القاهرة لم تسفر عن شئ ، لأن قايتباى ، فيما يعتقد ، لم يشأ أن يغامر بدفع المبلغ الكبير الذى وعد به البابا قبل أن يتأكد من وصول جم الى القاهرة ، أو على الأقل — قبل أن تتكون العصبة المسيحية القوية ، وتخرج جيوشها — التى كان من المقرر أن يصرف هذا المبلغ على اعدادها — لقتال بايزيد الثانى .

وقد عرف بأن قايتباى أرسل الى مدينة روما ، فى شهر نوفمبر أو شهر ديسمبر عام ١٤٩٠ ، قاصدا طالب بضرورة أن يرد اليه الاسبتارية مبلغ العشرين ألف دوكات التى حصل عليها د وبيسون من السلطان ، نصبا واحتيالا ، مقابل وعد زائف بتسليم جم اليه فى القاهرة . غير أن القاصد المملوكى اكتفى ، أخيرا ، باستلام مبلغ خمسة آلاف دوكات فقط ،

---

(١) أنظر : Thuasne , PP. 254 -255
نص التعليمات المعطاه للنائب البابوى كانوفى منشوره فى نفس المصدر ص ٤٢٧ ملحق رقم ١٣ .

(٢) أنظر : Thuasne , PP. 264-, 271; Bouhours, P.168

(٣) أنظر : Saad-ed-din, dans. J.A., (an .1826) , PP.161,167; Thuasne, , P.161; Lamartine: Hist. de la Turquie, vol.4, P.97

(٤) أنظر : Thuasne , PP. 264, 271; Bouhours , P.168

دفعها له جاى دى لانشفورت ، مقدم شعبة الاسبتارية فى أوڤرن ، خضوعا لأوامر البابا واستجابة لوساطة سفير عثمانى ، اسمه مصطفى بك ، تصادف وجوده ، وقتذاك ، فى روما ، (١) وكان ذلك خاتمة الاتصالات التى دارت بين دوبيسون وقايتباى فيما يتعلق بموضوع الأمير العثمانى جم .

على أن الهدوء ظل ، مع ذلك ، مخيما على العلاقات بين الاسبتارية فى رودس ودولة المماليك الجراكسة ، الى أن بدده الاسبتارية ، فى عام ١٥٠٦ ، باستيلائهم على أسطول مملوكى من سبع سفن فى مياه جزيرتهم الكبرى لانجو . وقد اتفقت آراء مؤرخى الاسبتارية على أن هذه السفن أرسلها سلطان مصر للاعتداء على جزيرة لانجو .(٢) غير أن الأرجح هو أنها كانت فى مهمة تجارية فى تركيا ، ربما لجلب بعض مواد بناء الاسطول وبعض الاسلحة لاستخدامها فى تجهيز عمارة كبرى ترسل لمحاربة البرتغاليين فى المياه الهندية ،(٣) ثم جنحت الى مياه لانجو ، أو وصلت اليها غازية بمقتضى فكرة طارئة لقائدها أثناء العودة من تركيا بدون أوامر مسبقة من السلطان الاشرف قانصوه الغورى (١٥٠١ — ١٥١٦) ، وذلك أنه لم يعرف عن الاسبتارية أنهم أتوا فى ذلك العام (١٥٠٦) ، أو العام الذى قبله ، عملا عدوانيا يستحقون عليه الانتقام من جانب السلطان قانصوه الغورى ، بل من الثابت أنهم كانوا فى خلال هذه المدة — أى فى عام ١٥٠٥ وأوائل عام ١٥٠٦ — مشغولين بالدفاع عن جزيرتهم رودس ، والجزر الأخرى الخاضعة لها فى بحر ايجه ، ضد هجمات مجاهد تركى

---

(١) أنظر : Thuasne , P.281; Hammer III, PP. 267-268
وعن السفير العثمانى مصطفى فقد وصل الى روما فى ٣٠ نوفمبر عام ١٤٩٠ —
أنظر :
Thuasne PP, 276 - 297.

(٢) أنظر : Biliotti, P.277; Farochon, P.156; Flandin, P.237

(٣) كانت العلاقات حسنة بين المماليك والعثمانيين فى الفترة الواقعة بين سنتى ١٤٩٢ ، ١٥١٥ — أنظر طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٧٣ — ١٧٥ . وفيما يثبت أن الغورى كان يشترى أخشابا وأسلحة من العثمانيين ، أنظر ابن اياس ح ٤ ص ١٩٦ (أحداث شهر رجب عام ٩١٦ هـ / اكتوبر ١٥١٠) . هذا وقد أفاد فاروشون (ص ١٥٦) بأن الغورى حصل فى نحو ذلك الوقت على اذن من بايزيد الثانى بأن يتزود بالاخشاب من قيليقيه لبناء اسطول يوجه ضد البرتغاليين .

كمال أوكمالي ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، لم يكن السلطان قانصوه الغوري ، وقتذاك ، في حالة تسمح له بارسال حملات عدوانية ضد الاسبتارية ، فقد شغل عن ذلك باعداد " ثلاث تجاريد ، واحدة الى مكة بسبب يحيى ابن سبع أمير ينبع ، وواحدة الى الكرك بسبب فساد عربان بني لام ، وواحدة الى الهند بسبب تعبث الفرنج بسواحل الهند " ، ذكرها المؤرخ المصري ابن اياس ، الذي عاصر تلك الأحداث ، من غير أن يذكر أن السلطان أرسل ، في ذلك العام ، تجريدة رابعة الى أي جهة أخرى للغزو أو للانتقام .(١) (٢)

وعلى أي الأحوال ، فان هذا الغزو لم يثلج صدور الاسبتارية بقدر ما أثلجها استيلاؤهم بعد ذلك بقليل ، في نفس العام ، أي في عام ١٥٠٦ ، على السفينة المملوكية التجارية الكبرى المعروفة باسم المغربية (La mogharbine ou Mograbine) نسبة الى جهة انشائها في ورش تونس ببلاد المغرب . وكانت هذه البارجة ــ التي أطلق عليها العرب أيضا اسم ملكة البحار ، وعرفتها أوربا باسم القرقاطة الكبرى (La Grande Carraque) ، مبنية من خشب أشجار السنديان والأرز والتك ( ) ، وتتألف من سبعة طوابق ، منها خمسة طوابق ظاهرة فوق سطح الماء ، وطابقان أسفل هذا السطح ، ولها أربعة صواري ضخمة مستقيمة عدا صاري المقدم ودقة السفينة ، وحمولتها من النوتية حوالي ألف ومائتان ، يضاف اليهم ألف جندي للدفاع عنها بمدافعها المائة والعشرين . وقد تخصصت هذه البارجة في نقل التجارة الهندية من ميناء الاسكندرية الى كل من تونس واستانبول ، وكذا البندقية التي أقرت حياد البارجة في أوقات السلم والحرب بمقتضى قرار خاص صدر عن مجلس سناتو البندقية . وكان الاسبتارية يفكرون في الاستحواذ عليها منذ عهد رئيسهم ، بطرس دوبيسون (١٤٧٦ ــ ١٥٠٣) ، الذي وضع خططا لأسرها ، ثلاث مرات ، من غير

---

(١) فيما يتعلق بهذه الهجمات أنظر : Biliotti, PP. 275-277; Farochon, PP. 155-156

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٤ (تحقيق محمد مصطفى عام ١٩٦٠) ص ٨٢

أن يظفربها ،[1] الى أن أسرها الفارس الاسبتاري ، يعقوب دى جاستيلو ، آمر آمرية ليهيج ، التابعة لشعبة أكوينين ، فى عام ١٥٠٦ ، فى عهد السيد الكبير ، ايميرى دامبواز (١٥٠٣ ـ ١٥١٢) ، خليفة د هيسون. وكان جاستيلو قد تربص لهذه البارجة بغليونه عند سواحل جزيرة كريت ، وعندما شاهدها فاجأها بالضرب بالمدافع الى أن أعجزها عن الحركة ، ومن ثم اقترب منها بغليونه ، وقفز فيها ، يتبعه ثلاثون فارسا ومائة وعشرون بحارا ، تمكن بمساعدتهم من أسر السفينة واقتيادها الى رودس.[2] وقد

---

(١) أنظر : F arochon, PP. 155-157

والذى يلفت النظر أن المؤرخ المصرى ، ابن اياس ، الذى عاش عصر السلطان قانصوه الغورى لم يشر ، من قريب أو بعيد ، الى واقعة أسر هذه البارجة الذى عده الاسبتارية من مفاخرهم البارزة . وخمينا أن ابن اياس كان يعنى هذا الحادث بقوله ، عن أحداث شهر ذى القعدة عام ٩١١ هـ / مارس ـ أبريل ١٥٠٦ . " وفيه سافر تغرى بردى الترجمان الى بلاد الفرنج ، وأخذ معه كتاب البترك ، وكان قد تزايد عبث الفرنج بالسواحل وأخذ أموال التجار " (ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٩١) . ولم يذكر ابن اياس شيئا عن مهمة تغرى بردى ، فى بلاد الفرنج ، ولكنه أفاد بأن عودته كانت فى جمادى الاولى عام ٩١٣ هـ / سبتمبر ١٥٠٧ ، بعد غيبة دامت نحو عامين (نفس المرجع ص ١٢٠) ، وقال " لما توجه الى بلاد الفرنج اشترى من ملوك الفرنج عدة أسرى من المغاربة بنحو من خمسين ألف دينار " (نفس المرجع ص ١٦٤) ، مما يجعلنا نعتقد بأن من أهداف رحلته الى أوربا كان شراء حمولة البارجة المذكورة من رودس ، وربما كان هؤلاء الاسرى المغاربة الذين اشتراهم بعضا من بحارتها . هذا ويقول الدكتور احمد دراج فى كتابه " المماليك والفرنج " بأن السلطان الغورى اعتقد بأن الحادث وقع بتحريض من البندقية ، نظرا للخلاف القائم بينهم منذ العام الماضى بسبب اجبارهم على شراء البهار بالثمن المرتفع الذى حدده ، فقبض على قنصلهم وتجارهم بالاسكندرية ، فسارعت البندقية الى ارسال سفير بندقى الى القاهرة ولكنه توفى اثناء تفاوضه مع السلطان . وعندئذ أرسل الغورى الى البندقية ، فى ابريل ١٥٠٦ ، الامير تغرى بردى الذى مر فى طريقه اليها برودس ، واشترى عددا من الاسرى المغاربة ، هو كل ما توصل اليه مع الاسبتارية ، علما بأن الدكتور دراج أفاد بأن الحادث وقع عام ١٥٠٥ بخلاف مؤرخى الاسبتارية الذين اتفقوا على أنه وقع فى عام ١٥٠٦ ، كما أن الدكتور دراج لم يفدنا بأى شئ عن السفينة نفسها ـ أنظر : احمد دراج : المماليك والفرنج ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(٢) أنظر : Farochon, PP. 155-164; Biliotti, PP. 277-278; Flandin, p. 237

اتصل السلطان الغوري بالسيد الكبير ، داميواز ، عن طريق كبير التراجمة في مصر ، تغري بردي ، وحصل منه بصعوبة على الاذن بشراء ثلثي حمولة السفينة من البضائع بسعر أعلى من قيمتها لتسليمها لأصحابها في المواعيد التي ضمنها لهم ،(١) كما اشترى عددا من الأسرى المغاربة ، ربما من بحارة هذه السفينة ، بنحو من خمسين ألف دينار.(٢) أما البارجة نفسها ، فقد احتفظ بها الاسبتارية ضمن أسطولهم ، بعد أن أدخلوا تعديلات في بنائها بحيث أصبحت صالحة للحرب ، واشتهرت في أوربا باسم فرقاطة رودس الكبرى.(٣)

ومهما يكن من أمر البارجة المسماة بالمغربية ، فان أسرها لم يكن آخر اعتداء اسبتاري وقع على سفن المماليك في عهد السيد الكبير داميواز ، وذلك أنهم استولوا أيضا ، ربما في عام ١٥٠٧ ، أوفي عام ١٥٠٨ ، على ثلاث سفن مملوكية أخرى ، بعد اقلاعها من ميناء دمياط.(٤) وتخمينا بأن التجريدة التي ذكر ابن اياس(٥) بأن

---

(١) أنظر : Farochon, P. 166, note 1.

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور حـ٤ ص١٦٤

(٣) من التعديلات التي أدخلها الاسبتارية على السفينة ، أنهم هدموا أحد صواريها ، وقووا الصواري الباقية على النمط الجنوى ، وهدموا طابقين من طوابقها الخمسة العلوية ، وطابقا من الطابقين السفليين ، وخفضوا ارتفاع المقدمة والمؤخرة ، وحولوا عنابرها المخصصة للبضائع الى عنابر للنوم ، وأخرى للجند ، ومستشفى ، وقاعة صلاة ، وورشة حدادة ، وفرن ، وطاحونة ، ومخزن للسلاح من أجل خمسمائة مقاتل. يضاف الى ذلك أنهم أزالوا ما عليها من نقوش ، وطلوا دهاليز المؤخرة بأصص الزهور.
أنظر : Farochon, P.166; De La Roncière II, PP. 474-475

(٤) أنظر : Biliotti, P.278; Farochon, P.166
علما بأن أيا من المرجعين لم يحدد العام الذي وقع فيه الحادث ، واكتفى بالقول بأنه وقع بعد وقت قصير من حادث اسر السفينة المغربية.

(٥) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور حـ ٤ ص ١٢٩

بأن السلطان قانصوه الغوري قد عينها ، في شهر ذي القعدة عام ٩١٣هـ/مارس ١٥٠٨ ، " الى بلاد الفرنج ، وقد تزايد منهم الأذى والتعبث بالناس في البحر الملح ، وكان الباش على هذه التجريدة الأمير محمد بيك قريب السلطان ، وصحبته جماعة جماعة من المماليك السلطانية وأولاد الناس وغير ذلك " ، انما كانت للانتقام من الاسبتارية على هذا الحادث ، علما بأن هذه التجريدة قد تأخر خروجها حتى صيف عام ١٥٠٩ ، وتحول هدفها الى مجرد احضار الأخشاب من " الجون " أي من خليج أياس.(١)

---

(١) تتبعنا ذكر محمد بك ، قائد التجريدة في كتاب بدائع الزهور لابن اياس الجزء الرابع ، فجاء عنه في ص (١٢٠) ما يلي : " وفي يوم الخميس تاسع عشره (١٩ شهر ذي الحجة عام ٩١٣ الموافق ٢٠ أبريل عام ١٥٠٨) توجه ناظر الخاص علاى الدين الى نحو الاسكندرية ورشيد بسبب تجهيز المراكب التي عينها السلطان للتجريدة صحبة محمد بك ". وفي (ص١٣٩) ما يلي " وفيه (رجب ٩١٤ هـ/ اكتوبر — نوفمبر ١٥٠٨) حضر علاى الدين ناظر الخاص ، وكان مسافرا نحو رشيد بسبب أمر المراكب التي عمرها السلطان لأجل التجريدة . وفي ذلك اليوم حضر الامير محمد بيك ، وكان توجه بسبب عرض المراكب المعينة للتجريدة " . وفي (ص١٤٢) ما يلي : " وفي يوم السبت ثالث عشرينه (٢٠ شعبان ٩١٤ هـ الموافق ١٧ سبتمبر ١٥٠٨) حضر مراكب أغربة عدتها ست ، وهي التي كان ناظر الخاص توجه الى رشيد بسبب عمارتها " . وفي (ص١٥٦) ما يلي : " وفيه (صفر ٩١٥هـ / مايو — يونيه ١٥٠٩) سافر ناظر الخاص والامير محمد بيك قريب السلطان الى ثغر الاسكندرية ، بسبب تجهيز المراكب التي يتوجه فيها الامير عصلان (جاء في ص ١٦٠ أنه الدوادار الثاني) الى بلاد ابن عثمان . وفي (ص١٦٠) ما يلي : " وفيه (جمادي الاولى ٩١٥) حضر علاى الدين ناظر الخاص ، وكان توجه الى ثغر الاسكندرية بسبب تجهيز المراكب المعينة صحبة الامير محمد قريب السلطان ". وفي (ص١٦٣) ما يلي : " وفيه جاءت الاخبار (رجب ٩١٥ هـ / اكتوبر — نوفمبر ١٥٠٩) من ثغر الاسكندرية بأن الامير محمد بيك لما توجه الى الجون بسبب احضار الاخشاب صادف مراكب فيها فرنج يعبثون في البحر على التجار ، فحارب معهم ، فانتصر عليهم ، وقتل فيهم جماعة كثيرة ، وأسر الذي بقي منهم ، وغنم ما كان معهم في المراكب ، وهو أشياء كثيرة بنحو من مائة الف دينار " . وفي يوم الخميس سادس عشره (١٦ شعبان ٩١٥هـ / الموافق ٢٩ نوفمبر ١٥٠٩) حضر الامير محمد بيك الذي كان قد توجه الى الجون بسبب احضار الاخشاب ، وحضر صحبته تلك الفرنج الذين أسرهم كما تقدم ، فكانوا نحوا من خمسين نفرا " .

وعلى أى حال فقد اعتدى الاسبتارية ، فى عهد سيدهم الكبير ،ايمرى دامبواز ، مرتين أخريتين - على ما عرف - على مصالح المماليك . وقد قاموا بالاعتداءين فى عام واحد ، هو عام ١٥١٠ . ووقع الاعتداء الاول على خمس سفن فرنسية أثناء عبورها بمياه رودس ، فى طريقها الى بلاد المغرب ، قادمة من الاسكندرية ، وانتهى بأسر هذه السفن وجميع من عليها من المغاربة ، ومتاجرهم التى تقدر قيمتها بنحو أربعين ألف دينار . ولكن لم يلبث الاسبتارية أن أطلقوا السفن ، واحتفظوا بحمولتها ، مما حمل السلطان الغورى على الاعتقاد بأن الحادث تم بناء على اتفاق سابق بين قباطنة السفن الفرنسيين والاسبتارية من أجل اقتسام الغنيمة ، وأصدر أمره بالقبض على القنصل الفرنسى فى الاسكندرية ، واسمه فيليب دى باريت Philippe de Peretz (Parétes) (١)

أما الاعتداء الثانى فقد وقع على أسطول مملوكى ، يتألف من ثمانى عشرة سفينة ، أرسله السلطان قانصوه الغورى ، فى شهر يوليه عام ١٥١٠ (١٤ ربيع الاول عام ٩١٦هـ) ، الى خليج أياس ، المعروف عند ابن اياس باسم الجون ، لجلب المزيد من الاخشاب التى أراد السلطان استخدامها فى بناء أسطول جديد تعويضا عن أسطوله الذى دمره البرتغاليون ، فى العام السابق ، فى معركة بحرية جرت فى مياه جزيرة ديو الواقعة بجوار ساحل الهند الغربى ناحية الشمال . (٢)

---

(١) أنظر : Thenaud: Le Voyage d'Outre-mer; PP. LV-LV1

(٢) يذكر ابن اياس (بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ٤ ص١٨٣ - ١٨٤) عن أحداث شهر ربيع الاول عام ٩١٦ هـ الموافق يونيه - يوليه ١٥١٠ ، " وفيه عين السلطان تجريده الى الجون ، وكتب بها نحوا من مائتى مملوك ونفق عليهم ، وعين الامير محمد بيك قريبه باشا على ذلك العسكر " .
ويستطرد ابن اياس فيقول (ص١٨٥) " وفى رابع عشره (نفس الشهر) خرج الامير محمد بيك الذى تعين الى نحو الجون بسبب قطع الاخشاب لاجل عمارة المراكب المعينة الى تجريدة الهند ، فخرج فى موكب حافل وكان ذلك آخر سعده " ارجع أيضا الى نفس المصدر ص ١٩١ - ١٩٢ ، والى دكتور ابراهيم على طرخان فى كتابه : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١١٢ - ١١٣ ، وكذلك الى جولوبوفيتش Golubovich I, P.108; n.4.
والى جاستون فييت فى كتابه : Wiet : L'Egypte Arabe, PP. 621-622

وكان مجلس الاسبتارية ، برئاسة السيد الكبير دامبواز ، قد قرر تحطيم هذا الاسطول بمجرد علمه بوصوله الى مياه أياس ، ليس فقط لأن الاسطول ممتلكات اسلامية رأى الاسبتارية أن واجبهم الصليبي وأمن جزرهم يحتم عليهم حرمان المسلمين منه ، أو لأنه يحتوي على مواد ومهمات حربية هامة أرادوا اضافتها الى قوتهم البحرية والعسكرية ، ولكن أيضا لعلمهم بأن هذه المواد والمهمات سوف توجه ضد دولة البرتغال التي يعتبرها الاسبتارية من الدول الاكثر صداقة لهم ، والتي يقدرون لها ، بحكم طبيعتهم الصليبية ، دورها ضد المسلمين المغاربة ، وبحكم انتمائهم الاوربي ، دورها في حركة الكشوف الجغرافية (١) ، هذا فضلا عن وجود أخ للقائد البرتغالي ألميدا ، بطل معركة ديو البحرية ، اسمه دييجو دالميدا Diego d'Almeyda في عضوية مجلس الاسبتارية بصفته رئيسا لطائفة البرتغال في رودس (٢) .

ولما كانت معلومات الاسبتارية عن هذا الاسطول المملوكي أنه يتألف من خمس وعشرين سفينة ، فقد أعدوا لمهاجمته أسطولين ، يتألف أحدهما من أربعة أغربة ، من بينها السفينة الغراب الكبيرة المعروفة باسم سفينة القيادة الرودسية (La Capitane de Rhodes ويقوده الفارس الاسبتاري برتغالي الاصل ، دون أندريا دامارال Andrea D, Amaral ، على حين يتألف الاسطول الآخر من ثماني عشرة سفينة من نوع الهوارج (Vasseaux) ، من بينها قرقاطة رودس الكبرى ، التي أسرها الاسبتارية من المماليك عام ١٥٠٦ ، ويقوده الفارس الاسبتاري الفرنسي الاصل ، فيليب فيلييه دي ليل آدم Philippe villiers de l'Isle- Adam الذي قدر له أن يكون آخر سيد كبير حكم رودس من فرسان الاسبتارية (٣) .

---

(١) أنظر : Farochon, P. 165

(٢) أنظر : Ibid, P. 144

(٣) أنظر : Farochon, PP. 165-167; Flandin P. 237; Biliotti, P. 278.

ولم يخرج القائدان داماراك ، ودى لبل من رودس فى وقت واحد ، فقد خرج داماراك قبل زميله ببضعة أيام ، كما أنهما لم يسلكا نفس الطريق للوصول الى مكان اللقاء ، المتفق عليه فيما بينهما ، وهو رأس القديس أندراوس (Cap saint-andre) ، فى أقصى الطرف الشرقى لجزيرة قبرص ، فقد دار داماراك حول جزيرة قبرص من الجنوب ، على حين سار دى لبل آدم بين هذه الجزيرة ، الى الجنوب منه ، والساحل الجنوبى لآسيا الصغرى ، الى الشمال منه (١). وعندما تم اللقاء بين القائدين ، قدم دى لبل آدم لزميله داماراك اقتراحا بعدم مهاجمة أسطول المصريين قبل أن يخرج الى عرض البحر محملا بالاخشاب لتحد هذه الاخشاب من حركته فى المناورة . غير أن داماراك أصر بعصبية على ضرورة بغت السفن المصرية فى مرساها فى خليج آياس . وكاد الأمر يتطور الى معركة بالسيوف بين القائدين لولا أن تدارك دى لبل آدم الموقف بحكمته ، فتنازل عن اقتراحه ، ووافق على رأى داماراك (٢).

وكان أن تقدمت سفن الاسبتارية ، فى ٢٣ أغسطس عام ١٥١٠ ، (٣) رأسا الى خليج آياس . وبعد ثلاث ساعات من القتال العنيف بين الاسطولين - بدأ بالتراشق المتبادل بين مدافع السفن فى كلا الجانبين ، ثم أصبح تلاحما بالسيوف ، عندما اقتربت السفن بعضها من بعض ، وتشابكت - استطاع داماراك أن يحمل ، على رأس نحو مائة من الاسبتارية البرتغاليين ، أبناء طائفته ، الى سفينة قائد الاسطول المصرى ، وهو محمد بك ، قريب السلطان الغورى ، ويقفزوا على ظهرها . وبالرغم مما رآه محمد بك من تردد فى القتال

---

(١) أنظر : Farochon, P. 167

(٢) أنظر : Farochon, PP. 167-168; Flandin, P.237

(٣) أنظر : Farochon, PP. 168-170; Biliotti, P.279

(٤) أنظر : Golubovich I , P.168 n.4

لدى جنده المحيطين به ، فقد جرى بشجاعه نحو داماراك وعاجله بطعنه من حربته أصابته في كتفه ، ولكن عندما هم بتوجيه الضربة الثانية له ، عاجله الفارس البرتغالي المرافق لداماراك ، واسمه فاسكونسيلوس Vasconscellos بضربة خنجر قطعت رسغه . ومع ذلك ، فقد استل محمد بك سيفه ، بيده اليسرى ، وانتصب في اعياء ، وأخذ يضرب به يمنة ويسرة في أعدائه ، ويتلقى طعناتهم ، الى أن خر صريعا مثخنا بالجراح . وفي نفس الوقت قطع أحد فرسان الاسبتارية حبل راية سفينة القائد المملوكي ، بسيفه ، فسقطت في الماء . وما أن رأى المصريون ، في بقية سفن الاسطول ، ذلك ، حتى ألقوا أسلحتهم ، وقفزوا في الماء ، أو في القوارب الصغيرة ، طلبا للنجاة فوق مرتفعات الساحل الأسيوي المجاور . غير أن القائد الاسبتاري دى ليل آدم ، طاردهم على رأس فرقة من فرسانه ، وأسر الكثيرين منهم ، ولم يرجع ، ورجاله ، الى سفنهم الا بعد أن أشعلوا النيران في مخازن المصريين الواقعة بجوار قلعة أياس ، وفي أكوام الخشب المكدسة فوق الساحل في انتظار شحنها ، فأتت عليها كلها . وقد غنم الاسبتارية

---

(١) أنظر : Farochon, PP. 173-183
مع ملاحظة أن اسم قائد الاسطول المصري ، وهو محمد بك ، أخذناه من ابن اياس : (بدائع الزهور جـ٤ ص١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩١ — ١٩٢) . أما فاروشون فقد سجل عجزه عن معرفة اسم القائد المملوكي حين قال (في ص ١٧٢ ملحوظة ١) بأن المؤرخين لا يذكرون اسم هذا القائد . ويقصد فاروشون ، بطبيعة الحال ، المؤرخين الاوروبيين المعاصرين لذلك الحادث الذين رجع اليهم ، وهو لا يعرف ابن اياس . غير أن فاروشون ، وكذا المؤرخان بليوتى (Biliotti, P. 279) وفلاندان (Flandin, P. 238) ، يؤكدون بأن القائد المملوكي هو ابن أخ السلطان الغوري ، ويشيدون ببطولته .

(٢) أنظر Farochon, P.183; Biliotti, PP. 279-280; Flandin, P.238.

في هذه المعركة ، التي اشتهرت باسم معركة أياس ، أحد عشرة سفينة سليمة ومملوءة بالاخشاب والذخائر ، بخلاف الاسرى من بحارة هذه السفن .(١) أما السفن المهشمة الاخرى فقد غرقت أو التهمتها النيران .(٢) ولتخليد ذكرى معركة أياس أوجد السيد الكبير ، ايمري دامبواز ، عادة اقامة سرادق من الملاءة ، التي كانت تغطي مؤخرة سفينة القائد المملوكي ، الأمير محمد بك ، وذلك فوق ظهر فرقاطة رودس الكبرى - وهي السفينة " المشهورة " التي أسرها الاسبتارية من المماليك عام ١٣٠٦ - عشية عيد القديس حنا المعمدان ، شفيع هيئة الاسبتارية الذي تحمل اسمه ، حيث كان السيد الكبير للاسبتارية يقدم بنفسه قنينات النبيذ المستورد من لارناكا لرؤساء الطوائف الثماني التي تتألف منها هيئة الاسبتارية ، افتتاحاً للوليمة عظيمة تتم ذلك في نفس الليلة داخل هذا السرادق .(٣) كما أن دامبواز صمم سجادة نقشت عليها وقائع المعركة ، شوهدت في جزيرة مالطة - كما يقول فلاندان - في بداية القرن السابع عشر الميلادي .(٤)

ويجدر التنويه هنا بأن المعلومات التي أفادنا بها المؤرخ المصري المعاصر ، ابن اياس ، عن وقائع معركة أياس متواضعة ، فلم يذكر عنها سوى أنه " في يوم الاحد عاشره ، أي العاشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٩١٦ هـ ، الموافق منتصف شهر سبتمبر عام ١٥١٠ ، " جاءت الاخبار من عند نائب طرابلس ، بأن الفرنج خرجوا على الامير محمد بيك ، قريب السلطان ، الذي قد توجه الى الجون ، بسبب احضار الاخشاب ، فخرجوا عليه طائفة

---

(١) أنظر : Farochon, P.183; Flandin, P.238

أما بليوتي (Biliotti, P.279) ، فيذكر بأن الاسبتارية غنموا خمس عشرة سفينة سليمة .

(٢) المراجع الثلاثة المذكورة في الحاشية السابقة ، مع ملاحظة انهم يؤكدون بأن اجمالي عدد سفن الاسطول المصري خمس وعشرون سفينة ، وليس ثماني عشرة سفينة كما يرد في بدائع الزهور للمؤرخ المصري ابن اياس .

(٣) أنظر : Farochon, P.184 ; Flandin, PP. 238 -239

(٤) أنظر : Flandin, P.239

من الفرنج بالقرب من ساحل ثغر اياس فتحاربوا معهم الأمير محمد بنفسه ، وقد عجز عنه من كان معه من العسكر ، فقتل ، وقتل من كان معه من الجند ، وأخذوا ما كان معه من المراكب المشحونة بالسلاح وآلة الحرب ، وكانت نحوا من ثمانية عشر مركبا " . (١)

على أن ابن اياس أفاض في ذكر أثر الحادث على السلطان الغوري ، وما اتخذه هذا السلطان من اجراءات للرد عليه ، فأوضح بأن السلطان ، عندما بلغه النبأ بالموافقة ، " نكد الى الغاية ، وامتنع عن الأكل يومين " . (٢) وذكر ابن اياس أيضا بأنه حدث " في يوم الأربعاء ثالث عشره " — أي في اليوم الثالث عشر من جمادى الآخرة عام ٩١٦ هـ ، الموافق السابع عشر من سبتمبر عام ١٥١٠ ، أي بعد ثلاثة أيام فقط من وصول الخبر للسلطان — " أرسل السلطان بالقبض على الرهبان الذين بالقيامة التي بالقدس ، وكذلك قبض على سائر الفرنج الذين بالاسكندرية ، ودمياط ، وغير ذلك من السواحل ، وهذا بسبب الفرنج الذين قتلوا الأمير محمد ، وأخذوا مراكب السلطان " . (٣) ويستطرد ابن اياس ، فيقول في أحداث شهر رجب عام ٩١٦ هـ ، الذي يوافق شهر اكتوبر عام ١٥١٠ ، " وفيه حضر الى الأبواب الشريفة رهبان القيامة التي بالقدس ، وكان السلطان أرسل خلفهم بسبب الفرنج الذين قتلوا الأمير محمد بيك ، قريب السلطان ... فلما وقفوا بين يدي السلطان ، وبخهم بالكلام على لسان تغري بردي الترجمان ، وقال لهم : كاتبوا ملوك الفرنج بأن يردوا ما أخذوه الفرنج من المراكب والسلاح ، وان لم يردوا ذلك هدمت القيامة وأشنق الرهبان ، فتسلمهم ناظر الخاص على ما يحرر من أمرهم ، وكانوا نحوا من عشرين

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور جـ ٤ ص ١٩١ — ١٩٢

(٢) نفس المرجع ص ١٩٢

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور جـ ٤ ص ١٩٢

راهبا ، وفى عقيب ذلك قبض نائب الاسكندرية على جماعة من تجار الفرنج الذين كانوا بثغر الاسكندرية ، وبعث بهم الى السلطان ، وكانوا نحوا من خمسين انسانا " .(١)

ويذكر ابن اياس ، بعد ذلك ، بأن السلطان عين ، فى نفس الشهر " الامير أقبردى الطويل ، أمير آخور ثانى ، بأن يتوجه الى القدس ، ويحتاط على مال الفرنج الذى فى القيامة ، فخرج وسافر من يومه " .(٢) ويواصل ابن اياس كلامه عن هذه الواقعة فيقول " وفى شوال ، فى يوم سابعه " ، وهو ما يوافق يوم الثلاثاء السابع من يناير عام ١٥١١ ، " حضر الأمير أقبردى الطويل ... وأشيع بين الناس أنه احتاط على ما فى القيامة من مال الفرنج " .(٣) وينتهى ابن اياس من ذلك الى الكلام عن سفارتين استقبلهما السلطان الغورى ، فى القاهرة ، احداهما فرنسية ، وصلت فى يوم الاثنين التاسع والعشرين من

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٩٥

(٢) نفس المرجع ص ١٩٦

(٣) نفس المرجع ص ١٩٩ . ويذكر ثينو ((Thenaud:Le voyage, PF.LV1-LV11)
ودكتور احمد دراج (المماليك والفرنج ص ١٤٢) ، بأن السلطات المملوكية فى القدس استولت على ما كان يوجد بدير صهيون والكنيسة الملحقة به من تحف ونفائس بلغت قيمتها نحو خمسة آلاف دوكات ، فضلا عن أربعة آلاف دوكات أموال نقدية كانت بالدير .

وقد نشر جولو بوفيتش (Gàlubovich I,P 108, n.4) مقتطفات مما كتبه سانودو فى يومياته عن هذه الاحداث ، جاء فيها أنه بمقتضى رسالتين كتبهما البندقى بطرس لوريدانو (Pietro Loredano) من الاسكندرية ، احداهما بتاريخ ٦ ديسمبر عام ١٥١٠ ، والثانية بتاريخ ٧ يناير سنة ١٥١١ ، فان السلطان أرسل أميرا الى مدينة بيت المقدس لقفل كنيسة القيامة ومصادرة ما بها من أموال . وقد صادر الامير ما وجده من نفائس فى كنيستى القيامة وصهيون ، واستولى على أربعة آلاف دوكات وجدها فى كنيسة صهيون ، واقتاد الرهبان من بيت المقدس الى القاهرة . وأضاف البندقى فى رسالته الثانية ، التى كتبها فى ٧ يناير ١٥١١ ، بأن السلطان أمر الرهبان ، عندما اجتمع بهم فى القاهرة ، بأن يرسلوا سفارتين الى أوربا احداهما للسيد الكبير فى رودس والاخرى الى البابا وملك فرنسا ، من أجل أن يتعهد الاسبتارية السفن التى استولوا عليها فى ١٥ أغسطس ويعوضوا السلطان عما سببوه له من أضرار نتيجة أسرها . وقد تشكلت كل سفارة من السفارتين من راهبين ، وسافرتا فى يوم واحد ، هو يوم ٢٤ ديسمبر ١٥١٠ ، كل منهما على سفينة خاصة Sanuto: Diarii, TXl, Col. 827-30,T.Xll Col. 153-56
ويواصل سانودو كلامه فيقول بأن السفارة التى توجهت الى رودس رجعت فى مايو ١٥١١ صحبة جواب ملئ بالغطرسة (Ibid Xll, 296-308) . أما ملك فرنسا فقد أرسل سفيرا استقبله السلطان فى القاهرة فى مارس ١٥١٢ (

(Ibid XlV, 497-500)

شهر مارس عام ١٥١٢ (١١ محرم سنة ٩١٨ هـ) ، والثانية بلدقية ، وصلت في يوم الاثنين العاشر من شهر مايو عام ١٥١٢ (٢٣ صفر سنة ٩١٨ هـ)(١) . وأوضح ابن اياس بأن قاصد البندقية " جاء يسعى عند السلطان في فتح القيامة التي بالقدس الشريف ، وكان السلطان أغلق بابها ، ومنع الفرنج من الدخول اليها "(٢) . غير أن ابن اياس لم يتعرض للمهمة التي جاء من أجلها القاصد الفرنسي ، وهي مهمة تتعلق ، على الأرجح ، بنفس الموضوع ، وربما جاء ليؤكد للسلطان ما سبق أن تقدم به اليه قنصل فرنسا في الاسكندرية ، فيليب دى باريت ، بعد اطلاق سراحه ، من أن فرنسا مستعدة لمده بالمساعدات المادية ضد البرتغاليين ، والسعي لدى فرسان رودس - وهو الاسم الذى أطلق عادة على فرسان الاسبتارية في رودس - من أجل أن يردوا اليه سفنه ، التي استولوا عليها أمام اياس عام ١٥١٠ ، مقابل فتح كنيسة القيامة(٣) . وبالرغم من أن المؤرخ المصري ، ابن اياس ، لم يذكر شيئا من جواب الغوري على أي من السفيرين الفرنسي أو البندقي ، فليس من الصعب أن نخمن بأنه طلب منهما أن يحثا حكومتيهما على ممارسة الضغط على الاسبتارية في رودس لكي يعيدوا له سفنه . وفي الواقع لم يكن أمام الغوري ، وقتذاك ، طريقا آخر يسلكه لاستعادة سفنه سوى هذا الطريق " الدبلوماسي " ، طالما أن موارد بلاده المالية - التي تدهورت بسبب تحول الطريق التجاري الى رأس الرجاء الصالح ، وقوتها البحرية - التي انهارت بسبب تدمير الأسطول المصري في معركة ديو البحرية عام ١٥٠٩ ، واستيلاء

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور حـ ٤ ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨

(٢) نفس المرجع ص ٢٥٩.

(٣) نفس المرجع والصفحة المذكورة في الحاشية رقم ٢ . ويذكر كل من دكتور طرخان (مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١١٣) وجاستون فييت (L'Egypte Arabe, P.622) بأن السلطان أغلق كنيسة القيامة في يناير سنة ١٥١١

(٤) دكتور ابراهيم على طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١١٣

الاسبتارية على عدد من سفن هذا الاسطول أمام اياس عام ١٥١٠ - لا تسمحان له بأن يلجأ الى القوة لتحقيق غرضه ، وعلى أى حال فقد رفض الاسبتارية أن يتنازلوا عما غنموه ، وضاقت على السلطان الغورى صفته (١).

ومهما يكن من أمر حادث ٢٣ أغسطس عام ١٥١٠ وآثاره ، فقد كان - على الأرجح - آخر الملاحم البارزة فى تاريخ العلاقات بين الاسبتارية فى رودس ودولة سلاطين المماليك ، فلم يلبث بعده أن انشغل كل من الطرفين الاسبتارى والمملوكى بالتهديد العثمانى لبلاده ، الى أن دخل السلطان العثمانى ، سليم الاول ، القاهرة ، فى عام ١٥١٧ وأسقط دولة المماليك فيها ، واستولى ابنه ، السلطان سليمان الثانى ، على جزيرة رودس ، فى عام ١٥٢٢ ، وقضى على حكم الاسبتارية لها .

---

(١) دكتور ابراهيم على طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١١٣

الفصل السادس

العلاقات بين الاسبتارية في رودس والأتراك

في القرن الرابع عشر للميلاد

* المعارك الأولى بين الاسبتارية في رودس والأتراك .
* اشتراك الاسبتارية في عصبة بحرية مسيحية استولت في عام ١٣٤٤ على مدينة أزمير التركية .
* وصول حملة صليبية بقيادة همبرت الثاني ومساندة الاسبتارية في رودس لها (عام ١٣٤٥) .
* الاسبتارية يديرون مفاوضات الصلح مع الأتراك - عقد الصلح وحل العصبة المسيحية (عام ١٣٤٧ - عام ١٣٥١) .
* السيد الكبير للاسبتارية هيريديا يقود حملة صليبية اسبتارية خالصة ضد الأتراك في المورة (عام ١٣٧٧) .
* هيريديا يتخذ اجراءات دفاعية ضد تهديدات السلطان العثماني مراد الأول لرودس وأزمير .
* موقف الاسبتارية في رودس من تهديدات السلطان العثماني بايزيد الأول .
* دور الاسبتارية في الحملة الصليبية على نيقوبوليس (عام ١٣٩٦) .
* الاسبتارية يدخلون طرفا في مجموعة من المحالفات مع بعض جيرانهم المسيحيين ضد بايزيد الأول بعد موقعة نيقوبوليس .

بدأت الملاقات بين الاسبتارية والأتراك ، في أغلب الظن ، على شكل معارك بحرية ، ذلك أن الاسبتارية ، أثناء اقامتهم في جزيرة قبرص بعد طردهم من الشام ، عملوا على الالتحام بحريا مع الأتراك[1] ، اما بدافع من التعصب الديني أو لغرض القرصنة ، فقاموا بهجمات بحرية ضد امارات الأتراك السلاجقة التي قامت في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي على أنقاض سلطنة قونيه على الساحل الغربي لآسيا الصغرى وهي الامارات التي حملت أسماء مؤسسيها ، وعلى رأسها امارة منتيشه Mentéché (١٣٠٠ — ١٤٢٦) التي ظهرت في عام ١٣٠٠ ، وامارة أيدين Aidin (١٣٠٢ — ١٣٩٠) التي تأسست في عام ١٣٠٢ ، وامارة صاروخان çarou-khan (١٣٠٢ — ١٣٩٠) التي تأسست في عام ١٣٠٢ أي في نفس العام الذي تأسست فيه امارة أيدين[2].

على أن استيلاء الاسبتارية في عام ١٣١٠ على جزيرة رودس من أتراك امارة منتيشة ، أصحاب السيطرة الفعلية على معظم هذه الجزيرة الخاضعة إسما للبيزنطيين[3] ، اضطرهم الى الدخول في عدة معارك بحرية وبرية شنها عليهم أولئك الأتراك ، منفردين أو مشتركين مع أتراك أيدين وصاروخان ، بقصد طردهم من جزيرة رودس ، والجزر الاخرى التي استولى عليها الاسبتارية في بحر ايجة خلال تلك المعارك .

المعارك الأولى بين الاسبتارية في رودس والأتراك :

ولعل أول ما وقع من أحداث في الصراع الذي دار بين الاسبتارية في رودس والأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى أن حاكم امارة منتيشة ومؤسسها ، وهو منتيشه بك بن بهاء الدين

---

(١) أنظر : Vertot II, P.60

(٢) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص١٣٢ .
وأنظر أيضا : Grousset: L'Empire du Levant, PP.599-604;
Heyd I, PP. 534-535.

(٣) أنظر : Heyd I, P.537

الكردى ، (١) أسر فى عام ١٣١١ــ أى فى العام التالى مباشرة للعام الذى أتم فيـــه الاسبتارية سيطرتهم على جزيرة رودس ــ مائتين وخمسين تاجرا رودسيا وجدهم فى موانــى امارته • هذا الى أنه قبض مبلغ خمسين ألف فلورنتى من الجنوية ــ الذين رغبوا فــى الانتقام من الاسبتارية فى رودس لأن سفن الاسبتارية أسرت فى ذلك العام (عـام ١٣١١) سفينة جنوية كانت متجهة الى مصر رغما عن التحريمات البابوية ــ لإعداد جيش وأسـطول يوجههما لطرد الاسبتاريه من جزيرة رودس • واذا كان منتيشه بك قد فشل وقتذاك فــى استرجاع جزيرة رودس من الاسبتارية ، فانه استطاع بمعاونة بعض السفن الجنويـة ــ أن يسيطر على مياه بحر ايجه ، ويعتدى على كل سفينة تقصد تلك الجزيرة بتجارة أو تموين • (٢)

فلما كان العام التالى ــ أى فى عام ١٣١٢ ــ وصل الى جزيرة رودس أسطول تركى يتألف من ثلاث وعشرين سفينة ، لغزوها • غير أن سفن الاسبتارية تصدت له وطردته بعيدا عن سواحل الجزيرة ،ثم تعقبته الى أن رسا بجوار جزيرة صغيرة فى بحر ايجه اسمهـــا جزيرة أمورجو Amorgo ونزل رجاله الى ساحلها ، فهشمت سفنه واشعلت فيهـــا النيران التى أتت عليها • ولم يلبث أفراد القوة الاسبتارية أن نزلوا وراء الترك فى الجزيرة ، ولحقوا بهم فوق سفح جبل قريب من الساحل حيث خاضوا معهم معركة انجلت عن مصـــرع وأسر جميع أفراد القوة التركية ، البالغ عددهم ثمانمائة جندى ، فيما عدا تسعة أو عشـــرة جنود تمكنوا من الهرب ، فى حين خسر الاسبتارية سبعة وخمسين فارسا وثلثمائة من الجند المشاة • (٣)

---

(١) انظر : Grousset: L'Empire , P.599

(٢) أنظر رسالة البابا كليمنت الخامس الى جمهورية جنوة فى Pauli II,num.XXV , PP.31-33

(٣) Amadi, P.393

وليس من شك فى أن عدم القوة البحرية للأتراك السلاجقة فى هذه المعركة كان من أهم العوامل التى ساعدت الاسبتارية فى عام ١٣١٤ على غزو أكبر جزيرة فى جزر بحر ايجه وهى جزيرة لانجو التى ضموها الى دولتهم فى رودس (١) .

وعلى أى حال لم يلبث الأتراك السلاجقة أن استعادوا بناء قوتهم البحرية بالتدريج وطردوا الاسبتارية من جزيرة لانجو وسيطروا مرة أخرى على بحر ايجه . وكان أن خرج من جزيرة رودس فى عام ١٣١٨ أسطول اسبتارى بقيادة الأمر الكبير البرت دى شفارتزبورج Albert de schwarzbourg انتصر على أولئك الأتراك فى معركة بحرية نصرا كبيرا استحق عليه التهنئة من البابا حنا الثانى والعشرين كما سهل له أمر استعادة جزيرة لانجو (٢) . وفى الثامن والعشرين من شهر يونيه من العام التالى - أى فى عام ١٣١٩ - خرج البرت دى شفارتزبورج مرة أخرى من جزيرة رودس على رأس أسطول يتألف من أربع وعشرين سفينة ، أعدها على حسابه الخاص ، وقوة عسكرية مؤلفة من ثمانين فارسا اسبتاريا وعدد غير معروف من الجند ، ويمم شطر جزيرة خيوس التى وعده صاحبها الجنوى مارتينو زكريا Martino Zaccaria بمساعدته فى حرب الترك - وصل اليها فى ١٣ يوليه . وبعد عشرة أيام قضاها الأمر الكبير للاسبتارية فى خيوس - أى فى يوم ٢٣ يوليو عام ١٣١٩ - جاءت اليه الاخبار بأن اسطولا تركيا يتألف من ثمان وخمسين سفينة أعدها أمراء أيدين فى ميناء أيا سلوق Aya Soluque يتقدم نحو هذه الجزيرة ، فخرج اليه دى شفارتزبورج على رأس سفنه الاربع والعشرين ، جنبا الى جنب مع سفن جزيرة خيوس - التى يتراوح عددها بين سبع وتسع سفن - بقيادة حاكم الجزيرة مارتينو زكريا ، وانتصر عليه فى معركة

---

(١) فيما يتعلق باحتلال الاسبتارية لجزيرة لانجو أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P.4.

(٢) أنظر : Ibid : Op. Cit. P.8.

بحرية خسر فيها الترك جميع سفن أسطولهم فيما عدا ست سفن صغيرة تمكنت من الهرب تحمل على ظهورها أقل من أربعمائة مقاتل هم البقية الباقية التى نجت من أفراد قوة الأسطول البالغ عدد هم الفان . (١) وبالرغم من جسامة الخسارة التى منى بها الأتراك فى هذه المعركة فقد استطاعوا فى العام التالى - أى فى عام ١٣٢٠ - أن يجمعوا أسطولا يتألف من ثمانين سفينة ، ويخرجوا به لمحاولة غزو جزيرة رودس نفسها . ولكن ، قبل أن يبلغوا ساحل هذه الجزيرة ، أدركهم الأمير الكبير ، البرت دى شفارتزبورج ، على رأس أسطول اسبتاري يتألف من أربع وعشرين سفينة ، الى جانب ست سفن جنوية كانت عائدة لتوها من مهمة تجارية فى أرمينيا ، وأنزل بهم الهزيمة فى معركة بحرية خسروا فيها معظم سفن أسطولهم بين غريق وأسير . ولم تلبث سفن دى شفارتزبورج أن قدمت فى نفس اليوم نحو جزيرة صغيرة تقع بالقرب من جزيرة رودس - هى جزيرة بسكوبيا التى كان أسطول الغزو التركى قد استولى عليها من الاسبتارية قبل المعركة البحرية التى هزم فيها وأنزل فيها نحو عشرة آلاف تركى جلبهم معه من الساحل الأسيوى لتوطينهم فى جزيرة رودس اذا أفلح

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, PP. 8-9

وقد أورد أمادى (Amadi, P.400) قصة هذه الموقعة ، ولكنه ذكر بأن أسطول الاسبتارية كان يتألف من أربع سفن ، وأن هذا الأسطول دمر أسطولا تركيا مؤلفا من ثلاثين سفينه ، وقتل أو أسر قواته البالغ عدد أفرادها ثلاثة آلاف مقاتل تركى .

(١)
ن غزوها ـ فهاجمتها الى أن استسلمت لها وأسرت جميع من أنزل فيها من ترك •

وليس من شك فى أن هذه الانتصارات المتوالية التى احرزها دى شفارتنبورج على الأتراك السلاجقة جعلت الاسبتارية مرهوبى الجانب وأخذ الأتراك منذ ذلك الحين يوجهون نشاطهم الحربى الى سواحل المورة وجزر بحر ايجة الواقعه بالقرب من هذه السواحل بعيدا عن جزيرة ردس وغيرها من جزر الأرخبيل الرودسى الخاضعة للاسبتارية • وقد حدث فى عام ١٣٢٩ أن جمهورية البندقية ، صاحبة المصالح التجارية والاستعمارية الواسعة فى تلك الجهات من شرق البحر المتوسط ، سعت لدى سائر القوى المسيحية الأخرى فى المنطقة ـ بيزنطية كانت أو لاتينية ـ من أجل الدخول معها فى حلف مسيحى مشترك ضد الأتراك • ولما كانت جميع تلك القوى تشعر بنفس الخطر الذى تشعر به البندقية على مصالحها ووجودها فقد وافقت على

---

(١) أنظر : D. La Roulx: Op. Cit. PP. 78-79.
; Vertot II, PP. 171-175

ذكر المؤرخ فرتو بأن قائد اسطول الغزو التركى هو السلطان العثمانى أورخان ، وأن هذا السلطان هزم لتفرد رايته بفن الحرب البحرية التى برع فيها الاسبتارية بسبب كثرة معاركهم فى البحر • ونرد على ذلك بأن الدولة العثمانية لم يكن لها وقتذاك أملاك على الساحل الغربى لآسيا الصغرى المطل على البحر لكى تهتم بأمر جزر هذا البحر • ومن ناحية أخرى ذكر المؤرخ التركى مصطفى بن عبد الله حاجى خليفه (فى كتابه تحفة الكبار فى أسفار البحار " الذى ترجمه James Mitchell تحت اسم

The History of the maritime wars of the Turks, P.12

بأن العثمانيين لم يغامروا بأية معارك بحرية قبل عهد السلطان محمد الثانى (١٤٥١ ـ ١٤٨١) ، وأنهم لم يشعروا بالحاجة الى انشاء أسطول الا أثناء الحصار الفاشل الذى فرضه السلطان مراد الثانى (١٤٢١ ـ ١٤٥١) ، والد محمد الثانى حول القسطنطينيه عام ١٤٢٢ • وبالرغم من أن حاجى خليفة لم يكن دقيقا ، كل الدقة فيما رواه ـ حيث من المعروف بأن العثمانيين قاموا بأول حملة بحريقي عام ١٣٩٠ (أي فى عهد السلطان بايزيد الأول) ضد جزيرة نجروبونت (أنظر (Gibbons,P.186 ولم يقوموا بحملة بحرية أخرى فيما يبدو الى أن تحطمت قواتهم على يد تيمور لنك التترى فى عام ١٤٠٢ ـ فانه يكفى هنا للرد على فرتو بأن أورخان لم يتول كرسى السلطنه الا فى عام ١٣٢٦ ـ أى بعد ست سنوات من المعركة التى نحن بصددها (أنظر :

Baynes & Moss: Byzantium, P.47.

الدخول فى الحلف المقترح فيما عد االاسبتارية فى رودس الذين أجابوا بأنهم لايملكون إلا أن ينظروا الى أن يرسل لهم السيد الكبير لهيئتهم — هليون دى ڤيلنيڤ — من فرنسا حيث كان يقيم منذ انتخابه للرئاسة قبل عشر سنوات ، موافقته على الانضمام الى الحلف ، والأموال اللازمه لاعداد سفينتين أو ثلاث سفن يساهمون بها فى هذا الحلف (١) • وكان أن ظل الأمر معلقا الى أن نقل دى ڤيلنيڤ مقر اقامته الى رودس ، فى صيف عام ١٣٣٢ ، فوافاه بها عندئذ قائد أسطول البندقية فى بحر الأدرياتيك ، بطرس دى كانالى P. di Canale موفدا من حكومة بلاده وامبراطور الدولة البيزنطيه أندرونيق الثالث باليولوجس للتفاوض معه بشأن انضمام الاسبتارية للحلف • وقد انتهت المفاوضات بينهما فى ٦ سبتمبر عام ١٣٣٢ بعقد اتفاقية نصت على أن تؤلف عصبة مسيحية ضد الأتراك مدتها خمس سنوات من البندقية وبيزنطة ورودس من الاسبتارية ، وعلى أن يتولى بندقى قيادة أسطول هذه العصبة الذى تقرر أن يتألف من عشرين سفينه يسهم الامبراطور البيزنطى بنصفها ، وتسهم البندقية فيها بست سفن والاسبتارية بأربع سفن ، وأن يصل الى مقر تجمعه عند ساحل جزيرة نجروبونت Negropont — وهى جزيرة خاضعة للاستعمار البندقى منذ عام ١٢٠٩ وتقع على بعد قليل الى الشرق من بلاد اليونان — فى ميعاد غايته ١٥ أبريل من العام التالى أى فى عام ١٣٣٣ (٢) •

على انه من الأرجح أن هذه الاتفاقية لم توضع موضع التنفيذ ، ففى ٨ مارس عام ١٣٣٤ عقدت بمدينة أڤنيون الفرنسية اتفاقية أخرى بين ممثلى كل من البندقية وبيزنطة ورودس وقبرص وفرنسا والبابا حنا الثانى والعشرين — نتيجة مسعى جديد قامت به جمهورية البندقية عن طريق

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.86 ; Gay, PP.18,21

(٢) أنظر : Golubovich II, P.193; Gay, PP.22-23.

وعن تاريخ الاستعمار البندقى لجزيرة نجروبونت أنظر :

Miller: The latins, P.653

ممثليها حناجراد ونيكو Johanni Gradonico واندريا باسيليو Andrea Basilio — نصت على تحالف هذه الدول جميعا فى توجيه حملتين ضد الأتراك المسلمين تبدأ أولهما فى شهر مايو عام ١٣٣٤ — أى بعد شهرين اثنين من عقد المحالفة — وتستمر لمدة خمسة شهور ، وتخرج الثانية فى العام التالى — أى فى عام ١٣٣٥ ، وتستمر لمدة ستة شهور . واشترط أيضا أن يتجمع أسطول الحملة الأولى عند ساحل جزيرة نجروبونت الخاضعة للبنادقة ، على أن يتألف من أربعين سفينة حربية تساهم فيها كل من رودس والبندقية بعشر سفن ، وتساهم كل من قبرص والامبراطور البيزنطى بست سفن ، ويساهم البابا وملك فرنسا معا بالباقى أى بثمانى سفن . اما اسطول الحملة الثانية المقرر قيامها فى عام ١٣٣٥ ، فقد اتفق على أن يتكون من اثنين وثلاثين سفينة حربية، ومثلها من سفن النقل (Uyaserii) لحمل جيش الحملة وقوامه ثمانمائة فارس بخيولهم ، وهو عدد قليل لايتناسب مع خطورة المهمة الملقاة على عاتقه ، ولكن روعى عند تحديده ضيق الوقت . وقد نُص على أن يساهم الاسبتارية ضمن اسطول وجيش هذه الحملة الثانية بست سفن حربية وثمانى ناقلات للجند ومائتى فارس ، ويساهم ملك قبرص بست سفن حربية وأربع ناقلات للجند ومائة فارس ، وتساهم البندقية بعشر سفن حربية ، ويساهم البابا وملك فرنسا معا بنصف قوات الحملة من الفرسان — أى بأربعمائة فارس — وبنصف ناقلات الجند ، أى بست عشرة ناقلة . وتقرر أيضا أن يساهم ملك صقلية بأربع سفن حربية على الأقل ، وبأربع ناقلات للجند ، ويساهم امبراطور القسطنطينية بست سفن حربية وببقية الفرسان ، أى بمائة فارس (١) فاذا امتنعا عن الاشتراك فى الحملة تطلب هذه المساعدات من جمهوريتى جنوة وبيزة.

---

(١) شروط المحالفة منشورة فى :
Mas - Latrie: Commerce et Expéditions, PP.104 -106
ويلاحظ ما يأتى :—
جاء فى نص الشروط بأنه تقرر أن يتألف اسطول الحملة الثانية (حملة ١٣٣٥) من ثلاثين سفينة حربية واثنين وثلاثين سفينه ناقلة للجند (ص ١٠٥) . ولكن عند توزيع السفن الحربية على الدول — كما جاء فى نفس المصدر — اتضح بأنها اثنتان وثلاثون سفينة وليس ثلاثون . وقد تداركنا ذلك كما تداركه من قبل دكتور عزيز سوريال عطية عند كلامه عن المحالفة فى كتابه :
Atiya: The Crus. In the later mid. ages P.112
وهو مالم يقم به المؤرخ ديلافيل لرو فى كتابيه :
D. Le Roulx; Les Hospit. à Rh. , PP. 88-89. ; Ibid: F.O.l, PP. 99-10

وبعد أن عقدت هذه الاتفاقية أرسلت البندقية الى ملك فرنسا فيليب السادس دى ڤالوا، سفارة خاصة طلبت منه ـ ضمن طلبات أخرى متعلقة بالتجارة بين بلديهما ـ الموافقة على أن تمد الفترة المحددة لكل من حملة سنة ١٣٣٤ وحملة سنة ١٣٣٥ ضد الاتراك شهرا واحدا، فأبدى فيليب السادس عدم اعتراضه على هذا المد اذا رأى الحلفاء ضرورة له (١) .

وكان أن احتشدت سفن اسطول الحملة الأولى أمام جزيرة نجروپونت فى الموعد المحدد لها وبأعدادها المقررة فيما عدا سفن قبرص التى وصلت ناقصة سفينتين ، وسفن بيزنطة التى تخلفت كلها عن الحضور . ولم يلبث هذا الاسطول أن اشتبك ـ فى شهر سبتمبر عام ١٣٣٤ ـ مع مائتى سفينة تركية تابعة لأمير مرمره الواقعة فى الشمال الغربى من آسيا الصغرى ، واسمه الأمير يخشى (xx) Iakhschi ، فى عدة معارك بحرية ، وقع بعضها فى عرض البحر والبعض الآخر فى خليج أزمير الذى لجأت اليه السفن التركية أخيرا ، انتهت بتدمير نصف سفن الأسطول التركى ، بخلاف نحو خمسة آلاف مقاتل فقدهم الأتراك فى هذه المعارك البحرية وعلى البر الأسيوى الذى لجأوا اليه بعد أن ضيق الصليبيون عليهم الخناق فى خليج أزمير ثم طاردهم الصليبيون فيه (٢) .

---

(١) انظر : Mas - Latrie: Commerce et Expeditions, PP. 107 -108.

(٢) انظر : De La Roncière et L. Dorez: Lettres Inédites, dans B.E.C., LXl, an. 1885 , PP. 23-25; De La Roncière: Hist. de la mar. I, PP. 233 -237; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., pp. 89-90; Atiya: The Crus. in the lat. mid. ages, PP. 112-113.

وارجع أيضا الى المرجع العربى : د . سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٣٦ .

(xx) يتكلم ابن بطوطه (تحفة النظار حـ ١ ص١٩٥) عن مدينة اسمها برغمة بها قلعة عظيمة منيعة بأعلى جبل ، وسلطانها اسمه يخشى خان ، ربما هو نفسه يخشى الذى نحن بصدده ، علما بان ابن بطوطه زار آسيا الصغرى فى الفترة الواقعة بين عامى ١٣٣٠ ، ١٣٤٠ ـ انظر :

Gibbons: The foundation, P.279.

وقد أخذ الحلفاء ، بمجرد عودة سفنهم الى أوطانها ، يعدون العدة للقيام بحملتهم الثانية ضد الأتراك • ولم يمنعهم موت البابا حنا الثانى والعشرين فى ٤ ديسمبر عام ١٣٣٤ من المضى فى الاستعداد لهذه الحملة ، وخاصة بعد أن أظهر خليفته البابا بندكت الثانى عشر (١٣٣٤ ـ ١٣٤٢) حماسا كبيرا للمشروع من دلائله أنه أرسل الى ملك صقلية ، فى ٢٠ مارس سنة ١٣٣٥ ، يطلب منه أن يتعاون مع الاسبتارية والبنادقة وملك فرنسا فى الحرب ضد المسلمين (١) •

وربما تأخر الحلفاء قليلا فى الانتهاء من استعداداتهم للقيام بالحملة • ولكن ما أن بدأ عام ١٣٣٦ حتى كانت سفن رودس الاسبتارية ترابط جنبا الى جنب مع سفن جمهورية البندقية أمام جزيرة كريت ، الخاضعة للبنادقة ، فى انتظار وصول سفن بقية الحلفاء (٢) • واذا كان ملك قبرص هيو الرابع (١٣٢٤ ـ ١٣٥٩) قد أحله البابا بندكت الثانى عشر من أن يفى بالتزاماته بشأن هذه الحملة ، فان الامبراطور البيزنطى أندرونيق الثالث باليولوجس قد حشد ـ على ما قيل ـ عشرين سفينة من سفن أسطوله ، فى القطاع الشمالى من بحر ايجه لخوض المعارك ضد الأتراك الى جانب سفن الحلفاء (٣) • ومن ناحية اخرى ذهب ملك فرنسا ، فيليب السادس دى ڤالوا ، فى شهر فبراير من نفس العام ـ أى فى عام ١٣٣٦ ـ الى مدينة أفنيون ، حيث وضع مع البابا بندكت الثانى عشر الترتيبات النهائية للحملة ، ثم غادرها الى مدينة مارسيليا ليتفقد سفنه التى حشدها فى ميناء تلك المدينة لصالح الحملة تمهيدا لاصدار أوامره لها بالرحيل الى الشرق • ولكن بينما كان هذا الملك لايزال فى مدينة مارسيليا وصله نبأ تأهب الانجليز لغزو بلاده فرنسا ، فما كان منه الا أن أرجأ موعد قيام سفن الحملة ضد الاتراك السلاجقة الى أن ينجلى الموقف مع الانجليز ، وكان ذلك كافيا لتحطيم مشروع هذه الحملة (٤) •

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.90 ,n.3.;

(٢) انظر : Ibid: F.O.1, P.103.

(٣) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., p. 90 ; D. Le Roulx: F.O.,1.P.101; Gay, P.24

(٤) انظر : D, Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, P.90 ; D. Le Roulx: F.O.1, PP.101-103; Atiya: The crus. in the lat. mid. ages, P.113

وكذلك كان كافيا لتحطيم مشروع الحملة الصليبية العامة لاستعادة الارض المقدسة التى كانت فرنسا تعد لها منذ عهد ملكها فيليب الرابع الملقب بالوسيم (١٢٨٥ ـ ١٣١٤) ، حيث أن البابا بندكت الثانى عشر ، لم يلبث أن صرح ـ وقد هزه ما حدث فى فرنسا ـ بأن الحرب الصليبية خطرة وليس فى المستطاع القيام بها ، ثم طلب من الملك فيليب السادس دى ڤالوا ـ فى ١٣ مارس عام ١٣٣٦ ـ بوقف الاستعدادات لهذه الحرب ـ انظر :

اشتراك الاسبتارية فى عصبة بحرية مسيحية استولت فى عام ١٣٤٤ على أزمير :—

على أنه حدث بعد خمس سنوات — أى فى عام ١٣٤١ — أن أرسل ملك قبرص ، هيو الرابع لوزجنان — وقد أزعجه تمادى سفن الاتراك ، وبخاصة سفن امارة آيدين ، فى مهاجمة سفن رعاياه وسواحل جزيرته — مبعوثا خاصا ، هو أسقف ليماسول ، الى كل من السيد الكبير للاسبتارية فى رودس ، هليون دى ڤيلينيف ، ودوج البندقية بارتولوميو جرادينجو Bartolomeo gradenigo ، يطلب اليهما أن يشتركا معه فى توجيه نداء للبابا بندكت الثانى عشر لاتخاذ اجراء صليبى عام يهدف الى تدمير القوة البحرية للأتراك السلاجقة ، وخاصة السفن التى حشدها عمر بك بن محمد بن آيدين ، أمير آيدين ، فى ميناء أزمير ، وتلك التى حشدها خضر بك ، اخو عمر بك ، فى ميناء أياسلوق التى يحكمها (١) .

وقد استجاب السيد الكبير للاسبتارية لرغبة ملك قبرص بالرغم من أنه كان قد سبق له أن أرسل سفيرا اسبتاريا خاصا لتقديم نفس الطلب للبابا بندكت الثانى عشر (٢) . وكذلك أبدت جمهورية البندقية موافقتها على أن ترسل سفيرا لها الى البابا بندكت الثانى عشر صحبة سفراء قبرص ورودس من الاسبتارية ، وأرسلت الى ملك قبرص ، فى ٢٢ نوفمبر من نفس ذلك العام — أى فى عام ١٣٤١ — تعرب له عن استعدادها للانضمام الى الحلف أو العصبة البحرية ضد الاتراك عند اعادة تشكيلها (٣) .

وكان أن وصل سفراء قبرص ورودس بالفعل الى مدينة أفنيون على حين تخلف سفراء البندقية (٤) ربما نتيجة علمهم بوفاة البابا بندكت الثانى عشر التى وقعت فى عام ١٣٤٢ . غير أن البابا الجديد كليمنت السادس (١٣٤٢ — ١٣٥٢) ، الذى تولى فى شهر مايو من نفس العام — أى فى عام ١٣٤٢ — (٥) خلفا للبابا بندكت الثانى عشر ، لم يلبث ان أرسل الى دوج البندقية فى ٢ نوفمبر من ذلك

---

(١) انظر : Gay, PP. 18, 28.29; D. Le roulx: Les Hos. à Rh. P.91; D. Le Roulx:F.O.1, PP. 103-104; Hill II, P.299.

وفيما يتعلق باسم والد عمر بك وأخيه خضر بك ارجع الى ابن بطوطه (تحفة النظار حـ ١ ص ١٩٠ — ١٩٤) . وبمقتضى أقوال هذا الرحالة المغربى فان محمد بن آيدين كان يقيم فى مدينة بركى . وقد زاره ابن بطوطه فى هذه المدينة ورأى ابنيه عمر بك أمير أزمير وخضر بك أمير أياسلوق فى حضرته .

(٢) انظر : Hill II, P.299.

(٣) انظر : Mas. - Latrie II, PP. 180-181

(٤) انظر : Gay, P.33

(٥) انظر : Ibid: Op. Cit., P.15

العام - عام ١٣٤٢ - مبعوثا خاصا ، هو هنرى داستى Enrico d,Asti
أسقف نجروبونت وبطريرك لاتين القسطنطينية - صحبة رسالة أبلغه فيها بأنه اتفق
مع سفراء رودس وقبرص على ارسال حملة صليبية عامة ضد أتراك آسيا الصغرى ،
وأنه فى انتظار أن يصل اليه رأى البنادقة حول هذا الامر (١) . وقد ردت
جمهورية البندقية على البابا كليمنت السادس ، فى ١١ يناير عام ١٣٤٣ ، بأن أسطولا
مؤلفا من أربعين سفينة حربية تحمل كل منها مائتى مقاتل ، وخمسين سفينة من سفن
النقل تحمل كل منها مائة وعشرين مجذفا وعشرين فارسا بأحصنتهم ، يكفى لتدمير
قوة الاتراك ، ولكن نظرا لان خطورة الوضع فى بحر ايجه تستدعى الاسراع فى العمل
بحيث لايمكن الانتظار الى أن يتم اعداد مثل هذا العدد الضخم من السفن ،
فان الجمهورية ترى بان اسطولا صغيرا مؤلفا من عشرين سفينة يفى بالغرض بشرط
بقاء تلك السفن فى مياه الأرخبيل ثلاث سنوات متواصلة وكاملة . وختمت البندقية
ردها على البابا بأن أبدت له استعدادها للاسهام بربع عدد سفن أى من الاسطولين
اللذين اقترحتهما يفضل ارساله لمحاربة الأتراك (٢) .

وكان أن اصدر البابا كليمنت السادس فى ٨ أغسطس من نفس العام - أى فى
عام ١٣٤٣ - قرارا بتأليف عصبة مسيحية بحرية ضد الأتراك تضم البابوية وردوس
الاسبتارية والبندقية وقبرص . ونص القرار على أن يتألف أسطول العصبة من عشرين
سفينة يسهم فيها كل من السيد الكبير للاسبتارية ودوج البندقية بست سفن ، وكل
من البابا وملك قبرص بأربع سفن ، كما نص على أن تكون مياه جزيرة نجروبونت مكانا
لتجمع هذه السفن قبل أن تبدأ فى مهاجمة الأتراك (٣) .

---

(١) انظر : Golubovich II, P.194

(٢) انظر : Gay, PP. 33-34; Atiya: The Crus. in the Lat. mid. Ages, P. 292.

(٣) انظر : Gay, PP. 34,- 35 ; Atiya: Op. Cit. , PP. 392- 293 ; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. P.93; Hill II, P.299

والمرجع العربى :

د . سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٣٧

وقد كتب البابا لحلفائه الثلاثة فى العصبة رسائل تتضمن قرار تأليفها فى نفس اليوم الذى أصدر فيه هذا القرار (١) • ويتضح من الرسالة التى بعث بها الى السيد الكبير للاسبتارية ، هليون دى فيلنيف (٢)، بأن البابا ، حين فرض على الاسبتارية أن يسهموا فى أسطول العصبة بست سفن - وهو عدد أكبر من العدد الذى قرره لكل من قبرص والبابوية - انما كان باعثه ما أشيع وقتذاك عن الثراء الفاحش الذى كانت تتمتع به هيئة الاسبتارية فى رودس (٣) •

على أن هناك دافعا آخر يمكن اضافته الى ذلك هو تقدير البابا بأن الاسبتارية سوف يكونون - مع البنادقة - أكبر المستفيدين من أسطول العصبة بحكم قربهم من تركيا مصدر الخطر والتهديد الذى صدر قرار البابا بتشكيل العصبة المسيحية وأسطولها أصلا للقضاء عليه (٤) •

ومهما يكن من أمر فقد امتثل السيد الكبير دى فيلنيف لأوامر البابا من غير مراجعة ، وأصدر أوامره - عند استلامه رسالة البابا - بالبدء فورا فى اعداد السفن الست (٥) • وفى ربيع العام التالى - أى فى عام ١٣٤٤ - كانت هذه السفن الست وبقية سفن الاسطول المسيحى المشترك قد اجتمعت معا فى ميناء نجروبونت الذى اختاره البابا فى منشور تأليف العصبة مكانا لتجمع هذه السفن قبل أن تبدأ فى عملياتها العسكرية ضد الأتراك • وقد تألف الأسطول المسيحى ، بخلاف سفن الاسبتارية الست التى كان يقودها حنا دى بياندرا Jean de Biandra مقدم شمبة لمباردیا ، من خمس أو ست سفن بندقية بقيادة بطرس زينو Pietro Zeno ، وأربع سفن قبرصية بقيادة ادوارد بوجو Edward, Sire de Beaujeu وأربع سفن بابوية

---

(١) انظر : رسالة البابا الى دوج البندقية فى : Golubovich II, P.195

(٢) انظر : Pauli II, PP. 86-87 , num. LXlX

(٣) أفاد فرتو (Vertot II,PP.199) بأن دى فيلنيف اضطر الى فرض ضريبة استثنائية على شعب الاسبتارية فى الخارج لتدبير الأموال اللازمة لاعداد السفن الست •

(٤) انظر : Gay, P.35

(٥) انظر : Vertot II, P. 199

بقيادة الجنوى مارتينو زكريا ، فضلا عن خمس سفن جنوية تصادف وجودها وقتذاك فى مياه بحر الأرخبيل ربما بقيادة كونراد و بيكاميليو Conrado Piccamiglio واحتمال انضمام سفينتين تطوع بهما بعض الحكام اللاتين فى بحر ايجه ، بحيث أصبح المجموع الكلى لسفن الأسطول يتراوح بين أربع وعشرين سفينة وسبع وعشرين سفينة (١) .

وكان من المفروض أن يتولى الجنوى مارتينو زكريا منصب القيادة العليا للحملة بصفته قائدا للسفن البابوية فى الاسطول المشترك ، ولخبرته السابقة فى محاربة الأتراك منذ أن كان حاكما على جزيرة خيوس التى طرده منها البيزنطيون قبل أربع عشرة سنة . غير أنه يبدو أن البابا كليمنت السادس خشى أن يثير بهذا التعيين حقد البنادقة أعداء الجنوية مما قد يعطل مشروعات الحملة ، أوربما خشى البابا أن يحاول مارتينو زكريا استغلال منصبه الكبير - كقائد عام لأسطول العصبة - فى استرجاع ملكه وملك عائلته القديم فى جزيرة خيوس مما قد يوغر صدر امبراطور الدولة البيزنطية الذى كان البابا يأمل فى جزبه الى عضوية العصبة ، ويعلق أهمية كبرى على هذه العضوية بعد أن فشلت جهوده مع الأنجيفيين حكام نابلى وآخايا لاقناعهم بالاشتراك فى الحملة . فمن أجل ذلك ، ولاحتمال وجود رغبة عند البابا فى تعيين قائد عام مدنى للحملة يدين له بالولاء الكامل بحيث لايتردد فى تنفيذ الاوامر البابوية فى الوقت المناسب مهما كان نوعها ، وفى استخدام هذه الاوامر فى كبح جماح القادة العسكريين فى الاسطول المشترك اذا دعت الضرورة لذلك ، فقد عين البابا فى هذا المنصب - أى منصب قائد عام الحملة والأسطول المشترك - هنرى داستى Enrico d' Asti ، بطريرك اللاتين فى القسطنطينية ، وسلمه أوامر مشددة بالا يسمح لقوات الحملة بأن تخرج عن أهدافها الأصلية المقررة ، وهى تدمير قوة أمير أيدين التركى ، عمربك ، وطرد الأتراك من اليونان ، والدفاع عن أرمينيا . (٢)

---

(١) انظر : Gay, PP. 36-39; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 93-94; Atiya: The crus. in the Lat. mid. ages, PP. 292-293; Hill II, PP. 299 - 300.

(٢) انظر : Gay, pp. 36-39, 80.

وكان أن قضى أسطول العصبة شهور الربيع والصيف من ذلك العام — أي في عام ١٣٤٤ — في مطاردة سفن الأتراك في بحر ايجه ، وفي الدخول معها في معارك بحرية لم يعرف من تفاصيلها سوى أن واحدة منها وقعت في ١٣ مايو (عام ١٣٤٤) في شمال بحر ايجه على مرأى من مونت أثوس Mont - Athos (١) ، وانجلت عن اغراق وتحطيم ما بين اثنين وخمسين سفينة (٢) وخمسين سفينه للأتراك (٣) ، وأن بعض هذه المعارك البحرية وقع في شهور يونيه ويولية وأغسطس وانتصر فيها الحلفاء المسيحيون الأوربيون على الأتراك — بمقتضى ماجاء في الخطابات التي وصلت بشأنها الى البابا كليمنت السادس في أفنيون من قبل القائد العام للعصبة هنري داستي والسيد الكبير للاسبتارية دي فيلينيف — بفضل بطولة سفن البنادقة في أسطول العصبة وقائد هذه السفن بطرس تسينو (٤).

فلما كان شهر اكتوبر ، اقتحم الحلفاء الصليبيون ميناء أزمير ، وأشعلوا النيران في سفن امارة أيدين الراسية فيه ، ثم نزلوا على الساحل واستولوا على قلعة واقعة عليه بالقرب من الميناء . وفي اليوم الثامن والعشرين من نفس الشهر احتلوا مدينة أزمير نفسها فيما عدا قلعتها العلوية الواقعة فوق تل يحد المدينة من ناحية الشرق (٥).

---

(١) تقع حاليا في اقليم الروميلي بتركيا الأوروبية — أنظر :
D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. , P. 431

(٢) انظـر : Ibid: Op. Cit., P. 94 , no. 7

(٣) انظـر : Atiya: The crus. in the lat. mid. Ages, P.293

(٤) انظـر: Atiya: Loc. Cit., Gay, P.39

(٥) انظـر : D. Le Roulx: Le Hosp. à Rh., PP. 94-95; D. Le Roulx: F.O.1, P.104; gay, P.40; Atiya , P.294 ; Vertot II, P.201; Mas-Latrie II, P. 201; Daru I, P. 598.

وكان صاحب أزمير — وهو صربك أمير أيدين — وقتذاك متغيبا فى بلاد اليونان لمساندة الهدموحنا كانتاكوزين (١)، مغتصب السلطة فى الدولة البيزنطية، ضد امبراطور هذه الدولة الصغير، حنا الخامس باليولوجس، والامبراطورة الوالدة آن الشهيرة بأميرة سافوى (٢). وقد سمع صربك بنبأ الاعتداء الصليبى على امارته منذ بدء وقوعه. ولكنه عندما تمكن من العودة اليها كانت مدينة أزمير قد سقطت بالفعل فى أيدى الغزاة الصليبيين، فلم يجد أمامه الا أن يقيم الحصار على هذه المدينة وينتظر (٣).

وعندما حل يوم ١٧ يناير من العام التالى — أى فى عام ١٣٤٥ — خرج الغزاة الصليبيون من مدينة أزمير — وقد تشجعوا بنصر بحرى أحرزه اسطولهم قبل ذلك بفترة قصيرة على أسطول تركى اشتبك معه فى معركة فى شمال بحر ايجه قريبا من رأس كاسندرا Kassandra الواقع فى اقليم سالونيك اليونانى فقد فيها الاسطول التركى ستين سفينة من سفنه — لارغام صربك على فك الحصار الذى ضربه حول هذه المدينة ولمد مستعمرتهم أزمير الى الداخل فى امارة أيدين. ولكنهم عندما اشتبكوا مع قوات صربك انتصرت عليهم هذه القوات وأجبرتهم على الارتداد الى مواقعهم الأولى وقد خلفوا وراءهم أربعين قتيلا من بينهم القائد العام للعصبة، حنا داسكى، وقائد سفن البنادقة فى أسطول العصبة، بطرس تسينو، وقائد السفن البابوية فى هذا الاسطول، مارتينو زكريا (٤). وقتل من الاسبتارية

(١) أنظر: D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP.94-95; D. Le Roulx: F.O.1, P.104; Hammedr 1, PP. 180-182.

(٢) أنظر: Runciman : Byzan. Civil. P. 58.

(٣) أنظر: D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.95.

(٤) أنظر: Golubovich IV, P.395; D. Le Roulx: les Hosp. à Rh., P. 95; D. Le Roulx: F.O.1, P.104, Gay, PP. 55-57; Atiya: , P. 295

في هذه المعركة قائد الفرقة التي اشتركت فيها ، واسمه فلور دي بوجو Fleur de Beaujeu (١) وثمانية من فرسانه (٢) .

وقد وصلت أخبار المعركة ونتائجها الى البابا كليمنت السادس عن طريق رسالة خاصة كتبها له دوج البندقية أندريا داندلو Andrea Dandolo (١٣٤٣ ـ ١٣٥٤) . ولم يلبث البابا أن تلقى رسائل أخرى من السيد الكبير للاسبتارية في رودس ، هليون دي فيلنيف ، ومن البنادقة حكام جزيرة نجروبونت ، يحثونه فيها على ارسال نجدات سريعة الى الشرق (٣) . غير أن البابا رأى أن يبدأ أولا بملء الوظائف القيادية الشاغرة في العصبة بعد مصرع أصحابها . ومنثم عين رئيس أساقفة كريت ، وهو يدعى اسمه فرانسسكو ، ممثلا شخصيا له في العصبة برتبة وكيل نائب بابوي ، كما عين أحد قباطنة السفن البابوية في أسطول العصبة ، وهو جنوى اسمه كونراد بيكاميليو Conrado Piccamiglio ، قائدا لهذه السفن (٤) . أما منصب القائد العام للعصبة فقد عين البابا لشغله حنا دي بياندرا ، قائد سفن الاسبتارية في أسطول العصبة ، ليس فقط بسبب مقدرته الشخصية التي أظهرها أثناء عملية غزو أزمير ، ولكن أيضا لانه يمثل هيئة الاسبتارية التي أصبح من حقها قيادة العصبة بعد أن وقع على عاتقها وحدها تقريبا مهمة امداد مدينة أزمير بحامية دائمة للدفاع عنها ، وهو أمر تهرب منه أعضاء العصبة الآخرون لما فيه من ارهاق مالي وعسكري لهم ، وبحكم أن أعضاء هذه الهيئة أقدر من حلفائهم الآخرين في العصبة على اسعاف قواتها بالنجدات السريعة وقت الحاجة من جزيرتهم رودس الواقعة داخل نفس المجال الذي تعمل فيه هذه القوات ، هذا الى

---

(١) أنظر : Flandin, PP. 116 -117

(٢) يقول (Vertot II, P.203) قتل عدد كبير من فرسان الاسبتارية ، ولكن جولوبوفتش نشر وثيقة (Golubovich IV, P.395) تدلنا على أن عدد القتلى من فرسان الاسبتارية تسعة (IX milites fratres Hospitalis

(٣) أنظر : Gay, P. 59

(٤) أنظر : Ibid, PP. 59-61

جانب أن وجود اسبتارى كفوء مثل حنا دى بياندرا على رأس العصبة يضمن عدم انحرافها عن أهدافها التى تألفت من أجلها ، ويحول دون وقوع خيانة أو تواطوء مع الاتـــراك من أجل الحصول منهم على كسب مادى او امتياز تجارى خاص ، وهى أمور من المحتمل وقوعها اذا تولى بندقى أو جنوى منصب القيادة العليا للعصبة (١).

وصول حملة صليبية بقيادة هيمبرت الثانى وملاندة الاسبتارية لها (عام ١٣٤٥ م)

ومهما يكن من أمر فقد كان تعيين حنا دى بياندرا فى المنصب موقتا ، ولم يلبـــث البابا كليمنت السادس أن عين فى ٢٥ مايو من نفس العام - أى فى عام ١٣٤٥ - قائـدا عاما آخر للعصبة ، هو الامير الفرنسى هيمبرت الثانى ، أمير فينا الواقعة على نهـــر الرون بفرنســا (Humbert II dauphin de Viennois) (٢) الذى تسلم أيضـا من البابا فى اليوم التالى (٢٦ مايو) راية كنيسة روما التى كانت تعطى عـــادة لقادة الحروب الصليبيـــة (٣).

وقد وصل الامير هيمبرت الثانى بالفعل الى جزيرة نجروبونت الواقعة فى بحـــر ايجه فى نحو آخر ديسمبر من ذلك العام (٤)، على رأس بضع مئات من الصليبيين الذين جمعهم من فرنســا وايطاليا (٥). وفى هذه الجزيرة وجد هيمبرت الثانى فى انتظـاره اسطولا مؤلفا من ســت سفن حربيه ، قدم له البابا منها أربع سفن هى نفسها الســفن

---

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 95-96; Atiya, P.296

(٢) القرار البابوى بتعيين الامير منشور فى : Pauli II, PP. 87-88, num. Lxx
انظر أيضا : D. Le Roulx : les hospit. à Rh., P. 96 ; Ibid: F.O.I., P. 105

(٣) انظر : Atiya: , P. 307

(٤) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.97

(٥) عن شخصية هيمبرت والعوامل التى دفعته للقيام بالحملة واتصاله بالبابا ، والاتفاق الذى عقده مع هذا البابا بشأن الحملة ، ورحلته من مارسيليا - التى اقلع منها فى ٢ سبتمبر - الى جزيرة نجروبونت عبر ايطاليا .
انظر : Gay, PP. 61-66 ; D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., PP. 96-97 ; Atiya: The crus. in the lat. mid. ages, PP. 301-311.

البابوية المشتركه فى اسطول العصبة البحرية ، وندمت له البندقيه وروبس الاسبتارية السفينتين الباقيتين بواقع سفينه واحدة لكل منهما (١). ووجد فى انتظاره فيها أيضا عددا من أشهر فرسان أوربا الذين كانوا قد سبقوه الى الشرق لقتال الاتراك منذ أن وصلت اليوم الاخبار باستيلاء أعضاء العصبة البحرية على مدينة أزمير ، والذين كان من أبرزهم أحد الاترين الاسبتارية فى فرنسا ، وهو آمر آمرية بوى أنفليه (Puy-en-velay) الواقعه فى أعالى نهر اللوار (٢).

على أن همبيرت الثانى لم يلبث ، بعد أن استقر به المقام فى جزيرة نجروبونت ، أن دخل فى مفاوضات طويله ، ولكن غير مجدية ، مع القطالونيين حكام دوقية أثينا بقصد أن يمدوه بفرقة من فرسانهم وجنودهم المشاة ، ومع البلاط البيزنطى من أجل أن يتنازل له موقتا عن جزيرة خيوس الواقعه بالقرب من شاطئ أزمير لاستخدامها كقاعدة أمامية فى حربه ضد أمير أيدين ، ثم مع قبطان جنوى اسمه سيمونى فنيوزى Simone Vigniosi وفد من بلده الى جزيرة نجروبونت فى أوائل شهر يونيه عام ١٣٤٦ ، على رأس اسطول مؤلف من ثلاثين سفينة لهدف ظاهرى معلن عنه هو محاولة استعادة مستعمرتهم القديمة كفا Caffa ، الواقعة على البحر الاسود ، من التتار ، والدفاع عن المصالح الاوربيه المسيحية فى هذا البحر ، ولهدف حقيقى هو الرغبة فى استعادة جزيرة خيوس من البيزنطيين ، وذلك لكى يثنيه عن نواياه بشأن خيوس ، ويقنعه بأن يتقدم معه على رأس سفنه الثلاثين لمحاربة عمر بك (٣). وأخيرا غادر همبيرت جزيرة نجروبونت ، فى شهر يونيه عام ١٣٤٦ ، على رأس سفنه الست ، وعشرين سفينة أخرى صغيرة انضمت اليه يعتقد أنها

---

(١) D. Le Roulx: les hosp. à Rh., P.97; D. Le Roulx : F.O.1, P. 106; Vertot II, P. 206

(٢) انظر: D. Le Roulx: Les Hosp . à Rh., P.97; D. Le Roulx : F.O.1, P.106; Gay, P.658.

(٣) انظر Gay, PP. 69-73 ; Atiya: , PP. 311-312

نيرميه (١) وتوجه رأسا الى أزمير فوصل اليها في نفس الوقت الذي حاصرت فيه سفن الجنوي سيمونى فنيوزى جزيرة خيوس علما بأن هذه الجزيرة لم تسقط في يد الجنوية إلا بعد شهرين منذ بدء حصارها . وقد أحرز هيمبرت عدة انتصارات على قوات عمر بك بالقرب من أزمير ولكنه فشل في الاستيلاء على القلعة العلوية مصدر الخطر الحقيقي على الغزاة الصليبيين في القلعة الساحلية ، بالرغم من جسامة ما تكبده في سبيل ذلك من خسائر في الأرواح بين رجاله . ولم يلبث أميرڤينا أن وجد نفسه عاجزا عن مواصلة القتال حول أزمير بسبب شدة قيظ الصيف وعدم وجود مال لديه يكفي لشراء ما يلزم قواته من مؤن من رودس أو قبرص ، واصابته شخصيا بالمرض الذي تفشى أيضا بين صفوف جنده فقتل بعضهم ودفع بالبعض الآخر الى العودة فورا الى اوروبا فرادى أو جماعات (٢). وكان أن رحل هيمبرت ومن تبقى حوله من رجاله الى رودس للعلاج . وما أن عوفي من المرض حتى كتب للبابا كليمنت السادس عن صلح يراه مشرفا فرضه عليه أتراك أيدين وطلب منه ان يأذن له بالتفاوض معهم بشأن هذا الصلح . وقد رد عليه البابا في ٢٨ نوفمبر عام ١٣٤٦ بالموافقة لأن حالة الحرب القائمة وقتذاك بين دول أوروبا الكبرى وبخاصة بين فرنسا وانجلترا جعلت من المتعذر عليه - بحسب قوله - تحصيل ضريبة العشور والاعانات المالية اللازمة للاستمرار في الحرب الصليبية ضد الاتراك . غير أن البابا اشترط على أميرڤينا ضرورة أن يتفاهم عند وضع بنود الصلح مع كل من وكيل النائب البابوي في العصبة فرانسسكو ، والسيد الكبير للاسبتارية فى رودس ، دي جوزون ، وكان قد خلف دي ڤيلونيف قبل خمسة أشهر ، ومقدم شعبة الاسبتارية في كابوا ، إزناردو دي البارنو Isnardo de Albarno ، وكان قد وصل

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh, P. 98

Gay, PP. 71-74; Atiya:,, PP. 312-313; D. Le Roulx: F.O.1, PP. 106-107.

لتوه الى رودس صحبة تعليمات سرية من البابا تتعلق بهذا الشأن ، وقائد سفن البنادقة المشتركة في تأليف أسطول العصبة ، نيابة عن الدوق اندريا داندولو ، وقائد سفن الفارسة في هذا الاسطول نيابة عن الملك القبرصي هيو الرابع ، كما اشترط عليه بأن تكون جميع بنود الصلح مشتركة للمسيحية ، وأن ينص احدها على عدم سريانها قبل أن يصدق البابا شخصيا عليها (١).

وفي نفس هذا الوقت بعث البابا كليمنت السادس برسالة خاصة الى السيد الكبير للاسبتارية ، دى جوزون ، أبان له فيها ما يعانيه الكرسي البابوى من فاقة ، ثم ناشده بأن يشترى في التفاوض مع الاتراك من أجل الصلح (٢).

الاسبتارية يديرون مفاوضات الصلح مع الاتراك — عقد الصلح وحل العصبة (عام ١٣٤٧—١٣٥١):

وكان أن دارت المفاوضات بين الجانبين التركي بزعامة عمر بك أمير أيدين ، والصليبي بزعامة هيمبرت الثاني أمير ڤينا . وبسبب هذه المفاوضات اضطر قائد عام العصبة الى تمضية شتاء عام ١٣٤٦ — ١٣٤٧ في جزيرة رودس جنبا الى جنب مع زعماء العصبة الآخرين يتلقون النصح والمشورة من السيد الكبير للاسبتارية دى جوزون. ولكن حدث في شهر مارس عام ١٣٤٧ أن فقد هيمبرت زوجته بالوفاة في رودس ، فتملكه عليها حزن شديد اقترن بما كان يعانيه من يأس في امكان نجاح مفاوضاته المتعثرة مع أمير أيدين ، وأدى به ذلك الى مغادرة رودس في شهر مايو من نفس العام عائدا الى بلاده في فرنسا بعد حصوله على اذن البابا (٣)

---

(١) انظر : Pauli II, PP. 89-90, num. LXXI? ; Gay, PP. 74-76

(٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.107

(٣) انظر : Gay, PP. 77-79 ; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 107; D. Le Roulx: F.O.1, P.108 , ; Atiya, P.314

وفي تلك الاثناء كانت العصبة البحرية قد وصلت الى درجة كبيرة من التصدع بسبب عودة القبارصة الى جزيرتهم ، وتحول اهتمام جمهورية البندقية الى اخماد ثورة قامت ضدها في مستعمرتها دلماشيا ، والى العمل على احباط النشاط الاستعماري والتجاري الذي كانت تقوم به منافستها جنوة وقتذاك في شيوه جزيرة القرم (١) ، هذا الى جانب قيام منافسة بين الاسبتارية والبنادقة من دلائلها احتجاج السيد الكبير للاسبتارية دي جوزون على دخول بعض سفن البندقية في ميناء أزمير (٢)

وقد ترتب على ذلك أن أصبحت سفن الاسبتارية في أسطول العصبة تشكل القوة الرئيسية العاملة ضد الاتراك في ذلك الاسطول (٣) ، وغدا قائدها ، وهو بطرس أرنال دي بيريز تورتيز Pierre Arnal de Peres Tortes مقدم شعبة الاسبتارية في قطالونيا (٤) ، قائدا عاما للعصبة (٥). وحدث بعد أيام قليلة من رحيل الامير هيمبرت الثاني عن رودس — أي في شهر مايو عام ١٣٤٧ (قبل العشرين من هذا الشهر) — أن نما الى علم هذا القائد الاسبتاري في رودس بأن أسطولا تركيا مؤلفا من مائة وخمسين وحدة بحرية صغيرة — كان قد تشكل في ظل الهدوء الحربي الذي ساد المنطقة خلال فترة المفاوضات الفاشلة بين عمر بك وهيمبرت الثاني — يغزو جزيرة إمبروز Imbros ، الواقعة على بعد اثني عشر ميلا من مدخل مضيق الدردنيل في شمال بحر ايجه ، واستولى عليها ، فخرج اليه على رأس

---

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hospt. à Rh., P.108; Ibid; F.O.l, P.108

(٢) انظر : Gay, P. 74

(٣) أنظر : D.Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.108; Gay, P.78; Atiya, P. 315

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P. 108

(٥) جاء في (Vertot II ,P.209) بأن قائد سفن الاسبتارية في أسطول العصبة ، هنا بياندرا ، أصبح مرة أخرى قائدا عاما لهذا الاسطول بعد عودة هيمبرت ، وواضح بأن فرتو لم يعرف بأن قائد سفن الاسبتارية وقتذاك لم يكن بياندرا وانما بطرس ارنال دي بيريز تورتيز.

أسطول العصبة المكون في معظمه من سفن تابعة للاسبتارية ، ودخل معه في معركة بحرية ، في مياه تلك الجزيرة ، انجلت عن تدمير أكثر من مائة قطعة من قطع الأسطول التركي. وهكذا أحرزت العصبة البحرية بفضل الاسبتارية أعظم نصر لها على الأتراك منذ تأسيسها . وقد بعث البابا كليمنت السادس ، في الرابع والعشرين من شهر يونيه ــ أي بعد مرور شهر واحد على المعركة ــ برسالة خاصة الى السيد الكبير للاسبتارية دى جوزون هنأه فيها على ذلك النصر (١) ، وطلب منه أن يعمل على استئناف المفاوضات التي بدأها الأمير هيمبرت الثاني مع الأتراك (٢). وكان أن دارت المفاوضات مرة أخرى بين الجانبين الصليبي والتركي . وقد مثل فيها الجانب الصليبي كل من الفارس الاسبتاري دراجونيت دى جوابيز Dragonet de Joyeuse ، نائبا عن السيد الكبير دى جوزون ، والقس بارثيليمى دى توماريس Barthélemy de Tomaris ، نائبا عن وكيل النائب البابوي في العصبة فرانسسكو ، على حين مثل الجانب التركي كل من عمر بك أمير أيدين ، وأخيه خضر بك حاكم مدينة أياسلوق.

أما دور الوساطة بين الجانبين فقد قام به التاجر الجنوى أوكتافيان زكريا Octavien Zaccaria الذي يعتقد بأنه ابن أو ابن أخ للمدعو مارتينو زكريا قائد السفن البابوية المشتركة في أسطول العصبة البحرية وقت أن استولى هذا الأسطول على مدينة أزمير. وقد انتهت هذه الجولة من المفاوضات في شهر يناير عام ١٣٤٨ بتوقيع مشروع معاهدة نصت على أن يقوم أعضاء العصبة ، مقابل الحصول على بعض الامتيازات التجارية من أتراك أيدين ، بهدم القلعة التي تحتلها قواتهم على ساحل مدينة أزمير. ويعتبر هذا المشروع نصرا للعصبة بصفة عامة وللاسبتارية ، الذين يقع على

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh, P.108 ; Gay, PP.78-79; Atiya, P. 315 ; Vertot II, PP. 212-213; Biliotti, P.160

ومن الملاحظ بأن المعركة قد استغرقت وقتا فيما يبدو ، فهناك وثيقة (انظر : D. Le Roulx: Op. Cit? P. 108 n. 2, Gay, P. 79 n.2 تدلنا على أن السيد الكبير للاسبتارية جوزون أرسل في ٢٠ مايو ، عندما وصلت اليه في رودس أنباء النصر الأولى للأسطول الصليبي ، نجدة من ثلاث سفن اسبتارية بقيادة نائب المارشال.

(٢) أنظر : Vertot II , P. 215

كاهليهم الجانب الاكبر من عبء الدفاع عن مدينة أزمير ، بصفة خاصة ، فقد ضمن لهم ، بخلاف الامتيازات التجارية التى تمنحها ، الاحتفاظ بمدينة أزمير ، والبقاء فيها بالميناء آمنين من تهديد القلعة العلوية ، التى كانت لا تزال تحت السيطرة التركية ، بحيث أصبح فى مقدورهم تخفيض عدد أفراد حاميتهم العسكرية فى المدينة ، وما يترتب على ذلك من توفير فى النفقات الباهظة التى تتكلفها هذه الحامية ، هذا بالاضافة الى ما ينتظر أن يحققه السلم من رواج تجارى لمدينة أزمير ، واعطاء هذا الميناء القدرة على منافسة الجنوية المسيطرين على جزيرة خيوس وميناء فوكايا تجاريا ، كل ذلك مقابل هدم قلعة قريبة من ميناء أزمير أشارت التقارير العديدة التى كانت تصل باستمرار الى البابا من زعماء العصبة بضآلة أهميتها وأنه كان من الأجدر هدمها منذ بدء احتلال العصبة للمدينة (١). ومن الواضح أن أتراك أيدين ما كانوا يقبلون التوقيع على مشروع يسمح لغزاة أزمير بتحقيق مثل هذه الميزات لو لم يدن أسطول الاسبتارية قد دمر قواتهم البحرية عند جزيرة امبروز قبل ذلك بشهور قليلة (٢). وبالرغم من جميع هذه الاعتبارات فقد رفض البابا كليمنت السادس أن يصدق على مشروع الاتفاقية الذى اعتبره سبة فى جبين المسيحية واعترافا من أعضاء العصبة بضعفهم . ومن ناحية أخرى أعلن دوج البندقية ، أندريا داندولو ، عدم موافقته على هدم قلعة أزمير ، ووجه اللوم الى الاسبتارية لأنهم قبلوا شروط عمر بك بهدمها ، واتهمهم بانتهاج سياسة شديدة المسالمة مع الاتراك ، وبأنهم طلبوا من قائد سفنهم فى أسطول العصبة ، وهو دى بيرنز تورتيز ، عدم تحمل مسئولية الدفاع عن قلعة أزمير (٣).

وفى تلك الاثناء كان عمر بك أمير أيدين يستعد للعبور الى أوروبا لكى يساعد صديقه حنا السادس كانتاكوزين ، مغتصب السلطة فى الدولة البيزنطية ، ضد قوات

---

(١) أنظر: D. Le Riulx: Les Hosp. à Rh., PP. 108-109, Gay, PP. 86-87

(٢) أنظر: Atiya: The Crus. in the lat. mid. ages, P. 315

(٣) أنظر: Gay, PP. 87-88

الامبراطور الشرعى لهذه الدولة ، حنا الخامس باليولوجس ، فلما سمع بنبأ امتناع البابا عن التصديق على مشروع الاتفاقية قرر تأجيل سفره الى افنيون حتى حسابه نهائيا من غزاة أزمير . غير أنه عندما هاجم هذه المدينة ، فى شهر مايو أو شهر يونية عام ١٣٤٨ ، أصيب فى مقتل ثم ارتد جيشه (١). وهكذا أصبح الطريق ممهدا لبدء جولة جديدة من المفاوضات بين أتراك أيدين والعصبة البحرية يحصل فيها أعضاء العصبة على امتيازات أفضل. وقد تولى هذه الجولة من المفاوضات عن الجانب التركى خضر بك حاكم مدينة أياسلوق الذى اختير أميرا على أيدين خلفا لأخيه عمر بك ، على حين تولاها عن الجانب الصليبى السيد الكبير للاسبتارية فى رودس ، دى جوزون ، بالاشتراك مع الفارس الاسبتارى الذى فاوض عمر بك فى الجولة السابقة من المفاوضات ، دراجونيت دى جوابيز ، ممثلا لوكيل النائب البابوى فى العصبة فرانسسكو . وقد انتهت هذه المفاوضات الجديدة فى ١٨ أغسطس عام ١٣٤٨ بمشروع اتفاقية يتميز عن سابقه بخلوه من شرط هدم قلعة أزمير الساحلية ، وبكثرة ما تضمن من ميزات سخية منحها خضر بك لأعضاء العصبة المسيحية البحرية ، مما يدل على براعة المفاوض الاسبتارى من ناحية ، وعلى ما وصل اليه أتراك أيدين من ضعف نتيجة الهزائم المتكررة التى منيت بها قواتهم فى البحر والبر على يد العصبة البحرية ، وآخرها هزيمتهم فى المعركة التى قتل فيها الأمير عمر بك ، من ناحية أخرى.

---

(١) أنظر : Gay, PP. 88 , 105

عندما زار ابن بطوطة مدينة أزمير كان أميرها عمر يحتفى بزيارة لأبيه محمد بك فى مدينة بركى . ولكن عندما ألف كتابه الذى ضمنه أخبار رحلته كان عمر بك قد قتل. وقد تكلم ابن بطوطة كلاما مقتضبا وغير دقيق عن غزوة أزمير ومصرع هذا الأمير ، فقد قال : " وكان هذا الأمير كريما صالحا ، كثير الجهاد ، له أجفان غزوية يضرب بها على نواحى القسطنطينية العظمى فيسبى ويغنم ، ويفنى ذلك كرما وجودا ، ثم يعود الى الجهاد ، الى أن اشتدت على الروم وطأته فرفعوا أمرهم الى البابا فأمر نصارى جنوه وافرانسه بغزوه فغزوه ، وجهزوا جيشا من رومية ، وطرقوا مدينته ليلا فى عدد كثير من الأجفان وملكوا المرسى والمدينة ، ونزل اليهم الأمير عمر من القلعة فقاتلهم فاستشهد هو وجماعة من ناسه واستقر النصارى بالبلد ولم يقدروا على القلعة لمنعتها ".

(ابن بطوطه : تحفة النظار ج ١ ص ١٩٤).

ولعل أهم ما ورد في تلك الاتفاقية الأخيرة من ميزات قدّمها خضر بك لاعضاء العصبة البحرية المسيحية موافقته على التنازل لهم عن نصف ما يجبى في ميناء إياسلوق، وغيره من موانى امارة أيدين التي يحكمها، من رسوم جمركية، وعلى معاملة رجالهم المقيمين في قلعة أزمير الساحلية معاملة طيبة، وعلى سحب سفنه وسفن رعاياه من مياه بحر ايجه الى البر في خلال شهر واحد لكي تنزع عنها اسلحتها أو تحرق اذا رغب البابا في أن تحرق. ومن تلك الميزات أيضا تعهّد الأمير خضر بك بعدم تقديم العون لأي أمير تركي آخر يحاربه أعضاء العصبة البحرية، أو لأي أمير مسيحي متمرد على البابا، وتعهده بعدم قيام أحد من رعاياه بالاعتداء على المسيحيين المقيمين في مدن امارة أيدين، بما فيها مدينة أزمير، أو القادمين اليها لغرض التجارة، لا بدافع من نفسه ولا بتحريض من الأمراء الاتراك المجاورين، وبأن يسلم للعصبة أية سفينة تجنح الى اليابس في امارته أيدين من السفن التي يملكها الاتراك أو القراصنة المسيحيون ويطاردها اسطول هذه العصبة، وتعهده أيضا بأن يخف رعاياه الى نجدة السفن المسيحية التي تشرف على الغرق، وبأن يسمح لسفن العصبة بالدخول الحر والآمن في جميع موانى امارته أيدين للتزود بحاجتها من المئونة، ويسمح للاسبتارية والبنادقة والقبارصة بتعيين قناصل لهم في تلك الامارة يتولى كل منهم مهمة الفصل فيما ينشب بين أفراد الجالية التي ينتسب اليها ويرأسها من منازعات، فاذا وقعت خصومة بين أحد هؤلاء الافراد ومواطن تركي استلزم الأمر أن يتفاهم القنصل مع مسئول تركي مختص (noster naypi) قبل أن ينطق بالحكم في تلك الخصومة. هذا وقد وافق خضر بك أيضا في مشروع الاتفاقية على أن يضمن تسديد ما للمسيحيين من ديون على رعاياه، وان تبقى الضرائب المعمول بها على التجارة مع المسيحيين في بلاده بلا زيادة، وأن تعطى ملكية الكنائس في كل من أزمير وأياسلوق لرئيس الاساقفه المعين من البابا في تلك المدينة، وان يسمح لرئيس الاساقفه في المدينتين باقامة الشعائر الدينية وفق عقيدتهما المسيحية بكل حرية، متمتعين بحماية الأمير خضر بك لهما وبحق وضع الحراسة عليهما وحق تملك العقارات، كما وافق خضر بك أخيرا على أن يرد للمسيحيين عبيدهم الهاربين منهم الى الجانب

التركى فى امارة أيدين ، أو أن تدفع لهم التعويضات اللازمة عن هؤلاء العبيد .(١)

هذا أهم ما ورد فى مشروع الاتفاقية الذى عقده الاسبتارية مع خضر بك أمير أيدين من ميزات ليس لصالح أعضاء العصبة البحرية المسيحية فحسب ، ولكن أيضا لصالح سائر المسيحيين الشرقيين . وقد أضافت جمهورية البندقية الى مواد هذا المشروع ، فى النسخة التى أرسلها اليها السيد الكبير دى جوزون وخضر بك ، موادا أخرى تضمنت وعودا بذلها الدوج أندريا داندولو ومجلس الشيوخ البندقى للأمير خضر بك مقابل ما تعهد به لأعضاء العصبة فى المشروع الأصلى للاتفاقية . على أنه من الملاحظ أن جمهورية البندقية لم تعط هذه الوعود باسمها وانما باسم العصبة البحرية المسيحية عامة مما يدل على انها تفاهمت بشأنها مسبقا مع السيد الكبير للاسبتارية الذى أدار المفاوضات مع أمير أيدين ، كما يدل بالتالى على أن الرئيس الاسبتارى قد تعهد بمثلها كذلك للأمير التركى . وأيا كان الأمر فان أهم ما نصت عليه تلك العهود البندقية عدم الحاق الأذى من أى نوع برعايا الأمير خضر بك ، والسماح لهم بالتنقل الحر والآمن فى جميع الأراضى الواقعة تحت سيطرة العصبة . ونصت أيضا على أنه اذا أرادت قوى مسيحية أخرى غير مشتركة فى عضوية العصبة مهاجمة أملاك الأمير خضر بك ، فان من واجب العصبة أن تبذل أقصى ما فى وسعها لدى تلك القوى لتعدل عن نواياها العدوانية ضد الأمير التركى ، فاذا اخفقت العصبة فى مسعاها أصبح من واجبها أن تحذر ذلك الأمير من الخطر المتربص به فى أقرب وقت ممكن (٢)

وقد حدث فى أوائل عام ١٣٤٩ أن وصل الى مدينة أفينون رسول تركى من قبل الأمير خضر بك ، اسمه عز الدين بالابان Essedin Balaban ، وبصحبته التاجر الجنوى اوكتافيان زكريا الذى يظن بأنه قام بدور الوساطة فى المفاوضات بين

(١) المعاهدة منشورة فى عشرين مادة باللغة اللاتينية فى :

Mas - Latrie: Commerce et Expéditions militaires de la france et de Venise au moyen age, PP. 112-119.

أنظر أيضا :

Heyd I, P.543; gay, P.91; D. Le Roulx ; Les Hosp. à Rhodes, PP. 109-110.

(٢) أنظر :

Mas - Latrie; Commerce et Exp. milit., PP. 119-120; gay, PP.91-92

السيد الكبير للاسبتارية ، د دى جوزون ، والأمير التركى خضر بث ، وقدما للبابا كليمنت السادس خطابا من خضر بث ونسخة من شروط الإتفاقية للتصديق عليه حتى يصبح سارى المفعول . غير أن البابا طلب من السفير التركى والتاجر الجنوى اعطاءه مهلة ثانية لدراسة المشروع على نحو يرى ادخال التعديلات التى يراها عليه، وبعد مضى نحو ستة شهور ، وعلى وجه التحديد فى شهر يوليه عام ١٣٤٩ عرد البابا على المبعوثين القادمين من الشرق بأنهما يلزمه الآن الحصول على موافقة كل من ملك قبرص ودوق البندقيه على المشروع بصفتهما شريكين فى العصبة المسيحية مع السيد الكبير للاسبتارية الذى وضع توقيعه على ذلك المشروع ، وذكر لهما بأنه بصدد أن يكتب الى الملك القبرصى والدوق لكى يرسلا اليه سفراءهما قبل شهر مايو عام ١٣٥٠ للتفاهم معه فى هذا الشأن وانه لذلك ، وانتظارا لما تسفر عنه المحادثات مع هؤلاء السفراء ، قرر أن يكتفى بالموافقة على عقد هدنة مؤقتة مع الأمير خضر يظل سارية المفعول حتى ٢٥ ديسمبر عام ١٣٥٠ (١).

ونتيجة للاتصالات التى أجراها البابا كليمنت السادس بعد ذلك مع أعضاء العصبة (٢) وصل الى مدينة افنيون ، خلال عام ١٣٥٠ ، سفراء عن قبرص والبندقية والاسبتارية ، وبعد أن عقد هؤلاء السفراء سلسلة من الاجتماعات ، التى حضرها اثنان من الكرادلة نيابة عن البابا كليمنت السادس ، فى ضاحية من ضواحى مدينة افنيون اسمها فيلنيف Villineuve وقعوا جميعا ، فى ١١ اغسطس عام ١٣٥٠ ، على اتفاقية نصت على أن تواصل العصبة البحرية المسيحية الحرب ضد الأتراك لمدة عشر سنوات أخرى تبدأ من أول يناير عام ١٣٥١ ، وأن يخصص لهذا الغرض أسطول مشترك مؤلف من ثماني سفن حربية تسهم فيها كل من رودس الاسبتارية وجمهورية البندقية بثلاث سفن ، وتسهم جزيرة قبرص بالسفينتين الباقيتين ، أما البابا كليمنت السادس فقد أعفى من المساهمة بأية سفن فى الاسطول لفقره الذى اوضحه صراحة لشركائه فى العصبة .

---

(١) أنظر : Gay, PP. 89-90, 92

(٢) كتب البابا الى قبرص بتاريخ ١٢ سبتمبر سنة ١٣٤٩ (Hill, II, P.301) وكتب للبندقية فى شهر اكتوبر من نفس العام (D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., p. 110) كما أنه كتب لجنوة — بالرغم من أنها ليست عضوا فى العصبة — فى عام ١٣٥٠.

وقد نصت الاتفاقية كذلك على ان يقوم البابا بتعيين القائد العام للاسطول المشترك ، وألا يمس هذا الاسطول الا ضد المسلمين ، ولا يمس بالتجارة ، كما نصت على أن يلتزم كل عضو من أعضاء العصبة الأربعة ، أى البابا ورودس الاسبتارية والبندقية وقبرص ، بربع تكاليف مستمرة أزمير وهو ما يعادل اثنى عشر ألف فلورنتى فى العام الواحد (١).

ويبدو أن قرار مواصلة الحرب ضد الأتراك جاء نتيجة ضغط من جانب البابا كليمنت السادس إما لقلة ثقة منه فى الوعود التى بذلها الأمير خضر بك للسيد الكبير دى جوزون ، أو لكبير أمل عنده فى امكان تكوين محالفة صليبية كبرى تضم الى جانب أعضاء العصبة البحرية كل من بيزنطة وجنوة . ومن دلائل ذلك موقف المماطلة والتسويف الذى وقفه من السفير التركى والتاجر الجنوى اللذين قدما اليه فى أفينون وقدما له مشروع الاتفاقية المبرم بين الأمير خضر بك والسيد الكبير للاسبتارية دى جوزون ، وكذلك مراسلاته التى اجراها خلال عام ١٣٥٠ مع كل من الامبراطور الشريك فى الدولة البيزنطية حنا السادس كانتاكوزين ، وحاكم جنوة حنا مورتا (J. Murta) ، وطلب فيها منهما أن يشاركا فى المحالفة ضد الأتراك (٢).

ومهما يكن من أمر فان هذا القرار لم يكن سوى حبرا على ورق ، وذلك أن سفراء كل من البندقية وقبرص صرحوا فى نفس اللحظة التى كانوا يوقعون فيها عليه بأن دولتهم لا تستطيع الوفاء بالتزام دفع ربع تكاليف مستمرة أزمير الذى نصت عليه الاتفاقية لأنها ترى بأن البابا وهيئة الاسبتارية مسئولان وحدهما عن دفع جميع تكاليف تلك المستمرة ، كما أن دوق البندقية أندريا داندولو أرسل الى البابا كليمنت السادس فى آخر عام ١٣٥٠ — أى بعد أربعة أشهر من صدور القرار — يطلب منه اعفاء بلاده من تقديم السفن الثلاث التى فرضها عليها قرار فيلنيف بسبب قيام الحرب بينها وبين

---

(١) أنظر : Mas Latrie II, PP. 217-218 ; Gay, PP. 93; 120-121 .

(٢) بخصوص اتصالات البابا مع بيزنطه أنظر (Gay, PP. 107-10)
وبخصوص اتصالاته مع جنوه انظر (Ibid:Op. Cit., PP. 119-120)

جنوة . وهكذا تعطل تشكيل الأسطول المشترك بسبب تلك الحرب التي لم تلبث أن اتسع نطاقها حتى شملت جميع القوى المسيحية في الشرق بما فيها قوة الاسبتارية في رودس التي ناصرت جنوة . وقد بذل البابا كليمنت السادس في شهر يولية عام ١٣٥١ محاولة للوساطة في الصلح بين حكومتي البندقية وجنوة ، غير أن محاولته انتهت الى فشل . واخيرا كتب البابا في ٨ سبتمبر من نفس العام – أي في عام ١٣٥١ – الى السيد الكبير للاسبتارية ، دى جوزون ، رسالة يخبره فيها بأنه قرر الغاء العصبة البحرية ، وبأنه ، بناء على ذلك ، يعفى دوشة الاسبتارية من تقديم السفن التي كان عليها بمقتضى قرار فيلنيف أن تسهم بها في أسطول تلك العصبة (١)

غير أن البابا كليمنت السادس توفي في ٦ ديسمبر عام ١٣٥٢ وخلفه البابا انوسنت السادس (٢). وهناك دلائل تشير الى أن البابا الجديد استطاع في بداية عهده إحياء العصبة البحرية من نفس اعضائها القدامى . ومن هذه الدلائل أن البابا طلب ، في ٣ نوفمبر عام ١٣٥٣ ، من كل من البندقية ورودس الاسبتارية وقبرص ، بأن تبادر بتسديد الاشتراك السنوي ، ومقداره ثلاثة آلاف فلورنتي ، وفقا لما حدد لها في الاتفاقية المبرمة حديثا ، وأنه أعلن ، في اليوم الثامن والعشرين من نفس الشهر ، عن ارسال سفينتين محملتين بالمؤن والجند الى الشرق على نفقة الحلفاء الأربعة (٣). غير أن ظروف الحرب بين البندقية وجنوة – وكانت لا تزال قائمة – حالت ، في الواقع ، دون وصول الجهود التي بذلها ، آنذاك ، البابا أنوسنت السادس لدى حلفائه الثلاثة الآخرين ، الى غاياتها الاخيرة ، وهي حمل هؤلاء الحلفاء على اعداد اسطول مشترك يستطيع أن يحطم قوة الاتراك في بحر ايجه وعلى ساحل آسيا الصغرى (٠).

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP.;111- 112; Gay, PP. 121-123

(٢) أنظر : Mas-Latrie II, P. 221; Hill II, P.301

(٣) أنظر : Hill II, P.301

فلما عقدت الهدنة بين الدولتين الايطاليتين المتحاربتين ، في أول يونيه عام ١٣٥٥ (١) ، استأنف البابا بذل تلك الجهود ، وكان أن أرسل ، في ربيع عام ١٣٥٦ ، الى كل من السيد الكبير للاسبتارية الحاكم وقتذاك في رودس ، وهو روجردي پنس ، وملك قبرص هيو الرابع ، ودوج البندقية حنا جرادينجو Giovanni gradenigo ، يطلب منه أن يبعث بالسفن التي سبق وتعهد بأن يساهم بها في أسطول العصبة المشترك الى ميناء أزمير قبل أول يوليه المقبل ـ أي في عام ١٣٥٦ ـ وأن يرسل سفراءه الى مدينة افنيون قبل أول نوفمبر من نفس العام للمصادقة على الاتفاقية القائمة بين أعضاء العصبة المسيحيين الأربعة أو لصياغة اتفاقية جديدة بينهم (٢).

وقد وصل سفراء الحلفاء الثلاثة الى مدينة افنيون بالفعل ، ولكنهم تأخرين عن الموعد الذي حدده البابا لوصولهم بأكثر من عام بسبب اشتعال الحرب في ذلك العام ـ أي في عام ١٣٥٦ ـ بين البندقية وهنغاريا . ولم يلبث هؤلاء السفراء أن اتفقوا مع مندوبي البابا ، في ٢٢ مارس عام ١٣٥٦ ، على اتفاقية جديدة نصت على دوام العصبة المسيحيه لمدة خمس سنوات أخرى وتشكيل أسطول مشترك من ست سفن حربية تساهم فيها كل من رودس الاسبتارية والبندقية وقبرص بسفينتين على أن تكون مهمته الرئيسية هي القيام بجولات تفتيشية مستمرة في مياه بحر ايجه ، وأن يتلقى أوامره من قائد عام العصبة الذي يعينه البابا (٣).

على أن عقد تلك الاتفاقية ، وبادرة البابا أنوسنت السادس ، بعد عقدها ، بتعيين أورسو Orso ، رئيس اساقفة كريت ، نائبا بابويا وقائدا عاما للعصبة

---

(١) أنظر : Wiel: Venice, P.216

(٢) انظر: Mas -Latrie II, P.221; Hill II, PP. 301 -302

(٣) أنظر : Mas - Latrie II, P.218 ; Hill II, P.302; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.133

ومن الملاحظ بأن سفراء رودس لم تكن مهمتهم الوحيدة هي التفاوض مع البابا بشأن احياء العصبة ، وانما كانت لهم مهمة أخرى هي محاولة تسوية ما بين حكومتهم في رودس وهذا البابا من خلافات ـ

أنظر : D. Le Roulx: OP. Cit., PP. 132 - 133.

لم يؤديا في الواقع الى تكوين الاسطول المشترك الذى نصت عليه الاتفاقية ، وذلك بسبب تقاعس ملك قبرص هيو الرابع عن تقديم السفينتين المطلوبتين منه للاسطول [1]. واذا كانت سفن الاسبتارية ، بقيادة رايموند بيرنجر ، قد هاجمت في خلال ذلك العام — أي في عام ١٣٥٦ — بالتعاون مع سفن البندقية وامراء العصبة ، اسطولا تركيا بالقرب من ميناء ميجارا Megara اليوناني ، ودمرت خمسة وثلاثين مركبا من وحداته البحرية ، فان ذلك تم خارج نطاق العصبة ، وهو نفس ما يقال به عن حادث الاستيلاء على مدينة انطاليا — وكانت مركزا لامارة تكّه Tekke من امارات الاتراك السلاجقة الواقعة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى — الذى وقع في يومى ٢٣ ، ٢٤ اغسطس عام ١٣٦١ على يد أسطول قبرصى يقوده ملك قبرص بطرس الأول ، ويتألف من مائة وعشرين سفينة بين كبيرة وصغيرة ساهم فيها البابا إنوسنت السادس بسفينتين ، والقراصنة الأوروبيون باثنتى عشرة سفينه ، والاسبتارية في رودس بأربع سفن كبيرة قائدها أمير البحر في حكومة الاسبتارية ، أو نائبه ، صحبة قسطلا نرودس لقيادة قوات البر [2] [3].

وسهما يكن من أمر فانه في عام ١٣٦٢ انتهى أمد آخر اتفاقية عقدت بشأن العصبة

---

(١) أنظر : Hill II, P.302

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.139 ; Miller : The Latins, P. 284

(٣) عن تفصيل حادث الاستيلاء على أنطاليا أنظر :
Macheras , PP. 62-68; Strambaldi, PP. 45-48; Amadi, PP. 441-413; Hill II, PP. 320-322; D. Le Roulx: Les HospIt. `a Rh., PP. 140-142 ; D. Le Roulx: F.O.1 , PP. 118-119. ; Atiya, PP. 324-327

ومن الملاحظ بأن المؤرخ امادى (ص ٤١٤) أطلق على أمير البحر الاسبتارى اسم : Joan Fortin وقد صحح ماس لاترى — الذى نشر كتاب أمادى — هذا الاسم (نفس الصفحه ملحوظه ٤) قائلا بأنه ربما يكون Joan Forbin . أما ماخيراس وستراسبالدى فانهما لم يعطيا هذا الموظف الاسبتارى اسما ، ولكن ماس لاترى — الذى نشر كتاب ستراسبالدى — قال (ص ٤٥) أن اسمه Joan Forbin بمقتضى ما جاء في كتاب مؤرخ آخر قديم عن قبرص اسمه بلسترون (ص ٢٥) . واخيرا جاء ديلاقيل لرو فأكد (ص ١٤١ ملحوظه ٢) بأن اسم أمير البحر الاسبتارى وقتذاك Ferlino d'Airasca وربما كان Forbin نائبا لـه .

البحرية الرباعية لم تجدد مرة أخرى قسط ، وبالتالى لم تقم لتلك العصبة بعدها قائمة . وقد شغل الاسبتارية فى رودس بعد ذلك فترة من الزمن بالمشاركة فى مغامرات الملك القبرصى بطرس الأول ضد دولة سلاطين المماليك فى مصر والشام ، وهى المغامرات التى بدأت فى عام ١٣٦٥ بغزو مدينة الاسكندرية ، وانتهت فى عام ١٣٧٠ بعقد معاهدة صلح بين السلطان المملوكى الأشرف شعبان والملك القبرصى بطرس الثانى ابن وخليفة بطرس الأول [1].

السيد الكبير هيريديا يقود حملة صليبية اسبتارية خالصة ضد الأتراك فى المورة (عام ١٣٧٧م):

وحدث فى نفس العام الذى عقدت فيه معاهدة الصلح هذه ـ أى فى عام ١٣٧٠ ـ أن تولى فى أفنيون بابا جديد هو جريجورى الحادى عشر (١٣٧٠ ـ ١٣٧٨) . وقد شغل هذا البابا فى مستهل عهده بالسعى لاعداد حملة صليبية يشترك فيها الاسبتارية ضد اقليم اسلامى آخر هو الدولة العثمانية تحت حكم السلطان مراد الأول (١٣٥٩ ـ ١٣٨٩) ثالث سلاطين تلك الدولة بعد جده عثمان بن ارطغرل (١٢٨٩ ـ ١٣٢٦) ثم والده أورخان بن عثمان (١٣٢٦ ـ ١٣٥٩) [2]. واذا كان الهدف الرئيسى من الحملة التى قادها الملك بطرس الأول ضد الاسكندرية فى عام ١٣٦٥ هو الاعتداء على دولة اسلامية مسالمة بقصد ارغامها على التنازل بصفة نهائية عن جزء منها هو فلسطين وساحل الشام ، والرغبة فى تأمين سلامة هذا الجزء بتحطيم القوة العسكرية للدولة فى مصر ، فضلا عن الرغبة فى الاستفادة بموانى مصر والشام التجارية وفى مقدمتها ميناء الاسكندرية ، فان الغرض الأساسى للحملة التى طالب البابا جريجورى الحادى عشر باعدادها هو الرغبة فى وقف خطر اسلامى عثمانى زحف لمسافة بعيدة على أرض المسيحية فى البلقان وشبه جزيرة المورة .

وكان أول من حث البابا جريجورى الحادى عشر على السعى من أجل ارسال حملة صليبية ضد الأتراك العثمانيين كبير الأساقفة اللاتين فى مدينة نيوباتراس ببلاد

---

(١) أنظر الفصل الخاص بالعلاقات مع المماليك .

(٢) أنظر : Baynes & moss: Byzantium, P. 47.

الجزيرة الذى هدد العثمانيون مدينته (١) بعد أن استولوا على امارة اثينا بجوارهـا ، وكذا الجنوية الذين تزعزعت مصالحهم التجارية فى المنطقة بسبب فتوحات السلطان مراد الأول (٢). وقد استجاب البابا لهم ووجه نداء عاجلا الى كل من ملك انجلترا وملك فرنسا وأمير الفلاندرز يدعوهم فيه للمساهمة فى تلك الحملة . وفى الوقت نفسه طلب البابا من زعماء المسيحية الذين يهدد العثمانيون بلادهم أو مصالحهم فى شرق وجنوب أوربا ـ وهم الامبراطور البيزنطى حنا الخامس باليولوجس ، وحامل لقب امبراطور بيزنطه فيليب الثالث ، وملوك قبرص وصقلية وهنغاريا ، ودوج البندقية ، وحاكم جنوه والسيد الكبير للاسبتارية فى رودس ، وسائر حكام بلاد الموره وجزر بحر ايجه ـ أن يعقدوا فى مدينة طيبة اليونانية ، فى اول اكتوبر عام ١٣٧٣ ، اجتماعا يضمهم جميعا لوضع خطة مشتركة للعمل ضد الاتراك العثمانيين . وقد تم عقد ذلك الاجتماع بالفعل ، ولكنه لم يلبث أن انفض من غير التوصل فيه الى أى نتيجة بسبب اثارة المنازعات الشخصية القائمة بين اعضائه (٣).

وقد حدث فى شهر فبراير من العام التالى ـ أى فى عام ١٣٧٤ ـ أن توفى فى جزيرة رودس السيد الكبير للاسبتارية القائم وقتذاك بالحكم ، وهو ريموند بيرنجير ، وخلفه فى المنصب روبرت دى جويلى . وكان السيد الكبير الجديد وقت انتخابه يشغل وظيفة مقدم شعبة الاسبتارية فى فرنسا ومقره مدينة باريس . فلما علم بالنبأ غادر باريس وتوجه الى افنيون لأخذ الاذن من البابا جريجورى الحادى عشر بالسفر الى مقر عمله الجديد فى رودس (٤). وقد انتهز البابا هذه الفرصة فطلب من الرئيس الاسبتارى أن تتولى هيئة الاسبتارية منذ الآن منفردة مسئولية الدفاع عن حصن ومدينة أزمير والصرف عليها من موارد ها الخاصة جزءا لا يتجزأ من الامبراطورية

---

(١) أنظر : Miller: The latins, P. 303

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 175

(٣) أنظر : Miller, PP. 303-304; D. Le Roulx. Les Hosp. à Rh., PP. 175 -176

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit., PP. 176, 178,183; Vertot II, P. 246

الاسبتارية في شرقي البحر المتوسط.(١) وكان الاسبتارية قد رفضوا طلبات مماثلة قدمت لهم من بابوات سابقين عندما استقرت الأمور للغزاة الصليبيين في أزمير علما بسبب ذلك لم يشتهم من أرهاق مالي وعسكري هم في غنى عنه. وقد وجدت البابوية نفسها عندئذ مضطرة الى أن تمهد بمهمة حراسة الحصن والمدينة الى قائد من المرتزقة يتولاها لفترة محدودة وأجر سنوي محدد يدفعه له البابا بعد أن يحصّله من أعضاء العصبة البحرية الرابعة التي استولى أسطولها على مدينة أزمير ، فلما توقفت كل من البندقية وقبرص عن دفع نصيبها وقعت مسئولية تسديد المبلغ كله على عاتق البابا والاسبتارية مناصفة (٢). غير أن البابا جريجوري الحادي عشر رأى أن من الخطورة ، بعد أن تزايد في المنطقة خطر الأتراك العثمانيين الذى أخذ ينمو تدريجيا على حساب بقية الامارات التركية ، دوام الاعتماد على أيدي مرتزقة ، لا يمكن ضمان اخلاصها للقضية الصليبية في الدفاع عن المستعمرة ، وأن الوقت قد حان لأن يتحمل الاسبتارية العبء ، ولكي يرغمهم البابا على التنازل عن معارضتهم القديمة للفكرة أصدر منشورا بابويا خاصا في شهر سبتمبر عام ١٣٧٤ هدد فيه هيئة الاسبتارية بعقوبة الحرمان اذا رفضت أن تتسلم زمام حكومة أزمير في خلال ثلاثة شهور بعد وصول السيد الكبير روبيرت دى جويلو الى جزيرة رودس ، وتسلمه مهام منصب الرئاسة فيها ، ونص المنشور ايضا على ضرورة أن يوفر الاسبتارية للمدينة ، بصفة دائمة ، حامية قوية من الفرسان والجند ، على أن يسهم البابا في نفقات هذه الحامية لمدة خمس سنوات بمبلغ سنوي مقداره ثلاثة آلاف فلورنتي من الذهب تخصم من حصيلة ضريبة عشور تفرض على دخل الكنيسة الكاثوليكية في قبرص (٣).

---

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P. 185 ; Vertot II, P. 247; Biliotti, P. 178

(٢) انظر: D. Le Roulx : Op. Cit, PP. 145, 175 n.3, 185

(٣) انظر : D. Le Roulx: Op. Cit, PP. 185-186; Vertot II , PP. 247-248 ; Biliotti, P. 178

وأمام هذا المنشور البابوى لم يجد السيد الكبير روبيرت دى چوبلى بُدّاً من الخضوع لرغبة البابا جريجورى الحادى عشر ، على أن مسألة أزمير لم تكن الموضوع الوحيد الذى تناقش فيه البابا فى مدينة أڤينيون مع السيد الكبير للاسبتارية قبل سفره الى رودس ، فقد تناقشا ايضا فى مسألة الحملة الصليبية ضد الاتراك العثمانيين واتفقا فى هذا المجال على توجيه الدعوة لعقد مؤتمر يضم كبار اعضاء هيئة الاسبتارية وممثليها فى الغرب لمناقشة الوسائل التى تتمكن بها الهيئة من اعداد حملة صليبية عامة ضد الاتراك العثمانيين تعتمد أساسا على مواردها البشرية والمالية فى الغرب، الى جانب المساعدات المتوقعة من حكام أوروبا ، وهى مساعدات لا ينتظر أن تكون ذات قيمة كبيرة . وقد عقد المؤتمر الاسبتارى المراد عقده بالفعل فى ٢٠ اكتوبر من نفس العام — اى فى عام ١٣٧٤ — وقرر الموافقة على أن تتحمل هيئة الاسبتارية مسئولية القيام بالحملة الصليبية ضد الاتراك العثمانيين ، وأن يتولى نائب السيد الكبير فى الغرب، وهو هيريديا ، الذى أصبح سيدا كبيرا للاسبتارية بعد موت روبيرت دى چوبلى ، نيابة هذه الحملة على أن يسمح له باختيار اعضاء هيئة الاسبتارية الذين يرغب فى حشدهم لها ، وأن يصرح له بأن يؤجر الاراضى والعقارات المخصصة دخولها راتبا له من شغله وظيفة مقدم شعبة لمهوستا لصالح الحملة الصليبية (١) . وفى أول نوفمبر من العام التالى — أى فى عام ١٣٧٥ — عقد فى مدينة أڤنيون مؤتمر اسبتارى آخر برئاسة هيريديا أتفق فيه على أن يرسل الى الشرق ، فى ربيع عام ١٣٧٦ ، لمحاربة الاتراك العثمانيين ، قوة مؤلفة من خمسمائة فارس اسبتارى وعدد مماثل له من مساعدى الفرسان على أن يصطحب كل فارس خادما من اختياره ، وتقرر أيضا أن تقوم لجنة مؤلفة من الامير الكبير بيرتراند فلوت Bertrand Flote ، ومقدمى شعب الاسبتارية فى فرنسا وشامبينى وسان چيل ، بتحديد عدد الفرسان الذى يجب أن تسهم به كل شعبة من شعب الاسبتارية فى الغرب فى تلك القوة ، على أن يتم تعيين أسماء

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. P. 184

هؤلاء الفرسان في الجمعيات العمومية الخاصة بطائفتهم (1). وقد أرسل البابـا جريجوري الحادي عشر ، في الثامن من الشهر التالي ، الى ملوك وحكام اوروبا يخبرهم بقرارات المؤتمر الاسبتاري ويطلب منهم ان يأذنوا لفرسان الاسبتارية وساعديهم المقيمين في دولهم ، ويفرض عليهم الاختيار للمساهمة في الحملة الصليبية ضد الأتراك العثمانيين ، بمغادرة تلك البلدان للرحيل عنها الى الشرق ، واخيرا يرجوهم بأن يشجعوا الحملة المذكورة بتقديم المساعدات المختلفة منها من مال ورجال لها (٢). ومن ناحية أخرى منح البابا في أول مارس عام ١٣٧٦ للجنة مؤلفة من أربعة من مقدمي شعب الاسبتارية ، عين السيد الكبير روبرت دى جوبلي اثنين منهم ، وعين البابا الاثنين الآخرين ، بأن تجبي لصالح الحملة ما قيمته ستون ألف فلورنتي من أملاك هيئة الاسبتارية في ايطاليا ، وهو مبلغ ضخم يدل على تضحية جسيمة (٣).

وفي خلال ذلك كان الاستعداد للحملة الصليبية يجري على قدم وساق في مدينة نابلي التي اختيرت مركزا لتجمع قوات تلك الحملة (٤). وقد وصل القائد المعين للحملة ، وهو هيريديا ، الى ايطاليا في يناير عام ١٣٧٧ (٥) للاشراف بنفسه على

---

(1) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 188; Vertot II, P. 252

وجدير بالذكر بأن المؤرخ Vertot (Loc. Cit) ذكر بأن الفرسان الخمسمائة ومساعديهم وصلوا الى رودس . وقد نقل المؤرخان بليوتي (Biliotti, P. 179) وفلاندان (Flandin, P. 131) هذا القول غير أن ديلافيل لرو (OP. Cit. P. 188 n.2) حدد عدد الفرسان الذين اختارتهم الشعب للسفر الى الشرق بثلثمائة وتسعين فارسا ، وذلك من واقع الكشوف الرسمية .

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit, PP. 188-189

وقد نشر پاولي الخطاب البابوي المرسل الى ملك انجلترا ادوارد الثالث بتاريخ ٦ ديسمبر عام ١٣٧٥ (انظر: Pauli II, PP. 96-97 num. LXXVII

كما نشر الخطاب المرسل بنفس التاريخ الى بوهيميا (انظر Ibid, PP. 97-98-mum. LXXIII

(٣) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit, PP. 190-191

(٤) أنظر : Ibid:Op. Cit, P. 199

(٥) أنظر : Ibid:Op. Cit, P. 192

اعداد المراحل الأخيرة فى الحملة قبل قيامها . وكان هيريديا لا يزال موجودا فى ايطاليا حين بلغه نبأ اختياره سيدا كبيرا للاسبتارية خلفا لروبيرت دى چويلى الذى توفى فى ٢٦ يولية عام ١٣٧٦م (١). غير أن هيريديا غادر أخيرا ميناء نابلى فى ديسمبر من ذلك العام — أى فى عام ١٣٧٦م — على رأس اسطول الحملة المؤلف (٢) بحسب اقوال المؤرخ بليوتى من تسع سفن حربية وبعض سفن النقل (٣)، واتجه به راسا الى بلاد المورة من غير أن يمر بجزيرة رودس التى كان يعلم سلفا افتقارها الى ما قد يلزمه من الفرسان أو الأسلحة أو المؤن . ولم يلبث هيريديا أن رسا باسطوله على الساحل ببلاد المورة قريبا من مدينة باتراس Patras فوجد فى انتظاره الأمراء اللاتين الحاكمين فى تلك البلاد جاءوا للترحيب به وتقديم يد المساعدة له . وعندما دخل مدينة باتراس نفسها قدم له رئيس أساقفتها ، الذى كان يتولى الحكم فيها أيضا وهو بندقى اسمه بولس فوسكارى Paul Foscari ، تعزيزات ومساعدات عسكرية هامة . ومن ثم عبر هيريديا خليج باتراس واستولى على مدينة ليبانتو Lepanto الواقعة على الخليج فى مواجهة مدينة باتراس ، من يد الأمير الالبانى حليف الأتراك العثمانيين ، حنا بواسباتاس Gin Bua Spatas علما بأن مقر هذا الأمير كان فى مدينة آرتا Arta المجاورة ، وأن مدينة ليبانتو لم تخضع له الا فى عام ١٣٧٨م قبل سقوطها فى يد هيريديا بفترة قصيرة. وكان على هيريديا بعد ذلك أن يتقدم للاستيلاء على مدينة آرتا نفسها . وبينما كان فى طريقه اليها فى صيف عام ١٣٧٨م وقع فى كمين أعده له الالبانيون أتباع الأمير حنا بواسباتاس ، فأسروه ثم باعوه للأتراك العثمانيين الذين احتفظوا به فى حوزتهم الى أن افتدته منهم هيئة الاسبتارية التى يرأسها ، فى ربيع عام ١٣٧٩م بمبلغ كبير من المال . أما مدينة ليبانتو ، التى كان هيريديا قد استولى عليها قبل أن يقع فى أسر الالبانيين ، فقد

---

(١) انظر : D. Le Roul : Les Hosp. à Rh., PP. 198-199

(٢) انظر : Ibid: OP. Cit. , P. 2o 2

(٣) انظر : Biliotti, P. 184

علما بأن أيا من ڤرتو ود يلاڤيل لرو لم يذكر عدد هذه السفن

دافعت عنها قوة اسبتارية بقيادة آنج البيروزى Ange de Pérouse ضد محاولات الالبانيين لاستعادتها الى أن اضطرت ، فى عام ١٣٨٠ الى التنازل عنها لهم . (١)

---

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 202-206

ويلاحظ بأن المؤرخين الذين سبقوا ديلافيل فى الكتابة عن تاريخ الاسبتارية مثل ; Vertot II, PP. 274-278; Biliotti, PP. 185 -186 Flandin , PP. 139 - 140)

قد ذكروا بأن هيريديا بدأ بأن استولى من الاتراك على مدينة باتراس ، ثم تقدم نحو مدينة كورنث لتخليصها منهم ، ولكنه لم يلبث أن وقع فى كمين كانوا قد نصبوه له فى الطريق الى هذه المدينة ، وظل فى أسرهم الى ان افتدته أسرته بأموالها فأطلقوا سراحه عام ١٣٨١ . وقد سرد المؤرخ ميللر:

(أنظر: Miller: The Latins, P. 309

وقائع هذه الغزوة فأكد بأن مدينة باتراس لم تكن فى يد الاتراك حتى يستولى عليها هيريديا ، وبأن السيد الكبير للاسبتارية وقع فى أسر الالبانيين ثم بلغوه الى الاتراك . وقد نشر ميللر كتابه فى عام ١٩٠٨ . وبعد خمس سنوات ـ أى فى عام ١٩١٣ ـ نشر كتاب لرو (الاسبتارية فى رودس) فصدق على ما وصل اليه ميللر بقطع النظر عما أتى به فى روايته من اغلاط ، ولم يختلف معه سوى فى تحديد تاريخ اطلاق سراح هيريديا فقد ذكر ميللر أن هذا التاريخ هو عام ١٣٨١ متفقا فى ذلك مع المؤرخين القدامى للاسبتارية ، فى حين أصر ديلافيل لرو أن السيد الكبير للاسبتارية اطلق سراحه فى عام ١٣٧٩ ، وقال بأنه يستند فى ذلك الى وثيقتين من وثائق الاسبتارية المحفوظة فى جزيرة مالطة ، واحداها تبين أن هيريديا كان فى ٢٠ مايو عام ١٣٧٩ فى مدينة شيارنزا Chiarenza ببلاد المورة فى طريق عودته الى رودس بعد اطلاق سراحه ، والثانية تقطع بأن هيريديا كان فى رودس قبل ٢٣ سبتمبر من نفس العام .

وهكذا انتهت الحملة التي قام بها الاسبتارية بقيادة سيدهم الكبير هيريديا لوقف تقدم الاتراك العثمانيين في بلاد اليونان الي فشل دون أن تشتبك معهم في أية معركة حربية . وعندما استعاد هيريديا حريته من أسر الاتراك العثمانيين كان العالم المسيحي الغربي مشغولا عن أحداث الشرق بما عرف باسم حركة الانشقاق العظيم في الكنيسة الكاثوليكية ، وهو الانشقاق الذي حدث نتيجة انتخاب بابوين بدلا من بابا واحد لخلافة البابا جريجوري الحادي عشر الذي توفي في ٢٧ مارس عام ١٣٧٨ فأحدهما ايطالي اسمه أربان السادس انتخب في ٨ أبريل من نفس العام واتخذ مدينة روما مقرا له والثاني فرنسي اسمه كليمنت السابع انتخب في ٢٠ سبتمبر واتخذ مدينة افنيون مقرا له.(١) ومن ثم أدرك الاسبتارية أن قيامهم في تلك الآونة بأي نشاط جديد ضد الاتراك العثمانيين في بلاد المورة سوف لا تكون له النتائج المرجوة ، وان من الأفضل لهم أن يوجهوا جل اهتمامهم الي تعزيز وسائل الدفاع عن جزيرتهم رودس وسائر مستعمراتها في بحر ايجة . وقد حدث في عام ١٣٨١ أن نما الي علمهم بأن الاتراك يعدون لطردهم من أزمير بالتواطوء مع أحد المرتزقة في حامية تلك المستعمرة اسمه نقولا روبود Nicolas Robaud . ولم يجد السيد الكبير هيريديا ، عندئذ ، بدا من أن يصدر أوامره ، في ٢٨ مارس عام ١٣٨١ ، الي قائد الحامية ، وهو الفارس الاسبتاري يعقوب دي ليوني Jacques de Leoni بابعاد جميع الجند المرتزقة من صفوف الحامية وبالتحقيق مع نقولا روبود في التهمة المنسوبة اليه ، وببذل أقصى جهد مستطاع لانقاذ المستعمرة من الأخطار التي تهددها.(٢) وقد نفذ القائد يعقوب دي ليوني تلك الأوامر على الفور ، وفيما يتعلق باتخاذ الاحتياطات الدفاعية اللازمة عن المستعمرة استخدم ذلك القائد الأموال الفائضة من دخلها ، وكذا الهبات الموصى بها لأعمال الخير ، في تقوية بعض حصونها . غير أن ذلك الاجراء لم يكن كافيا لبث الطمأنينة في نفوس سكان المستعمرة

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhod., P. 210; Trevor: Rome, PP. 269 - 271.

(٢) ارجع الي نص خطاب هيريديا الي قائد حامية أزمير في : Pauli II, P. 102, num. lXXX II

من الأوروبيين المسيحيين الذين كانوا يتوقعون أن يهاجمها الأتراك بين لحظة وأخرى ، فأرسلوا في خريف ذلك العام ـ أي في عام ١٣٨١ ـ اثنين منهم هما رئيس الأساقفة المدعو جنتيو أو (الكونستابل) نقولا من مانتوا nicolas de mantoue الى رودس حيث قابلا السيد الكبير هيريديا وطلبا منه ضرورة ارسال النجدات السريعة لتعزيز حامية المستعمرة . وكان أن استدعى هيريديا الى رودس في ٨ ديسمبر من نفس العام قائد عام المستعمرة يعقوب دى لوبو ، وتفاهم معه فيما يجب اتخاذه من اجراءات عاجلة لمواجهة أي احتمال . وفي التاسع من شهر ابريل عام ١٣٨٢ غادر هيريديا جزيرة رودس متوجها الى اوروبا لتدبير النجدات في الأموال والرجال من بيوت الاسبتارية في تلك البلاد وارسالها الى أزمير ورودس ، ولبذل محاولة ـ بمساعدة البابا كليمنت السابع الذي ناصره هيريديا ودير الاسبتارية في رودس بوجه عام ـ لدى حكام المسيحية في الغرب لاقناعهم بالتدخل العسكري ضد تقدم الاتراك العثمانيين في الشرق ، أو ـ على الأقل ـ لانتزاع المساعدات منهم (١). على أن هيريديا ، عندما وصل الى أوروبا لم يستطع أن يحقق فيها شيئا مما ساقه اليها من أجله ، وذلك لأن شعب الاسبتارية في الدول الموالية لبابا روما أربان السادس ـ وهي دول ايطاليا والمانيا وانجلترا والبرتغال ـ كانت منشقة على رئاسة هيريديا وتدين بالطاعة لسيد كبير آخر اسمه ريتشارد كاراتشيولو Richard Caracciolo ، ومن ثم فقد أبت أن تقدم أموالها ورجالها لخدمة قضية يتبناها هيريديا ، على حين كانت الشعب الأخرى الخاضعة لرئاسة هيريديا تعاني من الفوضى المالية والادارية ما جعلها عاجزة عن تلبية طلبات هيريديا منها ، وجعل هيريديا يقضي جل وقته في معالجة تلك الفوضى (٢). هذا من ناحية الاسبتارية انفسهم ، اما من ناحية دول اوروبا الغربية فقد كانت لا تزال مشغولة عن قضايا الشرق بحركة الانشقاق العظيم في الكنيسة الكاثوليكية . وكان أن اضطر هيريديا في نهاية الأمر الى أن يلبي بعض احتياجات الحاميات والحصون في رودس وأزمير

---

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., pp. 212-215

(٢) أنظر : D. Le Roulx; Op. Cit., PP. 215-220, 226.; Vertot II, PP. 286 - 287 , 290, 292-293.

من أمواله الخاصة [١] التي قدمها لها قروضا على الخزانـــة في رودس [٢].

وعلى أي حال فقد كان من حسن حظ الاسبتارية في رودس ولغير القوى المسيحية الحاكمة شرقي البحر المتوسط أن سلطان الأتراك العثمانيين مراد الأول ، وهو مصدر التهديد الحقيقي لهم ، حول نشاطه العسكري في تلك الآونة ضد امارة بنى قرمان ــ وهي احدى امارات الأتراك السلاجقة بآسيا الصغرى ــ ثم ضد بلاد الصرب والبلغار والبوسنة والألبان وغيرها من دول الشعوب السلافية القاطنة بين نهر الدانوب وبحر الادرياتيك [٣]. وبينما كان السلطان مراد الأول يحشد قوات ضخمة سنة ١٣٨٨ لمواجهة تحالف سلافي بحري تألف ضده ، اذا بالدول المسيحية في شرق البحر المتوسط ، بما فيها دولة الاسبتارية في رودس ، تخشى على نفسها من تلك الحشود ، فأسرعت خمس دول منها ، هي رودس الاسبتارية وقبرص وخيوس وميتيلين وبيرا Pera (وهي مستعمرة جنوية ، شأنها شأن ميتيلين وخيوس ، ولكن تقع بجوار القسطنطينية عبر القرن الذهبي) ، في أول ديسمبر من ذلك العام ــ أي في عام ١٣٨٨ ــ الى عقد اتفاقية تحالف فيما بينها ضد الأتراك العثمانيين لمدة عشر سنوات ، وقد نصت تلك الاتفاقية على أن تشترك جزر رودس وقبرص وخيوس وميتيلين في تكوين اسطول مشترك من أربع سفن حربية بواقع سفينة واحدة لكل منها ، على أن تقوم السفينة القبرصية بقيادة الاسطول الا اذا تعرضت احدى الدول الأعضاء في الحلف ، غير قبرص ، للغزو من جانب العثمانيين ، فانه يتعين في هذه الحالة أن تعطى القيادة لسفينة تلك الدولة المعتدى عليها الى أن تنتهي حالة الغزو ، واستقر الرأي في تلك الاتفاقية على أن تخرج السفن المتحالفة الأربع ، في شهر مايو من العام التالي ــ أي في عام ١٣٨٩ ــ من مكان تجمعها في ميناء رودس ، لتقوم بزيارة كل من خيوس وميتيلين وبيرا والقسطنطينية ، فاذا لم تجد أيا منها مهددة تهديدا حقيقيا بالغزو من جانب السلطان العثماني مراد الأول ، او أي أمير تركي آخر ، تعود أدراجها الى ميناء رودس لتقلع

---

(١) انظر : Vertot II, P. 293; Biliotti, PP. 186-187

(٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. , PP. 226-227

(٣) انظر : Gibbon: The Deeline, Vol. II, P. 1224

به مرة أخرى الى جورهيجوس Gorhigos ، وهى المستعمرة القبرصية الواقعة على الساحل الآسيوى ، ومنها الى ميناء كيرينيا kerynia فى جزيرة قبرص نفسها حيث يجب أن تبقى سفن رودس وقبرص وميتيلين أطول مدة ممكنة الى جوار السفينة القبرصية قبل أن تعود الى اوطانها . والى جانب ذلك أكدت الاتفاقية بأن يظل الحلفاء فى القيام بالداوريات فى المياه الشاطئية لتركيا ، فاذا وجدوا أن من اللازم عليهم الدخول فى معركة بحرية ضد اسطول عثمانى يتألف من خمس وعشرين سفينة وجب أن يضاعف كل منهم نصيبه من السفن التى يسهم بها فى الاسطول المشترك بحيث يبلغ عدد سفنه ثمانى سفن . واخيرا نصت الاتفاقية بأن يكون شعار الحلف الذى يلقى على رايته صورة السيدة العذراء وهى جالسة تحمل ابنها وترتديه معطفا أزرق اللون مرصعا بالنجوم (١).

موقف الاسبتارية من تهديدات بايزيد الأول :

وبهما يكن من أمر شروط هذه الاتفاقية فانه لا توجد دلائل تشير الى أنها وضعت موضع التنفيذ (٢). وأغلب الظن ان أطرافها غضوا الطرف عنها عندما تأكد لهم أن هدف الحشود العثمانية ، التى أمر بها السلطان مراد الأول ، محاربة الحلف السلافى وقد انتصر مراد الأول بالفعل فى عام ١٣٨٩ على جيوش ذلك الحلف ، التى قادها لازار ملك الصرب فى سهل قوصوه . ولكن بينما كان مراد يتفقد ميدان الحرب بعد الموقعة نهض جندى صربى من بين القتلى وطعنه بخنجر فخر صريعا

---

(١) أنظر : Hill II, PP. 439 - 440

ومما يجدر ذكره هنا أن المؤرخ ديلافيل لم يذكر عن هذه الواقعة سوى قوله بأن هيريديا عقد ، فى عام ١٣٨٩ ، مع ملك قبرص وبعض حكام الشرق الاخرين معاهدة تحالف ضد الاتراك لا تعرف شروطها .

أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. P. 225

أما مجموعة مؤرخى الاسبتارية التقليديين الذين سبقوا ديلافيل ، وعلى رأسهم فرتو ، فلم تشر الى هذه الواقعة بالمرة .

(٢) أنظر : Hill II, P. 440

ومات لثوة وخلفه ابنه السلطان بايزيد الأول الذى لقب بالصاعقة (١) Yillderim
وحدث أن استولى السلطان الجديد بايزيد الأول فى العام التالى لتوليته — أى فى عام ١٣٩٠ — على امارة أيدين التركية السلجوقية التى تقع فيها مدينة أزمير الخاضعة للاسبتارية فى رودس (٢)، فى نفس الوقت الذى سير فيه ستون سفينة هاجمت جزيرة خيوس التابعة للجنويه والواقعة فى بحر ايجة فى مواجهة تلك الامارة، وأصدر أوامره بمنع تصدير الحبوب الاسيوية الى رودس ولمنوس Lemnos وميتلين وخيوس، وجميعها واقعة فى بحر ايجه (٣). وقد ترتب على هذه التحركات العثمانية، وما صاحبها من أنباء عن مشروعات جديدة يعدها السلطان بايزيد الأول لغزو أزمير ورودس وسائر جزر بحر ايجه، أن انتاب نائب السيد الكبير للاسبتاريه فى حكم رودس اثناء غيابه فى مدينة أفنيون، وهو المارشال بطرس دى كولان P. de Culan القلق، فأرسل فى ١٢ ابريل عام ١٣٩٠ سفارة مؤلفة من سفيرين الى فرنسا لابلاغ السيد الكبير هيريديا والبابا كليمنت السابع والملك الفرنسى شارل السادس بمخاوف حكومة الاسبتارية فى جزيرة رودس من نوايا السلطان العثمانى العدائية، وحثهم على سرعة ارسال المساعدات المالية والعسكرية التى تمكن تلك الجزيرة ومستعمراتها فى بحر ايجه من الصمود.

وقد وصل مبعوثا رودس الى مدينة افنيون بفرنسا فى ٢٠ يونية من نفس العام — وبعد أن استمع السيد الكبير هيريديا لهما فى نفس يوم وصولهما دعا الى عقد جمعية فى مدينة افنيون تضم اصحاب الرتب العالية فى هيئة الاسبتارية لاتخاذ مايلزم من اجراءات تتطلبها خطورة الموقف. وبالرغم من أن هيريديا حدد يوم ٣٠ اغسطس (عام ١٣٩٠) لانعقاد تلك الجمعية، فقد تأجل افتتاحها حتى يوم أول سبتمبر

---

(١) انظر: Gibbon: The Decline, PP. 1224-1225
(٢) انظر: Atiya: The crusade of nicopolis, P. 17 ; gibbons: The foundation, PP. 185 , 283.
(٣) انظر: Hammer I, P. 303; Gibbons: The foundation , P. 186

وقد تركزت المناقشات فيها حول موضوع مسائل تدبير الأموال التي طلبتها رودس . وانتهت الى اصدار قرار نص على ضرورة أن تحصل عن السنة المالية الجارية وقت انعقاد الجمعية والتي تنتهي في ٢٤ يونية عام ١٣٩٠ ، من كل شعبة من شعب الاسبتارية ضريبة استثنائية تعادل نصف دخلها في تلك السنة ، وان تظل الشعب تدفع ضرائب استثنائية لمدة أربع سنوات مالية أخرى قيمتها عشرة آلاف فلورنتي عن كل سنة منها ، تتحملها كلها الشعب التي تدين بالطاعة للسيد الكبير هيريديا موزعة عليها كل بحسب غناها ، فاذا عادت لهيئة الاسبتارية وحدتها التي كانت عليها قبل وقوع حركة الانشقاق العظيم في الكنيسة الكاثوليكية ، خلال تلك المدة ، أسهمت الشعب المنشقة في دفعها . يضاف الى ذلك أن هيريديا أرسل الى رودس في ربيع العام التالي سفينة تحمل كميات كبيرة من المؤن وجند من الفرسان المقيمين في شعب الاسبتارية بأوروبا اختارهم هيريديا بنفسه . ومن ناحية أخرى طلب البابا كليمنت السابع من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية الموالين له في ١٠ مارس من نفس العام (عام ١٣٩٠) ، البدء في جمع التبرعات من الناس في دوائرهم الدينية لغرض المساعدة في تقوية حصون مدينة أزمير ، كما أذن للاسبتارية في ٢٩ ابريل بتسليم كل من يتبرع لهذا الغرض بمبلغ فلورنتيين اثنين صكا من صكوك الغفران (١).

وقد حدث في العام نفسه ـ أي في عام ١٣٩٠ ـ أن استولى السلطان العثماني بايزيد الأول على الامارتين المتبقيتين للأتراك السلاجقة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى ، وهما امارتا منتشه وصاروخان ، بحيث أصبح يسيطر على ذلك الساحل كله فيما عدا مستعمرة أزمير الاسبتارية . وقد أدى ذلك الى تعاظم القلق لدى حكومة الاسبتارية في رودس على أزمير بالرغم من تحول بايزيد وقتذاك عنهما الى غزو امارة بني قرمان بالداخل ، فقد ادركوا بأن المسألة فيما يتعلق بأزمير لا تعدو

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 225-231

انكون مسألة وقت (١). وعندما علم هيريديا بالأمر من هذه الحكومة عقد بمدينة أفنيون في شهر أبريل عام ١٣٩٢، جمعية من مقدمي الشعب إحوانيين لم وأمرى الاقريات الكبرى والحصلين في هذه الشعب أتخذت فيها عدة قرارات من شأنها أن توفر الخزانة المركزية في رودس جمع الأموال اللازمة لصرف على تعزيز وسائل الدفاع عن أزمير وسائر ممتلكات الاسبتارية في بحر ايجه، كذلك ناقشت الجمعية الجانب العسكرى في موضوع الدفاع عن أزمير وانتهت الى اصدار قرار نص على ضرورة تجميع أفراد حامية المدينة داخل دائرة ضيقة (٢) تقع بالقرب من البحر لأن ذلك يهيء لها تحصينات أقوى تحتمى فيها، ويعطيها قوة أكثر في القتال، ويزيد من فرص النجاة امامها اذا حلت بها الهزيمة. وقد كلف عضو الاسبتارية دومينيك الألماني Dominiqued'Allemagne بتوصيل مضمون هذا القرار بصورة عاجلة الى أزمير والاشراف على تنفيذه (٣).

ومهما يكن من أمر قرارات تلك الجمعية فانه لم يمض على صدورها عام واحد — أى في ابريل عام ١٣٩٣ — حتى كان هيريديا قد تلقى من نائبه في رودس، المارشال بطرس دى كيلان، أنباء أخرى مفادها أن ذلك النائب اتصل بالسلطان بايزيد الأول من اجل السلام، وان السلطان اشترط في مقابل أن يعقد مع الاسبتارية

---

(١) انظر : Atiya: The crus. of nico., P. 17 ; Gibbons, pp. 186-187

في عام ١٣٩١ حاول بايزيد غزو ازمير ولكنه فشل بالرغم من ضعف حاميتها وقتذاك بسبب انتشار وباء الطاعون بين افراد هذه الحامية. وكان أن فرض بايزيد حول المدينة حصارا بريا بقصد منع التموين من الوصول اليها، ولكن حاميتها لم تستلم له لحصولها على حاجتها من التموين عن طريق البحر الذى لم يكن بايزيد يملك السيطرة عليه. وفي الحقيقة فان بايزيد لم يشن هجوما حاسما على هذه المستعمرة الاسبتارية خشية أن يتحمل فيوثر ذلك على تحمه الجديد في أيدينه ورغبة منه في عدم اثارة فرسان رودس في هذا الوقت الذى كان يحاول فيه اخضاع سائر الامارات التركية السلجوقية الواقعة غربى آسيا الصغرى فلا يقدمون المساعدات لهذه الامارات من ناحية البحر.

أنظر : Gibbons, P. 185

(٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 231 - 232

(٣) انظر : Flandin, P. 144

صلحا عاما في البر والبحر ان يوافقوا على رد اللاجئين الي رودس وأزمير من الاسرى الي بلادهم ، والسماح لرعايا السلطان من التجار وغيرهم بزيارة جزيرة رودس وممارسة التجارة ، وبخاصة تجارة الرقيق فيها ، وأفادت هذه الانباء أيضا بأن حكومة رودس رفضت تلك الشروط وتتوقع أن ينتقم السلطان بغزو أزمير . وكان أن أصدر هيريديا في ٥ مايو عام ١٣٩٣) منشورا أمر فيه بإرسال نجدة سريعة الي رودس مؤلفة من واحد وثلاثين فارسا اسبتاريا . غير أن هيريديا لم يستطع ترحيلهم الا في شهر يونية عام ١٣٩٤ بسبب عجزه عن تدبير مكان لهم على السفن الذاهبة الي الشرق . ومن ناحية أخرى عقد هيريديا بمدينة أفنيون في الفترة الواقعة بين ٢٣ يولية ، ٢٦ يولية عام ١٣٩٣ جمعية جديدة من مقدمي بيوت الاسبتارية الموالين له في أوروبا قررت فرض ضريبة استثنائية أخرى على شعب الاسبتارية مقدارها ٢٠,٠٠٠ فلورنتي ولمدة أربع سنوات . (١)

دور الاسبتارية في الحملة الصليبية على نيقوبوليس (عام ١٣٩٦) :-

وبالرغم من ذلك كله فقد كان السلطان بايزيد الأول مشغولا عن الاسبتارية خلال عام ١٣٩٣ وحتى عام ١٣٩٥ بتوسيع فتوحاته في شمال آسيا الصغرى وشرقيها - حيث استولى على مدن صمسون وسينوب وسيواس وقسطموني - على الصعيد الاسيوي (٢) ، وباكمال سيطرته على بلغاريا - حيث استولى على مدن سستوفا sistova وويدين widin ونيقوبوليس Nicopolis وسيلستريا Silistra وكلها مطلة على نهر الدانوب من الناحية الجنوبية - على الصعيد الأوروبي (٣) . وقد حدث أن أرسل ملك هنغاريا سجسموند - فقد افزعه تقدم العثمانيين على نهر الدانوب حتى وصلوا الي حدود بلاده - الي جميع قوى المسيحية في اوربا يطلب منها النجدة . وكان أول من استجاب له بابا روما بونيفيس التاسع ، وبابا افنيون بندكت الثالث

---

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp.àRh., PP. 223-234.

(٢) انظر : Atiya: The Crus. of nicopolis, P.17

(٣) انظر : Hammer I, P.324

عشر ، فدعى كل منهما فى الدول الخاضعة لرئاسته الدينية للحرب الصليبية العامة ضد الأتراك العثمانيين (١). وقد قوبلت دعوتهما بحماس شديد من الأمراء والفرسان الأوروبيين الذين هدد العثمانيون أملاكهم ومصالحهم والذين هز توغل الأتراك المسلمين فى قلب قارتهم المسيحية وجدانهم الصليبى . وفيما يتعلق بالاسبتارية فقد كانوا من بين الأوائل الذين استجابوا للدعوة بسبب علاقتهم الودية مع سجيسموند الذى أصبح فيما بعد عضوا منتسبا فى هيئتهم الاسبتارية ، ولرغبتهم فى ارضاء فليب الجسور — أمير بورجنديا الذى اختير ابنه جنا المعروف باسم كونت نيفر (Le Conte de nevers) قائدا للجيش الفرنسى فى الحملة — عرفانا له منهم بالجميل من أجل هباته السخية التى قدمها للهيئة ، يضاف الى ذلك أن الاسبتارية رأوا فى هذه الحملة فرصتهم الكبرى التى قد لاتعوض للقضاء على عدوهم القوى الذى يهدد بقوته العسكرية الغاشمة وجودهم كله فى بحر ايجه ، وان طبعهم الا يفوتوها من غير أن يسهموا فيها بأقصى ما فى وسعهم لانجاحها (٢). ومن الثابت أن فرقة من فرسان الاسبتارية الألمان المقيمين فى أمريات الاسبتارية بالمانيا انضمت ، بقيادة فردريك هو هنتزولرن frédéric de Hohenzollern) (٣) مقدم شعبة ألمانيا ، الى القوات الفرنسية اثناء تقدمها عبر الأراضى الألمانية الى مدينة بودا Buda الهنغارية ، التى اختيرت مكانا لتجمع ملتقى جيوش الحملة قبل أن تبدأ عملياتها العسكرية ضد العثمانيين (٤) ، فوصلت اليها قبل أو خلال شهر يولية عام ١٣٩٦ م (٥). أما قوات الاسبتارية الرئيسية من الفرسان المقيمين فى جزيرة رودس فقد تأخر قيامها من تلك الجزيرة للاسهام فى الحملة حتى شهر اغسطس (بعد يوم ٢ وقبل يوم ٢١ من ذلك الشهر) ابا لانشغال الهيئة وقتذاك فى عملية اختيار

---

(١) أنظر : Atiya: The Crus. of nicopolis, PP. 33-34.

(٢) أنظر : Ibid : Op. Cit., P. 15

(٣) أنظر : Vertot II, P.303; Hammer I, P.327; D. Le Roulx: F.O.l, P.245.

(٤) أنظر : Atiya: Op. Cit. , P.54 ; D. Le Roulx: F.O.l, P.249

(٥) أنظر : Atiy: Op. Cit., 54.

سيدا كبيرا جديدا لها خلفا لهيريديا الذى كان قد توفى فى شهر طوس من ذلك العام او لانتظار وصول أسطول مسيحى مشترك مؤلف من اربع واربعين سفينة أسهم فى اعدادها كل من البندقية وجنوة وبيزنطة ورودس ومتيلين لغرض المشاركة فى تلك الحملة تنضم سفنهم الى سفن ذلك الأسطول الذى كان يقوده أمير البحر البندقى توماس موتشينيجو Thomas mocenigo — ثم تواصل الرحلة جنبا الى جنب معها حتى تصل الى نهر الدانوب(١) . ومن المؤكد أن قائد تلك القوات كان فيليبرت دى نيلاك الذى وقع عليه اختيار الاسبتارية سيدا كبيرا لهم خلفا لهيريديا ، ولكن ليس من الثابت بصورة قاطعة شغله ذلك المنصب قبل خروجه للحملة . ومن ناحية أخرى ليس من المعروف عدد الفرسان الذين شكلوا تلك القوات او عدد السفن المصاحبة كما أننا نجهل الطريق الذى سلكوه منذ أن غادروا سفنهم واقفه الى جوار سفن الأسطول المشترك ، الذى كان يقوده توماس موتشينيجو ، عند مصب نهر الدانوب فى البحر الأسود ، الى أن لحقوا ببقية جيوش الحملة فى بودا(٢) .

ومهما يكن من أمر ذلك فما أن وصل دى نيلاك وفرسانه الى مدينة بودا حتى خرجت جيوش الحملة باجمعها من تلك المدينة وسارت على الضفة اليمنى (الجنوبية) لنهر الدانوب — التى تقع عليها بودا — متجهة ناحية الشرق الى أن وصلت الى مدينة ويدين Widin فاحتلتها ، ثم واصلت سيرها شرقا فاستولت على مدينة راهوفا Rahova ومنها يممت شطر مدينة نيقوبوليس الواقعة على نفس الضفة اليمنى للنهر الى أن بلغتها وفرضت الحصار حولها(٣) . وقد رابطت جيوش الصليبيين خارج أسوار نيقوبوليس فى معسكرين تألف أحدهما من القوات الفرنسية — التى كانت تشكل الأكثرية فيه — الى جانب الفرق الانجليزية والألمانية وفرسان الاسبتارية الألمان

---

(١) أنظر : Atiya: The crus. of nico., PP. 54 -55, 179 n.20; D. Le Roulx: F.O.1, P.249.

(٢) أنظر : Atiga: The crus. of fiico., P.55; D. Le Roulx: Les hospit. à Rh., P. 235.

(٣) أنظر : Atiya: The Curs. of nico., P.56.

بقيادة فردريك هوهنتزولرن ، على حين تشكل الثانى ، الذى كان يقوده الملك المجرى سجسموند بنفسه ، من جيش هنغاريا وحلفائها الترانسلفانيين والولاشيين والبوهيميين والستيريين والبولنديين فضلاً عن فرسان الاسبتارية الذين وفدوا من رودس بقيادة دى نيلاك (١). وعندما وصل السلطان بايزيد الأول لانقاذ المدينة بعد ستة أيام من حصار الصليبيين لها (٢) استطاع بعد سلسلة من المعارك أن ينزل هزيمة ساحقة بقوات الحلف الصليبى ، بحيث انتهى أمر معظم الجيش الصليبى بالقتل أو الأسر . وقد تمكن الملك سجسموند ، ومن نجا من القتل أو الأسر ممن كان يحيط به من قادة الجيش الصليبى وعلى رأسهم قائد القوة الاسبتارية فلبيرت دى نيلاك ، من الوصول الى مركب صغير كان راسياً عند شاطئ نهر الدانوب قريباً من أرض المعركة فاستقلوه الى مدخل ذلك النهر حيث انتشلتهم سفن الاسطول الصليبى المشترك وسفن الاسبتارية واقلتهم الى مدينة القسطنطينية ومنها الى جزيرة رودس (٣) التى وصلوا اليها فى أواخر شهر ديسمبر عام ١٣٩٦ أو أوائل يناير عام ١٣٩٧ (٤).

وبالرغم من الحزن الذى تملك الاسبتارية فى رودس عند سماعهم من دى نيلاك بنبأ الفاجعة التى حلت بزملائهم من فرسان الاسبتارية وسائر الصليبيين أمام أسوار نيقوبوليس فقد رحبوا بالملك سجسموند وصحبه ترحيباً كبيراً فى جزيرتهم الى أن رحل منها عائداً الى بلاده هنغاريا عن طريق بحر الادرياتيك ودلماشيا (٥).

ولم يلبث أن وصل الى رودس ، ربما فى شهر أبريل عام ١٣٩٧ ، اثنان من أسرى موقعة نيقوبوليس الفرنسيين ، هما بوسيكو ، وجاى دى لاتريموال Guy de La Tremoille كان السلطان بايزيد الأول قد أطلق سراحهما لاحضار الفدية التى ارتضاها لفك أسر سائر أسرى تلك الموقعة ومقدارها مائتا ألف دوكات ،

---

(١) أنظر : Atiya: The crus. of nico., PP. 86,93

(٢) أنظر : Hammer 1, P.328.

(٣) أنظر : Atiya: Op. Cit., PP. 82-99.; D. Le Roulx : F.O.1, PP. 270-305 ; Froissart, in "Ziada, El--Arini & Ashour: Sel. Doc. of med. Hist. ". , PP. 230-233.

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 237-271.

(٥) أنظر : Atiya: The Curs. of nico., PP. 99,104, Vertot II, P.315.

وقد قصد الرجلان من هذه الزيارة أن يوسطا الصديد الكبير للاسبتارية دى نيلاك لـدى جيرانه حكام جزر بحر ايجه ـ ومعظمهم من كبار التجار ـ لاقناعهم بما له من مكانـة عندهم اضفاها عليه كونه رئيس أعظم قوة مسيحية فى بحر ايجه قادرة على حمايتهم من اغارات الاتراك بعد أن تدهورت هيبة البيزنطيين تحت ضربات العثمانيين وانهيار مركز ملوك قبرص من بيت لوزجنان تحت اقدام الجنوية ، بأن يساهموا على شكل قـروض فى دفع الجزية . ولم يخيب دى نيلاك أمل مندوبى أسرى نيقوبوليس فيه ، فقد أمد بوسيكو ـ الذى انفرد بالعمل بعد وفاة زميله جاى فى رودس فى آخر ابريل (عام ١٣٩٧م) ـ بجميع الوسائل المادية التى مكنته من استئجار سفينتين فى ميناء مدينة رودس استعان بهما بوسيكو فى القيام بزيارة أولئك الحكام فى جزرهم ، كما زوده دى نيلاك بخطابـات التوصية التى سهلت مهمته عندهم (١). على أن مساعدات الاسبتارية فى رودس لاسرى نيقوبوليس لم تقف عند هذا الحد ، فقد ساهموا من جانبهم فى الفدية التى دفعت عن اولئك الاسرى بما يقرب من ثلاثين الف دوكات (٢) وهو مبلغ لم يساهم بمثله سـوى التجار الجنويه أسياد مدينة بيرا Pera الواقعة عبر القرن الذهبى بجـوار القسطنطينية ـ ولم يساهم بأكثر منه سوى الملك جيمس الذى دفع مائة ألف دوكات ، أى نصف اجمالى الفدية (٣). وبالرغم من ضخامة المبلغ الذى أسهم به الاسبتارية فـان القيمة الحقيقية له تعود الى أنه قدم بمجرد طلبه سواء على شكل اموال نقدية او على صورة رهونات للسلطان من الصحاف والاوانى الذهبية والفضية xx ، فأفاد ، الى جانب الثلاثين الف دوكات التى دفعها الجنوية فى بيرا وخمسة عشر الف دوكات دفعها ملك قبـرص جاك الأول ، فى دفع مقدم الفدية ـ ومقداره خمسة وسبعون الف دوكات بلا تأخير مـما ساعد على أن ينال الاسرى حريتهم فى وقت مبكر هو شهر يونية عام ١٣٩٧م (٤). هذا وعندما علم دى نيلاك بأن الاسرى اطلق سراحهم ووصلوا الى جزيرة ميتيلين حيث

---

(١) انظر : P.O.I
D. Le Roulx, PP. 306 -309 ; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 271-272. ; Atiya: The Crus. of nico., P.1 05

(٢) المبلغ على وجه التحديد (٢٩٢٦١) دوكات ـ انظر :
D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. , P. 272

(٣) انظر :
Atiya: The Crus. of nico., P.110.

xx توجد وثيقة عن بعض المجوهرات التى استعارها الاسبتارية من أجل هذه الفدية منشورة فى

(٤) ا. F.O.II, PP. 43-45

استنفاذهم حاكمها ما يزيد على الشهر ، أرسل اليهم في تلك الجزيرة سفينتين حربيتين أقلتاهم الى جزيرة رودس التي وصلوا اليها في آخر شهر اغسطس عام ١٣٩٧ ولقوا بها كل ترحيب واكرام من الاسبتارية الى أن وصلت الى رودس قافلة من السفن البندقية كانت عائدة الى وطنها من رحلة تجارية فرحلوا صحبتها في منتصف شهر اكتوبر من نفس العام (١).

الاسبتارية يدخلون طرفا في مجموعة من المحالفات مع بعض جيرانهم المسيحيين ضد بايزيد الأول بعد موقعة نيقوبوليس :

وهكذا انتهت حملة نيقوبوليس ودويها بالنسبة للاسبتارية في رودس. وقد حدث في العام التالي للحملة ـ أي في عام ١٣٩٧ ـ أن توغل جيشان للعثمانيين في بلاد اليونان ، فاحتل احدهما بقيادة السلطان بايزيد الأول اقليم تساليا في الشمال وأرغم صاحبته ـ وهي أميرتساليونا ـ على دفع الجزية لها ، في حين غزا الجيش الآخر بقيادة يعقوب واڤرينوس (Jacoub & Evrenos) بعض مدن شبه جزيرة المورة في الجنوب وأرغم اثنين من سادة شبه الجزيرة ـ هما تيودور پاليولوجس ، أخو الامبراطور البيزنطي مانويل الثاني وممثله في حكم شبه الجزيرة علما بأن سلطته عليها كانت اسمية ، وبطرس دي سان سوپيران الشهير باسم بوردو (Pierre de S. Superan, dit Bordo) قائد المغامرين النافاريين على أجزاء من المورة ـ على قبول دفع الجزية للسلطان ، ثم عاد أدراجه الى تركيا بعد أن نشر الدمار والخراب في بلاد المورة كلها (٢). ولم تمر تلك الحملة على بلاد اليونان من غير أن تحدث ردود فعل في الجانب المسيحي كان للاسبتارية في رودس دور فيها . ومن هذه الردود أن جمهورية البندقية ، وقد تملكها القلق على مستعمراتها ومصالحها في بلاد اليونان ، سعت في شهر اغسطس عام ١٣٩٨ لدى كل من رودس الاسبتارية وقبرص وخيوس

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh.PP. 272.-273; Ibid: F.O.1, PP. 315-317

(٢) أنظر : D. Le Roulx: F.O.1, PP. 349-353; Miller: The Latins, PP. 358-359

وباكسوس لعقد حلف يضم هذه الدول جميعا ضد الاتراك العثمانيين. غير أن البندقية لم تلبث أن أعلنت في شهر يوليه من العام التالي - أى في عام ١٣٩٩ - تخليها عن المشروع خشية أن ينتقم السلطان منها بالهجوم على املاكها اليونانية، وكلفت قائد أسطولها في بحر الادرياتيك بعقد الصلح مع ذلك السلطان، على حتى لا تلحق الخسارة الفادحة (١).

وعلى صعيد آخر أرسل الامبراطور البيزنطي مانويل الثاني باليولوجس (١٣٩١ - ١٤٢٥) سفراء الى حكام ايطاليا وفرنسا وانجلترا طالبا منهم لنجاده ضد السلطان بايزيد الأول، الذي لم يكتف بالحملة التي قام بها عام ١٣٩٧ على بلاد اليونان، ولكنه بادر، بعد انتهاء تلك الحملة في نفس العام ١٣٩٧، الى فرض الحصار حول مدينة القسطنطينية عاصمة الامبراطور، كما أيد ادعاءات ابن اخيه حنا السابع باليولوجس في العرش الامبراطوري. وقد بادر الملك الفرنسي شارل السادس، مدفوعا بالرغبة في الانتقام للدماء الفرنسية التي أهدرها العثمانيون أمام نيقوبوليس، الى ارسال نجدة الى مانويل الثاني مؤلفة من ست سفن وأربعمائة فارس بصحبة كل منهم جندي من المشاة المسلحين وأحد رماة السهام، بقيادة المارشال بوسيكو. وقد أقلع بوسيكو بسفنه من فرنسا في آخر يونيه عام ١٣٩٩، وانضمت اليه في الطريق بعض السفن التي وعدت بها كل من البندقية وجنوة ورودس الاسبتارية - وعددها تسع عشرة سفينة، منها ثماني سفن مملوكة للبندقية ومثلها لجنوه وسفينتان للاسبتارية في رودس وسفينة واحدة قدمتها جزيرة ميتيلين - فقادها بوسيكو جميعا الى مدينة القسطنطينية، عبر بوغاز الدردنيل وبحر مرمرة، دون أن تعترض السفن العثمانية طريقها. ولم تلبث سفن هذا الحلف المسيحي أن خرجت من مياه القسطنطينية، بعد أن أضاف اليها الامبراطور مانويل الثاني خمس سفن بيزنطية بقيادته الشخصية وأمضت شهرا في شن الاغارات المقرونه بأعمال النهب والسلب واشعال الحرائق

---

(١) أنظر: D. Le Roulx; Le Hosp. à Rh., P.275; miller: The Latins, P. 361

على مواقع العثمانيين على سواحل البحر الأسود وآسيا الصغرى، ثم عادت الى أوطانها التي خرجت منها فيما عدا أربع سفن جنوية ومثلها بندقية تخلفت في مياه البوسفور للمساعدة في الدفاع عن مدينة القسطنطينية الى جانب فرقة فرنسية مؤلفة من مائة فارس ومثلهم من الجنود المشاة وعدد كبير من رماة السهام تركها بوسيكو في المدينة لتعزيز حاميتها البيزنطية لمدة عام كامل على حساب فرنسا (١).

ويبدو أن جمهورية البندقية قد تشجعت من نتائج هذه المغامرة العسكرية فأجرت في عام ١٤٠٠ م مشاورات مع الاسبتارية في رودس وحكومة أثينا — وهي حكومة خاضعة للبندقية نفسها (٢) — بقصد اتخاذ اجراء مشترك ضد العثمانيين في بلاد اليونان (٣). واذا كنا نجهل نتيجة تلك المشاورات فاننا نعرف بأن اتفاقا بتأليف أسطول مشترك لمهاجمة العثمانيين تسهم فيه كل من جزيرتي كريت ونجروبونت الخاضعتين للبندقية وجزيرة رودس الاسبتارية بسفينتين، وكل من حاكم جزيرة ناكسوس البندقي والحكومة الجنوية في جزيرة خيوس بسفينة واحدة، قد عقد في أوائل عام ١٤٠٢ م نتيجة اتصالات تمت أيضا بمبادرة من جمهورية البندقية مع أطراف ذلك الاتفاق (٤). وبالرغم من وجود وثيقة تفيد بأن جمهورية البندقية أبلغت في ٢٠ مايو من نفس العام قائد أسطولها نبأ انشغال السلطان العثماني بايزيد الأول بتهديد التتار بقيادة تيمورلنك لبلاده، وطلبت منه بأن يتوجه الى بحر ايجه لتوصيل هذا النبأ الى أطراف الاتفاق المذكورين فيبادروا، انتهازا للفرصة الى تسيير سفنهم صحبة سفن أسطوله للاغارة على جميع الأهداف البحرية العثمانية التي تستطيع الوصول اليها (٥)، فاننا لا نملك دليلا على خروج تلك السفن

(١) أنظر : D. Le Roulx: F.O.1, PP. 365-399. ; De La Ronciere II, PP. 125-129.

(٢) أنظر : Miller, P. 652.

(٣) أنظر : Noiret, P.110

(٤) أنظر : Noiret, P. 125. ; D. Le Roulx : Les Hosp. à Rh., P. 283 ; Ibid: F.O.1, P. 386.

(٥) أنظر : Noiret, PP. 129-131.

وقيامها بأى نشاط حربى ضد العثمانيين، وبالتالى لا تملك الدليل على أن الاتفاق نفسه وضع موضع التنفيذ (١). وأيا كان الأمر فقد كان ذلك الاتفاق آخر اتفاق تم عقده بالفعل بين القوى المسيحية الحاكمة فى بحر ايجة وشرقى البحر المتوسط من أجل القيام بعمل عسكرى عدوانى مشترك ضد المسلمين، وان كانت المحاولات للاتفاق قد استمرت خلال القرن الخامس عشر بمبادرات من الاسبتارية فى رودس لهم، فقط لأنهم أشد تلك القوى المسيحية تعصبا ضد المسلمين وحماسا لقتالهم بحكم طبيعة مؤسستهم والغرض من قيامها، ولكن أكثر من ذلك لأنهم فى ذلك القرن الخامس عشر تعرضوا فى جزيرتهم رودس عدة مرات للهجوم القوى والحصار المحكم من جانب المسلمين، سواء الأتراك العثمانيين أو المماليك، وهو أمر لم يحدث لهم من قبل منذ أن أحبطوا المحاولات الأولى التى قام بها الأتراك السلاجقة لطردهم من رودس فى السنوات القليلة التى تلت استيلائهم على تلك الجزيرة.

---

(١) انظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. , P. 283; Ibid: F.O.1, P. 386.

الفصل السابع

سقوط رودس في أيدي الأتراك العثمانيين ونهاية حكم الاسبتارية فيها

- سقوط أزمير في أيدي التتار عام ١٤٠٢ .
- السلم يسود العلاقات مع العثمانيين من عام ١٤٠٢ حتى عام ١٤٥٣ .
- السلطان العثماني محمد الثاني ينهي حالة السلم مع الاسبتارية عقب استيلائه على القسطنطينية عام ١٤٥٣ – تبادل الاعتداءات .
- حصار عثماني فاشل حول رودس العاصمة عام ١٤٨٠ .
- عودة السلام في عهد السلطان بايزيد الثاني نتيجة لجوء جم أخي السلطان الى رودس عام ١٤٨٢ .
- تدهور العلاقات مرة أخرى – تعيين دوبيسون قائدا عاما لحملة صليبية ضد بايزيد عام ١٥٠١ .
- قيام السلطان العثماني سليمان الثاني بحصار رودس وطرد الاسبتارية منها (عام ١٥٢٢) .

سقوط أزمير فى أيدى التتار عام ١٤٠٢ :—

لعل أبرز حادث وقع للاسبتارية فى مطلع القرن الخامس عشر الميلادى هو طردهم من مستعمرتهم أزمير على يد التتار بقيادة تيمور لنك. وكان تيمورلنك قد انتصر على السلطان العثمانى بايزيد الأول وأسره قرب انقره فى ٢١ يوليه عام ١٤٠٢ (١) ، ومن ثم فقد غدت آسيا الصغرى كلها تحت رحمة جيوشه (٢) . وكان أن أخذت حامية الاسبتارية فى مدينة أزمير — وكانت تتألف بصفة دائمة من مائتى فارس اسبتارى ، تستعد منذ ذلك الحين لمواجهة التتار على أسوار المدينة . ومن ناحية أخرى أوفدت حكومة الاسبتارية فى رودس بعض كبار المسئولين والقادة للتفتيش على وسائل الدفاع عن أزمير وتعزيزها بالمزيد من المقاتلين والذخائر والمؤن (٣) .

وقد بدأت قصة تيمورلنك مع الاسبتارية فى أزمير بأن أرسل اليهم سفارة من بعض أمراء التتار طلبت منهم أن يختاروا اما اعتناق الاسلام أو دفع الجزية أو القتال ، ثم هددتهم بأنهم اذا أبوا الا القتال وضعتهم قوات التتار المظفرة جميعا تحت حد السيف . وكان أن رد القائد وليم دى مين G. de mine بتصميمه على الدفاع عن المدينة ، ثم أرسل بالخبر الى رودس فأمدته بكميات اضافية من الذخائر والأسلحة والمؤن ، وبفرقة من المقاتلين الاشداء . وعندما علم تيمورلنك وكان آنذاك بمدينة كوتاهية — بتلك الانباء ومناعة أزمير وقوة تحصيناتها ، قرر أن يتوجه اليها لحصارها بنفسه فى ديسمبر عام ١٤٠٢ . وبعد أن اكتمل وصول قواته التى طلبها من مختلف انحاء آسيا الصغرى شن هجوما عليها ، وقد احكم حصاره عليها برا وبحرا . ولم يستطع الاسبتارية رغم ما أبدوه من شجاعة الصمود أمام التتار فسقطت أزمير فى يد تيمورلنك ولم يفلت من الموت من رجال الحامية

---

(١) أنظر : De La Roncière II, P. 129; Hammer II, P.92; D. Le Roulx: F.O.1, P. 393

(٢) أنظر : Hammer II, P.117; Vertot II, P. 337; Biliotti, PP. 192.

(٣) أنظر : D. Le Roulx : Les Hosp. à Rh., P. 284.

الاسبتارية سوى العدد القليل، وفر من بينهم قائد الدفاع وليم دى مين. وقد تمكن هؤلاء من وجه النجاة فى البحر فألقوا بأنفسهم فى مياهه، ووصل من نجا منهم من الغرق سباحة الى سفن الاسبتارية، التى كانت تتجول قريبا من الميناء منذ أقحمت فى المضيق منذ قبل أن يصدم التتار عليها فى بدء الحصار، فالتقطتهم ونقلتهم الى رودس[1].

وليس من شك فى أن ضياع مدينة أزمير وحصنها من ايدى الاسبتارية قد هيأ لهم فرصة العيش فى سلام مع جيرانهم الاتراك، وأزاح عنهم عبء النفقات العسكرية والادارية التى كانوا يتكبدونها فى سبيل الاحتفاظ بهما، وهى نفقات أكبر مما كانت تحتمله موارد خزائنهم، وأراحهم مما كانوا يعانون منه من ألوان الجهد الحربى من أجل الدفاع عنهما بسبب بعدهما عن رودس[2]. غير أن السيد الكبير للاسبتارية فليبرت دى نيلاك، لم يقم لهذه الاعتبارات وزنا، وخرج بنفسه ربما فى عام ١٤٠٣ (٣) ــ على رأس قوة من الاسبتارية استولى بها، من غير قتال على موقع

---

(1) أنظر: Cherefeddin (trad. de Petits de La Croix): Hist. de Timur - Beg, vol. IV, PP. 47-53; Vertot II, PP. 332-341; Biliotti, PP. 191- 195; Hammer II, PP. 114-117; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh.,PP. 285-286; D. Le Roulx: F.O.1, P.395.

(2) أنظر: Farochon, P. 66n.1.

(3) يقول المؤرخ ديلافيل بأن الرأى السائد هو أن بناء حصن القديس بطرس تم بعد تدمير حصن أزمير وكتعويض عنه. ويستطرد بأن مؤرخ الاسبتارية القديم بوزيو يذكر بأن حصن القديس بطرس شيد فى العام التالى بعد معركة انقره. وبناء على أقوال ديلافيل هذه (انظر كتابه ــ الاسبتارية فى رودس ص ٢٨٨ ــ ٢٩٠) فقد رجحنا أن يكون بناء حصن القديس بطرس قد تم فى عام ١٤٠٣ باعتبار أن معركة أنقره دارت فى عام ١٤٠٢.
وقد ذكر كل من فرتو (الجزء الثانى ص ٣٤٤) وبليوتى (ص ١٩٦) صراحة بأن الاسبتارية بنوا حصن القديس بطرس تعويضا عن حصن أزمير الذى دمره التتار "" ولكنه لم يذكر العام الذى شيد فيه الحصن. اما المؤرخ هامر (الجزء الثانى ص ١٦٦، والجزء الثالث ص ٢٧٤) فذكر بأن السيد الكبير للاسبتارية بنى حصن القديس بطرس باذن من السلطان محمد الاول وعلى أرض فى اقليم منتشه منحه اياها هذا السلطان. على ان رواية هامر لا يمكن أن تكون صحيحة لأن محمد الاول تولى فى عام ١٤١٣ (هامر ج ٢ ص ١٢١) على حين تكلمت وثائق الاسبتارية المحفوظة فى جزيرة مالطة عن حصن القديس بطرس ابتداء من عام ١٤٠٨ (ديلافيل لسو: الاسبتارية فى رودس ص ٢٨٩).

ساحل آخر في آسيا الصغرى يواجه جزيرة لانجو وعلى بعد اثني عشر ميلا الى الشمال الشرقي منها ، هو موقع مدينة هاليكارناس القديمة عاصمة كاريا ومسقط رأس المؤرخ الاغريقي هيرودوت (١). ومما يسهل له مهمته حالة الذعر والفوضى التي سببها وجود التتار في آسيا الصغرى منذ نصرهم على بايزيد في موقعة أنقرة (٢). وقد أقام الاسبتارية في هذا الموقع حصنا قويا لاتخاذه جسرا يواصلون عن طريقه حربهم البرية ضد أتراك آسيا الصغرى عوضا عن حصن أزمير الذي فقدوه . وقد أطلق الاسبتارية على حصنهم الجديد اسم القديس بطرس غير أن الاتراك عرفوه باسم بودروم ، وهو اسم اطلقوه أيضا على الميناء الواقع الى الغرب من شبه الجزيرة التي اقيم الحصن عند طرفها ، وعلى المدينة التي قامت الى الداخل من شبه الجزيرة . وقد اشتق الاتراك هذا الاسم بودروم — الذي لا يزال يطلق الى اليوم على الميناء والمدينة — من الترجمة اليونانية للاسم القديس بطرس ، ونطقها سان بدرو San Bedro (٣). هذا وقد تم بناء الحصن تحت اشراف الفارس الالماني هسو شليجلهولتز Hesso Schlegelholtz حاكم جزيرة لانجو الاسبتاري وصاحب فكرة استيلاء الاسبتارية على تلك المنطقة من ساحل آسيا الصغرى (٤) التي لا تزيد مساحتها عن الثلاثة كيلومترات مربعة (٥).

وبالرغم من مناعة حصن القديس بطرس وما كان يجاوره من تحصينات أقامها الاسبتارية بعد تشييده (٦) فان حصن ازمير كان يتميز عليه بكونه قاعدة عسكرية امامية للاسبتارية أكثر

---

(١) أنظر : Vertot II, PP. 344-345; Biliotti, P. 196.

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 287.

(٣) أنظر : Vertot II, P. 345; Biliotti, P. 196; Flandin, P. 153; Hammer III, P. 274 n.l; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.287

Farochon, P. 66 n.l.

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 287. ; Hammer III, P.274

وأنظر : خريطة للحصن والمدينة في : Farochon, P. 121

(٥) أنظر : Farochon, P. 66 n.l.

(٦) بخصوص مناعة الحصن وما يحيط به من تحصينات أنظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 287-288; Vertot II, PP. 345-346

Farochon, P. 66 n.l.

ربا من عاصمة أعدائهم الأتراك العثمانيين في بورصا ، فهو من هذه الناحية أقدر على التجسس على اولئك الاعداء وعلى رصد تحركاتهم للتأكد من عدم اقلاع سفنهم لمهاجمة رودس أو احدى جزر بحر ايجه الخاضعة لها . ومن ناحية أخرى كان حصن أزمير أكثر فائدة لايواء سفن الاسبتارية التي تطاردها سفن الأتراك وسفن القراصنة المسيحيين في عرض البحر بعيدا عن جزيرة رودس . يضاف الى ذلك أن غالبية سكان مدينة أزمير حول الحصن كانت من المسيحيين (١) الذين ولا شك تعاونوا باستمرار مع الحامية الاسبتارية في الدفاع عن الحصن والمدينة معا ، على حين كان سكان مدينة بودروم بجوار حصن القديس بطرس من المسلمين الذين كانت حامية الحصن الاسبتارية ترتاب في أمرهم فتضطر في اوقات الحرب الى التحفظ عليهم كرهائن ورهائن (٢) . ولكن من الناحية الأخرى فان حصن القديس بطرس يفضل حصن أزمير بموقعه القريب من جزيرة رودس والجزر الخاضعة لها في بحر ايجه وبخاصة جزيرة لانجو (٣) أهم هذه الجزر بعد رودس ، فان هذا الموقع يساعد على انجاد الحصن ، اذا لزم الأمر ، في الوقت المناسب ، ويجعل من المستطاع الاستفادة بما لدى الحصن من سفن رصدها الاسبتارية في مينائه لخدمته في الدفاع بصورة اكثر فاعلية عن جزيرة رودس أو احدى الجزر الخاضعة لها اذا تعرضت للهجوم من عدو فضلا عن مطاردة القراصنة في المياه القريبة من تلك الجزر (٤) .

السلم يسود العلاقات مع العثمانيين من عام ١٤٠٢ حتى عام ١٤٥٣ :

وبعد ، فهذا فيما يتعلق بسقوط حصن أزمير في يد تيمورلنك التترى في ديسمبر عام ١٤٠٢ وبناء حصن القديس بطرس في عام ١٤٠٣ عوضا عنه . وقد حدث أن تيمورلنك

---

(١) انظر : Atiya: The Crus. in the later mid. ages, p. 294

(٢) انظر : Farochon, P. 66, n.1.

(٣) انظر : Biliotti, PP. 195-196.

(٤) انظر : Vertot II, P. 346.

بعد أن انتصر على السلطان العثماني بايزيد الأول في موقعة أنقرة في عام ١٤٠٢ ، وتمكن من أسر ذلك السلطان وإرساله في قفص إلى سمرقند ، أعاد أمراء الأتراك السلاجقة إلى أقاليم أيدين ومنتشه وتكه وقرمان التي كان بايزيد العثماني قد طردهم منها في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، على حين تحصن أولاد بايزيد كل في قلعة داخل آسيا الصغرى ، فيما عدا أكبرهم سليمان الذي عبر البحر بمساعدة البيزنطيين إلى إقليم أدرنه وغيره من أقاليم الدولة العثمانية في أوروبا (١) . ولما توفي السلطان بايزيد الأول في أسره في ٩ مارس عام ١٤٠٣ (٢) ـ وهو نفس العام الذي انسحبت فيه قوات تيمورلنك من آسيا الصغرى (٣) ـ نادى ابنه سليمان بنفسه سلطانا على الدولة العثمانية المنهارة باسم سليمان الأول . ولم يلبث ذلك السلطان أن عقد مع الاسبتارية في رودس وجمهوريتي البندقية وجنوة والامبراطور البيزنطي مانويل الثاني باليولوجس ودوق الأرخبيل الحاكم في جزيرة ناكسوس يعقوب الأول معاهدة صداقة وتجارة تضمنت موافقة السلطان سليمان الأول على منح جميع التجار المسيحيين الذين يترددون على بلاده تسهيلات تجارية وإعفاءات ضرائبية وجمركية كثيرة فضلا عن الحماية والأمان ، كما تضمنت المعاهدة اعتراف السلطان للدول الموقعة عليها ببعض الممتلكات الاقليمية في بلاد اليونان منها دوقية سالونيا التي اعترف بملكيتها للاسبتارية (٤) . ومما يلاحظ في هذه المعاهدة أنها لم تتضمن نصوصا بتعهدات من جانب أطرافها المسيحيين للسلطان سليمان الأول في مقابل وعوده التي بذلها لهم ، وسواء كانت تعهداتهم قد سجلت في المعاهدة ثم فقدت أو أنها لم تسجل على الاطلاق ، فليس من شك في أنها كانت ترمي إلى قيام تحالف بري وبحري بين أولئك الأطراف المسيحيين والسلطان سليمان الأول ضد تيمورلنك . ويلاحظ أيضا بأن المعاهدة لا تحمل تاريخ توقيعها الذي يمكن حصره بين

---

(١) أنظر : Gibbon: The Decline, Vol. 2, PP. 1256-1257; Hammer II, PP. 120-121.

(٢) أنظر : Maw - Latrée: Comm. Et Expéd., P. 178 n.1; Hammer II, P. 119

(٣) أنظر :

(٤) ارجع إلى مواد المعاهدة ، وكذلك D. le Roulx: Les Hosp. à Rho., P. 286

مارس سنة ١٤٠٣ ، وهو اليوم الذى توفى فيه السلطان بايزيد الأول ، وأول ابريل عام ١٤٠٥ ، وهو اليوم الذى توفى فيه تيمورلنك(١) ، والأرجح أن المعاهدة لم تعقد قبل عام ١٤٠٤ ، وهو العام الذى تنازل فيه تيودور پاليولوجس ـ نائب الامبراطور البيزنطى مانويل الثانى پاليولوجس فى حكم بلاد المورة ـ للاسبتارية عن دوقية سالونا التى أقرهم فيها السلطان سليمان الأول بمقتضى تلك المعاهدة.(٢)

ومهما يكن من أمر تلك المعاهدة فان الاسبتارية فى رودس لم يعولوا عليها كثيرا لأن السلطان سليمان الأول الذى عقدوا معه المعاهدة لم يتعد نفوذه الأملاك الأوربية للدولة العثمانية ، أما آسيا الصغرى نفسها فقد تنازع النفوذ فيها بقية اخوة سليمان فضلا عن أمراء الأتراك الذين أعادهم تيمورلنك التتسورى الى عروشهم قبل انسحابه من تلك الجهات . ولذا فقد بنى الاسبتارية سياستهم على أساس أن الخطر العثمانى لا يزال قائما بالاضافة الى عودة الخطر السلجوقى واحتمال عودة التتار. ومن ثم سعى الاسبتارية فى الاعوام ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ لدى كل من شارل توكسو أمير جزيرة كيفالونيا الواقعة الى الشمال الغربى من شبه جزيرة المورة ، ومانويل الثانى پاليولوجس امبراطور الدولة البيزنطية ، وثلاثة من أقارب ذلك الامبراطور ـ هم ابنه حنا الثانى وابن اخيه حنا السابع وأخيه تيودور ـ وكذا لدى چانوس لوزجنان ملك قبرص لاقناعهم بالدخول معهم فى حلف مسيحى يضمهم جميعا ضد الأتراك وكافة أعداء المسيحيين ، غير أن مساعى الاسبتارية هذه باءت كلها بالفشل ، كما فشل لهم مسعى آخر بذلوه فى ٢٣ نوفمبر عام ١٤٠٨ لعقد محالفة مع سنتوريون زكريا Centurione Zaccaria

---

(١) أنظر : Mas - Latrie: Comm. et Exped., PP. 178 n.3.

(٢) انظر : Miller, PP. 361 n.2, 369.

ومما يجدر ذكره هنا أن المؤرخ ديلاقيل (الاسبتارية فى رودس ص ٢٩٠ ملحوظة ٣) يرى بأن المعاهدة عقدت قبل انسحاب تيمورلنك وابتعاد خطره عن آسيا الصغرى ، أى أنه يرى انها عقدت فى عام ١٤٠٣ ، وواضح أنه لا يعلم بواقعة تنازل تيودور پاليولوجس عن سالونا للاسبتارية فى عام ١٤٠٤ ، أو أنه قد فات عليه ذلك.

أيو اخايا فى المورة[1] ، ولعل السبب فى ذلك الاخفاق يرجع الى احساس القوى المسيحية الحاكمة وقتذاك فى شرق البحر المتوسط بان الخطر الرئيسى الذى تخشاه وهو خطر الدولة العثمانية ، قد خبت جذوته ليس فقط بسبب انهيار تلك الدولة تحت اقدام التتار فى عام ١٤٠٢ ، أو بسبب اتفاقية السلام التى عقدتها تلك القوى مع السلطان سليمان الاول بن بايزيد الاول فى عام ١٤٠٤ أو فى عام ١٤٠٥ ، ولكن ايضا بسبب انشغال اولاد بايزيد الاول فى حرب الوراثة التى نشبت بينهم منذ وفاة والدهم فى عام ١٤٠٣ ، حول منصب السلطنة الذى رفضوا أن يعترفوا به لاخيهم الاكبر سليمان.

ومهما يكن من أمر ذلك ، فقد حدث فى أول فبراير عام ١٤١٣ أن علم الاسبتارية فى رودس بأن السلطان الحاكم فى الدولة العثمانية وقتذاك ، وهو السلطان موسى بن بايزيد — الذى نادى بنفسه سلطانا على تلك الدولة بعد أن نجح فى التخلص من أخويه سليمان وعيسى ولم يبق منافسا له سوى أخيه الاصغر محمد — سلح فى ميناء غاليبولى اسطولا من ثلاثين سفينة حربية . وبالرغم من أن السلطان اعلن بأن هذا الاسطول قد أعد للدفاع عن سالونيك ، فقد ظن الاسبتارية بأن هدفه الحقيقى هو غزو جزيرتهم رودس ، ومن ثم بادروا فى اليوم الثالث عشر من ذلك الشهر بالاتصال بكل من جزر خيوس وميتولين وناكسوس وكريت وقبرص عارضين عليها الدخول معها فى حلف مسيحى قادر على مواجهة ذلك الخطر. ولكن سرعان ما تكشف للاسبتارية بأن اسطول موسى بن بايزيد لم يكن موجها ضد مسيحى الشرق وانما ضد أخيه ومنافسه محمد فزالت مخاوفهم وكفوا عن السعى لعقد العصبة . أما عن السلطان موسى فانه

---

(1) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. , PP. 302-203

ومما يجدر ذكره ان المؤرخ ديلافيل لم يذكر اسم ملك قبرص ضمن الحكام الذين سعى لديهم الاسبتارية لعقد الاتفاقية . غير أن هل Hill II, P. 467 n.2 يؤكد دخول هذا الملك فى المساعى .

هذا وقد نشر پاولى التعليمات المعطاه لسفارة الاسبتارية الى اميركيفالونيا عام ١٤٠٤ (Pauli II, P. 111, num. LXXXV111)

والى امبراطور القسطنطينية عام ١٤٠٥ (Ebid, P. 112, num. LXXXIX)

لم يلبث أن هزم في نفس ذلك العام ـ أي في عام ١٤١٣ ـ أمام أخيه محمد الذي أصبح منذ ذلك الحين سلطانا بلا منافس على جميع اقاليم الدولة العثمانية الأسيوية والأوروبية ، وعرف باسم السلطان محمد الأول(١).

وقد دام السلام بين الاسبتارية في رودس والعثمانيين في عهد ذلك السلطان محمد الأول الذي أقام سياسته الخارجية على قاعدة الصلح مع جيرانه المسيحيين ليتفرغ تماما لتوطيد دعائم دولته من جديد . ومن الثابت أن السلطان محمد الأول أرسل في ابريل عام ١٤١٥ سفراءه الى جزيرة رودس لطلب مساعدة الاسبتارية له في حربه ضد أعدائه واعدائهم أمراء الأتراك السلاجقة في مدينتي أياسلوق وبالاتشيا الواقعتين بالقرب من موقع حصن الاسبتارية القديس بطرس. وكان السيد الكبير دي نيلاك متغيبا وقتذاك في اوروبا ، فرد مجلس الاسبتارية على سفراء السلطان محمد الأول بأن عليهم أن يتوجهوا الى جزيرة خيوس التابعة للجنوية حيث يجدون سفينة حربية خصصها الاسبتارية للحراسة في تلك المنطقة ، فيطلبون من قائد تلك السفينة أن يتقدم بسفينته ، اذا رغب ، لمساعدة السلطان العثماني. وفي نفس الوقت أرسل مجلس الاسبتارية الى ذلك القائد ، واسمه بطرس دي باليڤا (Pierre de Baliva) يطلب منه بأن يتصرف مع سفراء السلطان بمثل ما تتصرف به معهم حكومة جزيرة خيوس. وفي الحقيقة فاننا لا نزال نجهل ما انتهت اليه تلك الواقعة ، غير أننا نعلم بأن العلاقات الطيبة بين الجانبين الاسبتاري والعثماني ، التي اقام طلب السلطان محمد الأول المساعدة من الاسبتارية الدليل على وجودها ، استمرت الى أن توفى ذلك السلطان في عام ١٤٢١ وخلفه ابنه مراد الثاني(٢) (١٤٢١ ـ ١٤٥١).

---

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. , P. 328

(٢) أنظر : Ibid: Op. Cit. , PP. 328-329.

على أنه حدث بعد مرور عامين على تولية السلطان مراد الثاني ـ أى فى عام ١٤٢٢ ـ أن أرسل ذلك السلطان جيشا عثمانيا لغزو بلاد المورة[1] . وكان أن طلب حكام تلك البلاد النجدة من الاسبتارية فى رودس . وما أن أعد الاسبتارية السفن الحربية اللازمة لنقل تلك النجدة حتى جاءتهم الأخبار بأن أمير المماليك التركى قد حشد بالتعاون مع السلطان مراد الثانى اسطولا تركيا مشتركا من السفن ذات الأنواع والأحجام المختلفة من بينها ستة أغربة . واذ شك الاسبتارية فى أن تكون وجهة ذلك الاسطول التركى جزيرتهم رودس أو احدى جزر الأرخبيل الخاضعة لها** ، ألغوا ارسال النجدة التى أعدوها لبلاد المورة وسيروا سفنهم الحربية للبحث عنه ومطاردته . فلما شعر الأسطول التركى بأن سفن الاسبتارية تجد فى أثره اكتفى بأسر بعض سفن رودس التجارية التى التقى بها فى بحر ايجه وعاد الى مراسيه التى أقلع منها[2] .

ومهما يكن من أمر ذلك الحادث فان السلطان مراد الثانى لم يلبث بعد عامين ـ أى فى عام ١٤٢٥ ـ أن عقد الصلح مع الاسبتارية[3] . وقد طلب الاسبتارية من السلطان مراد الثانى فى عام ١٤٣٨ تجديد ذلك الصلح لكى يطمئنوا على عدم وقوفه الى جانب السلطان المملوكى جقمق الذى كانوا يتوقعون قيامه بمحاولة لغزو جزيرتهم . غير أن مراد الثانى رد عليهم بأن المعاهدة القديمة لا تزال قائمة بالتزاماتها وهى كافية لضمان أمن كلا الطرفين[4] . وفى عام ١٤٤٩ طلب الاسبتارية ـ وقد جزعوا من أنباء وصلتهم عن حشود عسكرية ضخمة أمر بها السلطان مراد الثانى بعد عودته مظفرا من موقعة قوصوه التى دارت بينه وبين بعض المجر بقيادة جانوس هونيادى فى العام السابق ـ من ذلك

---

(١) أنظر : Baynes & Moss :Byzantium. P. 48

** وقد شكت البندقية بدورها فى أن يكون هدف الاسطول التركى مهاجمة جزيرة رودس فأصدرت قرارا فى ٣ سبتمبر عام ١٤٤٣ حرمت فيه على سفنها الراسية فى موانى كريت بأن تتجه الى جزيرة رودس .
أنظر : Noiret, P. 404

(٢) أنظر : Vertot II, PP. 399-400; Biliotti, P. 205

(٣) أنظر : Hammer II, P. 256.

(٤) أنظر : Vertot II, PP. 414-415; Biliotti, P. 212-214; Faldin, P. 168.

السلطان مرة أخرى أن يجدد الصلح المعقود بينهما بالرغم من عدم حدوث شيء يخل به منذ عقده . ولما كان مراد الثاني يستعد وقتذاك لحشد جيوشه لاخماد ثورة قامت ضده في البانيا بقيادة اسكندر بك ، ويرغب في ضمان عدم قيام الاسبتارية بتقديم العون من أي نوع لذلك الثائر فقد اعطاهم التجديد الذي طلبوه (١) .

وهكذا اطمأن السيد الكبير للاسبتارية الحاكم وقتذاك في رودس ، وهو حنا لاستيك ، من ناحية السلطان مراد الثاني ، فلما وصل الى ميناء رودس في العام التالي — أي في عام ١٤٥٠ — الأسطول المسيحي المؤلف من عشر سفن ، الذي كان قد أعده ملك ارغونة ألفونسو الخامس وساهم في اعداده البابا نقولا الخامس عند علمهما بأنباء حشود السلطان مراد الثاني بعد انتصاره على المجريين في موقعة كوسوفو للدفاع عن جزيرتي رودس وقبرص اذا وقعتا هدفا لتلك الحشود ، لم يتردد حنا لاستيك في أن يبعث قائده — أي قائد الاسطول الارغوني — بالتوجه صحبة سفينتين اسبتاريتين للدفاع عن جزيرة قبرص التي كان أمير العلايا ، يهددها وقتذاك بغزوها . وكان وصول ذلك الأسطول الى مياه قبرص ، الى جانب أسطول آخر مماثل له في عدد السفن أرسله على ما قيل السلطان المملوكي جقمق ، من أهم العوامل التي اضطرت أمير العلايا التركي الى أن يعدل عن القيام بمشروعه العدائي ضد تلك الجزيرة ويعقد مع ملكها حنا الثاني لوزجنان في ٧ سبتمبر عام ١٤٥٠ معاهدة صداقة وتجارة واتفق فيها الطرفان على الاحتكام الى السيد الكبير للاسبتارية في رودس اذا نشب بينهما أي خلاف حول خرق شروط المعاهدة (٢) .

وقد حدث في ٥ فبراير عام ١٤٥١ أن توفي السلطان العثماني مراد الثاني وخلفه ابنه محمد الثاني (٣) . ولم يلبث السيد الكبير للاسبتارية حنا لاستيك أن أرسل الى السلطان الجديد ، في نفس العام الذي تولى فيه — أي في عام ١٤٥١ — سفيرا اسبتاريا

---

(١) انظر : Vertot II, P.432-433- , 437 ; Biliotti, P. 218

(٢) انظر : Hill III, PP. 52-523.
وارجع ايضا الى كتاب دكتور سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٦٤ .

(٣) انظر : Hammer II, P. 368.

دولة تهما في حكومة الاسبتارية في رودس بمنحه وطلب منه تجديد الصلح بين البلدين فأعطاه السلطان محمد الثاني ما طلب. (١)

السلطان العثماني محمد الثاني ينهي حالة السلم مع الاسبتارية عقب استيلائه على القسطنطينية عام ١٤٥٣م – تبادل الاعتداءات :-

على أن تلك الفترة الطويلة من السلم بين الاسبتارية والعثمانيين التي أعقبت هزيمة السلطان العثماني بايزيد الأول أمام تيمورلنك التتري في موقعة انقره في عام ١٤٠٢م، ثم انشغال خلفائه من بعده بلم الشعث واعادة توطيد أركان الدولة المنهارة من الداخل انتهت باستيلاء السلطان محمد الثاني على مدينة القسطنطينية في ٢٩ مايو عام ١٤٥٣م (٢) وحل محلها فترة جديدة في العلاقات بين الجانبين استمرت حتى وفاة ذلك السلطان في مايو عام ١٤٨١م واتسمت بالتهديد المقرون أحيانا بالهجوم المسلح على جزيرة رودس وجزر الأرخبيل الخاضعة لها من جانب السلطان محمد الثاني، وبالاستعداد المتواصل لمواجهة ذلك التهديد أو لاحباط ذلك الهجوم من جانب الاسبتارية.

وكان أن بدأ السلطان محمد الثاني في تنفيذ سياسته العدوانية ازاء الاسبتارية في رودس بأن ارسل الى سيدهم الكبير جنا لاستيك، في أواخر نفس العام الذي استولى فيه على مدينة القسطنطينية – أي في عام ١٤٥٣م – سفراءه الذين طلبوا منه أن يقبل، اذا أراد أن يتفادى الحرب مع السلطان العثماني، أن يدخل في تبعية ذلك السلطان ويدفع له جزية سنوية مقدارها ألفا دوكات. وبالرغم من علم السيد الكبير جنا لاستيك بأن جزرا غير رودس في بحر ايجه، مثل جزر ميتيلين وخيوس ولمنوس وامبروس، وقوى مسيحية أخرى واقعة على حدود الدولة العثمانية، مثل طرابيزون وبيرا وصربيا وكيفا، وافقت على أن تدفع الجزية للسلطان ضمانا لأمنها وسلامتها، فقد رفض باصرار العرض الذي تقدم اليه سفراء ذلك السلطان.

---

(١) أنظر : Vertot II, PP. 439-440; Biliotti, PP. 218-219; Hammer II, PP. 368-369.

(٢) أنظر : Baynes & Moss: Byzantium, P. 49. ; Runciman: Byz. Civil., P. 60

وكما اعتاد السادة الكبار للاسبتارية عندما يحدق الخطر بجزيرتهم رودس ، فقد بادر حنا لاستيك بالكتابة الى رؤساء بيوت الاسبتارية في الخارج فضلا عن البابوية وملوك الغرب يخطرهم بذلك الخطر الجديد راجيا اياهم سرعة ارسال ما يمكنهم ارساله من الرجال والاسلحة والمؤن للمساهمة في الدفاع عن جزيرة رودس (١) .

وعلى أي حال فان السيد الكبير حنا لاستيك لم يعش حتى يرى نتائج سفاراته الى أوربا (٢) ، فقد توفي في نفس ذلك العام — أي في عام ١٤٥٤ — وحين يعقوب دي ميلي

---

(١) كتب حنا لاستيك الى مقدم شعبه ألفيرنيا Alvernia — واسمه امبرت بوفير Embertus de Bauver — قائلا بأنه ان لم يرسل البابا وأمراء المسيحية النجدات والمعونات بأقصى سرعة فان الاسبتارية في رودس سوف يظلون كالحملان الوديعة وسط الذئاب المفترسة .

"ET NISI NOBIS A SANCTITATE DOMINI NOSTRI , & DOMINIS CHRISTIANIS AUXILIA, & SUBSIDIA TRAICIANTUR, REMANEBIMUS TANQUAM HUMILES AGNI IN MEDIO LUPORUM , ...ETC. "

ارجع الى هذه الرسالة في Pauli LL ,PP. I3I-I32, NUM . CxI
مع مراعاة أن الرسالة مذيلة بتاريخ ٢٠ يناير عام ١٤٥٣ ، وهو تاريخ خاطئ ، فالرسالة لابد وأن تكون قد كتبت في عام ١٤٥٤ حيث أن لاستيك ذكر في بدايتها بأن السلطان محمد ارسل اليه سفراءه بعد استيلائه على القسطنطينية .

(٢) لاتوجد في الحقيقة دلائل تشير الى اهتمام حكام اوربا سوى بملك انجلترا هنري السادس الذي كتب مجموعه من الرسائل بتاريخ ٢٤ يوليه عام ١٤٥٤ أظهر فيها تعاطفه مع الاسبتارية وعجزه عن مساعدتهم .

ارجع الى رسالته الى كل من دوج البندقية والامبراطور الالماني فردريك الثالث والبابا نقولا الخامس ثم المجمع المقدس PauliII,PP.I32-I36; Numbri CxII-Cxv.

ارجع ايضا الى الرسالة التي كتبها هذا الملك للرئيس الاسبتاري في نفس اليوم حيث هنأه لرفضه دفع الجزية للسلطان محمد الثاني ، وشجعه على الاستمرار في الصمود أمام ذلك السلطان ، Ibid , PP. I37-I38, Num. CxvI
علما بأن الملك كان قد حث دوج البندقية في رسالته اليه بأن يبادر بتسوية خلافاته مع الاسبتارية بمنأى عن استخدام العنف لكي يتفرغوا لمواجهة السلطان ، وكان قد طلب من البابا ومجلس كرادلته الاذن بتنظيم حفل سنوي لبيع صكوك الغفران في مملكته لصالح الاسبتارية في رودس .

ارجع الى رسائل الملك الى الدوج والبابا والمجمع المقدس المنصوص عليها في هذه الحاشية .

بعمية الاسبتارية في أوثون بفرنيلد خلفا له (١). وقد رأى السيد الكبير الجديد بعد أن باشر مهام منصبه في جزيرة رودس ، أن يستوثق من نوايا السلطان محمد الثاني فأرسل اليه في أوائل عام ١٤٥٥ م سفارة قدمت له هدايا ثمينة وعرضت عليه عقد معاهدة تبيح للاسبتارية حرية التجارة على شواطئ آسيا الصغرى مقابل السماح لرعايا السلطان بحرية التجارة في جزيرة رودس. غير أن السلطان أصر على ضرورة أن تدفع جزيرة رودس له الجزية ، وسيّر صحبة سفراء تلك الجزيرة عند عودتهم سفيرا تركيا لعرض قراره على السيد الكبير يعقوب دي ميللي. وكان يعقوب دي ميللي متساهلا ومسالما ، ولكنه في الوقت نفسه حريصا على استقلال بلاده ، ولذلك لم يقبل دفع الجزية للسلطان ، ووعد أن يرسل الى السلطان في كل عام سفارة محملة بالهدايا بدلا عن الجزية التي رفضها باتا أن يؤديها لذلك السلطان. غير أن محمد الثاني أبى أن يقبل من الاسبتارية عن دفع الجزية له بديلا (٢)، وأصدر أوامره الى نحو ثلاثين سفينة من سفنه التي كانت تتجول آنذاك أمام شواطئ آسيا الصغرى بمهاجمة جزرهم للتعرف على مدى قوتها (٣). وعندما عادت تلك السفن محملة بالغنائم التي ظفرت بها نتيجة قيامها بغزو شواطئ جزيرتي رودس ولانجو ، كان السلطان محمد الثاني قد أتم حشد أسطول كبير آخر يتألف من نحو مائة وثمانين سفينة (٤) مختلفة الأنواع والأحجام بقيادة القبطان حمزه بك لطرد الاسبتارية نهائيا من جزيرة رودس وسائر الجزر الخاضعة لهم في بحر الأرخبيل. وبعد أن مر حمزة باشا بأسطوله على جزيرة ميتيلين حيث قدم له حاكمها الجنوي الهدايا ، ثم على جزيرة خيوس التابعة للجنوية حيث توسل الفداء من أهلها فنهب شواطئها ، وصل الى هدفه الأصلي جزيرة رودس الاسبتارية. وقد حاول أن يقتحم ميناء العاصمة رودس ففشل بسبب قوة نيران مدفعية الأبراج التي تحميه (٥).

---

(١) أنظر : Biliotti, P. 221

(٢) أنظر : Hammer III, PP. 20-21, Lamartine III, P. 272

(٣) أنظر : Hammer III, PP. 21, 275 ; Biliotti, P. 222

(٤) أنظر : Hammer III, PP. 21, 275
مع ملاحظة أن المؤرخ (Lamartine III, P.273) ذكر بأن عدد السفن ثلثمائة ، أما بليوتي (Biliotti, P.223) فانه لم يحدد عدد سفن الاسطول ولكنه ذكر بأن هذا الاسطول كان يقل نحو ١٨ ألف مقاتل.

(٥) أنظر : Hammer III, P. 23

وبعدئذ توجه الى جزيرة لانجو والى الشمال من رودس فخربها ولكنه لم يستطع أن يستولى على قلعتها — وتقع على الساحل الجنوبى الشرقى من الجزيرة — بالرغم من حصاره لها اثنى وعشرين يوما واضطر أخيرا الى رفع الحصار عنها والانسحاب من الجزيرة بسبب كثرة القتلى بين رجاله ونشوب فتنة فى صفوفهم . على أن الأسطول التركى بدلا من العودة الى استانبول يمم جنوبا مرة أخرى شطر جزيرة سيمى الخاضعة للاسبتارية بين لانجو ورودس فنهبها وخربها ، ثم واصل سيره الى أن رسا على الساحل الشرقى لجزيرة رودس قرب قرية اركانجيلوس حيث تقع أخصب بقاع الجزيرة فأعمل فيها رجاله النهب والسلب كما أسروا كل من وقع فى أيديهم من سكانها وأشعلوا فيها النيران ثم رحلوا عنها ليقوموا بنفس الشىء فى جزر نيسيروس وكاليمنوس وليروس وجميعها من الجزر الخاضعة للاسبتارية فى بحر الأرخبيل قبل أن يعودوا بأسطولهم الى مدينة استانبول التى وصلوا اليها فى ٥ اكتوبر عام ١٤٥٥ بعد غيبة عنها دامت شهرين (١).

وكان من الطبيعى أن يبعث السيد الكبير للاسبتارية يعقوب دى ميلى بأنباء ما حدث للبابا كاليكستوس الثالث Calixtus III (١٤٥٥ — ١٤٥٨) بصفته الرئيس الأعلى لهيئة الاسبتارية . وقد رأى ذلك البابا بأن الظرف يستدعى سرعة ارسال قوة بحرية على حساب البابوية للدفاع عن الجزر الخاضعة للاسبتارية وسائر الجزر والمراكز المسيحية فى بحر ايجه اذا أرسل السلطان محمد الثانى أسطوله مرة أخرى لمهاجمتها . ومن ثم أصدر أوامره فى ١٧ ديسمبر عام ١٤٥٥ الى كبير رجال الدين الكاثوليك فى البندقية وهو الكاردينال لويس سكارامبو (Louis Scrampo) أن يتولى مهمة الاشراف على اعداد تلك القوة ثم قيادتها بصفته نائب بابوى وقائد عام على أن يساعده فى قيادة الاسطول كنائب له القبطان البرتغالى فيلاسكو فارينيا (Velasco Farina) (٢). ومن ناحية أخرى منح البابا كاليكستوس الثالث فى العام التالى — أى فى عام ١٤٥٦ — التاجر الفرنسى جاك كير ، بناء على رغبة ذلك التاجر ، لقب قائد عام وكلفه بقيادة ست عشرة سفينة حربية أعدها جاك كير على حسابه

(١) أنظر : Hammer III, PP. 23-25; Biliotti, P.223-224

(٢) أنظر : Pastor II, PP. 368-372

الخاص لافاشة جزر بحر الارخبيل. ولم يلبث جاالكيو أن وصل الى مياه ذلك البحر حيث اتخذ من جزيرة رودس قاعدة لاسطوله الذي قام بوجهه منها - ربما بالاشتراك مع بعض سفن الاسبتارية - لشن الغارات على سواحل آسيا الصغرى والجزر الخاضعة للعثمانيين بجوار تلك السواحل، الى أن أدركه الموت في ٢٥ نوفمبر عام ١٤٥٦م أثناء قيامه بزيارة لجزيرة خيوس فانتهت بذلك حملته(١). وعندما علم البابا كاليكستوس الثالث بالنبأ خشي أن ينتهز السلطان العثماني محمد الثاني الفرصة فيعجل بارسال سفنه ضد جزر الاسبتارية لينتقم منهم على المساعدات التي قدموها لاسطول جاالكيو ينتقم منهم للهزيمة التي منيت بها جيوشه منذ شهور قليلة - وعلى وجه التحديد في ٦ أغسطس عام ١٤٥٦ - أمام مدينة بلجراد على يد جانوس هونيادي، قائد قوات المجر، وحلفائه البولنديين والترانسلفانيين والصليبيين الايطاليين الذين كانوا قد هرعوا بقيادة المدعو كابيسترانو Capistrano للدفاع عن تلك المدينة تلبية لنداءات البابا كاليكستوس الثالث(٢). ولذا لم يشأ البابا أن ينتظر الى ان يفرغ سكاراميو من اعداد السفن البابوية المكلف بقيادتها ضد العثمانيين في بحر ايجه، وبادر في أوائل عام ١٤٥٧م بارسال احدى تلك السفن صحبة سفينة أخرى قدمها له أمير فوندي الايطالية، بعد أن وضع على رأس كل منهما فارسا اسبتاريا لقيادتها، الى جزيرة رودس لمساندة سفن الاسبتارية في الدفاع عنها اذا هاجمها السلطان قبل وصول سكاراميو اليها(٣). وفي الحقيقة فان سكاراميو لم يلبث أن وصل الى تلك المنطقة خلال ذلك العام نفسه - أي في عام ١٤٥٧م - ولكن على رأس اسطول صغير لم يزد عدد سفنه عن اثني عشر سفينة(٤). وبعد أن سلم للاسبتارية في رودس ما جلبه لهم من أموال وأسلحة وغلال، توجه الى كل من جزيرة خيوس وجزيرة ميتيلين حيث طلب من حكومتيهما أن تكف عن دفع الجزية للسلطان محمد الثاني ولكن طلبه رفض خوفا من انتقام السلطان. وعندئذ قام سكاراميو على رأس أسطوله - بالاشتراك مع اربعين سفينة مملوكة لقراصنة قطالونيين - بمهاجمة بعض الجزر الخاضعة للعثمانيين فطرد منها حامياتها العثمانية

---

(١) انظر : De La Ronciere II, P. 286

(٢) عن هزيمة محمد الثاني امام بلجراد انظر:
Hammer III, PP. 30-34, Lamartine III, PP.283-292

(٣) انظر : Pastor II, P. 375

وأمل محلها حاميات مسيحية باجوية ، ثم رجع مرة أخرى الى جزيرة رودس حيث وضع السيد الكبير دى ميللو تحت تصرفه احدى الترسانات البحرية الكبرى (١) .

على أن وجود الأسطول البابوى بقيادة سكاراميو فى مياه رودس لم يخفف – فى الواقع – من قلق كل من البابا كاليكستوس الثالث والسيد الكبير دى ميللو لاعتقادهما بأن ذلك الأسطول أضعف من أن يصمد أمام أسطول العثمانيين اذا اتجه لغزو رودس بكامل قوته . ومن ثم جدد البابا مساعيه لدى حكام اوروبا لتأليف حلف مسيحى ضد أولئك العثمانيين (٢) . على حين أرسل السيد الكبير للاسبتارية الفارس الاسبتارى بطرس دوبيسون (الذى أصبح فيما بعد سيدا كبيرا للاسبتارية) لطلب المساعدة من ملك فرنسا شارل السابع (٣) (١٤٢٢ – ١٤٦١) . وكان الملك الفرنسى – فى الحقيقة – معتادا على أن يخص الاسبتارية فى رودس بالجانب الأكبر من دخل ضريبة العشور الكنسية فى بلاده ، حتى أن البابا كاليكستوس الثالث نفسه احتج على ذلك التصرف منه ، ولفت نظره الى أن من الأنسب ، بعد أن نالت رودس الكثير من وسائل الرعاية والاهتمام ، توجيه أموال تلك الضريبة للمساهمة فى اعداد أسطول صليبى قوى يوجه لحرب الأتراك العثمانيين (٤) . ومع ذلك فان شارل السابع لم يقدم للسفير الاسبتارى دوبيسون عندما وصل اليه سوى مبلغ مالى صغير مقداره ستة عشر ألف قطعة ذهبية من العملة المعروفة باسم الايكوس ، ووعد بمساعدات أكبر عندما تسمح له الظروف مما يدل على عدم تحمس ذلك الملك ورغبته للتورط فى حرب ضد العثمانيين قد يطول أمرها (٥) .

ولقد ترتب على ضآلة تلك المعونة الفرنسية عدم تحرك أحد من حكام أوروبا لتلبية الدعوة التى وجهها اليهم البابا بتأليف حلف ضد العثمانيين (٦) ، الى جانب

---

(١) أنظر : Hammer III, PP. 36-37; Pastor II, P. 375

(٢) أنظر : Pastor II, P. 376

(٣) أنظر : Bouhours, PP. 23-26; Farochon, PP. 114-115

(٤) أنظر : Pastor II, P. 379

(٥) أنظر : Bouhours, P. 26; Farochon, P. 115

(٦) أنظر : Pastor II, P. 376

رهبنة الاسبتارية في أن يستوثقوا من نوايا محمد الثاني بعد أن حاصرت سفنه في عام ١٤٦٠ جزيرة لانجو التابعة لهم ثمانية أيام [1] ، ونما الى علمهم بأنه يعد أسطولا ضخما لطردهم من جزيرة رودس بالتحالف مع سلطان المماليك اينال (١٤٥٣ ــ ١٤٦٠) ، الذي كان يحقد وقتذاك على الاسبتارية بسبب تأييدهم للأميرة القبرصية شارلوت لوزجنان في صراعها على عرش قبرص ضد أخيها يعقوب الذي ناصره المماليك [2] ، ترتب على ذلك كله أن طلب السيد الكبير للاسبتارية يعقوب دى ميللى ، في ذلك العام ١٤٦٠ أو في العام الذي يليه ، من السلطان العثماني محمد الثاني التفاوض معه بشأن الصلح . وقد رفض السلطان وقتذاك اعطاء ذلك التصريح . ولكنه لم يلبث بعد فترة قصيرة ، في عام ١٤٦١ ، ان قرر فتح ولاية طرابيزون البيزنطية ، وأراد أن يضمن السلم والهدوء بالنسبة لأملاكه الواقعة في بحر ايجه قبل أن يقدم على تلك الخطوة . وكان أن انتهز فرصة تولية سيد كبير جديد في رودس ، هو ريموند زاكوستا ــ خلفا للسيد الكبير يعقوب دى ميللى ، الذي توفي في ١٧ اغسطس عام ١٤٦١ ــ فأرسل اليه يبلغه بموافقته على التفاوض مع سفير اسبتارى في أمر الصلح بين بلديهما . وقد بعث اليه زاكوستا على الفور ، في أواخر عام ١٤٦١ ، سفارة برئاسة الماريشال ، عقدت معه صلحا لمدة عامين تنازل فيه السلطان عن طلبه الخاص بدفع الجزية له . (٣)

والواقع ان الاسبتارية نعموا بالسلم مع السلطان محمد الثاني طوال عهد السيد الكبير ريموند زاكوستا الذي توفي في ٢١ فبراير عام ١٤٦٧ . ولكن حدث في نفس ذلك العام ، بعد تولية السيد الكبير اورسيني التي تمت في ٤ مارس عام ١٤٦٧ ، أن أرسل محمد الثاني الى جزيرة رودس اسطولا مؤلفا من ثلاثين سفينة أشاع الخراب والدمار في كثير من قراها الساحلية (٤)

(١) انظر : Mas-Latrie III, PP. 108-113; Hill III, PP. 569-570.
(٢) انظر : Hill III, P. 559.
(٣) انظر : Hammer III, P. 276; Biliotti, PP. 227, 236
(٤) انظر : Hammer III, P. 276; Biliotti, PP. 240-241.

وبعد عودة ذلك الاسطول أرسل العثمانيون الى نفس الجزيرة اسطولا آخر نشر الذعر بين أهاليها (١) ربما انتقاما لكثرة الضحايا من الأسرى والقتلى بين أفراد قوة الاسطول الاول. (٢)

وقد رد السيد الكبير اوبوسينى على تلك الاعتداءات العثمانية بأن أرسل في صيف عام ١٤٧٠ سفينتين حربيتين لمساعدة أسطول بندقي في محاولة تحطيم الحصار الذي فرضه العثمانيون وقتذاك حول جزيرة نجروبونت الخاضعة للبندقية في بحر ايجه (٣). وبالرغم من فشل تلك المحاولة في انقاذ الجزيرة من السقوط في أيدى أفراد جيش الحصار العثماني في ١٢ يولية عام ١٤٧٠ (٤) الا أن السلطان محمد الثاني غضب من اقدام الاسبتارية على المشاركة فيها ، وقيل بانه افصح عن رغبته في أن يتقدم جميع العاملين بالفرقة من المسلمين أيا كانت جنسياتهم لمهاجمة جزيرة رودس وسائر الجزر الخاضعة لها في الأرخبيل الرودسي الى أن يصل بنفسه على رأس الاسطول العثماني للاستيلاء على تلك الجزر (٥) وقيل أيضا بأن السلطان أقسم على أن يقتل السيد الكبير للاسبتارية بيديه وأن يعزف اربا من بقي من فرسانهم في أسره (٦). وسواء أكانت تلك التهديدات صحيحة أم غير صحيحة ، فالذى لاشك فيه أن السيد الكبير اوبوسيني لم يلبث وقتذاك الى كل من البابا بولس الثاني (١٤٦٤ – ١٤٧١) والملك الفرنسي لويس الحادى عشر (١٤٦١ – ١٤٨٣) يخبره بأن السلطان محمد الثاني هدد بعزمه على غزو جزيرة رودس ، وأن الاسبتارية وأهل تلك الجزيرة تملكهم الجزع من جراء ذلك التهديد . ولقد بادر البابا بولس الثاني في ٢٠ يناير عام ١٤٧١ بكتابة رسالة الى أوبوسيني وعده فيها بالمساعدة ونصحه بالا يألو جهدا في تقوية تحصينات جزيرته رودس وصيانة فيها . وأرسل البابا في نفس

---

(١) أنظر : Hammer III, P. 276

(٢) يقول (Biliotti, P. 241) بأن جميع الغزاة العثمانيين الذين نزلوا أرض جزيرة رودس في الغزوة الأولى – حيث أن بليوتي لم يشر الى الغزوة الثانية – قد قتلوا أو أسروا على أيدى الاسبتارية.

(٣) أنظر : Farochon, PP. 116-119; Biliotti, PP. 241-242; Bouhours, PP. 31-32; Flandin, PP. 187-188

(٤) أنظر : Pastor IV, P. 176

(٥) أنظر : Farochon, P. 119.

(٦) أنظر : Bouhours, P. 33

... رسالة خاصة الى أهل مدينة رودس حثهم فيها على التمسك بأهداب الشجاعة ... بأن يعملوا بسرعة على اصلاح الحوائط المتهدمة فى مدينتهم . وفى ١٢ مارس من ... العام كتب البابا بولس الثانى رسالة أخرى الى السيد الكبير اورسينى ناشده ... الثبات والصمود امام تهديدات الاتراك العثمانيين (١) أما ملك فرنسا لويس الحادى ... فقد أصدر فى ٢٠ سبتمبر عام ١٤٧١ أمرا ماكيا الى جميع المسئولين فى مملكته ... مهمة مندوبى ووكلاء الاسبتارية فى حشد المقاتلين وشراء الخيول والاسلحة والذخائر وجمع الهدايا والتبرعات من الفرنسيين ، وارسال ذلك كله الى جزيرة رودس ... اعانتها على الصمود اذا هاجمها العثمانيون (٢)

وعلى أى حال ، فان السلطان محمد الثانى لم يتحول وقتذاك لغزو جزيرة رودس بسبب انشغاله عنها فى الحرب التى دخلها فى عام ١٤٧٢ ضد اوزون حسن (حسن الطويل) أمير قبيلة الشاه البيضاء التركمانية فى شرق آسيا الصغرى (٣) . وقد حدث عندما بدأت تلك الحرب أن وصل الى رودس سفير من قبل أوزون حسن طلب من السيد الكبير اورسينى أن يعقد معه معاهدة دفاعية هجومية مماثلة لمجموعة من المعاهدات كان أوزون حسن قد عقدها أيضا مع البابا بولس الثانى وملكى نابلى وأرغونه وجمهوريتى البندقية وفلورنسا . ولم يتردد اورسينى فى عقد المعاهدة التى طلبها سفير أوزون حسن وفى تلبيته طلباته الأخرى الخاصة بمد ذلك الأمير التركمانى بكمية من المدافع والبنادق وبعدد من رجال المدفعية وصانعى الاسلحة النارية طلبهم أوزون حسن لتدريب جيشه على استخدام ذلك النوع من الاسلحة (٤) . ومن ناحية أخرى بادر السيد الكبير للاسبتارية

---

(١) أنظر : Pastor IV, P. 183
هذا وقد نشر Pastor (Ibid: Op. Cit, PP. 498-499) نصوص الرسائل البابوية الثلاث .

(٢) أنظر : Pauli II, PP. 141- 142, num. CXX

(٣) أنظر : Pastor IV, P. 183; Thuasne, PP. 4-6

(٤) أنظر : Biliotti, PP. 243-244; Flandin, PP. 190-191; Hammer III, P. 173.

بالاسهام بسفينتين حربيتين (١) في اسطول صليبي أعده في ذلك العام — اى في عام ١٤٧٢ — البابا سكستوس الرابع (١٤٧١ — ١٤٨٤) بالاشتراك مع جمهورية البندقية ومملكة نابلي بقصد الاغارة على المدن الساحلية في آسيا الصغرى أثناء انشغال السلطان العثماني محمد الثاني في حربه ضد أوزون حسن الحليف المتعاهد مع تلك القوى المسيحية . علما بأن الاسطول الصليبي كان مؤلفا — عدا سفينتي الاسبتارية — من ثلاث وثمانين أو ثمان وثمانين سفينة أسهم فيها البابا بتسع عشرة أو بأربع وعشرين سفينة ، وأسهمت البندقية بسبع وأربعين سفينة ، وأسهمت نابلي ببقية سفن الاسطول وعددها سبع عشرة سفينة (٢) وقد اختار قادة الاسطول ابتداء حملتهم مدينة أنطاليا نظرا لوقوعها على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى حيث يحكم حلفاء أوزون حسن من الأمراء القرامانيين الذين كان أولئك القادة يرغبون في اظهار قوة اسطولهم الصليبي لهم لتشجيعهم على عدم التخلي عن حليفهم أمير قبيلة الشاه البيضاء (٣) — ولم يجد الغزاة الصليبيون صعوبة كبيرة في اقتحام ميناء تلك المدينة أو في النزول الى شاطئها ، على انهم لم

---

(١) يبدو أن الاسبتارية تعهدوا في بداية الأمر بتقديم أربع سفن ولكنهم لم يقدموا الا سفينتين ، ويتضح ذلك من التعليمات التي أعطتها جمهورية البندقية في عام ١٤٧١ للسفير البندقي Andrew Bragadin ، فقد أمرته فيها بأن يتوجه الى رودس لتذكير السيد الكبير للاسبتارية بالخطر العثماني الذى يهدد المسيحيين ولحثه على اعداد السفن الأربع التي ارتبط بها في المعاهدة المعقودة بينه وبين البندقية ونابلي ، بتقديمها بحيث تكون جاهزة للعمل في بداية الربيع (من عام ١٤٧٢) . أنظر :

Hill III, P. 625

(٢) أنظر : Hammer III, PP. 174-175; Daru III, P. 348 ; Pastor IV, PP. 226 - 227.

ويلاحظ بأن المراجع المذكورة اختلفت فيما بينها بشأن عدد سفن الاسطول المشترك فقد جاء في كل من هامر ودارو بأن عدد سفن الاسطول خمس وثمانون سفينة ساهم فيها البابا بتسع عشرة سفينة والبندقية بسبع وأربعين سفينة ونابلي بسبع عشرة سفينة ورودس بسفينتين . أما المؤرخ باستور فقد ذكر بأن البابا ساهم في الاسطول بأربع وعشرين سفينة والاسبتارية بسفينتين ، فاذا أضفنا الى تقديراته ، تقديرات هامر فيما يتعلق بسفن البندقية ونابلي أصبح عدد سفن الاسطول تسعين سفينة بما فيها سفينتا الاسبتارية .

(٣) أنظر :

Pastor IV, P. 227.

يشرعوا في حصار قلعتها الا بعد ان اتموا نهب أسواقها ومتاجرها . وبالرغم من نجاحهم في الاستيلاء على السور الخارجي لتلك القلعة فانهم عجزوا عن اقتحامها بسبب استبسال حاميتها في الدفاع عنها وبسبب قصر ما تحت أيديهم من سلالم بالنسبة لعلو ارتفاع سور القلعة الداخلي ، وعدم وجود مدافع ضخمة في حوزتهم تمكنهم من فتح ثغرة في ذلك السور ينفذون منها الى داخل القلعة . ومن ثم لم يجد الغزاة بدا من أن ينسحبوا من المدينة ويعودوا الى أسطولهم الرابض في مينائها تاركين وراءهم قتلاهم (١) الذين انضم إلى من بينهم قائد سفينتي الاسبتارية في ذلك الأسطول وعددا من فرسان فرقتهم (٢).

وعندما غادر الأسطول الصليبي مياه انطاليا يمم شطر جزيرة رودس (٣) فيما عدا سفن بابلو السبع عشرة التي اتجهت رأسا الى بلادها بسبب نزاع نشب بين قادتها وقادة سفن البنادقة في الأسطول (٤) . غير أن ذلك الأسطول لم يلبث أن رحل عن رودس واتخذ طريقه ناحية مدينة أزمير الواقعة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى ففتحها واستولى عليها . وكان النائب البابوي كارافا (قائد السفن البابوية في الأسطول المشترك) يرغب في الاحتفاظ بتلك المدينة واتخاذها قاعدة للعمليات العسكرية الصليبية ضد الأتراك غير أن البنادقة خالفوه ذلك الرأي وأصروا على الانسحاب منها (٥) . ومن ثم جلا الصليبيون عن مدينة أزمير ، بعد أن قام البنادقة وحلفاؤهم الاسبتارية بنهب حوانيتها واشعال الحرائق في أحيائها (٦) . واتجهوا بأسطولهم الى مدينة ملكري الواقعة على الساحل الآسيوي تجاه رودس ، ثم الى جزيرة أرسينوي الواقعة في البحر بالقرب من تلك المدينة ، فحل بهما على يد البنادقة والاسبتارية ما حل بكل من أنطاليا وأزمير قبلهما (٧) . ولما كان الموسم وقتذاك قد بدأ فصل الشتاء فقد انسحبت سفن البنادقة لتمضية ذلك الفصل في ميناء

---

(١) أنظر : Hammer III, PP. 175-177; Biliotti, P. 243

(٢) أنظر : Biliotti, P. 243

(٣) أنظر : Hammer III, P. 177 , Biliotti, P. 243

(٤) أنظر : Pastor IV, P. 228

(٥) أنظر : Ibid: Loc. Cit.

(٦) أنظر : Lamartine III, P. 584; Hammer III, P. 177
علما بأن هامر لم يذكر بأن الاسبتارية اشتركوا مع البنادقة في نهب أزمير .

(٧) أنظر : Lamartine III, P. 584

ون ونوبليا بشحنه جزيرة المورة ، على حين رحل كارانا بسفنه الى ايطاليا ، وسفينتا الاسبتارية الى رودس وبعد أن ولى الشتاء وحل فصل الربيع (ابريل عام ١٤٧٣) أرسل البابا سكستوس الرابع الى مياه بحر ايجه عشر سفن حربية فانضمت اليها سفينتا الاسبتارية على حين فضلت سفن البندقية أن تعمل مستقلة . وفى الحقيقة فان سفن المسيحيين لم تعمل فى تلك الفترة أكثر من أنها أظهرت نفسها لحلفاء أوزون حسن من امراء بنى قرمان فى الساحل الجنوبى لآسيا الصغرى . وقد حدث فى ٦ يولية عام ١٤٧٣ أن توفى ملك قبرص يعقوب الثانى لوزجنان . وعندما علم القائد البندقى بالخبر طلب من زملائه الآخرين فى قيادة الأسطول المسيحى أن يتوجهوا بسفنهم فورا الى جزيرة قبرص لمراقبة الموقف فيها . (١) غير أن قائد سفينتى الاسبتارية - واسمه حنا ويمتون - لم يكن خافيا عليه أن الهدف الحقيقى للبنادقة هو تسخير الاسطول المسيحى المشترك لتعزيز مركز أرملة يعقوب الثانى لوزجنان ، وهى بندقية اسمها كاترينا كورنارو ، والحزب المناصر للتدخل البندقى فى جزيرة قبرص على حساب دعوى الأميرة شارلوت لوزجنان التى يؤيدها الاسبتارية والحزب القبرصى المناوئ للنفوذ البندقى فى الجزيرة . ولذا اعتذر للقائد البندقى بأن سفينتيه أصبحتا فى حاجة للتزود بالمؤن من ميناء رودس ، وانسحب بهما على الفور عائدا لبلاده . (٢) هذا ولم تلبث الحروب الدائرة بين السلطان محمد الثانى والأمير أوزون حسن أن انتهت فى ٢٦ يولية عام ١٤٧٣ بهزيمة اوزون حسن ، ومن ثم لم تعد ثمة حاجة أن يرسل الاسبتارية سفينتيهما مرة أخرى الى شواطئ بنى قرمان ، وخاصة أن السفن البابوية المحلوفة قد انسحبت من تلك المياه عند سماعها بنبأ هزيمة أوزون حسن ، وأن من البنادقة انشغلت بالمسألة القبرصية (٣).

وكان من المتوقع أن يقوم السلطان العثمانى محمد الثانى ، بعد أن فرغ من حربه ضد أوزون حسن ، بتوجيه ضربته التالية للاسبتارية فى رودس تنفيذا لتهديده لهم قبل أن

---

(١) انظر : Pastor IV, PP. 228-229; Hill III, P. 599

(٢) انظر : Hill III, PP. 598-600

(٣) انظر : Pastor IV, P. 229; Hill III, PP. 600, 663 ; Thuasne, P. 23

... ان السلطان لم يلبث ان انشغل عنهم مرة اخرى بالقيام بسلسلة جديدة من الحروب والفتوحات في آسيا وأوروبا (١) ، فضلاً عن حربه ضد البندقية التي بدأت منذ عام ١٤٦٣ (٢).

وفي تلك الاثناء كان الاسبتارية في رودس يعملون بهمة في استكمال بناء وسائل الدفاع عن جزيرتهم استعدادا لمقدم الاتراك العثمانيين في اية لحظة (٣). فلما كان اليوم الاول من شهر يولية عام ١٤٧٧ ارسل السيد الكبير دوبيسون خليفة اورسيني (توفي في ٨ يونيه عام ١٤٧٦) ، خطابا دوريا الى جميع مقدمي شعب الاسبتارية امرهم فيه بضرورة حضور جميع فرسان الاسبتارية المقيدين على تلك الشعب ـ بما فيهم مقدموها والآخرون فيها ـ الى جزيرة رودس ، مهددا بفرض أشد العقوبات صرامة على من يتخلف منهم عن الحضور الى هذه الجزيرة في ميعاد غايته اول مايو ١٤٧٨. وقد ابلغ دوبيسون مقدمي الشعب في ذلك الخطاب بأن تقارير رسل وجواسيس الاسبتارية في بلاط السلطان العثماني محمد الثاني تشير كلها الى أن هذا السلطان مصمم على محاربة الاسبتارية ، وانه أعد لهذا الغرض جيشا واسطولا كبيرين ، وأعطى اوامره بتعبيد الطرق التي سيسلكها ذلك الجيش الى ولاية ليكيا (منتيشه) الواقعة في مواجهة جزيرة رودس. وبعد أن لفت دوبيسون نظر فرسانه الى ضرورة أن يعتمد الاسبتارية في الدفاع عن أنفسهم على قوتهم الذاتية بسبب عدم ضمان وصول النجدات من الخارج ، وبعد أن ذكرهم بالقسم الذي قطعوه على انفسهم عند دخولهم في عضوية الهيئة التي ينتمون اليها ، أهاب بهم الحضور جميعا الى رودس في الميعاد الذي حدده لذلك ، فاذا اعترض طريق احدهم مانع لا يقهر أرسل وكيلا شرعيا يحل محله (٤). هذا وقد استعد دوبيسون أيضا سياسيا لمعركته المرتقبة ضد السلطان محمد الثاني ، فعقد معاهدة سلم وتجارة في عام ١٤٧٧ مع السلطان المملوكي الاشرف قايتباي (١٤٦٨ ـ ١٤٩٦) (٥) وذلك ليضمن عدم انضمامه الى السلطان العثماني اذا قام بعمل عدائي ضد

---

(١) فيما يتعلق بغزواته في آسيا انظر شمس فنانه الجزء الثاني ص١٠٧.
وفي أوروبا انظر : Lamartine III, P. 585

(٢) شارل ديل (ترجمة د. عزت عبد الكريم ، توفيق اسكندر): البندقية ـ ص١٣٨.

(٣) انظر : Flandin, PP. 192 - 194

(٤) انظر : Pauli II, PP. 143-146, num. CXXII ; Bouhours 47-49

(٥) انظر : Bouhours , PP. 50-51; Flandin, PP. 199-200

الاسبتارية في رودس، كذلك عقد دوبيسون في مستهل العام التالي — أي في عام ١٤٧٨ — معاهدة مع دولة بني حفص في تونس تضمن بمقتضاها شراء ثلاثين ألف بوشل من القمح التونسي محملة من الرسوم الجمركية في أي وقت يشاء [(١)].

وقد حدث في شهر فبراير من نفس العام الذي عقدت فيه المعاهدة مع تونس أن وصل إلى رودس قاصد عثماني اسمه ديمتري سوفيان (Dématrius sofianos) سلم دوبيسون رسالة مكتوبة باللغة اليونانية بتاريخ ٩ فبراير عام ١٤٧٨ ، وموقعا عليها من قبل التركي باسم الأميرين العثمانيين جم — وهو ابن السلطان محمد الثاني كان يشغل منصب حاكم قرمانيا — وشاهي وهو ابن أخ للسلطان كان يشغل منصب نائب السلطان في ليكيا (منتشه) — أبدى فيها هذان الأميران استعدادهما للوساطة بين الاسبتارية والسلطان محمد الثاني اذا قبل دوبيسون عرضا للصلح كلف القاصد ديمتري سوفيان بتقديمه اليه [(٢)]. غير ان السلام الذي عرضه سفير الأميرين جم وشاهي كان مشروطا بأن يدفع الاسبتارية الجزية السنوية للسلطان ، وهو أمر لم يكن في مقدور دوبيسون أن يوافق عليه ليس فقط لأن اثنين من اسلافه هما جنا لاستيك وميلي اللذين رفضا أن يعقدا السلم مع السلطان محمد الثاني نفسه على أساس ذلك الشرط ، أو لأن دستور هيئة الاسبتارية يحرم أن يدفع أحد اعضائها الجزية لأية قوة اجنبية اسلامية كانت أو مسيحية ، ولكن ايضا لأن دوبيسون كان قد أصبح عالما من عيونه في بلاط السلطان بأمر سفارة ديمتري سوفيان قبل أن تصل اليه تلك السفارة في رودس ، وبأن السلم الذي سوف تعرضه عليه تلك السفارة لم يقصد به سوى تخدير الاسبتارية وتبديد انتباههم ليسهل بغتتهم بجيش جرار يجرى اعداده بالفعل لمحاربتهم بمجرد أن ينتهي السلطان من حربه القائمة وقتذاك ضد البنادقة في مستعمراتهم الألبانية. وكان أن رد دوبيسون على الأميرين جم وشاهي — في رسالة كتبها في ١٩ فبراير (عام ١٤٧٨) وسلمها للقاصد ديمتري سوفيان لتوصيلها اليهما حيث كانا ينتظرانه في مدينة باتيرا

---

(١) انظر : Bouhours, P. 51; Flandin, P. 200; Biliotti, P. 253

(٢) توجد ترجمة كاملة للرسالة الى اللغة الفرنسية في Bouhours, P. 57
وملخصا وافيا لها في Thuasne, P. 13

(Patera) الواقعة على الساحل الاسيوى المواجه لجزيرة رودس ـ بأن فرسان الاسبتارية لا يرفضون في دفع الجزية للسلطان مهما كلفهم ذلك من ثمن ، ولكنهم لا يرفضون الا متعاج الى شروط مماثلة لشروط الصلح الذى سبق ان عقده معهم والد السلطان مراد الثانى (عام ١٤٤٩) وجدده لهم السلطان محمد الثانى نفسه فى اوائل عهده (فى عام ١٤٥٤ ثم فى عام ١٤٦١) ، وهى شروط لم يرد فيها أى ذكر لدفع الجزيه للسلطان [(١)] على أن القاصد ديمترى سوفيان لم يلبث أن رجع مرة أخرى الى رودس صحبة رسالة جديدة من الأمير جم وشلبى عرضا فيها على دوبيسون أن يوافق على ارسال هدية سنوية للسلطان يقدر دوبيسون قيمتها بنفسه بدلا من دفع الجزية لذلك السلطان . وقد رد دوبيسون فى هذه المرة بأن العرض الذى قدمه اليه ديمترى سوفيان فى سفارته الأولى قد أرسل الى بابا روما سكستوس الرابع بصفته رئيسا أعلى لهيئة الاسبتارية ، ومن ثم لا يمكن البت فى شىء قبل تلقى الجواب منه خلال ثلاثة أشهر على اكثر تقدير . غير أن دوبيسون اقترح فى رده أن تقوم خلال تلك الفترة هدنة يسمح فيها بتبادل التجاره بين الطرفين الاسبتارى والعثمانى . ولم يتردد القاصد ديمترى سوفيان فى الموافقة على اقتراح دوبيسون باسم الأميرين جم وشلبى ، ثم رحل من رودس الى مدينة استانبول مباشرة من غير أن يمر على مدينة پاتيرا لاطلاع ذلكما الأميرين على نتائج سفارته [(٢)] مما دعاهما الى ارسال سفير آخر ، اسمه تانجى ڤرنوسى tanghi vernussi الى رودس لم يلبث أن رجع اليهما ومعه رسالة من دوبيسون (بتاريخ ١٨ أغسطس عام ١٤٧٨) أوضح لهما فيها حقيقة ما دار بينه بين سفيرهما السابق ديمترى سوفيان [(٣)] . هذا وقد وصل الى رودس فى أول فبراير عام ١٤٧٩ سفير تركى آخر أعلن أنه موفد من قبل السلطان محمد الثانى وابنه جم لمعرفة رد دوبيسون النهائى على مقترحاتهما السلام ، فأجابه دوبيسون بأنه كان دائما ولا يزال على استعداد لعقد السلم مع السلطان العثمانى على أساس الشروط القديمة التى

---

(١) أنظر : Bouhours, PP. 58-6 0; Thuasne, P. 14

(٢) أنظر : Bouhours, P. 59; Thuasne, P. 15; Hammer III, PP. 277-278

(٣) أنظر : Thuasne, P. 16

[illegible]

وبعد عودة السفير التركي الى استانبول أرغد دوبيسون معه قاصدا اسبتاريا ليبلغ رده للسلطان شخصيا . وقد صرح ذلك القاصد بعد رجوعه الى جزيرة رودس بأنه فقد الأمل في الوصول الى اتفاق مع السلطان على شروط دوبيسون وان اسطول العثمانيين لا يتأخر كثيرا عن الظهور في مياه تلك الجزيرة (١) ، وهو ما كان يتوقعه دوبيسون دائما وبخاصة عندما بلغته نبأ عقد الصلح (في ٢٥ يناير عام ١٤٧٩ م) بين السلطان محمد الثاني والبنادقة الذين كان يحاربهم في مستعمراتهم الالبانية (٢) .

حصار عثماني فاشل حول رودس العاصمة عام ١٤٨٠ :-

وبالفعل حدث في ٤ ديسمبر عام ١٤٧٩ أن رست أمام قرية فانز (Fanés) الواقعة على الساحل الغربي لجزيرة رودس قريبا من العاصمة رودس ، بعض السفن العثمانية الخفيفة التي جاءت للاستطلاع بقيادة الوزير مسيح باشا . وقد انزلت تلك السفن بعض فصائل الفرسان على الساحل للتعرف على أحوال الجزيرة ، غير أن فرقة من فرسان الاسبتارية بقيادة رودولف فالنبرج ، وكيل الاسبتارية في براندبورج Rudolph de walenberg, bailli de Brandbourg) أجبرتهم على الارتداد الى سفنهم . ولم تلبث تلك السفن ان اقلعت بهم وبعثت شطر جزيرة بسكوبي الخاضعة للاسبتارية في بحر ايجه فحاصرتها ثمانية أيام ثم رحلت عنها - بعد أن عجزت عن احتلالها - الى مدينة فينيكا الواقعة على ساحل ليكيا - لتمضية فصل الشتاء وانتظار بقية سفن الاسطول المعد للاستيلاء على جزيرة رودس فضلا عن شحن تلك السفن بالجند العثمانيين الذين حشدوا في فينيكا لهذا الغرض (٣) .

وكان العثمانيون قد أشاعوا كذبا خلال تحركات قواتهم الى فينيكا عبر ليكيا - للتمويه على عيون الاسبتارية - بأن الهدف من تحركات هذه القوات منع وقوع أية قلاقل قد تحدث نتيجة لوفاة السلطان محمد الثاني الفجائية . غير أن دوبيسون عرف حقيقة الأمر من جاسوس

(١) أنظر : Thuasne, P. 17; Bouhours P. 62 ; Farochon, P.123

(٢) أنظر : Bohours, P. 63

اما بخصوص تاريخ عقد الصلح بين محمد الثاني والبندقية أنظر :

musatti I, P 345 , Wiel, P. 297

(٣) أنظر : Bouhours, P. 66, Hammer III, PP. 278 - 279; Biliotti, PP. 255-256; Thuasne , P. 17 n.2.

يوزنطى العثمانيين أكتشف أمره فى رودس ، ومن الجند العثمانيين الذين وقعوا فى أسر حامية مدينة فانز (١) . ومن ثم أمر دوبيسون بهدم جميع المبانى الواقعة خارج اسوار مدينة رودس — ومن بينها كنيسة القديس انطوان ، وكنيسة القديسة مريم المقامة فوق جبل فليوس — حتى لا يستفيد بها العثمانيون خلال عملياتهم العسكرية ضد المدينة . ومن ناحية أخرى أصدر دوبيسون أمرا بتعيين اخيه الاكبر انطوان دوبيسون — وكان قد وصل منذ فترة قصيرة من أوروبا على رأس فرقة من الفرسان المتطوعين للاشتراك فى الدفاع عن رودس — قائدا عاما لرودس ، كما أصدر قرارا بتعيين الشرفاء الحق وأمير البحر حامل الاختام ووكيل الخزانة مساعدين للقائد العام وقادة لفرق الانقاذ خلال المعارك . (٢)

ولما كان دوبيسون يشك فى امكان الصمود منفردا أمام حصار عثمانى طويل الأمد فقد أرسل ثلاثة سفراء لحث كبار حكام أوروبا على ارسال النجدات اليه (٣) .

ولم يكد يحل يوم ٢٣ مايو عام ١٤٨٠ م (٤) حتى كان مسيح باشا قد عاد مرة أخرى الى جزيرة رودس على رأس أسطول قدرت مصادر العثمانيين عدد سفنه بنحو ستين سفينة (٥) وقدرت مصادر الاسبتارية عددها بنحو مائة وستين سفينة حربية عدا سفن النقل (٦) وقد أحضر مسيح باشا معه ستة عشر مدفعا من المدافع الضخمة التى تستطيع أن تقذف أحجارا يتراوح قطر الواحد منها بين تسع بوصات واحدى عشرة بوصة فتدمر أكثر الأسوار والحوائط سمكا ، هذا بخلاف المدافع النارية الأخرى وجيش الغزو الذى

---

(١) أنظر : Bouhousrs, P. 67

(٢) أنظر : Biliotti, PP. 254-255; Bouhours, PP. 67,72-73

(٣) أنظر : Hammer III, P. 278

(٤) بخصوص التفاصيل الكاملة لهذه الغزوة التى اشتهرت باسم حصار عام ١٤٨٠ م أنظر : Bouhours, P. 63
Pauli II, PP. 148-153 numo. CXXV, CXXVI; Hammer III, PP. 279-290; Bouhours, PP. 64-108; De Belabre, PP. 26,28-31,36,43,75,81-82; Biliotti, PP. 255-266; Farochon, PP. 125-139; Creasy, PP. 9…

(٥) أنظر : Hammer III, P. 279 n.2.

(٦) أنظر : Hammer III, P. 279 ; Biliotti, P. 256; Bouhours, P. 68 .

يتراوح عدد أفراده بين ثمانين ألف جندي (١) ومائة ألف جندي (٢). وقد رسا أسطول الغزو العثماني في هذه المرة في خليج تريانندا (٣) أمام جبل القديس اسطفان الواقع على بعد ثلاثة أميال الى الغرب من العاصمة رودس (٤). وما أن نزلت قوات الأسطول الى البر حتى احتلت ذلك الجبل، الذي أتخذ منه مسيح باشا مقرا لقيادته، ثم حاصرت مدينة رودس من ناحية اليابس (٥). ولم يلبث القائد العثماني أن أقام بطارية من ثلاثة مدافع ضخمة في الحدائق المحيطة بحطام كنيسة القديس أنطوان الواقعة في مواجهة برج القديس نقولا، لقصف هذا البرج الذي تقرر البدء بالاستيلاء عليه لأنه أقوى حصون رودس ويتحكم في مينائها المعروف باسم الماندراكي (٦). وبالرغم من تعرض بطارية العثمانيين للقصف الشديد من جانب بطارية مضادة من ثلاثة مدافع أقامها الاسبتارية سريعا لهذا الغرض في حديقة فندق أوفرن، فقد ظلت مدافعهما تطلق قذائفها على البرج حتى أصابته بنحو ثلثمائة قذيفة من الأحجار الضخمة خلال ستة أيام، فأحدثت به تصدعات ضخمة ودمرت جداره الغربي المواجه للبطارية تدميرا كاملا (٧). غير أن السيد الكبير دوبيسون لم يلبث أن أرسل نجدة قوية من الفرسان والجند للدفاع عن البرج، كما أن دوبيسون وصل بنفسه الى ذلك البرج وأشرف على تعزيز التحصين فيه واصلاح ما تهدم منه (٨).

وقد حدث في فجر اليوم التاسع من شهر يونيه أن أقلعت بعض السفن العثمانية

---

(١) أنظر: De Belabre, PP. 28-29

(٢) أنظر: Biliotti, P. 256; Bouhours, P. 72

(٣) أنظر: Biliotti, P. 256

(٤) أنظر: Hammer III, P. 281; Bouhours, P. 72; Farochon, P. 125 ; De Belabre, P. 30.

(٥) أنظر: Hammer III, P. 282; Bouhours, P. 72 ; Farochon, P 126; Biliotti, P. 256

(٦) Hammer III, P. 282; Bouhours, P. 74; De Belabre, P.29, Biliotti, PP. 256-257

(٧) أنظر: خطاب دوبيسون الى امبراطور الغرب وتاريخه ١٣ سبتمبر ١٤٨٠ في: Pauli II, PP. 149-153, num. CXXVI

وارجع ايضا الى: De Belabre, P. 29; Biliotti, PP. 256-258; Bouhours, PP. 74-76

(٨) أنظر: De Belabre, PP. 29-30; Bouhours, PP. 76-77; Biliotti, PP. 258-259

من مرطها في خليج تريباندا ويمت شطر برج القديس نقولا لمهاجمته من ناحيـــة البحـر • غير أن جميع المحاولات التي قام بها رجال تلك السفن لغزو البرج باءت بالفشل بسبب استبسال حاميته ــ وعلى رأسها دوبيسون نفسه ــ في الدفاع عنه • وعندما رأى العثمانيون الذين قاموا بذلك الهجوم أن عدد ضحاياهم ارتفع الى نحو السبعمائة قتيل ، وشاهدوا سفنهم تتلف بها نيران مدافع البرج وزوارق الاسبتارية الحارقة ، كفوا عن القتال وانسحبوا الى ما استطاع النجاه من سفنهم فعادت بهم على الفور الى حيث توجـــد بقية سفن الاسطول في خليج تريباندا (١) •

وقد ترتب على فشل ذلك الهجوم على برج القديس نقولا أن قرر مسيح باشا محاولـــة غزو المدينة عن طريق اقتحام أضعف منطقة في تحصيناتها الخارجية وهي منطقة حصـن أومور ايطاليــا (٢) • ولتدمير ذلك السور أقام مسيح باشا بطاريــة من ثمانية مدافـــع في ناحيــة القديس جورج المرتفعــة التي تقع الى الجنوب من مدينة رودس في مواجهــة المنطقــة المراد قصفها • كما نصب مسيح باشا مدفعا تاسعا في مواجهة رصيف طواحين الهواء لقصف الطواحين الثلاث عشـرة المقامة على طول امتداده ولتدمير برج طواحين الهواء القائم عند طرفه (٣) • وما ان بدأ القصـف وكان قصفا شديدا سمع بوضوح في كل من جزيرة لانجو الواقعة على بعد مائــة ميل الى الغرب من رودس وجزيرة قشتيل المروج الواقعة على بعد مائــة ميل الى الشـرق من رودس (٤) ــ حتى هرع السيد الكبير دوبيسون وساعدوه الى الحي اليهودي الواقع خلف سور ايطاليا لتفقد وسائل الدفاع عنه • وقـــد

---

(١) أنظر : الخطاب الذي بعث به دوبيسون في ١٣ سبتمبر عام ١٤٨٠ الى امبراطـــور الغرب في :
Pauli II, PP. 149-153, num. CXXVI
وانظر ايضا :
Bouhours, PP. 77-79; De Belabre, P. 30; Hammer III, P. 283; Biliotti, PP. 259 - 260.

(٢) أنظر :
Bouhours, P. 80; De Belabre, P.30; Farochon, P.127

(٣) أنظر :
Bouhurs, P. 80 ; Biliotti, P.260; Hammer III, P.283
وبخصوص عدد الطواحين أنظر :
De Belabre, P.36

(٤) أنظر :
Hammer III, P. 284

امر دوبيسون فى وصوله الى ذلك الحى بهدم منازل اليهود الواقعة خلف السور مباشــرة واستخدام انقاضها فى بناء سور آخر داخلى يفصل بينه وبين السور الخارجى خندق[1] غير ان مدافع العثمانيين الضخمة المنصوبة فى ناحية القديس جونج لم تلبث أن توضعـــت بقذائفها الســور الخارجى والابراج الثلاث عشــرة ، كما أصابت السور الداخلـــى واحدثت به ثغرات واسعة [2] وكان من المتوقع عندئذ أن يأمر مسيح باشا قواتــه بالهجوم على تلك المنطقة من المدينة ، ولكنه بدلا من ذلك قرر العودة الى الهجوم علـــى برج القديس نقولا . وقد وضع القائــد العثمانى خطته فى هذه المرة على اساس أن يعهــد الى فرقـة عثمانيـة بمهاجمة البرج من ناحية الشرق فى حمى نيران مدافع ثلاثين سفينة تقوم بنقلها من خليج تريباندا الى تلك الجهة ، على حين تكلف فرقـة عثمانية أخرى بالهجوم على ذلك البرج من ناحية الشمال على أن تصل اليها من منطقـة حطام كنيســة القديــس انطوان عن طريق جسر عائــم يتسع لمرور ستة أشخاص تحاذ يين يصنع لهذا الغرض مــن الاشجار او السفن[3] . ولم يلبث مسيح باشا أن نفذ خطته فى منتصف ليلـــة ١٩ يونية (عام ١٤٨٠) . غير أن الهجوم على البرج لم يستمر أكثر من عشر ساعات اى انـــه توقف فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ثم انسحب العثمانيون تاركين وراءهم نحـــو الفـــين وخمسمائـة قتيل . ومن العوامل التى أدت الى هذه النتيجة تمكن مدفعيـة البــرج من الجســر الخشبــى العائم فدمرته تحت اقدام العثمانيين ، واصابة اسطول الحصـــار العثمانى الذى دأب على قصف البرج من ناحية الشرق بتشــتيت الشمل بعد أن أغرقـــت مدافع البرج أربع سفن من سفنه الثلاثيــن ، واشعلت زوارق الاحراق التابعة للاسبتارية النيران فى بقية سفنه ، هذا بالاضافـة الى وقوع زوج بنت السلطان محمد الثانى ، المدعو

---

(١) أنظر : De Belabre, P.81; Hammer III, P.283; Biliotti, P.261; Bouhours, P.80; Farochon, P.127.

(٢) أنظر : Bouhours, PP. 80-82; De Belabre, P.81; Hammer, III, PP.283-284

(٣) أنظر : Bouhours, PP.86-87; De Belabre, P.31 ; Biliotti, P. 261; Hammer III, P.284; Farochon , PP. 128 ,131

سليمان بالمسنجق قطموني ، صريما تحت أسوار الهرج .(١)

وما أن علم سميح باشا بأمر فشل الهجوم حتى أمر بفرض حصار بري بحري محكم حول مدينة رودس يستمر خلاله قصف جميع أسوارها بقذائف المدافع ، مع التركيز على سور إيطاليا أضعف منطقة في تلك الأسوار ، تمهيدا لشن هجوم شامل عليها جميعا.(٢) وفي خلال هذه المرحلة من مراحل الغزو جرب سميح باشا محاولة للنيل من تماسك الجبهة الداخلية في مدينة رودس ، وذلك بأن ألقى الى داخلها بالسهام خطابات تضمنت تحريضا لسكانها اليونانيين الأرثوذكس على التمرد على حكامهم الاسبتارية الكاثوليك وعلى القيام بتسليم المدينة للعثمانيين مقابل وعد بتأمينهم على أرواحهم وأموالهم.(٣) وحدث في الوقت نفسه أن ألقى القبض على ثلاثة جواسيس لسميح باشا في مدينة رودس أحدهم مهندس حربي مشهور من أصل ألماني اسمه جورج فرابان (G. Frapan).(٤)

ومهما يكن من أمر تلك المحاولات العثمانية للتأثير على الجبهة الداخلية في رودس فإنها — في الحقيقة — لم تكن سوى وسيلة طرقها سميح باشا على أمل أن يتسلم المدينة من غير أن يضطر الى شن الهجوم الشامل الذي لا يضمن نتائجه عليها. فلما رأى أن تلك الوسيلة لم تأت أكلها ، فكر في المفاوضة وسيلة أخرى تحقق له الهدف نفسه معتمدا على ما قد يكون قد أصاب حامية وسكان المدينة من ملل ومتاعب معيشية بسبب طول الحصار ، ومن يأس في النصر بسبب تدمير أجزاء كبيرة من تحصينات مدينتهم

---

(١) أنظر : Hammer III, PP. 284-285; Bouhours, PP.88-90; De Belabre, P.31; Biliotti, PP. 261-262; Farochon, pp. 131-132

علما بأن فاروشون ذكر بأن عدد القتلى والغرقى بلغ ثلاثة آلاف وسبعمائتان.

(٢) أنظر : Bouhours, P.92

(٣) أنظر : Ibid: Op. Cit, P.95

(٤) لمعرفة قصة الجاسوس فرابان نرجع الى : Hammer III PP.282,285-286; Bouhours, PP. 74-75 , 94-95; Biliotti, PP. 257-258-, 262

وعن الجاسوسين الآخرين — وهما دلماتي وانبانو — انظر :— Bouhours, PP. 82-85; Biliotti, PP. 262 -263; Farochon, PP. 128,132

بقذائف المدافع العثمانية . وقد دارت المفاوضات بالفعل داخل مدينة رودس بين ممثل مسيح باشا ، المدعو سليمان باشا ، وممثل دوبيسون ، وهو أنطوان جوتييه Antoine gaultier قسطلان رودس ، وفيها قدم سليمان باشا النصح للاسبتارية بالاتفاق مع السلطان محمد الثاني ، ثم أبلغهم بأن مسيح باشا يعرض عليهم وساطته الشخصية لتدبير أمر هذا الاتفاق بحيث يأتي مقبولا لديهم ، ولكن قسطلان رودس رد عليه — بعد أن رجع الى دوبيسون — بأن السيد الكبير للاسبتارية لا يستطيع أن يناقش شروطها للسلم الا مع سفير يرسله السلطان الى رودس بعد أن يسحب جيشه الذي يحاصرها الى استانبول.(١) ولما أن وصل هذا الرد الى مسيح باشا حتى أمر رجاله باستئناف القصف الشديد ، الذي كان قد توقف خلال فترة المفاوضات الفاشلة ، على أسوار المدينة ، وطلب منهم في الوقت نفسه أن يكونوا على أهبة الاستعداد لتلقي اشارة البدء بالهجوم على تلك الأسوار . ولكي يثير الحماس في جنده وهب لهم مدينة رودس لينهبوا كل شيء فيها ، ولكنه اشترط عليهم قتل جميع سكانها فيما عدا الأطفال فقد طلب الابقاء على حياتهم لضمهم الى فرق الانكشارية بعد تربيتهم التربية اللازمة لذلك.(٢)

وأخيرا أعطيت الاشارة بالهجوم — وكانت طلقة مدفع — في فجر يوم ٢٧ يوليه(٣) أو ٢٨ يوليه(٤) عام ١٤٨٠ . وكان الهجوم شاملا على جميع أسوار المدينة ، ولكنه اشتد بوجه خاص على سور ايطاليا بسبب كثرة ما كان به من شروخ وانهيارات نتيجة قصفه قبل الهجوم . ولم يلبث العثمانيون أن انتصروا على فرسان الاسبتارية الايطاليين المكلفين بالدفاع عن ذلك السور ، وتمكنوا من رفع سبع رايات من راياتهم الخضر فوقه ، ثم شاع في المدينة كلها بأن العثمانيين سيطروا على الحي اليهودي الواقع خلفه ، وكان أن هرع السيد الكبير دوبيسون لنجدة المكان على رأس فرقة قوية من فرسان الاسبتارية

---

(١) أنظر : Bouhours, PP. 96-97; Farochon, P.134

(٢) أنظر : Bouhours, PP. 97-98 ; Farochon, P. 134;Hammer III, P. 286 .

(٣) أنظر : Bouhours, P.99 ; De Belabre, P.82; Farochon, P.134

(٤) أنظر : Hammer III, P.287 ; Biliotti, P.263; Lamaerine III,

الفرنسيين ، كما أن جميع الاهالي من العنصر اليوناني لم تلبث أن هبت عند سماعها بنبأ اصابة دوبيسون بخمسة جروح في المعركة وبأن حياته أصبحت في خطر نتيجة لذلك لنصرة أمير جزيرتهم ، ليس فقط على سور ايطاليا حيث يقاتل ، ولكن أيضا على جميع أسوار المدينة الاخرى . وكان من الطبيعي عندئذ أن تزداد المقاومة عنفا وضراوة في وجه العثمانيين. وحدث في نفس الوقت أن مسيح باشا أعلن أن الغنائم كلها ستحفظ للسلطان ، فكان ذلك الاعلان الى جانب عنف المقاومة الرودسية الاسبتارية على الاسوار سببا كافيا لأن يرفض الجنود المهاجمون التقدم لمساعدة اخوانهم الذين اقتحموا تلك الاسوار مما أدى الى هزيمتهم ثم انسحابهم تاركين وراءهم بحسب التقديرات الغربية نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة قتيل[1]. وهكذا انتهى الهجوم العام الى فشل . وقد ترتب على وقوع هذا الفشل أن أصيب مسيح باشا بخيبة الأمل في مصير الحملة كلها وبخاصة عندما وجد بأنه قد تكبد فيها خسائر جسيمة في الأرواح بلغت نحو تسعة آلاف قتيل فضلا عن خمسة عشر الف جريح او نحو ذلك . وكان أن أمر القائد العثماني جنده برفع الحصار عن المدينة والعودة الى

---

(1) أنظر : Bouhours, PP.97-102; Hammer III, PP.286-288; Biliotti, P.263; De Belabre, PP.81-82; Farochon, P.134

ويلاحظ بأن بوهور (ص ١٠١ ـ ١٠٢) كذب واقعة اعلان مسيح باشا لجنده لحظة النصر بأن الغنائم كلها ستحفظ للسلطان ، وهى الواقعة التى اجمع عليها المؤرخون الاتراك ، قائلا بأن من عادة المؤرخين الاتراك أن يكذبوا لتبرير خزى لحق باسمهم . وأضاف بأن العادة جرت عند العثمانيين على أن يسمح للجند بنهب المدن التى يستولون عليها عنوة ، ولا يوجد ما يشير الى أن مسيح باشا ـ وهو القائد المجرب الذى كان يسعى للاستيلاء على مدينة رودس بشتى الوسائل ـ قد اتخذ فجأة هذا الاجراء الذى يحطه عن الوصول الى غرضه .

ومما يذكر أيضا أن وليم كا أورسين ـ الذى كان يشغل وظيفة سكرتير عام حكومة الاسبتارية خلال تلك الأحداث ـ عندما سجل وقائع هذه الغزوة أمسك عن ذكر الواقعة موضع معارضة بوهور ، ربما أكون لا بسبب انتقاصا لفخار جميع فرسان الاسبتارية الذين ينتمى اليهم كا أورسين ـ انظر هامر ج ٣ ص ٢٨٨ .

سفن الأسطول[1] . ولم تلبث أن وصلت الى ميناء مدينة رودس بعد أن ابتعدت عنه سفن الحصار العثماني مهمة شملسر ماسمها الأولسي في خليج تريانسدا سفينتان من نابلي تحملان نجدة المدينة أرسلها البابا سكستوس الرابع Sixtus IV (١٤٧١ ـ ١٤٨٤) وملك نابلي فرديناند الأول (١٤٥٨ ـ ١٤٩٤) . وقد ظن مسيح باشا أن تلك النجدة مقدمة لنجدات أكبر ينتظرها الاسبتارية من الغرب ، فأسرع في اعادة بقية أدوات حملته الى سفنه واقلع بها بعيدا عن مياه الجزيرة في ١٨ أغسطس عام ١٤٨٠ .[2] وعندما وصل مسيح باشا بأسطوله أمام حصن القديس بطرس (البودروم) المملوك للاسبتارية على ساحل الأناضول المواجه لجزيرة رودس حاول الاستيلاء عليه ولكنه عجز عن ذلك ، ومن ثم واصل سيره الى استانبول حيث وقع عليه عقاب السلطان محمد الثاني جزاء فشله في حملته بتنزيله من باشا الى سنجق غاليبولي .[3]

عودة السلام والسلطان الى رودس عام ١٤٨٢ في عهد السلطان بايزيد الثاني نتيجة لجوء جم أخيه:

ولم يلبث أن توفي السلطان محمد الثاني في ٣ مايو عام ١٤٨١ (الخميس ٤ ربيع الأول سنة ٨٨٦هـ) وخلفه ابنه بايزيد الثاني[4] . وما أن تولى السلطان الجديد سلطانه حتى أرسل سفراءه الى رودس لاستكشاف نوايا حكامها الاسبتارية فيما يتعلق باقامة صلح معهم يؤمن جانبه منهم الى أن يتم له اخماد ثورات الخارجين عليه

---

(١) أنظر : Bouhours, P.103; Biliotti, P.264; Hammer III P. 288; Farochon, P.137 ; De Belabre, P.31; Thuasne P.18.

(٢) أنظر : Bouhours, PP. 10-3-105; Hammer III PP.288-289; Pastor IV, P.333; Farochon, P.137.

(٣) أنظر : Hammer III, P.289; Thuasne, P.18; Biliotti, P.264.

(٤) أنظر : Bouhours, P.110; Thuasne, P.18

داخل دوائه وعلى راسهم أخوه چم ، والأمير القرماني قاسم بك (١) الذى كان السلطان محمد الثاني قد انتزع منه امارته قرمانيا ومحمود بن حاكم أنقره . وعندما علم بايزيد الثاني من أولئك السفراء بعد عودتهم الى استانبول بأن الاسبتارية في حاجة الى فترة سلم يصلحون فيها ما أفسده كل من الحصار الفاشل الذى أقامه مسيح باشا على عاصمتهم في عام ١٤٨٠ ، والزلزال الأرضي المدمر الذى تعرضت له جزيرتهم في أوائل عام ١٤٨١ وبأنهم لذلك لا يرفضون من حيث المبدأ الدخول في مصالحة مع السلطان ، أصدر أمره الى حاكم مقاطعة ليكيا — وهي المقاطعة الآسيوية الواقعة في مواجهة جزيرة رودس — بأن يتولى امر مفاوضة السيد الكبير للاسبتارية حول تلك المصالحة.(٢)

على أن مفاوضات الصلح تأخرت بسبب لجوء چم أخو السلطان بايزيد الى الاسبتارية في رودس ، وان كان الاسبتارية رأوا بعد ذلك انه ليس من مصلحتهم بقاء چم في الجزيرة فأرسلوه الى فرنسا في أول سبتمبر سنة ١٤٨٢.(٣)

وقد أقام دوبيسون الشهير چم عشية سفره الى فرنسا — أى في مساء ٣١ أغسطس عام ١٤٨٢ — حفل وداع حضره كبار اعضاء الاسبتارية في رودس وحاشية چم وفي هذا الحفل سلم چم لدوبيسون ثلاث وثائق أهمها وثيقة على هيئة معاهدة سلم وتجارة كتبت

---

(١) لما كانت تنقص قاسم بك القوة البحرية ، فقد رأى أن يطلبها من الاسبتارية في رودس بحكم الصداقة القائمة بينهم وبين اسرته منذ أن ظهر العثمانيون كقوة مهددة لكلا الطرفين في شرق البحر المتوسط . وبالفعل فقد طلب سفير قاسم بك من دوبيسون — في ٢١ نوفمبر عام ١٤٨١ — أن يمد الأمير القرماني بخمسة أغربة مزودة بالمدافع والجند لمراقبة ساحل قرمانيا وانزال قواتها على هذا الساحل اذا دعت الظروف في الوقت الذى يتوجه فيه قاسم بك لمحاصرة مدينة قونيه . وقد رد دوبيسون بالموافقة ، ولكنه عندما سمع بالهزائم المتلاحقة التي حلت بقوات قاسم بك على يد جيش بايزيد الثاني الذى يقوده أحمد باشا ، امتنع عن ارسال الأغربة التي طلبها قاسم بك ، وربما كان لسفراء بايزيد الى رودس أيضا دخل في ذلك . أنظر:
Thuasne, PP. 45-46; Bouhours, PP. 118-119
مع ملاحظة أن بوهور ذكر بأن دوبيسون أرسل السفن الخمس الى مياه قرمانيا ، ولكنه لم يكلمنا عن مصير هذه السفن بعد ذلك.

(٢) أنظر : Thuasne, PP. 46-47.

(٣) لمعرفة التفصيلات الخاصة بوصول چم الى رودس وطريقة وصوله اليها واستقباله فيها ارجع الى :-
Thuasne, PP. 56-76; Bouhours, PP. 121-133 ; Hammer III, PP. 354-356 .

بتاريخ ٥ رجب عام ٨٨٧ هـ الموافق ١١ أغسطس عام ١٤٨٢ ووقع عليها [illegible] بخط يده كما طبعت بخاتمه الخاص. وأهم ما اشتملت عليه هذه المعاهدة تعهد جم بأن يعقد مع الاسبتارية عندما يسترد حقه فى عرش الدولة العثمانية كليا أو جزئيـــا ، سلما دائما يقضى بعدم الاعتداء عليهم فى البر أو فى البحر ، وعدم التعرض لسفن أو متاجر رعاياهم ، والسماح للتجار القادمين من الجزر الخاضعة لهم بدخول موانى دولته العثمانية المين أو الصحراء ، وبنقل بضائعهم من مكان الى مكان داخل أرجاء هــــذه الدولة بحرية ودون دفع ضرائب أو رسوم عليها ، ومعاملة هؤلاء التجار كأنهم رعايا الدولة العثمانية . ووعد جم أيضا فى هذه المعاهدة بأن يسمح للسيد الكبير للاسبتاريـــة بجلب ثلثمائة عبد مسيحى من تركيا الى جزر الاسبتارية ، وبأن يدفع لهيئة الاسبتاريـــة مبلغا ماليا كبيرا قدره مائة وخمسون ألف قطعة ذهبية من العملة المعروفة باسم الايكوس تعويضا لها عما أنفقته من أموال فى سبيل قضيته ، ويرد لها جميع ما سبق أن استولــى عليه منها سلاطين الدولة العثمانية من جزر وأراضى وقلاع[1] . هذا عن الوثيقة الأولى ، أما الوثيقتين الأخريتين فقد كانت احداهما تفويضا مطلقا من جم لدوبيسون ببيح للسيد الكبير للاسبتارية التفاوض والتعاقد باسم الأمير جم مع السلطان بايزيد الثانى فـــى سبيل الصلح بين الأخوين العثمانيين وفق الشروط التى يضعها السيد الكبيـــــر للاســـبتارية ، على حين كانت الوثيقة الأخرى اقرارا من جم بأن رحيله عن جزيرة رودس الى فرنسا تم بناء على رغبته وبعد أن ألح على السيد الكبير للاسبتارية ليحقق له هـــذه الرغبـــة[2] . هذا وقد غادر جم رودس فى اليوم التالى لذلك مباشرة ــ أى فى يـــوم أول سبتمبر ــ بعد اقامة له فيها دامت أربعة وثلاثين يوما ، ويرافقه ثلاثون شخصـــا من حاشيته ، وعشرون عبدا مسلما اشتراهم فى رودس ، وأربعة من فرسان الاسبتارية كلفوا بمرافقته وخدمته وحراســته فى فرنسا بمساعدة مجموعة من الخدم وثلثمائـــة

---

(١) توجد ترجمة حرفية للمعاهدة الى اللغة الفرنسية فى : Bouhours, PP. 131-132
أنظر أيضا : Thuasne, P. 77; Hammer III, PP. 356-357; Biliotti, P. 268.

(٢) أنظر : Bouhours, P. 131; Thuasne, P. 80.

جنيدى (١).

وبحسب ما كان مقررا من قبل ، فانه فى يوم ٢ سبتمبر عام ١٤٨٢ — أى فى اليوم التالى مباشرة ليوم رحيل جم الى فرنسا — (٢) غادر السفيران الاسبتاريان الصيفيان لمفاوضة السلطان بايزيد الثانى فى الصلح ، مدينة رودس لأداء المهمة التى كلفا بها لدى السلطان حيث كان يقيم وقتذاك فى مدينة أدرنه (٣). ولم يلبث السفيران أن توصلا الى عقد اتفاقية الصلح مع السلطان جاءت وفق ما يرضى الاسبتارية خلوا من أى ذكر لجزية أو هدية سنوية يلزم أن يدفعها الاسبتارية للسلطان. وأهم ما اشتملت عليه هذه الاتفاقية التعهد بوقف الاعتداءات المتبادلة بين الطرفين المتعاقدين فى البر والبحر ، والسماح بحرية التجارة بين دولتيهما على أن تخضع بضائع التجار لمختلف الضرائب والرسوم الجمركية المعمول بها فى الدولة التى تتم فيها الصفقات التجارية وأن تعرض قضايا أولئك التجار على المحاكم المختصة فى هذه الدولة. ونصت الاتفاقية أيضا على ضرورة أن تؤدى سفن كل من الطرفين المتعاهدين واجب التحية لعلم الدولة التابع لها الطرف الآخر باحترام وأن تتبادل الدولتان العثمانية والاسبتارية العبيد الهاربين من احداهما الى الأخرى من غير دفع مقابل عنهم الا اذا كان أولئك العبيد يدينون بديانة تختلف عن ديانة الدولة التى تريد استرجاعهم فيجب على هذه الدولة عندئذ أن تدفع عنهم مقابلا ماليا قدره عشرون دوكات ذهبيا للعبد الواحد. وأخيرا نصت المعاهدة على اعتراف السلطان بملكية الاسبتارية لقلعة القديس بطرس (البدروم) القائمة على الساحل الآسيوى فى مواجهة جزيرتهم لانجو ، وعلى أن تكون هذه المعاهدة سارية المفعول طيلة دوام السلطان بايزيد الثانى باقيا على قيد الحياة (٤). وعندما تم تحرير هذه المعاهدة وقع السلطان بايزيد الثانى بالتصديق

---

(١) أنظر : Thuasne, PP. 80-81; Bouhours, P. 132 ; Hammer III P. 357.

(٢) أنظر : Thuasne, P. 81; Bouhours, P. 133
أما المؤرخ (Hammer ,3 P. 357) فقد ذكر بأن ذلك حدث فى أول سبتمبر فى نفس يوم رحيل جم الى فرنسا.

(٣) أنظر : Thuasne, P. 81

(٤) أنظر : Thuasn, PP. 83 - 84 ; Hammer, III, P. 357

على نسختين منها وسلمها لقاصد تركي أمره بالسفر الى رودس صحبة سفيرى الاسبتارية لأخذ تصديق السيد الكبير دوبيسون على المعاهدة ومفاوضته بشأن جم . وقد وصل السفراء الثلاثة الى مدينة رودس في ٢ ديسمبر عام ١٤٨٢ . وبعد خمسة أيام من المفاوضة في رودس ـ أي في يوم ٧ ديسمبر ـ حصل القاصد العثماني على تصديق دوبيسون على معاهدة السلم والتجارة التي عقدها سفيرا الاسبتارية مع السلطان في أدرنه ، وعقد معه اتفاقية بشأن الأمير جم تعهد فيها القاصد العثماني باسم السلطان بايزيد الثاني بأن يدفع السلطان للاسبتارية كل عام مبلغ خمسة وأربعين ألف دوكات من عملة البندقية مقابل التزام دوبيسون بإعالة الأمير جم وحراسته بحيث لا يصيب السلطان بسببه أية مضايقات[1] . ومن الواضح أن هذه الاتفاقية حولت جم من لاجىء له الحق ـ بمقتضى كتاب الأمان الذي منح له قبل لجوئه الى رودس[2] ـ في حرية الحركة والتنقل الى أسير يخضع للمراقبة والحراسة الشديدتين من الاسبتارية . ومن ناحية أخرى فانه يبدو في موافقة دوبيسون على عقد الاتفاقية خيانة للثقة التي أولاها له جم بتوكيله اياه لعقد الصلح نيابة عنه مع أخيه بايزيد ، كما يبدو فيها بأنه ضحى بالشرف من أجل المنفعة . وقد اعترف كاأورسين نفسه ، سكرتير عام حكومة الاسبتارية في عهد دوبيسون ، بخيانة السيد الكبير دوبيسون وحاول تبريرها بقوله بأن دوبيسون لو كان قد تصرف بطريقة أخرى لكان قد جلب جيوش بايزيد ليس ضد رودس فحسب ولكن أيضا ضد المسيحية جمعاء[3] . ولكن من الملاحظ أن تبرير كاأورسين جاء ناقصا فلو أن بايزيد كان في حالة تسمح له بشن الحرب على رودس وأوروبا لكان قد انقض على الأقل على جزيرة رودس المجاورة منذ أن عرف بلجوء أخيه جم اليها وحاول انتزاعه منها بالقوة . لقد كان بايزيد في الواقع يخشى أن تفرض عليه الحرب بأن يضطر الى مواجهة حملة صليبية أوروبية عامة على رأسها جم تهاجم بلاده من مختلف الجهات . وليس أدل على ذلك من لهفته منذ أن عرف برغبة أخيه في اللجوء الى رودس على عقد الصلح مع الاسبتارية ، ومن ارساله سفيره ليحرض على

(١) أنظر : Thuasne, PP. 84-86 ; Bouhours, PP. 133-134; Hammer III, PP. 357 - 358.

(٢) توجد ترجمة فرنسية لكتاب الأمان المذكور في : Thuasne, PP. 60-62

(٣) أنظر :

دوبيسون أن يدفع له السلطان سنويا مبلغ خمسة وأربعين ألف دوكات مقابل عدم تسليمه جم لمن يريدون استخدامه في شن الحرب على السلطان.

على أن دوبيسون له رأيه الخاص في هذه المسألة، فقد كتب للبابا سكستوس الرابع في ١٧ (أو ١٢) مايو عام ١٤٨٢ يقول له بأنه لا يرى في مضمون الاتفاقية التي عقدها مع بايزيد بشأن جم نقضا أو خيانة لعهوده التي قطعها على نفسه للأمير العثماني لأن هذا الأمير سبق له، عندما طلب تصريح الدخول إلى رودس، أن تعهد بأن يأخذ بمشورته ويتصرف وفق نصائحه (١).

وقد رد المؤرخ فرتو (Vertot) على حجة دوبيسون بأن موافقة جم على الامتثال لتوجيهات دوبيسون لا ينبغي أن تترجم في معاهدة إلى ما يلحق الأذى بحرية جم، وهي الغرض الرئيسي الذي من أجله طلب الأمير تصريح الدخول إلى رودس (٢). ويعلق المؤرخ توازن (Thuasne) الذي ألف كتابا خاصا عن الأمير جم، فيعيب على فرتو أنه اتخذ من الأخلاقيات معيارا لمهاجمة دوبيسون، ويحاول توازن أن يلتمس العذر للسيد الكبير للاسبتارية فيقول بأن دوبيسون ليس فردا عاديا من عموم الناس، وإنما رجل دولة يمثل مصالح مجموعة من الناس، وهو بهذه الصفة يواجه واجبات معقدة تختلط فيها الأخلاقيات مع اعتبارات الصالح العام. على أن المؤرخ توازن، مع ذلك لا يعفي دوبيسون كلية من المؤاخذة، فيقول بأن دوبيسون كان في إمكانه أن يحقق للأمير جم رغبته في أن يسلمه لملك هنغاريا ماتياس كورفين، أو أن يسلم هذا الأمير لسلطان مصر قايتباي، من غير أن يعرض مصالح الاسبتارية أو أمن أوروبا لأي خطر، ولكنه فضل على ذلك أن يحنث في يمينه للأمير العثماني، ويعمل سجانا للسلطان نظير هذا الأمير مقابل مبلغ من المال يدفع له في كل عام (٣).

ومهما يكن من أمر هذه الآراء المختلفة في الحكم على تصرف دوبيسون تجاه

(١) أنظر : Thuasne, P. 105; Bouhours, P. 137
(٢) اقتباس توازن ص ٨٩ ملحوظة ٣.
(٣) أنظر : Thuasne, PP. 87- 96.

جم ، فقد كان في نية السيد الكبير للاسبتارية منذ البداية أن يحتفظ بالأمير جم في حوزته الى أن يتمكن البابا وأمراء المسيحية في أوروبا من اعداد الحملة الصليبية العامة — التي كان قد دعاهم الى اعدادها عقب لجوء جم الى رودس وتسلمه لهم[1] . غير أن دوبيسون لم يلبث أن تلقى ردود أولئك الأمراء[2] وتأكد منها بأن الوقت لا يزال بعيدا على خروج الحملة التي ينشدها . ولما كان بقاء جم في حوزة الاسبتارية الى ذلك الحين يكلفهم الكثير من النفقات لاعالته وحراسته بخلاف ما أنفق عليه من قبل ، فقد رأى دوبيسون أن من الحكمة عدم رفض عرض السلطان بايزيد الذي رأى فيه دوبيسون تعويضا للهيئة التي يرأسها عن هذه النفقات[3] التي كانت رودس وقتذاك في أشد الحاجة اليها لاصلاح ما أفسده الحصار العثماني الفاشل عليها عام ١٤٨٠ والزلزال الأرضي الذي أصابها في العام التالي لهذا الحصار . ومما يدل على أن دوبيسون لم يكن ينوي الاخلاص للاتفاقية التي عقدها مع بايزيد بشأن جم (أي اتفاقية ٧ ديسمبر عام ١٤٨٢) الا لحين اعداد الحملة الصليبية العامة ، أنه بالرغم من عقده تلك الاتفاقية لم يكف عن السعي لدى البابا وأمراء أوروبا من أجل اعداد تلك الحملة الى أن توفي

---

(١) أنظر : Thuasne, PP. 67-69.

(٢) أنظر الرسالة التي بعث بها دوبيسون الى البابا سكستوس الرابع بتاريخ ٣٠ أغسطس عام ١٤٨٢ في Pauli II, P. 153, num. CXXVIII

(٣) كتب فرديناند الأول ملك نابلي رده في ٢٧ سبتمبر عام ١٤٨٢ ، وفيه اعتذر لدوبيسون عن عدم امكانه الاستجابة لدعوته للحرب الصليبية ضد الأتراك بسبب الحرب الدائرة بينه وبين البابا والبندقية . ولم يلبث دوبيسون أن تلقى ردود بقية حكام أوروبا الذين كتب لهم . وقد اعتذر كل منهم في رده عن عدم استطاعته تلبية دعوة دوبيسون بمشاكله الخاصة . (أنظر : Thuasne, PP. 101-102)
وفي ٩ نوفمبر كتب البابا سكستوس الرابع رده على رسالة دوبيسون ، وفيه امتدح السيد الكبير للاسبتارية على الاجراء الذي اتخذه بارسال جم الى فرنسا ، وأعرب له عن تأكده من خلاصه — أي اخلاص دوبيسون — لمصالح المسيحية ، ولكنه لم يبد له رأيا فيما يتعلق بالدعوة للحرب الصليبية .
(أنظر رسالة البابا في : Pauli II, PP. 153-154 num. CXXVIII)
وفي الحقيقة لم يبد تحمسا لهذه الدعوة سوى ملك هنغاريا ماتياس كورفين فقد أعرب له في الرسالة التي كتبها له في ٢٠ نوفمبر عن استعداده لأن يهاجم أراضي الدولة العثمانية من ناحية البر بمجرد أن تقوم أساطيل البابا وغيره من أمراء المسيحية بمهاجمة هذه الأراضي من ناحية البحر ، وأكد له بأنه ينتظر لكي يبدأ العمل الا تألب العصبة المسيحية التي كتب له دوبيسون عنها . (أنظر : Thausne, P. 102

(٤) أنظر :

جم [1] في ٢٤ [2] أو ٢٥ فبراير عام ١٤٩٥ [3] . وإذا كان دوبيسون قد رفض مرارا في تلك الفترة أن يسلم جم لملك هنغاريا ماتياس كورفين أو لملك أراغونه وقشتاله وصقلية فرديناند الخامس الكاثوليكي (١٤٦٨ ـ ١٥١٦) أو لملك نابلي فرديناند الأول (١٤٥٨ ـ ١٤٩٤) [4] فذلك لأن كل منهم كان يريد الأمير العثماني ليستفيد منه لحسابه الخاص في مضايقة بايزيد ، في حين كان دوبيسون يشك في قدرة أي منهم على أن يحقق بجيوشه الخاصة الهدف المشترك لأنصار جم وأوروبا الكاثوليكية من الحرب ضد بايزيد ، وكان يعتقد بأن الحملة الصليبية العامة التي يسهم فيها أكبر عدد من أمراء أوروبا بزعامة البابا هي السبيل الوحيد المضمون لبلوغ هذا الهدف [5].

ويبدو أن السلطان بايزيد الثاني كان من ناحيته يشك في نوايا دوبيسون الحقيقية ، فقد أرسل إلى جمهورية البندقية ، بعد أن عاد سفيره الذي عقد الاتفاقية مع دوبيسون (اتفاقية ٧ ديسمبر عام ١٤٨٢ بشأن جم) من رودس مباشرة ، مبعوثا خاصا اسمه اسكندر ليحثها على أن تعمل بوسائلها الخاصة للاستحواذ على جم من الاسبتارية مقابل وعد من السلطان بمكافأتها إذا أدت له هذه الخدمة ، بالتنازل لها عن بلاد المورة ثم عن بلاد اليونان كلها فضلا عن تعهده بتحمل جميع الأعباء المالية لهذه المهمة [6] . وفي العام التالي ـ أي في عام ١٤٨٣ ـ سير بايزيد سفيرا اسمه حسين بالتالي فرنسا حيث

---

(١) عن هذه المساعي أنظر: Thuasne, P. 103; Bouhours, P. 135

(٢) أنظر : Hammer III, P. 371

(٣) أنظر : Thuasne, P. 370 .

(٤) كأمثلة للحالات التي طلب فيها هؤلاء الملوك من دوبيسون أن يسلم إليهم جم: في عام ١٤٨٣ طلبه ملوك هنغاريا ونابلي وقشتاله (أنظر: Thuasne, P. 120, Bouhours, P. 144 ، وفي عام ١٤٨٤ طلبه البابا انوسنت الثامن وملك نابلي (أنظر Thuasne, P. 133, Bouhours, P. 152) وفي عام ١٤٨٦ طلبه ملك نابلي (أنظر: Thuasne, PP. 144-145) وفي عام ١٤٨٨ طلبه ملك هنغاريا مرتين (أنظر: Thuasne, PP. 198-200, Bouhours, 156-157)

(٥) أنظر : Thuasne, PP. 134, 198-199; Bouhours, P. 152

(٦) أنظر : Thuasne, P. 106

قدم لملكها لويس الحادى عشر (١٤٦١ — ١٤٨٣ م) قائمة بأسماء المخلفات المدينية المسيحية الموجودة فى خزائن السلطان باستانبول ، ووعد بأن يوصلها اليه صحبة مبلغ مالى كبير اذا تعهد بالعمل على حراسة جم فى مملكته فرنسا ومنعه من بذل أية محاولة ضد أخيه بايزيد (١) . ومن ناحية أخرى فقد حرص السلطان على أن يظهر لدوبيسون فى كل مناسبة تمسكه بصداقته الاعتبارية له ، ومن الأمثلة على ذلك أنه فى عام ١٤٨٣ م لما الى علم دوبيسون بأن بايزيد يجهز أسطولا ضخما ينوى تسييره لمناصرة البندقية فى الحروب لا أهلية الدائرة وقتذاك فى ايطاليا ، فأرسل اليه دوبيسون سفيرا اسبتاريا طلب منه عدم المضى فى تنفيذ مشروعه ، وقد وافق بايزيد ورد سفير دوبيسون صحبة رسالة كتبت فى الخامس من ربيع الأول عام ٨٨٩ هـ قال له فيها " طالما أنى أسلم نفسى كلية لنصائحك ولا أستطيع أن أرفض لك أمرا ، فانى أوافق على وقف التسليح ، وأعطيك كلمتى بأن قواتى البحرية سوف لا تخرج من مضيق غاليبولى علما بأنى أفعل ذلك بمحض ارادتى رغبة منى فى أن تكون دائما صديقى ، ويجب أن تكون كذلك طالما أنى أتنازل من أجل حبك عن مصالحى بل وعن مفاخرى " (٢) . وفى العام التالى — أى فى عام ١٤٨٤ م — وصل الى رودس سفير من قبل البابا انوسنت الثامن (١٤٨٤ م — ١٤٩٢ م) طلب من دوبيسون التحقق من نبأ عودة السلطان بايزيد الثانى الى تسليح أسطوله والتصرف بما يقتضيه الحال ، وعندما استوثق دوبيسون من صحة النبأ كتب الى بايزيد يطلب منه وقف اجراءات تسليح اسطوله ، ولم يلبث أن تلقى دوبيسون رد السلطان بايزيد بأن الاسطول العثمانى سوف لا يدخل مياه البحر المتوسط ، ومن ثم كتب دوبيسون رسالة الى البابا انوسنت الثامن فى ٢٦ يناير عام ١٤٨٥ زف اليه فيها بشرى نجاح وساطته لدى بايزيد ناسبا هذا النجاح الى الخوف الذى أوجده عند السلطان كون أخيه جم بين يدى الاسبتارية (٣) .

---

(١) عن رحلة هذا السفير العثمانى الى فرنسا ، ورفض الملك الفرنسى لويس الحادى عشر قبول ما عرضه عليه أنظر : Thuasne, PP. 104-113; Bouhours, P. 140.

(٢) أنظر : Bouhours, PP. 143-144

(٣) أنظر : Thuasne, PP. 129-130

وجدير بالذكر هنا أن البابا تسلم رسالة دوبيسون عن طريق وفد اسبتارى ، وصل الى روما لتهنئته بمنصب البابوية خلفا للبابا سكستوس الرابع المتوفى فى ١٢ أغسطس عام ١٤٨٤ ، ولتقديم يمين الطاعة والولاء له. وفى مقابلة خاصة مع أعضاء هذا الوفد طلب منهم البابا تبليغ دوبيسون برغبته فى أن يسلم اليه الأمير جم على أن يظل الأمير تحت حراسة الاسبتارية فى أحد الحصون الخاضعة للبابا فى ايطاليا (١) وعندما نقلت رغبة البابا الى دوبيسون رد عليه بأنه يفضل بقاء جم فى فرنسا وعدم نقله الى ايطاليا المنقسمة على نفسها قبل أن يتوصل البابا الى تأليف حلف مسيحى قوى قادر على شن الحرب الصليبية ضد بايزيد (٢) غير أن دوبيسون لم يلبث أن غير رأيه لعوامل سردها المؤرخ بوهور لعل أهمها أن دوبيسون رأى أن الوقت أصبح مناسبا لتأليف الحلف المسيحى بعد الهزيمة التى لحقت مؤخرا فى ذلك العام — أى فى عام ١٤٨٥ — بالسلطان العثمانى بايزيد الثانى على يد جيوش السلطان المملوكى قايتباى ، فقد قدر دوبيسون بأن احتمال النصر على بايزيد — الذى اضطربت الأمور فى بلاده بسبب تلك الهزيمة — سوف يزين لأمراء المسيحية الاقدام على تأليف الحلف اذا رأوا أن الأمير جم المقر وضعه على رأس حلفهم الصليبية بين يدى البابا رئيسهم الروحى . ومن تلك العوامل أيضا اصرار البابا على أن يسلم الاسبتارية جم اليه ، وعدم رغبة دوبيسون — الذى لم يكن يجهل واجب الطاعة المفروض عليه ، وعلى هيئة الاسبتارية التى يرأسها للبابا بصفته الرئيس الأعلى لتلك الهيئة — فى الانتظار الى أن يصدر اليه البابا أمرا قاطعا بذلك ، وبخاصة أن البابا لم يكن يرغب سوى فى أن يقيم جم فى ايطاليا من غير أن يدعى حق التصرف فى مصيره ، يضاف الى ذلك أن دوبيسون وجد بأن خضوعه لرغبة البابا يساعده من ناحية على تبرير موقفه من ملوك نابلى وهنغاريا وقشتالة ومن السلطان المملوكى قايتباى فيما يتعلق برفضه تسليم جم الى أى منهم ، ومن ناحية أخرى على محاولة ارضاء جم الذى بدأ يتبرم من عزلته

---

(١) أنظر : Thuasne, PP. 130-132; Bouhours, PP. 150-151

(٢) أنظر : Thuasne, P. 134; Bouhours, PP. 152-153

واخذ يطالب بتخفيض مقر اقامته . واخيرا فقد كان هناك العامل الاول في ان يعتنق جم الديانة المسيحية ، التي لم يظهر لها أية كراهية ، لو وضع بين يدي البابا ليتولى بنفسه امر تبشيره بهذه الديانة (1). وايضا كانت عوامل موافقة دوبيسون على تسليم جم للبابا

ان دوبيسون لم يلبث أن ارسل سفيرين الى روما فدخلا في مفاوضات سرية مع وكلاء البابا ، انتهت في ١٣ فبراير عام ١٤٨٦ بعقد اتفاقية تسليم جم للبابوية . وينص القسم الاول من الاتفاقية على أن البابا أراد أن يسلم جم اليه ليضعه في خدمة الحرب الصليبية ضد الاتراك ، وانه اختار لاقامته الولاية البابوية المعروفة باسم أنكونه تحت حراسة اسبتارية . وجاء في هذا القسم من الاتفاقية أيضا بأنه في حالة الضرورة او عندما يتم اتخاذ القرار بمحاربة الاتراك يستطيع البابا ، بالاتفاق مع مجمعه المقدس والسيد الكبير للاسبتارية وأعضاء حكومة الاسبتارية الذين يشكلون ما يعرف باسم المجلس، التصرف فيما يتعلق بالأمير جم بما يفيد المؤتمن . وتقرر أن يتم نقل الأمير الى مقره الجديد بايطاليا في موعد اقصاه شهر أبريل التالي . كما تقرر أن يقوم دوبيسون بالتفاهم مع بايزيد حول أثر الوضع الجديد على العلاقات القائمة بينهما ، فاذا وافق بايزيد على الاستمرار في دفع مبلغ الخمسة والاربعين ألف دوكات يحتفظ منها دوبيسون بمبلغ عشرة آلاف دوكات لصرفها على تحصين رودس ، على أن يسلم باقي المبلغ للبابا الذي يتكفل بتحمل جميع مصاريف اقامة وحراسة جم . واخيرا تعهد البابا بالوقوف الى جانب السيد الكبير للاسبتارية عند تعرضه لاية مضايقات بسبب تسليمه جم للبابا ، وبالدفاع عن رودس اذا اعتدى عليها بايزيد بسبب الحادث نفسه . أما القسم الثاني من الاتفاقية فقد سجل فيه الثمن الذي تعهد البابا أن يدفعه مقابل تسليم جم اليه . وكان نصيب دوبيسون من هذا الثمن منحه لقب كاردينال في الكنيسة الكاثوليكية باسم القديس أدريان ، ونصيب هيئة الاسبتارية نفسها ضم هيئات القبر المقدس وبيت لحم والناصرة والقديس لعازر وجبل مورلون Mont Morillon بجميع ثرواتها اليها ، والسماح لرعايا الاسبتارية في جزيرة رودس وغيرها من الجزر الخاضعة لهم في بحر ايجه بالمتاجرة مع مصر وسوريا ، الى جانب ميزات أخرى

---

(1) أنظر : Bouhours, P. 160

الى أهمية .(1)

وحدث قبل أن تتم لأمير جم وحراسه مغادرة مملكة فرنسا أن وصل الى هذه المملكة سفير من قبل السلطان بايزيد الثاني أعرب للملك شارل الثامن عن رغبة بايزيد في بقاء جم في فرنسا وعن استعداده لأن يدفع للملك الفرنسي نظير اعالة الأمير العثماني مبلغ خمسين ألف دوكات كل عام ، وأن يضمن السلم لجميع المسيحيين ويضع نفسه فورا تحت تصرف ملك فرنسا اذا كان الملك في حاجة اليه ضد اعدائه . وانتهى السفير بأن هدد قائلا بأنه اذا رفض شارل الثامن هذا العرض فضل أن يسلم جم للبابا أو لاحدى القوى المسيحية الأخرى التي تطالبه لتستفيد به ضد أخيه السلطان . كان بايزيد موافقا على ذلك بعقد الصلح مع السلطان المملوكي قايتباي والخوف منه لتدمير المسيحية جمعاء . ولم يلبث سفير بايزيد ، بعد أن قدم هذا العرض ، أن دخل في مفاوضات سرية مع الملك شارل الثامن ومع بعض المقربين اليه أضاف فيها بأن السلطان على استعداد لأن يدفع أيضا ، اذا ووفق على طلبه ، مبلغ أربعين ألف دوكات نقدا للملك ومائة ألف دوكات للوسطاء الذين يتولون مهمة اقناع الملك بالموافقة . وفي الحقيقة لقد لان الملك شارل الثامن ومعظم أعضاء مجلس بلاطه أمام اغراء عروض بايزيد . ومن ثم أصدر الملك أمرا الى رئيس حراس جم بوقف رحلة الضيوف عند الموقع الذي وصلت اليه داخل الأرض الفرنسية وانتظار تعليمات جديدة من القصر الملكي سوف ترسل اليه عندما يصل رد البابا على رسالة بعث بها اليه ملك فرنسا بشأن عرض بايزيد الأخير حول نقل جم من فرنسا . غير أن رسالة الملك تأخرت ولم تصل مطلقا لرئيس الحراس في حين وصل جم

---

(1) أنظر : Thuasne, PP. 135-141

وصحبه في يوم ١٣ مارس عام ١٤٨٩ الى روما[1].

ومهما يكن من أمر نقل جم الى ايطاليا ، فما أن تم هذا النقل حتى وصل الى رودس سفير عثماني من قبل السلطان بايزيد الثاني احتج عليه لدى دوبيسون، غير أن السيد الكبير للاسبتارية رد عليه بأن تغيير مقر اقامة جم قد تم بناء على أوامر البابا ، وهو الرئيس الأعلى لهيئة الاسبتارية الذي لا يملك دوبيسون أن يرد له أمرا فضلا عن أنه لا يتعارض مع الاتفاقية المعقودة بينهما — أي بين دوبيسون وبايزيد — بشأن جم حيث أن هذا الأمير العثماني لا يزال تحت حراسة ورعاية الاسبتارية ولم يجر تسليمه لأي أمير يمكن أن يستأديه ضد السلطان. واستطرد دوبيسون قائلا بأن من مصلحة السلطان بايزيد أن يبعد جم عن متناول يد ملك فرنسا الذي يمكنه متى شاء أن ينتزع جم من سجنه ويستأديه ضد السلطان معتمدا على موارده الخاصة وقوته الذاتية ، أما وجوده بين يدي البابا فلا خطر منه على السلطان لأن البابا لا يستطيع أن يحارب السلطان الا متحدا مع أمراء مسيحيين آخرين وهو أمر يصعب تحقيقه في ظل الظروف القائمة داخل أوروبا المنقسمة على بعضها . وأنبأ السيد الكبير للاسبتارية بأن في امكان بايزيد أن يطلع الى اطمئنانه طالما أنه لا يسمح لأسطوله بعبور البوسفور ، وهو الأمر الوحيد الذي يدفع أمراء أوروبا المختلفين الى الاتحاد ضده. وأخيرا دعا دوبيسون السلطان بايزيد الى أن يرسل قاصدا عثمانيا الى روما

---

(١) أنظر : Thuasne, PP. 216-232

لم يمض أسبوعان على وصول جم الى روما — أي في يوم ٢٨ مارس عام ١٤٨٩ — حتى أرسل البابا رسالة الى الكاردينال دوبيسون يشكره فيها على جهوده التي أدت الى وضع جم بين يديه — أي بين يدي البابا — ويتعهد له بتعويض الاسبتارية عن جميع الخسائر التي قد تلحق بهم نتيجة ذلك.

(أنظر نص الرسالة البابوية في : Pauli II, PP. 165-166, num. CXXXVIII

وفي نفس اليوم أصدر البابا منشورا بابويا صدق فيه على قراره السابق (الذي كان قد اتخذه في ١٣ فبراير عام ١٤٨٦) بضم هيئتي القبر المقدس والقديس لعازر وبيت مونتموريلون التابع لهيئة القديس أوغسطين في أبروشية بواتييه بفرنسا الى هيئة الاسبتارية.

(أنظر نص المنشور في Pauli II, PP. 160-164num. CXXXVl

وارجع أيضا الى : -Thuasne, PP. 238-239 ; Bouhours, P. 164

ليؤكد للبابا رغبته في الصلح في سلام ، وعرض دوبيسون استعداده للقيام بدور الوساطة في هذا الأمر .(١)

وكان أن وصل إلى روما في ٣٠ نوفمبر عام ١٤٩٠ الفارس الاسبتاري جاي دي بلانشفورت يقدم شخصية أو في صحبة سفير عثماني اسمه مصطفى ليقدم للبابا رسالة طلب فيها بايزيد منه أن يتولى حراسة جم وإعالته على نفس الشروط المتفق عليها سابقاً مع السيد الكبير للاسبتارية بطرس دوبيسون . وفي مقابلة أخرى مع البابا صرح السفير العثماني بأن السلطان بايزيد يرغب في العيش بسلام مع الاسبتارية في رودس ومع الأملاك البابوية والبندقية . وكذب السفير ما نسبه إليه الاسبتارية بأنه صرح عند وصوله إلى روما مباشرة بأن السلطان يرغب في العيش بسلام مع جميع المسيحيين ، كما كذب ادعاء الاسبتارية بأن بايزيد طلب منهم أن يظل جم تحت حراستهم ، وأكد بأن السلطان يريد أن يفي البابا بهذه المهمة وفقاً لنفس المبلغ الذي نصت عليه الاتفاقية المعقودة بين بايزيد ودوبيسون وأخيراً أعلن مصطفى بنفس استعداده لأن يدفع للبابا نصيب السنوات الثلاث القادمة دفعة واحدة ، وفوراً إذا سمح له بمقابلة جم . وقد عارض حراس جم من فرسان الاسبتارية في إجراء هذه المقابلة المحفوفة بالمخاطر ولكنهم اضطروا أخيراً إلى الموافقة أمام إصرار البابا . هذا وقد رجع السفير العثماني مصطفى بك إلى بلاده في يناير عام ١٤٩١ من غير أن يوفق في عقد أي اتفاقية بشأن جم مع البابا انوسنت الثامن الذي فضل الانتظار إلى أن يتسلم من الاسبتارية في رودس نص الاتفاقية المعقودة بشأن الأمير العثماني بين بايزيد ودوبيسون ، وإلى أن تتضح في الوقت نفسه نتائج المساعي التي بذلها لدى أمراء أوروبا منذ أن وصل جم إلى روما لكي ينبذوا ما بينهم من خلافات ويخرجوا في حملة صليبية عامة يوضع على رأسها جم ضد بايزيد .(٢)

---

(١) أنظر : Thuasne, PP. 263-264 ; Bouhours , PP. 166-167

(٢) أنظر : Thuasne, PP. 264-265, 270-271, 276-282; Pastor V. PP.311 - 313

وقد أشار كل من (Bouhours , PP.169-170), (Hammer III, P.368) إلى سفارة مصطفى بك إلى روما باختصار شديد

ويبدو أن أقوال السفير مصطفى بك عن رغبة بايزيد في أن يحل البابا محـــل الاسبتارية في حراسة جم قد سببت شيئا من التوتر في العلاقات بين دوبيسون وبايزيد ومن دلائله وصول سفير عثماني من قبل بايزيد في أوائل مايو ١٤٩٢ الى روما حيث شـــكا للبابا من تصرفات دوبيسون تجاهه — وكان على حق في اتهامه حيث أن الدبلوماسية أرسلت في نفس الوقت رسالة الى سفيرها في روما تضمنت صحة الواقعة موضع الشكوى — بأنـه دأب في الآونة الأخيرة على تقديم المأوى في جزيرة رودس للقراصنة الذين كثرت اعتداءاتهـم على سفن وسواحل السلطان ، واتبع الشكوى بانذار وجهه الى دوبيسون بأن عليـه أن يتصرف بطريقة أخرى اذا أراد أن يحافظ على السلم المعقود بينه وبين السلطان (1).

ولعل من دلائل ذلك التوتر أيضا أن دوبيسون أرسل في هذا العام نفسه — أي في عـــام ١٤٩٢ — الى البابا انوسنت الثامن يلح عليه بأن يسرع في العمل على احلال السلام فـي ايطاليا ليسهل عليه تأليف الحملة الصليبية المسيحية القادرة بمساعدة جم على انزال الهزيمـة بالسلطان بايزيد الثاني (2). ولما توفي البابا انوسنت الثامن في ٢٥ أغسطس (عـــام ١٤٩٢) وخلفه البابا اسكندر السادس (١٤٩٢ — ١٥٠٣) (3)، أرسل دوبيسون الى سكرتير البابا الجديد خطاب تهنئة أعرب له فيه عن كبير أمله في أن يتم على يدي البابا اسكنـدر السادس، بالتعاون مع الأمير العثماني جم ، انزال الرعب في قلب السلطان بايزيـــد وتدمير الأتراك (4) ، كما أن سفراء الاسبتارية الذين أوفدهم دوبيسون الى روما لتهنئــة البابا على منصبه الجديد ولحلف يمين الطاعة له طالبوا البابا في خطبهم الرسمية التـي ألقوها أمامه بالعمل ، متعاونا مع جم ، على اشعال رغبـة المسيحية في شن حرب صليبية ضد بايزيـــد (5).

---

(1) انظر : Thuasne, PP. 296-299

(2) انظر: Bouhours, P. 172

(3) انظر : Thuasne, PP. 303,305 , Bouhours, P. 172

(4) انظر : Thuasne, PP. 306-307

(5) انظر : Ibid, PP. 323-324

ومهما يكن من أمر هذا التوتر في العلاقات بين دوبيسون وبايزيد فقد كان توترا موقتا ولم يترتب عليه وقوع صدام مسلح بين الطرفين. وقد حدث في عام ١٤٩٤ أن أعد ملك فرنسا شارل الثامن عدته للزحف على ايطاليا لتأكيد حقه الذى يدعيه في عرش مملكة نابلى بعد موت ملكها فرديناند الأول في يناير من نفس ذلك العام. وقبل أن تخرج جيوشه من فرنسا طلب من مقدم شعبة الاسبتارية في أوفرن، جاى دى بلانشفورت، أن يسافر الى جزيرة رودس لابلاغ دوبيسون برغبته الملكية في الالتقاء به في روما للتشاور معه في أمر الحملة الصليبية التي يعدها ضد بايزيد [1]. وعندما وصل الملك الفرنسي الى ايطاليا في شهر اكتوبر (سنة ١٤٩٤)، استدعى لمقابلته الفارس الاسبتارى يعقوب برونيه (J.Brunet) — وهو أحد الاثرين على أملاك الاسبتارية في فرنسا — وسلمه رسالة لدوبيسون أنبأه فيها بوصوله الى ايطاليا، وبرغبته في شن حرب ضد الأتراك العثمانيين وفى تخليص الأماكن المقدسة من المسلمين، وبأنه قد ألح ابن أخته — أى ابن أخت دوبيسون — جاى دى بلانشفورت مقدم شعبة أوفرن على تفاصيل مشروعه الصليبي باعتباره من فرسان الاسبتارية البارزين ذوى الدراية بهذه الأمور، ثم نوه له طلبه بالتوجه لمقابلته في روما [2]. ولم يكتف ملك فرنسا بذلك ولكنه ما أن وصل الى مدينة بافيا (Pavia) حتى أرسل خطابا الى سفيره في روما، وهو الكاردينال دى سانت دينيس، طلب فيه منه أن يصرح للبابا عن رغبته الملكية في أن يكتب الى دوبيسون يطلب منه الحضور الى روما التي يرجو أن يجتمع به فيها يوم عيد الميلاد — أى يوم ٢٥ ديسمبر عام ١٤٩٤ — فهو رجل حكيم وله دراية بأمور تركيا [3]. على أن شارل الثامن دخل روما في (٣١ ديسمبر (عام ١٤٩٤) [4]، وعقد مع البابا اسكندر السادس في ١٥ يناير عام ١٤٩٥ [5] اتفاقية وافق فيها البابا على أن يسلم جم للملك الفرنسي مقابل تعهد الملك

(١) أنظر : Bouhours, P. 176
(٢) أنظر : Thuasne, PP. 327-328; Bouhours, P. 176
(٣) أنظر : Thuasne, P. 329
(٤) أنظر : Thuasne, P. 345; Hammer III, P. 369; Daru IV, P.195
(٥) أنظر : Collison - morley: Hist. des Borgia, P. 73
Thuasne, P. 351; Collison-morley, P. 74

بأن يرده اليه عندما يستنفذ حاجته منه في الحرب الصليبية ضد بايزيد ، وبأن يحصل على موافقة دوبيسون على تسلمه جم ، ويدافع عن البابا ضد الاتراك ، ولا يطالبه بالمعاش السنوي المنتظم الذي يرسله اليه بايزيد نظير حراسة جم واعالته.[1] ولم يلبث شارل الثامن أن غادر مدينة روما مصطحبا معه جم الى مدينة نابلي التي دخلها في ٢١ فبراير عام ١٤٩٥.[2] وقد توفي جم بعد وصوله الى هذه المدينة بيومين أو بثلاثة أيام — أي في يوم ٢٤ فبراير[3] أو ٢٥ فبراير[4] — مصابا بالحمى[5] أو مسموما نتيجة دسيسة دبرها البابا أو البندقية[6] بتحريض من بايزيد . على أن موت جم لم يثن الملك شارل الثامن عن المضي قدما في اتخاذ ما يمكن من اجراءات لتنفيذ مشروع الحملة التي أعلن أنه ينوي القيام بها ضد بايزيد . ومن هذه الاجراءات أنه اصدر اوامره الى جميع الصناع والنجارين بالتوجه الى نابلي لقطع الاخشاب وبناء السفن اللازمة للحملة.[7] كذلك أرسل شارل الثامن من نابلي في ٧ أبريل عام ١٤٩٥ خطابا الى السيد الكبير للاسبتارية بطرس دوبيسون طلب منه فيه مرة أخرى الحضور الى ايطاليا للاستئناس برأيه في أمر تلك الحملة.[8] وهو ما كتب به أيضا في نفس الوقت الى دوبيسون صديقاه الكاردينالان الفرنسيان بريسونيه (Briçonnet) ودجورك (De gurk) على أن دوبيسون أدرك مما جاء في رسالة دجورك — وهو المشجع الرئيسي للملك الفرنسي على المضي في مشروع الحملة ضد بايزيد — اليه ، من أن وصوله الى ايطاليا هو العامل الوحيد الذي يمنع شارل الثامن من الخضوع لرغبة نصحائه بالعودة الى فرنسا ويضمن قيامه بالحملة ، عدم

---

(1) Thuasne, pp. 349-353; Roger Peyrefitte, Chevaliers de malte, p. [illegible]

(2) أنظر : Hammer III, P.370, Charlotte m. Yonge: Hist de france, P. 91.
أما المؤرخ (Daru IV, P.202) فيقول الى فبراير.

(3) أنظر : Hammer III, P.37

(4) أنظر : Thuasne, P. 370, Daru IV, P.200 n.2

(5) أنظر : Collison-morley, PP. 77-79

(6) أنظر : Hammer III, P.371, Roger Peyrefitte, P.78 ; Bouhours, P. 174 ; Dorul IV, P. 199-201
وعلى أي حال فان هناك وثيقة عبارة عن رسالة بعث بها بايزيد الى البابا في ١٥ سبتمبر عام ١٤٩٤ تتضمن تحريض هذا السلطان للبابا — أنظر نص الرسالة باللغة اللاتينية وترجمة لها باللغة الايطالية في

(7) أنظر : Daru IV, PP. 182-187

صلابة تصميم هذا الملك على تنفيذ شروط الصلح (١) . كما أن دوبيسون لم يكن خافيا عليه أن حلفا قد تكون وقتذاك ضد الملك شارل الثامن من دوق ميلان ودوج البندقية والبابا اسكندر السادس والامبراطور الالماني ماكسيمليان الأول (١٤٩٣ - ١٥١٩) وملك ارغونه فرديناند الكاثوليكي وزوجته ايزابيلا ملكة قشتالة ، وأن مرمى هذا الحلف أن يعطل الملك الفرنسي عن الخروج لحرب بايزيد (٢) ، هذا اذا لم يكن يهدف منذ البداية من وراء اعلانه عن عزمه على القيام بهذه الحرب الى التمويه على أمراء ايطاليا وغيرهم من أمراء أوروبا ذوي المصالح في شبه الجزيرة الايطالية حتى لا يتكتلوا لمقاومة حملته في تلك البلاد ، وهو ما كان يعتقد به أمراء أوروبا (٣) وربما دوبيسون أيضا . وكان دوبيسون متخوفا عندئذ من أن يوجه بايزيد حشوده العسكرية الضخمة التي كان يجريها وقتذاك بهمة في البر والبحر وكان دوبيسون يعلم بأمرها ، ضد رودس (٤) انتقاما للدور الذي لعبه دوبيسون في قضية جم . فاذا أضفنا الى ذلك ما هو معروف عن سياسة دوبيسون التقليدية القائمة على اعتقاده بعدم جدوى شن الحرب على بايزيد الا بجيش قوي تسهم في اعداده عدة دول أوروبية مشتركة في عصبة مسيحية زعيمها البابا ، ادركنا العوامل التي جعلته يرى أن من الحكمة البقاء في رودس وعدم الاستجابة لطلب ملك فرنسا واكتفى بأن ارسل اليه رسالة قال له فيها بأنه يفضل أن ينتظر في رودس الى أن يصل اليها ابن أخته مقدم هسبتاليين (جاي دي بلانشفورت) ، الذي يعتقد بوقوعه أسيرا في يد القراصنة أو بغرق سفينته ، ليعرف منه تفصيلات عن الحملة ضد بايزيد كما شرحها له الملك نفسه (٥) . وعلى أي حال فانه حدث في نفس ذلك العام - أي في عام ١٤٩٥ - أن غادر الملك الفرنسي شارل الثامن ايطاليا عائدا

---

(١) أنظر : Bouhours, PP. 176-177

(٢) أنظر : Ibid, P. 177

وتوجد تفصيلات أوفى عن هذا الحلف في : Daru, IV, P.210; yonge, P. 91; Richard lodge: a Hist. of modern Europe, P.36

(٣) أنظر : Thuasne, P.333

(٤) أنظر : Bouhours, P. 177; Flandin, II. 229-230

(٥) بشأن هذه الرسالة ارجع الى :

Bouhours, PP. 177-178

الى بلاده فرنسا ، ولم يمض عنه بعدئذ انه تحدث مرة أخرى عن رغبته في القيام بحروب صليبية ضد المسلمين (١).

وهكذا نجا السلم القائم بين دوبيسون وبايزيد ، على ان هذا السلم لم يلبث أن تعرض مرة أخرى للخطر بسبب تزايد اعمال القرصنة المتبادلة بين رعايا كلا الطرفين وقد ابقاه في تلك المرة رغبة كل منهما في الحفاظ عليه ، فما ان اشتكى دوبيسون من اعتداءات القراصنة الاتراك حتى أصدر بايزيد أوامره بمعاقبة الجناة في غير رحمة ، وأرسل في نفس الوقت - ربما في عام ١٤٩٧ - سفيرا عثمانيا الى جزيرة رودس ليعاين الخسائر التي لحقت بأهاليها نتيجة تلك الاعتداءات وقدم لضحاياها وعد السلطان بتعويضهم عنها .
وقد أمر دوبيسون من جانبه بالقبض على زعماء القراصنة الروديسيين الذين اشتكى منهم الاتراك ، وبتوقيع اقصى العقوبات على أعضاء هيئة الاسبتارية الذين ثبت اشتراكهم في اعمال القرصنة ضد رعايا السلطان (٢).

وقد حدث في أوائل عام ١٤٩٩ أن وصلت الانباء الى دوبيسون بأن السلطان بايزيد الثاني يستعد للحرب برا وبحرا ، وكان أن ارسل دوبيسون قاصدا اسبتاريا الى استانبول بمهمة رسمية هي تهنئة بايزيد على شفائه من مرض خطير ألم به مؤخرا والغرض الحقيقي هو محاولة كشف اسم الجهة التي يستعد السلطان للهجوم عليها مع التأكد من أن تلك الجهة ليست رودس ، وبالرغم من أن ذلك القاصد قد أبلغ دوبيسون ، بعد عودته ، بأنه علم مما يشاع في بلاط السلطان بأن الغرض من الحشود العثمانية محاربة الدولة المملوكية في الشام ومصر ، فقد ظل دوبيسون على اعتقاده بأن وجهة بايزيد الحقيقية هي جزيرة رودس ، ومن ثم فقد أرسل ابن اخته جاى دى بلانشفورت الى فرنسا

---

(١) أنظر : Bouhours , P. 178.

(٢) أنظر : Ibid, PP. 178-179

وقد أشار (Flandin P.230) الى خطورة اعمال القرصنة التركية التي تعرضت لها سفن الاسبتارية آنذاك ، ولكنه لم يذكر شيئا عن اتصال دوبيسون بالسلطان بشأن هذه القرصنة ، كما أنه لم يتكلم عن القرصنة الروديسية ، أما المؤرخ (Hammer IV, P.51) فلم يذكر شيئا عن هذا الامر سوى قوله بأن السلطان بايزيد أرسل في عام ١٤٩٧ سفيرا الى رودس .

لطلب المساعدة من ملكها لويس الثاني عشر (١٤٩٨ — ١٥١٥) ، ابن شارل الثامن وخليفته ، فوعده ذلك الملك بوضع عشرين سفينة تحت خدمة الاسبتارية بمجرد أن ينتهى من إعدادها للحرب(١) . وفى نفس الوقت أرسل دوبيسون إلى جزيرة صقلية فجلب منها سفينتين محملتين بالغلال وبالجند الاسبانية (٢) ، كما كتب إلى البابا اسكندر السادس أخبره بالخطر العثمانى المتوقع على جزيرة رودس وطلب منه سرعة ارسال النجدة ، ولكن الأنباء وصلت بوقوع الهجوم العثمانى على املاك البنادقة اليونانية قبل أن يصل البابا إلى اتفاق مع مجلس كرادلته بشأن تلك النجدة (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن دوبيسون تلقى رسالة تاريخها ١٦ يولية عام ١٤٩٩ أرسلها إليه قائد الأسطول البندقى أنطونيو جريمانى (Antonio Grimani) من جزيرة المورة ، أخطره فيها بأن الأسطول العثمانى خرج من مضيق الدردنيل وتقدم إلى المورة فى طريقه لمهاجمة املاك البنادقة الواقعة على سواحل هذه البلاد (المورة) ، على حين توغل جيش بايزيد البرى فى اقليم دلماشيا ، الخاضع للبندقية على الساحل الشرقى لبحر الادرياتيك حتى مدينة زارا ، ثم طلب منه سرعة ارسال النجدة إليه(٤) وقد استلم دوبيسون أيضا رسالة تحمل نفس المعنى من كل من دوج البندقية والحاكم البندقى على جزيرة كريت ، غير أن دوبيسون الذى رأى أن ليس من مصلحة رودس أن ينقض الصلح مع السلطان بايزيد قبل أن يتأكد من نجاح كفة البنادقة فى حربهم ضد هذا السلطان اكتفى بأن أرسل لمساعدة القائد انطونيو جريمانى الجند الأسبانية الذين كان قد جلبهم الدوقان هوروده من صقلية وبعض القوات الأجنبية الأخرى فضلا عن ثلاثين فارسا اسبتاريا ، على رأسهم الفارس جاى دى بلانشفورت ، حصلوا على اذن

---

(١) أنظر : Bouhours, PP. 180-181

(٢) أنظر : Pauli II, PP. 166-167, num. CXL

(٣) أنظر : Pastor VI, P.88

(٤) أنظر : Pauli II, PP. 166-167 num. CXL

دوبيسون بسفوهم كشطوعون.(١) وعلى أي حال فقد انسحبت هذه النجدة قبل أن يبدأ القتال بين العثمانيين والبنادقة بحجة جبن القائد البندقي انطونيو جريماني وتقاعسه عن مهاجمة الاسطول العثماني عندما رأى ضخامته بالنسبة لاسطوله البندقي(٢). وعندما انتهت تلك الحرب في عام ١٥٠٠ بانتصار العثمانيين واستيلائهم من البنادقة على عدة مدن في بلاد المورة(٣) أرسل السلطان بايزيد الثاني رسالة الى دوبيسون أنبأه فيها بتلك الفتوحات (٤).

تدهور العلاقات لأول مرة منذ لجوء جم الى رودس — تعيين دوبيسون قائدا عاما لحملة صليبية ضد بايزيد (عام ١٥٠١) :

على أن العلاقات بين الاسبتارية في رودس والدولة العثمانية لم تلبث أن تدهورت بشكل خطير لأول مرة منذ أن عقد الصلح بين الجانبين عقب لجوء الامير العثماني جم الى رودس (صلح عام ١٤٨٢) ذلك أن اصرار بايزيد على مواصلة الحرب ضد البندقية وامتداد هذه الحرب في دلماشيا الى أبواب ايطاليا من ناحية الشمال الشرقي أدى الى قيام حلف صليبي ضده في عام ١٥٠١ من البابا اسكندر السادس والبندقية وهنغاريا وفرنسا واسبانيا والامبراطور الالماني ماكسيمليان الاول فضلا عن الاسبتارية في رودس الذين وافقوا على طلب البابا بالاسهام في الاسطول المشترك للحلف بأربعة أغربة

(١) أنظر : Bouhours, PP. 181-182
ولقد أرسل دوبيسون الى القائد البندقي انطونيو جريماني رسالة بتاريخ ٢ أغسطس عام ١٤٩٩ أبلغه فيها بارسال هذه المساعدات اليه، وأبدى أمله في أن تصل اليه في نفس الوقت الذي تصل فيه السفن التي وعد ملك فرنسا بارسالها اليه —
أنظر : Pauli II, PP. 167-168 num. CXLI

(٢) أنظر : Bouhours, PP. 182-183
ومن الملاحظ أن عودة جاي دي بلانشفورت وزملائه لا بد أن تكون قد تمت قبل ١٢ أغسطس عام ١٤٩٩ حيث دخل جريماني في معركة بحرية ضد أسطول العثمانيين بالقرب من جزيرة سابينزا Sapienza الواقعة الى الجنوب الغربي من شبه جزيرة المورة، وانتهت بهزيمة أسطول البندقية.
أنظر : musatti: Storia di Venezia, Vol. 1, PP.368-369

(٣) أنظر : Musatti I, P.371; Daru lV, PP. 232-234.
Alethea wiel: Venice, PP. 325-326

(٤) أنظر : Hammer lv, P.65

وأربع سفن أخرى مسلحة تسليحا جيدا ، فكرمهم البابا بأن عين دوبيسون نائبا بابويا (Legato Appostolico) وقائدا عاما (Generalissime) للحلف ووافق أعضاء الحلف الآخرين على هذا التعيين[1] .

وأول اجراء اتخذه دوبيسون كقائد عام للحلف أنه أرسل قصادا الى البابا اسكندر السادس وملك فرنسا لويس الثاني عشر يحثونهما على العمل على سرعة ارسال القوات المتحالفة ، وعلى ضرورة وضع نظام دقيق لتدبير ودفع أجور هذه القوات لأن التجارب السابقة - في رأى دوبيسون أثبتت أن الجنود القادمين من الغرب لا يدفعهم للقتال في الشرق سوى المال ، وأن انسحاب هؤلاء الجنود لعدم الدفع أمر مؤكد ، وكان على قصاد دوبيسون أيضا أن ينصحوا البابا والملك الفرنسي بأن يقوم ملك هنغاريا بمهاجمة الأراضى التركية من ناحية البر في نفس الوقت الذى تقوم فيه أساطيل الحلفاء بمهاجمة تلك الأراضى من ناحية البحر ، وأن يبينوا لهما بأن منزلة رودس - التى تعتبر أمرا حيويا للصليبيين - تستدعى عدم ابتعاد سفن الاسبتارية لمسافة كبيرة عن سواحل تلك الجزيرة ، ثم يعرضوا على مسامعهما بأن من رأى دوبيسون والحالة هكذا ، الا تفد سفن الحلفاء الى رودس ليس فقط توفيرا للجهد الذى تتكبده فى العودة الى ميادين القتال عند سواحل اليونان وانما أيضا ضمانا لعدم نقص التموين الذى يجب المحافظة عليه فى رودس نفسها ، وأخيرا طلب دوبيسون - على لسان قصاده - بأن يبلغ قائد الأسطول الفرنسي المعد للمساهمة فى الأسطول المشترك للحلف ، واسمه رافستين (Philippe de cleves Ravestein) ، بأن يتوقف ، عند وصوله الى المياه الاغريقية ، لانتظار وصول

---

(1) انظر : Bouhours, PP. 185-187 ; Forochon, P.138
ويتكلم (Hammer IV, P.66) عن تأليف الحلف ولكنه يذكر بأن دوبيسون اختير قائدا للقوات البحرية البابوية ، ويبدو أن هامر لم يطلع على المنشور البابوى الذى ينص صراحة على تعيين دوبيسون نائبا بابويا .
(انظر نص هذا المنشور البابوى فى Pauli II, PP. 168-170, num. CXL III
هذا المنشور .
أما المؤرخ (Daru IV, PP. 234-235) فيذكر بأن الحلف تألف فى ١١ مارس عام ١٥٠٠ ، ويدعم فيه الاسبتارية بثلاث سفن ، ولكنه لم يذكر شيئا عـ...

دوبيسون اليه (١).

على أن دوبيسون لم يلبث ان تلقى رسالة من القائد الفرنسي راڤستون انبأه فيها بأن البنادقة انتقوا بعهد وصوله الى بحر ايجه على رأس سفنه الثمانية واقتادوه الى جزيرة ميتيلين ذات الموقع الامامي نحو الساحل الاسيوي قريبا من الدردنيل فحاصر عاصمتها ولكنه ينوي الهجوم عليها قبل حضوره ومن غير اشتراك فرسان الاسبتارية. وكان أن خرج دوبيسون من رودس في ٢١ نوفمبر عام ١٥٠١ على رأس تسع وعشرين سفينة من مختلف الانواع والاحجام ويمم بها شطر جزيرة ميتيلين، ولكن ما أن وصل الى جزيرة لانجو حتى وافاه رسول من ميتيلين أنبأه بأن الحصار حول عاصمة ميتيلين رفع، وسلمه رسالتين احداهما من قائد الاسطول الفرنسي راڤستون والثانية من القائد البندقي بيزارو يخبرانه برفع الحصار عن ميتيلين والانسحاب من مياهها. وأضاف القائد البندقي بان انباء وصول الاسطول الاسباني الى مياه تارنتو جنوب ايطاليا، ووصول الاسطول البرتغالي الى جزيرة كورفو الواقعة الى الغرب من بلاد اليونان ثم ارتداده على أعقابه بحجة سوء الاحوال الجوية. ولم يلبث دوبيسون أن وصل الى جزيرة ناكسوس فوجد أن راڤستون قد غادرها عائدا الى بلاده فرنسا، ولكنه التقى بالقائد البندقي بيزارو في مياه تلك الجزيرة واتفق معه على ضرورة الكتابة الى جميع أعضاء الحلف لحثهم على وضع جيوشهم في حالة الاستعداد للحرب ضد العثمانيين بمجرد انتهاء فصل الشتاء وحلول فصل الربيع، أي في ربيع عام ١٥٠٢، ولتقديم النصح لهم بأن الوسيلة الفعالة لتحطيم بايزيد ليست شن الغزوات على جزر بحر ايجه الخاضعة له ولكن مهاجمة استانبول بعد اقتحام الدردنيل واحراق السفن العثمانية الرابضة في بحر مرمرة، في نفس الوقت الذي يهاجم فيه ملك بولندا لادسلاس (Ladislas) الاراضي التركية الأوروبية من ناحية البر (٢).

---

(١) أنظر : Bouhours, PP. 187-189

(٢) أنظر : Ibid, PP. 189-194

وارجع ايضا الى : Hammer IV, PP. 68-70 ; Flandir ,P.231

وبالفعل ما أن رجع دوبيسون الى رودس حتى أرسل قصاده الى رؤساء الدول المشتركة في الحلف لابلاغهم بما تم عليه الاتفاق بينه وبين قائد الأسطول البندقي بيزارو. وفي نفس الوقت وصل الى رودس سفير هنغاري هنأ دوبيسون على اختياره قائدا عاما للحلف وأكد له بأن قوات هنغاريا على أتم استعداد لخوض الحرب ضد بايزيد ، ثم اقترح عليه بأن يسعى لدى فارس ومصر لادخالهما في الحلف وقد راقت الفكرة بالفعل لدوبيسون ولكن عندما سعى لتنفيذها وجد أن دولة فارس مشغولة بثورتها الشيعية حديثة العهد التي تزعمها الشاه اسماعيل الصفوي ، وأن سلطان مصر قانصوه الغوري مشغول بثورات بعض الأمراء المماليك من حوله ، وبأخبار وصلته بأن الشاه اسماعيل الصفوي لا ينتظر الا تثبيت سلطانه في فارس لكي يكتسح اراضي الشام ومصر (١)

وقد علم بايزيد الثاني - فيما يبدو - بمساعي دوبيسون لتأليب دول الغرب والشرق عليه ، فكلف ابنه قرقد حاكم الاناضول بالاتصال بدوبيسون من أجل تجديد الصلح معه ، فرأى دوبيسون ، الذي كان يعلم بحاجة بايزيد الماسة للتفرغ لقتال الشاه اسماعيل الصفوي بعد أن غزت قواته الفارسية اقليم ارمينيا ، رفض أن يدخل في أية مفاوضات مع سفير قرقد ، وأعلن له صراحة بأنه وقد عينه البابا قائدا عاما للحلف المسيحي ضد بايزيد لا يستطيع أن يتخلى عن واجباته التي يفرضها عليه هذا التعيين ، وأنه - بالتالي - لا يستطيع أن يتفاهم معه في أمر السلم الا " اذا أعلن السلطان عن رغبته في عقد السلم ليس مع الاسبتارية في رودس فحسب ولكن ايضا مع جميع حكام المسيحية (٢)

وفي تلك الاثناء تلقى دوبيسون رسالة من البابا أبلغه فيها بأنه أرسل لمساعدة البنادقة في بحر ايجه سبع سفن بابوية بقيادة أسقف دي بافو (De Baffo) وبأنه يعد للفرسان ثلاث عشرة سفينة أخرى تحت اشراف الفارس الاسبتاري كاريتو الذي أصبح فيما بعد سيدا كبيرا للاسبتارية - في مدينة جنوة ، وكان أن ارسل دوبيسون من ناحيته فرقة مكونة من فرسان الاسبتارية وأربعة أغربة تابعة لقائد فرنسي اسمه

---

(١) أنظر : Bouhours, PP. 194-196

(٢) أنظر : Ibid, PP. 197-199.

بريجان دى بيدو (Pré-Jan de Bidoux) • وبفضل هذه المساعدات البابوية والاسبتارية استولى البنادقة من العثمانيين على جزيرة قريبة جدا من الساحل اليونى لآسيا الصغرى اسمها جزيرة سانتاموا (Santa - maura) عام ١٥٠٢م. ولم يلبث دوبيسون أن تلقى رسالة من القائد البندقى بيزارو الذى استولى على الجزيرة يبلغه فيها بالنصر مشيدا بالدور البطولى الذى قامت به الفرقة الاسبتارية فى سبيل الحصول عليه (١).

على أن دوبيسون كان فى ذلك الحين مشغول البال على مصير الحلف نفسه بسبب ما وصل اليه من أنباء عن نشوب الحرب بين أقوى عضوين فيه ، هما ملك فرنسا لويس الثانى عشر وملك أراغونه وقشتاله فرديناند الكاثوليكى من أجل رغبة كل منهما فى الانفراد بالسيطرة على مملكة نابلى بايطاليا ، وعن الفتنة التى نشرتها هذه الحرب فى ايطاليا كلها • وقد ازداد دوبيسون تكدرا عندما أبلغه أسقف دى باقو - فى رسالة بعث بها اليه بعد أن تم فتح جزيرة سانتا مورا - بأنه قرر العودة بسفنه الى روما بسبب الظروف العصيبة التى تمر بها ايطاليا ، وبأن القائد الفرنسى بريجان دى بيدو قد انسحب بالفعل على رأس سفنه الاربع من مياه هذه الجزيرة بمجرد أن سمع بخبر الحرب بين بلاده والملك فرديناند الكاثوليكى ، وبأن البنادقة - فى رأيه - لا يستطيعون البعد بأسطولهم عن جزيرة سانتاموا التى استولوا عليها ، وبالتالى لا يستطيعون التفكير فى مشروعات أخرى ضد العثمانيين لفترة من الزمن • فرأى دوبيسون لم يكن بملكه وقتئذ الا سوى أن يكتب للبابا راجيا اياه أن يأمر أسقف دى باقو بالبقاء على رأس سفنه السبع فى مياه بحر ايجه ، وأن يحث جمهورية البندقية على ارسال عمارة بحرية قوية الى تلك المياه ، وأن يبذل كل جهد بابوى ممكن من أجل الصلح بين ملك فرنسا وملك أراغونه وقشتاله لصالح الحلف • كما أن دوبيسون كتب الى كل من الامبراطور الالمانى ماكسيمليان الاول وملك انجلترا هنرى السابع (١٤٨٥ - ١٥٠٩) يحثه على المساهمة بجهوده فى مساعدة الحلف المسيحى

---

(١) أنظر : Bouhours, PP. 198-200 (Hammer Iv, P.80) عن معركة سانتاموا ولكنه لم يشر قد تكلم).

على البقاء وتحقيق أهدافه (١). على أن كتابة هذه الرسائل لم تفد في الواقع بشيء ، فقد تسببت الحرب بين الملكين الفرنسي والاسباني في عدم وصول أية سفن الى بحر ايجه لمهاجمة الاتراك العثمانيين من ناحية البحر ، كما انه لم تتمكن الا سفن قليلة منها من الانضمام الى القوة البحرية للحلفاء ، ولذلك عندما حل موسم بدء القتال في ذلك البحر في ربيع عام ١٥٠٢ ، وضح عدم وصولها على دوبيسون فرصة ذهبية لتحقيق حلمه في اقتحام الدردنيل ومهاجمة استانبول من ناحية البحر في تلك الآونة بالذات التي هاجمت فيها القوات الهنغارية بالفعل أراضي الدولة العثمانية قريبا من نهر الدانوب من ناحية البر (٢). ولم تلبث جمهورية البندقية أن عقدت في ٢٠ مايو عام ١٥٠٣ الصلح مع السلطان بايزيد الثاني (٣). وبعد ثلاثة شهور ـ أي في ٢٠ أغسطس عام ١٥٠٣ ـ عقدت هنغاريا بدورها صلحا مع بايزيد تعهد فيه بأن يصبح في سلام ليس فقط مع ملك هنغاريا ولكن أيضا مع ملك كل من انجلترا وفرنسا واسبانيا والبرتغال وبولونيا ونابلي ، فضلا عن السيد الكبير للاسبتارية في رودس والجنوية في جزيرة خيوس ودوق البندقية (٤).

وهكذا انتهى أمر الحلف المسيحي الذي عين دوبيسون قائدا عاما له ، وكان من الطبيعي أن يفكر بايزيد في تأديب الاسبتارية على دورهم في هذا الحلف ، وعلى جرم آخر اقترفوه وشذ الحق في حقه هو قبولهم الأمير مراد ابن أخيه جم لاجئا في جزيرتهم ومنحه حق الاقامة الدائمة في حصن فوندو بهذه الجزيرة (٥). ولما كان من المتعذر عليه في ذلك الوقت ابعاد قواته خارج حدود دولته بسبب تهديدات الشاه اسماعيل الصفوي بغزو هذه الدولة من ناحية الشرق ، فقد اكتفى بأن رماهم بالمجاهدين من الاتراك وعلى رأسهم الرئيس كمال الذي قام بغزوتين لجزيرة رودس انتهت كل منهما الى فشل كما هاجم هذا المجاهد بعض جزر الاسبتارية الأخرى ، بعد أن فشلت غزوته الثانية لجزيرة رودس ـ وهي الغزوة

(١) أنظر : Bouhours, PP. 199-200

(٢) أنظر : Hammer IV, PP. 71-72

(٣) أنظر : musatti I, P.372

(٤) أنظر : Hammer IV, PP. 75-76

(٥) أنظر : Farochon, P. 155; Thuasne, PP. 387-388

التي تم بها في عام ١٥٠٥ — وانسحبت سفنه بعيدا عن سواحل هذه الجزيرة ولكن لم يصح في هذه الجزر حظا أفضل مما أصاب في جزيرة رودس (١)

وقد حدث في عام ١٥١٠ أن نما الى علم السيد الكبير للاسبتارية وهو ايميرى دامبواز خليفة دوبيسون — بأن السلطان المملوكي قانصوه الغوري ، الذي أسر لـه الاسبتارية قبل ذلك بقليل في نفس هذا العام سفنا محمله بالأخشاب في مياه خليج ليـاس ، يتفاوض مع السلطان العثماني بايزيد الثاني من أجل عقد معاهدة تحالف بين دولتيهما (٢) فأوجس خيفة من أن يسفر هذا التحالف عن الاتفاق على توجيه أسطول مملوكي عثماني مشترك ضد جزيرة رودس ، ومن ثم أصدر قرارا باستدعاء جميع فرسان الاسبتارية المقيمين في شعب الهيئة بالخارج للمشاركة في الدفاع عن تلك الجزيرة (٣) وبعث في الوقت نفسه بمخاوفه الى كل من ملك انجلترا هنرى الثامن (٤) ١٥٠٩ — ١٥٤٧) والبابا يوليوس الثاني (١٥٠٣ — ١٥١٣) على الأقل من حكام أوروبا ، وقد رد البابا على السيد الكبير دامبواز في العام التالي — أي في عام ١٥١١ — بضرورة أن يدافع الاسبتارية عن جزيرة رودس لأنهم التزموا منذ أن حلوا بها بالدفاع عنها (٥) غير أن التوتر كان في ذلك العام (عام ١٥١١) قد خفت حدته بسبب وصول انباء الفتن الداخلية التي وقعت في الدولة العثمانية بين السلطان بايزيد الثاني وابنه سليم ، وانتهت في أوائل عام ١٥١٢ بتنازل بايزيد عن كرسي السلطنة لسليم (٦) وربما أيضا بسبب تأكد الاسبتارية من تقاعس السلطان المملوكي الغوري عن مهاجمتهم منفردا أو متحالفا مع العثمانيين ، وهو أمر ربما وفرته لهم مكاتبات تفوى بردى الترجمان اليهم مباشرة

---

(١) أنظر : Biliotti, PP. 275-277; Flandin, PP. 236-237; Farochon, PP. 141-152-,156

(٢) انظر : Biliotti, P.280

ومما يجدر التنويه به هنا أن المؤرخ المصري ابن اياس (ج ٤ ص ١٩٦ — ٢٠٢) قد أشار الى وجود تقارب مودة في عام ١٥١٠ (٩١٦ هـ) بين السلطان العثماني بايزيد الثاني والسلطان المملوكي قانصوه الغوري ، ولكنه لم يذكر شيئا عن مفاوضات بينهما لعقد معاهدة تحالف ضد الاسبتارية أو غيرهم .

(٣) انظر : Pauli II, P.176, num. CXLVI

(٤) انظر : Ibid, P.174, num. CXLV

(٥) انظر : Hammer IV, P.354

(٦) شرفنامه ج ٢ ص ١٢٣ — ١٢٤ .

أو من غيرها دولة اوروبية أخرى حديثة (1) . ولكن حدث في العام التالي — أي في عام ١٥١٢ — أن اكتشف الاسبتارية في رودس مؤامرة حاكها بعض التجار البيزنطيين من في الروادسه بالاشتراك مع مجموعة من العبيد المسلمين بهدف تسليم أبواب مدينة رودس لقوة عثمانية اتفقت السلطات التركية معهم على ارسالها الى الجزيرة لهذا الغرض (2) كما ان الاسبتارية علموا في نفس الوقت بأن اسطول العثمانيين يرابط على أهبة الاستعداد عند سواحل الاناضول وأن قواتهم البرية تتجمع بأعداد كبيرة حول الدردنيل (3) .

وكان من الطبيعي ، والحالة هكذا ، أن يتوقع الاسبتارية وقوع هجوم عثماني على جزيرتهم رودس ، وان يبعثوا الى البابا يوليوس الثاني يخبروه بما يتوقعون . وقد أبدى البابا اهتماما كبيرا بهذه المسألة من دلائله انه طلب من كل من حكومتي نابلي (4) وجنوه (5) وربما أيضا من حكومات أوروبية أخرى — بأن تقدم العون العاجل لجزيرة رودس (عام ١٥١٢) . وعندما توفي هذا البابا في ليلة ٢١ فبراير عام ١٥١٣ (6) ، بادر خليفته البابا ليو العاشر Léonx (١٥١٣ — ١٥٢١) — الذي انتخب للبابوية في ١١ مارس وتوج في ١٩ مارس عام ١٥١٣ (7) — بارسال منشور بابوي الى رئاسة الاسبتارية يبلغها فيه بارتقائه كرسي البابوية وباهتمامه البالغ بأمر الدفاع عن رودس (8) . ومن ناحية أخرى كانت مسألة أمن رودس ، وغيرها من الدول المسيحية المعرضة للخطر العثماني

---

(1) يقول ابن اياس ج ٤ ص ٢٠١ في وقائع شهر محرم سنة ٩١٧ هـ : "وفي يوم الأربعاء حادي عشرة (١٠ ابريل عام ١٥١١) قبض السلطان على تغري بردي الترجمان ووضعه في الحديد ... وسبب ذلك قد بلغ السلطان أن تغري بردي كاتب ملوك الفرنج بأحوال مملكة مصر ، وأن السلطان ليس له همة الى ارسال تجريده" .

(2) انظر : Biliotti, PI, 281-282; Flandin, PP. 239-240

(3) أنظر : Flandin, P.240

(4) أنظر : Pauli II, P.176, num. CXLVII

(5) أنظر : Ibid, P. 177, num. CXLVIII

(6) أنظر : Rohrbacher XXII, P.401

(7) أنظر : Ibid, P.402

(8) أنظر : Pauli II, P. 177 num. CXLIX

بطريقة مباشرة بمملكة هنغاريا ، ومن أهم الموضوعات التى نوقشت فى المجمع الكنسى العالمى المنعقد وقتذاك — ومنذ ٣ مايو عام ١٥١٢ — فى لاتران Latran — وهو اسم قصر البابوات بمدينة روما — والمعروف باسم مجمع لاتران الخامس (٣ مايو ١٥١٢ — ١٦ مارس ١٥١٧) (١) علما بأن اقصى ما حصل عليه الاسبتارية من هذا المجمع مبلغ من المال (٢) استعان به سيدهم الكبير القائم بالحكم وقتذاك وهو السيد الكبير كاريتو فى اصلاح وتقوية أسوار حصون مدينة رودس وبخاصة حصن ايطاليا الذى أعاد كاريتو بناءه من جديد وفى تعزيز سلاح المدفعية فى تلك الحصون (٣). وعلى أى حال فقد كان من حسن حظ الاسبتارية وبعث ارتياحهم ان السلطان سليم الأول حول فى عام ١٥١٤ حدودهم مصدر مخاوفهم لحرب شاه ايران اسماعيل الصفوى. ولكن لم يلبث أن استبد بهم القلق مرة أخرى عندما علموا بانتصار العثمانيين على الصفويين فى موقعة جالديران (٤) ثم ازدادوا قلقا عندما وصلت اليهم أنباء الاستعدادات العسكرية الضخمة التى أخذ السلطان سليم يجريها فى البحر والبحر عقب عودته الى

(١) افتتح هذا المجمع فى ٣ مايو عام ١٥١٢ فى عهد البابا يوليوس الثانى الذى ترأس الدورات الخمس الأولى من دوراته الاثنتى عشرة ، ثم ترك عبوئاته لخليفته ليو العاشر رئاسة جلسات بقية الدورات بما فيها الجلسة الأخيرة التى عقدت فى ١٦ مارس عام ١٥١٧. وفى كل جلسة من الجلسات كان يتكلم أحد الخطباء مبينا رأيه فيما يجب على المسيحيين عمله اتجاه قوة المسلمين الممثلة فى العثمانيين والمماليك. وقد طالب مندوب الاسبتارية — واسمه حنا المعمدان دى جارج (Jean Baptiste de gargeb) فى خطبته التى القاها فى أولى جلسات الدورة الثامنة التى افتتحت فى ١٨ ديسمبر عام ١٥١٣ بضرورة أن تتصالح القوى المسيحية وتتكتل لمحاربة العثمانيين على أن تشرع فورا فى ارسال النجدات المهمة الى رودس التى تهددها جيوش السلطان العثمانى سليم الأول بالغزو بين لحظة وأخرى ، لأن سقوط رودس فى يد العثمانيين سوف يؤدى — فى رأيه — الى وقوع أوروبا كلها تحت رحمتهم. (أنظر: Rohrbacher XXII, PP.381-469

وتوجد خطبة مندوب الاسبتارية فى هذا المرجع فى صفحتى ٤١٢ ، ٤١٣. وأشار اليها أيضا : Pastor Vll, P.71

(٢) انظر : Pastor Vll, PP. 213-214;

(٣) أنظر: Biliotti, PP. 283-284

(٤) أرسل السيد الكبير كاريتو فى عام ١٥١٤ رسالة الى البابا ليو العاشر أخبره فيها بهذه الحرب بين سليم الأول والصفوى: أنظر : Pauli II, P. 449n num. LI, giunt.

بلاده من ايران وكما كانت عادتهم في مثل هذه الأحوال [1] ، فقد أرسل سيدهم الكبير كاريتو بمخاوفه من هذه الاستعدادات الى البابا ليو العاشر . وقد رد عليه البابا في ١١ سبتمبر عام ١٥١٦ يعرب له عن اعتقاده بأن الشيء من الحشود العثمانية التي يوجه منها الاسبتارية خوفه محاربة الصفويين في ايران والمماليك الجراكسة في مصر والشام ، لأن سليما في رأيه — أي في رأي البابا — لا يمكنه أن يهاجم المسيحيين بطننا قبل أن يتم له سحق هاتين القوتين الاسلاميتين . غير أن البابا في الوقت نفسه أوصى كاريتو بأن يعمل في جميع الأحوال على ضمان سلامة وكفاية وسائل الدفاع عن جزيرة رودس ، وأكد له بأنه سوف يهب لنجدته اذا هاجم العثمانيون هذه الجزيرة [2] . ويتضح من تاريخ هذه الرسالة أن البابا لم يكن وقت كتابتها قد علم بأن سليما قد تحرك بالفعل ضد المماليك وأنه انتصر على سلطانهم قانصوه الغوري في ٢٤ أغسطس عام ١٥١٦ في موقعة مرج دابق الواقعة الى الشمال من حلب حيث قتل الغوري [3] . على أن البابا لم يلبث أن علم بالنبأ عن طريق السيد الكبير كاريتو ، الذي أنبأه أيضا باستيلاء سليم السريع على بلاد الشام ثم دخوله القاهرة [4] في أواخر يناير عام ١٥١٧ . كذلك يرجح بأن يكون كاريتو قد أبلغ البابا بحادث الخطاب الذي ألقى به اليه قائد الأسطول التركي عند مروره أمام جزيرة رودس في طريقه الى الاسكندرية أثناء حملة سليم

---

(1) أنظر : Biliotti, P.284; Flandin, PP.241-242; Charriere I, P.25, n.1.
وبمقتضى أقوال هؤلاء المؤرخين فان حالة القلق التي كان عليها الاسبتارية وقتذاك دفعت السيد الكبير كاريتو الى أن يرحب بالمبعوث الايراني الذي جاء اليه في رودس موفدا من قبل الشاه اسماعيل الصفوي في عام ١٥١٥ ليعرض عليه الدخول في حلف جنبا الى جنب مع الصفوي والسلطان المملوكي الغوري ضد السلطان العثماني سليم الأول . وقد أفاد نفس المؤرخين بأن كاريتو وافق فورا على عرض المبعوث الايراني (نفس المراجع والصفحات السابقة) .

(2) أنظر : Pauli II, P.181, num. CLVI; Charriere, I, P.11

(3) عن معركة مرج دابق ارجع الى طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٨٠ — ١٨٥ .

(4) أنظر : Charriere I, PP . 11-12

على مصر عام ١٥١٧،(١) وهو خطاب امتلأ بعبارات النقد والتهجم على شخص السيد الكبير للاسبتارية.(٢) ولقد سببت هذه الأخبار انزعاجا للبابا ليو العاشر، ليس فقط خوفا على جزيرة رودس، ولكن أكثر من ذلك خوفا على ايطاليا نفسها التي وضعها استيلاء سليم على الاسكندرية تحت التهديد بالغزو البحري من جانب العثمانيين. وكان أن كتب البابا خطابات عاجلة الى حكام أوروبا المتنازعين، وعلى رأسهم الامبراطور الألماني ماكسيمليان الأول والملك الفرنسي فرانسوا الأول (١٤٩٤ ــ ١٥٤٧) والملك الاسباني شارل الخامس (١٥١٦ ــ ١٥٥٥)، يحرض عليهم فيها أن يعقدوا فيما بينهم هدنة مدتها خمس سنوات حتى يمكنهم المساهمة في حملة صليبية مشتركة أصبح من الضروري الاسراع في تسييرها ضد العثمانيين.(٣) وفي نفس الوقت أرسل البابا خطابا الى السيد الكبير للاسبتارية كاريتو نصحه فيه بأن يأخذ حذره من النتائج التي قد تتعرض لها هيئة الاسبتارية في رودس للتغييرات التي طرأت على الأوضاع في مصر، وأكد له مطمئنا بأن أمرا أصبح لا يشغل باله أكثر مما يشغلها أمر الدفاع عن رودس.(٤) وفي الحقيقة لم يكن أي من البابا والسيد الكبير للاسبتارية مبالغا في مخاوفه من نوايا السلطان سليم الأول نحو رودس، فقد عرف بأن هذا السلطان أمر في العام التالي لعودته من مصر ــ أي في عام ١٥١٩ (٩٢٥ هـ) ــ باعداد أسطول كبير لفتح جزيرة رودس عوذلك استجابة لنصائح وزرائه الذين رأوا بأن فتح هذه الجزيرة أمر ضروري لضمان وصول غلات مصر والشام الى تركيا سليمة من عبث

---

(١) كتب البابا ليو العاشر في هذا العام رسالة الى الملك الفرنسي فرانسوا الأول أشار فيها الى خطاب أرسله قائد الاسطول التركي الى السيد الكبير للاسبتارية كاريتو يحتمل بأنه هو نفس الخطاب الذي نتحدث عنه ــ أنظر
Charriere I, PP. 25-26

(٢) شبه فيه كاريتو بالكلب الأجرب موقالاعنه انه من سلالة كلاب جهنم، كما سبه بعبارة ابن الكلب ــ أنظر:
Hammer IV, P.355

(٣) أنظر: Charriere I, PP.21-24, 46-47

(٤) أنظر: Pauli II, P.182 num. CLVII; Charriere I, PP.24-25

القراصنة المسيحيين الذين تأويهم (١). وفي ربيع العام التالي — أعني عام ١٥٢٠ — طلب سليم من وزرائه أن يقدموا له تقريرا عما تم اعداده من الذخائر الحربية لتنفيذ مشروع فتح رودس ، فلما أبلغوه بأنهم اعدوا من هذه الذخائر ما يكفي لاقامة الحصار حول الجزيرة مدة أربعة اشهر ، اجابهم في غضب بأنه يرى بأن حصار قلعة منيعة مثل رودس قد يمتد الى ضعف المدة التي قدروها لذلك ، وأنه سوف لا يخرج لفتحها بمثل هذا الاستعداد الناقص لانه لا يود أن يلحق به عار الهزيمة الذي لحق بجده السلطان محمد الثاني أمامها في عام ١٤٨٠ (٢). ومهما يكن من أمر فقد توفي السلطان سليم الاول بعد ذلك بشهور قليلة ، وعلى وجه التحديد في ٢٢ سبتمبر عام ١٥٢٠ (٣) (الخميس ٩ شوال عام ٩٢٦ هـ) (٤) وخلفه ابنه السلطان سليمان الثاني الذي قدر أن يتم فتح رودس على يديه.

والواقع أن الاسبتارية قابلوا خبر قيام السلطان الجديد بروح عدائية فأسدوا ثائرا عليه ، هو جان بردى الغزالي والى الشام ، بما طلبه منهم من المدافع والذخائر وضباط المدفعية والهندسة العسكرية ، اعتقادا منهم بأن شيئا لا يبعد عنهم خطر الحصار العثماني ، الذي يتوقعون حدوثه بين لحظة وأخرى منذ أن تم للدولة العثمانية الاستيلاء على بلاد الشام ومصر ، أكثر من انشغال سلطان تلك الدولة في محاولة اخماد حركة تمرد قوية عليه (٥). على أن سليمان الثاني لم يلبث أن أرسل جيشا الى الشام تمكن في أول فبراير عام ١٥٢١ (٢٢ صفر سنة ٩٢٧ هـ) من اخماد فتنة جان بردى

---

(١) حاجي خليفة : تحفة الكبار في أسفار البحار (وقد ترجمه عن التركية :
Mitchell: The History of the maritime wars of the turks, P.24)
ويقتضي قول المؤرخ (Hammer IV, P.354) كان سليما أمر ببناء مائة وخمسين سفينة لتنضم الى مائة سفينة أخرى كانت تقف على أهبة الاستعداد وتتجه جميعا لفتح رودس.

(٢) حاجي خليفة : تحفة الكبار في أسفار البحار (ترجمة : mitchell, PP.24-25
وانظر أيضا : Hammer IV, PP. 355 -356

(٣) أنظر : Charriere I, P.83

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور (الجزء الاخير ص ٢٣٤)

(٥) أنظر : Biliotti, P.285; Farochon, P.190
ويلاحظ بأن المؤرخ المصري ابن اياس تكلم في كتابه (بدائع الزهور — الجزء الاخير) بافاضة (ابتداء من ص ٢٢٩) عن تمرد جان بردى الغزالي ، ولكنه لم يذكر شيئا عن اتصال الغزالي بالاسبتارية في رودس.

الغزالي (١) ، واخذ يهدد علنا بالانتقام من الاسبتارية على ما قدموه من مساعدة لهـذا الثائـر (٢) .

وقد واجه الاسبتارية هذه التهديدات باستنجاد ببعض زملائهم من فرسـان الاسـبتارية المقيمين في اوروبا لتعزيز حاميات الجزيرة بهم ، (٣) ومن ناحية أخـرى استنجدوا بحكام أوروبا (٤) فارسل اليهم البابا ليو العاشر ثلاث سفن ، على حيـن ارسل اليهم الملك الفرنسي فرانسوا الأول اسطولا مؤلفا من سبع عشرة سفينة (٥) ، ووعد امبراطور ألمانيا شارل الخامس بارسال اسطول في وقت لاحق قريب ، وأعلنت بعض الدول الايطاليـة عن عزمها على ارسال بعض المساعدات قريبا (٦) .

وهكذا استعدت جزيرة رودس للدفاع عن نفسها ، غير أن السلطان سليمـان الثاني ، بدلا من أن يتجه بقوته العسكرية الى هذه الجزيرة زحف بها على نهر الدانوب حيث استولى في ٢٩ أغسطس عام ١٥٢١ على مدينة بلجراد ، ثم استولى على سبع مدن أخرى هامة في بلاد الصرب (٧) وما أن ذاع خبر تحول سليمان الثاني للتوسـع في تلك الجهات حتى أسرع كل من البابا وملك فرنسا الى استدعاء سفنه التي كان قـد أرسلها الى مياه جزيرة رودس (٨) ومن ثم لم يعد أمام الاسبتارية الآن يعتمدوا على قواتهم الخاصة في الدفاع عن هذه الجزيرة متى وصلت اليها الاساطيل العثمانية .

<u>قيام السلطان العثماني سليمان الثاني بحصار رودس وطرد الاسبتارية منها :</u>

ولم يكد السلطان سليمان الثاني يستولي على مدينة بلجراد ، حتى عقد العزم على ضم جزيرة رودس لما لها من أهمية في تعزيز لقوته البحرية وتسهيل للمواصلات بيـن

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ـ الجزء الاخير ص ٢٤٨ .

(٢) أنظر : Biliotti, P. 285; Farochon, P.190

(٣) أنظر : Biliotti, P.288; Farochon, P.194; Charriere I, PP. 86-87

(٤) أنظر : Biliotti, P.285; Farochon, P.190

(٥) أنظر : Biliotti, PP. 285-286, Farochon, P.190

(٦) أنظر : Farochon, P.190

(٧) أنظر : Charriere I, PP. 84,89

لصحته الاستانة وتبعيتها حديثة العهد في مصر والشام وأرض الحرمين الشريفين ، فضلا عن القضاء على اعمال القرصنة التي اعتاد أن يقوم بها القراصنة المسيحيون المحترفون الذين كانوا يجدون التشجيع والمأوى لدى الاسبتارية في رودس . ومما حفز سليمان الثاني أيضا على المضي في مشروع فتح جزيرة رودس ما بدا له من ضعف احتمال تدخل أوروبا المسيحية لنجدة هذه الجزيرة بسبب انشغال الحكام الأوروبيين الذين اعتادوا ارسال النجدات اليها بمشاكلهم الخاصة حيث شغل البابا ليو العاشر بمواجهة حركة تمرد الراهب مارتن لوثر عليه في ألمانيا وشغل كل من ملكي فرنسا فرانسوا الأول وامبراطور ألمانيا شارل الخامس بصراع أحدهما ضد الآخر حول بسط السيادة على ايطاليا ، كما شغل الملك الهنغاري صغير السن لويس الثاني (١٥١٦ ـ ١٥٢٦) باحباط محاولات الاشراف في دولته التسلط على هذه الدولة . ومن العوامل الأخرى التي شجعت السلطان العثماني ما تلقاه من معلومات عن نقط الضعف في تحصينات رودس ونقص التموين بها من جاسوس يهودي كان قد انفذه اليها والده السلطان سليم الأول ومن عضو خائن في مجلس الاسبتارية برودس . هذا بالاضافة الى عامل التحريض الملح الذي مارسه لدى السلطان سليمان الثاني كل من وزيره مصطفى باشا ورئيس البحر كورد أوغلى ، فضلا عن عامل الطموح الشخصي عند ذلك السلطان الذي أراد أن يتم على يديه مسح عار الهزيمة الذي لحق بجده السلطان محمد الثاني امام رودس عام ١٤٨٠ م (١).

على أن السلطان سليمان الثاني ، وبالرغم من ذلك ، فضل أن يسلك طريق المداراة مع الاسبتارية في رودس الى أن ينتهي من استعداداته العسكرية الضخمة لمحاربتهم . وكان أن بعث برسالة الى السيد الكبير دي ليل آدم هنأه فيها بمنصب رئاسة الاسبتارية الذي تولاه منذ فترة وجيزة (في ٢٢ يناير عام ١٥٢١) وبسلامة وصوله الى رودس (وصل في ١٩ سبتمبر عام ١٥٢١) من اوروبا ، حيث كان يعمل مقدما لشعبة الاسبتارية في فرنسا ، لتولي هذا المنصب . غير أن سليمان الثاني استطرد

(١) أنظر :

Hammer V, PP. 25-27; Flandin, PP. 244-246;

Biliotti, PP. 284 - 285, 292-293; Farochon, PP. 195-196;

... PP. 213-215, 217-218; chariere I. P.84 ; Finlay,

في رسالته ظفته تظر دى ليل آدم الى ان الاثر يرجع اليه وحده اذا رغب في أن يكون له نصيب في جمائل لطف السلطان ، ثم قدم له النصح بأن يسرع كصديق الى تهنئته على انتصاراته في هنغاريا حيث استولى على مدينة بلجراد ووضع تحت حد سيف البتار كل من تجاسر على مقاومته (١).

وكان ان ارسل دى ليل آدم خطابا الى الملك الفرنسي فرانسوا الاول في ٢٨ أكتوبر عام ١٥٢١ ضمنه فحوى رسالة السلطان العثماني اليه ثم أنبأه قائلا بأنه نظرا لأن هذه الرسالة هي أول رسالة يبعث بها سليمان الثاني الى رودس ، فانه لا يستطيع أن يتقبل ما جاء فيها على انه عربون صداقة بقدر ما هو تهديد مستتر له • وختم دى ليل آدم خطابه للملك الفرنسي بأن اكد له بأنه قد عقد العزم على توفير أقصى ما يمكن توفيرة لجزيرة رودس من المؤن والاسلحة والذخائر حتى اذا ما اتضح بأن السلطان سليمان يضمر لها سوء النية استطاعت أن تدافع عن نفسها مستعينة بما تقدمه لها فرنسا من مساعدات (٢).

وفي نفس الوقت رد دى ليل آدم على سليمان الثاني فأكد له بانه قد فهم جيدا المعنى الذى تنطوى عليه رسالته اليه ، وأنه يرحب بعروض الصداقة والسلام التي تقدم بها اليه في تلك الرسالة • غير أن دى ليل آدم استطرد قائلا بأنه مع ذلك يرى بأن هذه العروض لا تعجب كثيرا رئيس البحر (أو " القرصان " كما سماه دى ليل آدم) التركي الذى حاول مفاجأته في البحر اثناء عودته من فرنسا لتسلم مهام منصبة سيدا كبيرا للاسبتارية في رودس ، فلما أخفق تسلل في جنح الظلام ليهاجم سفينتين تجاريتين بعد اقلاعهما من ميناء رودس واستولى عليهما الى أن ادركته سفن رودس المسلحة

---

(١) أنظر : Pauli II, P.183, num. CLVIII.; Charriere I, PP. 89-90; Biliotti, PP. 289-290

(٢) أنظر : Charriere I, P.89

التي الحقها الاسبتارية خلفه فأنذر سبيلهما ولاذ بالفرار(1). ومن المرجح بأن السيد الكبير للاسبتارية حين أبلغ السلطان سليمان الثاني بتصرفات كورد أوغلي العدائية نحوه لم يسع أن يشكو اليه هذه التصرفات بقدر ما أراد أن يوحي اليه بأنه لا يشترك في نواياه العدائية، وذلك بنفس الطريقة المستترة التي أعتقد بأن سليمان استخدمها معه حين كتب له عن انتصاراته في هنغاريا بقصد تهديده. ومهما يكن من أمر فقد رأى دي ليل آدم أن من الضروري ارسال هذا الرد الى سليمان الثاني مع فارس اسبتاري قد يتعرض لانتقامه بالأسر أو بالقتل، وفضل أن يبعث به مع تاجر بيزنطي من أهالي جزيرة رودس لم يلبث أن عاد اليها، بعد أن أدى مهمته، برفقة سفير عثماني سلم للسيد الكبير دي ليل آدم رسالتين احداهما من الوزير محمد باشا والثانية من السلطان نفسه(2).

وقد تضمنت رسالة الوزير عتابا للسيد الكبير دي ليل آدم على ارساله رده على السلطان مع رسول قليل الشأن، وما تضمنه هذا الرد من عبارات لا تليق بمقام ذلك السلطان. على ان الوزير محمد باشا مع ذلك وعد في رسالته السيد الكبير للاسبتارية بأنه اذا أرسل الى استانبول سفارة مؤلفة من فارس أو فارسين من كبار أعضاء هيئة الاسبتارية فانه -أي الوزير- سوف يعمل جاهدا على منع السلطان سليمان من تدمير جزيرة رودس، وسوف ينصحه بأن يجدد مع الاسبتارية المعاهدة القديمة التي عقدها معهم السلطان مراد الثاني (معاهدة عام ١٤٢٥) ونالت رضاهم(3).

---

(1) أنظر: Pauli II, P.183, num. CLIX; Biliotti, P. 291; Charriere I, PP. 89-90; Farochon, P. 197

أراد كورد اوغلي أن يأسر الرئيس الكبير للاسبتارية ردا على أسر الاسبتارية لأخيه في عملهم أعمال القرصنة - انظر: Finlay, P. 82.

(2) أنظر: Biliotti, P.291; Farochon, P. 197

(3) أنظر: Pauli II, P.184 num CLXI; Biliotti, PP. 291-292; Farochon, P. 197

أما رسالة السلطان سليمان الثاني فقد كانت خالية أوسم نحو التهديد والاستفزاز ، ففيها أبلغ السلطان السيد الكبير للاسبتارية بأنه قد بلغ بوصول رده على رسالته التي سبق أن أرسلها اليه لتهنئته باختياره سيداً كبيرا للاسبتارية ولاخباره بانتصاراته في هنغاريا ، وبأن تلك الرسالة قد سببت له الدهشة أكثر من الفرح ، ثم أكد له بأن فتح مدينة بلجراد لا يكفيه ، وبأنه قد عقد العزم على القيام بفتح آخر مهم سوف ينبئه به في وقت قريب حيث أنه وفرسان هيئته الاسبتارية لا ينسون أبدا عن ذاكرته (١) .

ولم يلبث دى ليل آدم أن رد على الوزير فأعرب له عن استعداده لارسال سفير اسبتارى لعقد معاهدة صلح مع السلطان سليمان بمجرد أن يصل جواز مرور لهذا السفير ، كما رد على السلطان سليمان فأكد له بأنه لم ينسها لأن يتذكره السلطان هو وفرسان هيئته ، ثم استطرد قائلا بأن السلطان يحدثه عن النصر الذى أحرزته جيوشه في هنغاريا ، وعن تصميمه على القيام بمشروع آخر يأمل أن يحرز فيه نفس النجاح الذى أحرزه في هنغاريا ، ولكن غاب عن تفكير السلطان أنه لا يوجد بين جميع المشروعات الانسانية مشروعات غير مؤكدة النجاح أكثر من تلك المشروعات التى تعتمد على نتائج القتال (٢) .

وأخيرا كتب السلطان سليمان رسالة الى السيد الكبير دى ليل آدم — هى آخر رسالة في مجموعة الرسائل المتبادلة بينهما — بتاريخ أول يونية عام ١٥٢٢ ، أبلغه فيها صراحة بتصميمه على ضم جزيرة رودس ، ولكنه أقسم له على أنه اذا سلمها له طوعا فان أحدا من أهلها سوف لا يصاب بضرر ، ويسمح لكل من يرغب منهم في الرحيل

---

(١) أنظر : Pauli II, P.183, num. CLX; Forochon, P.198; Charriere I, PP. 89-90.

(٢) أنظر : Biliotti, P. 292; Farochon, P.198; charriere I, PP. 89-90

منها مع عائلته وأمواله ومتاعه الى أى جهة أخرى يريد أن يرحل اليها ، أما اذا رفض أن يسلم له قلعة الجزيرة (يقصد الحى العسكرى فى مدينة رودس العاصمة) فانـــه سوف يهدمها من أساساتها رأسا على عقب وسوف يأخذه هو ـ أى السيد الكبير ـ ورجاله عبيدا ثم يقتلهم شر قتلة كما فعل بالكثيرين غيرهم (١) •

وبهما يكن من أمر هذا الانذار فقد رفض دى ليل آدم أن يرد عليه ، وعقـــد العزم على المقاومة • (٢) وكان السيد الكبير للاسبتارية فى الحقيقة يستعد لذلك منـذ أن استشف الخطر فى رسالتى سليمان السابقتين اليه ، فاستدعى فرسانه المقيمـــين بشعب الاسبتارية فى أوربا بحيث ارتفع عددهم فى رودس الى مائتين وتسعين فارسـا وخمسة عشر فارسا منتسبا ، كانوا موجودين فيها عند وصوله اليها من فرنسا لتســلم منصب رئاسة حكومتها ، (٣) الى ستمائة فارس وفارسين اثنين • (٤) ومن ناحية أخـــرى أرسل دى ليل آدم الفارس الاسبتارى أنطونيو بوزيو (Antonio Bosio الى جزيرة كريت الخاضعة للبندقية فأحضر منها وسق خمس عشرة سفينة من النبيـــذ وخمسمائة متطوع كريتى (٥) عزز بهم السيد الكبير حامية الجزيرة المؤلفة من أربعـــة آلاف وخمسمائة جندى اغريقى • (٦) وعند عودة الفارس أنطونيو بوزيو من رحلة ثانيـــة

---

(١) أنظر : Pauli II, P.184, num. CLXII; Charriere I, PP. 91-92; Hammer V, P.27; Farochon, P.205.

(٢) أنظر : Farochon, P. 205.

(٣) أنظر : Biliotti, P.304; Flandin, P. 249
علما بأن فلاندان لم يذكر عدد الفرسان المنتسبين •

(٤) أنظر : Farochon, P.200
وقد ذكر (Biliotti, P.304) أن عددهم حوالى ستمائة فارس ، كما أن (Pastor IX, P.156) ذكر بأن عددهم أكثـــر بقليل من ستمائة فارس •

(٥) أنظر : Biliotti, P.305; Farochon, P.198; Daru IV, P.258.

(٦) أنظر : Biliotti, P.305 ; Farochon, P.200.
أما المؤرخ (Pastor IX, P.156) فقد ذكر بأن عددهم خمسة آلاف جندى ربما لأنه أضاف اليهم المتطوعين الكريتيين الخمسمائة •

أمر بالقيام بها الى كريت أحضر معه المهندس البندقي الاشهر غبريال مارتيننجو (Brassan gabriel martinengo) الذى أشرف على تقوية أسوار العاصمة رودس ، وشيد في هذه المدينة الملاجيء المسقوفة لايواء النساء والأطفال والعجائز من الرجال أثناء القصف ، كما حفر الأنفاق من تحت الأرض لتسهيل الاتصال بين الحصون والمواقع العسكرية المختلفة من غير التعرض لقذائف المدافع (١) . يضاف الى ذلك أن السيد الكبير للاسبتارية قام بتخزين كميات كبيرة من المؤن والذخائر والأسلحة التى أحضرها معه من فرنسا أو اشتراها بعد ذلك من نابلى وصقلية وكريت وقبرص ورودس نفسها (٢) . وكان من الطبيعى أيضا أن يطلب دى ليل آدم المساعدات العسكرية من دول الغرب الكبرى (٣) ، ولكن انشغال كل من فرانسوا الأول ملك فرنسا وشارل الخامس امبراطور ألمانيا في الحرب أحدهما ضد الآخر حول بسط السيطرة على شمال ايطاليا ، وانحياز انجلترا الى جانب الامبراطور الالمانى فضلا عن قلة اهتمامها عموما بمسألة أمن القوى المسيحية في الشرق ، تسبب في ضياع نداءات السيد الكبير للاسبتارية الى هؤلاء الحكام هباء منثورا . أما البابوية ، وهى أكثر جهات أوربا قلقا على سلامة الاسبتارية في رودس واهتماما ببقاء رودس حصنا أماميا للمسيحية نحو أرض المسلمين ، فقد كانت وقتذاك عاجزة عن أن تقدم بمفردها أية مساعدات عسكرية تفيد في الدفاع عن هذه الجزيرة ، ولم يكن البابا أدريان السادس (١٥٢٢ — ١٥٢٣) ، الذى انتخب للبابوية منذ ٩ يناير عام ١٥٢٢ خلفا للبابا ليو العاشر ، يملك الا أن يواصل سياسة سلفه في التوسط بين الأطراف الأوربية المتنازعة من أجل ايجاد الصلح بينهم حتى يمكنهم التفرغ لانجاد رودس (٤) .

---

(١) أنظر : Biliotti, PP.305-306; Farochon, PP. 198-199.

(٢) أنظر : Biliotti, P.305; Farochon, PP. 194, 198,203; Charriere I, P.92; Doru IV, P.258.

(٣) أنظر : Biliotti, P.305 ; Flandin, PP.248-249; Darue IV, P.258.

(٤) أنظر : Pastor IX, PP. 155-157 ; charriere I, P.84.

على أن أهم اجراء اتخذه السيد الكبير دى ليل آدم بعد أن تسلم انذار سليمان كان تنظيم الدفاع عن عاصمته رودس ، وتوزيع مسئوليات هذا الدفاع على مختلف الطوائف التى تتألف منها هيئة الاسبتارية وعلى كبار الفرسان فى هذه الطوائف . ومما تم اتخاذه فى هذا الشأن تكليف كل طائفة من طوائف الاسبتارية الثمانى بالدفاع عن القطاع المعروف باسمها وتحتله على أسوار هذه المدينة تحت قيادة فارس كفء من أبناء الطائفة (١) ، بخلاف فارس آخر عينه دى ليل آدم لقيادة الحصن الملحق بكل قطاع (٢) . والى جانب ذلك شكلت من القوات الاحتياطية أربع فرق للاغاثة أو النجدة وقت اللزوم ، وخصص لكل منها قطاعان من قطاعات المدينة الثمانية فضلا عما يأمرها بأن تقوم به السيد الكبير للاسبتارية (٣) ، كما شكلت فرقة خاصة بقيادة الآمر الكبير لانجاد أى موقع فى المدينة يتعرض لخطر محقق بصفة عامة (٤) . ومن ناحية أخرى تم تقسيم مدينة رودس الى أربعة قطاعات كبرى عين على كل منها فارس اسبتارى على رأس فرقة مؤلفة من مائة وخمسين متطوعا من أهالى المدينة لحماية الأمن والمحافظة على النظام فيه ، مع السماح لهؤلاء الفرسان الأربعة بتشكيل مجلس حرب يضمهم جميعا له حق اصدار الأحكام بالاعدام على من يقدم أمامه من المتهمين (٥) . ولعرقلة سفن الغزو العثمانية عن دخول البوغازين فقد أغلق أحدهما ، وهو البوغاز الكبير ، بمد سلسلتين قويتين احداهما بين برجى نيلاك وطواحين الهواء والثانية بين برج طواحين الهواء والرصيف ، على حين سد البوغاز الثانى ، باغراق بعض السفن المحطمة

---

(١) لمعرفة أسماء قادة القطاعات الثمانية . ارجع الى : Farochon, P.204.

(٢) لمعرفة أسماء قادة الحصون ارجع الى : Farochon, PP. 203-204; Biliotti, P. 306 ; Flandin, P.251.

(٣) للتعرف على قادة فرق الاغاثة الاربع أنظر : Farochon, P.204; Biliotti, P.308 ; Flandin, P.250.

(٤) أنظر : Flandin, PP. 250-251.

(٥) أنظر : Farochon, P.204; Biliotti, P.309; Flandin, P. 251.

بالأحجار في مدخله ،(١) كما عبرت سلسلة مصنوعة من الخشب الذي جلب من غابات الأناضول القريبة عبر مدخل المجاز الكبير بين برجي القديس نقولا وطواحين الهواء (٢) .

ونظرا لأهمية موقع برج القديس نقولا الذي يتحكم في كلا المجازين فقد عينت له حامية من ثلاثة جندي وعشرين فارسا اسبانيا اختيروا اختيارا تحت قيادة الفارس جيوت القشتالي (Guyot de Castellane) الذي لقب لشجاعته منذ فترة طويلة بلقب الجندي الأول للقديس حنا ، كما كلف بعض البحارة الروادسة والمتطوعين الأجانب بالاشتراك في الدفاع عن هذا البرج (٣) .

ولما كان سور ايطاليا والحي اليهودي الواقع خلفه أضعف منطقة في تحصينات المدينة فقد تقرر أن يقيم السيد الكبير دي ليل آدم وحرسه القوي الذي يقوده الفارس لويس دي بونفال (Louis de Bonneval) ، في حي العذراء سيدة النصر (Notre Dame de La Victoire) ، المجاور لهذه المنطقة لضمان منع الأعداء من النفاذ الى داخل المدينة عن طريقها (٤) . وضمانا لعدم وقوع خيانات أثناء الحصار العثماني المرتقب بسبب الاختلاف في الدين أو الجنس بين سكان المدينة كلف مطران الروم الأرثوذكس ، كليمنت (Clament) ، ومطران اللاتين الكاثوليك ، ليونارد بالورستين (dom Léonard Balorestin) بأن يعملا يدا واحدة على تقوية روابط الوحدة الوطنية بين هذين العنصرين من السكان (٥) .

ولالهاب حماس الأهالي أحضر دي ليل آدم صورة العذراء ، التي اعتقد الروادسة بأنها صاحبة الفضل في نصر عام ١٤٨٠ على جيوش السلطان محمد الثاني جد السلطان

---

(١) أنظر : Flandin, PP. 251-252; Biliotti, P. 302.

(٢) أنظر : De Belabre, P.31.

(٣) أنظر : Biliotti, P.309; Farochon, P.204.

(٤) أنظر : Biliotti, P.308; Farochon, P.204; Flandin, P.254.

(٥) أنظر : Farochon, P.205; Flandin, P.252.

سليمان الثاني ، من مقرها في الكنيسة المسماة باسمها على جبل فليرموس كنيسة القديس مرقس داخل مدينة رودس (١)، ولحرمان الغزاة الأتراك من أي شيء قد يفيدهم في اطالة أمد الحصار حول مدينة رودس هدمت جميع المباني المقامة خارج أسوار هذه المدينة بما فيها الكنائس ، كما اجتثت حقول القمح والعلف في قرى الجزيرة وخزن ما اجتثمنها في مخازن بداخل العاصمة بعد أن دفعت أثمانها لأصحابها . وأخيرا صدرت الأوامر الى جميع الرجال من أهالي الجزيرة بألا يتوانوا عند قدوم جيش الغزو التركي في أن يهرعوا وعائلاتهم الى الحصون القريبة للاحتماء فيها ، أو أن ينخرطوا في سلك الجندية في العاصمة للاستفادة بهم كعمال في سد الثغور التي تحدثها قذائف الأعداء في حوائط الأسوار أو في بناء حوائط جديدة تحل محل الحوائط التي تقوضها تلك القذائف وغير ذلك مما يلزم عمله للمحافظة على سلامة التحصينات أثناء المعارك (٢).

هذا فيما يتعلق بما اتخذه الاسبتارية في رودس من اجراءات استعدوا بها لهجوم العثمانيين . أما فيما يتعلق بالسلطان سليمان الثاني فلم يكن في الواقع قد دعا السيد الكبير للاسبتارية دى ليل آدم الى التسليم في أول يونيه عام ١٥٢٢ الا بعد أن كان قد فرغ من اعداد جميع أدوات الحملة التي أرادها لفتح جزيرة رودس (٣)، بما في ذلك تعيين مصطفى باشا — الوزير الثاني للسلطان سليمان وزوج أخته — سر عسكر لهذه الحملة (٤)، وتعيين رئيس البحر كورد أوغلى (أو أوغلو) مصلح الدين قائدا لأسطولها (٥).

---

(١) أنظر : Biliotti, P.306.

(٢) أنظر : Hammer v, PP. 29-30; Farochon, P.198.

(٣) يقول ابن اياس (بدائع الزهور — الجزء الاخير ص ٢٩٣) أن أميرا عثمانيا اسمه سنان بك وصل الى القاهرة في ٢٦ جمادى الاولى عام ٩٢٨ هـ الموافق ٢٢ ابريل عام ١٥٢٢ — أي قبل أن يرسل السلطان سليمان انذاره الى السيد الكبير للاسبتارية ببضعة وأربعين يوما — وصرح بأن " السلطان سليمان بن عثمان جهز خمسمائة مركب وشحنها بالسلاح والمقاتلين وخرج بنفسه الى قتال أهل رودس "

(٤) أنظر : Mitchell, P.25; Hammer V, PP. 27-28.

(٥) أنظر : La manuscrite turque, dans Biliotti, PP. 296-297; Farochon, P.200.

وقد أقلع أسطول الحملة من استانبول فى ٥ (١) أو ١٨ (٢) يونية عام ١٥٢٢ بقوة فى السفن قوامها ثلثمائة (٣) أو أربعمائة (٤) سفينة بحسب التقديرات الأوروبية وستمائة (٥) أو سبعمائة (٦) سفينة بحسب التقديرات التركية ، وفى الجند بين عشرة آلاف وخمسة وعشرين (٧) ألف جندى بحرى (٨) .

وعندما وصلت سفن الأسطول الى جزيرة رودس فى ٢٤ يونيه (٩) (عام ١٥٢٢) ، رست أمام قرية ڤيللا نوڤا Villanova (١٠) الواقعة الى القرب من عاصمتها مدينة رودس .

---

(١) ١٠ رجب عام ٩٢٨ هـ . أنظر : La manus. Turque, dans Biliotti, P. 294

(٢) أنظر التقرير الذى قدمه السفير البندقى Tipolo لحكومته . ويوجد هذا التقرير منشورا فى (Hammer V, P.415

(٣) جاء هذا الرقم فى وثيقتين احداهما تقرير السفير البندقى Tipolo (Hammer V, P.415) والثانية النص اللاتينى لشروط اتفاق تسليم رودس بين السلطان سليمان والسيد الكبير دى ليل آدم (وهى منشورة فى charriere I, P.92

(٤) هذا التقدير قال به الفارس الاسبتارى يعقوب البوربونى Jaeques de Bourbon الذى قام بدور فى الدفاع عن رودس أثناء حصار جيوش سليمان الثانى لها . أنظر : Flandin, P.254 ; Hammer V, P.415

(٥) يقول ابن اياس " (الجزء الاخير ص ٣٠٢) أن قاصدا عثمانيا وصل الى القاهرة فى أواخر شهر رجب عام ٩٢٨ هـ وسلم لملك الامراء خايربك مرسوما شريفا جاء فيه " أن السلطان سليمان قد جهز الى أهل رودس ستمائة مركب . . "

(٦) أنظر : La manuscriet Turque. dans Biliotti, P.294; Mitchell, PP . 25 -26.

(٧) أنظر : Hammer, V, P.27; Biliotti, P.294.

(٨) أنظر : La manuscrite turque, dans Biliotti, P. 294.

(٩) أنظر : Charriere I, P.92; Hammerv , P.29.

(١٠) أنظر : La manuscrite Turque, dans Biliotti, P.299, ويقول (Hammer V, P.28) أنه رسا بالقرب من حصن Fanes الى الجنوب من ڤيللا نوڤا . أما flandin, P. 254 فيقول بأنه رسا الى الشرب من مدينة رودس بنحو ثمانية كيلومترات .

وبمقتضى وثيقة تركية لم يعرف كاتبها (١) لجأ مصطفى باشا الى المخادعة بأن تـرك ما فئتى سفينة أمام قبالا نوشا على حين قاد — برفقته كورد أوغلى — بقية سفن الاسطول الى مكان يقع جنوب شرق مدينة رودس، مارا أمام بوغاز هذه المدينة المعـــروف باسم بوغاز الماندراكى ، فأصيبت سفينة أو سفينتان من تلك السفن بقنابل بـــرج القديس نقولا الذى يحمى ذلك البوغاز (٢) •

---

(١) رسالة خطية باللغة التركية دون فيها مؤلفها أخبار الحصار بإسهاب • وهـى لم تطبع للآن • وقد اعتمد المؤرخ بليوتى (Biliotti) ، عنـــد تأريخه لهذا الحصار فى كتابه عن رودس الذى رجعنا اليه مرات كثيرة ، عـلى فقرات بأكملها منها بعد أن ترجمها ترجمة حرفية الى اللغة الفرنسية • غـير أن بليوتى قال بأن مؤلف هذه الرسالة هو احمد حافظ (Ahmed Hafouz فى حين يشير اليها حبيب غزالة بك فى كتابه الذى أعطاه اسم " جزيرة رودس " قائلا بأنها لا تحمل اسم مؤلفها ، أما حافظ احمد (وليس احمد حافـــظ) فهو صاحب مكتبة أوقفها للنفع العام بمدينة رودس وتحتوى على هذه المخطوطه ضمن محتوياتها من الكتب • ويعتقد حبيب غزالة بأن مؤلف المخطوطة هـــو رمضان طبيب السلطان سليمان ، ويقول بأنه " مما يؤيد ذلك الترجمة الـتى نشرها المسيو Tercier من علماء فرنسا فى المجلد ٢٦ من صحيفـة مجمع (أكاديمية) الكتابات القديمة المطبوع فى باريس سنة ١٧٥٩ ، وقـد صدرها بهذا العنوان : (مذكرات رمضان عن فتح السلطان سليمان لجزيرة رودس فى سنة ١٥٢٢) " •

أنظر : حبيب غزالة بك : جزيرة رودس ص ١٢ — ١٣ ، ٤٢ — ٤٤ •

(٢) أنظر : La manuscrite turque, dans Biliotti, PP. 299-300

وقد جاء فى (Flandin P.254) بأن مصطفى باشا انتقل بأسطوله الـى الساحل الشرقى للجزيرة لتفادى الرياح الغربية النشيطة ، ورسا بأسطوله فـى مواجهة قرية Zimboli الواقعة الى الشرق من مدينة رودس العاصمة بنحو ستة كيلومترات • هذا ويؤيد حاجى خليفة (ترجمة mitchell, P.26 : أقوال الرسالة التركية •

والواقع ان الاسطول التركي تعرض في ذلك المكان ، الذي وصل اليه في ٢٦ يوليه ، للقصف الشديد من مدافع الحصون القريبة ، وبخاصة من مدافع حصن ايطاليا الذي أصابت احدى قذائفه بارجة كبيرة أوقلي فتهشم أحد مجاديفها من غير أن يقتل أحد من ركابها (١) .

وبالرغم من ذلك فقد استطاع مصطفى باشا انزال قواته الى اليابس في خلال ثلاثة أيام (٢) . ولم تمض عشرة أيام أخرى - أي في يوم ٩ يولية - حتى كانت هذه القوات قد سيطرت على جبل القديس اسطفان وقرية القديس جورج ، وكلاهما من ضواحي مدينة رودس ، وأحاطت بهذه المدينة من ناحية البر على حين أحاطت بها سفن الأسطول من ناحية البحر (٣) .

ومع ذلك فان مصطفى باشا لم يجرؤ وقتذاك على مهاجمة أسوار المدينة ليس فقط بسبب صغر جيشه أمام قوة تحصين ذاتها وفاعلية مدافعها التي قال عنها كاتب الوثيقة التركية (٤) بأنها وضعت أفراد هذا الجيش في موقف عصيب ، ولكن أيضا لأن مصطفى باشا (٥) أراد أن يحتفظ بشرف اصدار الأمر ببدء الهجوم للسلطان سليمان نفسه الذي كان مصطفى باشا يعلم بأنه في طريقه الى رودس عبر آسيا الصغرى (٦) على

(١) أنظر : La manuscrite Turque; dans Biliotti, PP. 300-301

(٢) أنظر : Biliotti, P.307; Flandin, P.254

(٣) أنظر : Biliotti, P.307

(٤) أنظر : La Manus. Turque, dans Biliotti, PP.302-303

(٥) أنظر : Hammer V, P.29

(٦) جاء في الرسالة التركية (اقتباس Biliotti, P.297) أن السلطان خرج على رأس جيشه في ١٨ رجب عام ٩٢٨ هـ الموافق ١٣ يونيه (أي بعد تحرك الاسطول بثلاثة أيام بحسب أقواله) ، على حين ورد في يوميات حملة السلطان سليمان الثانية ، تلك التي قام بها ضد رودس (نشر Hammer V, P.417) بأنه خرج في ١٦ يونية (٢١ رجب) .

رأس جيش الحملة الرئيسي المشكل بمقتضى المصادر التركية مئتمائة ألف جندي (١)، ووفقا لمصادر الاسبتارية بمائتي ألف جندي منهم ستون ألف جندي لحفر الأنفاق الارضيـــة وزرع الألغام فيها تحت أسوار وحصون المدينة (٢).

وعلى أي حال فما أن علم مصطفى باشا بوصول السلطان سليمان وجيشه الى ميناء مرمريس، (٣) الواقع على ساحل آسيا الصغرى في مواجهة جزيرة رودس، حتى أرســـل أسطوله الى هذا الميناء فنقلهم الى جزيرة رودس (٤) التي وصلوا اليها في ٢٨ يوليـــة عام ١٥٢٢ (٤ رمضان عام ٩٢٨ هـ) (٥). ولم يلبث السلطان سليمان أن نصب فسطاطه على رابية تل قزل تپه Kyzil Tépe — الذى يشكل القسم الجنوبي من جبـــل القديس اسطفان — لمراقبة تحركات الجيش واصدار الأوامر (٦). وبعد أن تفقد أســـوار المدينة وحصونها عن بعد أمر بتوزيع قواته حولها على خمسة مراكز (٧). وفي نفس الوقت تم توزيع مدافع الحصار الكبرى بحيث صوب واحد وعشرون منها نحو حصن ألمانيـــا، واثنان وعشرون نحو برج القديس نقولا، واثنان وأربعون موزعين على أربع عشرة بطاريـــة بواقع ثلاثة مدافع لكل بطارية واحدة نحو حصني أسبانيا وانجلترا، وسبعة عشر مدفعـــا نحو حصن ايطاليا (٨).

---

(١) أنظر : La manus. Turque, dans Biliotti, PP. 320-,322
Hammer V, P.28; Lamertine V P.216

(٢) تقدير الفارس الاسبتاري يعقوب البوربوني المعاصر لتلك الاحداث (أنظر :
Hammer V, P. 416 ; Farochon P. 205 ; Biliotti, P.304
وجاء هذا التقدير أيضا في صلب وثيقة تسليم رودس للسلطان سليمان، وهـــى الوثيقة التي نشرها المؤرخ (Charriere I, P.92

(٣) يطلق عليها الاوربيون اسم marmaritza، وهو ميناء Phiscus قديما — أنظر :
Hammer V, P.29

(٤) أنظر : La manuscrite turque, dans Biliotti, P.30 3

(٥) أنظر : Jornal de la seconde campagne, dans hammer V, P.419.

(٦) أنظر : Biliotti, P.307

(٧) أنظر : Biliotti, P.307; Hammer V, P.31; Farochon, PP.207-208

(٨) أنظر : Hammer V, P.32

وقد بدأ القتال فى اليوم التالى مباشرة لوصول السلطان الى رودس ، أى فى يوم ٢٩ يولية عام ١٥٢٢ (٥ رمضان عام ٩٢٨ هـ)(١)، وامتد القصف بالمدفعية فى هذا اليوم واليوم الذى يليه ـ أى فى يومى ٢٩ ، ٣٠ يولية ـ الى مختلف الحصون والابراج القائمة على أسوار رودس ، غير أن هذه الحصون لم تلبث أن أسكتت المدافع التركية التى قامت بقصفها (٢) .

وبعد هذا الفشل رأى العثمانيون أن يركزوا جهودهم ضد برج القديس نقولا مفتاح المدينة من جهة الشمال . ومن ثم قام الياس باشا بايلربك الروميللى ، فى ٣ أغسطس ، بقصف البرج من ناحية البر . وفى اليوم التالى ساعد كورد أوغلى ، قائد الأسطول فى الرماية على هذا الحصن من ناحية البحر . غير أن مدافع البرج استطاعت خلال أيام القصف ـ وهى ثلاثة أيام على الأقل ـ أن تدمر بطاريات المدافع العثمانية التى قامت بقصفه عدة مرات ، وتكبد من قاموا بتشغيلها خسائر جسيمة فى الأرواح مما اضطر العثمانيين الى التخلى عن مهاجمة هذا البرج فى هذه المرة

---

(١) أنظر : La manus. Tur., dans Biliotti, P.309 ; Journal de la Sec. Camp., dans Hammer V, P.419, mitchell, P.26

(٢) أنظر : De Belabre, PP. 79-80

وقد جاء فى يوميات حملة السلطان سليمان الثانية (فى Hammer V, P.419) صراحة بأن العثمانيين قصفوا المدينة فى يومى ٢٩ ، ٣٠ يوليه بمدافعهم . كما أن الرسالة التركية (فى Biliotti, PP. 309-310) ذكرت بأن مراكز مختلفة قصفت بالمدافع فى آن واحد فى يوم ٢٩ يوليه . وقد أرجع كاتب هذه الرسالة عجز المدافع العثمانية عن النيل من مدينة رودس الى وفرة عدد المدافع فى هذه المدينة ومراعاة تصميم تحصيناتها .

وطوال فترة الحصار حول المدينة (١) .

وقد حدث في ٩ أغسطس (١٦ رمضان ٩٢٨ هـ) أن وصل الى رودس أربع وعشرون سفينة حربية قادمة من مصر (٢) لنجدة العثمانيين قوامها صحرة قرة ألف وخمسمائة مقاتل من جند الحامية العثمانية في مصر والمماليك الجراكسة . وكان سرعسكر هذه القوة الأمير المملوكي قايتباى الرمضانى ، الدوادار الكبير ، علما بأن أوامره كانت قاصرة على الأمراء المماليك ، وعددهم ثلاثة وأربعون أميرا ، والمماليك الجراكسة ، وعددهم خمسمائة أو ثمانمائة مملوكا ، وبأنه وصل برفقة الأمير جانم الحمزاوى نائبا عن كبير الأمراء خاير بك لدى السلطان سليمان فى رودس ، وبالرئيس حامد القبطان قائدا للسفن . ويذكر كاتب الوثيقة التركية بأن السلطان سليمان كلف جند مصر ، عند وصولهم الى رودس ، بقصف برج الأجراس الذى يحمل اسم القديس حنا لما كان يقوم به — عن طريق دق أجراسه — من تنبيه للروادسة بتحركات العثمانيين ضدهم (٣) . وبمقتضى أقوال نفس الكاتب واصل المصريون الرماية على البرج الى أن سقط

---

(١) أنظر : Biliotti, P.310, Farochon, P. 208

علما بأن هذين المؤرخين لم يذكرا تاريخا لهذه المعركة . أما التواريخ التى أوردناها فقد أخذناها من يوميات حملة السلطان سليمان الثانية (فى Hammer V, P.419) بالرغم من أن هذه اليوميات لم تذكر اسم برج القديس نقولا الذى تعرض للقصف صراحة ، وكل ما جاء فى اليوميات أنه وقعت فى ٣ أغسطس معركة كبرى بالمدافع التى اقتادتها القوات معها داخل الخنادق . (وهذا يتفق مع ما ذكره فاروشون من أن الاتراك حفروا خندقا بالليل فى الرمل وسيّروا فيه المدافع الى أقرب مكان من البرج استطاعوا الوصول اليه) . وجاء فى اليوميات أيضا أنه حدث فى يومى ٤ ، ٥ أغسطس أن تلقى كورد أوغلى الامر بأن يتقدم على رأس سفنه لمساندة الجيش .

(٢) أنظر : La manuscrite Turque, dans Biliotti, P. 311.
Journal de La sec. Camp. dans Hammer V, P. 419

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور — الجزء الاخير ص ٣٠٢ — ٣٠٤

الجزء العلوى منه حيث توجد الأجراس في ١١ أغسطس (١٨ رمضان) (١) • ولما كانت هذه أول مرة يحقق فيها العثمانيون نجاحا منذ بدءوا في قصف المدينة (٢) ، فقد فرح به السلطان سليمان وكافأ من أجله جميع الباشوات في الجيش ليس القاطبين (٣) • أما العساكر المصريين الذين أحرزوا هذا النجاح فقد سمح لهم السلطان في ١٣ أغسطس بانزال وطاقهم في معسكر الوزير الأعظم بير محمد باشا (٤) •

وفي تلك الأثناء كان الرأى قد استقر في مجلس السلطان على أن يتولى الوزير الثالث أحمد باشا ، الذى عرف بخبرته في الأعمال الهندسية ، الاشراف على عملية حفر شبكة من السراديب والمسالك تحت الأرض تبدأ من مواقع معسكرات العثمانيين وتمتد حتى تصل الى أساسات مختلف الأسوار والحصون في المدينة لنسفها بالألغام مع استمرار قصفها بالمدافع (٥) الى أن يحين موعد هجوم الجند عليها لاقتحامها بعد انتهاء شهر رمضان وعيد الفطر الذى يليه • ويؤكد كاتب الوثيقة التركية بأن أحمد باشا أسرف ، عند بث الألغام في السراديب التى حفرها ، في استهلاك البارود مما أدى الى تعطل الكثير من المدافع عن العمل الى أن جلبت كميات وافرة منه من تركيا بالسفن (٦) •

---

(١) أنظر : La manuscrite Turque. dans Biliotti, PP. 311-312
ويلاحظ بأنه جاء في يوميات حملة السلطان سليمان الثانية (في Hammer V, P.419) بأن البرج سقط يوم ١٠ أغسطس ، ولم يرد فيها ذكر لدور المصريين في اسقاطه •

(٢) أنظر : Biliotti, P. 312

(٣) أنظر : Journal de la sec. camp. dans Hammer V, P. 419

(٤) أنظر : Ibid: Loc. Cit.
وارجع أيضا الى ابن اياس : بدائع الزهور ـ الجزء الاخير ص ٣٠٤ •

(٥) أنظر : La manuscrite tur. dans Biliotti, PP. 313-314

(٦) أنظر : Ibid, PP. 313-315

وعلى أى حال فان أمرا ما قام به أحمد باشا لم يلبث أن عرف فى رودس حيث أخذ المهندس الكريتى مارتيننجو على الفور فى زرع الألغام المضادة التى أفسدت الكثير من ألغام الوزير العثمانى ودمرت معظم سراديبه (١). وبينما كانت هذه الحرب الخفية بين أحمد باشا ومارتيننجو تجرى تحت الأرض، قام نحو ثلثمائة فارس وجندى اسبتارى، فى ١٩ أغسطس، بالهجوم على معسكر الوزير الأعظم بير محمد باشا ودمروا ما وجدوه فى هذا المعسكر من مدافع وهربوا (٢). وفى اليوم التالى — أى فى ٢٠ أغسطس — خرج عدد آخر من فرسان وجند الاسبتارية، قدر كاتب الوثيقة التركية عددهم بنحو ثلاثة آلاف فارس وجندى، من بوابة داميواز الواقعة فى جنوب غرب المدينة، وهاجموا قوات أحمد باشا المعسكرة بالقرب من هذه البوابة، ولكن تلك القوات لم تلبث أن أجبرتهم على العودة من حيث أتوا (٣).

على أنه لم تمض أربعة أيام فقط على هذا الهجوم الاسبتارى الأخير أى فى يوم ٢٤ أغسطس حتى حل أول أيام عيد الفطر (أول شوال عام ٩٢٨ هـ) الذى كان مقررا من قبل أن يبدأ العثمانيون بعده محاولاتهم لاقتحام أسوار المدينة. ومقتضى ما جاء فى الوثيقة التركية قام العثمانيون بأولى هذه المحاولات فى صباح اليوم الثالث للعيد أى فى يوم ٢٦ أغسطس (٣ شوال عام ٩٢٨ هـ) (٤) حيث هاجمت قواتهم أسوار أو مراكز انجلترا وأسبانيا وايطاليا من غير أن تفلح — بالرغم من كثرة ما تكبدته أثناء الهجوم (٥)

---

(١) أنظر : Hammer V, P.32 , Farcohon, P.209

(٢) أنظر : Journald de La sec. Camp. dans Hammer V, P. 420

(٣) أنظر : La manus.Turqu. dand Biliotti, P.314 , Journal de la Sec. comp. dand Hammer V, P.420.

(٤) أنظر : La mznuscrite turq. dand Biliotti, P.315

(٥) أنظر : Biliotti, P. 316 , Farcchon, P.209
ويلاحظ بأن الرسالة التركية الخطية لم تحدد أسماء حصون الاسبتارية التى هجم عليها الاتراك (أنظر : اقتباس Biliotti, P.316 من الرسالة). أما يوميات حملة السلطان سليمان الثانية (Hammer V, P.420) فقد اقتصرت على ذكر أنه وقعت فى يومى ٢٦، ٢٧ أغسطس معركة.

من ضحايا — في الاستيلاء على أى منها[1] . وقد وجه العثمانيون هجماتهم الثلاث التالية الى حصن انجلترا الذى كانوا قد أوشكوا فى المرة السابقة على أن يستولوا عليه لولا وصول السيد الكبير دى ليل آدم على رأس حرسه فى الوقت المناسب فأنقذه منهم[2] . وكان من الطبيعي أن يقوم بالهجوم على ذلك الحصن فى المرات الثلاث — وفى كل مرة غيرها تعرض فيها الحصن للهجوم من جانب العثمانيين الى أن سقط فى أيديهم — الجند المرابطون فى معسكر مصطفى باشا الذى أقيم أمامه خصيصا لهذا الغـرض . وقد استطاع أولئك الجند فى أول مرة من هذه المرات الثلاث ، وتاريخها ٤ سبتمبر (١٢ شوال) ، النفاذ الى داخل الحصن عن طريق ثغرة كبيرة أحدثها فيهـا انفجار لغم فجر أسفل جدرانه قبل الهجوم عليه مباشرة ، ولكنهم لم يلبثوا ، بعد قتال عنيف اشترك فيه السيد الكبير دى ليل آدم الذى خف لنجدة الحصن على رأس حرسه عند سماعه بخبر نجاح العثمانيين فى اقتحامه ، أن أجبروا على الارتداد عنه تاركين وراءهم عددا كبيرا من القتلى قدرته بعض مصادر الاسبتارية بنحو ألفين على حين قدرته مصادر اسبتارية أخرى بثلاثة آلاف[3] . على أن العثمانيين أفلحوا مرة أخرى ، عندما شنوا هجومهم التالى على هذا الحصن فى ١٠ سبتمبر ، فى النفاذ الى داخله من طريق عدة ثغرات أحدثها فيه انفجار لغمين قبل الهجوم ، ولكنهم أرغموا فى هذه المرة أيضا على الانسحاب متكبدين خسائر جسيمة فى الارواح ربما لا تقل عن خسائرهم فى المرة السابقة[4] ، على حين لم يفقد الاسبتارية الذين دافعوا عن الحصن فى هذا الهجوم سوى ثلاثين فارسا اسبتاريا من بينهم قائد المدفعية وحامل لواء السيد الكبير للاسبتارية[5] . وعلى أى حال فانه لم تمض ثلاثة أيام على هذا الهجوم الاخير — أى فى

(١) أنظر : La manus.Turque, danx Biliotti, P.316

(٢) أنظر : Biliotti, P.316

(٣) أنظر : Hammer V, P.32, De belabre, P.76 Farochon, P.210

(٤) أنظر : Journal de la Sec. Camp. dans Hammer V, P.420, La manus.Turque. dans Biliotti, P.319 Hammer V, P.32

(٥) أنظر : Hammer V, P.32

يوم ١٣ سبتمبر — حتى عاد عسكر مصطفى باشا للهجوم على ذلك الحصن — وهو رابع هجوم لهم عليه — تحت غطاء من نيران مدافعهم فتمكنوا من الوصول اليه وتسلق أسواره ورفع خمس رايات من راياتهم فوق تلك الأسوار . غير أن حامية الحصن من فرسان الاسبتارية الانجليز تمكنت في النهاية ، بفضل نجدة وصلت اليهم أثناء القتال من زملائهم فرسان الاسبتارية الألمان من احباط الهجوم .(١)

هذا عن المحاولات الاربع الاولى التي قام بها العثمانيون لاقتحام أسوار المدينة . وقد أخذت محاولاتهم الاخرى تتوالى بعد ذلك . ففي ١٧ سبتمبر (٢٥ شوال) قام أفراد معسكر احمد باشا بمهاجمة حصن أسبانيا الواقع أمام معسكرهم ، ولكنهم لم يلبثوا أن انسحبوا مخلفين وراءهم نحو ألفين من القتلى .(٢) وبعد يومين — أي في يوم ١٩ سبتمبر هاجم بعض المماليك الجراكسة النازلين في معسكر الوزير الأعظم بير محمد باشا حصن الاسبتارية الواقع أمام هذا المعسكر ، وهو حصن ايطاليا ، واستولوا منه على أربعة أو خمسة أعلام ثم ارتدوا عنه مطرودين .(٣) وفي فجر ٢٤ سبتمبر (٣ ذو القعدة) شن العثمانيون هجوما شاملا على جميع أسوار وحصون المدينة . وقد تمكن العثمانيون

---

(١) أنظر : Hammer V, F.33, De Belabre, F.76
علما بأن دى بيلابر ذكر بأن الهجوم وقع يوم ١٧ سبتمبر . كما يلاحظ بأنه لم يرد ذكر لهذا الهجوم في الرسالة التركية الخطية وفي يوميات حملة سليمان الثانية .

(٢) وردت أخبار هذا الهجوم في يوميات حملة سليمان الثانية (Hammer V, F.421) من غير أن تحدد اسم الحصن الذي وقع عليه الهجوم . كما أن الرسالة التركية الخطية (Biliotti, PP. 319-320) تكلمت عن هذا الهجوم بافاضة ولكنها أعطته تاريخ ١٨ سبتمبر . هذا وقد اتفق دى بيلابر (De Belabre, F.67) مع اليوميات في أن تاريخ الهجوم ١٧ سبتمبر . أما المؤرخ فاروشون (Farochon, PP. 212 -213) فقد تكلم عن الهجوم من غير أن يحدد تاريخ وقوعه ولكن ذكر بأن عدد القتلى من العثمانيين فيه بلغ نحو ألفى قتيل .

(٣) أنظر : Journal de la secon. Camp. dans Hammer V, F.421, La manus.Turque. dans Biliotti, P.320

علما بأن الرسالة التركية جعلت تاريخ هذا الهجوم يوم ١٨ سبتمبر ليلا .

خلال هذا الهجوم من الاستيلاء على حصن أسبانيا ، ولكن الاسبتارية ــ وعلى رأسهم السيد الكبير وحرسه ــ استطاعوا طردهم منه بعد ثلاث ساعات ، ولم يلبث أن اضطر العثمانيون الى وقف الهجوم الشامل والتراجع في مساء نفس اليوم (١) • وقد بلغت خسائر العثمانيين في هذا الهجوم الشامل بمقتضى التقديرات الاوروبية نحو خمسة عشر ألف جندى بين قتيل وجريح ومفقود (٢) • أما خسائر الروادسة فقد قدرها رودسى لجأ الى معسكر الأتراك بثلثمائة قتيل وبعدد كبير من الجرحى من بينهم أحد رؤساء الاسبتارية وجميع رؤساء الرماة بالمدافع والبنادق (٣) • ومهما يكن من أمر هذا الهجوم الشامل فان أول هجوم للعثمانيين بعد فشله شنه جيش الياس باشا في ٨ أكتوبر على حصن ألمانيا • وقد انتهى هذا الهجوم الى فشل (٤) ، كما فشل هجوم آخر قام به

---

(١) أنظر : Hammer v, PP. 33-34, Farochon, PP. 213-216; De Belabre, PP. 60, 67, 76-77, 83, Biliotti, PP. 325-326

ويلاحظ بأن Biliotti أعطى لهذا الهجوم تاريخ ١٩ أكتوبر بدلا من ٢٤ سبتمبر الذى أجمع عليه المؤرخون الآخرون • وواضح بأن Biliotti أخذ هذا التاريخ عن الرسالة التركية التى تناولت وقائع الهجوم باختصار على غير عادتها •

(أنظر ترجمة ما جاء فيها عن هذا الهجوم في Biliotti, P.32,) •
ومن الملاحظ أيضا بأنه لم يرد عن هذا الهجوم الكبير في يوميات حملة سليمان الثانية (Hammer V, P.421) سوى عبارة أن الهجوم الذى قام به العثمانيون يوم ٢٤ سبتمبر انتهى الى فشل •

(٢) أنظر : Hammeer, B, P.34 De Belabre, P.67, Farochon, P.216,

(٣) أنظر : Biliotti, P.326, Lamzrtine lV, 225.
Journal de la secon. camp. dans Hammer V,P.422

(٤) أنظر : Journal de la secon. camp. dans Hammer V, P.422; La manus. Turque, dans Biliotti, P.323

مع ملاحظة أن الرسالة التركية أرخت تاريخ هذا الهجوم يوم ٦ أكتوبر ، وأنها ــ شأنها شأن اليوميات ــ لم تذكر اسم الحصن الاسبتارى الذى وقع عليه الهجوم ، وانما ذكره المؤرخ Biliotti في معرض تعليقه على ما جاء في الرسالة عن الهجوم • والمعروف أن معسكر الياس باشا الذى قام بالهجوم يقع أمام حصن ألمانيا •

مصطفى باشا بعد أربعة أيام ـ أى فى يوم ١٢ أكتوبر (٢١ ذو القعدة) ـ على حصن انجلترا . (١) وكان أن قرر العثمانيون الاكتفاء بحرب الحصار والقصف المتقطع بالمدافع وبث الالغام تحت أسوار المدينة الى أن تتقوض هذه الاسوار فيستأنفون عليها الهجوم . وقد جاء فى رسالة بعث بها السيد الكبير دى ليل آدم فى ١٣ نوفمبر ، الى ابن أخته فرانسوا دى مونتمورنسى François de Montmorency ـ أحد اشراف فرنسا المقربين الى ملكها فرانسوا الاول ـ (٢) بأن فرسان الاسبتارية صدوا ، منذ بدأ الحصار العثمانى حول مدينة رودس عاصمة جزيرتهم رودس فى ٢٦ يونية حتى وقت كتابة هذه الرسالة ، تسع هجمات كبرى شنها العثمانيون على هذه المدينة ، هى فى أغلب الظن تلك الهجمات التى سردنا وقائعها . (٣)

---

(١) أنظر : Journal de la secon. camp. dans Hammer V,P.422
Farochon P.221
Biliotti, PP.32-324)
ويلاحظ بأن الرسالة التركية أوردت وقائع الهجوم بالذات ولكن تحت تاريخ ١١ أكتوبر (٢٠ ذو القعدة) ، كما جاء فيها بأن الهجوم قام به الجناح الايسر لقسم بير محمد باشا . والخطأ فى ذلك واضح لان معسكر بير محمد يقع أمام حصنى ايطاليا وبروفانس وليس أمام حصن انجلترا الذى يقع أمام معسكر مصطفى باشا . ومن الملاحظ أيضا بأن المؤرخ هامر (Hammer V, P.35) ذكر خطأ بأن قائد هذا الهجوم هو أحمد باشا . وربما يعود هذا الخطأ الى أن المؤرخ المذكور سبق أن وقع فى خطأ آخر هو ذكره بأن مصطفى باشا غادر رودس الى مصر يوم ٢٧ سبتمبر (Loc Cit.) وصحته ـ كما جاء فى اليوميات التى نشرها نفس المؤرخ (Ibid, P.423) ـ ٢٧ أكتوبر .

(٢) أنظر : Charriere I, P.CXXXI-CXXXIIII

(٣) بدأت بهجوم ٢٦ أغسطس على حصون انجلترا وأسبانيا وايطاليا ، ثم هجمات ٤ ، ١٠ ، ١٣ سبتمبر الثلاث على حصن انجلترا ، ثم هجوم ١٧ سبتمبر على حصن أسبانيا ، وهجوم ١٩ سبتمبر على حصن ايطاليا ، وهجوم ٢٤ سبتمبر الشامل ، وهجوم ٨ اكتوبر على حصن ألمانيا ، وأخيرا هجوم ١٢ اكتوبر على حصن انجلترا .

ومن الانباء الاخرى عن المعارك التى أبلغ دى ليل آدم بها ابن اخته فى هذه الرسالة ، التى كتبها له أصلا لحثه على التوسط لدى الملك الفرنسى لكى يرسل الى رودس النجدة التى طلبها منه مبعوث اسبتارى خاص أرسل اليه لهذا الغرض ، أن العثمانيين لم يكتفوا لتدمير تحصينات المدينة التى يقومون بحصارها بقصفها بالمدافع ، ولكنهم استخدموا ضدها أيضا سلاح الألغام فزرعوا أكثر من خمسين لغما انفجر منها عشرة على حين اكتشف الاسبتارية بقية هذه الألغام وأفسدوها بالألغام المضادة . وأضاف دى ليل آدم بأن بعض الهاربين من العثمانيين الذين لجئوا الى رودس أفادوا بأن خسائر جيش الحصار العثمانى بلغت أكثر من خمسين ألف جندى من أحسن جنوده إما فى المعارك أو بسبب تفشى المرض بين صفوفه . ولكن السيد الكبير للاسبتارية استطرد قائلا بأنه علم أيضا من هؤلاء اللاجئين بأن الرأى قد استقر عند العثمانيين على أن يمضوا الشتاء فى معسكراتهم أمام مدينة رودس ، وأن هذا الخبر قد سبب انزعاجا له ولرجاله الذين أصبحوا ، بعد أن فقدوا كثيرا من وسائلهم الدفاعية ، لا يستطيعون الاستمرار طويلا فى المقاومة والصمود ان لم تصل اليهم النجدة التى طلبها من ملك فرنسا . وفى ختام الرسالة أبلغ دى ليل آدم ابن أخته بنبأ اكتشاف خيانة أحد أعضاء حكومة الاسبتارية المعروفة باسم المجلس واعدامه بعد ثبوت التهمة عليه . ومن الثابت أن هذا الخائن هو أندريا داامارال Andrea d'amaral رئيس طائفة قشتالة (١) الذى كان قد رشح نفسه لمنصب السيد الكبير للاسبتارية

---

(١) لقد حوكم دااماراال فى أوائل شهر نوفمبر (عام ١٥٢٢) بتهمة الخيانة العظمى . وممن شهدوا ضده أحد رماة المدفعية بحصن أوفرن ، وقس اغريقى ، فضلا عن خادم دااماراال نفسه الذى كان يقوم بالقاء الرسائل التى يكتبها سيده الى معسكر العثمانيين مستخدما فى ذلك قوس وجد مخبأ فى خندق حصن أوفرن . والرغم من اصرار داامارال حتى النهاية على براءته فقد حكم عليه بالاعدام . وفى النصف الاول من شهر نوفمبر (قبل يوم ١٣) نفذ الحكم فيه فقطعت رأسه ثم قطع جسده الى أربعة أجزاء ، وعلق كل من الرأس وأجزاء الجسد الاربعة على حصن من حصون مدينة رودس على مرأى من جيش الحصار العثمانى .
أنظر :

Farochon PP. 222-223, Biliotti, PP. 327 -328; De Belabre, P. 68 , Lamzttine IV, Pr. 217-218

منافسا لدى ليل آدم ، بعد موت السيد الكبير السابق كاريتو عام ١٥٢١ ، ولكن أعضاء هيئته خذلوه واختاروا منافسه للمنصب . (١) غير أن دى ليل آدم لم يذكر اسم الخائن فى رسالته الى ابن أخته ، واكتفى بالقول عنه بأن الحسد والطمع فى السلطة جعلاه يتآمر ضد هيئته الاسبتارية منذ أمد بعيد ، وأنه قد استدعى الاتراك لحصار رودس .

وفى الحقيقة فإنه فى الفترة التى كتب فيها دى ليل آدم هذه الرسالة كان العثمانيون قد توصلوا عن طريق القصف بمدافعهم الى اصابة حصن أسبانيا بتصدعات خطيرة اضطر السيد الكبير دى ليل آدم بسببها الى نقل مركز قيادته من جوار حصن انجلترا الى مكان قريب من ذلك الحصن ـ أى حصن أسبانيا . (٢) وفى نفس الوقت تمكن العثمانيون بمساعدة هذه المدافع من تدمير سور ايطاليا ثم اقتحام هذا السور واحتلال جانب من الحى اليهودى الواقع خلفه حتى خط الدفاع الثانى الذى أقامه الاسبتارية سريعا ـ عندما شعروا بقرب انهيار السور الخارجى ـ من أنقاض كنيستى العذراء سيدة النصر والقديس بانتاليون (Saint - Pantaléon) بعد هدمها لهذا الغرض بأمر خاص من السيد الكبير دى ليل آدم . (٣) وقد حاول العثمانيون ، فى ٢٣ نوفمبر (٤ محرم) ، اقتحام هذا السور الجديد ولكن محاولتهم كلفتهم خسارة بشرية قدرها خمسمائة قتيل وفشلت . (٤) على أن العثمانيين لم يلبثوا بعد أسبوع واحد ـ أى فى ٣٠ نوفمبر (١١ محرم) ـ أن شنوا على ذلك الموقع وحصن أسبانيا فى آن واحد أعنف هجوم لهم على أسوار رودس بعد هجومهم

---

(١) أنظر : Farochon, PP. 191-192

(٢) أنظر : De Belabre, PP. 69-70

(٣) أنظر : De Belabre, PP. 83-84, Farochon, PP. 223-224

(٤) أنظر : [illegible] De Belabre, P.84 ;Farochon, P.224
علما بأن دى بيلابر وفاروشون ذكرا بأن الهجوم وقع فى ٢٢ نوفمبر

الشامل على تلك الأسوار فى ٢٤ سبتمبر ، وكادوا أن يسيطروا عليهما لولا أن هطلت فجأة أمطار اعصارية غزيرة كالطوفان عطلت خططهم الهجومية وكشفت قواتهم المهاجمة أهدافا سهلة لمدافع حصن أوفرن المجاور لحصن أسبانيا ولبطاريات المدافع الخفيفة التى أقيمت على عجل فوق رصيف طواحين الهواء القريب من حصن ايطاليا ، فمزقت تلك المدافع شملهم وأجبرتهم على الانسحاب تاركين وراءهم نحو ثلاثة آلاف قتيل .(١)

وكان أن عدل سر عسكر الجيش ـ وهو أحمد باشا الذى كلفه السلطان بقيادة جيش الحملة بدلا من مصطفى باشا إما بعد فشل الحصار الشامل فى ٢٤ سبتمبر (٢) أو بعد تعيين مصطفى باشا واليا على مصر فى ٢٤ أكتوبر (٣) ـ عن الهجوم وعزم على الاستمرار فى حصار المدينة مع تصعيد عمليات قصف أسوارها بالمدافع وتفجير الألغام تحت هذه الاسوار .(٤) وفى اليوم العاشر من ديسمبر أبدى السلطان لاثنين من الاسبتارية ، وفدا الى معسكره تلبية لرغبته التى أوصلها للسيد الكبير دى ليل آدم فى رسالة بعث بها اليه فى نفس اليوم على يد اثنين من رجاله ، استعداده لأن يأمر بالكف عن القتال اذا وافق الاسبتارية على الجلاء عن الجزيرة خلال ثلاثة أيام . وقد تفاوض الاسبتارية فى الأمر أولا داخل مجلسهم ثم فى مؤتمرهم العام الذى يضم ، الى جانب أعضاء هذا المجلس ، ممثلين اثنين

(١) أنظر : Hammer V, PP. 35-36, De Belabre, PP. 70,84 Farochon P.224

ومقتضى أقوال المؤرخ بليوتى (Biliotti, P.330) كان حصن ايطاليا الهدف الرئيسى لهجوم الاتراك فى هذا اليوم ، وقد اشترك الفيلق الاسرائيلى المؤلف من مائتين وخمسين متطوعا يهوديا ـ معظمهم من صانعى الاسلحة ـ فى الدفاع عن ذلك الحصن .

(٢) هذا ما قال به الفارس الاسبتارى يعقوب البوربونى ـ أنظر : Farcohon, PP. 218-219, Biliotti, P.327, De Belabre, P.68

(٣) أنظر : Journal de la secon. Camp. dans Hammer V, P.423

(٤) أنظر : Hammer V,P.36

عن كل طائفة من طوائف الاسبتارية الثماني ، فعارض أكثرهم فى التسليم • ومن ثم أرسل السيد الكبير دى ليل آدم الى السلطان سليمان فارسين اسبتاريين طالبا منه مد مهلة الأيام الثلاثة المعطاة للتسليم بحجة أن التفاهم مع سكان رودس الذين ينقسمون الى طائفتين مختلفتين ، هما طائفة الأروام وطائفة اللاتين ،أمر يحتاج الى فسحة طويلة من الوقت • غير أن السلطان رفض الاستجابة لطلب هذين الفارسين وأمر بمواصلة الحرب • وفى اليوم الثامن عشر من هذا الشهر (ديسمبر) شن العثمانيون هجوما عنيفا على حصن أسبانيا انتهى الى فشل • ولكنهم فى اليوم التالى (١٩ ديسمبر) أعادوا الكرة على نفس الحصن واستولوا عليه • وكان الاسبتارية فى ذلك الوقت قد أدركهم الوهن وخارت عزائمهم • غير أن السيد الكبير دى ليل آدم أراد أن يبذل محاولة أخيرة لانقاذ الموقف فأرسل الى السرعسكر احمد باشا فارسين من فرسان الاسبتارية صحبة معاهدة قديمة معقودة بين السيد الكبير الأسبق بطرس دوبيسون والسلطان العثمانى بايزيد الثانى (جد سليمان الثانى) أمن فيها هذا السلطان ، باسمه واسم خلفائه من بعده ، الاسبتارية فى جزيرة رودس • على أن أحمد باشا ما كاد يتسلم هذه الوثيقة حتى مزقها ووطأها تحت أحد قدميه أمام سفيرى الاسبتارية ، ثم كتب رسالة ألفاظها جارحة وأمر بارسالها الى السيد الكبير للاسبتارية مع جنديين رودسيين ، كانا قد وقعا فى أسر الأتراك فى ذلك اليوم نفسه ،بعد اطلاق سراحهما وجدع أنفيهما وبتر أصابعهما وقطع آذانهما • وانتهى الأمر بأن أرسل دى ليل آدم فى ٢١ ديسمبر سفارة الى السلطان سليمان الثانى فى معسكره خارج أسوار مدينة رودس ، لتعرض عليه شروط الاسبتارية للاستسلام له • وقد وافق السلطان على هذه الشروط وأمر وزيره الأعظم بالاتفاق مع سفراء الاسبتارية

على بقية الشروط التى يجب أن تتضمنها اتفاقية الجلاء.(١) وأهم ما جاء فى هـــــذه الاتفاقية التى تم التوصل اليها فى نفس ذلك اليوم ـ أى فى يوم ٢١ ديسمبر ـ عـدم المساس بالكنائس والحظائر الدينية المسيحية ، وكفالة حرية العبادة لأهالى الجزيـرة كل حسب مذهبه الدينى ، وتأمين هؤلاء الأهالى على أرواحهم وأموالهم ، واعفاؤهم من دفع الضرائب لمدة خمس سنوات ، ومن الجزية التى يفرضها السلطان عادة عـلى

(١) أنظر : Hammer V, PP. 36-38, Biliotti, PP. 335 -336

وقد لخص دى ليل آدم وقائع تلك الفترة فى رسالة بعث بها الى ابن أختـــه فرانسوا دى مونتموبنسى عام ١٥٢٣ من جزيرة كريت التى انسحب اليهــــا الاسبتارية بعد جلائهم عن رودس ، فقال بأن العثمانيين حاولوا عبثا تسـلق أسوار مدينة رودس أو نسفها بالمدافع والالغام ، ولكنهم تمكنوا فى النهاية مـن فتح ثغرة فى هذه الاسوار تسع لعبور ثلاثين أو أربعين رجلا على خيولهم متجاورين . وقد نفذوا عن طريق هذه الثغرة الى داخل المدينة حيث تقدموا نحو مائـــة وخمسين خطوة وبعد ستة وثلاثين يوما دامت فيها المعارك بينهم وبـــين الاسبتارية فى هذه المنطقة عرض السلطان ـ الذى رأى بأن خسائره فى الجند بلغت منذ بدء الحصار ثمانين ألفا ، وأن هذه الخسائر تزداد يوما بعد يـوم أمام صمود الاسبتارية ـ على الاسبتارية أن يسلموا له المدينة مقابل السمـاح لهم بمغادرة الجزيرة سالمين ، ومعاملة من يرغب فى البقاء منهم معاملة طيبة مع اعفائهم من كل رسم وضريبة مدة خمس سنوات بما فى ذلك ضريبة تقديم الاطفـال للانكشارية . ويستطرد دى ليل آدم قائلا فى رسالته بأن الاسبتارية اختلفـوا أياما عديدة مع السلطان حول هذا الامر ، ولكنهم وجدوا أخيرا بأنه لم يعد فى مقدورهم الاستمرار فى الصمود ، حيث نفذ منهم البارود والمئونة ، وفقدوا معظم رجالهم الصالحين للقتال ، وانقطع الامل لديهم فى وصول أى من النجـدات التى طلبوها مرارا من حكام اوربا ، يضاف الى ذلك أنهم اشفقوا على رعاياهـم الروادسة من أن يضعهم العثمانيون تحت حد السيف أو يضطروهم الى هجـر دينهم خوفا من القتل ، ومن ثم خضعوا ـ أى الاسبتارية ـ لمشيئة السلطان .

(أنظر نص رسالة دى ليل آدم فى (Charriere I, PP. 94-95

الشعوب المسيحية عند خضوعها له ، وتقضى بأن يقدموا له أولادهم ليقوم بتربيتهـــم واعدادهم لأن يصبحوا جنودا فى فرقة الانكشارية ، الى الأبد • ونصت الاتفاقيـــة أيضا على أن يتم جلاء الاسبتارية عن الجزيرة خلال مهلة قدرها اثنى عشر يومـــا ، ويسمح لهم بأن يأخذوا معهم ما يملكون من أسلحة وذخائر ووثائق وحلى وأوانـــى أو أدوات ثمينة وصور دينية ورفات للقديسين ، فضلا عن سفن أسطولهم التى تقـــرر أن يرحلوا ، ومن يرغب فى الرحيل معهم من أهالى الجزيرة ، عليها جنبا الى جنب مـــع ما يقدمه لهم السلطان من سفن تركية تساعد فى نقلهم بالمجان الى جزيرة كريت ثـــم تعود أدراجها تاركة سفن الاسبتارية لاصحابها • وفضلا عن ذلك اشترط بأن يتراجع جيش الحصار العثمانى ستة أميال عن مواقعه أمام أسوار مدينة رودس فيما عدا أربعـــة آلاف جندي انكشارى يسمح لهم باحتـلال حصون المدينة الى أن يتم جلاء الاسبتارية عنها • وأخيرا قضت الاتفاقية بأن يقدم السيد الكبير للاسبتارية خمسة وعشرين فارسـا اسبتاريا ، من بينهم فارسان من حملة وسام الصليب الكبير " (Grand - Croix) الذين لهم حق عضوية مجلس الحكومة ، وخمسة وعشرين من أهالى رودس الأغنيـــاء ، رهائن للسلطان • (١)

---

(١) أنظر Biliotti, PP. 336 - 337, Finlay, P.82 ; Hammer V, P.38 , Farochon, P.229,

وجدير بالذكر أن المؤرخ شاريير (Charriere I, PP. 92-93) نشر وثيقة كتبت باللغة اللاتينية ، قال أنها محفوظة ضمن وثائق الاسبتاريـــة فى مالطة، تضمنت شروط هذه الاتفاقية فيما عدا شرطى تراجع الجيش العثمانـــى عن مواقعه وتسليم الرهائن للسلطان •

وبعد أن تم عقد اتفاقية الاستسلام هذه بخمسة أيام — أي في يوم ٢٦ ديسمبر عام ١٥٢٢ — توجه السيد الكبير دى ليل آدم لمقابلة السلطان سليمان الثاني في معسكره العثماني ، بدعوة من السلطان الذى بالغ في اكرامه وحاول أن يطيب خاطره ببعض العبارات الرقيقة ، كما أكد له حرصه على أن يكون جلاؤه ورجاله الاسبتارية عن الجزيرة جلاء كريما (١) . وبعد ثلاثة أيام أخرى — أى في يوم ٢٩ ديسمبر — دخل السلطان مدينة رودس في موكب عظيم وطاف بحصونها (٢) ، ثم توجه الى قصر السيد الكبير للاسبتارية حيث سأل دى ليل آدم اذا كان يرغب في مد مهلة الاثنى عشر يوما المعطاه له للجلاء فشكره الرئيس الاسبتاري وقال لا أريد غير المحافظة على الشروط المتفق عليها في معاهدة الجلاء ، فوعده السلطان خيرا وطيب خاطره مرة أخرى (٣) ، وهذا من الأدلة الاخرى — الى جانب سخاء شروط اتفاقية الجلاء نفسها — على ما كان عليه سليمان الثاني من سماحة وكرم خلق . وفى اليوم الاول من شهر يناير عام ١٥٢٣ (١٣ صفر سنة ٩٢٩هـ) قام دى ليل آدم بزيارة أخيرة للسلطان سليمان حيث قبل يديه وقدم له هدية قوامها أربع أوانى من الذهب (٤) ، ثم غادر رودس متوجها الى جزيرة كريت قرب منتصف الليل من نفس اليوم مع سائر فرسان الاسبتارية ونحو خمسة آلاف من أهل جزيرة رودس (٥) .

---

(١) أنظر : Hammer V, P.40

(٢) أنظر : Hammer V, P.41 , la manus. Turque, dand Biliotti,P. 339

مع ملاحظة أنه جاء في المخطوطة التركية (اقتبا س بليوتى ص٣٣٨ — ٣٢٩) بأن هذه هى المرة الثانية التى يدخل فيها السلطان مدينة رودس ، أما المرة الاولى فكانت يوم ٢٥ ديسمبر أى قبل ذلك بأربعة أيام .

(٣) أنظر : Hammer V, P.41

(٤) أنظر : Ibid: Loc. Cit.

غير أن المخطوطة التركية (اقتباس بليوتى ص ٣٤٠) ذكرت بأن هذه الزيارة تمت يوم ١٢ صفر أى ٣١ ديسمبر ١٥٢٢ .

(٥) أنظر : Hammer V, P.42

مع ملاحظة أن المؤرخ بليوتى (ص ٣٤٠) ذكر بأن الجلاء تم في فجر أول يناير ١٥٢٣ . وقد جاء في الرسالة التى بعث بها دى ليل آدم الى ابن اخته فرانسوا دى مونتمور بنسى من جزيرة كريت في ٧ فبراير عام ١٥٢٣ بأن الاسبتارية ارتحلوا عن رودس في أول يناير عام ١٥٢٣ من غير أن يحدد ساعة معينة لهذا الارتحال (انظر : Charriere 1, P. 95

خاتمـــه

لعل من أهم الملاحظات الملفته للنظر عن الاسبتارية في رودس أن السيــد الكبير لهيئة الاسبتارية كان يتمتع بسلطه تكاد تكون مطلقه على أعضاء هيئته بالرغم من وجود مجلس يشترك معه بصفه دائمه في الحكم ، فقد كان السيد الكبير هو الذى يعين أعضاء هذا المجلس ويرأس جلساته ، وبالرغم من وجود ما يعرف باسم المؤتمر العام للاسبتارية ، فقد كان هذا المؤتمر يعقد دوراته في فترات متباعدة لا تقل عن العام ، وقد تزيد عن العشرين عاما وفق رغبة السيد الكبير الذى كان يملك وحده سلطة توجيه الدعوه لأعضاء المؤتمر للانعقاد في الموعد والمكان اللذين يحددهما لذلك ، كما كان من سلطة السيد الكبير رئاسة جلسات هذا المؤتمر بنفسه ـ أو عن طريق نواب عنه يختارهم بنفسه لهذا الغرض ـ ووضع جدول أعماله .

ولقد بلغ من سلطة السيد الكبير أنه اذا حدث وكانت له شكوى ضد واحد من أعضاء الهيئة التى يرأسها عين بنفسه رئيس المحكمة التى يختارها للحكم في هذه الشكوى .

وفى الحقيقة فان أكثر ما كانت قوانين الاسبتاريه تحرص على النص عليه تأكيد سلطة السيد الكبير لهيئة الاسبتارية الى جانب تأكيد حقوق الخزانة المركزية برودس لدى أعضاء هذه الهيئه .

ومن الملاحظات الهامة الأخرى أن حكومة السيد الكبير للاسبتاريه كانت شديدة المركزيه الى درجة أن عضو هيئة الاسبتارية كان ملزما بحكم القانون أن يحصل على اذن أحد أعضاء هذه الحكومة ، وهو المحافظ الكبير ، قبل أن يقدم على [illegible] ملابس جديده له ، فاذا تصرف بغير ذلك حوكم أمام " المارشال " أو [illegible] والى درجة قيام الحكومة بتعيين اثنين من المفتشين المقيمين بمختلف [illegible] فى كل موقع من مواقع العمل بالجزيرة الى جانب [illegible]

يعرف باسم المفتشين المبعوثين الى شعب الاسبتارية خارج رودس لرفع تقاريرهم اليهـــا عن سير العمل فى هذه الشعب الى جانب التقارير التى كان يبعث بها اليها علـــى الدوام مقدموا الشعب .

ويلاحظ أيضا بأن الاسبتارية احتكروا لأنفسهم جميع مناصب الحكومة من غـــير أن يولوا أحدا من أهالى الجزيرة الوطنيين فى أى منها ، الا فى حالات قليله جـدا حيث أرسل الاسبتاريه واحدا أو اثنين من هؤلاء الأهالى فى سفارات للصلح لـــدى البلاط العثمانى (١) ، وذلك بالرغم مما عرف عن الاسبتاريه من عدم تدخل فى الأعمـــال الأخرى لأهالى الجزيرة وعدم مساس بحريتهم الدينيه ، بل وقيامهم بدفع رواتب رجـال الدين الأرثوذكس البيزنطيين ، الذين يتبع لهم دينيا أغلبية أهالى الجزيرة ، فـــى مقابل واحد هو قيام سكان العاصمة رودس بتأدية قسم يمين الطاعه والولاء للاسبتارية (٢) .

---

(١) فى عام ١٤٦٢ أرسل السيد الكبير زاكوستا سفاره الى السلطان محمد الثانـــى مؤلفه من " مارشال " الاسبتاريه واثنين من أهالى رودس اليونانيين (بليوتى ص ٢٣٦) . وفى عام ١٥٢٢ أرسل السيد الكبير دى ليل آدم تاجرا يونانيا مـــن أهالى رودس فى سفارة لدى السلطان سليمان الثانى قبل قيام هذا السلطـــان بغزو رودس (بليوتى ص ٢٩١ ، فاروشون ص ١٩٧) .

(٢) يقول المؤرخ بليوتى (ص٢٦٥ ــ ٢٦٦) بأن الاسبتاريه لم يمارسوا السلطـة ضد أحد من أهالى الجزيرة سوى مرة واحدة فى عهد السيد الكبير أورسيـــنى الذى طرد عددا من رجال الدين الأرثوذكس البيزنطيين لأنهم قاموا بحركـــة تهدف الى استقلال جماعتهم عن الاسبتاريه . ويستطرد بليوتى قائلا بأن سياسة الاسبتاريه المتسامحه مع الأهالى هى فى الواقع السبب الرئيسى لوقوف هـــؤلاء الأهالى الى جانب الاسبتارية فى الدفاع عن رودس عندما حاصرها العثمانيـون فى عام ١٤٨٠ ثم فى عام ١٥٢٢ ، لأن أهالى رودس ـ فى رأى هذا المـــؤرخ اذا كانوا يكرهون الخضوع لمن يعتنق الاسلام مثل الأتراك ، فهم يكرهـــون بدرجة أكبر الخضوع لمن يعتنق الكاثوليكيه مثل الاسبتارية .

ونكتفي بعد ذلك بملاحظة أخيره عن الاسبتاريه في رودس هي تعدد وسائلهم الدفاعيه التي استطاعوا بفضلها الاحتفاظ بدولتهم في شرق البحر المتوسط أكثر من قرنين من الزمن . ويأتي في مقدمة هذه الوسائل ، ولا شك ، الحصون التي أقاموها في جزيرتهم رودس وخاصة تلك التي أحاطوا بها عاصمة هذه الجزيرة مدينة رودس ودأبوا باستمرار على تقويتها بادخال كل جديد عليها في فن المعمار العسكري والأسلحة . وهناك أيضا القلاع والمراقب التي شيدوها فوق رءا الجبال الموجوده في جزرهم الأخرى المحيطه بجزيرة رودس ، واستخدموها في الدفاع عن هذه الجزر وفي ارسال التحذيرات اليهم في رودس ، عن طريق اشعال النيران ليلا وتصعيد سحب الدخان نهارا ، كلما شاهدت سفنا للأعداء تقترب منها . يضاف الى ذلك أنهم كانوا كلما توقعوا أن يهاجمهم عدو تركي أو مملوكي ، نتيجة انذار يبعث به اليهم أحد عيونهم في بلاد هذا العدو ، بادروا بطلب المساعده من البابا وملك فرنسا وغيرهما من حكام أوربا المسيحيه البارزين ، وباستدعاء فرسانهم المقيمين في شعب الاسبتاريه للمشاركة في الدفاع عن دولتهم بجزيرة رودس .

هذا وقد اعتمد الاسبتاريه كثيرا على ما كان بين الدولتين العثمانيه والمماليكيه من خلافات ومنازعات فاذا أحسوا بأن احدى هاتين الدولتين تنوي غزوهم في جزيرتهم رودس أسرعوا الى عقد الصلح مع الدولة الأخرى .

قائمـــة
بأسماء السادة الكبار للاسبتارية فـــى رودس

١)	فولك دى فيلاريه	FOULQUES DE VILLARET	١٣٠٥ _ ١٣١٩
٢)	هليون دى فيلنيف	HéLION DE VILLENEUVE	١٣١٩ _ ١٣٤٦
٣)	ديه دونيه دى جوزون	DIéUDONNé DE GOZON	١٣٤٦ _ ١٣٥٣
٤)	بطرس دى كورنيلان	PIéRRE DE CORNEILLAN	١٣٥٣ _ ١٣٥٥
٥)	روجر دى بنز	ROGER DES PINS	١٣٥٥ _ ١٣٦٥
٦)	ريموند بيرنجر	RAYMOND BéRéNGER	١٣٦٥ _ ١٣٧٤
٧)	روبرت دى چولى	ROBERT DE JUILLY	١٣٧٤ _ ١٣٧٧
٨)	حنا فرناند هيريديا	JEAN FERNANDEZ D,HéRéDIA	١٣٧٧ _ ١٣٩٦
٩)	فيليبرت دى نيلاك	PHILIBERT DE NAILLAC	١٣٩٦ _ ١٤٢١
١٠)	أنطونيو فلوفيان	ANTONIO FLUVIAN	١٤٢١ _ ١٤٣٧
١١)	حنا دى لاستيك	JEAN DE LASTIC	١٤٣٧ _ ١٤٥٤
١٢)	يعقوب دى ميللى	JACQUES DE MILLY	١٤٥٤ _ ١٤٦١
١٣)	ريموند زاكوستا	RAYMOND ZACOSTA	١٤٦١ _ ١٤٦٧
١٤)	حنا المعمدان أورسينى	GIAN BAPTISTA ORSINI	١٤٦٧ _ ١٤٧٦
١٥)	بطرس دبيسون	PIéRRE D,AUBUSSON	١٤٧٦ _ ١٥٠٣
١٦)	ايميرى دامبواز	EMéRY D,AMBOISE	١٥٠٣ _ ١٥١٢
١٧)	جاى دى بلانشفورت	GUY DE BLANCHEFORT	١٥١٢ _ ١٥١٣
١٨)	فابريشو دبل كاريتو	FABRICIO DEL CARRETTO	١٥١٣ _ ١٥٢١
١٩)	فيليب فيليردى ليل آدم	PHILIPPE VILLIERS DE L,ILE ADAM	١٥٢١ _ ١٥٢٢

المصـــادر والمراجـــع

أولا : المصـادر والمراجع العربيـــة

١) ابن الأثير : أبو الحسن على

أ - "الكامل فى التاريخ" (حـ ١١ ، حـ ١٢)

ب - "كامل التواريخ" . (فى : R.H.C., Hist.Orient., T.II, Part.I.)

حـ - "تاريخ الدولة الأتابكية" . (فى : R.H.C., Hist.Orient. T.II, Part.II.)

١) ابن اياس : أبو البركات محمد بن أحمد (+ ٩٣٠هـ/١٥٢٣)

"بدائع الزهور فى وقائع الدهور" (الأجزاء الثلاثة الأولى طبع بولاق عام ١٣١١ هـ - الجزء الرابع والأخير طبعة دكتور محمد مصطفـــى عام ١٩٣٢م)

ابن بطوطه : محمد بن عبد الله (عاش فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى)

"تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"

(جزءان - طبع بالمطبعة الأزهريه بمصر - الطبعة الأولـــى عـــام ١٣٤٦ هـ/١٩٢٨م)

ابن شـداد : بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع

"النوادر السلطانيه والمحاسن اليوسفيه"

(فى : R.H.C., Hist.Orient, T.III

ابن القلانسى : أبو يعلى حمزه (+ ٥٥٥ هـ)

"ذيل تاريخ دمشق" (بيروت - ١٩٠٨)

٦) ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (+ ٦٩٧هـ / ١٢٩٦م)
" مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب " (الجزء الأول والجزء الثانى
والجزء الثالث ـ تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال)
٧) أبو شامه : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل
" كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين "
(جزءان ـ القاهرة ١٢٨٧ هـ ، وفى :
(R.H.C.,Hist. Orient., T.IV .
٨) أبو الفدا : عماد الدين اسماعيل بن على صاحب حماه (+ ٧٣٢هـ / ١٣٣١م
" المختصر فى أخبار البشر " (الطبعه الأولى بالمطبعة الحسينية
المصريه) ـ حـ ٣ ، حـ ٤
٩) أبو المحاسن : جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (+ ٨٧٤ هـ / ١٢٥٤م
" النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة " (حـ ٦ ، حـ ١١ طبعـة
دار الكتب ـ حـ ٧ بأقسامه الثلاثه طبعه كاليفورنيا ١٩٢٦ ـ ١٩٢٨)
١٠) البدليسى : (شرف خـان)
" شرفنامه " ـ (ترجمه عن الفارسيه محمد على عونى سنة ١٩٦٢) .
جـزءان
١١) حبشـى : (الدكتور حسن)
" نور الدين والصليبيون "
١٢) دراج (الدكتور احمـد)
" المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى ـ الخامس عشر الميلادى "
(القاهرة ١٩٦١)
١٣) ديهل (شارل)
" البندقيه جمهوريه أرستقراطيه "
(تعريب الدكتور احمد عزت عبد الكريم
١٩٤٨) .

١٤) زيادة (الدكتور محمد مصطفى)

" الغزوة الكبرى الأولى لاستيلاء الصليبيين على مصر "

(مقال في كتاب " كفاحنا ضد الغزاة " - القاهرة ١٩٥٧)

١٥) السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (+ ٩٠٣ هـ / ١٤٩٦م)

" التبر المسبوك في ذيل السلوك " - بولاق ١٨٩٦م

١٦) سرور (الدكتور محمد جمال الدين)

" الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره " - القاهرة ١٩٣٨

١٧) السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (+ ٩١١ هـ / ١٥٠٤م)

" غزوات الفرنج برودس "

١٨) صفوت (الدكتور محمد مصطفى)

" السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية " - دار الفكر العربي سنة ١٩٤٨

١٩) طرخان (الدكتور ابراهيم علي)

" مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة " - القاهرة ١٩٥٥

٢٠) عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح)

أ - " قبرص والحروب الصليبية " - القاهرة ١٩٥٧

ب - " الحركة الصليبية " - جزآن القاهرة ١٩٦٣

حـ - " مصر في عصر دولة المماليك البحرية " القاهرة ١٩٥٩

د - " العصر المماليكي في مصر والشام " القاهرة ١٩٦٥

هـ - " الظاهر بيبرس " - القاهرة ١٩٦٣

و - " الناصر صلاح الدين " - القاهرة ١٩٦٥

٢١) العسقلاني : احمد بن علي بن حجر (+ ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩م)

" انباء الغمر بأنباء العمر " - جزآن (مخطوط بدار الكتب رقم ...

٢٤٧٦)

١) العيني : بدر الدين محمود (+ ٨٥٥ هـ / ١٤٥١م)
" عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان "
(فيما يتعلق بالحروب الصليبية في الشام رجعنا الى ما نشرمنه في " مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين الجزء الثاني ـ القسم الاول " . وفيما يتعلق بالغزوات المملوكية لجزيرة رودس رجعنا الى الجزء ٢٨ مصور من مخطوط في دار الكتب برقم ٥٩٨٤ تاريخ) .

١) غزالة : (حبيب بك)
" جزيرة رودس " ـ القاهرة ١٩٣٢

١) القلقشندي : أبو العباس أحمد (+ ٨٢١ هـ / ١٤١٨م)
" صبح الأعشى في صناعة الانشا " جـ ١٤ (القاهرة ١٩١٣) .

١) المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (+ ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م)
" السلوك لمعرفة دول الملوك " (الجزءان الاول والثاني تحقيق الدكتور محمد مصطفى زياده وطبع دار الكتب ١٩٣٤ ـ ١٩٥٨ .
والجزء الرابع مخطوط بدار الكتب برقم ٤٥٥ تاريخ) .

١) النويري : محمد بن قاسم بن محمد الاسكندري (+ ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣م)
" الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام بالامور المقضيه في واقعة الاسكندريه " ـ جزءان .
(مخطوط مصور بدار الكتب برقم ٣٩٤٢ تاريخ)

ثانيا : المصادر والمراجع الافرنجية

1. Amadi:
Chronique, publiée par M.René De Mas-Latrie, Paris

2. Anglure (Le Baron D'):
Le Saint Voyage De Jérusalem, Paris 1858 .

3. Archer (T.A.) & Kingsford (Charles Lethbridge) .
The Crusages,

4. Archives De L'Oriènt Latin, 2 vol., Paris 1881-1884 .

5. Atiya (A.S.) :
The crusade in the later middle ages, London 1938.

6. ---- :
The crusade of Nicopolis .

7. Baudouin (I.) & De Naberat (A.) .
Histoire des chevaliers de Saint-Jean de Jerusalem,
2 Vol., Paris 1643.

8. Baynes (n.) & Moss (H.)
Byzantium, Oxford 1948 .

9. Biliotti (E.) & Colleret (Abbé) .
L'Ile de Rhodes, Paris 1881.

10. Bouhours (Le R.P.) :
Pière D'Aubusson, Grand-Maître de Rhodes,
Deuxième Edition, Lille 1889.

11. Bury (J.B.) :
The Ottoman Conquest, in Cambridge Modern History,
Vol.I.

12. Charrière (E.) .
Négociations de la France dans le levant, Vol.I.
Paris 1848 (Collection de Documents Inédits sur
l'Histoire de France) .

13. Cherefeddin :
Histoire de Timur-Beg, Vol. IV (Trad. de Petits de
La Croix,) Paris 1722 .

14. Chronique du Templier de Tye, dans " Les Gestes Des Chiprois" Genéve 1887.

15. Chronique de Terre Sainte (1132-1224), dans "Les Ge Des Chiprois", Genéve 1887.

16. Collison-Morley (L.) .
Histoire des Borgia, Paris 1934 (Trad. de Théo Varlet) .

17. Conder(C.R.) .
The Latin Kingdom of Jerusalem (1099-1291) ., London 1897.

18. Creasy (Edwards.) .
History of the Ottoman Turks, Beirut 1961.

19. Daru (P.):
Storia della Republica di Venezia (Traduzione Francese con note ed Osservazioni), Capolago, 1834, 8 Vol.(Vols 1,III,IV) .

20. De Belabre (Baron) . :
Rhodes of the Knights, Oxford 1908.

21. De Caumont :
Voyaige d'Oultre-Mer en JHérusalem (an.1418), Paris 1858.

22. Delaville le Roulx (J.) :
Les Archives, la Bibliothèque et le Trésor de L'Ordre de Saint-Jean de Jérusalem à Malte, Paris 1883.

23. ---- :
La France en Orient au XIV^{e} S.-Expéditions du Maréchal Boucicaut, Paris 1886,2 Vol.

24. ---- :
Cartulaire Géneral des Hospitaliers de S.-J.de Jérusalem, Paris 1894-1906,4 Vol.

---- :
Les Hospitaliers en Terre Sainte et à Chypre, Paris 1904 .

26. Delaville Le Roulx (J.) :
Les Hospitaliers à Rhodes Jusqù à la Mort de Philibert De Naillac (1310-1421), Paris 1913.

27. De Naberat (A.) :
Sommaire des Priviléges Octroyez à l'Ordre de S.Jean, par les Popes, Empereurs, Roys & Princes, dans " Baudouin & De Naberat : Histoire des Chevaliers de Saint-Jean de Jerusalem, Vol. 2, Paris 1643.

28. Depping, (G.B.) :
Histoire du Commerce entre le Levant et l'Europe depuis, les Croisades Jusqu' a la Fondation des Colonies d'Amérique, Paris 1830.

29. De Prima Institutiona Hospitaliorum, dans R.H.C., Hist. Oc., T.V. Part .II, Paris 1895 .

30. De la Roncière (Charles) :
Histoire de la Marine Française, 2 Vol., Troisième Edition, Paris 1914 (Vols I,II).

31. De La Roncière (Ch.) & Dorez (L.) .
Lettres Inédites et Mémoires de Marino Sanudo L'Ancien (1334-1337), dans " Bibl. de l'Ecole des Chartes L VI, 1895" .

32. Dopp (P.-H.) :
V.Piloti.

33. The Encyclopadia Britannica, Vol. XXIV, Eleventh Edition, Cambridge 1911.

34. Enlart (Camille) :
Les Monuments des Croisés dans le Royaume de Jérusalem, 2 Vol., Paris 1925-1928 .

35. Eracles :
L'Estoire de Eracles Empereur et la Conqueste de la Terre d'Outremer, dans R.H.C.,Hist. Oc., T.II,Paris 1849.

36. Fabri (Felix) :

The wanderings of Felix Fabri (Circa 1480-1483 A.D.), 2 Vol., 4 Parts, in " The Library of the Palestine Pilgrims, Vols VII-X" , (Vol.I, Part I) , London 1893-1897.

37. Farochon (P. - A.) :

Les Chevaliers de Rhodes et de Malte (Chroniques et Récits), Tours .

38. Finlay (George) :

The History of greece under Ottoman and Venitian Domination, London 1856 .

39. Flandin (E.) .

Histoire des Chevaliers de Rhodes, Troisème Edition, Tourse 1873.

40. Froissart :

The Defeat of the Christian Army at Nicopolis (1396), in " Ziada, El-Arini and Ashour : Select Documents of Mediaeval History", First Edition, Cairo 1959 .

41. Fulcherii Cornotensis, dans R.H.C., Hist. Oc., T.III, Paris 1849.

42. Gay (Jules) :

Le Pape Clément VI et les Affaires d'Orient (1342-1352), Paris 1904 .

43. Les Gestes Des Chiprois :

Recueil de Chroniques française Ecrites En Orient aux XIII^{e} & X IV^{e} S., publié par Gaston Raynaud, Genéve 1887.

44. Gibbon (Edward) :

The Decline and Fall of the Roman Empire, 2 Vol. (Vol. II), new York .

45. Gibbons (H.A.):

The Foundation of the Ottoman Empire, Oxford 1916.

46. Golubovich (P.G.) :

Biblioteca Bio-Bibliografica Della Terra Santa E Dell'Oriente Francescano (Nuova Serie-Documenti), Tomi I-V, 1913-1929.

47. Grousset (R.) :

Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem, Vol.III,Paris 1936.

48. ---- :

L'Empire du Levant, Paris 1946.

49. Guillaume de Caoursin :

Le Fondement du S.Hospital et de l'Ordre de la Chevalerie de S.Jehan Baptiste de Jerusal dans R.H. C., Hist. Oc., T.V, Part II.

50. Guillaume de Saint-Estève :

Comment la Sainte Maison de l'Hospital de S. Johan de Jerusalem, dans R.H.C., Hist. Oc., T.V, Part. II .

51. Hammer(J.De) :

Histoire de l'Empire Ottoman depuis son Origine jusqu' a nos Jours, Vols 1-5, Paris 1835-1836 (Traduit de l'Allemand par J.-J. Hellert.

52. Harff (Arnold Von) :

The Pilgrimage of Arnold Von Harff Knight (1496 - 1499) , Trans. from the german by Malcolm Letts, London 1946 .

53. Heyd (W.) :

Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age , 2 Vol., Leipzig 1923 .

54. Hill(Sir George) :

A History of Cyprus, 3 Vol., Cambridge 1948 .

55. L'Ile De Castelorizo, Le Caire 1917 .

56. Josephi Historiographi :

Le Commencement de la Fondacion de la Sainte Maison de l'Ospital de S. Johan, dans R.H.C., Hist. Oc., T.V,Part.II.

57. Journal de la Seconde Campagne de Souleiman, Celle Contre L'Ile de Rhodes, dans " Hammer : Hist. de L'Emp.Ottoman, Vol. 5 .

58. King (Colonel E.J.) :

The Knights Hospitallers in the Holy Land , London,

59. Lamartine - A.De) :

Histoire de la Turquie, 8 Vol. (Vols 3,4), Paris 1854 .

60. Lane-Poole (S.) :

History of Egypt in theMiddle Ages, London 1914.

61. Lodge (Richard) :

A History of Modern Europe, Fourth Edition , Londong .

62. Machaut (Guillaume de) :

La Prise d'Alexandrie, Genéve 1877.

63. Macheras (Léonce) :

Chronique De Chypre, Trad. Françcaise par E. Miller & C.Sathas, Paris 1882.

64. Martin (Henri) :

Histoire De France, Tome IV, 4 iéme Edition, Paris 1861.

65. Mas - Latrie (M.L.De) :

Histoire de L'Ile de Chypre sous le Régne de Princes de la Maison de Lusignan, 3 Vol., Paris 1852-1855.

66. ------- :

Nouvelles Preuves de l'Histoire de Chypre, dans la Bibl. de l'Ecole des Chartes, XXXV,1874 .

67. ------- :

Commerce Et Expéditions Militaires De La France Et De Venise au Moyen age, (Documents Publiés par ma-Latrie), Paris 1879.

68. Michaud (M.R.) :

Histoire des Croisades, Vol.3,Paris 1838.

69. Miller (William) :

The Latins in the Levant, London 1908.

70. Mirepoix (Duc De Lévis) :

Philippe Le Bel, Paris 1936.

71. Mitchell (James) :

The History of the Maritime Wars of the Turks, Translated from the Turkish of Haji Khalifeh, London 1831.

72. Moranvillé (H.) :

Un Pélerinage en Terre Sainte et au Sinaï au XVS. , dans B.E.C,LXVI,1905

73. Musatti (Eugenio) :

Storia Di Venezia , 2 Vol., Terza Edizione, Milano 1936.

74. Nevaire (Phelippe de) :

Estoire de la Guerre qui fu entre l'Empereor Frederic & Johan d'Ibelin, (dans les Gestes Des Chiprois) .

75. Noiret (Hippolyte) :

Documents Inédits Pour Servir à L'Histoire De la Domination Venitienne En Créte de 1380 à 1485, Paris 1892 .

76. Les Ordonnances de l(Ordere de S.Jean de Hierusalem, Trad. du Latin Par I. Baudoin (dans Baudouin & De Naberat : Hist. des Chevaliers de S.-J.de Jérusalem, Vol. 2) .

77. Paderborn (Oliver of) :

The Capture of Damietta, Trans. By John J. Gavigan, Philadelphia, U.S.A., 1948.

78. Pastor (Ludwig) :

The History of the Popes, Edited by Frederick Ignatius Antrobus of the Oratory, 10 Vol., London 1923.

79. Pauli (Sebastiano) :

Codice Diplomatico Del Sacro Militare Ordine Gerosolimitano Oggi Di Malta, Raccolto Da Vari Documenti Di Quell' Archivio, Per Servire Alla Storia Stesso Ordine In Rodi Ed In Malta , Lucca 1737 .

80. Pagolotti (F.B.) :

La Pratica Della Mercatura, Edited in Cambridge, Massachusetts 1936.

81. Peyrefitte (Roger) :

Chevaliers De Malte, Paris 1957 .

82. Piloti (Emmanuel) :

L.Egypte Au Commencement Du Quinzième Siecle, (Avec Une Introduction Et Des Notes Par P.-H. Dopp, Le Caire 1950) .

83. Recueil Des Historiens Des Croisades, Historiens Occidentaux, 5 Vol., Paris 1844-1895.

84. Rohrbacher (L'Abbé) :

Histoire Universelle Du L'Eglise Catholique, Deuxième Edition, Vols. 21,22,Paris 1851.

85. Rothelin :

Continuation de Rothelin, dans R.H.C.,Hist. Oc., T.II.

86. Runciman (Steven) :

Byzantine Civilisation, London 1932 .

87. Saadud -Din (M.Hassan) :

Chronique , dans La Journal Asiatic, An. 1926 .

88. Sempad :

Continuation de la Chronique de Sempad, dans R.H.C., Documents Arméniens, T.1, Paris 1869 .

89. Les Statuts de l'Ordre de Sainct Jean de Hierusalem, Trad.Par I.Baudouin (Dans Baudouin & De Naberat : Hist. Des Chevaliers de S.J. de Jéurs., Vil. 2,Paris 1643).

90. Strambaldi :
Chronique, publiée par M.René de mas-Latrie, Paris 1893.

91. Suchem (Ludolph Von) :
Description of the Holy Land and of the Way Thither, written in the year A.D.1350 , Translated by Aubrey Steward, (In Palestine Pilgrims'Text Society, Vol.X 11) London, 1895.

92. Tafur (Pero) :
Travels and Adventures (1435-1439), Translated by Malcolm Letts, London, 1926.

93. Thenaud (Jean) :
Le Voyage D'Outremer De Jean Thenaud, Edité par Schefer, Paris 1884.

94. Thuasne (L.) :
Djem-Sultan, Fils de Mohammed II,Frère de Bayazid II (1459-1495), d'Aprés les Documents Originaux En Grande Partie Inédits, Paris 1892.

95. Trevor (Rev. George) :
Rome., London 1868 .

96. Vertot (M.L'Abbé de) :
Histoire Des Chevaliers Hospitaliers De Saint Jean De Jerusalem, Dernière Edition, 4 Vol., Amsterdam 1772 .

97. Villaret (Foulques De) :
Mémoire De Foulques De Villaret Sur la Croisade, Edité par Joseph Petit (dans B.E.C., LX,1899).

98. Walsh (Le Vicomte) :
Saint Louis Et Son Siècle, Tours 1878 .

99. Wiel (Alethea) :
Venice, London 1894.

00. Wiet (Gaston) :

L'Egypte Arabe de la Conquête Arabe à la Conquête Ottomane, (Dans G.Hanoteaux : Hist. de la Nation Egyptienne, T.IV), Paris 1926.

101. ------------- :

L'Egypte Musul mane de la Conquête Arabe à la Conquête Ottomane (Dans Prècis de l'Histoire d'Egypte, T.II, Le Caire 1932 .

102. Willermi Tyrensis Archiepiscopi :

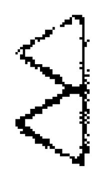
Chronique dans R.H.C., Hist. Oc., T.1, Parts. I,II,Paris 1844 .

103. Yonge (Charlotte M.) :

History of France , London 1908 .

104. Ziada (M.M.) :

Foreign Relations of Egypt in the Fifteenth Century (1422-1517) , Thesis for the Degree of PH.D., Liverpool,1930.



جزيرة رودس

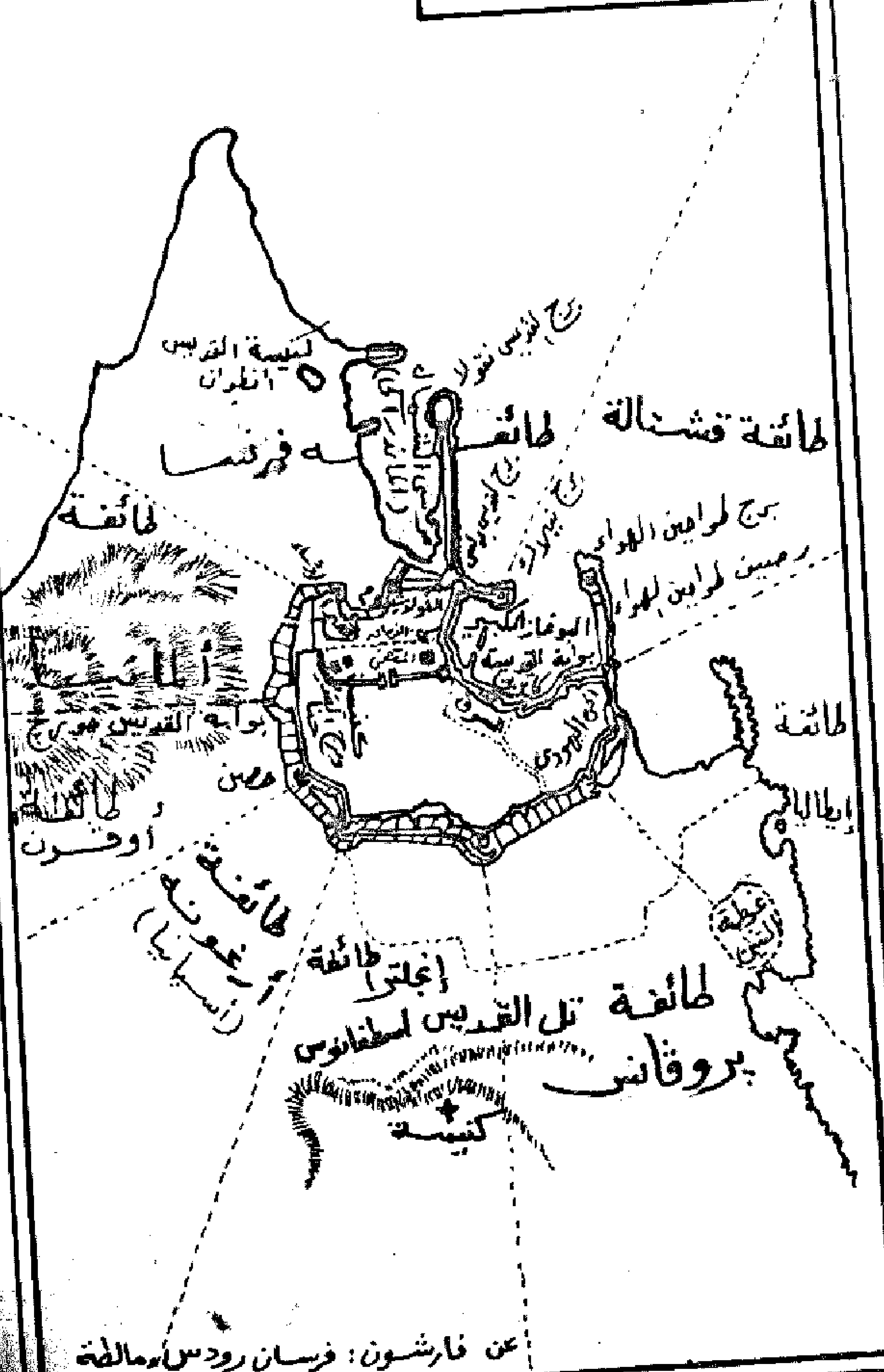
✡ حصون

جزيرة سيمي
رودس
فيلريموس
فيلانوفا
كوسكينو
سوروني
سالاكوس
جزيرة ليمونيا
مالونا
أركانجيلوس
فراكلوس
جبل أرتاميتا
لاديرما
مونوليثوس
جون بريبونيا
(بولاكيا)
بريبونيا
(ابولاكيا)
لاردوس
أسكليبيو
لندوس
رأس لاردوكا
كاتافيا
رأس براسونيزي

عن فارشون : فرسان رودس ومالطة ص٦٩



جبل اتوس
جزيرة امروز
الدردنيل
جزيرة بوزجه
جزيرة لمني
جزيرة مدللي
جزيرة ساقز (خيوس)
ازمير
جزيرة ساموس (سيسام)
جزيرة نيكاريا
جزائر فورنو
جزيرة بطمس (بالمنوس)
جزيرة لروس
جزيرة كالمنو
اسكي حصار
بودروم
(هاليكارناس)
جزيرة استانكوي (الانجو)
جزيرة سمي
جزيرة رودس
جزيرة كربة (سكاربانتو)
جزيرة قاشوط
قشتيل الروج
(ميس)
الجزر الخاضعة للاسبتارية
في بحر إيجه والجزر المجاورة لها
عن حبيب غزالة : رودس



مدينة رودس العاصمة
كنيسة القديس أنطوان
برج القديس نقولا
طائفة قشتالة
طائفة فرنسا
طائفة ألمانيا
برج طواحين الهواء
رصيف طواحين الهواء
الحي اليهودي
طائفة إيطاليا
طائفة أوفرن
طائفة أرغونة (إسبانيا)
طائفة إنجلترا
طائفة بروفانس
تل القديس اسطفانوس
كنيسة
عن فارشون: فرسان رودس ومالطة
ص ٧٣